

الطبعة الثانية

الرحلة العياشيّة

1661 - 1663 م

عبد الله بن محمد العياشي

موسوعة رحلات الحج



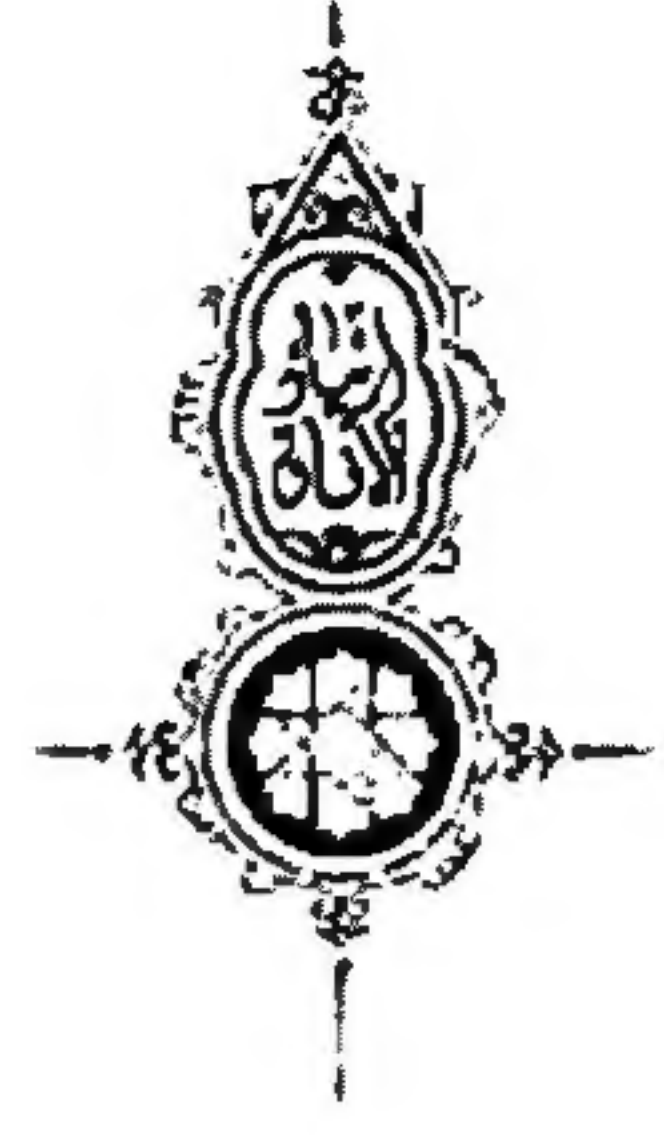
حقّقها وقَدّم لها:

د. سعيد الفاضلي د. سليمان القرشي

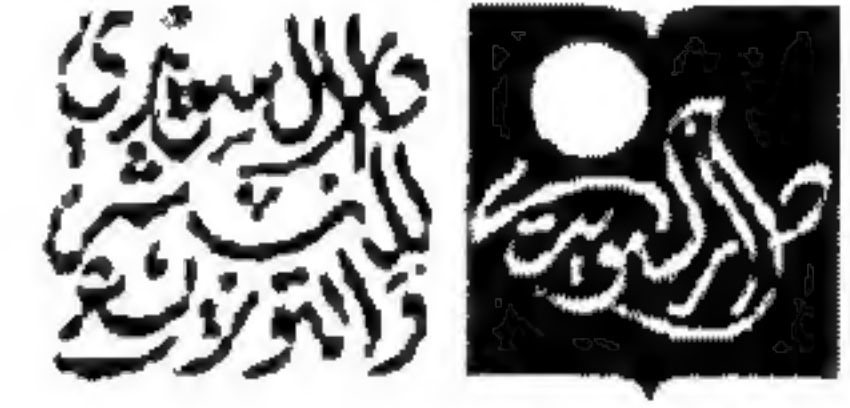


الرحلة العياشية

1661-1663م



الرحلة العياشيّة - المجلد الأول
أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي/مؤلف، [حقّقها وقَدّم لها: د. سعيد الفاضلي ود. سليمان القرشي]
الطبعة الأولى، 2006
حقوق الطبع محفوظة



دار السويدي للنشر والتوزيع
أبو ظبي، ص. ب: 44480
الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 6322079، فاكس: 6312866

تصميم الغلاف: الفنان ناصر بخيت
الصف الضوئي: القرية الإلكترونية/أبو ظبي
المخطوط: محمد مندي

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

الرحلة العياشية

1661 – 1663م

أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي

المجلد الثاني

حققها وقدم لها:

د. سعيد الفاضلي و د. سليمان القرشي

الكتاب الحائز على
جائزة ابن بطوطة
للأدب الجغرافي 2005

يشرف على هذه السلسلة:

نوري الجراح

مستشار التحرير:

علي كنعان

أمانة التحرير:

محسن خالدة

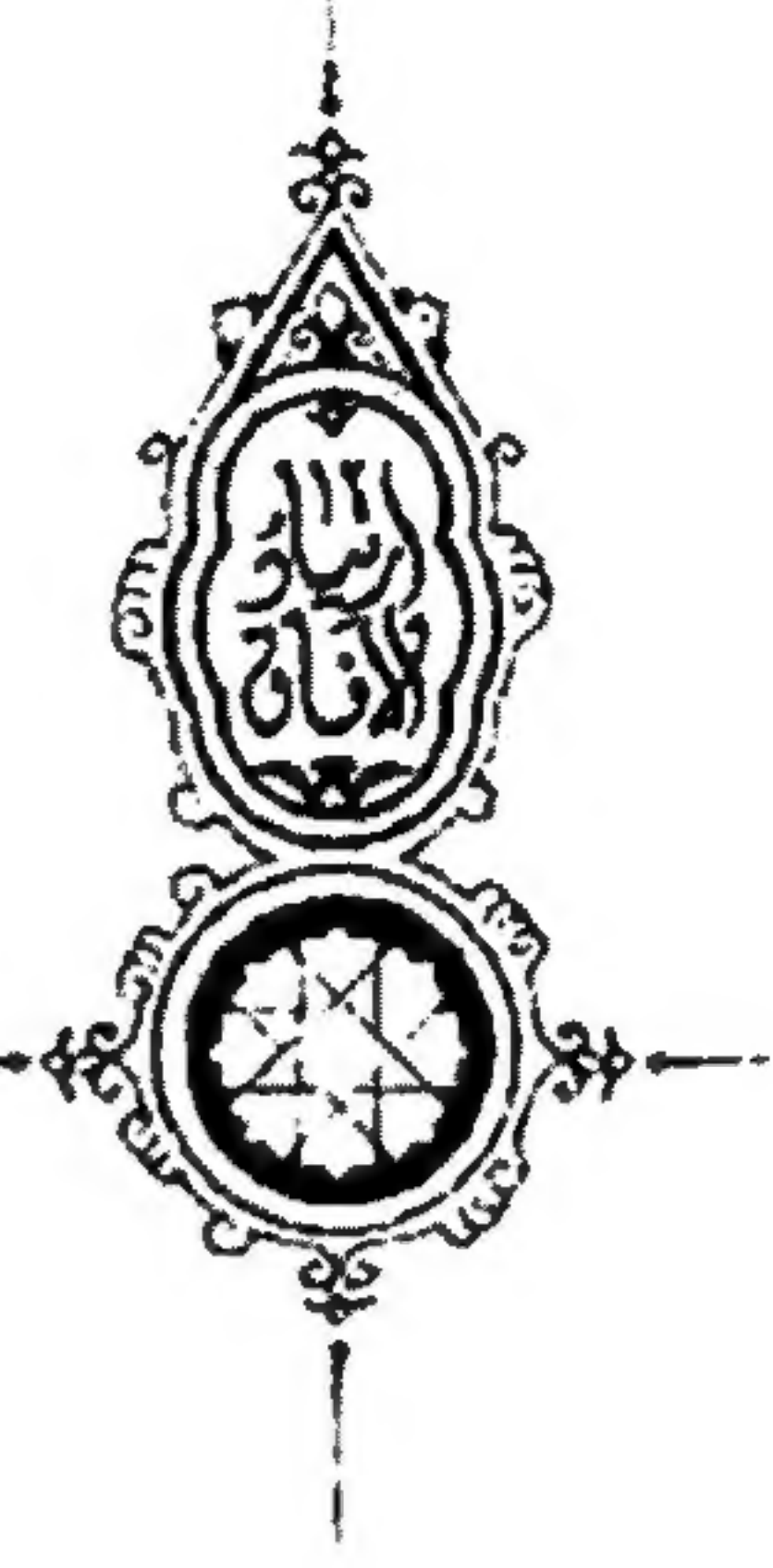
أيمن مجازي

الإشراف الفني:

ناصر بغيث

التتضيد والتسيق:

علاء البيوك





تَهْدُفُ هذه السَّلْسَلَةُ بَعَثَ واحدٍ من أعرق ألوانِ الكتابةِ في ثقافتنا العربية، من خلال تقديم كلاسِيكِيَّاتِ أدبِ الرَّحْلةِ، إلى جانب الكشف عن نصوص مجهولةٍ لكتاب ورحالةٍ عربٍ ومسلمينَ جابوا العالمَ ودَوَّنُوا يومياتهم وأنطباعاتهم، ونقلوا صوراً لما شاهدوه وخبروه في أقاليمه، قريبة وبعيدة، لا سيما في القرنين الماضيين اللذين شهدا ولادة الاهتمام بالتجربة الغربية لدى النخب العربية المثقفة، ومحاولة التعرف على المجتمعات والناس في الغرب، والواقع أنه لا يمكن عزل هذا الاهتمام العربي بالآخر عن ظاهرة الاستشراق والمستشرقين الذين ملأوا دروبَ الشرق، ورسموا له صوراً شتملاً مجلدات لا تُحصى عدداً، خصوصاً في اللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، وذلك من موقعهم القوي على خارطة العالم والعلم، ومن منطلق المستأثر بالأشياء، والتمهيئ لترويج صور عن "شرق ألف ليلة وليلة" تغذي أذهان الغربيين ومخيلاتهم، وتُمهدُ الرأي العام، تالياً، للغزو الفكري والعسكري لهذا الشرق. ولعل حملة نابليون على مصر، بكل تداعياتها العسكرية والفكرية في ثقافتنا العربية، هي النموذجُ الأتمُّ لذلك. فقد دخلت المطبعة العربية إلى مصر مقطورة وراء عربة المدفع الفرنسي لتؤسس للظاهرة الاستعمارية بوجهيها العسكري والفكري.

على أن الظَّاهِرةَ الغربية في قراءة الآخر وتأويله، كانت دافعاً ومحرضاً بالنسبة إلى النخب العربية المثقفة التي وجدت نفسها في مواجهة صور غربيَّةٍ لمجتمعاتها جديدة عليها، وهو ما استفز فيها العصب الحضاري، لتجد نفسها تملك، بدورها، الدوافع والأسباب لتشد الرحال

نحو الآخر، بحثاً واستكشافاً، وتعود ومعها ما تنقله وتعرضه وتقولها في حضارته، ونمط عيشه وأوضاعه، ضاربة بذلك الأمثال للناس، ولينبعث في المجتمعات العربية، وللمرة الأولى، صراع فكري حاد تُستقطبُ إليه القوى الحية في المجتمع بين مؤيد للغرب موال له ومتحمسٍ لأفكاره وصياغاته، وبين معادٍ للغرب، رافضٍ له، ومستعدٌّ لمقاتلته.

وإذا كان أدب الرحلة الغربي قد تمكن من تنميط الشرق والشرقيين، عبّر رسم صور دنيا لهم، بواسطة مخيلةٍ جائعةٍ إلى السّحري والأيروسي والعجائبي، فإن أدب الرحلة العربي إلى الغرب والعالم، كما سيتضح من خلال نصوص هذه السلسلة، ركز، أساساً، على تتبع ملامح النهضة العلمية والصناعية، وتطور العمران، ومظاهر العصرية ممثلة في التطور الحادث في نمط العيش والبناء والاجتماع والحقوق. لقد انصرف الرّحالة العرب إلى تكحيل عيونهم بصور النهضة الحديثة في تلك المجتمعات، مدفوعين، غالباً، بشغف البحث عن الجديد، وبالرغبة العميقة الجارفة لا في الاستكشاف فقط، من باب الفضول المعرفي، وإنما، أساساً، من باب طلب العلم، واستلهام التجارب، ومحاولة الأخذ بمعطيات التطور الحديث، واقتفاء أثر الآخر للخروج من حالة السّلل الحضاريّ التي وجد العرب أنفسهم فريسة لها. هنا، على هذا المنقلب، نجد أحد المصادر الأساسية المؤسسة للنظرة الشرقية المندهشة بالغرب وحضارته، وهي نظرة المتطلع إلى المدينة وحداثتها من موقعه الأدنى على هامش الحضارة الحديثة، المتحسر على ماضيه التليد، والتّائق إلى العودة إلى قلب الفاعلية الحضارية.

إن أحد أهداف هذه السلسلة من كتب الرحلات العربية إلى العالم، هو الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكّل عن طريق الرحلة، والأفكار التي تسرّبت عبر سطور الرّحالة، والانتباهات التي ميّزت نظرهم إلى الدول والناس والأفكار. فأدب الرحلة، على هذا الصعيد، يشكل ثروة معرفية كبيرة، ومخزناً للقصص والظواهر والأفكار، فضلاً عن كونه

مادة سردية مشوّقة تحتوي على الطريف والغريب والمدهش مما التقطته عيون تتجول وأنفس تنفعل بما ترى، ووعي يلّم بالأشياء ويحلّلها ويراقب الظواهر ويتفكّر بها.

أخيراً، لا بد من الإشارة إلى أن هذه السّلسلة التي قد تبلغُ المائة كتاب من شأنها أن تؤسس، وللمرة الأولى، لمكتبة عربية مستقلة مؤلّفة من نصوص ثريّة تكشف عن همّة العربيّ في ارتياد الآفاق، واستعداده للمغامرة من باب نيل المعرفة مقرونة بالمتعة، وهي إلى هذا وذاك تغطي المعمور في أربع جهات الأرض وفي قارّاته الخمس، وتجمع إلى نشدان معرفة الآخر وعالمه، البحث عن مكونات الذات الحضارية للعرب والمسلمين من خلال تلك الرحلات التي قام بها الأدباء والمفكرون والمتصوفة والحجاج والعلماء، وغيرهم من الرّحالة العرب في أرجاء ديارهم العربية والإسلامية.

محمد أحمد السويدي

[الجزء الثاني من رحلة الشيخ
الإمام العلامة القدوة الهمام العارف
الكبير والمحقق الشهير أبي سالم
سيدي عبد الله العياشي
رضي الله عنه
ونفعنا به آمين^(١)]

(١) ما بين معقوفتين زيادة من ط.

باسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً⁽¹⁾

ومنهم صاحبنا ذو القدر المنيف والخلق الظريف والجاه الخطير والحسب الأثير، رئيس المؤقتين بالحرم الشريف، الشيخ شهاب الدين أحمد بن التاج⁽²⁾، (رحمه الله)⁽³⁾، كان ممن نشأ في حجر النباهة، ورضع ثدي الوجاهة من لدن صباه إلى كبره، وهو مع ذلك مطوي على غره، له عقل ذكي وإدراك جلي، أخذ العلم عن أبيه وعمِّه أدركه من مشايخ الحرمين، وتمهر في علم الحساب والتوقيت والتنجيم، وانفرد في تلك الأقطار بمعرفة علم السيميا والزيارج والحدثان بطرق متعددة، فنال بذلك وجاهة عند الأمراء وأرباب المناصب، رأيت عنده كتاب الجفر الكبير الذي قل أن يوجد في الدنيا حتى قال بعضهم: إنه من الأشياء التي وضعت لها الأسامي ولم توجد مسمياتها، وهو سفرٌ كبير نحو الأربعين كُرَّاساً في القالب الكبير، مرتب على حروف المعجم، وهو كله حروف مقطعة في مربعات صغار، كل مربعة فيها أربعة أحرف، وصفة ذلك⁽⁴⁾ أن في كل حرف من حروف المعجم ثمانية وعشرين صفحة، أربعة عشر ورقة، في كل صفحة جدول من ثمانية وعشرين في مثلها، فيصير في الجدول الذي في الصفحة الواحدة ثمانية وعشرون سطراً، في كل سطر ثمانية وعشرون بيتاً، أعني بالبيت المربعة الصغيرة، وفي كل بيت أربعة أحرف من حروف المعجم بالوضع العربي، ولا توجد الحروف التي في بيت واحد مُكرَّرة مع بيت آخر من أول الكتاب إلى آخره، مع أن في كل سطر منه حروف المعجم كلها لا يخلو منها بتمامها سطر، ووجه ذلك أن حرف الألف مثلاً فيه ثمانية وعشرون صفحة عدد حروف المعجم، وأول كل سطر من صفحات حرف الألف إلى آخره مبتدأ بالألف، ثم يعتبر معه حروف المعجم كل

(1) ساقط من ط.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) زيادة من ط.

(4) أنظر: كتاب الجفر الجامع والنور اللامع، ص: 5.

في سطر إلى آخر الصفحة، وضابط ذلك، كما قال بعضهم، أن حرف الترجمة يحفظ لك أول الحروف، يعني أول الحروف في كل بيت من كل سطر من أسطر الكتاب كلها، والصفحة تحفظ لك ثاني الحروف، يعني أيضا الحرف الثاني من كل بيت من كل سطر من كل صفحة، والسطر يحفظ ثالثها كذلك، والبيت يحفظ رابعها كذلك، فأول البيوت كلها من الكتاب فيه أربعة ألفات هكذا: ا، ووجهه على الضابط الأول أن الترجمة ترجمة الألف، فجعلنا الألف أول الحروف والصفحة أول الصفحات، فجعلنا الألف أيضا ثاني الحروف، والسطر أول السطور، والبيت أول البيوت، فكانت الحروف كلها ألفات، ولا يوجد بيت فيه أربع ألفات سواه إلى آخر الكتاب، ثم البيت الثاني من السطر الأول فيه ثلاث ألفات وباء هكذا: ا، ب، لأن الترجمة لأول الحروف، وهو الألف، وهذه الصفحة الأولى والسطر أول السطور، فكانت ثلاث ألفات، وأما البيت، وهي الحافظة للحرف الرابع، فهي ثانية البيوت، فكان الحرف الرابع باء، والبيت الثالث ثلاث ألفات وجيم، ثم كذلك إلى آخر السطر متكون فيه ثلاث ألفات وباء آخر الحروف، وفي أول السطر الثاني ألفان وباء وألف هكذا: ا، ب، ووجهه على الضابط الأول أن حرف الترجمة أول الحروف، والصفحة أيضا أولى الصفحات، فيوضع ألفان، السطر ثاني السطور، فيوضع باء، والبيت أول بيت من السطر فيوضع ألف، وفي البيت الثاني من السطر الثاني ألفان وباء، لأن الترجمة لأول الحروف والصفحة أولى والسطر ثان، والبيت ثان، ثم كذلك، فإذا فهمت ذلك في الصفحة الأولى من حرف الألف سهل عليك اعتبار ذلك في سائر الحروف، ومثال ذلك أيضا السطر الثالث من الصفحة الرابعة من حرف الكاف تضع في البيت الأول منه كاف ثم دال ثم جيم ثم ألف هكذا: ك د ج ا، لأن الترجمة للكاف، والصفحة الرابعة للدال، والسطر الثالث للجيم، والبيت أول البيوت من السطر الألف، وفي البيت الذي يليه كاف ودال وجيم وباء، ثم كذلك إلى آخر السطر وآخر حروف المعجم، ومثال ذلك أيضا الصفحة السادسة من حرف الألف أول بيت من أول سطر منها فيه ألف حرف الترجمة، ثم واو حرف الصفحة، ثم ألفان حرف السطر، والبيت السادس من السطر الأول، يعني من الصفحة السادسة من حرف الألف فيه ألف الترجمة، ثم واو الصفحة ثم ألف السطر، ثم واو البيت، وإنما نوعت الأمثلة قصدا للبيان، وإلا فالضابط الأول كاف في وضع جميع الكتاب كله لمن تأمل وفهم.

وكان صاحب الترجمة يتبجح كثيرا باستخراج كتاب الجفر، والجامعة⁽¹⁾ من هذا الضابط المتقدم، مع أنه لا كبير مؤنة فيه، بعد العلم بالضابط المتقدم، سيما من تقدمت له رؤيته، وكنت سألته هل رأيته على هذا الوضع قبل هذا، فأخبرني أنه رآه مرة أخرى في خزانة سيدي صبغة الله الحسيني⁽²⁾ صاحب الأسرار الإلهية، وهي التي في شامي المسجد النبوي بيد شيخنا صفى الدين القشاشي رضي الله عنه، ولما لقيت صاحب الترجمة وأظهر البشاشة والمودة، ورحب وأنس، وكشف لي عن خبيثة أمره، وأبدى لي ما عنده وأبدى له ما عندي، وصافاني وده كما صافيته، ولما طلبت منه إيضاح المعنى من هذه الأسرار المودعة في الموضوعات الحرفية والأوضاع الجفرية بطريق الزيارج أو غيرها من الطرق، فأنعم بذلك وسهل الأمر فيه، وواعدني وقتاً يتيسر فيه إفراغ البال لذلك، ولم يزل يسومني، وصادف ذلك مني عدم وفور رغبة في ذلك الأمر، إنما هو تشوف نفس وتوقاها للشعور بما لم تعلم من بعض جهاته، فلم يتفق ذلك لي ولا له إلا في الليلة التي عزمتم على السفر صبيحتها من المدينة المشرفة إلى مكة، وهي ليلة الثلاثاء سابع عشر من شعبان من سنة ثلاث وسبعين، فاستدعاني إلى منزله بعد صلاة العشاء، فعندما استقر بنا المجلس ويسر ما يحتاج إليه من آلة ذلك، قال لي⁽³⁾: افرض سؤالك في أي حاجة شئت حتى أوضح لك كيفية استخراجها من طريقة الجامعة التي هي الجفر الكبير، وكنت إذ ذاك كثير التمني لزيارة المسجد الأقصى بعد الانفصال عن الحرمين الشريفين زادهما الله شرفاً، فجعلت ذلك موضوع السؤال، فأمرني برسم جدول من أحد عشر في أربعة ويسمى جدول التركيب، ثم تعمير أوائل بيوتيه بحرف الطالع في وقت السؤال، ثم بحروف قطب الأقاليم الشفوية، وهو سؤال عظيم الخلق، ثم بحروف السؤال بعد الاختصار منه على ما يبلغ أربعاً وأربعين، وستأتي صورة ذلك، ثم بيّن لي كيفية اللفظ من جدول التركيب بإسقاط الدرج والمنازل والبروج والأفلاك والطبائع حتى تخرج الأدوار الأربعة، وأخذت في ذلك فلم أفرغ من استخراج الأدوار الأربعة التي هي أصول تركيب البيت الأول المسمى بالتركيب الطردي حتى مضى هزيع من الليل، وأثر السهر في وفيه، وظهر الملل من كلا الجانبين، وقال لي: هذا نصف العمل، وهو أصعبه، وما بعده يتوقف على

(1) في ط: الجامع.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) في ط: فقال.

أحكام هذا وإتقانه، وقد بلغ بنا الحال إلى ما ترى من الكلل والسامة، وأنت عازم على السفر غداً، فأنا أقيد لك ما تتقن به هذا العمل فراجعه أيام غيبتك بمكة، وكرّر مطالعة جدول التركيب حتى يرتسم في خيالك كيفية الوضع واللفظ من دون غلط، ويسهل عليك استخراج الأدوار الأربعة لكل أصل من أصول التراكيب الأربعة، وبعد رجوعك إن شاء الله أين لك ما بقي، وصادف ذلك مني بعض ملل وكلل، فقبلت ما ذكر، ولا أدري هل ذلك منه ضمن بإتمام الفائدة كما هو شأن أرباب هذه العلوم، أو الوجه ما ذكر، إلا أن الراجح عندي هو الأول لأنه لما كتب ما وعد به اقتصر فيه على القدر الذي شافهني به، وما ضره لو استوعب الكلام على المسألة كتابة لما تعذر مشافهة، إلا أنني توسمت من كثرة تحريضه لي على إخفاء ذلك ولا أذاكر به أحدا ما دمت بأرض الحجاز أنه يخاف إن كشف الغطاء عن المسألة إلى ربما أبديتها لبعض أصحابنا ممن كان يلتمس منه ذلك ويمتنع عليه، فرأى إخفاء ذلك إلى قرب الرحيل أدنى لحصول المراد من غير ضرر يتوقع، ولو وقع ذلك لوقع كما توهمه، لأنني كنت سليم الصدر مجبولا على عدم إخفاء شيء مما أرى فيه فائدة ممن تحققت محبته ومودته من الأخلاء، وكان لي خليل مكّي ممن يرغب في ذلك، واستحكمت الأخوة بيني وبينه حتى أبديت له عُجْرِي وَبُجْرِي^(١)، وأبدى لي من نفسه مثل ذلك، فأطلعت على هذا القدر الذي كتبه لي وعلى غيره مما عندي من المخبآت، فوقع ما استشعره صاحب الترجمة، ولم تنجع ولم تنفع وصيته لي، ولما من الله بالعود من مكة المشرفة إلى المدينة بعد أداء النسك، تراحمت الأشغال، وتراكت لفراق الأحبة الأهوال، فلم أتفرغ للاقائه إلا كخلسة طائر أو نوبة غائر، ووجدته قد كتب وجهها آخر في رسالة له كتبها لوزير الشاه الهندي سوى الوجه الذي ذكر لي، وزعم أنه أتم تحريراً من الوجه الذي كتب لي، ومكنني من الرسالة برمتها، فلم أتفرغ لاستيعاب مطالعتها واستخراج مضمونها، فاستنسخت منها بعض شيء مما ظننت أنه يحصل المراد به، وبعد مفارقتة راجعت ذلك فلم يتحصل لي منه طائل لعدم مشافهتي له بالاستفسار عن أماكن مغلقة وأسامي مبهمّة، مع كثرة الجمع والطرح والتقسيم الحسابي، وذلك مما تشمئز نفسي من الكثير منه وتنفر منه كل النفر، حتى أنني ربما أتبلد في بعض الأحيان عن إدراك ما هو كالضروري منه، ويقع لي فيه الغلط كثيرا، وقد

(١) عجري وبجري: همومي وأحزاني، وقيل: ما أبدي وما أخفي: لسان العرب: عجر.

انضاف إلى ذلك عدم وفور الرغبة وصدق الهمة الذي هو أعظم الأصول الموصلة إلى المقصود، والسبب في ذلك وهو العائق لي عن تحصيل كثير من العلوم أن لي نفساً تواقة ذواقة تنهالك على الوصول إلى ما حجب عنها من علوم وغيرها، ولا تبالي بما لاقت في جنب ذلك من أضرار وما ركبت من أخطار، فإذا استشعرت ذلك من بعض وجوهه، وأدركت هوائيه، بدا الفتور في الداعية، والحمود في الذائقة، والحمود في القائلة، ولا يزال ذلك يتزايد إلى أن يحصل الانصراف عنه بالكلية، وذلك غاية الخذلان ونهاية الحرمان، نسأل الله تعالى أن ينقذنا من ذلك ويقوي هممنا فيما يوصل إلى مرضاته، إلا أن ذلك، والحمد لله، وإن كان يعتريني في كل مطلوب وعند كل محجوب، إنما يغلب علي ويسرع إلي عند الإشراف على الغاية، فإن كانت الثمرة مقطوعاً بنفعها مضراً بتركها، ووضعها مشروطاً في الكمال الإنساني، اجتناؤها مطلوب في الشريعة ولو على الندب اقتناؤها، فرمما جاهدت نفسي وغالبتها على طبعها وسبغتها الأمرين على الولوج في مضايقه، وحشمتها مكابدة الاشتغال بسوابقه ولواحقه، مستعيناً بالله في تحصيل القدر الذي أنا به مطالب، ومغالٍ حولي وقوتي بحوله وقوته الذي لا يغالب، وإن كانت الثمرة قليلة الفائدة نذرة العائدة، ضررها هو الأكثر من طبعها، وإثمها أكثر من نفعها، انصرفت نفسي عنه بالكلية فجعلته من شواغلها الأمسية، كهذا العلم فإني نظرت في أوله ومباده حتى خيل لي أني لو وجهت إليه كليتي وشغلت به طويتي لأدركت بعضه، ففكرت في ثمره، فلم أجد له جدوى دنيا وأخرى. أما الأخرى، فظاهر بلا تأمل، سيما مع توافر نصوص الأئمة على ذمه، وأما في الدنيا، فغاية أمره، بعد تحقيقه وصدقه، الاطلاع على أمور مستقبلية في نفس المطلع أو غيره، أما ما كان في غيره فليس فيه إلا مجرد التمتع بسماع الأخبار وحكاية أحوال لغيره مستقبلها كالماضي في التلذذ بسماعه، وأما في نفسه فلا يخلو من كون ما يطلع عليه خيراً، وما أقله، أو شراً وهو الكثير، فإن كان خيراً وهو النادر، فهو إن قدر واصل إليه على كل حال علمه، أو لم يعلمه ويفوته بالعلم به قبل وقوعه الفرح به عند وقوعه واستشعار نعمة الله عليه المؤذن بشكر تلك النعمة المؤذن بدوامها، وفوات ذلك داع إلى زوال النعمة وعدم البركة فيها، وهو ضرر عظيم، وإن كان شراً، وهو الكثير فإن قدر فلا يغني عنه علمه به قبل وقوعه، بل يستعجل بذلك همّاً حاضراً لا يغني ولا يجدي، وهو لا يتمالك عن الاحتيال في دفعه، وهو لا يندفع، فما أعظم عناءه وأفظع مصيبته، وإن كان ممن يقدر فأعظم حسره وأعظم

مع ما في ذلك من التجسس والتطلع على الغيب، وصاحبه في الغالب سيئ العاقبة تسرع إليه المصائب أكثر من غيره، والله يرزقنا حسن التفويض والتسليم لتدبيره واختياره آمين.

وقد أخبرني صاحب الترجمة أنه، مع تحققه بهذا العلم، ما استعمله قط في استطلاع أمر من أمور نفسه ولا في استعلام حال من أحواله المستقبلية الخاصة به للنكتة التي قدمنا، وهو أمر حسن. وأخبرني أيضاً أنه ما علمه أحد إلا بعد أخذ الميثاق عليه أنه لا يسكن في القطر الذي هو فيه خشية إظهاره فيتضرر من قبل الولاية بالانتساب إليه مع ما في ذلك أيضاً من حب النفس للتفرد بالأمور التي هي كمال، أو تظن أنها كمال. وأخبرني أيضاً عن رجل ممن تعلم منه ذلك أنه ما دخل بلداً من البلاد إلا استطلع علم أحواله فيها فيجدها على خلاف ما يريد، فيفر منها، ولم يزل شريداً في البلد طريداً بلا جريمة إلى أن وصل بلاد الواحات⁽¹⁾ من أطراف السودان مما يلي صعيد مصر، فتولى فيها ولاية، فكانت عاقبة أمره أن قتل شر قتلة، وسلب نعمته، وفي مثل هذا العلم ينبغي أن ينشد:

[وافر]

إذا ألقاك علمك⁽²⁾ في مهاو فليتك ثم ليتك ما علمتا

البيت لأبي إسحاق الإلبيري⁽³⁾ في تائيته المشهورة.

فإن قيل: قد لوحث ثم صرحت بدم هذا العلم مع أن كبار الأئمة، كالشيخ محي الدين والشيخ شهاب الدين البوني وغيرهما من كبراء العارفين، قد بالغوا في مدحه، وقالوا: إنه من الأسرار التي اختص بها الأنبياء عليهم السلام وورثهم من العارفين الكمل، ونسبوه إلى جعفر الصادق، وأنه ورثه من آبائه إلى الإمام علي بن أبي طالب، وأن لهم فيه تأليفاً، وأن الإمام كتبه على مسك جمل وبدمعي الجفن، حتى بالغ الشيخ محي الدين فيه إلى أن قال: إن لآدم عليه السلام فيه ثم ولده شئت ولجملة من الأنبياء من أولادهم حسبما يذكر بعد هذا في كلام الشيخ محي الدين، وقد ذكر السيد الجرجاني في شرح المواقف في مقصد تعلق العلم بمعلومين عند

(1) الواحات: قال صاحب معجم البلدان: واح واحداه واح على غير قياس لا أعرف معناها وما أظنها إلا قبضية وهي ثلاث كور في غربي مصر ثم غربي الصعيد: معجم البلدان: واحات.

(2) في الديوان: فهمك.

(3) ديوان أبي إسحاق الإلبيري، ص: 27.

ذكر الجفر والجماعة أنهما كتابان للإمام علي بن أبي طالب يستخرج منهما أحوال
الحوادث إلى آخر الدهر برموز وحروف مقطعة.

فأقول: لسنا، والحمد لله ممن يرتاب في كلام العارفين، ولا يتوقف في
صدقه، وهب أنه كما ذكروا، فهو من العلوم التي يجب كتمانها ولا ينبغي التصدي
لمعرفتها بطريق من الطرق المكتسبة بالأدلة الرسمية لأنها من علوم الكشف، وهي
خاصة لخاص كسائر علومهم رضي الله عنهم الخاصة بهم من حيث كونها كذلك
هي مضرّة بعامة الخلق ممن لم يبلغ مبلغهم وتعاطيها من غير طريقها الوهبي، وقبل
بلوغ رتبة أهلها نقص في حق المتعاطي وذم له لتعاطيه ما ليس هو من أهله،
وهلاكه فيه أقرب من نجاته، وأما العارفون فقد تولى الحق تصديقهم وتأيدهم فيما
ألمحوا الدخول فيه من العلوم والأحوال، فلا تجري أحوالهم فيه إلا على استقامة،
ولا يتصرفون إلا على هوى نفس، وغاية هذا العلم، وهو استطلاع الأمور
المستقبلية، يحصل لكثير منهم في أوائل⁽¹⁾ المقامات بكشف إلهي وبصيرة نورانية من
غير استناد إلى طالع وغارب، ولا عد ولا حساب، ولا لقط ولا إسقاط، بل بطالع
التوب وغارب الخوب، وعد الأنفاس وحساب الأنفس، ولقط المتوبات من
واجبات ومدوبات بإسقاط المحرمات ثم بإسقاط المكروهات ثم بإسقاط خلاف
الأولى، ثم بإسقاط المباحات، ثم بإسقاط الغفلات عن الله وبه تتم الأدوار وتتجلى
الأنوار، وتتكشف الأستار عن غيوب الأسرار، فيتيهون في حضرة الأحدية التي
ليس فيها ماض ولا مستقبل، ولا يعتنى فيها بغيرها ولا يهتبل، فرمما يتجلى
لأحدهم في هذه الحضرة أحوال العالم بأسره خيره وشره، حلوه ومره، ومع ذلك
فلا يلتفتون إليه ولا يبالون ما له⁽²⁾، وربما كان في ذلك نفع لهم في أنفسهم، أو
لأحد مريدتهم كما هو مشروح في كتبهم، فإن العارف مثلاً إذا اطلع من أحوال
نفسه على أمر مستقبل هو خير فإنه يتحقق وقوعه، ويكون من الآن فرحاً بنعمة
الله عليه به قائماً بشكر الله عليه، معمرًا وقته بالشكر عليه من الآن إلى زمن
وقوعه، راثياً أن ذلك من الله لا من كسبه، وإن كان معلقاً وناشئاً عنه في الظاهر
لعلمه به قبل حصول كسبه، فيترتب عليه زيادة الشكر لوجود الشكر قبل وجود
الفعل بأزمان، وشهود المنّة والتبري من الحول والقوة بخلاف غير العارف إذا اطلع

(1) في ط: أول.

(2) في ط: باله.

على مستقبل من الخير فلا تحصل له هذه الثمرة، بل ربما حصلت أضرارها، وهو الغالب، سيما إن كان ذلك مما ينسب عن كسبه فلا يتمالك أن يبادر إلى ذلك جاداً فيه ظاناً أنه إنما حصل منه ولا يهتدي للشكر عليه قبل وقوعه، ولا يأتي زمان وقوعه حتى تكون لذته وحلاوته قد ذهبت من قبله وخلقت جدته، فلا يرى لنعمة الله عليه عند حصولها كبير موقع في قلبه، فيسلب بركتها ويحرم شكرها إلى غير ذلك من المضار التي تشاهدها بصيرة العارف فيحتملها، ويعشو عنها بصر العامي فيحتملها. وإن كان الأمر المطلع عليه شراً فإن العارف يجتهد في الدعاء إلى الله واللجأ إليه أن يشبهه عند وروده، ويؤيده بالعصمة فيه من السخط لقدره، ويوطن نفسه على لقائه بالصبر الحسن والرضا الجميل، فلا يأتي وقته إلا وقد وطن نفسه بالاستعداد له واستجار منه باللجأ إلى الله فلا يضره مع ما يحصل له من ثواب الصبر والرضا به من قبل وقوعه نظير ما تقدم في الشكر، والعامي غافل عن هذا كله، بل ربما يقع منه ضد ذلك وهو الغالب كما لا يخفى، فيستعجل السخط والتألم والتبرم به قبل وقوعه، فيكون ذلك زيادة في عقوبته، والله يلهمنا رشدنا آمين.

وهذا نص ما كتبه لي صاحب الترجمة حسبما تقدمت إشارة إليه: باسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. وبعد، فقاعدة تعمير جدول التركيب: ارسم جدولاً طوله أربعة وعرضه أحد عشر بيتاً، ثم اعرف حرف الطالع بأن تأخذ الطالع وقت سؤالك بيلدك واعرف حرفه، ثم عمر أوائل بيوته مبتدئاً بحرف الطالع تجعله في أولها، وثانيه في ثانيها، وهلم إلى آخر البيوت وإلى الحرف الذي قبل ما ابتدأت به، ثم ارسم ثانياً حروف القطب يجعلك أوله في البيت الأول بعد حرف الطالع، وثانيه بعد حرف الطالع في البيت الثاني وهلم إلى آخر البيوت وآخر القطب، واثبت التنوين نونا، والمشدد حرفين، ثم ارسم ثالثاً حروف السؤال يجعلك أول حرف منه في البيت الأول ثالث الحرفين، وثانيه في البيت الثاني بعدهما، وهلم إلى آخر البيوت وآخر السؤال^(١). وبه يتم التعمير. ثم اعلم أن المستخرج منه أربعة أبيات بأربع طرق، الأول طريق التركيب الطردي، ووجهه أن تأخذ الحرف الثلاثين من حروف الجدول مبتدئاً من أوله وترسمه في جانب، ثم الثامن والعشرين منه وتضعه

(١) ساقط من ط.

بعده، ثم الثاني عشر منه وترسمه بعدها، ثم تاسعه كذلك، ثم سابعه كذلك، وبه يتم الدور الأول، ثم سابعه كذلك بعد فصل، ثم تاسعه كذلك بلا فصل، ثم ثاني عشره كذلك، ثم ثامن عشره كذلك، ثم ثلاثيه كذلك، وبه يتم الدور الثاني من الأول، ثم رابعه بعد الحرف العاشر فيكون الملفوظ معك إحدى عشرة^(١) حرفاً، وبه تتم حروف الدور الأول، ثم خذ سابع ما انتهيت إليه فهو مفتاح الدور الثاني، ثم تاسعه ثم ثاني عشره، ثم ثامن عشره ثم ثلاثيه، وبه يتم الأول من الثاني، ثم ثلاثيه، ثم ثامن عشره، ثم ثاني عشره، ثم تاسعه، ثم سابعه، وبه يتم الدور الثاني من الثاني، ثم رابعه، وبه تتم حروف الدور الثاني، وحروفه إحدى عشرة حرفاً، ثم استخراج الدور الثالث كالأول والرابع كالثاني، وبهما تتم الأدوار الأربعة وتسمى أصول التركيب الطردي، والعمل في استخراج أدوار التركيب العكسي كالعمل فيه، إلا أنك تبدأ من آخر حروف الجدول. وطريق استخراج أدوار نصف التركيب الطردي كهذا أيضاً إلا أنك تبدأ من أول الجدول الثالث بالعد، فإذا انتهيت إلى آخر الرابع بدأت من أول الأول إلى أول الثالث وهلم جرا. واستخراج أدوار نصف التركيب العكسي كذلك، غير أنك تبدأ بالعد من آخر حروف الجدول الثاني إلى أوله، ثم من آخر الأول إلى أوله، ثم من آخر الرابع إلى أوله، ثم من آخر الثالث إلى أوله، ثم من آخر الثاني وهلم جرا، وبه تتم أصول حروف تركيب الأدوار الأربعة، وفي كل أصل أربعة أدوار. ثم اعلم أن العد بالثلثين يسمى إسقاط الدرج، وبثمانية وعشرين يسمى إسقاط المنازل، وبأثني عشر يسمى إسقاط البروج، وبتسعة يسمى إسقاط الأفلاك، وبسبعة يسمى إسقاط الكواكب، وبأربعة يسمى إسقاط الطبائع، ولهذا لا يستعمل في كل دور إلا مرة واحدة وغيره مرتين لأن المقصود منه تعديل الأدوار بالطبائع، والمقصود من غيره قوام الماهية، فلذا كرر غيره على نسبة المساواة بلا تفصيل، وسيأتي الكلام، إن شاء الله تعالى، على بقية تركيب حروف الأدوار، وإن بقاعدة الكتاب الجفري، والله الموفق للصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

مثال ذلك عبد الله العياشي يسأل أيحصل له وصول إلى المسجد الأقصى، وليحاول حتى تكون حروف السؤال أربعاً وأربعين هكذا: وكان الطالع وقت السؤال بالمدينة المشرفة العقرب، وهذا صورة الجدول:

(١) كذا في خ و ط.

حروف الطالع حروف القطب حروف السؤال الجملة ثلثها نصفها
رابعها

ع س ع	ق و ب	ر ا د	ب ل ا	ق ز ل	و ع ل	س ط ه	ج ي ا	د م ل	ي ا ع	د ل ي
ل خ ا	و ل ش	ح و ي	و خ ي	ت ز	ح ت ا	م ف ل	ل ص ا	ث ز ي	وا ح	ر د ص
خ ز ل	و غ ل	ر ز ه	ا ا و	س ي	ر ب و	ط ش ل	ا ي ا	ر ز ل	ا ض ي	س ب ا
د ط ل	س ه م	ز ا س	ب ل	ل ج د	ت د ا	م م ل	ي ث ا	ر ث ق	ا ل ص	ز ا ي

أصل تركيب الأول أربعة أدوار تسمى التركيب الطردى، والعمل فيه ما
تقدم: الدور الأول، الدور الثاني، الدور الثالث، الدور الرابع.

ع ا ز ا ر ا ل ي ا س د ل ح س ز ث ر ت ا ش ت ث ر ج ي ا ل
س ب و ح ع ق ن س د ن د ث ط ح و ر ذ ر ن ع.

أصول تركيب البيت الثاني أربعة أدوار يسمى التركيب العكسي، أصول
تركيب البيت الثالث أربعة أدوار، ويسمى نصف التركيب الطردى. أصول
تركيب البيت الرابع أربعة أدوار ويسمى نصف التركيب العكسي. وهذا آخر ما
كتب لي وكتبت بين يديه وشافهني به، وهو كما ترى ناقص غير تام الفائدة، وإنما
كتبته رجاء أن يطلع راغب في هذا العلم على ما يتم به العمل في محل آخر فإن
المؤلفين فيه ربما ذكر أحدهم ما حذفه الآخر كما رأيت ذلك في عدة من
رسائلهم، فقد يترك أحدهم شيئاً مما يتوقف عليه العمل قصد الإخفاء ثم يذكره
آخر ويحذف غيره، فربما استنبط الحاذق اللبيب مما ذكره كل واحد ما تتم به
الفائدة.

ولنذكر أول ما رأيته مقيداً في كتاب أول الجفر الجامع والنور اللامع مما
زعم كاتبه أنه يعرف به كيفية الاستخراج منه، وهو ناقص أيضاً كما ستراه،
ونصه: قال صاحب المفاتيح الغيبية والمصاييح الوهية في وضع الجفر الجامع:
وقاعدة الاستخراج منه والشروط اللازمة فيه ما نصه: الباب الثاني في معرفة قاعدة
الاستخراج بجميع الأحوال المجهولة من صفيحة واحدة أو صفيحتين باستخراج
الحروف الملفوظية والمكتوبة والمسرودية من الصفحة، وثبت كل نوع على حدته

حروفا متفرقة، فبيان معرفة الملفوظية، وهو كل حرف يكون ناطقا بثلاثة أحرف، وهي: ألف جيم دال سين شين صاد ضاد عين غين قاف كاف لام. والمكتوبية، وهي كل حرف يكون أوله كآخره، وهي: ميم نون واو. والمسرودية كل حرف آخره ألف، وهي اثنا عشر حرفا وهي: با تا ثا حا خا را زا طا ظا فا ها يا. القاعدة أنك إذا استخرجت كل قسم من الحروف الملفوظية المكتوبية والمعدودية فأثبت كل واحد منهما على حدثه، فإذا أردت تركيبها تعد كل قسم ع ع، تأخذ الرابع إلى أن ينتهي الأقسام الثلاثة، فإذا بقي قسم واحد من هذه الأقسام فليس له اعتبار، والقاعدة أنك تأخذ أولاً من الملفوظية ثم من المكتوبية ثم من المسرودية وتجعلها بالتركيب وتثبتها وتعربها وتقرأ ما بعد الإعراب، ويقال لهذه القاعدة مكتوبية، ومعرفة قاعدة الإعراب على طريق جعفر رضي الله عنه فسبعة أحرف من الهجائية مفتوحة أ و ي ل ع ز ع، وسبعة مكسورة وهي: ه ر س ث ذ ص ط، وسبعة مضمومة ج ز ك س ب ت ح، وسبعة مجزومة ب خ ذ ظ غ ض ق. واعلم أن من ابتداء الصفحة إلى موضع الاسم ماض، ومن موضع الاسم حال، والبقية إلى آخر الصفحة مستقبل. الخاتمة في بيان الكشف الساطع في حل الجفر الجامع: متى أردت استخراج سؤال ما فانظر إلى شهرك العربي كم مضى منه من يوم، فنخذ حرفه فإن كنت في الأول فنخذ حرف الألف، والثاني فنخذ حرف الباء، والثالث فنخذ حرف الجيم، وهكذا إلى العاشر فنخذ حرف الياء، وفي اليوم الحادي عشر فنخذ حرف الكاف، أو في الثاني عشر فنخذ حرف اللام، وهكذا إلى آخر حروف أبجد، وإذا أتممت من الشهر ثمانية وعشرين يوما، وهي عدد حروف أبجد، فعد في التاسع والعشرين إلى الأول من حرف أبجد، وهو الألف، وفي الثلاثين إلى الباء إذا علمت ذلك فيكون هذا الوضع الأول، ثم انظر إلى حرف المترلة وهو أن تعلم القمر في أي مترلة من منازل الثمانية والعشرين الآتي بيانها، فتأخذ حرف تلك المترلة، وهذه أسماء المنازل وما لها من الحروف على الترتيب: شرطين بطين ثريا دبران هقعة هنعة دراع بثرة طرفة جبهة خرثان طرفا عوا سمك غفر زبانا إكليل قلب شولة نعيم بلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية مقدم مؤخر رشا. ثم تأخذ حروف إحدى الكواكب السبعة السيارة وهي: زحل حروفه الجدي والدلو. ومشتري حروفه معجمة قوس حوت، مريخ حروفه مفردة، حمل عقرب شمس حروفه مفردة، أسد زهرة حروفه معجمة، ثور ميزان عطارد حروفه معجمة، سنبله جوزا قمر سرطان حروفه مفردة. إذا

علمت ذلك فميز المشترك من غير المشترك، والمشارك هو الذي فيه التداخل بحسب الأثلاث وهي: د خ ص ط ر ن ز ج وما بقي من الحروف هو غير المشترك، ثم تأخذ حرف اسم السابق فإن كان السؤال في العشر الأول تأخذ الحرف الأول، وإن كان في الثاني فتأخذ الثاني، أو في العشر الثالث فتأخذ الحرف الثالث، هذا إذا كان الاسم ثلاثياً، فإن كان رباعياً فالرابع منه حكم الأول، وإن كان خماسياً فالخامس منه حكم الثاني، وإن كان سداسياً فالسادس منه حكم الثالث، مثال الثلاثي عمر والرباعي أحمد، والخماسي عثمان، والسداسي سليمان وأبو بكر، وقس على ذلك فقد كشفنا لك سرّاً عظيماً، وقد تم لك أربعة حروف فتعمد بها البيت الأول من الصفحة، وهي الأصول، وتعمر باقي الصفحة من البيت الأول إلى الغاية، وقد بلغت النهاية، وبهذا يكون الختام، والحمد لله على الإتمام، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

لطيفة:

أخبرني خليلي حسن العجمي المكي^(١) وكتب لي بخطه مما وجد بخط صاحبه محمد الشجادي^(٢) المتوفي بمكة وذكر عنه أن له يداً طولى في هذا الفن ما نصه: زايحة السبي، تكتب الطالع والغارب والمتوسط والوتد والسؤال وكوكب الساعة، وتمزج بالقطب حرفاً بحرف، ثم تحذف المكرر ويدخل في الجدول، ثم تنظر إلى كوكب الساعة الثالثة وتطرح عوده أدواراً اثنا عشرية، وما فضل يدخل في اللفظ، مثال ذلك: جاء رجل يسأل عن ضائع منه، وكان اسمه عبد الرحمن، والطالع الأسد، والمتوسط القوس، والغارب الدلو، ووتد الأرض الثور، وكوكب الساعة المشتري، فكتبناها هكذا: ع ب د ا ل ر ي س ا ل ع ر س ا ر ق ا س د ق و س د ل و ث و ر ث و ر م ش ت ر ي. ثم أخذنا منها حرفاً وهي العين، وكتبنا بعده حرفاً من أول حروف القطب، وهو سؤال عظيم الخلق، ثم حذف المكرر وأنزل الباقي في الجدول، ثم نظرنا إلى الساعة الثالثة فكانت الشمس عددها 455 الفاضل 4 بعد إسقاطها 3 أدخلنا بها في اللفظة فطلع هذا البيت:

(١) الحسن بن علي العجمي المكي الحنفي، فقيه صوفي له اشتغال بأسرار الحروف وخواص الأذكار، توفي بالطائف عام 1113 هـ: النقاط الدرر، ص: 284. فهرس الفهارس 810:2.

(٢) في ط: الشجالي.

[طويل]

وسارقة المنديل تُدعى بزيب ودلائها في السوق يُسمى أبا الغلا

فذهب السائل إلى السوق فوجد ذلك صحيحا.

وما ذكرناه كله قاعدة لسائر السؤالات. واعلم أنه إذا فضل شيء⁽¹⁾ من الحروف في المزج تفرق وحدها، فإذا أنقضت⁽²⁾ ولم يستقم معك الكلام، فتحذف الذي فضل واقعد به اللفظ، وإذا شئت أن يكون الجواب بيوتا كثيرة كرر الدور باللقط ه. وهذا أيضا غير تام إذ لم يذكر كيفية الجدول ولا كيفية الوضع فيه، ولا كيفية اللقط هل على التوالي أو غيره، وكل ذلك فهم يتوقف عليه العمل.

ومن كتاب الجفر الجامع والنور اللامع للشيخ محي الدين، ورأيت بالمدينة عند صاحبنا السيد محمد بن رسول⁽³⁾، وفيه غرائب من هذا الفن ما نصه: فصل في سر الاستنطاق، وأول بيت في الجفر عدده 4 ينطقه، وعلى سر العدد من غير التكسير ينطق ا ي ق ع فإذا أضيف إليها د ا ي ق ع عاد العدد 11141 انطق بثلاثة أسماء أحدها مركب (خير الوارثين) أبدي هادي فظهرت الأربعة الألفات لمن فهم مع أنهم قالوا: إن الأربعة المثلية لا تنطق بشيء، وذلك لقصر أفهامهم، وحاشا لإمام العلوم أن صنع⁽⁴⁾ ما لا معنى له. ومثال الباب: ب ب ب عدد 8 نطق ح، وعلى سر العدد من غير التكسير غ ع ب ك ر، وإذا أضيف إليها عاد العدد 223 نطق لا إله إلا الله مجيب غالب، باعث ثواب، وقس على ذلك تصب. واعلم أن سر الله في العلوم اللطيفة والكثيفة والعلوية والسفلية والملكية والملكوتية تقع على نسبتين أعداد وحروف، فأسرار الحروف في الأعداد وأنواع الأعداد في الحروف، فالأعداد العلوية الروحانية الملكوتيات سر الأقوال والحروف سر الأفعال، فعالم العرش أعداد، وعالم الكرسي حروف، فنسبة الحروف للأعداد كنسبة الكرسي للعرش، فآخر مرتبة الحروف أول مرتبة الأعداد، وآخر مرتبة

(1) في ط: كان أفضل شيء

(2) في ط: أنطقت.

(3) تقدمت ترجمته.

(4) ساقط من ط.

الأعداد أول مرتبة الحروف، فسر العدد فهم سر العقل الرباني، وسر الحروف⁽¹⁾ فهم سر الروح الروحاني، ومن أشرف العلوم علم الحساب بعد السنة والكتاب.

اعلم أن الحروف على ثلاثة أنواع؛ فكرية ولفظية وخطية، فالفكرية صورة روحانية في أفكار النفوس مصورة في جواهرها، واللفظية أصوات محمولة في الهوى مدركة بالقوة السامعية، والخطية نقوش خطت بالأقلام في الألواح، واعلم بأن الخط هيئة روحانية وإن ظهر بآلة جسمانية، والحروف أصل في الروح وإن ظهرت بآلة حواس الجسم، والخط مأخوذ من دائرة هي أصل الحروف كلها، فإذا ناسبت الحروف تلك الدائرة صح الخط أصاب المقصود، وأوله الألف وهو قطب الدائرة، وما بعد ذلك من تباين الحروف من المطات والتعريقات والمرادات، وكل ما ظهر من الأجسام المدورة والمربعة من التدوير والتريير فمن نسبة الدائرة، وهو مأخوذ عن أبي ذر. قلت يا رسول الله، وأي كتاب أنزله الله على آدم؟ قال: كتاب المعجم. قلت: أي كتاب المعجم؟ قال صلى الله عليه وسلم: ا ب ت ث إلى آخرها، وقد تكلم آدم عليه السلام بسبعمائة أفضلها العربية، ثم علم الحرف من بعده ابنه شيت وارث عهده، وهو الذي بنى الكعبة بالطين والحجر، وله سفر جليل في علم الحروف اجتمعت به وقرأت عليه، وعنه أخذت هذا المثلث العظيم الشأن⁽²⁾:

١٢٨	٤٩	٤٢٤
٤٩٤	٧٣١	٥
٤٢٤	٣٩٢	٤٢٤

ورأيت بحكمة وحل لي ما أودعه في سفره 626، وهذا المثلث وهو رابع كتاب في الدنيا في علم الحروف، ثم توارث بنوه علم الحرف إلى إدريس، عليه السلام، يقال إنه أول من كتب بالقلم، صنف كتاب كثر الأسرار وذخائر الأبرار، وقد شرحه تنكلوشا البابلي، وكذا ثابت بن قرة الحراني، ولما أطلعني الله على العوالم الماضية سألت عن شرحيهما فقال إنهما لم يعلما إلا الظاهر، وأنه إلى الآن مقفل فحله لي، فرأيت فيها أسراراً غريبة لا يهتدي إليها إلا فحول الأفراد من الأفراد، وهو خامس كتاب في علم الحرف، وعلمه جبريل علم الرمل، وبه ظهرت نبوته،

(1) في ط: الحرف.

(2) في ط: وهو عظيم الشأن.

وورث علم الحرف بعده الهرامسة، وهم أربعون رجلاً، وكان أمهرهم أفليوس الذي هو أبو الحكماء والأطباء، وهو أول من أظهر الطب، ثم إلى هود عليه السلام، وهو أول من تكلم في علم الوفق، وقيل إنه وضع مربع مائة في مائة في أساس مكة، وله سفر في علم الحرف، وهو سابع كتاب قرأته عليه وسألته مسألة عرفني بها ح 42 ثم إلى موسى عليه السلام، وعلمه الله علم الكيمياء، وقد صنع الوفق المسلس على صفيحة من ذهب واستخرج بها تابوت يوسف من نيل مصر، وبذلك أمره الله، ثم يوشع ثم داود ثم سليمان، ثم عيسى ثم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم الإمام ورثه من النبي، وهو آخر الخلفاء كما أنه آخر الأنبياء، وما رأيت فيمن اجتمعت بهم أعلم منه، وهو أول من وضع مربع مائة في مائة في الإسلام، وقد صنف الجفر الجامع في أسرار الحروف، وفيه ما جرى للأولين ويجري للآخرين، وفيه اسم الله الأعظم وتاج آدم وخاتم سليمان وحجاب آصف، وما زال أهل التحقيق من السابقين، كالحسن البصري وسفيان الثوري، يغتربون من بحر أسرارهم، وكانت الأئمة الراستخون من أولاده يعرفون أسرار هذا الكتاب، وهو ألف وسبع مائة مصور المعروف بالجفر الجامع والنور اللامع، وهو عبارة عن لوح القضاء والقدر قال: وأكثر تلاوة اسم العليم ليظهرك على سر هذه العلوم الربانية والأسرار النورانية، ومن أراد التصريف بما ذكرنا في هذا الكتاب المكنون والسر المخزون، فلا يطالع فيه حتى يتوضأ ويصلي ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسي ثلاث مرات، وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب وآية النور: (الله نور السماوات والأرض)⁽¹⁾ إلى (عليم) ثلاث مرات، وآية الزمر، (وأشرق الأرض بنور ربها)⁽²⁾ إلى قوله (لا يظلمون)، وآية (لقد كنت في غفلة من هذا)⁽³⁾ إلى (حديد) ثلاث مرات، فإذا فرغ من الصلاة صلى على النبي، صلى الله عليه وسلم، و 7 مرة أيضاً، يقول باسم الله الرحمن الرحيم، و 7 مرة أيضاً، ثم سورة (ألم نشرح) ثلاث مرات، ثم يقول: اللهم يا من بيده مفاتيح أسرار الغيوب ومصاييح أنوار القلوب، أسألك أن تكشف لي عن كل اسم مكتوم وسر مختوم، يا من وسع علمه الظاهر كل معلوم، وأحاطت خبرته بباطن كل مفهوم، يا حي يا

(1) النور: 35.

(2) الزمر: 69، ونص الآية القرآنية الكريمة: (وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون).

(3) ق: 22، ونص الآية القرآنية الكريمة: (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد).

قيام، أسألك أن تصلي على سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، شمس معارف
أنوارك، ومظهر لطائف أسرارك، وعلى آله الأتقياء وأصحابه الأصفياء، وأن
تشهدني غيب كل شيء، يا من بيده ملكوت كل شيء، ولا تشك ولا تردد،
واخلص في عملك يظهر لك سر الله تعالى، ولا تعين ظالما، ولا توصله إلى حاكم،
ولقد سجت وما بحت، وإياك أن تذكر سر الله لأحد قبل أن يؤذن لك فيسلبك
من أعطاك، وتغش نفسك، وتقو أبناء جنسك، وقد قال شاه الكرمانى: من نطق
عن درجة ولم يرزقها كان حقا على الله أن يحرمه تلك الدرجة فلا يناها هــ.
كلامه.

ومما أنشده الشيخ محي الدين في هذا الكتاب إثر كلام يتعلق بخلوة كل
حرف، وأنه لا يتم الفهم والتصديق بأسماء الحروف إلا بعد استعمال خلوة لكل
حرف يريد التصديق به، وأطال في ذلك ثم أنشد لنفسه:

[مخلع البسيط]

أسرارٌ دورٍ من الحُرُوفِ	جاءتْ بلُطفٍ من اللطيفِ
فاستعن بالكشف ^(١) عن عيان	أظهرَ ما كن في الظُرُوفِ
من كل دُورٍ حوى مَعانٍ	أدناه ما عُد بالألُوفِ
أخبرَ عمن قضى ويأتى	من كامل العقلِ والسُخيفِ
من عامٍ في بحرِه بفهم	يسيرُ سَيرا بلا وقُوفِ
يظهر بدرا بشمس كشف ^(٢)	جَلَّ عن الخُسفِ والكُسُوفِ
منحتُ بدرا أغز علم	أودعهُ الله في الحُرُوفِ

ويعني بيدر خادمه الملازم له المسمى بدر الحبشي، وله ألف كثيرا من تأليفه.

والذي تحصل لي بعد مطالعة كثير من كلام أهل هذا الفن أن هذا العلم لا
تكفي في تحصيله وتحقيقه الأوضاع الرسمية والقوانين التعليمية، ولا بد من ذوق
صحيح وكشف صريح، وبصيرة منورة، وسريرة مطهرة، كما أشار إلى ذلك

(١) في ط: كشف.

(٢) في ط: بشمس كشف.

الشيخ محي الدين في كلام له، وما سمعنا أن أحداً أدرك حقيقته إلا من اتصف بالصفات المتقدمة، ولو كان من العلوم الرسمية لما استعصى على كثير من الناس الذين لهم عقول ذكية وأفهام سنية، ويدل على ذلك أيضا اختلاف آراء المكلفين فيه، فكل انتحل صفة ووجهها غير وجه صاحبه، فقد طالعت عدة رسائل وأمعت فيها النظر فوجدتها على ما ذكرت لك، منها رسالة الشيخ محمد بن أبي الفتح الصوفي^(١)، ومنها رسالة الشيخ عمر الدنديلي، ومنها كتاب الشيخ محي الدين المتقدم، وهو حافل، ومنها رسالة ابن خلدون سوى ما ذكر في المقدمة، ومنها كلام للبوني في شمس المعارف الكبرى، ومنها رسالة لصاحب الترجمة كتبها للسيد أحمد وزير الشاه ملك الهند لما قدم حاجا سنة ثلاث وسبعين، إلى غير ذلك من التقايد.

ولنرجع إلى تمام الكلام على حال صاحب الترجمة فأقول: كتبت إليه قبل لقائي له بأبيات استعير منه كتباً احتجت إليها في الوقت، فأعازني ما طلبت منه، وكانت عنده خزانة كتب كثيرة، وهذه الأبيات المذكورة:

[وافر]

شهاب الدين مولانا ابن تاجه	فنعمة التاج أنجب في نتاجه
فكم من مُعضل قد حار فيه	أساة الكلم زال لدى علاجه
وكم من فهمه هابت سلوكا	به العلماء خيم في بجاجه
وكم علم وحلم في حياء	ولين القول ركب في مزاجه
له ذهن توقد من ذكاء	فكل العلم يُقبس من سراجه
غدا فردا فسدّ مسدّ جمع	لمن قد أمّة في نيل حاجه
عليك به إذا ما رمت علما	ودع عنك المعاند في لجاجه

(١) محمد بن أبي الفتح، شمس الدين، الصوفي، فلكي متصوف، شافعي مصري، له كتب منها الجواهر النيرات في العمل برفع المقنطرات، والرسالة الشمسية في الأعمال الجيئية، توفي نحو سنة 853 هـ: الأعلام 326:6.

فنورُ علومه^(١) في ليلٍ جهل
 يضيءُ لمن توغل في دلاجه^(٢)
 قد احتجنا لكُتب منكَ تأتي
 ومثلك أنتَ يُؤثرُ في احتياجه
 وعذرا في التخلفِ عن إلقاءكم
 وذلك للحشا أقصى ابتهاجه
 فللمقدور وقتٌ قبله لا
 يطيقُ المرء ذاك مع انزعاجه
 ويكفي الضعفُ مُذا^(٣) قدمتُ عُذرا
 وحالٌ لا يحولُ عن ارتجاجه
 أيا من قد تفرّد في عُلاه
 بخلق كالصباح لدى ابتلاجه
 عليك تحية مني فقابلْ
 ثنائي بالقبول على اعوجاجه

وله شرح حسن على منية الحساب للشيخ ابن غازي^(٤) أطلعني عليه، وهو
 حافل، وله مشاركة في فنون كثيرة.

لطيفة:

أخبرني أنه رأى في صغره رؤيا وهي أنه أدخل بستانا وقيل له: هذا بستان
 العلوم، فرأى فيه أشجاراً كثيرة كل شجرة تنسب إلى علم من العلوم، قال: فأول
 شجرة لقيتني وأنا داخل من باب البستان شجرة علم النحو، فإذا ساقها الكلام
 كأنه مكتوب مستطيلاً مرفوعاً في الهواء، وتفرعت من ذلك الساق أغصان ثلاثة
 أحدها اسم، وثانيها فعل، وثالثها حرف كأنها مكتوبة أيضاً على هيئة الساق
 المتقدم، ثم تفرع ساق الاسم إلى فروع كثيرة من معرب ومبني، ومعرفة ونكرة،
 ومشتق وجامد إلى غير ذلك، وكل فرع ينقسم إلى فروع آخر وهلم جرا. ثم
 الفعل كذلك ثم الحرف إلى أن أكمل فن النحو كله، وكذا أشجار سائر العلوم.
 قال: وبقيت صورة ذلك منقوشة في خاطري كأني أشاهدها الآن، ولما استيقظت

(١) في ط: علمه.

(٢) في ط: إدلاجه.

(٣) في خ و ط: منذ، والصواب ما أثبتناه.

(٤) ابن غازي: محمد بن أحمد بن محمد المكناسي، مشارك مصنف، توفي سنة 919هـ، من مؤلفاته: منية
 الحساب، وتقع في 400 بيت، توجد منها عدة نسخ بالخرانة العامة بالرباط: الموسوعة المغربية للأعلام
 البشرية والحضارية 73:2.

قصص الرؤيا على والدي واستبشر بها. قال لي: ولم أزل من ذلك الوقت يختلج في خاطري تصنيف كتاب جامع للعلوم التي رأيت في الرؤيا وأسميه بالاسم الذي ذكر لي في الرؤيا وأرتبه على ترتيب ما رأيت، وكان والده من علماء المدينة، أخذ عن جماعة من علماء الحجاز وغيره، ومن أخذ عنه العالم العامل الولي الصالح سيدي أبو الغيث القشاش التونسي⁽¹⁾ رضي الله عنه، وسبب اجتماعه به أنه توجه من المدينة إلى مصر، ومنها إلى بلاد الروم لغرض له في لقاء سلطانها في ذلك الوقت، فركب البحر من الإسكندرية فحكم القدر بأسره في أيدي العدو، واستقر في أسره بمالطة دمر الله أهلها، فلما بلغ خبره إلى أهل المدينة، وكانت له فيهم مكانة، كاتبوا سيدي أبا الغيث في فدائه وأعلموه بحاله ومكانه، وأنه رئيس المؤذنين بالحرم الشريف، فبذل رضي الله عنه جهده في فدائه إلى أن فدي بخمس عشرة مائة ريال، فركب البحر من مالطة إلى تونس لزيارة الشيخ الذي سعى في فدائه، فلما قدم عليه فرح بقدومه واستبشر وأجله غاية الإجلال، وأكرمه إكرام مثله لمثله، وحبسه عنده سنة غبطة فيه، فاستفاد في تلك السنة من الشيخ علومًا كثيرة من علوم الأسرار، وعنه أخذ ولده ما لديه منها. ثم رجع إلى المدينة مكرماً.

لطيفة:

أخبرنا صاحبنا أن والده لما كان في الأسر تكلم مع راهب من رهبانهم فقال له الراهب: إنكم معشر المسلمين تزعمون أن كتابكم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فقال له الشيخ تاج الدين: نعم نقول بذلك. فقال له: أين تجد في كتابكم اسمي؟ فقال له: ما اسمك؟ قال: كبك. فأخرج له الشيخ تاج الدين المصحف فأراه ما بعد الرء من قوله تعالى: (ما شاء رَبُّكَ)⁽²⁾، فتعجب الراهب من ذلك وصدق بأن في الكتاب كل شيء.

قلت: وهذه فراسة قوية وهداية سنية من الشيخ رضي الله عنه، ولا شك أن في الذكر كل شيء، ولكن لا يهتدي إلى ذلك إلا من خصه الله بالفهم الرباني

(1) أبو الغيث القشاش التونسي، فقيه رحالة محدث مفسر، توفي بتونس سنة 1031 هـ: شجرة النور

الزكية 1:424.

(2) الانفطار: 8.

والعلم الإلهي، وقد ذكر لي بعض الناس أنه رأى منصوصا وقوع هذه الحكاية
لغيره، والله أعلم.

لطيفة:

من نظير ما تقدم من اشتغال القرآن الكريم على أخبار كل شيء حتى علم
الحدثان والوقائع ما أخبرنا به صاحب الترجمة شهاب الدين أحمد بن التاج، أن
ملك بلاد الروم السلطان سليم أحد (أجداد)^(١) ملوك الوقت، وهو أول داخل
منهم لمصر وتملكها من يد السلطان الغوري سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، كان
سبب تملكه لها أنه لما تملك بلاد الشام حدثته نفسه بالتملك على بلاد العراق، إذ
هي أصل منشئهم ومساكن أسلافهم التركمان، فخرج من بلاد اصطنبول التي هي
قاعدة ملكهم، فلما وصل إلى الشام بعساكره تعذرت عليه العلوفة لغلاء حصل في
تلك الناحية، واحتاج إلى الميرة والتزود من مصر، فكتب بذلك إلى الغوري
ليستأذنه في الامتياز من بلده، وكان الشاه ملك عراق العجم في ذلك الوقت لما
سمع بتحريك السلطان سليم كاتب الغوري، وكانت بينهما صداقة، يطلب منه أن
يشغله عنه وأن يثبته ما استطاع، وصادف ذلك من الغوري غيرة من السلطان
سليم وأنفة من تملكه لبلاد الشام، خشي إن اتسع ملكه أن يستولي على مصر،
ومصر إذ ذاك هي أم البلاد الإسلامية، وملكها أعظم الملوك لانتقال الخلافة
العباسية من العراق بعد واقعة التتار إلى مصر، وعندما طلب السلطان سليم من
الغوري الميرة تعلل له بأن ذلك لا يمكن في هذا الوقت لغلاء الأسعار، واعتذر
بأعذار ضعيفة، فتفطن سليم لما قصد، وعلم أنه إنما أراد تعويقه عن المسير إلى
العراق، فحدثته نفسه بالركوب عليه وصرف العنان عن غزو العراق إلى غزو
مصر، فاستشار في ذلك من كان بحضرته من العلماء وذكر لهم عذره، وأن
الغوري منعه التزود من بلده، وهو محتاج إلى الزاد، فكلهم قال له: إن ذلك لا
يبيح لك قتاله لأنه ملك بلاده، لم يخلع لك يدا من طاعة، ولا باداك بحرب،
فكيف يحل الهجوم عليه في بلاده ومحاربتة بلا سبب، وكان من جملة العلماء

(١) زيادة من ط.

الحاضرين المحقق ابن كمال باشا^(١) وكان أصغرهم، فقال له: أيها الأمير إنه يباح لك غزوه، وفي كتاب الله أن تدخل مصر في هذه السنة، فقال له: وكيف ذلك؟ فقال: لا أفتي بين يدي هؤلاء الأئمة وهم مشايخ الإسلام حتى تؤجلهم سبعا لينظروا ويتدبروا فإن الله تعالى قال: (ما فرطنا في الكتاب من شيء)^(٢)، فكيف لا تكون هذه النازلة في كتاب الله تعالى الذي فيه تبيان كل شيء؟ فقال لهم سليم: إني أجلتكم سبعا عسى أن تجدوا أو يتبين لكم ما قال. فقالوا كلهم: أيها الأمير، ما كان جوابنا الآن هو جوابنا بعد سبعة. فقال ابن كمال: لا بد من التأجيل، وقصده، والله أعلم، إظهار مزيتة عند الملك، وأنه اهتدى لما عجزوا عنه بعد التدبر والتلوم، إذ لو أبدى ما عنده في المجلس فرما ادعى أن ذلك يمكن الاهتداء إليه بالتأمل والتدبر، فأجلهم الأمير سبعا، فلما انقضت جمعهم وسألهم فقالوا: جوابنا فيما مضى هو جوابنا الآن. فقال ابن كمال: أيها الأمير إنهم ليقرؤون في كتاب الله العظيم أنك تدخل أنت وجندك^(٣) هؤلاء مصر في هذه السنة إلا أنهم لا يهتدون لفهمه. فقالوا: أين هو؟ فقال: قوله تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)^(٤). فضحكوا منه وقالوا: أين هذا مما نحن فيه؟ فقال لهم: إن قوله تعالى: ولقد في قوة لفظ سليم بحساب الجمل، فإن كل واحد من اللفظين عدده مائة وأربعون، فتكون إشارة الكلام سليم كتبنا في الزبور من بعد عشرين وتسعمائة أن الأرض يرثها، لأن الذكر عدده بدون آلة التعريف ما تقدّم. قال: والأرض في الآية الكريمة على قول كثير من المفسرين هي مصر، والعباد الصالحون في هذا الوقت هم جنودك، إذ لا أصلح منهم من عساكر المسلمين في أقطار الأرض لإقامتهم سنة الجهاد وفتحهم أكثر البلاد النصرانية، وهم على مذهب أهل السنة والجماعة وغيرهم من عساكر البلاد، أما ممن فسدت عقائدهم كأهل العراق وأكثر اليمن والهند، وإما ممن ضعفت عزائمهم عن إقامة شعائر الإسلام كأهل المغرب، وإما ممن استولت عليهم الدنيا كمصر، وبالف في تقرير هذا المعنى، وسر السلطان سليم بقوله وسلم له الفقهاء حسن الاستنباط

(١) أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين، قاض من العلماء بالحديث ورجاله، له مصنفات عديدة منها: طبقات الفقهاء، توفي سنة 940 هـ: الكواكب المسائرة 2: 107. الفكر السامي 4: 215. الأعلام 1: 133.

(٢) الأنعام: 40.

(٣) في ط: لتدخل وجنودك.

(٤) الأنبياء: 104.

ولطف الإشارة إلا أنهم قالوا له: إن هذا لا يكفي في إباحة قتال من لم يخلع يداً من طاعة ولا حارب أحداً من المسلمين، وإن كانت الإشارة القرآنية تدل على أن هذا سيكون فلا بد من إظهار وجه تعتمده الفتوى الفقهية، فقال ابن كمال: أيها الأمير أما هذا فهو أيضاً متيسر وذلك بأن تبعث إلى السلطان الغوري وتقول له: إني لما قدمت إلى هذه الأوطان ولم يتيسر الغرض الذي قدمنا لأجله عزمنا على التوجه للحجاز لأداء فريضة الحج، وليس لنا طريق ولا تزود إلا من بلادكم، فأردنا أن تأذن لنا في المرور ببلادكم والتزود منها، فإنه لا محالة مانعك وصادك عن المرور ببلده، فإذا صدك عن حج البيت جاز لك قتاله وصار محارباً، فاستحسن الفقهاء رأيه في ذلك لأن الخيل في مذهبهم سائغة، وانتهاج طريقها عندهم شريعة شائغة، فكتب السلطان سليم إلى الغوري بذلك، فراجع الغوري بجواب سيي وصرح بمنعه وصدده، وأنه لا يشرب من نيل مصر جرعة ماء إلا إن مشى على ظهور الموتى إلى غير ذلك من التهديد، فتقوى عزم السلطان سليم على غزو مصر ونهياً لذلك، فكان ما كان من استيلائه عليه ومحو الدعوة الغورية من مصر، وإنجائه وقتله لأكثر العلماء والصلحاء والخليفة العباسي وكثير من أرباب المناصب، (وكان أمر الله قدراً مقدوراً)⁽¹⁾، فعظمت بذلك مكانة ابن كمال عنده، وخبره فيما شاء من الولاية، فاختر الفتوى فتولاها، وحسنت سيرته فيها، وتصدى لنشر العلم وتعظيم أهله، والله يتقبل منه آمين⁽²⁾.

قلت: ومن نظير ما تقدم أيضاً من استخراج الحوادث من القرآن العظيم ما أخبرني به أيضاً صاحب الترجمة، وذكره أيضاً في رسالته التي ألفها لملك الهند، وذلك أن السيد أحمد وزير ملك الهند لما قدم للحج في سنة ثلاث وسبعين ونحن إذ ذاك بمكة زادها الله شرفاً، وقدم معه بأموال كثيرة من عند ملك الهند بقصد الصدقة على أهل الحرمين، وقد أخبرني الثقة أنها زيادة على مائتي ألف ريال، وبسط كثيرة غريبة الصنعة لتفرش في المسجدين، فأوسع أهل الحرمين برّاً وصدقة، فلما قدم المدينة اجتمع بصاحب الترجمة على ما أخبرني به، وطلب منه أن يكتب له رسالة فيما يتعلق بأحوال سلطانه، وكان سلطانه مهتماً بشأن سلطان ملك أصبهان وعراق العجم لأنه هو الذي يواليه في المملكة، فأراد استطلاع أحواله

(1) الأحزاب: 38.

(2) وردت الحكاية نقلاً عن الرحلة العياشية في كتاب: الفكر السامي 4: 216 - 217.

واستعلام ما يؤول إليه أمره، وكان من جملة ما ذكر فيها بعد تقديم كيفية طريق الاستخراج من كتاب الجفر، وأطال فيه إلى أن قال ما نصه: مثاله سئل مؤلفها هل القرآن الأعظم الواقع عام أربعة وسبعين وألف من الهجرة يكون مقيدا لدولة ملك أصبهان أم لا، وكان وقت السؤال والماضي ثلاث ساعات من شروق يوم الجمعة رابع عشرين شوال عام ثلاثة وسبعين، والشمس يومئذ بأقسام الدرجة الثالثة عشر من برج الجوزا والقمر وقت السؤال بأقسام مترلة الرشا آخر المنازل بالمدينة المنورة، أخذنا حرف اليوم الرابع والعشرين فكان الحاء المعجمة لأنه الرابع والعشرون من حروف أبجد، وكان مترلة القمر الغين المعجمة لأنها الثامن والعشرون من الحروف أيضاً، وكان حرف الطالع وهو الثلث الأول من الأسد الهاء وحرف الاسم الميم من أحمد، لأن السؤال وقع في الثلث الأخير من شهر شوال، وبه كانت الأمهات أربعة بهذا الترتيب خ غ هـ م، ثم رسمنا الجدول المذكور وكسرنا الأمهات بقاعدة تعمير الجفر الجامع، وجمعنا الأسطر المبسوطة والقائمة بالجمل الكبير، وضبطنا الحاصلين فتطابقا، فكانت صورة الجدول كما ترى، ثم وضع الجدول، ثم أطال الكلام في بيان الاستخراج منه إلى أن استخرج ستة وخمسين حرفاً هي حروف الجواب، فكان سطر الجواب بعد تركيبه هكذا: يغير دولة ملك أصبهان أشد تغييراً من غيرها، وكون الخراب فيها أتم بلا ريب هـ.

قلت: وقد ظهرت مخايل صدقه، فقد بلغنا الخبر أن في ذي القعدة الذي من سنة أربع وسبعين وقعت أمور هائلة بإقليم أصبهان وخسفت الأرض بمدن وقرى وجبال، ووقع تحويل لبعض القرى من مكان إلى مكان، وخسف بأكثر مدينة تبريز وهي من قواعد ذلك الإقليم، فإن صح ذلك والغالب صحته، لتعدد نقلته فضيه تصديق لقوله، وكون الخراب فيها أتم، (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)⁽¹⁾، وهذا الخسف إن صح من أعظم أشرط الساعة المذكورة في بعض الأحاديث، فلتنتظر أخواتها، ففي بعض الحديث: من أشرط الساعة خسف بالمشرق ومسح بالمغرب، وقذف بجزيرة العرب⁽²⁾، ونسأل الله اللطيف في كل حال.

(1) يوسف: 21.

(2) أنظر: تفسير الفرطبي 1: 384.

ومن جملة ما ذكر صاحب الترجمة في الرسالة المذكورة أنه استخرج من قوله تعالى: (يتلو صحفا مطهرة)⁽¹⁾ بعض أحوال سلطان الهند واسمه أورترريك، وهو موافق لعدد رسول، فإن ولايته تتلو العدد الذي تضمنه صحفاً مطهرة في كلام طويل لا أستحضره الآن، على أن التسلي في مثل هذا وتعاطي فهمه من القرآن مما لا ينبغي إلا لذي بصيرة نورانية يصدق كشفه فتحه، وإلا فالهجوم عليه ببضاعة العقل مخطر فإن الواقع قد لا يكون كذلك فيؤدي إلى نسبة شبه الكذب لخبر الله تعالى، وإن بالفحوى والإشارة، والقرآن يتره عن مثل ذلك فإن الله ما أنزله على عبده لهذا وإن كان موجوداً فيه، وإنما أنزله هدى وموعظة وذكرى لأولي الألباب، فاستعمال الفكر في معانيه التي حض الله عليها ورسوله أولى من استعماله في أمثال هذه الأمور التي لم يرد عن المشايخ ولا عن السلف الصالح اعتبار جنسها في أمثال هذه الأمور، وإن اعتبرها بعض السلف، لكن في غير هذا الجنس كاستخراج ابن عباس رضي الله عنه تعيين ليلة القدر من بعض آيات سورها، وأما المتأخرون فمنهم من اعتبره في هذا الجنس كاستخراج بعضهم فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين بن أيوب من قوله تعالى (غلبت الروم)⁽²⁾ إلى قوله: (في بضع سنين)⁽³⁾، إلا أنه أمر نادر لا ينبغي، وذو الحال الصحيح والكشف الصريح لا يقتدي به، والله الموفق للصواب.

لطيفة:

القران الأعظم الذي ذكره صاحب الترجمة هو اقتران العلويين زحل والمشتري أول درجة من الحمل، ثم لا يعود اقترانهما فيها إلا بعد تسعمائة وستين سنة. قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه الكبير المسمى بالعبر ما نصه: "وهذا القران الذي هو قران العلويين ينقسم إلى صغير وكبير ووسط، فالكبير هو اجتماع العلويين في درجة واحدة من الفلك إلى أن يعود إليها بعد تسعمائة وستين سنة مرة واحدة، والوسط هو اقتران العلويين في كل سنة اثني عشرة مرة، وبعد مائتين وأربعين سنة ينتقل إلى مثلثة أخرى، والصغير هو اقتران العلويين في برج، وبعد

(1) البينة: 2.

(2) الروم: 1.

(3) الروم: 2.

عشرين سنة يقتربان في برج آخر على تثليثه الأيمن في مثل درجته ودقائقه، مثال ذلك: وقع القران يكون أول دقيقة من الحمل وبعد عشرين سنة يكون أول دقيقة من القوس، وبعد عشرين في الأسد، وهذه كلها نارية، هذا كله قران صغير، ثم يعود إلى أول الحمل بعد ستين سنة، ويسمى دور القران، وعود القران، وبعد مائتين وأربعين ينتقل من النارية إلى الترايبية لأنها بعدها، وهذا قران وسط، ثم ينتقل إلى الهوائية ثم الماوية، ثم يرجع إلى أول حمل في تسعمائة وستين سنة، وهو الكبير، والقران الكبير يدل على عظام الأمور مثل تغير الدول والملل وانتقال الملك من قوم إلى قوم، والوسط على ظهور المتغلبين والطالبين للملك، والصغير على ظهور الخوارج والدعاة وخراب المدن وعمرانها⁽¹⁾، هـ محل الحاجة منه.

وقد ذكر صاحب الترجمة في بعض رسائله، وشافهني به، أن القران الأعظم يقع في شهر ربيع الأول من سنة أربع وتسعين⁽²⁾ وألف، وحقق ذلك بأدلته، وأخبرني أن القران الأعظم الذي قبل هذا وقع في حدود العشرة الثانية من المائة الثانية بعد الهجرة، فقلت له: أما ما ذكره من كونه يدل على انتقال الملك من قوم إلى قوم، وعلى تغير الدول فقد ظهر أثره في ذلك القران، ففي ذلك الوقت كان أول ظهور أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة وبدء الانحلال في الدولة الأموية، وبعقب ذلك انتسخت الدولة الأموية من جميع الأقطار الإسلامية بالدولة العباسية حتى لم يبق للأموية أثر في جميع الأرض إلا ما قبض لها بعد ذلك من كون الولاية للقطر الأندلسي، وهو أقل من كثير بالنسبة إلى ولايتهم الأولى، وأما قولهم يدل على انتقال الملل، فإن الملة الإسلامية بحمد الله لم تنتقل ولا أعقبها غيرها، ولا يعقبها بحمد الله إلى آخر الدهر. فقال: لعل ذلك يدل على ما وقع في ذلك الوقت من ظهور الأئمة المجتهدين وظهور التأليف في الملة الإسلامية، وكثرت فيه الفرق الداعية إلى خلاف مذهب السنة والجماعة، وأدخلت علوم الأوائل من التنجيم والطب والفلسفة والمنطق وغيرها في العلوم الإسلامية، ودونت باللغة العربية، وتزيا الملك بزي ملك الأعجام، واستتبعت الدولة كثيراً من الأتراك والفرس إلى أن كان ذلك سبب تغلبهم على الدولة العباسية إلى غير ذلك مما يعلم بالنظر في سير الأوائل، وقد كانت الملة قبل ذلك ملة أمية لما قال عليه السلام: نحن أمة أمية لا

(1) مقدمة ابن خلدون، ص: 335.

(2) في ط: سبعين.

نكتب ولا نحسب^(١)، وكان الدين رطباً تلقاه الأبناء عن الآباء، والعقائد سالمة من الزيغ تتلقاه من الكتاب والسنة من غير مشاركة لبضائع العقول والفروع كذلك تتلقاه من أحكامه عليه السلام وأحكام خلفائه الراشدين لم يدخلها قياس ولا استحسان، ولا قيل فيها برأي، والناس هادون مهتدون في أنفسهم لقربهم من زمان النبوة، وهم قريب من حال العرب في باديتهم لم تتشعب فروع المعاملات فيما بينهم ولا كثرت الخيانات المحوجة إلى استخراج أحكام كثير من الفروع بالقياس والاجتهاد إلى غير ذلك مما يعلم أيضاً بالنظر في سيرهم في الدين، ومن حقق ذلك وعلم بون ما بين حالهم وحال من بعدهم لا يرتاب في أن ما كانوا عليه بالنسبة إلا ما آل إليه الأمر كحال ملة بالنسبة إلى ملة، لأن الملل الحقيقية لا تختلف في أصول الديانات، وإنما تختلف في فروعها كما نص عليه غير واحد. قلت له: سلمنا ذلك في القرآن الماضي، فماذا عسى تراه يقع في هذا القرآن من تغيير الملل، فأنا نقطع بخبر الصادق أن هذه الملة لا تنسخها ملة إلى آخر الدهر. فقال: لا أدري اللهم إلا أن يأتي من يحمل الناس على مواقع الإجماع وإلغاء الخلاف الواقع بين المجتهدين فإن ذلك يكون بالنسبة إلى ما نحن عليه تغييراً للملل والنحل. قلت: وما ذكره، وإن كان محتملاً فهو بعيد جداً، بل هو كالحال لأن موانع الإجماع سيما في فروع الديانات بالنسبة إلى مواقع الخلاف أقل من قليل، فكيف يمكن حمل الناس على ذلك وعلى تقدير وقوعه فهو رفض للشرعية ومحو لما بقي من رسومها لأنه يؤدي إلى بقاء أكثر العبادات والعادات بلا حكم، فنعود بالله من ذلك، والذي يظهر لي إن صح جريان عادة الله تعالى تغيير الملل عند حصول هذا القرآن أن يحمل التغيير الواقع بعده على أمرين أحدهما ما كان يخلج في فكري قبل هذا، وذلك أني كنت أود لو أن الله قيض لهذه الأمة من يجمع أربعة من محققي علماء كل مذهب من هذه المذاهب الأربعة الموجودة، ويختار لكل واحد جماعة من أهل مذهبه يستعين بهم في المطالعة وتحقيق ما يشكل عليه من فروع الديانات، فيأمر الأربعة بالاجتماع في محل واحد في وقت مخصوص من ليل أو نهار بقصد تأليف ديوان في فروع الفقه، ويتخذ لهم كتاباً مهرة يستعينون بهم ويجري على الجميع من الجرايات ما يكون سبباً لفراغ بالهم لما هم بصدد، وبعد مراجعة كل واحد منهم مع أصحابه ما يحتاج إليه من كتب مذهبه في المحل الذي يؤلفون فيه،

(١) كتاب التمهيد 340:14.

فيجتمعون يتتبعون فروع الديانات الجزئيات من أول مسألة مُدَوَّنة في الفقه على قدر طاقتهم إلى آخرها، فيذكر كل واحد مشهور مذهبه في كل نازلة، فإذا علموا مشهور المذاهب في كل مسألة مسألة نظر من تصدى للكتابة والتأليف عندهم إلى المسائل المتفق عليها بينهم فأثبتها، ولا يحكي شيئاً من الخلاف فيها، ثم المسائل المختلف فيها يقتصر فيها على قول ثلاثة منهم اجتمعوا ويحذف قول الرابع، ثم إن قال اثنان بقول واثنان بقول، جعلها ذات قولين مشهورين، ثم إن تباينت آراؤهم في النازلة وهو قليل حكاهما كلها بلا تشهير، وتكون مسألة خلاف، أو يقدم ما كان منها مستنداً إلى كتاب، ثم ما استند إلى سنة، ثم ما استند إلى صحابي، قوي، ثم ما أخذ من الاجتهاد، فإذا أُلِفَ الديوان على هذا الوصف وحمل الناس على اتباعه كان أقرب لضبط الانتشار الواقع الآن وكثرة الخلاف الواقع بين أهل المذاهب والتعصبات الفاحشة المؤدية إلى تضليل بعضهم بعضاً، فإن الاختلاف إنما كان رحمة حين كانت القلوب سالمة، والأرض بالعلماء المحققين عامرة، فيحملون الخلاف بينهم على أحسن محامله، ويجد العامي من أهل كل مذهب في كل قطر من الأقطار من يقتدي به في دينه، ومن جال في الأقطار الشاسعة كالعراق والشام واليمن والحجاز وغير ذلك علم قبح ما آل إليه الأمر في ذلك، فإن العامي المقلد لمالك مثلاً يكون في بلد ليس فيها أحد ممن يحقق مذهبه ولا يقارب تحقيقه، وتترل به النوازل المتعددة في دينه، فيأنف أن يقتدي فيها بمن في ذلك البلد من العلماء المحققين على خلاف مذهبه، فيعمل فيها على جهالة، أو يسأل عامياً مثله أو أجهل منه فيقول له سمعت ذات مرة كذا، ووقع لي يوماً كذا فسألت عنه أو رأيت في كتاب كذا وهو شبيه بما نزل بك، فيقتدي به في ذلك وهو جهل عظيم وضرر في الدين عميم، فلو قدر وجود مثل هذا الكتاب وحمل الناس عليه لكن شبه تغيير في الملة مع ما فيه من الصلاح.

ثانيهما: أن يكون هذا القرآن دالاً على زمن الإمام المهدي المنتظر، وهو غير بعيد أيضاً من كلام من تكلم على أخباره وزمنه من طريق الكشف أو من طريق النقل المستند إلى بعض الأحاديث الضعيفة فإن كلامهم كلهم يشير بفحواه إلى قريب من المائة الثانية، وجعل بعضهم غايته المائة التي بعدها، والصحيح عندي أن ظهوره من أشراط الساعة، وتعيين زمن الساعة وأشراتها مع القطع بوقوعها مما استأثر الله بعلمه، ومن طالع تواريخ المتقدمين علم صدق ما ذكرنا فإن كثيراً منهم

عين المائة الثانية واستند إلى ظواهر من الأحاديث ومن بعدهم عينوا المائة السابعة متمسكين بمثل ذلك، ولما ظهرت نار الحجاز ووقعت وقعة التار بيغداد وغير ذلك من التغيرات لم يشكوا أنها بقرب ذلك وهلم جرا، وغالبهم لا يشكون أنها لا تجاوز الألف، وإلى الآن كل يتكلم على حسب حدسه ووهمه، والعلم عند الله، وعلى تقدير ظهوره يآثر هذا القرآن فإن سيدي عبد الوهاب الشعراني قد حكى في بعض تأليفه عن كثير من أهل الكشف أن المهدي إذا ظهر لا يكون أحد أعدى إليه من الفقهاء لأنه إمام مجتهد، فيحكم في كثير من الفروع بما يخالف ما قاله أئمتهم وهم يظنون أن الله لا يحدث مجتهدا بعد أئمتهم، وهذا إمام هدى بشهادة الرسول. ومن شرط الإمام أن يكون مجتهدا إن وجد، فيحكم بحكم الوقت المناسب له، ويكون له وزراء سبعة أو تسعة كلهم مجتهدون من أهل العلم والكشف والتصديق بالإذن الخاص من الله في المملكة، فيحكم كل واحد سنة بحكم الوقت المناسب لتلك السنة الجاري على الكتاب والسنة بعلم صريح وكشف صحيح، لا بوهم وتخمين. قلت: وهذا ليس ببعيد حيث يكون الإمام هو قطب الزمان ووزراؤه هم الموالون له في الرتبة المقتبسون من فيض مدده، سيما إذا نزل رسول الله عيسى عليه السلام وهو على نبوته ورسالته حاكم بكتاب الله القرآن وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فيجتمع نور النبوة والرسالة والولاية، فأى احتياج بعد ذلك إلى حكم بقياس علة أو شبه دلالة أو نظر إلى حكم الأصل، وعقلته وغير ذلك مما بنيت عليه الفروع عند إعواز هذا النور لبعده العهد من زمان النبوة، وزمان المهدي وعيسى عليه السلام، وإن كان بعيدا حسا فليس ببعيد حكما لأنهم يقتبسون من مشكاة نبوته صلى الله عليه وسلم بلا واسطة. وقد قال عليه السلام: خير هذه الأمة أولها وآخرها⁽¹⁾، فلو لا أن آخرها مشابه لأولها في الهداية لما شارك بينهما الرسول في الخيرية، والله أعلم، فإذا جاء هذا الزمان فما أقرب حال الناس فيه بالنسبة إلى ما كانوا عليه قبل بأن يقال فيه بتبديل الملل، وما أحسن هذا التبديل فإنه تبديل من صلاح إلى أصلح، ومن حسن إلى أحسن، فإن الحكم بالتقليد الصحيح حسن، وبالاكتفاء الصحيح أحسن منه، بهذان الوجهان يمكن أن يحمل على أحدهما التغيير الواقع في هذه الملة إثر هذا القرآن إن صح من غير معارضة للدليل القطعي بأن هذه الشريعة لا ينسخها شيء، ولا تزال طائفة

(1) نوادر الأصول 2: 92.

من أهلها على الحق حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون، وإنما قلنا في التغير الواقع إثر القرآن إن صح، لأن الحكم بصحته عقلاً أو شرعاً لا دليل عليه قوياً أو ضعيفاً، والحكم بأن الله أجرى عادته بوقوع مثل ذلك عند حصول هذا القرآن بعيداً أيضاً لأن حكم العادة مستند إلى واسطة التكرار، ولا يثبت ذلك بوقوعه مرة ولا مرتين ولا ما يقارب ذلك، وهذا أمر قد زعموا أنه إنما يقع بعد نحو ألف سنة، فلم يقع في الإسلام إلا مرة واحدة، وهذه الثانية على زعمهم. وهب أن الأخبار المستفيضة في التواريخ وغيرها دلت على وقوع ما زعموا من التغير في المائة الثانية، فمن لنا بوقوع ذلك في القرانات الواقعة في الأزمان الماضية قبل الإسلام، والأعصار القديمة والدهور المتطاولة في عصر عاد وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً، فما أبعد نقل خبر متكرر مراراً متعددة في أزمنة متعددة بين كل زمانين نحو ألف سنة، بحيث يكون الوقت الثاني مثل الأول، والذي بعده مثله إلى أن وصل إلينا، فهذا أبعد من بعيد، إلا أن ذلك لما كان مشتهراً بين أرباب ذلك العلم تكلمنا عليه بما يناسبه من الكلام لما شرطنا في أول الرحلة من الكلام على كل ما تتشوف إليه النفس من الفوائد العلمية المتجددة لنا في هذه الرحلة، والله يصلح الطويات، ويعفو عن الزلات.

لطيفة:

تفاوضت الحديث يوماً مع صاحب الترجمة فجرى ذكر الشيخ داوود الأنطاكي⁽¹⁾ صاحب التذكرة في الطب التي لم يؤلف مثلها في ذلك الفن على ما قيل، وأثنى صاحب الترجمة عليه ثناء جميلاً وذكر تمهره في الفنون⁽²⁾ العقلية وسلامة عقيدته، وحكى لي حكاية عنه تدل على تمهره في فنه، قال صاحب الترجمة: أخبرني الشيخ عبد العزيز الزمزمي المكي⁽³⁾، وكان من فضلاء فقهاء الشافعية

(1) داوود بن عمر الأنطاكي، الطبيب المشهور، كان ذا وجهة لدى أمراء مكة، من مؤلفاته كتاب التذكرة وكتاب النزهة، وكلاهما في الطب، توفي في حدود سنة 1005هـ: خلاصة الأثر 2: 140. التقاط الدرر، ص: 247.

(2) في ط: العلوم.

(3) عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز المكي الزمزمي، فقيه مصنف، ولد بمكة سنة 997 هـ، وأخذ على يد علمائها وانتهت إليه رئاسة الشافعية، توفي سنة 1022 هـ: خلاصة الأثر 2: 426. التقاط الدرر، ص: 153. نشر المثاني 2: 122. صفوة من انتشر، ص: 232.

ورئيس المؤذنين على ظهر زمزم بمكة المشرفة، وبتلك الخطبة نسب أسلافه إلى زمزم، وكان قد طعن في السن وأدرك حياة الشيخ داوود المذكور، قال: كان الشيخ داوود له وجاهة عظيمة عند أمراء مكة، وكان يحضر مجلس والدي في التدريس، وكان الوالد يحله، وكنت أنا في نفسي أبغضه وأستثقله وأعاتب الوالد على إجلاله إياه وتعظيمه، وأقول: كيف تجل رجلاً فيلسوفياً من شأنه كذا وكذا، فيقول: يا بني، إن الرجل من حكماء الإسلام، وله وجاهة عند أرباب الدولة، وقدما قيل⁽¹⁾:

[طويل]

وما عجب إكرام ألف بواحد لعين تعد ألف عين وتكرم

قال: ثم عرض لي عارض مرض ذات يوم واشتد علي ولم أحضر الدرس، فحضر الشيخ داوود وسأل الوالد عني فأخبره بحالي، فلما تفرق المجلس قال لوالدي: اذهب بنا لعيادة ولدك، فدخل علي وأنا في أشد ما يكون من المرض، فحبس يدي ثم قال لوالدي: ليس هذا وقت معالجة هذا الولد، ولكن خذ هذا الدواء لشيء استخرجه من جيبه يسقي أو يذهن به، يخف عنه ما هو فيه، وأنا راجع إليه غدا وقت كذا، فذهب واستعملت ما أمر به، فخف عني ما أجده، ثم حضر غدا في الوقت الذي ذكر واستحضر حجاماً وقال: هب آلة الفصادة، وأراه العرق الذي يفصده ومحل الفصد منه، وقال له: إذا سمعتني قلت: الله، رافعاً صوتي به فافصد المحل الذي ذكرت لك، وإذا قلته ثانياً فحل رباط الفصد وامسك عن إخراج الدم، فهياً الحجام الآلة وربط المحل، فبقي ينتظر إذن الشيخ، والشيخ مطرق برأسه مدة، ثم قال: الله، ففصد العرق مع قوله، فلما قاله ثانياً أمسك، ثم رفع الشيخ رأسه وقال: أخرجت لك دماً مخصوصاً في وقت مخصوص لأمر مخصوص، وذكر أن الأمر المخصوص قرب الثمانين سنة، فوجد الشيخ عبد العزيز الراحه من حينه، ولم يعاوده المرض إلى قرب الثمانين كما ذكر.

والشيخ عبد العزيز هذا كان حياً سنة خمس وستين بمكة، وحرصت على لقائه والأخذ عنه إذ ذاك فلم يقدر لي لضيق الوقت، ولما رجعت في هذه الوجهة

(1) ورد البيت بلا نسبة في نشر المثنائي 2:122.

وجدته قد انتقل إلى رحمة الله ولم أسأل عن وقت وفاته^(١)، وتولى مكانه في التقدم على المؤذنين على ظهر زمزم ولده الشيخ عبد السلام، ويحكى عن أهل بيتهم كرامات وخوارق ظهرت عليهم من ملازمة ذلك المحل الشريف، فمن ذلك ما سمعته من جماعة من المجاورين بمكة أن الشيخ عبد العزيز، أو أحدا من أهل بيته، احتبس ذات يوم في شغل له خارج مكة من ناحية، فلما قرب الوقت توجه ليدرك وقت الأذان بالمسجد الحرام فأدركه الوقت وهو على الثانية التي تشرف على المحصب من ناحية مكة، وعلى عقبة منى من ناحيته، فأذن في ذلك المحل وبينه وبين المسجد مسافة بعيدة وجبال وشعوب يستحيل معها عادة وصول صوته إلى من بأسواق مكة، فضلاً عما كان بالمسجد، فسمع صوته من كان في المسجد كأنه يؤذن في محله المعهود، فكانوا يرون ذلك كرامة له. ومن ذلك أن الرئيس منهم يصوت قبل طلوع الفجر بسبعة أصوات بين كل صوتين نحو نصف درجة، ويكون طلوع الفجر عند آخر صوت منها، واستفاض عند كثير من الناس أن تلك الأصوات هي كلام أو ذكر بلغة لا يفهمها أحد إلا أولئك يتوارثونه بينهم، وأن سبب ذلك أنه كان المؤذن منهم إذا طلع الفجر أذن ثم أقام الصلاة بقرب ذلك، قالوا: فجاءه رجل من الأبدال من ناحية أقطار الأرض البعيدة فخاصمه وعاتبه وقال له: إني إذا سمعت أنك بيلدي أسرعت لأدرك الصلاة، وربما فاتني شيء منها، فعلمه تلك الأصوات، زعموا أنه إذا صوت بها سمعه الأبدال في مشارق الأرض ومغاربها، فيحضرون الصلاة، وأنا ترصدت ذلك مراراً وسمعت الأصوات فليس فيها حرف أصلاً حتى تنسب إلى لغة دون لغة، والغالب على ظني أن ذلك إنما هو من التصوت باسم الجلالة بعد النطق بأوله سراً وإخفاء الهاء في آخره، وكنت بعثت إليه أيام مجاورتي هناك في رمضان هل يصح صيام من شرب أولها أم لا؟ فأخبرني أن من أكل أو شرب قبل الثلاثة الأخيرة صح صومه، وبعد لا، والعلم عند الله تعالى.

(١) ذكر المحبي أن وفاته كانت ليلة الأحد لثمان بقين من جمادى الأولى سنة 1072 هـ: خلاصة الأثر 427:2.

لطيفة:

رأيت عند صاحب الترجمة تذكرة له جمع فيها فوائد كثيرة وسماها السفينة، قال: لأن السفينة تحمل أصناف المتاع من دني وسني، ومن جملة ما رأيت فيها أوضاعاً للحروف الثمانية والعشرين متباينة الأشكال تبلغ نحو السبعين، والكثير منها من استنباطه، على ما قال. ومن جملة ما أعجبتني منها قلمان بالوضع العربي أصالة وخالف في موضوعاتهما موضع لكل حرف اسماً غير اسمه المؤلف، ينفع ذلك عند قصد التعمية في رسالة أو تقييد شيء خيف نسيانه ولم يرد إطلاع الغير عليه، فإذا رأيت الحروف المعهودة طوب منها معناها الذي تدل عليه تراكيبها الأصلية، والمقصود خلاف ذلك، وسمى أحد القلمين قلم النظير والترقي والتدلي، والآخر القلم اللريعي، أما الأول فهذه: أَيَّ بَكَ جَلْ دَرَّ هَيَّ وَسُ زَعُ حَفُّ طَصُّ كَعُ رَطُّ شَضُّ تَدَنُّخُ لا وفوا. وهذا ينتظم منه بيت شعر مشتمل على حروف المعجم كلها ووزنه فاعل ثمان مرات، ثم أردفه بيت بينه، ونصه:

[مقارب]

فكل فمأقبلة مُبدل وكل بما بعده يُعرف

يعني أن الحرف الأول من الكلمة يوضع موضع الثاني منها، والثاني موضع الأول، فالألف مثلاً في محل الياء، والياء في محلها، ولام الألف تبقى في محلها على حالها إذ لم تتركب مع شيء سواها إلا أن البيت الثاني من المقارب، ولو قال:

[مقارب]

كل حرف بمأقبلة مبدل وبما بعده أول يعرف

لكان البيتان من بحر واحد.

وأما القلم الثاني فنصه:

كَمْ أَوْحَطِ صَلَالُهُ دُرُسُوعُ فِي بَزْخَشِ تَذَنُّبِ تَضُّعِجِ

وهو أيضا بيت من مستفعلن مستفعلن فاعلن، فأضاف إليه آخر بيانا له، ونصه:

[سريع]

فبدل الحرف بما قبله تظفرُ بالدخل والمخرج

قال: والطاء تبقى على حالها، وهذا أيضاً مثل الذي قبله يوضع كل حرف موضع الذي بعده وبالعكس فيوضع الأول موضع الثاني، والثاني موضع الأول، ومثال ذلك في القلمين لفظ أحمد بالعربي هكذا: أحماذ، والنظير هكذا: ي ف د م وبالدريعي: و ط ك ر، ومثل هذا يحتاج إليه كثيرا أهل هذه العلوم الغريبة، وقد رأيت بالمدينة المشرفة كتاب عنقاء مغرب ومعرفة ختم الأولياء وشمس المغرب ونكتة سر الشفا في القول اللاحق المصطفى⁽¹⁾ للشيخ محي الدين، ورأيت له فيه قلما ابتكره يكتب له الأسطر المتقدمة مما يريد إخفاءه، وهذه صورته:

صح: ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل
م ن ه و لا ي.

ومنهم حكيم الإسلام وأحد العلماء الأعلام المتوقد فطنة والمتوهج ذكاء الممتلئ حكمة وإيماناً، ولم يرشح له وعاء، ولا حل له أحد وكاء، الذي توغل في أقطار الأرض وجال وبلغ على حداثة سنه مبلغاً عجز عنه فحول الرجال، المتفنن في علوم كثيرة، والمتحلي بحلى من محاسن الأوصاف أثيرة، سيدي محمد بن سليمان الروداني⁽²⁾، كان ممن ألهم الرشد في صغره، فاجتني ثمر رشده في كبره، نشأ ببلده بين والديه بمدينة تارودانت⁽³⁾ قاعدة بلاد السوس الأقصى، فلما بلغ مبلغ الرجال شاقته نفسه إلى تعلم العلم فخرج فاراً من أبويه، فدخل بلاد درعة واستقر عند صالح علمائها وعالم صلحائها سيدي محمد بن ناصر الدرعي⁽⁴⁾ رضي الله عنه، فاقتبس من علومه مدة ثم خرج من هنالك وجال في أقطار المغرب،

(1) كتاب عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء أو نكتة سر الشفا في القرن اللاحق بقرن المصطفى للشيخ محي الدين ابن عربي، توجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية 54:2.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) تارودانت: تقع قرب أكادير، كانت تعرف قديماً بـ Vala: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية 4:306.

(4) تقدمت ترجمته.

ودخل سجلماسة وغيرها من البلاد القبلية، ثم وصل إلى مراكش ثم وصل إلى تادلا⁽¹⁾ ثم إلى فاس، ولقي بها أوحّد زمانه في سلوك طريق الصدق، العلم النظير في معرفة أدب معاملة الحق والخلق، سيدي محمد بن عبد الله معن الأندلسي⁽²⁾ رضي الله عنه، وكان دخوله لفاس بقصد تعلم العلوم الرسمية سيما علم الحكمة من هيئة وتنظيم وحساب ومنطق وما شاكل ذلك، فقد كانت له اليد الطولى في ذلك، شديد البحث عمن يتقن بعضها، فلم يظفر في بلاد المغرب عمن يشفي غليله في ذلك، فلما دخل فاسا ولقي العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله زجره أشد الزجر عن تعاطي هذه العلوم وغيرها من العلوم الرسمية، ومنعه من لقاء علماء الوقت، وألزمه بالرجوع لوالديه⁽³⁾ والأخذ بخاطريهما، فرجع إلى والديه حتى طابت قلوبهما وأذنا له في السفر، فرجع إلى مراكش وأقام بها مدة وانتفع بعلمائها كسيدي محمد بن سعيد⁽⁴⁾، وحكيمها المريد، وغيرهما، ولم يزل ينتقل في البلاد إلى أن وصل البلاد الشرقية، ودخل⁽⁵⁾ الجزائر وأقام فيها مدة، وانتفع بأهلها كسيدي سعيد بن إبراهيم قدورة⁽⁶⁾ وغيره، وأخبرني أنه لقي هنالك رجلا من أصفياء الصالحين، وكان يواظب الجلوس عنده، وهو في الغالب ساكت لا يتكلم. قال: وذات يوم ضاقت علي نفسي، ولا أدري أين أتوجه من البلاد، فجئت إليه فلما جلست عنده قال لي: أنت مسجون عند النبي صلى الله عليه وسلم، وقد آل الأمر به إلى ما قال، فإنه انتهت به سياحته إلى المدينة المشرفة ولم يخرج عنه من لادن وصلها إلا إلى مكة، ثم دخل كثيرا من البلاد الإفريقية، ثم ركب البحر إلى اصطنبول، ووقعت هنالك وقائع مع بعض علمائها، منها ما أخبرني به أنه نزل

(1) تادلا: كانت تسمى نالا، وكانت دائما محط عناية الملوك نظرا لما كانت تحتوي عليه من مراحل ونزلات بين فاس ومراكش: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية 4: 303.

(2) محمد بن عبد الله معن الأندلسي، صوفي صاحب الزاوية بالمخفية من فاس، من أصحاب الشيخ أبي المحاسن الفاسي وتلامذته، توفي عام 1062 هـ: التقاط الدرر، ص: 130. اقتفاء الأثر، ص: 143. شجرة النور الزكية 1: 446.

(3) في ط: إلى والديه.

(4) محمد بن سعيد بن محمد المرغيثي السوسي المراكشي، إمام محدث، أخذ عن العربي الفاسي ومحمد الجنان وعيسى المكناني، استكتب لبعض أمراء الدولة السعيدية، من تأليفه: المقنع في التوقيات وشهور العام، توفي سنة 1089 هـ، وكانت ولادته سنة 1007 هـ: الإعلام بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام 5: 304.

(5) في ط: وصل.

(6) سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري الدار التونسي الأصل، مفتي الجزائر وخطيبها، له حاشية على شرح الصغرى، توفي عام 1066 هـ: التقاط الدرر، ص: 139. شجرة النور الزكية 1: 447.

هناك عند رجل يتظاهر بالعلم والصلاح، ويزعم أنه من ذرية الشيخ زروق، رضي الله عنه، وله صيت في ذلك البلد، قال: وكنت لفرط اعتقادي في الشيخ زروق لما سمعت أنه من ذريته آويت إليه وأجللته واعتقدت فيه الخير، قال: وأخرج إلي رسالة في التصوف لبعض المتأخرين وأمرني بنظمها، فنظمتها، وكان ذلك دأبه إذا ورد عليه غريب ممن ينتحل العلم كلفه بنظم شيء أو تأليفه، ثم ينتحل لنفسه ذلك ويباهي به الأعاجم الذين يعتقلونه، وعندما بدا لي خبث طويته وظهرت لي منه مقاصد غير محمودة، اعتزلت عنه، وصادف ذلك بعض الأشهر المعظمة، فاعتزلت في بعض الرباطات أتحت ليالي ذوات عدد، ولم يعرفني أحد ولا خرجت ولا دخل علي أحد مدة، وخفي عليه مكاني وطال بحثه عني، ولم يقف لي على خبر، وتحير في شأنه لأنه لفرط غباوته عندما قدمت عليه وسر بي كأني منه، أوحى بالخبر إلى أم السلطان أنه قد قدم علينا هنا رجل من شأنه كذا وكذا، وبالع في التعظيم حرصاً على ترقية مهابته في قلوبهم بأنه ممن يقصد للزيارة من الأماكن البعيدة، واستدراراً لصلتهم، فطالبت به بإيصالي إليها، فلم يقف لي على خبر، وسقط في يده، فأخذ يتعلل لها وأنا لا أشعر بشيء من ذلك، فلما فرغت من تحنني وخرجت من خلوتي جثته ذات يوم لأسلم عليه ولا علم لي بما وقع، فلما وقعت عينه علي هش وبش ورحب وقال لي: أين كنت؟ فقلت: في بعض أطراف المدينة لأغراض، فرمز لي بالخبر، فأخذت أعتذر له، فتكر لي وقال لي: أنا مطالب بك، وأخاف على نفسي إن لم أحضرك، فلما علمت منه الجدة علمت أنه لا ينجيني منه إلا الكيد، وكنت في خلال ذلك لم أظهر له التصميم على الإباية، فعدلت إلى فن آخر من الكيد وألنت له الكلام وقلت له: هذا من ظهور أثر بركتكم علي حيث صار مثلي ممن يطلب إلى هذه المراتب العلية، فجزاك الله عني خيراً، فسمعا وطاعة لأمرك، حتى اطمأن إلى قولي، وقلت له: إن لي بعض أمتعة في بعض الخواصل، وأنا أريد أن أحولها إلى عندك هنا وآتي بكتي ليطمئن قلبي. وقال لي: هل تحتاج إلى معين فأبعث معك أحداً؟ فقلت: لا، وجزيته خيراً فخرجت من عنده، فلم تلق عيني عنه إلى الآن. ومن جملة ما وقع له أيضاً هناك ما أخبرني به أنه دخل على بعض المفتين من علمائهم فقدم إليه القهوة والدخان، وذلك عندهم من جملة المكارمة، فامتنع من ذلك، وألح عليه فلج في إباطه، فقال له: أزهدا أم تزهدا؟ فقال: بل فرارا من حرام أو شبهة، فدار الكلام بينهما في ذلك. قال: ومن الله علي بقوة القلب واستحضار الجواب، وكنت إذ ذاك قريب عهد بالقراءة، وقد

أتقنت طرفا من أصول الفقه والمنطق، فلم يأت بدليل إلا من الله بإبطاله حتى أفحمته، وانفصل المجلس وتسالت من عنده واختفيت في بعض الأماكن، وشاع الخبر⁽¹⁾ في البلد أن مغربيا دخل على المفتي وناظره في كذا وكذا حتى أفحمه، ولم أزل مختفيا إلى أن خرجت منها بعد مدة. ثم وصل إلى مصر ولم تطل إقامته فيها وسافر إلى الصعيد وأقام مدة بمدينة جرجا⁽²⁾ إلى أن سافر منها إلى الحجاز.

لطيفة:

كان صاحب الترجمة ينهى عن لباس الصوف الرائق الذي يأتي من بلاد الروم منسوجا وتتخذ منه الجوخات [والأقبية الرفيعة الشبيهة بالحرير في لونه وصنعه ورطوبته، وهو لباس غالب علماء مصر والقاهرة والشام والحجاز]⁽³⁾ وغيرها، ويرى بطلان الصلاة فيه قائلا إنه استيقن الخبر من أهل البلد التي يأتي منها أنهم ينتفون عن الغنم وهي حية، وأنه لا يكون إلا كذلك، وبذلك يصير في تلك الحال من الرطوبة والرقّة، وإذا ثبت أنه كذلك فهو نجس، ولما كان بالصعيد كتب سؤالا في ذلك إلى شيخ المالكية بمصر شيخنا الأجهوري، رحمه الله، فكان من جملة جوابه على ما قال: أنه إن ثبت ذلك فيخرج على أحد الأقوال في النجاسة من سنة، واستجاب لعموم البلوى به، فراجعه بأن القول بالسنة مرجعه إلى الوجوب على ما قال الخطاب وغيره، والقول بالاستحباب لم يقل أحد بتشهيره فلا يعول عليه، فأجاب بأنه قد شهر أيضا ومن شهدته الفاكهاني.

قال صاحب الترجمة: ولم أر للفاكهاني تشهيرا من ذلك، وكان يحط من قدر الشيخ الأجهوري وأصحابه بمثل ذلك؛ لأن أصحابه في ذلك الوقت هم المتأولون بجواب ما يرد عليه من الأسئلة لكبر سنه وإضراره له من الكتابة.

قلت⁽⁴⁾: ويمكن البحث في كلام صاحب الترجمة بأحد ثلاثة أمور أحدها ما كان يورده على نفسه ولا يرتضيه، وقال لي إن بعض الناس قد نقل له ذلك عن محقق المغرب سيدي أحمد بن عمران، وكان إذ ذاك بالقاهرة، وهو أن الصوف

(1) ساقط من ط.

(2) جرجا: قرية من أعمال الصعيد قرب إخميم: معجم البلدان: جرجا.

(3) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

(4) وردت هذه الفقرة من كلام العياشي في نشر المئاني 2: 315.

المذكور إن سلم أنه كان منتوفا فالمتجنس منه جزء قليل من أصله وهو أضعف ما فيه، وما سواه يطهر بالغسل. ومن المعلوم أن هذا الصوف لا يصير إلى هذه الحال التي يلبس فيها إلا بعد أعمال كثيرة من غسل ودق ونقش وقصر وغزل ونسج وغير ذلك، ومعلوم أيضا أن ذلك الجزء الضعيف لا يصير على^(١) ملاقاة هذه الأعمال ولا يبقى معها بل يضمحل بالكلية، وإذا تحقق أن عين النجس قد ذهب فلا معنى لمنع ما سواه، ولو نفتشت قطعة من هذا الصوف وتتبع شعراتها لم يوجد فيها ما يتوهم أنه من أصل الشعر إذ لم يبق إلا الصحيح المشابه للحريز، وهذا الذي قاله صحيح، وصاحب الترجمة يقدح في ذلك بتدقيقات عقلية ويقول: إنا قد تحققنا بنجاسة هذا المحل فلا يطهر إلا بتعين ولا يقين مع احتمال بقاء جزء ولو مثل رأس الإبرة في جميع الجبة الكبيرة، وتفتيش قطعة منها، ولم يوجد فيه شيء لا يدل على سلامة الجوخة كلها، بل ولو فتشت جوخة ولم يوجد فيها، فغيرها محتمل لأن يوجد فيه. قلت: ومثل هذه التدقيقات بالاحتمالات العقلية تنبو عنها الفروع الفقهية المبنية على غلبة الظن القريب من القطع؛ إذ لو بنينا الأمر عليها ما صحت لنا عبادة إذ ما من ماء ولا ثوب إلا وهو محتمل عقلا أن يكون تعلق به شيء من النجاسة، وبعد غسل المتجنس أيضا على هذا التدقيق لا يطهر لأن الغسل لا ينفي احتمال بقاء جزء قليل من النجاسة في خلال المغسول احتمالا عقليا، لكن الأحكام في ذلك إنما نيّطت بما يغلب على الظن مستندا في ذلك إلى حكم العادة لا إلى مجرد التجويز العقلي الذي لم يستند إلى عادة في الغالب، فمن غسل ثوبه حتى غلب على ظنه أن أجزاء النجاسة كلها قد خرجت مع الماء فقد طهر ثوبه مستندا في ذلك إلى أن العادة في ملاقاة هذا القدر من الماء لهذا القدر من النجاسة، مع مثل هذا العرك وتوالي الصب لا يبقى من النجاسات في هذا المحل، ولا نبالي مع ذلك بما يجوزه العقل من بقاء شيء من الأجزاء غير مستند في ذلك إلى عادة ولا إمارة من لون أو طعم أو ريح، ولا أظن الفقهاء يختلفون في مثل هذا.

وأشبه هذا كثير، ومنه غسل المخرج في الاستنجاء فليس بمركبي، بل إذا غلب على ظنه النقاء مستندا إلى إمارة، كحروشة المحل وذهاب الرطوبات فقد أنقى، وكذلك تعميم العضو في الوضوء والجسد في الغسل، فإذا غلب على الظن

(١) في ط: عن.

إيصال الماء إلى المحل المطلوب وصوله إليه، وإن كان غير مرئي ولا ملموس باليد، بل بجبل وعصا ومستندا في ذلك إلى أن العادة أن هذا القدر من الماء إذا مر بمثل هذا العضو يغمره فقد تطهر المحل بذلك، وما يجوزه العقل من بقاء شيء لم يصل الماء إليه لا عبرة به، واعتباره هو عين الوسوسة المنهي عنها، وقالوا إن أصلها خيال في العقل أو جهل بالسنة، فلولا أن السنة هي الجري مع المعتاد والظن الغالب في أمثال هذه الأمور لما عدوا هذا جاهلا بها، وحيث عبر الفقهاء في الصلاة والطهارة وسائر أنواع العبادات باليقين، فالمراد به هذا الظن الغالب الذي يعد مقابله وسوسة لمرجوحية احتمال لا اليقين الذي هو أقوى أنواع العلم كما هو عند المتكلمين إذ ذاك عزيز الوجود في العقائد التي هي أصل الدين، فما بالك بفروع الفقه المبنية على الظن والاجتهاد في كثير منها، فإذا علمت ما قررنا فمن رأى هذا الصوف المذكور وإتقان صنعته الغريبة الدالة على تعدد الأعمال والأشغال المتداولة عليه إلى أن صار لا يميز بينه وبين صافي الإبريسم إلا من عرفه قبل ذلك، وأخبر بعد ذلك بأنه قد نتف لا يكاد يرتاب في بقاء شيء من أصوله فيه، فإذا غلب على الظن غلبة قوية عدم بقاء شيء من أصوله فيه مستندا إلى العادة الواضحة في أن بقاء ذلك الجزء الضعيف الرخو فيه مما يخل بإتقان تلك الصنعة فلا معنى للتوقف في طهارته، إذ بهذه الطريق حكمنا بطهارة كل متجنس، ويزيد هذا وضوحاً أن الصوف المجزوز الاتفاق على طهارته مع أنه في الغالب لا يخلو من شعرات متعددة منتوفة في حال الجز وقبله، وبقيت في خلال الصوف، بل العادة قاطعة بوجودها، ومن باشر ذلك ورأى الصوف على ظهور الغنم وحضر جزازها علم ذلك وتحققه، ومع ذلك فقد ألغينا ذلك القليل الذي لا يمكن الاحتراز منه عن الاعتبار مع تحقق وجوده لعدم العلم بعينه، وللمشقة الفادحة في تمييزه عن غيره، فليكن مثله هذا الجز الذي احتمل بقاؤه على تقرير بقائه.

ثانيهما: إذا سلمنا أن هذا الصوف منتوف، فمن لنا بأنهم لا يجزون الأصول بعد النتف، والغالب أنهم يجزونها إذ لا غرض لهم في بقائها، بل تعين لهم الغرض في إزالتها لتجويد الصنعة وإتقانها، وإذا كان المباشرون لذلك مسلمون كما قال، فالأصل فيهم توقي النجاسات وإزالتها عن ملابسهم، سيما حيث لا غرض لهم فيها، فيكون الأصل فيها الطهارة حتى يثبت عدم الجز، أو يقوم مقامه وما أبعد إثباته.

ثالثها: سلمنا نتفها وبقاء أجزاء النجاسة فيها إلى الآن، ولم نلاحظ أيضاً ما ذكرنا في بقاء مثلها في الصوف المجزوز بالمشاهدة، فلا يبعد قول الشيخ الأجهوري، فخرج على القول بعدم وجوب زوال النجاسة لأمر أحدها أن ما ذكره الخطاب من أن الخلاف في الوجوب والسنية لفظياً غير مسلم لورود ظواهر في جزئيات كثيرة تدل على أن القائل بالسنية يقول بلوازمها من عدم الإثم حيث لم يقصد التهاون وصحة الصلاة وغير ذلك. ثانيها ما ذكر من كون القول بالاستحباب لا يشهره أحد شهادة على النفي والمثبت مقدم على النافي، سيما مثل الشيخ الأجهوري⁽¹⁾ في جلالته وسعة اطلاعه على فروع المذهب التي سلم له فيها المناظر فإنه لم يبلغنا عن أحد في عصرنا وما قرب، منه أنه جمع من كتب المذهب ما جمعه، فلا يبعد أن يكون اطلع على تشهير هذا القول، سيما وقد عزاه، والناقل أمين. ثالثها: سلمنا عدم مشهوريته فليس ببدع تخريج قول في مسألة عمت البلوى بها وعسر الاحتراز عنها، وجرى في أقطار الأرض العمل بها من غير نكير على قول في المذهب، صحيح ليس بمنكر ولا غريب ولا مردود، إلا أنه لم يشتهر كغيره، وكثيراً ما يكون القول المخرج هو المشهور في المذهب، والمخرج عليه ضعيف، فيقولون: هذا مشهور خرج على ضعيف، ومن تأمل فروع المذهب واستقراها من أماكنها علم صحة ما ذكرنا، وشيخنا الأجهوري أمثل من له في زمانه الترجيح في فروع مذهبه والتخريج على أن هذه المسألة من فروع قاعدة أصولية وهي تعارض الأصل، والغالب، وقد علم ما فيها من الخلاف، وشهت جزئيات كثيرة من كلا القولين، نعم يمكن أن يقال أم هذه الجزئية مما ألغي فيها الأصل اتفاقاً لما أعتقد به الغالب من الوجوه التي قربته من القطع عادة، وقد قيل بذلك في أشياء إن لم تكن هذه أقوى منها فهي مثلها، والله الموفق للصواب.

ولنرجع إلى ما كنا بصدد من ذكر حال صاحب الترجمة، فقد ذهب إلى الحجاز على طريق الصعيد، ثم حج واستوطن المدينة المشرفة، وكان سكناه بها آخر بيت منفرد برباط السلطان فيه طاقات يشرف منها على الحرم الشريف، فاعتزل فيه عن الناس ولم يعاشر أحداً في المسكن، وتعاطى أسباب معاشه بيده، وترك الخروج نهاراً، وربما خرج ليل للزيارة أو لهم آخر، وربما أغلق على نفسه بابه شهراً أو أشهراً لا يراه أحد، فنشأت له بذلك هبة في القلوب، وحصل له ناموس

(1) ساقط من ط.

عند الخاصة، وربما تعاطى القراءة مع بعض خواصه في بيته في وقت معلوم لا يأذن فيه لغيرهم، وربما لمته على كثرة^(١) الانزواء وعدم التدريس في المسجد لنفع العام والخاص، فيعتل بفساد الوقت ونيات أهله ومشاهدة المناكير مع عدم القدرة على زوالها كلبس الحرير وتعاطي الدخان، وقال لي: كيف أجلس إلى قوم أعلم حالهم وحال مكاسبهم من أكل المكوس وتعاطيهم للعقود المحرمة شرعا، مع العلم بذلك فإن نهيتهم وزجرهم وقعت معهم في أشد مما وقعوا فيه، وإن سكنت عنهم وباسطتهم وألنت لهم القول كنت معينا لهم وممالئا لهم على ما هم فيه، وتركت الواجب علي من هجرانهم بلا عذر إلى غير ذلك مما هو معلوم، وكان رضي الله عنه شديد الورع ضيق الحوصلة في تحمل أعباء ملاقاته الخلق، مقبلا على شأنه لكنه غير عارف بزمانه كما قيل:

[رمل]

كَانَ لَا يَدْرِي مُدَارَاةَ الْوَرَى وَمُدَارَاةَ الْوَرَى أَمْرٌ مُهِمٌّ^(٢)

وكان هو وشيخنا أبو مهدي في حالهما في ذلك على طرفي نقيض مع صلاح حالهما معا وديانتهم ووفور علمهما، وربما عاب كل منهما على الآخر ترك ما عاب عليه فعله، وقد قلت له ذات يوم: إن سيدي عيسى يقول: ما أحسن فلانا لو أنه كف من غربه شيئا وألان جانبه للخلق، فقال لي: وأنا أقول ما أحسنه وأعلمه وأجراه على منهاج السلف، لو انقبض عنهم شيئا وترك مداهنتهم في الحق، وكل على هدى، إلا أن النفس إلى ما عليه الشيخ عيسى أميل حسبما أشرح حاله في ترجمته، لأن اعتزال الخلق في هذه الأزمنة وعدم الاختلاط بهم والتجهم لهم وحجبهم عند الاستئذان مع معرفتهم له واستشعارهم لخصوصيته مما يزيدهم به إغراء وله مطالب، فيشار إليه بالأصابع، ويحمل من يرى في نفسه أنه مشارك له في علمه وخصوصيته على التطلع لعوراتهم والتتبع لزلاته والقعود له بالمرصد ليسقط منزلته من قلوب الخلق، فيصيب نفسه غرضا لسهام ألسنتهم فيتضرر بذلك في دنياه وفي دينه إن كان ممن يكثر تألمه بما يبلغه عنهم ويؤثر ذلك عنده حقدا، وإنما ينبغي ذلك ممن كان مغموضا بين الناس لا يؤبه به ولا يفتقد إن غاب ولا يستأذن عليه إن احتجب فيجد الراحة في نفسه من عدم مشاهدتهم

(١) في ط: لكثرة.

(٢) البيت لابن الوردي، ورد في: طبقات الشافعية 3: 44.

ومخالطتهم من غير أذى يصل إليه منهم، فيسلم له دينه ودنياه، وأما من كان مشهوراً بينهم موسوماً بخصوصية تستشرف النفوس إلى لقائه ومخاطبته، فلا ينبغي له أن يحتجب عنهم ويظهر الانزواء عنهم والتكره للقائهم، سيما إن كان يصرح بدمهم ويعيب ما هم عليه، فإن ذلك، وإن كان حقاً في نفسه، إلا أنه عرض به نفسه لآفات كثيرة كان في غنى عنها، اللهم إلا أن تكون له حال قاهرة فيترك وما انتحل من ذلك فإن الله جاعل له عنه فرجا ومخرجاً. وقد بلغني بعد انفصالي عن المدينة بأزمان أن صاحب الترجمة، حرس الله مهجته، قد أودى وكثرت القالة في شأنه، وأدى ذلك إلى خروجه من المدينة إلى مكة، وأطلق الحسدة فيه ألسنتهم، وكنت شمت بعض ذلك من بعض الناس ونحن هناك إلا أنني ما كنت أظن أنه يبلغ ما بلغ، (وكان أمر الله قلداً مقدوراً)^(١)، وديانته ومكانته من العلم بالله تحميه إن شاء الله منهم، سيما وهو غير منازع لهم في دنياهم ولا مساهم لهم في خطيئتهم التي يتنافسون فيها، إذ أن داء الحسد قديم، ودواؤه من بين سائر الأدوية عديم، (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)^(٢).

ولما قدمت المدينة المشرفة ولقيت صاحب الترجمة، ولم أكن أعرفه قبل ذلك ولا عرفني، إلا أن عنده من خبري ما عندي من خبره، فبالغ في التحفي، وباشر الملاقاة أحسن المباشرة، وعندما أخبرته بما نويته من المجاورة سر بذلك وهياً لنا منزلاً بجواره كان يتزل فيه قبل، وهو محل خزانة كتب وقف السلطان قايت باي مشرف على الحرم، وأدخلني إليه وأرانيه وباشر الخدمة فيه بنفسه من كنس وفرش وتنظيف وتحيي مرافق، حتى أخرجني ما رأيت من بره وإحسانه وتواضعه، فجزاه الله أحسن الجزاء، ورمت أن أساعده في العمل وأخفف عنه فامتنع، وكتبت إليه بسبب ذلك أبياتاً:

[طويل]

وزرتُ شفيعَ الخلقِ في كل موقفٍ	بطيبةٍ قد خيمتُ بعدَ تعشقٍ
وكان تُزولي عندَ أفضلِ مُنصفٍ	وصححتُ عزمي في الجوارِ بأرضه
وجامع كل الفضلِ ذونِ تخلفٍ	أخي وخليلي بل إمامي وسيدي

(١) الأحزاب: 38.

(٢) النور: 44.

فلما نزلنا أحسنَ التزل واللقا	وقامَ مقامَ الخادمِ المُتلفِ
وليسَ بعيبَ خدمةِ المرءِ ضيفةُ	ولكنها زيادةُ في التشرفِ
وبالغَ في إكرامنا واحتفى بنا	ودامَ على حُسنِ اللقا والتآلفِ
وأخجلني إحسانهُ فهِممتُ أن	أخففَ عنه رغبةً في التعطفِ
وقالَ لي الظنَ الجميلَ به فما	عليكَ فلا تمجلِ فلستُ بمُسرفِ
ولا كُلفةٍ فيما فعلتُ فإنما	علامةُ صدقِ والودِ تركُ التكلفِ
وقد كنتُ أرجو أن أفوزَ بوصلهِ	وكنتُ له قِداً كثيراً التشوفِ
وإذ نلتُهُ فالحزمُ أن لا أضيعهُ	وأطلبُ ما يُقيه دون تشوفِ
جزاءُ إلهِ العرشِ عني فإنني	لِما نالني من خيرهِ ذو تعرفِ
أقولُ له والقلبُ يغبطُ حاله	هنيئاً لك البُشرى بما نلتَ فاعرفِ
مُنحت جوارَ المُصطفى فاغبطُ به	يُنلك غنى الدارينِ حَسبك فاكتفِ
هُوَ البحرُ جُوداً غيرَ أن شمائله	له عذبتُ حتى حلا ذكرهُ بفي
عليه صلاةُ الله ثم سلامهُ	يُنيلان أماناً في مكانِ التخوفِ

ثم لم تيسر الإقامة بجواره لتعذر أسباب اقتضى الوقت مباشرتها، فانتقلت إلى محل آخر، ولم أزل بعد ذلك أكثر التردد إليه وأستشيره في أموري، وكان ميمون النقيب له ورع تام ما رأيته في عصرنا لأحد، لا يقبض من أحد شيئاً إلا قليلاً ممن علم وجوه مكاسبه وتحقق استقامته فيها، انتهى به الورع إلى ترك أكل ثمار المدينة بالجملة لفساد معاملة أرباب الحوائط لعمالها في الغالب، فإن رب الحائط يعامل المساقى أوسق معلومة في كل سنة يدفعها له، وهذا فاش عندهم قل من يعامل المساقى بالجزء المشاع السائع شرعاً، ومن ورعه أنه لا يتقوت في الغالب إلا من كسب يده، وكانت له يد صناع يحسن غالب الحرف المهمة، سيما القيقة العمل الرائقة الصنع، كالطرز العجيب، والصياغة المتقنة، وتسفير الكتب، والخرازة، وقد أخبرني أنه لما كان بمراكش كان لا يتفرغ في الأسبوع إلا يوم الخميس فيطلع فيه

ثلاثة أزواج من السباط⁽¹⁾ أو أكثر، فيبيعها ويتقوت بها إلى الخميس الآخر، وله يد طولى في عمل الأسطرلابات وغيرها من الآلات التوقيتية كالأربعاء والدوائر والأنصاف والمكانات⁽²⁾، ومن أعجب ما رأيته من صناعته أنه يجبر قوارير الزجاج المنصدة بحسن احتيال ولطف تدبير إلى أن لا يكاد صدعها يبين، ويصير مثل الشعرة الرقيقة، ومن ألطف ما أبدعه وأدق ما صنعه وأجل ما اخترعه الآلة الجامعة النافعة في علمي التوقيت والهيئة ولم يسبق إلى مثلها ولا حاذى أحداً على شكلها، بل ابتكرها بفكره الفائق وصنعه الرائق، وهي كورة مستديرة الشكل منعمة الصقل مغشاة ببياض الوجه المموه بدهن الكتان، يحسبها الناظر بيضة من عجسد لإشراقها، مسطرة كلها دوائر ورسوم، قد ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف لدوائر البروج وغيرها، مستديرة كالتى تحتها مصقلة مصبوغة بلون أخضر، فيكون لها ولما يبدو من التى تحتها منظر رائق ومخير فائق، وهي التى تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيئة [مع سهولة المدرك لكون الأشياء فيها محسوسة والدوائر المتوهمة في الهيئة]⁽³⁾ والتقاطع الذى بينهما مشاهد فيها، وتخدم لسائر البلاد على اختلاف أعراضها وأطوالها، وحاصل القول فيها إن الوصف لا يكاد يحيط بها، ولا يعلم قدرها ومزيتها إلا من شاهدها، وكانت له معرفة بالعلمين فىرى ما يذهل الفكر ويحير النظر، ويعلم أن من اهتدى لاستخراج ذلك للعيان بعد أن كانت القرائح الجيدة تحير في تصويره ذهناً قد أيد بنور الهدى، وإلهام رباني، وقد ألف واضعها رسالة في وصفها وكيفية العمل بها في سائر المطالب التى تدرك بغيرها وزيادة، فلنورد أولها لما فيه من غالب رسومها والأشكال المثبتة فيها.

قال: رضي الله عنه، باسم الله الرحمن الرحيم، إن أزهى ما تحلى البصائر العقول من أوجات عوالم الإلهام وأبهى ما تحلى بمشاهد عرفانه دوائر النفوس وطوالع الأفهام، حمد من تحجب في سرادقات الكبرياء بسبحات عزه ومجده، وأصدع بمحامد لسن العوالم، (وإن من شيء إلا يسبح بحمده)⁽⁴⁾، فسبحانه من

(1) السباط: الحذاء: عامية مغربية، يقول الدكتور محمد بنشريف: والسباط عند الأندلسيين والمغاربة: الحذاء، وهي في الإسبانية Zapato: أمثال الوام في الأندلس 2:109.

(2) المكانات: جمع مكانة، وهي الساعة في العامية المغربية.

(3) ما بين معقوفتين ماقطن ط.

(4) الإسراء: 44.

عظيم خجلت سوابق هم الأبطال دون مطالع جلاله المحجب الحاجب، وحكم نصبت قدرته الباهرة في فسيح الفضاء قبب الأفلاك المرصعات بجواهر زواهر الكواكب، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه نجوم الاهتدا وقادة المشارق والمغارب. أما بعد، فإن من فيض من الله التي لا تحصى، وإغداق وابل مواهبه التي لا تستقصى، أن ألهمني لوضع آلة يستفيد بها إن شاء الله في علمي الهيئة والتوقيت من القاصرين أمثالي، ويجمع بها ما تفرق في جميع الآلات من أعمال الأيام والليالي، ومن أحاط بها علما أغنته عن المجسطا⁽¹⁾ في التعليل والبرهان لأنه غيب وهي شهادة، وليس الخبر كالعيان، وقد فتح الله تعالى بتعليق هذه العجالة عليها وأبتهل إليه جل جلاله في الإسعاد بالرجوع ثانيا إليها، لإبراز ما تنطوي عليه وما كمن من الفوائد لديها، ولرجائي من الكريم نفعها سميتها بالنافعة على الآلة الجامعة⁽²⁾، وحسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب أينما توليت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله (وصحبه)⁽³⁾ وسلم.

مقدمة في تسمية أجزاء الجامعة ورسومها، الجزء الأول من الأجزاء المنفصلة المركبة، وهو: الكرة⁽⁴⁾ العليا من الجامعة المخرمة المنفصلة إلى قطعتين وصل بينهما قفلان ويشتمل على تسع دوائر وأربعة أقطاب، ومحور، وشطبتين، وقوس، ومدى⁽⁵⁾ الأجزاء، وكواكب. وأما الدوائر فالأولى هي منطقة الفلك الثامن، وتسمى منطقة البروج، وهي المنقسمة إلى ستين قسما⁽⁶⁾ متساوية عليها أسماء البروج مكتوبة. الثانية: منطقة الفلك التاسع، وتسمى معدل النهار، وهي المقاطعة للأولى على غير قوائم، وغاية ميل الأولى عنها هو غاية الميل الأعظم، وتنقسم إلى مثل الأقسام الأولى. الثالثة دائرة مبدأ الميل، وهي المقطعة للثانية على قوائم المنقسمة إلى مثل تلك الأقسام أيضا. الرابعة دائرة وسط السماء، وهي المقاطعة

(1) المجسطا: المَجَسْطِي: اسمٌ لِعِلْمِ الْهَيْئَةِ، وبه سمي الكتاب الذي وضعه بطليموس الحكيم، وعُرِّبَ في زمن المأمون: تاج العروس: مجسط..

(2) أشار محقق إتحاف الأخلاء إلى أن شار بلا قد نشر هذه الرسالة في: tome XXVI.p. 7-82 Bulletin d'études orientales أنظر: ص: 25 من مقدمة المحقق.

(3) زيادة من ط.

(4) في ط: وهي الكورة.

(5) في ط: مري.

(6) في ط: شمس أقسام.

لثلاث الأول على قوائم، وهي والخمس البواقي محددات للبروج الإثني عشر، قسم منها مرسومة، وقسم مخرومة، والمحددة منها بين الحمل والحوث تتقاطع مع الثلاث الأول على نقطتين إحداهما رأس الحمل، وتسمى بالاعتدال الربيعي، والثانية رأس الميزان، وتسمى بالاعتدال الخريفي، وأما الأقطاب فاثنتان منها قطبا الفلك التاسع، ويقال لهما قطبا معدل النهار، وهما النقطتان المتقابلتان التي تتقاطع عليهما دائرة مبدأ الميل، ودائرة وسط السماء في إحداهما مسمار يسمى المحور، والاثنان الباقيان قطبا الفلك الثامن، ويقال لهما قطبا فلك البروج، وهما النقطتان اللتان يتقاطع عليهما دوائر البروج، وأما الشطبتان فهما الصفيحتان المثقوبتان المنصوبتان على دائرة مبدأ الميل في جنبي القطب الذي فيه المحور، وأما القوس فهو أحد نصفي دائرة مبدأ الميل فيما بين قطبي العالم، وأما المدي فهو النقطة التي هي رأس الحمل ومنه ابتداء أجزاء كل من القوس وفلك البروج ومعدل النهار، وأما الكواكب فهي الشظايا المحددة المكتوب عليها أسماء الكواكب، وقد توضع على سطح المركب نقط لكواكب آخر ويكتب في كل جنب نقطة اسم ذلك الكوكب.

الجزء الثاني: الكرة، وهي المجسمة التي يدور عليها المركب، وسطحها ينقسم إلى نصفين، أحدهما يسمى الظاهر، وهو الذي رسمت فيه المقنطرات، وهي الدوائر المتوازية المتضايقة، وأعظمها أولها، وتسمى دائرة الأفق، وعدد المقنطرات تسعون، وتكون ثلاثية وخماسية وغير ذلك، وفي داخل أضيقتها نقطة تسمى سمت الرأس والسموت، وهي المقاطع جميعها لجميع المقنطرات، ولسمت الرأس ويقسمها إلى أربعة أقسام عظيمنتان قائمتان على سمت الرأس على الأفق، وتسمى إحداهما نصف النهار، وهي التي ربعها مبخوش بأبخاش تسمى أبخاش العروض، وقد يطلق نصف النهار على النصف الظاهر من هذه الدائرة، وهي التي تقاطع الأفق على نقطتين المبخوشة منها تسمى عين الشمال، ومقابلتها تسمى عين الجنوب، والدائرة الأخرى تسمى دائرة عين المشرق والمغرب، وأم السموت أيضا، ومنها (دائرة)⁽¹⁾ مبدأ السموت، فإذا عدلت الجامعة بأن وضعت المحور في عين الشمال، وأردت المركب حتى يكون أول السرطان على نصف النهار من النصف الظاهر، فنقطة تقاطع أم السموت والأفق التي تحت أول الميزان تسمى نقطة المشرق، وعين

(1) زيادة من ط.

المشرق ومشرق الاعتدال وعين المغرب ومغرب الاعتدال ونصف الجامعة، والحالة هذه الذي حول المحور من السموت ونصف النهار والمقنطرات ومنطقة البروج والكواكب والأقطاب يسمى شمالياً، والنصف الآخر يسمى جنوبياً، والنصف الذي حول مشرق الاعتدال يسمى مشرقياً، ومقابله يسمى مغربياً فالربع من السموت الذي من عين المشرق إلى عين الشمال شرقي شمال، ومقابله غربي جنوبي، والذي إلى عين الجنوب شرقي جنوبي، ومقابله غربي شمالي، وفي كل ربع تسعون سمتاً، وقد يوضع بين المقنطرات قوس العصر أو غيره في عرض مخصوص، وقد يوضع ذلك بين الساعات، وهو الأصح. والنصف الآخر من سطح الكرة يسمى الخفي، وفيه قسي الساعات الزمانية لبعض العروض وهي قطع دوائر عددها اثنا عشر ساعة، ومبدؤها من الأفق الغربي ونصف الليل، ويسمى وتد الأرض، وهو النصف الخفي من دائرة نصف النهار، ويقسم النصف الخفي من دائرة المشرق والمغرب إلى ربعين، كل منهما مقسوم إلى تسعين جزءاً أدرج الارتفاع، وقد يكتفي غالباً بالمغربي منهما ويسمى قوس الارتفاع، وقوس الظل هي الموازية لقوس الارتفاع المقسومة إلى نصفين، فيبينهما فصل مشترك مكتوب على الموالي لأفق الظل المنكوس، وعلى الآخر الظل المبسوط، فإن قسم كل منهما إلى اثني عشر فالأقسام أصابع أو إلى ثمانية فهي أشبار، أو إلى سبعة فهي أقدام، وقد يوضع لكل منها قوس فتكون قسماً متوازية وموازية لقوس الارتفاع، ومبدأ المنكوس والارتفاع من الأفق، ومبدأ المبسوط من وتد الأرض وقوس الجيب، وهو قوسان متوازيان تحت قوس الظل الأعلى للجيب المبسوط، وابتدأؤه من الأفق الأسفل، والأسفل للجيب المنكوس وابتدأؤه من فوق الأرض وتحت الأفق قوسان موازيان له الشرقي منهما يسمى قوس الفجر، والغربي يسمى قوس الشفق، وتحت عين الشمال في وتد الأرض نجش يسمى نجش التركيب، والفصل المشترك بين قوس الارتفاع، ويسمى سمت الرجل وفيه مسمار مقصوص مغرق وفي رأسه ثقب يسمى نجش التعليق، ونصف هذا النصف الخفي وهو الربع الجنوبي من الكرة وضعت فيه الأقاليم السبعة ووضعت في كل إقليم بعض مدنه المشهورة، فلنترض أنه هو الربع الشمالي من الأرض، وهو المسكون. الجزء الثالث: العلاقة، وهي كلاب منفصل معلق في خيط وثيق توضع عطفة الكلاب في نجش التعليق عند تعليق الجامعة لأخذ الارتفاع، وفي الجامعة دوائر آخر موهومة كدوائر الميول

ودوائر العروض، وسيأتي قريباً إن شاء الله بيانها، وكدوائر مقنطرات الانحطاط وسموته، وأهملنا وضع جميعها لعدم الاحتياج إليها والله (تعالى) ^(١) أعلم.

وقد قرأت ^(٢) عليه بعض هذه الرسالة، مع إحضار الآلة الجامعة وبيان ما يحتاج إلى البيان من الأعمال المأخوذة منها، ولما شاع ذكر هذه الآلة عند الناس تنافسوا في اقتنائها، ولا يقدر أحد على إتقانها إلا هو، فكان يبيع الآلة منها بثمان غال، وطلبت منه بيع واحدة منها، فأبى من البيع ووهبها لي جزاءه الله خيراً، والعجب أنها مصنوعة من الكاغد ^(٣) ومع ذلك لو ألقيت من شاهق لم تنكسر، فهي مع صلابتها خفيفة الحمل لينة المحسة. وصفة ما تتخذ منه على ما أخبرني أن يؤخذ الكاغد فيلقى في الماء حتى يتحلل ويصير مثل العجين، ثم يأخذ الصمغ العربي في الماء حتى يتحلل فيعجن بمائه ذلك الكاغد عجناً ناعماً، ثم يتخذ منه الكرة ويجهد في تكويرها حتى تكون متساوية الأقطار بالنسبة إلى المركز، بحيث لو ألقيت على سطح مستو لوقفت على نقطة واحدة، وقد أخبرني أن ذلك شق عليه حتى أخذ مسماراً وأدخله في وسطها ثم أخذ نصف دائرة من نحاس مثقوب الطرفين فأدخل طرفيه في رأسي المسمار الخارجين عن جنبي الكرة، ثم أخذ يدير نصف الدائرة المذكورة على ذلك العجين المكور ويزيل الناتئ منها ويزيد على المنخفض حتى تكورت غاية التكوير، ثم طلاها ببياض الوجه، ثم كتب عليه ما احتاج إلى كتابته، ثم دهنها بدهن الكتان فوق الكتابة، فلأجل ذلك لا تمحى الكتابة المذكورة ولو أصابها بلل من عرق اليد وغيره، وكذلك أيضاً الدائرة التي فوقها مصنوعة من مثل ذلك إلا أنه يخرمها ما دامت رطبة، فإذا يبس شيء منها قبل تمام خرمه شق عليه خرمه لأنه لا يكاد يعمل فيه الحديد إلا بمبرد من الهند يبرده به كما يبرد النحاس والحديد، وقد أخبرني أن الآلة الأولى التي استخرجها بقي في وضعها نحو عام واحتاج إلى كثير من الآلة في اصطناعها، ثم بعد ذلك سهلت عليه حتى صار يصنعها في مدة قليلة، وبالجمل، فهو أعجوبة الدهر في الذكاء وصناعة اليد، فلا يكاد يتعاصى عليه شيء من الصناعات المدرسة التي لم يبق إلا أخبارها فضلاً عن الموجودة، وقد حقق علم التنجيم بجميع أنواعه مع ما يتوقف عليه من علوم كالحساب وغيره، إلا أنه يتحامي تعاطي ما يدل منه على الحوادث المستقبلية ديانة

(١) زيادة من ط.

(٢) في ط: قرأنا.

(٣) الكاغد: القُرطاس، فارسي مُعَرَّب، تاج العروض: كغد.

منه رضي الله عنه، وكان يقول لي إن ما يتبجح به فلان، يعني ابن التاج، من علم حوادث الجو من الخسوفات والكسوفات ونزول الأمطار والصواعق وما هو بسبيل ذلك أمر قريب المدرك سهل التناول، والتحقيق في هذا العلم أمر وراء ذلك، والتشاغل بمثل ذلك بطلالة وتمويه على العوام بأمور تشبه إدراك الغيب، وذلك مذموم شرعا.

وله رضي الله عنه قصيدة في علم التوقيت أكبر من الروضة⁽¹⁾ بالغ في تجويد نظمها وأتقن فيها الفن غاية الإتقان، وخالف كثيرا من المؤلفين في ذلك الفن في أشياء بين حقيقتها بالدليل والبرهان، وقرب العمل فيها بضوابط وقواعد مبنية على الإحصادات الصحيحة الواقعة في هذه الأزمنة القريبة، كأرصادات السلطان أولغ بيك أحد ملوك العجم المتأخرين تمهر في هذا الفن غاية، وجمع من علماء مملكته من هو مثله في تحقيق الفن، فاستعان بهم في تحقيق ما رامه من ذلك، ولم يقلد الأقدمين ولا بعدهم في شيء من تلك الأشياء، فرصد بنفسه هو وأصحابه ما احتاج إلى رصده، حتى تحقق له ما يبيني عليه الأعمال المطلوبة حسبما ذكر، كل ذلك في أول زيجته الذي هو أصح الأزياج في زماننا هذا على ما قال أرباب ذلك الفن.

ولصاحب الترجمة شرح على منظومته المذكورة أجاد فيه غاية الإجابة أعانه الله على إكماله، وقد كنت أردت كتابة ما كتب منه فلم يتيسر لي، ومن نظمه الدال على براعته قصيدة أجاب بها أبياتا لصاحبه الشيخ يحيى بن الباشا الأحسائي⁽²⁾ نزيل المدينة، وهي كما ترى ثمانية أبيات من المديد رويها الهمزة، وتتفرع عنها عدة أبيات من أبحر شتى حسبما رسم فوقها، وأوائل حروف الأبيات الأصلية حروف: (يا يحيى خذ) مشبرا إلى قوله تعالى: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة)⁽³⁾ على طريق الاقتباس، ويغتنر ما فيها من الركابة وعدم الانسجام لأجل ما اشتملت عليه من أفنان الفنون ويانع الغصون:

(1) يشير إلى كتاب: روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار، وهي منظومة في 336 بيتا، توجد منها نسخة بالخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط تحت رقم: 1596 د، وهي لأبي زيد عبد الرحمن بن أبي غالب الشهير بالجادري المتوفى سنة 539 هـ: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية 32:1.

(2) يحيى بن علي باشا، الأحسائي المدني الأمير، فقيه متصوف، ولد بالأحساء وبها نشأ، تلقن الذكر واليس الخرقه، جاور بالمدينة إلى أن توفي سنة 1095 هـ: خلاصة الأثر 476:4.

(3) مريم: 12.

[illegible]

ي	يفعت غرة بدر تباها	لامعا وجهها سمي الذكاء
ا	ارتقى على الأنام ضياه	ساطع عطرا شدي النداء
يـ	يقظ فطن أريب ليب	شامخ الجعد ذكي النهاء
حـ	حاكم نظم اليتامى ذكاه	بارع شعرا سني البهاء
ي	يقضي شكرا علينا ثناه	باهر الحسن بمي النقاء
أـ	أصله عند انفحام حبه	رافع قدار ولي اللواء
خـ	خطبه في نسج نظم بديع	بحره طام وفي العطاء
ذـ	ذا رشاعبق الخزام شداه	هامع زهرا زهي الصباء

ثم كتب بإثر الأبيات نثراً نصه: دونكها بكرةً تدانيها، لأنك أخو أيها، اقترحها فكر بارد، وقدحها زند خامد. قال تعالى: (يُخرج الحي من الميت)⁽¹⁾، وفقتها من القصائد عشراً، وفوقتها من النوافح نشراً، لتكون مكان قصيدتك بمالها، والحسنة بعشر أمثالها، ولهذا ساوت بقصائدها الظاهرة أبيات قصيدتك الباهرة، فإن لاقيتها في فوزها بسعادتها، أو ألقيتها في خسارتها في تجارتها، فإن قلت الشعر بالشعر ربا، والتفاضل في البيع ربا، قلت: التفضيل عند المالكية حاصل، والتحصيل بعد المعية فاصل، وقول باهرتك إن القريض على العبيد عسير علي بمعنى عند، وسبق القلم، فكتب محل الكاف عينا، والثاء سينا، تدنيك منه بنكتة كالشمس خفاها، والضياء دجاها، وصلى الله على من لا نبي بعده، ولا يخلف وعده، سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

لطيفة:

ومن مفادات صاحب الترجمة ما رأيته في مجموع له بخط سيدي الطيب ابن أحمد البوعناني الجزائري، وذكر لي أنه رواه وكتبته من خط من ذكر، ونصه: الحمد لله، وجد بخط سيدي أحمد بن أيوب ما نصه: وأما الواو من: وصلى الله بعد البسملة فهكذا هو في حكي المؤلف، رحمه الله، يعني سيدي عبد الرحمن الثعالبي⁽²⁾، وقد رويته عنه بواسطة الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن منصور الجزائري⁽³⁾، ابتدأت عليه قراءة الرسالة لأبي محمد بن أبي زيد فقلت: باسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد، قال: قل وصلى الله، فإني لما ابتدأت رواية البخاري على سيدي عبد الرحمن الثعالبي فقلت: باسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد. قال لي: قل وصلى الله، فإني لما ابتدأت الختمة على الأستاذ سيدي أبي جمعة ببجاية أريد الجمع، قلت: باسم الله الرحمن الرحيم صلى الله. قال لي: قل وصلى الله فإني رأيت سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فاستأذنته أن أقرأ عليه القرآن، وأذن لي فقلت: باسم الله الرحمن الرحيم صلى الله

(1) الأنعام: 95.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) أبو عبد الله محمد بن منصور قشور الجبالي الإفريقي، العالم الفقيه المحرر، اخذ عن الشيخ أحمد بن الشيخ الصالح محمد بن عبد الكريم المرساوي المتوفي سنة 1012، له بغية ذوي الحاجات في معرفة تقرير النفقات، قال ابن مخلوف: لم أقف على تاريخ وفاته: شجرة النور الزكية 423:1.

على سيدنا محمد وآله. قال: صلى الله عليه وسلم قل: وصلى الله، فهذا ما حدثني به سيدي محمد بن منظور بالجامع الأعظم من مدينة الجزائر أمنها الله، ولهذا لم يوجد بخط هؤلاء الشيوخ إلا بإثبات الواو، ولهذا لم أكتبه بخطي بإثباته اقتداء وتبركا بهم. هذا ما وجد بخط سيدي أحمد بن أيوب في نسخة من الأنوار نسخها من خط مؤلفها الشيخ الثعالبي ذكر ذلك في آخرها بعدما ذكر أنه لم يغير ما وجد بخط الشيخ من شكل ولفظ. ومن جملة ما وجد بخطه ما ذكر، وجده الطيب بن أحمد البوعناني. هـ ما وجدته بخطه بحروفه، وأخبرني عنه صاحب الترجمة فاتصلت لنا روايته بحمد الله تعالى.

ومنهم الماجد الغطريف، الشاب الظريف، مدرس المالكية بالحرم الشريف، الفقيه الأرضي، النبيه المرتضى، الشيخ حسن البري⁽¹⁾، قرأ ببلاده⁽²⁾ وهو البر الكبير الذي على صعيد مصر المتصل بأطراف الحبشة، وإليه تنسب طائفة من طلبة العلم لقيناهم بالحجاز ومصر، فيقال⁽³⁾: فلان البري، ثم دخل مصر بعد ذلك ولم تطل إقامته بها، ثم قدم المدينة فاستوطنها، وخلق فنائها ممن يحسن المذهب المالكي قدمه من بها من المالكية للتدريس لهم، وجمعوا له الكتب، وهو رجل جهوري الصوت طلق اللسان، له جرأة على الأمور مع أخلاق حسنة وسلاسة طبع وحسن تودد إلى الخلق ولطف مباشرة، ونقاوة بزة، وحلاوة رواء، ومقاربة شكل، فحلا في أعين الناظرين بذلك، ونفقت له سوق عند الأغوات والمجاورين والورددين، فراشوا من جناحه ما هاضه الدهر، وعاملوه من فضول أمواهم بما حسنت به حاله ونظفت أثوابه وتعطرت أردانه، فلم يكن في مدرسي المالكية هناك من يناويه مع أنه ضعيف التحصيل في الفقه الذي هو أشهر علومه التي ينتحلها، وربما أقرأ الحديث، كمصاييح البغوي والشمائل، وبضاعته في ذلك مزجاة، بل مرجاة. ولما قدمت المدينة واستوطنتها أشار عليه صاحبنا سيدي محمد بن سليمان⁽⁴⁾ بملاقاتي، وأثنى علي عنده فجاء إلي واعتذر عن تأخره عن لقائي بعدم العلم بحالي، وأحسن الملاقاة وتلطف في السؤال، وأضافنا في منزله إلى أن رأى إقبال الطلبة علي

(1) حسن البري، مدرس المالكية بالحرم الشريف، ترجم له صاحب نشر المثنائي نقلا عن الرحلة العياشية:

نشر المثنائي 2: 389.

(2) في ط: بلده.

(3) ساقط من ط.

(4) يقصد محمد بن سليمان الروداني الذي تقدمت ترجمته.

وإلزامهم لي إقراء مختصر الشيخ خليل في الحرم الشريف، فكأنه غار من ذلك لما رأى من اتساع الحلقة، فخشى أن أعزله من منصبه، أو أحول بينه وبين مطلبه، فتحامى الجلوس عندي والتردد إلى حتى استيقن الخبر من عند بعض أصحابنا أن ليس قصدنا دوام الاستيطان، وإنما هي مجاورة عام ثم الرجوع إلى الوطن، وسأل عن حالي في بلادي وعن طبعي في إرادة التصدر والتقدم على الأقران حتى أمن مما كان يتوهمه من قبلي، فأقبل علي كل الإقبال، وقرأ علي بعض أشياء عندما قرب ارتحالتنا من المدينة إلى مكة، كالحكم العطائية ومنظومتي في البيوع وبعض الشمائل وغير ذلك، واستجازني فأجزته، وكان قد تزوج امرأة من أهل^(١) المدينة ورزق منها ولدين، وكان كثيرا ما يتشكى لي مما يلقي من عوائد نساء المدينة، وأنه لولا علة الأولاد لما تحمل من ذلك ما تحمل، ثم مات الولدان أحدهما بإثر الآخر، فتألم لوفتهما وكتبت له أعزیه، لأني إذ ذاك فضلة مرض لم أتمكن من لقائه، وهذا ما كتبت:

[طويل]

هنيئا لقد قدمته فرطاً يجري	أمامك يسروهم في موقف الحشر
فطب بقضاء الله نفساً فكل ما	قضاه لعبد مؤمن غاية الخير
ولست بحمد الله ممن تروعه	وإن عظمت أوجالها صدمة الدهر
لأنك تدري ما يكون جزاء من	يقابل حكم الله إن جاء بالصبر
ومثلك عندي لا يُنبه إنما	يُنبه غير عند مُشبه الأمر
على أن هذا النجل عصفور جنة	تبوأ منها حيثما شاء في وكر
فأكرم بما من فضلة منك ضمها	بطيبة لحد طيب عبق النشر
ومن قبلها أخرى فصار كما أتى	عن النار والأهوال من أوثق الستر
أعزبك لا أُنِي أسليك بل لما	جرى سنة في الدين مشتهر الذكر
فحق عليكم سيدي عوض الأسى	سرور بما قد نلت من أعظم الأجر

(١) ساقط من ط.

حباك ألنى من قد حباك الذي به تفردت في العليا من الحُسن والبر

ولم لا تنال الفضل أجمعه وقد تجمع كل الفضل في الحسن البري

ومنهم الناسك الخاشع العابد الخاضع المقرئ الفصيح، البر النصيح، المتواضع الزاهد، حليف المساجد، الفقيه النبيه، سيدي الشيخ محمد الفزاري من أقدم المجاورين بالمدينة المشرفة، وأكثرهم للأماكن التي هناك تزار معرفة، قدم من بلاده فزاره التي بين أعالي النيل وأرض السودان، فاستوطن المدينة قريبا من أربعين سنة، وله مشاركة في فقه مالك، يتقن قراءة القرآن، وهو دائما يقرئ الأطفال بمؤخر المسجد الشريف من دون مشاركة على أمر معلوم، فمن دفع له شيئا أخذه، ومن أبى لم يطالبه، والناس يتبركون به ويرون ظهور بركته على أولادهم، فيتنافسون في القراءة عنده، ويأوي إليه الغرباء فيبصرهم ويقوي قلوبهم ويحضرهم على آداب المجاورة، ويعاملهم بما قدر عليه، وكان من أكثر الناس علي إلحاحا في التقدم للإقراء بالمسجد، وكان يحضر عندي، وأعاني بما احتجت إليه من إعاره الكتب، وكانت على يده خزائن من كتب الوقف، منها كتب السيد محمد بن إسماعيل المسناوي التي أوقفها وبعث بها من المغرب، وذكر لي أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم مرارا في النوم، ولقي كثيرا من الأعلام القادمين على المدينة، وانتفع بصحبتهم، إلا أنه غلبت عليه العبادة، وليس له اعتناء بالرواية.

لطيفة:

أخبرني رضي الله عنه أنه كان بالمدينة المشرفة رجل مغربي من أهل القصر في السنة التي مات فيها الولي الصالح المجاهد سيدي محمد بن أحمد العياشي⁽¹⁾، قال: فجاءني ذات يوم وقال لي: إني رأيت في النوم أختي، ورأيت رجلا جالسا مقطوع اليد تسيل دما. فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا الإسلام، قطعوا يدي بسلا. قال: فلما أخبرته قلت له: الذي يظهر لي من رؤياك أن الرجل الصالح المجاهد الذي كان

(1) محمد العياشي، اشتهر بالتصوف والجهاد ضد الوجود الأجنبي بالمغرب، قتل عام 1051 هـ: انظر الدرر، ص: 113.

بسلا قد قتل. قال: وبعد ذلك في آخر العام قدم الحجاج من المغرب وأخبرونا بموته رضي الله عنه.

ومنهم صاحبنا الأديب الماهر الأريب الباهر، أحد الخطباء بالحرَم النبوي، متولي خطة الفتوى على مذهب مالك بالمدينة المشرفة الخطيب أحمد بن محمد بن عبد القادر المالكي، أصل سلفه من بلاد المغرب، ولأسلافه بالمدينة صيت، ويبتهم مشهور بالعلم والتقدم في مذهب مالك إلى أن اتسعت بهم الآراء، فانتقل بعضهم إلى مذهب الحنفية، وصار اليوم أمثل من فيهم ممن تمذهب بمذهب مالك صاحب الترجمة، وأخوه الخطيب عبد الرحمن، إلا أن صاحب الترجمة مع ما أعطى من فرط الذكاء وجودة القريحة ألهاه عن الاشتغال بالعلم الولوع بالفلاحة والزراعة وتثمين المكاسب بالقيام على ضياعه ورباعه، فيغيب في العوالي أياما عديدة، فلا يكاد يرى في المسجد إلا أيام الجمع أو ما ضاهاه، وكانت بيني وبينه ألفة قديمة ومعرفة أكيدة من لدن أول قدمائي للمدينة سنة تسع وخمسين، ولم يزل بعد ذلك يكاتبي وأكاتبه، ولي فيه عدة قصائد منها ما كتبت به إليه من المغرب، ومنها ما أنشأته بالمدينة في بعض تلك القدمات.

ولما من الله بالمجاورة في هذه السنة طوى كشحا عن المواصله، ولوى ذنبه عن المثافنة^(١)، متعذرا بكثرة الأشغال، والغيبة في افتقاد الضياع والأموال، ولم اقبل له في ذلك عنرا، بل رأيت ذلك في عتابه أخرى كما قيل:

[كامل]

إني لأعذره لكثرة شُغله وألومه إذ لستُ من أشغاله

ومع ذلك لم أظهر له موجدة ولا ازورارا في المعاملة، بل طويت البساط بما فيه، ولم أصرف عن طريق المجاملة، ولنذكر شيئا من نظمه، ليستدل به على قدر نبله، فإن كلام المرء ميزان عقله، فمن ذلك قصيدتان موجبتان كتبهما لي بخطه فلنوردهما تبركا بالممدوح صلى الله عليه وسلم، وتيمنا بذكر بعض أوصافه العلية.

القصيدة الأولى:

[بسيط]

(١) المثافنة: المثافن: المواظب. ويقال: ثافنت فلانا إذا حابيته تحابته وتلازمه وتكلمه: لسان العرب: ثفن.

بشراك يا عينُ هذا منتهى الأملِ
هذا الرسولُ الذي ما خابَ سائلةُ
هذا الذي قد رقى فوق البُراقِ إلى
هذا الذي قد براهُ الله جل ثنا
محمد أحمدُ المحمود أفضلُ من
محمد أحمدُ الماحي بعثه
محمد سيدُ الكونين أكرمُ من
ولا تُعد ولا تُحصى فضائله
فكم له مُعجزاتٍ ليس يُنكرها
نطق الغزال وضَب الذراع ور
والجدغ حن إليه حين فارقته
ومنبعُ الماءِ عذبا من أصابعه
وكم أفاد مريضا لمس راحته
وكم شواهدُ صدق للنبي أتت
توراةُ موسى وإنجيل ابن مريم قد
بأنه خاتمُ الرسل الكرام وخير
وحسب طه كلامُ الله معجزة
يتلى ويعجز عنه أن يعارض أو
فيا نبي الهدى إني ببابك لا
وقفتُ بالبواب إذ ما لي سواه وإن

وذا الجوادُ الذي بالمكرمات مُلي
فاستمطري من نِدا إحسانه وسلي
أدنى من القابِ فضلا غير منتحلِ
ه نعمة للورى يُنجي من الخطلِ
هدى سواءَ طريقٍ واضح السبلِ
ريب الطغاة بُغاة الزيغ والزللِ
مشى على الأرض من حافٍ ومنتعلِ
فكل فضل له من سابق الأزلِ
إلا الجحودُ بزور الإفك والجدلِ
د الشمس منها ومنها منطقُ الجملي
حين ثكلى شجتها لوعةً الشكلي
أروى به الجيشَ بعد الري بالنهلِ
برءا أزالَ الذي يشكو من العللي
كالشمس ما إن يراها غير ذي مُقل
جاءا بتصديقٍ وحي في الزبور تلي
ر الخلق طُرا من الآتين والأولِ
وحي من الله حق غير مفتعلِ
يوتى بمثل له والحق فيه جلي
أرجو سواك لما ألقى من الوجلي
كنتُ المسيء بما كُلفتُ من عملِ

وليس يأوي الفقى إلا لسادته
يا صاحب النجوة العظمى أغث دنفا
لا تتركنه لا يرى الحادثات ففى
وكن له ولأسلاف له سلفوا
عليك أزكى صلاة الله يصحبها
وآلك الطهر والصحب الكرام ومن
القصيدة الثانية:

إن نابه خطبُ سوء كارث جلي
أودى به الحالُ في حل ومُرتحل
جميلُ جُودك ما يُغني عن الحيل
واشفعُ له ولهم يا أسعدَ الرسل
أزكى سلام لدى الإشراف والطفل^(١)
والى سيلهم الحُسنى وكل ولي

[بسيط]

العفو شيمة زاكي الأصل والشيم
وأن يُضام نزيل الأكرمين وإن
فكيف أخشى الرزايا وأخوفها
ولي جوار له ما زلتُ آمله
فإن تبتت وجوه البوس قاطبة
وإن دجا خطبُ ليل كارث فيه
محمد أشرف الكونين مُعتمدي
يا صاحب الجاه يا ذخر العباد أغث
يا أسعدَ الرسل ما لي غير فضلك في
ببابك المُرتجى في كل نائبة
وأنت تعلم ما لقيتُ من غير

والصفح عادة أهل الجود والكرم
كانَ المسيءُ كثير الإثم واللمم
ولي بطة ذمام غير مُنصم
وأرتجيه وحسي منه معتصم
فجاءَ أحمد ينجيني من السقم
أجلو غياهبَ ما أخشى من الظلم
وسيدُ السادة الآتين والقِدم
وانظرُ لعبدك فيما حل من ألم
ما قد ألم فقد أودت به همم
وقفتُ أرجو حفاظا عالي الأطم
وخصم سوء كثيرا البغي والخصم

(١) الطفل: الليل: لسان العرب: طفل.

إليك أشكوه والأحشاء في حرق	والقلب في وجل والدمع في ديم
فإن يك أحمد بن المالكي جنا	فليس يقصر عنه سابغ النعم
عليك أزكى صلاة الله يصحبها	أزكى سلام زكي غير منقسم
يعم آلك والصحبة الكرام ومن	والى سيلهم من سائر الأمم

أسبل عليك ستر التغاضي، فإن منشئها بإظهار قبائحها غير راضي، العبد الفقير، المعترف بالتقصير، راجي رحمة الملك القدير، أحمد بن محمد بن علي المالكي المدني.

ومما خاطبته به ونحن بالمدينة المشرفة عام ستين وألف، وينتظم من أوائل حروف كل بيت: مولاي أحمد الخطيب، وهي هذه:

[طويل]

مُنَايَ وَإِنْ عَزَّ الْمُنَى قُرْبَ سَيْدِي	وَحَتْفِي عَلَى تَيْسِيرِهِ عِنْدَهُ بُعْدِي
وَلَا عَذَرَ لِي إِنْ لَمْ أَتِهِ كَلْفًا بِهِ	بِتَيْهِ وَوَجْدِي فِي مَحَبَّتِهِ رُشْدِي
لَهُ هِمَّةٌ تَسْمُو عَلَى هِمَّةِ السَّهَا	وَوَجَّةٌ كَبْدَرِ حُلِّ فِي مِزَلِ السَّعْدِ
أُظُنُّ وَإِنْ شَطَطَتْ بِيَ الدَّارُ مِنْهُمْ	تَعَاظَمَ وَزَرِّي لَسْتُ أُحْرَمُ مِنْ قَصْدِي
يُودُ قُؤَادِي قَرْبَهُ لَيْثُ شَعْرِي مَا	يُكَافِي بِهِ قَلْبِي عَلَى ذَلِكَ الْوُدِ
أَوْ مَلُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ جَزَاؤُهُ	وَصَالٍ لَيْسَ يَشْفِيهِ مِنْ أَلَمِ الْبُعْدِ
لَأَحْظَى بِمَا يَشْفِي غَلِيلَ الْفُؤَادِ مِنْ	جِوَارِ إِمَامِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدِ
خَطِيبِ الْوَرَى فِي الْحَشْرِ أَحْمَدِ سَيْدِي	عَلَيْهِ صَلَاةُ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْفَرْدِ
طَمَعْتُ أَنْ أَلَّ مِنْ وَصَالِكَ بَعْضُ مَا	بِهِ نَلَتْ أَنْتَ مُوجِبُ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ
يَعْنِي بِهِ صَدَقًا لَقَدْ شَاعَ ذِكْرُهُ	مِنْ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى إِلَى بَلَدِ الْهِنْدِ
بَنَى الْأَقْدَمُونَ اللَّهُ يَرْجِيهِمْ لَهُ	مِنْ الْمَجْدِ مَا يَرْضِيهِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ

أُعْطَى عُيْدُ اللَّهِ حَسَنَ جَوَارِكِهِ بِطَيْبَةِ فَارَ بِالْمُنَى جَارُ أَحْمَدِ
حِمَاهُ أَتَيْتُ مُثْقَلًا بِجِرَائِمِي وَوَزَرِي مَا أَخْفِيهِ مِنْهُ وَمَا أَبْدِي
مَدَدْتُ يَدِي أَرْجُوهُ فَامْتَلَأْتُ بِمَا تَسَاقَطَ حَوْلَ الْبَابِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَيْدِي
دَوَاءُ ذَنْبِي فِي لِقَائِهِ وَإِنَّمَا مُنَايَ وَإِنْ عَزَّ الْمُنَى قَرَبَ سَيِّدِي

[وكتبت إليه من المغرب في عام ثلاثة وستين وألف ما نصه: غاية الأمان
وشفاء المتيمم العاني، ونهاية مطلوب الهائم الشائق، ورغبة التائه التائق، مَنْ إليه
القلوب وامقة وعيون البصائر رامقة، من له سويداء القلب محل، ونومي وسهادي
حرم وأحل، من هو في جملة المحاسن المثل السائر؛ سيدي أبو العباس أحمد بن محمد
بن علي بن عبد القادر، رزقني الله من مودته النصيب الطويل المديد البسيط الوافر
الكامل، ولا حرمني من امتداحه بما، غير مستوعب لحاسنه ولا كامل، عليه مني،
ومبلغ إليه، إن شاء الله، عني تجديدًا لوصاله واستجداء لنواله:

[طويل]

سَلَامٌ كَعَرَفِ الْمَسْكِ أَوْ كَجَنَّا النَحْلِ سَلَامٌ كَوَقَعِ الْغَيْثِ فِي زَمَنِ الْخُلِ
سَلَامٌ عَمِيمٌ يُخَجِّلُ الرُّوضَ عَرْفُهُ سَلَامٌ بِهِ تُعْطَى مَنَانًا مِنَ الْوَصْلِ
يَوْمَ أبا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ مِنْ لَهُ بَقْلِيَّ وَد ثَابِتَ الْفَرْعِ وَالْأَصْلِ
خَطِيبٌ وَلَا غَيْرَ الْقُلُوبِ تَجِيبُهُ جَوَادٌ وَلَكِنْ لِلْمَتِيمِ بِالْقَتْلِ
خَطِيبٌ لَهُ تَعْنُو الْقُلُوبُ مَهَابَةٌ عَلَى مَنَبَرِ الْحُسْنِ الَّذِي جَلَّ عَنْ شَكْلِ
عَلَوْ وَحَدَّ مِنْهُمَا رُكْبَ اسْمُهُ وَيَنْهَمَا مَا شَتَّ مِنْ خُلُقٍ سَهْلٍ
هَنِيئًا لَكُمْ مَا نَلْتُمُ مِنْ جَوَارِ مَنْ أَمْتُمْ بِهِ مَا تَتَّقُونَ مِنَ الْهَوْلِ
فَلَا تَمْنَعُوا الْمُشْتَاقَ فَضْلَ دُعَائِكُمْ وَحَاشَاكُمْ أَنْ تَمْنَعُوا فَضْلَةَ الْفَضْلِ

مولاي عبدكم المحب لكم الودود، قد أنحل جسمه الصدود، وجاب في
محببتكم الأغوار والنجود، وأذهب رونق شبابه الهجود، وطالت عليه أيام الفراق،
وتضرمت في حشاه نار الاشتياق، وضاق ذرعاً بالأسى والقلق، وعيل صبره على

السهاد والأرق، وازدحمت عليه الهموم والأنكاد، وفني من هول ما يلقاه أو كاد، يمثل له الحسن سُويعات مضت بقربكم، وأويقات تنعم فيها بلذيد وصلكم؛ إذ عين الزمان عنا غافلة، وصروفه آفلة، ودعاوى الفراق باطلة، وأجساد الغرام عاطلة، وركائبنا في جنى اللذات ناصبة عاملة، ومعامل الأنس للمحب والمحجوب شاملة، فانتهزنا من فرص المسرات أطيبها، ووردنا من موارد اللقاء أعذبها، فيا لها من ساعة فرجت على المحزون بعض كربه، وما أحسنها من أويقات لو وُزِنَت بالعمر لرجحت به، إلى أن انتبه لنا الدهر بخيله ورجله، ورمانا عن قسي التفرق بمصميات⁽¹⁾ نبلة، فيا له من تذكر أردف الزفرات بالزفرات، وأعقب الحسرات بالحسرات، وأتبع القلوب والأكباد بنار البعاد، فكنت كثيراً ما أنتشق من ريح الحجاز نسيمه، وأرتقب من ناحيتكم تيممة⁽²⁾ تشفي لواعج الغرام، وأتعوذ بها من تباريح الانصرام، تتضمن نبذة من أخباركم، وتبشرني بأنني لم أزل أختلج في أفكاركم، وإن غبت عن أبصاركم ونأيت عن أمصاركم، لتيقني أن تفكيركم إياي في تلك الحضرة وجريان ذكرى على لسانكم في دار الهجرة ينتج لهذا العبد دعوة مقبولة يبلغ بها في حاله ومآله مأموله، لأن الدعاء خفيف المثونة لا يحتاج في استعماله إلى كبير معونة، هذا مع ترادف كتي إليكم وكثرة تلطفي عليكم، وشدة احتياجي إلى نوالكم، ودوام تعلقي بجالسكم، فبحق ما لكم في قلبي وقالي من المودة، وما كابדתه في طول هذه الغيبة الممتدة، إلا ما جعلتم ذكرى على بال، وكان لكم بحليف بعادكم اهتبال، فلما طال انتظاري، وعز اصطباري، وكدت أصدق الظنون الكاذبة في أن محبتي من قلوبكم ذاهبة، وتخيل لي أن حبال العهد قد ارتثت⁽³⁾ ودوحة المودة من أصلها قد اجتثت، حزنت لذلك غاية، وبلغ مني الوجع النهاية، لأن ما من الله به علي من معرفتكم، وأتحفني به من مودتكم، من أقوى العدد عندي وأسنى الذخائر لدي، اتخذته حصناً حصيناً في مهماتي، وملجأً ألتجئ إليه في ملماتي، لأن مودة أهل الفضل أمثالكم، وصحبة الناسجين على منوالكم، تُستجاد وتستحب، لأن المرء مع من أحب⁽⁴⁾، فكنت أتشوف بشدة تلك المعية، وأرجو بها الكون معكم في الرتبة السنية، وحين خامرني الجزع مما توهمت، أسبلت

(1) المصميات: التي تخرق العظم؛ والمصمم من السيوف: الذي يمر في العظم: لسان العرب: صدم.

(2) التيممة: عوذة تعلق على الإنسان: لسان العرب: تم.

(3) ارتثت: انحلت: لسان العرب: رثا.

(4) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: المرء مع من أحب: صحيح مسلم 4:3420.

الدمع وهيئمت^(١)، وأعملت البراع وترنمت، وأخذت القرطاس ورقمت مخبراً عما
يلقاه القلب فيكم من الهيمان، ومادحا لكم بما ستراه من الهذيان^(٢):

[مخلع البسيط]

يا بَيْنُ أُنَى لَكَ انْقِطَاعُ	يا وَصْلُ أُنَى لَكَ ارْتِجَاعُ
يا دارَهُمْ بِالْحِمَى أَبِينِي	هل لي بِسَاكِنِكَ اجْتِمَاعُ
وهل تَعُودُ لَنَا لِيَالِ	مَضَتْ بِقَرَبِهِمْ سِرَاعُ
يا سَائِلِي مَا الَّذِينَ تَعْنِي	سِرُّ الْأَحْبَةِ لَا يُذَاعُ
كَيْفَ تُرَجِّي الْجَفُونَ نَوْمَا	وَالْجِسْمُ لَيْسَ لَهُ اضْطِجَاعُ
أَمَّا لَكُمْ حَائِزِينَ قَلْبِي	إِلَى عِيْدِكُمْ اصْطِنَاعُ
أَطْوِي عَلَى الشَّامِتِينَ مَا لَا	أَطِيقُ لَوْ كُشِفَ الْقِنَاعُ
عَلَى النُّوَى سَلُّطُوا وَصَالَا	بِهِ يَكُونُ لَهُ ارْتِدَاعُ
مَا لِلْحَشَا بَعْدَكُمْ حَمِيمِ	وَلَا شَفِيعٌ لَهُ يُطَاعُ
لَمْ يُلْهِهِ عَنْكُمْ قَصُورُ	وَلَا دِيَارٌ وَلَا رِبَاعُ
وَالْدَمْعُ مَذْغِبَتُمْ وَبِنَتُمْ	لَهُ عَلَى الْوَجْنَةِ انْدِفَاعُ
لَوْ تَرَكُوا فِي السَّمَاعِ يَوْمَا	ذَكَرَكَ مَا لَدَى السَّمَاعِ
وَالْأُذُنُ لَيْسَ لَهُ لَشْيَاءُ	إِلَّا لَذَكَرْكُمْ اسْتِمَاعُ
أَجُودُ بِالنَّفْسِ فِي لِقَاكُمْ	وَالْمَالِ وَالْأَهْلِ لَوْ يُبَاعُ
كَيْفَ تَطِيبُ الْحَيَاةُ مِمَّنْ	حَرَّمَ مِنْ وَصْلِكُمْ رِضَاعُ
أَمْ كَيْفَ أَنْسَى جَمَالَ خِلِ	وَفِي الْفُرَادِ لَهُ انْطِبَاعُ

(١) هيئمت: من الهيئمة؛ وهي الكلام الخفي لا يفهم: لسان العرب: هيئمت.
(٢) وردت القصيدة في كتاب: أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، ص: 334 - 335.

من كلف الصبر عن حبيب
جودوا بوصل على معنى
وقائل أين سار قلبي
قد عمّرت من سقام وجد
يا حسرتي إذ تُثوب عني
مقي أشافهكم وأحظي
وأعمل العيس ناصبات
وأجتني من ثمار وصل
خلائي إن جُزمتا بسبع
عوجاً بطيبة واطلبا لي
سلا خطيب الورى له من
أحمد نجل علي أبغي
هو لكل الورى جمال
لم يلتجئ لتعاضدنا
من آل بيت زكوا نفوسا
هم هم للورى غياث
لهم لكل الورى ابتسام
هم من اللاء قيل فيهم
يا من لأجل نواه عني
بلغ خير الورى سلامي

كلف ما ليس يُستطاع
له لأمركم اتباع
إلى الحجاز له انتجاع
هضاب قلبي واليفاع
في وصل داركم الرقاع
بالوصل ليس له دفاع
بجيت يُستعمل اليراع
ليس يُنقصه وداغ
وكان بي لكم انتفاع
قلبا وعقلا هناك ضاعوا
خير ما تطلبا اطلاع
وصاله وله امتناع
ولمّحاسنهم جماع
إن الشاء له متاع
وكرمتم منهم الطباع
من كل ما يُتقى جياغ
وعن متاعهم شباغ
يا أهل طيبة لوتراغ
في فنون الهوى ابتداغ
من لي في مدحه اتساغ

يا ملجأ الخائفين يا من	بـه تـشـرّفتِ البقاعُ
يا أفضل العالمين يا من	فوق السماء له ارتفاعُ
أنت الذي أخبرا بسّم	وضّع في لحمها الذراعُ
وأنت أهدّ من أقرت	بفضله الوحش والسباعُ
وقل عيذك عن لقاكم	قد عانة القدر المطاعُ
فاشفع له يوم لا يُرجى	للـهول ود ولا سُواعُ
صلى عليك الذي جانا	بك فكان لك ارتفاعُ
ما قال صب يروم وصلا	يا بين أئلى لك انقطاعُ

ومنهم صاحبنا ذو الحسب الأصيل، والمجد الأثيل، النحوي الأديب المشارك الأريب، الشيخ يحيى بن الباشا الأحسائي الحنفي، كان أصله من مدينة الأحساء، وكان والده من كبراء أمرائها، ثم انتقل إلى المدينة المنورة واستوطنها، وتملك بها أملاكاً وعقاراً، فنشأ ولده هذا وإخوته بالمدينة أحسن نشأة، وانتحل طلب العلم، وازور عن الرياسة الموروثة، وأقاربه إلى الآن هم أمراء بلدهم وذوو الرياسة في قومهم، وهو وأخوه معدود من أهل البيوتات والمجاهدة في المدينة، ملحوظين بعين التجارة عند الخاص والعام، لهم رواء ووجاهة لحسن حالهم ولما كان لسلفهم من الرياسة، وقد شدا صاحب الترجمة طرفاً من كثير من العلوم، وجل اعتناؤه بالنحو، وله فيه مشاركة حسنة، واعتنى بكتاب التصريح^(١) للشيخ خالد وجعله سميّره، وصيّره في الوصول إلى غيره من كتب الفن أميره، وربما قرض من الشعر أبياتاً على قدر بضاعته المزجاة فيه، وإياه أجاب صاحبنا سيدي محمد بن سليمان بالأبيات المتقدمة في ترجمته عن أبيات له كتب بها إليه، وبعدما طالت إقامتي بالمدينة كان ربما يأتيني ويسأل عن أشياء من علم العربية، وبينما أنا ذات يوم جالس أتاني بأبيات له على صورة لغز نحوي بخطه، وذكر لي أنها له، وطلب مني الجواب،

(١) التصريح بمضمون التوضيح، وهو شرح للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى النحوي الذي فرغ عنه سنة 890هـ: كشف الظنون 1:154.

وأكد علي ألا أطلع عليها أحدا من طلبة المدينة، فأجبتة عن لغزه بأبيات عديدة، وانتقدت عليه أشياء فيه، هذا نص ما كتب إلي:

[كامل]

يا مفرد الأوصاف صف لي ما طرا	واسمع حديثا مثله ما حُرِّرا
قد سرني سرورا وللعلا	لما أتى في صورةٍ منها يرى
فما على من ذاقه عتب إذا	من حسنه أبدى الذي قد أضمرأ
هل كل شيء لا كلام بل ولا	كلم ولا عن كلمة قد قررا
قول على من رامة سهل فكن	يا طيب الأنفاس عنه مخبرا
قد احتوى نظمي على لفظ له	فاعرب هديت ما اعتلى إذ كُورا
فهاكها أظهر لعناها وعن	بحر لها اخبر تُفد يا من قرا
علم العروض والقوافي واعتلا	هذا أتت قصدا لكم تبغي القرا
ثم الصلاة والسلام الفائق	أهديهما للمصطفى خير الوردى
والآل والأصحاب ما حاد حدا	يسري وما شوق بمشتاق سرا

وقد عني بلغزه ما ركب من الأعلام والأوصاف وغيرهما من الأسماء تركيب إضافة، وعني باشتمال نظمه عليه قوله مفرد الأوصاف، وقوله بعد طيب الأنفاس على ما فيهما من البحث الآتي في الجواب، وهذا نصه:

[كامل]

يا ناظما فوق الطروس دُررا	أزرت على دُر يُحلي الطررا
يا نائلا بين الدروس جوهرا	كل عُقول السامعين بهرا
يا مظهرا ما حير الأبواب من ير	في المعمى إذا غدا مُسترا
ما زلت تُبدي منه كل عجب	ما خلت في كتب مُسطرا
كل العلوم بكم تشرفت	لا سيما النحو بكم تبخترا

أبدیت منه لغزا لفهمه
ولیس کل ماهر یدرکة
وذاک فی کلمتین رُکبت
ترکیب تقييد وذا التركيب لا
ولا یسمى کلمما لأنه
ولا یسمى کلمة لأنه
وهو یسمى مُعرب مرکب
کمثل عبد الله ذو محبة
لکن فی کلامکم یا سيدي
فقولکم هل کان شيء صادق
لو قال شخص إن ما سألتهم
لکان صادقاً لأن ذاک لم
فکان ينبغي لکم أن تذكروا
وفیه أيضاً أنکم أتیتهم
وذاک ينفي کونه کلمتین
لأنه نكرة وهي کما
فإن لا رجلاً قطعاً شامل
فکان ينبغي لکم تقييده
ووارد أيضاً علیکم أن ما
کمفرد الأوصاف أو کطیب

لا یهتدي من لم یکن تهوراً
کم ماهر فی مثله تحیراً
إحداهما مع أختها بلا مِرا
یفیدُ فهو لا یسمى خبراً
من کلمتین مثلما تقررا
کلمتان حسب ما قد سُطرا
لفظاً وقولاً کل ذاک اشتهراً
لکم رجاکم تسمحوا إن عثرا
نقدنا سيئذو للذي تدبراً
بکل شيء لو یكون حجراً
عنه یصح أن یكون شجراً
یصدق علیه کل ما قد ذُکرا
بدلّة لفظاً یزیلُ الضرراً
بکلمة من بعد نفي قُردا
وکلما وکلمة کما تری
فی علمکم تم إن نفي عراً
فرداً وجمعاً ومثنی فانظرا
بما یفیدُ وحدة لیظهرا
قد جاء فی کلامکم مُکررا
الأنفاس فیهِ الخبر ينفي الخبرا

كلاهما إذا نظرتَ كلم
 فذي ثلاثُ أوجه ذكرها
 وقد رأيتُ في كلامكم سوى
 أعرضتُ عن إيرادها خشية أن
 عذرا إليكم سيدي فلم أرد
 فلا تظنوا غير ذا فإنني
 خدما إليكم سيدي خريدة
 حليتها بلؤلؤ من وصفكم
 من سابع الأبحر قد أخرجته
 نفسه بالفكر حتى صح أن
 حسي فما قدرت أن أحصر من
 أن يكون ذلك لي لو أنني
 لأن زال في الكل كلمة تُرى
 نقدا وتبيها لمن تذكر
 ما قد ذكرتُ وجوها أخرى
 يطول أو يقل من قد نظرا
 إلا التودد بما قد سطر
 أحبكم ومثلكم قد عذرا
 لمثلكم ترف إن راع القرا
 فعذبت لفظا وراقت منظرا
 صاف من الأقداء ما تكررا
 ينظم في سلك العلا محبرا
 أوصافك الغرا حتى العشر
 جمعت من كل اللغات حرف را

ومن المدرسين بالحرم الشريف الذين لم آخذ عنهم شيئا ولا أخذوا عني، ولا
 تأدى إلي من أخبارهم ما تتشوف النفس إلى معرفته سوى العلم بأسمائهم وبعض
 العلوم الذي يحسنونه؛ الشيخ إبراهيم الحجار أحد مدرسي الحنفية، عُمرى النسب
 من ذرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، له صوت جهوري لا يكاد
 الإنسان يسمع جليسه إذا أخذ في التدريس، ما سمعت في المدرسين في سائر البلاد
 أندى منه صوتا.

ومنهم الشيخ علي الضرير المالكي الأحسائي^(١)، جاور بالمدينة مدة طويلة،
 وله بعض معرفة بمذهب مالك. يدرس الرسالة أحيانا، وحضرت يوما مجلسه عند

(١) أبو الحسن علي المالكي، فقيه مفسر، ولد سنة 857 هـ، من مؤلفاته شروح على الرسالة لابن أبي زيد
 القيرواني، وحاشية على الترغيب والترهيب للمنذري في الحديث توفي سنة 937 هـ: إتخاف الأخلاء،
 ص: 182.

المنبر النبوي، يسرد عليه تفسير البغوي أو الدر المنثور للسيوطي لا أدري أيهما لطول العهد، فلم أسمع تحقيقاً ولا تحصيلاً، وهو رجل ذكي الطبع يكاد يحفظ كل ما يسمع، وربما هجم على إنشاء الشعر في بعض الأحيان، فتقع له أبيات تستطرف، في خلال الغناء الذي يسيل به واديه، سمعته ينشد ذات يوم مطارحات زعم أنها وقعت بينه وبين شيخنا تاج الدين المكي. وقد جمعتني وإياه قافلة في رجوعنا من مكة إلى المدينة، فرأيت منه عجباً، يركب النجيب⁽¹⁾ فيسير به العنق⁽²⁾، فإذا وجد فجوة نص⁽³⁾ من دون سائق ولا قائد. وأخبرني بعض أصحابنا أنه ربما يمر راكباً من المدينة على طريق الفرع⁽⁴⁾، فيتقدم أمام القفل وحده فلا يخطئ الطريق مع توعرها، وكثرة شعابها، والتفاف أشجارها، فينفذ فيها نفوذ الماهر الخريت. وما رأيته قط بالمدينة وأفئيتها ولا في الطواف والسعي يحتاج إلى قائد.

ومن طالع نكت الهميان في نكت العميان للصالح الصفدي لا يستغرب مثل هذا من ذكائهم وفطنتهم، وناهيك بما يحكى عن الإمام الشاطبي أنه مرّ بموضع في سفرة له وهو راكب فأنحنى فوق الدابة، فقيل له في ذلك. فقال: أليس ههنا شجرة؟ فقالوا: ما نرى من شجر. فقال لهم: انظروا إن لم تكن هنا شجرة فلا تثقوا بشيء مما تأخذونه عني، فإنني مررت بهذا الموضع منذ عشرين سنة، وفيه شجرة، فحفروا فوجدوا عروق الشجرة وأصولها، وقد اندثرت فروعها.

ومنهم الشيخ محمد السوداني، رجل من أهل السودان، جال في بلاد المغرب، وقرأ في بعض نواحيه، ثم توجه منه إلى الحج، واستوطن المدينة مدة طويلة مرموقاً بعين التجارة، مظنوناً به الصلاح، ثم توجه إلى بغداد ودخل الكوفة، وحصلت له وجاهة عند من بتلك الناحية من المالكية، لشغور بلادهم ممن يحسن شيئاً من مذهبهم، وتزوج هناك، ثم حصلت له آفة في عينيه فكف بصره، ثم رجع إلى المدينة واستقر بها، وصار من المدرسين بها يقرئ المختصر قراءة ضعيفة، وهو لا يمشي إلا بقائد حتى في المسجد، خلاف الذي قبله، لأن هذا عمي في الكبر، وهذا شأن غالب من عمي في كبره.

(1) النجيب: النجيب من الإبل؛ الخفيف السريع: لسان العرب: نجب.

(2) العنق: العنق من السير المنبسط، وأعنق: أسرع: لسان العرب: عنق.

(3) نص: النص والنصيص: السير الشديد والحثيث: لسان العرب: نصص.

(4) الفرع: موضع بين مكة والمدينة: لسان العرب: فرع.

ومنهم صاحبنا ذو الحسب الزكي، النسب العلي، والخلق الشهي، والعقل الذكي، السيد محمد بن رسول الشهرزوري بلدي شيخنا الملا إبراهيم وأجل تلامذته، وشاركه في الأخذ عن كثير من مشايخه، قدم المدينة واستوطنها بعد الملا إبراهيم، وأخذ عن شيخنا صفى الدين القشاشي، وظهرت عليه بركته، وله فهم رائق في علوم متعددة، ربما درس بالحرم الشريف في فقه الشافعية، أطلعني على رسالة له كتبها في الانتصار لمذهب الإمام الشافعي في الجهر بالبسملة أول الفاتحة، وأنها آية منها، وذكر لي أن سبب تأليفها أن بعض طلبة الحنفية قال له: لا مستند للشافعي قطعي في ذلك، فتأملت الرسالة، فوجدته قد تصرف فيها تصرفاً حسناً، وذكر الأدلة من السنة الواردة في ذلك، وبني القطع بها على ما اشتهر عند متأخري المحدثين أن ما اشتمل عليه الصحيحان للبخاري ومسلم من الحديث يلحق بالمتواتر لتلقي الأمة لهما بالقبول شرقاً وغرباً، واشتهار أحاديثهما عند علماء النقل، إلا أنه تحامل فيه على من نفى قراءتها ولم يثبتها، ورد مذاهبهم بأشياء لا تقاوم أدلة مذاهبهم عند تحقيق النظر، ولأجل ذلك قلت له عند مطالعتها إنها رسالة حسنة في بابها، إلا أنها إن كان القصد بها إثبات مستند لمذهبكم رداً على من زعم نفيه، فهي وافية بذلك، كفيلة بتحصيل المراد مما هنالك، وإن كان القصد ترجيح المذهب على غيره، وتوهين أدلة من سواه، كما يظهر من فحوى كلامكم فيها، فلا تستقل بذلك، فقد ذكر علماء الحديث بعدما حصلوا طرق الأحاديث الدالة على إثباتها والقراءة بها في الصلاة، وتعاضدها أنها بجملتها لا تقاوم رواية أنس الواردة في الصحيحين وغيرهما، الدالة على عدم قراءتها لصحتها وشهرة روايتها، بحيث لا مطعن فيها ولا مغمز، فما ظنك بها إذا انظم إليها غير ذلك من الأدلة التي استدل بها المخالفون، ولصاحبنا هذا نية صالحة وسلوك في طريق القوم على يد شيخنا القشاشي، وقد قرأ علي طرفاً من الشفا واستجازني فأجزته.

ومنهم الشيخ المسن المعقولي المفسر الملا نافع العجمي^(١)، شهير الصيت عند علماء العجم وعند أرباب الدولة، تنال عليه صلاتهم في كل أوان، ويرون له مزية على غيره، وقد سكن المدينة مدة، وهو شيخ كبير قد أصابته آفة في رجله، فصار يمشي على عصوين، يقرأ عليه تفسير اليبضاوي في الحرم الشريف، ولا يحضر

(١) نافع العجمي، من أهل القرن الحادي عشر، تولى الإقراء في الحرم الشريف باللمان التركي والفارسي: النقاط الدرر، ص: 246. نشر المثني 389:2.

مجلسه إلا الأتراك، أو من كان عارفاً بلسانهم، فإنه إنما يكون يقرر باللسان التركي والفارسي، ولذلك لم أحضر مجلسه ولم أستفد منه شيئاً، والعارفون بلسانه يثنون على حسن تقريره وجودة ملكته، رضي الله عنه.

ومنهم رئيس الخطباء وجمال الأدباء، واحد الفصحاء اللسن، الآخذ من براعة المنطق بطرف من الحسن البليغ، المفوه الفقيه الأفوه الخطيب أحمد البري الحنفي، هو من أعمام الخطيب أحمد المالكى المتقدم، إلا أنه تمذهب بمذهب أبي حنيفة ورأس عند الحنفية، وله بلاغة منطق، يتولى الخطبة في المحافل الكبيرة فيجيد، وله عدة أولاد مقتفون أثره في انتحال الطلب، رأيت اثنان منهما يحضران مجلس شيخنا بلر الدين الهندي، لا بأس بهما، ويحضران مجلس والدهما في تدريس فقه الحنفية، كتبت إليه قبل أن ألقاه أستعير منه طبقات التاج السبكي الكبرى، وأنا إذ ذاك متلبس ببقية مرض لا أتمكن من الخروج، وهذا نص ما كتبت له:

[طويل]

أسيدنا البري أحمد خير من	له المجد والبر العميم بلا شك
أؤمل منكم أن تُعيروا بفضلكم	لنا طبقات العالم الماهر السبكي
ولولا الذي قد عاق من مرض لما	تأخر عن تقبيل كفكم فك
على أنها الأيام تجري على الفتى	فطورا بما يرضى وطورا بما ييك
ولكنني والحمد لله لم أزل	أعابن لطف الله في الظلم الحلك
ومن كان جار المصطفى فهو آمن	من الدهر أن يغشاه بالبوس والضنك
فعجل بما أملت منك سيدي	فذلك للمعروف كالعرف للمسك
وأزكى صلاة الله ثم سلامه	على أحمد الهادي المتره عن إفك

فلما وصلت الآيات له، بعث إلى بالسفر الثالث منها، وذكر أنه ليس عنده غيره، وكتب معه بآيات جواباً على آياتي في عددها ورويتها، وهي هذه:

[طويل]

أبا سالم سلمت من عارض الضنك	وعشت مُعافى سالم الجسم والمسك
-----------------------------	-------------------------------

ووافتك في الأصباح مني تحية	تفوق على الكافور في العرف
لقد جاءني نظم توهمت أنه	هو الدر إلا أنه الفائق السلك
تروم به ما ألف السيد الذي	تأليفه شاعت لدى العرب والتürk
هو الندي تاج الدين أوحد عصره	ومن فاق في الترتيب والوضع والسبك
فها نبذة منها على حاجتي لها	وما غيرها عندي ولا دخلت ملكي
فعدرا وعدرا حيث قصرت حين لم	أزرك وكان اللوم مستلزم الترك
وذم سالما من كل سوء ممعا	بقرب مقام دونه شامخ الملك

وحيث كان القصد من هذه الرحلة جمع الفوائد، لا انتقاء الفرائد، فلنذكر ما انتقيته من الفوائد من السفر الثالث المستعار من طبقات السبكي، تكثيراً للفائدة، وهي مع طولها مستجادة مستحسنة، قل أن توجد في غيره لغرابة هذا الكتاب بمغربنا، فلم تقع عيني عليه، ولا سمعت أذني به عند أحد في قطرنا، والله الموفق.

الحمد لله، هذه فوائد انتقيتها من الطبقات الكبرى للسبكي بالمدينة المنورة، ولم يقع بيدي منها إلا السفر الثالث، ونص ما انتقيته وانتخبته، مع الاستعجال، كتبت عن صلاح الدين في النهي عن الخوض في الحرف والطوق، (لئن لم ينته المنافقون)⁽¹⁾، الآية: خرج أمرنا إلى كل قائم في صف، أو قاعد في أمام وخلف، ألا يتكلم في الحرف بصوت، ولا في الصوت بحرف، ومن تكلم بعدها كان الجدير بالتكليم (فليحذر الذين يخالفون)⁽²⁾ الآية. قال التاج السبكي: لا أشك أن هذا الفصل من كلام القاضي الفاضل أبي بكر بن قوام البالسي صاحب الأحوال والكرامات، المجمع على ولايته، ولد سنة أربع وثمانين وخمسمائة، ألف في مناقبه حفيده أبو عبد الله محمد بن عمر بن أبي بكر، وذكر له من الكرامات ما يبهر

(1) الأحزاب: 60.

(2) النور: 61.

العقول، توفي يوم الأحد منسلخ رجب سنة ثمان وخمسين وستمائة بالقرب من حلب، ثم نقل إلى قاسيون⁽¹⁾.

أحمد بن إبراهيم الشيخ عز الدين الفاروئي⁽²⁾، ذكر عنه أنه شاهد بالعراق رجلاً مكث سنين لا يأكل ولا يشرب. قال الذهبي: وذكر لي عدد أثق بهم أن امرأة بالأندلس مكثت نحو من عشرين سنة لا تأكل شيئاً، وأمرها مشهور. ثم ذكر قصة المرأة التي ذكرها الحاكم في تاريخ نيسابور، وفيها طول حاصلها أنها امرأة بعض الشهداء من بعض مدن خوارزم، اسمها رحمة بنت إبراهيم، وأن أبا العباس عيسى بن محمد الطهماني المروزي لقيها وسألها عن خبرها، فأخبرته بما حاصله أن زوجها مات في بعض الغزوات، وكان نجاراً فقيراً معيشتة من عمل يده يوماً فيوماً، ولها منه عدة أولاد، فلما مات أدركها عليه من الحزن ما يدرك المرأة الشابة على زوج أبي الأولاد، وجاء أولادها يطلبون الخبز، وليس عندها شيء، فضاق صدرها، قالت: فسمعت أذان المغرب، ففرغت إلى الصلاة، فصليت ثم سجدت أدعو وأتضرع وأسأل الله الصبر، فذهب بي النوم، فرأيت كأني في أرض حسناء أطلب زوجي، فوجدته مع قوم من الشهداء يأكلون، فناولني خبزاً فأكلته، فقال اذهبي كفاك الله مئونة الطعام والشراب ما حييت، فانتبهت من نومي شبعاً ريثاً لا أحتاج إلى طعام ولا شراب، ومكثت كذلك طول عمرها، وفي القصة طول اختصرناه⁽³⁾.

ومنها في ترجمة المحب الطبري⁽⁴⁾ أنه ذكر في شرح التنبيه [أنه]⁽¹⁾ يجوز قطع ما يتغذى به من نبات الحرم، غير الإذخِر⁽²⁾، كالرجلة⁽³⁾، لأنه في معنى الزرع⁽⁴⁾.

(1) طبقات الشافعية الكبرى 401:8. وانظر ترجمة البالسي في: مذكرات الذهب 295:3. طبقات الشافعية 9:3.

(2) أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرج بن أحمد بن سابور، أبو العباس الواسطي الشيخ عز الدين الفاروئي، ولد بواسط في ذي القعدة سنة 614هـ، وقرأ القرآن على والده وعلى الحسين بن أبي الحسن بن ثابت الطيبي، وسمع ببغداد من عمر بن كرم الدينوري والشيخ شهاب الدين السهروردي وأبي الحسن القطيعي وأبي علي الحسن بن الزبيدي وأبي المنجا ب، وحدث بالحرمين والعراق ودمشق، وكان فقيهاً مقرناً عابداً زاهداً صاحب أوراد، قدم دمشق من الحجاز بعد مجاورة مدة سنة تسعين تولى مشيخة الحديث بالظاهرية، ثم ولي خطابة الجامع ثم عزل منها فسافر إلى واسط وبها توفي سنة 694 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 7: 8 - 9.

(3) أنظر الحكاية في: طبقات الشافعية الكبرى، الجزء الثامن، ص: 7 وما بعدها.

(4) أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الحافظ أبو العباس محب الدين الطبري ثم المكي، شيخ الحرم، مولده سنة 615 هـ، سمع ابن المقير وابن الجمزي وغيرهما، روى عنه البرزالي وغيره، وتفقه بقوص على الشيخ مجد الدين القشيري والد شيخ الإسلام تقي الدين، وصنف التصانيف

ومنها في ترجمة أحمد بن عيسى بن القليوبي^(٥) أنه استنبط من قوله تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك)^(٦) الآية. أن ما يفعله علماء هذا الزمان من سعة الأكمام وكبر العمة، حسن، وإن لم يفعله السلف لأن فيه تمييزاً لهم، ليلتفت إلى فتاويهم^(٧).

ومنها أحمد بن عمر نجم الدين الكبرى^(٨) بن الجناب الزاهد، الكبير والكبرى، على صيغة فعلى، ومنهم من يمد فيقول الكبراء، جمع كبير، استوطن خوارزم، اجتمع به الفخر الرازي^(٩).

ومنها أحمد بن فرح^(١٠)، بالفاء والحاء المهملة، الإشبيلي نزيل دمشق، أخذ عن عز الدين بن عبد السلام، توفي سنة تسع وتسعين وستمائة، وله المنظومة التي أولها: غرامي صحيح^(١١).

ومنها لابن خلكان من جملة قصيدة^(١٢):

الجيدة منها في الحديث: الأحكام، وله مختصر في الحديث أيضاً رتبته على أبواب التنبية، وله كتاب في فضل مكة حافل وله شرح على التنبية مبسوط فيه علم كثير: طبقات الشافعية الكبرى 18:8 – 19.

(١) زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.

(٢) الإنخدر: الحشيش الأخضر: تاج العروس: نخر.

(٣) الرحلة: ضرب من البقل: تاج العروس: رجل.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى 20:8.

(٥) أحمد بن عيسى بن رضوان بن القليوبي أبو العباس، فقيه مصنف، من مصنفاة: نهج الوصول في علم الأصول، وكتاب طب القلب ووصل الصب، وكتاب الجواهر السحابة في النكت المرجانية، ولي قضاء المحلة مدة، قال الذهبي إنه توفي سنة 896 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 24:8.

(٦) الأحزاب: 59.

(٧) طبقات الشافعية الكبرى 24:8.

(٨) أحمد بن عمر بن محمد الشيخ، الإمام الزاهد الكبير نجم الدين الكبرى، أبو الجناب، الصوفي شيخ خوارزم، والكبرى على صيغة فعلى كعظمي، ومنهم من يمد فيقول الكبراء جمع كبير، كان إماماً زاهداً عالماً طاف البلاد وسمع بها الحديث، سمع بالإسكندرية أبا طاهر السلفي، وبهمنان الحافظ أبا العلاء، وبنيسابور أبا المعالي الفراوي، روى عنه عبد العزيز بن هلاله وناصر بن منصور الفرضي والشيخ سيف الدين الباخرزي وآخرون: طبقات الشافعية الكبرى 25:8، الأعلام 185:1.

(٩) طبقات الشافعية الكبرى 25:8.

(١٠) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرح الإشبيلي، فقيه مشارك، رحل إلى مصر سنة بضع وخمسين، تفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وسمع من شرف الدين الأنصاري الحموي والمعين أحمد بن زين الدين وإسماعيل بن عزون وغيرهم، وعني بالحديث وأتقن ألفاظه وعرف روايته وحفاظه، وتوفي سنة 699 هـ ومولده سنة 625 هـ: نفح الطيب 528:2. طبقات الشافعية الكبرى 27:8.

(١١) طبقات الشافعية الكبرى 27:8. وهي قصيدة غزلية في ألقاب الحديث مطلعها:

وحزني ودعني مطلق ومسلل

غرامي صحيح والرجا فيك معضل

(١٢) طبقات الشافعية الكبرى 34:8.

[كامل]

قُلْ لِي بِأَيِّ وَسِيلَةٍ أُدْلِي بِهَا إِنَّ كُنْتُ تُبْعِدُنِي لِأَجْلِ تَقْرِي

ومنها أحمد بن محمد أبو العباس الملقب^(١)، من جملة أصحاب المقامات العاليات، كان مقيما بمدينة قوص، وله فيها رباط، وكان من المعمرين، حتى قيل أدرك القاهرة أخصاصا قبل أن تُبنى، وكان أبوه ملك بالمشرق، وتوفي أبو العباس يوم الثلاثاء رابع عشرين من شهر رجب سنة اثنتين وسبعين وستمائة، وهو مدفون برباطه بقوص^(٢).

ومنها قاضي القضاة بالديار المصرية، من جمع بين قضاء مصر والقاهرة [...] ^(٣). ومنها في ترجمة أبي الطاهر المحلي^(٤)، أن الشيخ ضياء الدين ولد أبي عبد الله القرطبي، بعثه والده إليه في حاجة، فوجده في المحراب، فلم يقم له، ولم يكن عادته، فقال له بعد ذلك إنك أتيتني في موضع لا يقام فيه إلا لله^(٥). وذكر أنه كان لا يرى نسخة من ملخص الرازي^(٦) إلا اشتراه حتى لا يقع في أيدي الناس، ويقول تقليل للمفسدة، وكان يعير الكتب لمن يعرف ومن لا يعرف، ويسافر بها الناس، ويقول: ما أعرت كتابا إلا ظننت أنه لا يرجع، فإذا رجع كان نعمة جديدة^(٧). ومن أعظم أشياخه أبو عبد الله القرشي، قال التاج السبكي^(٨): والقرشي هذا من كبار العارفين، وهو صاحب القصيدة المسماة بالفرج بعد الشدة، المجربة لكشف الكروب، وأولها: اشتدي أزمة تنفرجي. وساقها إلى آخرها، ثم ذكر أنه رأى في الغرة اللاتحة لأبي عبد الله محمد بن علي التوزري، المعروف بابن المصري، أن هذه

(١) أحمد بن محمد الشيخ الصالح أبو العباس الملقب، من أصحاب الكرامات والأحوال، كان مقيما بمدينة قوص له بها رباط، توفي سنة 672 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 35:8.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى 37:8.

(٣) فراغ في خ وط، ولعله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى بن عيسى، ابن موسى العامري الحموي، قاضي القضاة بالديار المصرية، ولد سنة 603 هـ بحماة، ثم انتقل إلى القاهرة، ثم درس بالظاهرية، ثم ولي قضاء القضاة وتدرّس الشافعي، وكان فقيها فاضلا حميد السيرة كثير العبادة، مشاركاً في علوم غير الفقه كثيرة، توفي سنة 680 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 46:8.

(٤) أبو الطاهر محمد بن الحسين المحلي الأنصاري، فقيه زاهد، صاحب أحوال ومقامات، توفي سنة 633 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 55:8.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى 50:8.

(٦) الملخص في الحكمة والمنطق للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة 606 هـ: كشف الظنون 1819:2.

(٧) نفسه 55:8.

(٨) طبقات الشافعية الكبرى 57:8.

القصيدة لأبي الفضل ابن النحوي التوزري، قال السبكي: وكثير من الناس يعتقد أنها مشتملة على الاسم الأعظم، وكنت أسمع الوالد إذا أصابته أزمة ينشدها^(١).

ومنها حكاية وقعت في زمن محمد بن جرير الطبري، ثم وقعت في زمن ابن عين الدولة، وهي أن امرأة قالت لزوجها: إن كنت تحبني فاحلف بطلاقي ثلاثا مهما قلت لك تقول مثل ما قلته في ذلك المجلس، فحلف، فقالت: أنت طالق ثلاثا، فأمسكا وارتفعا إلى ابن عين الدولة، وقال: خذ بعقيصتها^(٢)، وقل أنت طالق ثلاثا إن طلقك. قال السبكي^(٣): وكأنهما ارتفعا إليه في المجلس. ثم ذكر أيضا ابن عين الدولة أنه لم يقبل شهادة الملك الكامل لما شهد عنده، وقال السلطان يأمر ولا يشهد، فلما ألح عليه في قبولها، ذكر له ما يفسق به^(٤).

قال السبكي^(٥): وغفل القاضي أنه يلزم من ذلك بطلان ولايته للقضاء، لأن تولية الفاسق لا تصح. ثم أجاب بأن الصحيح أن الفسق لا ينزل به السلطان، ولكن لا تصح منه الأفعال التي تمكن من غيره، فلا يقضي ولا يزوج، لأن فيمن يقيمه من القضاة غنية عنه، وأما تولية القضاء فلا يمكن إلا منه، فيصح.

ومنها في ترجمة محمد بن عبد الله بن الفضل المرسى^(٦)، قال النحاة في إعراب قوله تعالى: (والهكم إله واحد لا إله إلا هو)^(٧) هو في موضع رفع على الابتداء، والخبر محذوف تقديره لنا، أو في الوجود، واعترض صاحب المنتخب تقدير الخبر، فقال: إن كان لنا، كان بمعنى ما قبله، فيكون تكرارا محضا، وإن كان في الوجود، كان نفيا لوجود الإله، ومعلوم أن نفي الماهية أقوى في التوحيد الصرف من نفي الوجود، فكان الإعراض عن هذا الإضمار أولى. أجاب المرسى في ري الظمآن قال: هذا كلام من لا يعرف لسان العرب، فإن الإله في موضع الابتداء عند سيبويه، أو اسم لا عند غيره، وعلى كلا التقديرين فلا بد من خبر للمبتدأ، وأما

(١) طبقات الشافعية الكبرى 60:8.

(٢) العقيصة: الضفيرة: تاج العروس: عقص.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى 65:8.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) محمد بن عبد الله بن محمد السلمي شرف الدين ابن أبي الفضل المرسى، ولد بمصرية سنة 570 هـ، رحل إلى دمشق ثم مصر ثم قوص ثم مكة، ثم عاد إلى بغداد، كان فقيها محدثا أديبا زاهدا متعبدا صنف تفسيراً حسناً، توفي بين العريش وغزة سنة 655 هـ: طبقات الشافعية الكبرى: 65:8.

(٧) البقرة: 162.

ما قاله إذا لم يظهر كان نقياً للماهية فليس بشيء، لأن الماهية، أي نفيها، هو نفي الوجود، لأن الماهية لا تتصور إلا مع الوجود، فلا فرق بين لا ماهية ولا وجود عند أهل السنة خلافاً للمعتزلة. قال السبكي^(١): وما ذكر صاحب المنتخب من عدم التقدير يشبه ما يقول الشيخ الإمام في إعراب الله من قوله تعالى: (ليقولن الله)^(٢)، ولكن لا يقال هنا مبتدأ، ولكن تجعل الله كلمة مفردة لا معربة ولا مبنية.

ومنها محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري^(٣)، الإمام فخر الدين الرازي ابن خطيب الري، ثم بالغ في الثناء عليه كثيراً، ولد سنة ثلاث أو أربع وأربعين وخمسمائة، واشتغل على والده وغيره، ثم عد تصانيفه، فقال^(٤): وأما كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم فلم يصح أنه له.

قال السبكي^(٥): واعلم أن شيخنا الذهبي ذكر الإمام في كتاب الميزان في الضعفاء، وكتب على كتابه أنه ليس لذكره في هذا المكان معنى، ولا يجوز من وجوه أعلاها؛ أنه ثقة حبر من أحبار الأمة، وأدناها أنه لا رواية له، فذكره في كتب الرواة مجرد فضول وتعصب وتحامل. وقال في الميزان: له كتاب أسرار النجوم سحر صحيح. قلت^(٦): وقد عرفناك أن هذا الكتاب مختلف عليه، وبتقدير صحة نسبته، فليس بسحر، فليتأمل من عاين السحر. وأطال في الرد على شيخه الذهبي، ونسبه إلى التعصب في هذا. قلت: وما ذكره السبكي من كون كتاب أسرار النجوم ليس له، لا يصح، فقد رأيت بالمدينة نسخة من الملخص للإمام الفخر وعلى ظهرها مكتوب بخط شيخنا الملا إبراهيم ما معناه أن الإمام أشار في هذا الكتاب إلى أن كتاب أسرار النجوم له، فمن نقاه عنه فهو قصور منه، فالأولى تأويل كلامه فيه. ثم ذكر وصية أوصى بها تلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني لما احتضر نصها^(٧): يقول العبد الراجي رحمة ربه، الواصل بكرم مولاه، محمد بن عمر

(١) طبقات الشافعية الكبرى 72:8.

(٢) العنكبوت: 61.

(٣) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الإمام فخر الدين الرازي ابن خطيب الري إمام المتكلمين، ولد سنة ثلاث وأربعين وقيل أربع وأربعين وخمسمائة، توفي سنة 606 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 81:8.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى 87:8.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى 88:8.

(٦) نفسه.

(٧) طبقات الشافعية الكبرى 90:8 – 92.

بن الحسن الرازي، وهو أول عهده بالآخرة وآخر عهده بالدنيا، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس، ويتوجه إلى مولاه كل آبق، أحمد الله بالحامد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم، ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات شهادتهم، وأحمد الله بالحامد التي يستحقها، عرفت بها أو لم أعرفها، لأنه لا مناسبة للتراب مع رب الأرباب، وصلواته على ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين، وجميع عباد الله الصالحين، اعلموا أخلائي في الدين، وإخواني في طلب اليقين، أن الناس يقولون إذا مات ابن آدم⁽¹⁾ انقطع عمله وتعلقه عن الخلق، وهذا مخصص من وجهين، الأول أنه [إن]⁽²⁾ بقي منه عمل صالح صار ذلك سبباً للدعاء، والدعاء له عند الله أثر. الثاني ما يتعلّق بالأولاد وأداء الجنايات، أما الأول فاعلموا أني كنت رجلاً محباً للعلم، فكنت أكتب من كل شيء شيئاً لأقف على كميته وكيفيته، سواء كان حقاً أو باطلاً، إلا أن الذي نظرت في الكتب المعتبرة أن العالم المخصوص تحت تدبير مدبره المتره عن مماثلة المتحيزات، موصوف بتمام القدرة والعلم والرحمة، ولقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذلك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المناهج العميقة، فلماذا أقول كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبرأته عن الشركاء⁽³⁾، كما في القدم والأزلية والتدبير والفعالية، فذلك هو الذي أقول به وألقى الله به، وأما ما ينتهي الأمر فيه إلى الدقة والغموض، وكل⁽⁴⁾ ورد في القرآن والصحاح، المتعين للمعنى الواحد، فهو كما قال، والذي لم يكن كذلك أقول: يا إله العالمين إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، فكل ما مده قلبي أو خطر ببالي، فأستشهد وأقول: إن علمت مني أني أردت به تحقيق باطل أو إبطال حق، فافعل بي ما أنا أهله، وإن علمت مني أني ما سعت إلا في تقديس اعتقدت أنه الحق وتصورت أنه الصدق، فلتكن رحمتك مع خطرتي لا مع حاصلتي، فذلك جهد المقل، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في زلة، فأغثنني وارحمني،

(1) في طبقات الشافعية الكبرى: إن الإنسان إذا مات.

(2) زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.

(3) في ط: الشريدك.

(4) في ط: كما.

واستر زللي، وامح حوبتي، يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين، ولا ينقص ملكه بخطايا المجرمين، وأقول: ديني متابعة الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، وكتابي القرآن، وتعويلي في طلب الدين عليهما، اللهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات، أنا كنت حسن الظن بك، عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت أنا عند ظن عبدي بي، وأنت قلت: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)⁽¹⁾، فهب أني ما جئت بشيء، فأنت الغني الكريم، فلا تحيب رجائي، ولا ترد دعائي، واجعلي آمنا من عذابك قبل الموت وعند الموت، وبعد الموت، وسهل علي سكرات الموت، فإنك أرحم الراحمين. وأما الكتب التي صنفتها واستكثرت فيها من إيراد السؤالات، فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذف القول السيئ، فإني ما أردت إلا تكثير البحث وشحذ الخاطر، والاعتماد في الكل على الله.

الثاني، وهو إصلاح أمر الأطفال، فالاعتماد فيه على الله، ثم سرد وصيته في ذلك إلى أن قال: وأمرت تلاميذي ومن لي عليه حق إذا أنا مت يبالغوا في إخفاء موتي، ويدفنونني على شرط الشرع، فإذا دفنوني قرأوا علي ما قدروا عليه من القرآن، ثم يقولون: يا كريم جاءك الفقير المحتاج فأحسن إليه. هذا آخر الوصية. قال الإمام في تفسيره، وأظنه في سورة يوسف، عليه السلام: والذي جربته طول عمري أن الإنسان كلما عول في أمر من الأمور على غير الله، صار ذلك سببا للبلاء والمحنة، وإذا عول على الله ولم يرجع إلى أحد من الخلق، جعل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه، فهذه التجربة قد استمرت لي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه السابع والخمسين، فعند هذا أسفر قلبي على أنه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شيء سوى فضل الله وإحسانه.

قال السبكي⁽²⁾: وما ذكره حق، وإن فرض أن أحداً عَوَّلَ على غيره في أمر، فحصل له، فهو إما ممكور به، والعياذ بالله، وإما رجل يطلب شراً، وهو يحسبه خيراً لنفسه، ويظهر له ذلك بعاقبة ذلك الأمر. واعلم أن هذه الجملة من كلام الإمام دالة على مراقبته طول وقته، ومحاسبته لنفسه، رضي الله عنه، وقبح من

(1) النمل: 64.

(2) طبقات الشافعية الكبرى 93:8.

يسبه، أو يذكره بسوء حسدا من عند نفسه. توفي الإمام بهراة يوم الإثنين، يوم عيد الفطر، سنة ست وستمائة.

اختار الإمام في سورة الإسراء أن تسيح ما سوى الإنسان إنما هو بلسان الحال. قال السبكي: وفصل قوم فقالوا يسبح الناس دون غيره، بدليل حديث الجريدتين، والصحيح أن الكل يسبح بلسان المقال، ولا يلزم سماعنا إلا على وجه المعجزة، أو الكرامة، ونقل أدلة على ذلك⁽¹⁾.

ومنها محمد بن محمود بن النجار⁽²⁾ مؤلف تاريخ بغداد في ثلاثين مجلدا، ذيل به على تاريخ الخطيب، له رحلة واسعة بلغت مشيخة أشياخه ثلاثة آلاف، توفي سنة خمس وستمائة.

ومنها محمد شمس الدين الأصبهاني⁽³⁾ شارح المحصول، أخذه من شرح القرافي، إلا أنه نقح وهذب، إذا جاء من يقرأ عليه الفلسفة، يقول له: حتى تخرج بالشرعيات، كان قاضيا بقوص، ويشهد مجلسه تقي الدين ابن دقيق العيد، وشكا إليه رجل بشاعر هجاه ليعززه، فقال: أخاف أنا أن يهجوني أيضا، وكان عدلاً ثباتاً في أحكامه، حتى أدب الحاجب بمدينة قوص، ولد بأصبهان سنة ست عشرة وستمائة، وتوفي بالقاهرة في العشرين من رجب سنة ثمان وثمانين وستمائة.

(1) طبقات الشافعية الكبرى 8: 94.

(2) محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، الحافظ الكبير الثقة محب الدين أبو عبد الله ابن النجار البغدادي، مصنف تاريخ بغداد الذي ذيل به على تاريخ الخطيب فجاء في ثلاثين مجلدا، ولد في ذي القعدة سنة 578 هـ، له الرحلة الواسعة إلى الشام ومصر والحجاز وأصبهان ومرو وهراة ونيسابور، قال ابن الساعي: كانت رحلته مدبعا وعشرين سنة واشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ، توفي ببغداد سنة 643 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 8: 98-99.

(3) محمد بن محمود بن محمد بن عباد أبو عبد الله القاضي شمس الدين الأصبهاني، كان إماما في المنطق والكلام والأصول والجدل، خرج من أصفهان شابا ودخل بغداد فاشتغل بها، ثم قدم حلب وولي القضاء بمنبج، ثم قدم القاهرة فولاه قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز قضاء قوص فباشرها مباشرة حسنة، ولد بأصفهان سنة 616 هـ وتوفي بالقاهرة سنة 688 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 8: 100-102.

ومنها في ترجمة عماد الدين ابن يونس الإربلي⁽¹⁾: أدلة الشريعة منحصرة في النص والإجماع والقياس، لأن الحكم المدعى إما أن يكون مستفاداً من نقل أو لا، فإن كان فلا يخلو إما أن يكون بواسطة أهل الحل والعقد، أو لا، فإن كان فهو المسمى إجماعاً، وإن لم يكن فهو المسمى نصاً. وإن لم يكن مستفاداً من نقل، فلا يخلو إما أن يكون مستفاداً من معنى معقول أو لا، فإن كان فلا يخلو إما أن يكون ذلك المعنى راجعاً إلى أحد هذين القسمين أو لا، فإن كان راجعاً فهو المسمى قياساً، وإن لم يكن مناسباً مرسلًا، وهو غير معمول به عندنا، وإن كان لا من نقل ولا من معنى، فلا يثبت، فثبت أن الأدلة منحصرة في النص والإجماع والقياس⁽²⁾.

وكان يجعل من موانع النكاح اختلاف الجنس، ويقول: لا يجوز للآدمي أن يتزوج الجنية، قال القمولي⁽³⁾: وفيه نظر⁽⁴⁾.

ومنها إبراهيم بن محمد القطب المصري⁽⁵⁾، ومن تلامذة فخر الدين الرازي، قال السبكي: لا تغتر بكلام أبي علي بن خليل السكوني المغربي، صاحب كتاب التمييز على كشف الزمخشري، حيث تكلم فيه بعدما تكلم في الإمام الفخر نفسه باعتراضه على المتقدمين، كالأشعري فمن دونه من أتباعه، وهذا لا يعاب به العالم، والمغاربة لا يحتملون أحداً يعارض الأشعري في كلامه، والإمام لا ينكر عظمة الأشعري، كيف وهو على طريقه وبقوله يأخذ، ولكن لم تزل الأئمة يعترض متأخريها على متقدميها، ولا يشينه ذلك بل يزينه.

(1) محمد بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك الشيخ عماد الدين بن يونس الإربلي، أحد الأئمة من علماء الموصل يكنى أبا حامد، ولد سنة 535 هـ، وتفقّه بالموصل على والده ثم رحل إلى بغداد فتفقّه بها، على السيد السلمي وأبي المحاسن يوسف بن بندار الدمشقي، وسمع الحديث من أبي حامد محمد بن أبي الربيع الغرناطي، وعاد إلى الموصل ودرس بها في عدة مدارس، وعلا صيته وشاع ذكره وقصده الفقهاء من البلاد، وصنف المحيط في الجمع بين المذهب والوسيط، وشرح الوجيز، توفي بالموصل سنة 608 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 8: 109 - 110.

(2) طبقات الشافعية الكبرى 8: 110.

(3) أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكي بن ياسين، أبو العباس الشيخ نجم الدين القمولي، فقيه مشارك، ولي حسبة مصر، وولي التدريس بالفخريّة بالقاهرة، من مصنفاته: البحر المحيط في شرح الوسيط، وكتاب جواهر البحر، توفي بمصر سنة 727 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 9: 30. الدرر الكامنة 1: 359.

(4) طبقات الشافعية الكبرى 8: 111.

(5) إبراهيم بن نصر بن طاقة المصري الحموي الأصل، برهان الدين المعروف بابن الفقيه نصر، فقيه أديب، مولده سنة 571 هـ، أجاز له ابن الجوزي وجماعة، وحدث سمع منه الحافظ المنذري وغيره، وولي نظر الأحباس بالديار المصرية ونظر الديوان بالأعمال القوصية، امتحن ابن الفقيه نصر في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وصودر وسلم إلى من عاقبه، فضربه حتى مات في ليلة ثاني جمادى الأولى سنة 638 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 8: 124.

[بجزوء الكامل]

أشكو إليك وأنت أر حمٌ من شكوت إليه حالي
ضاقْتُ علي ثلاثة رزقي وصدور واحتمالي
وعدمتُ حسن ثلاثة جلدي وصري واحتيالي⁽¹⁾

ومنها في ترجمة عبد الرحمن أبي شامة⁽²⁾، قيل: بلغ رتبة الاجتهاد، له كتاب: نور المسرى في تفسير سورة الإسراء⁽³⁾، رد فيه قول السهيلي مستدركاً على أهل اللغة قولهم: أسرى وسرى لغنان، بأن الرواة اتفقوا على تسمية أسرى، ولم يسمه أحد سرى، فدل على أن أهل اللغة لم يحققوا العبارة، فقال أبو شامة: إنما أطبقوا محافظة على لفظ القرآن، وإلا ففي مسلم: لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي. ومن فوائده في هذا الكتاب قال⁽⁴⁾: افتتح الله سور كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام؛ الأول الثناء في أربعة عشر سورة، إما بالإشارة إلى إثبات صفة الكمال في سور سبع، الحمد لله في سور خمس، وتبارك في سورتين، وإما بالإشارة إلى نفي صفات النقص في سبع أخرى، سبحان، سبح، يسبح، سبح. الثاني؛ حرف الهجاء في تسع وعشرين سورة، الثالث؛ النداء في عشر سور، الرابع؛ الجمل الخبرية نحو: (أتى أمر الله)⁽⁵⁾ في ثلاث وعشرين، الخامس؛ القسم في خمسة عشر سورة، السادس؛ الشرط بإذا في سبع، السابع؛ الأمر بقل وقرأ في ست، الثامن؛ الاستفهام كما في عم وهل والهمزة في ست، التاسع؛ الدعاء بويل وتبت في ثلاث، العاشر؛ التعليل في سورة واحدة وهي (إيلاف قريش)⁽⁶⁾ هـ.

(1) طبقات الشافعية الكبرى 8: 125.

(2) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان، الشيخ الإمام المتفطن شهاب الدين المقدسي الدمشقي، أبو شامة، برع في فنون العلم وقيل بلغ رتبة الاجتهاد، واختصر تاريخ الحافظ ابن عساكر، وصنف كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وله أرجوزة حسنة في العروض ونظم مفصل الزمخشري، ومن محاسنه كتاب البسملة الأكبر وكتاب البسملة الأصغر، وكتاب ضوء القمر الساري إلى معرفة الباري، وكتاب نور المسرى في تفسير آية الإسراء، ولد أبو شامة سنة 599 هـ، وأخذ عن شيخ الإسلام عز الدين ابن عبد السلام، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية ومشيخة الإقراء بالتربة الأشرفية، توفي سنة 665 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 8: 165 - 166.

(3) صدر الكتاب عن دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي سنة 2000 بتحقيق الدكتور عبد الحكيم الأنيس.

(4) طبقات الشافعية الكبرى 8: 166.

(5) النحل: 1.

(6) قريش: 1.

ولابن بنت الأعز^(١):

[طويل]

ومن رام في الدنيا حياة خلية من المهم والأكدار رام مُحالاً^(٢)
وهاتيك دعوى قد تركت دليلها على كل أبناء الزمان محالاً

ومنها في ترجمة فخر الدين ابن عساكر^(٣) أنه كان يدرس بمدارس بدمشق وبالقدس، يقيم بهذا أشهراً، وبهذا أشهراً، قال السبكي^(٤): وقد تعلق بهذا من ولي تدريساً في بلدين متباعدين؛ حلب ودمشق، وأفقي جماعة بالجواز على أن يستنيب، والذي يظهر لي أن هذا لا يجوز، وأكل المال فيه أكل باطل، وغيبته عن واحدة لحضور أخرى ليس بعذر، فما ظنك بمن يغيب بالكلية، وقد تعلق بعض من أجاز هذا بأن الشيخ الإمام أفقي فيما إذا مات فقيه وله زوجة وأولاد أن يعطوا من معلوم تلك الوظيفة، ثم إن فضل شيء لا بأس أن يعطى لمن يقوم بالوظيفة، أخذنا من قول الشافعي: من مات من المقاتلة أعطيت زوجته وأولاده. وقد أفقي ابن عبد السلام والنووي في إمام مسجد يستنيب فيه بلا عذر أن المعلوم لا يستحقه النائب لأنه لم يول، ولا المستنيب لأنه لم يباشر، وخالفهما الشيخ الإمام فيما إذا كان النائب مثل المستنيب، أو أرحح، وقد تصح الاستنابة لحصول الغرض الشرعي، واقتضى كلامه جواز الاستنابة بلا عذر. وعندي فيه توقف، وقد أشاع كثير من الناس أن الوالد كان يرى تولية الأطفال وظائف آبائهم مع عدم صلاحيتهم، إذا قام بالوظائف صالح، ونحن أخبر بأينا ومقاصده، ولم يكن، رحمه الله، رأى ذلك على الإطلاق، إنما كان رأيه فيمن كانت له يد بيضاء في الإسلام، من علم أو غيره، قد أثار في الدين آثاراً حسنة، وترك ولداً أن يباشر وظيفته من يصلح،

(١) عمر بن عبد الوهاب بن خلف، قاضي القضاة، صدر الدين ابن بنت الأعز، فقيه مشارك، ولد سنة 625 هـ، وتوفي بالقاهرة سنة 680 هـ طبقات الشافعية الكبرى 310:8. طبقات الشافعية 144:2. النجوم الزاهرة 123:7.

(٢) أنظر: طبقات الشافعية الكبرى 174:8.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله ابن عبد الله بن الحسين الدمشقي، أبو منصور فخر الدين ابن عساكر، شيخ الشافعية بالشام، ولد سنة 555 هـ، وتفق بدمشق على الشيخ قطب الدين النيسابوري، وسمع الحديث من عميه الإمامين الحافظ الكبير أبي القاسم والصائغ هبة الله وجماعة، وحدث بمكة ودمشق والقدس، روى عنه الحافظ زكي الدين البرزالي وزين الدين خالد وضياء الدين المقدسي وآخرون، وله تصانيف في الفقه والحديث، توفي سنة 620 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 177:8.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى 179:8.

وتكون الوظيفة باسم الولد، وتكون التولية توليتان، تولية اختصاص وتولية مباشرة، فالصبي يتولى تولية اختصاص، بمعنى أن يكون له بعض خصوصية بها، ويصرف له بعض المعلوم، والصالح يتولى تولية مباشرة، يعني أنه يأتي بالمعنى المقصود من الوظيفة، فيحصل غرض الواقف، ومراعاة الصغير إعانة لحق الله، ويقول: أنا في الحقيقة إنما أولي المباشر، وهو ذو الولاية الحقيقية، فقلت له: فلم لا تصرح بالولاية؟ قال: أخشى على الطفل منه أن لا يعطيه شيئاً. قلت له: اجعل المباشر هو المتولي، واشترط عليه بعض المعلوم للطفل. قال: يتأهل الطفل فلا يسلم له الوظيفة. فقلت له: فما الذي ثبت للطفل الآن؟ قال: ولاية الاختصاص، بمعنى أنه يصير أحق بهذه الوظيفة إن تأهل من غير احتياج إلى تحديد ولاية، وإطلاق بعض المعلوم مادام عاجزاً. قال: وأما من لم لا يمكن ولايته كزوجة وبنت، فهؤلاء لا أوليهم مطلقاً، وإنما أقول لمن أوليه التزم بالنذر الشرعي أن ترفع لها كيت وكيت، ما دام كذا من معلوم هذه الوظيفة. قلت له: هذا كله فيمن سبقت لأبيه سابقة، فما قولك فيمن لا سابقة لأبيه؟ قال: إن كان فقيراً أفهم من نص الشارع طلب إعانة مثله، فعلت معه ذلك أيضاً، ولا أتركه يبيت جائعاً، والرزق الذي كان يدخل إليه مع أبيه، إلى غير ذلك من تفاصيل كان يذكرها، والله أعلم بنيته فيها، والرجل كان متضلعا بالعلم والدين، هـ كلامه، وقد تركت الكثير من مراجعته لأبيه في هذه المسألة.

ومن شعر ابن عساكر⁽¹⁾:

[مجزوء الرمل]

خَفَّ إِذَا مَا بَتَ تَرَجُو وَارِجُ إِنْ أَصْبَحَتْ خَائِفُ

كَمْ أَتَى الدَّهْرُ بَعْسَر فِيهِ لَهِ لَطَائِفُ

ومنها أن فخر الدين هذا مر بالموفق بن قدامة، فسلم ولم يرد، فقيل له في ذلك، فقال إنه يقول بالكلام، وأنا أرد عليه في نفسي، واستبعد السبكي ذلك من دين ابن قدامة⁽²⁾. ومنها أن صلاح الدين خليل بن كيكلدي⁽³⁾ أنكر كون

(1) طبقات الشافعية الكبرى 8: 184.

(2) نفسه.

(3) في ط: بن كيكاري. وهو خليل بن كيكلدي العلاني، ولد سنة 694هـ، اشتغل بالفقه والعربية وصنف التصانيف في الفقه والأصول والحديث، من مصنفاته: تحفة الرائض في علم الفرائض، والأربعين في

المرشدة^(١) لابن تومرت قائلاً إنه كان يوافق المعتزلة في أصولهم، وهذه مباينة لهم. قال السبكي^(٢): لا يصح عندنا ما ذكره في ابن تومرت، والأغلب أنه كان أشعرياً صحيح العقيدة، أميراً عادلاً، داعياً إلى طريق الحق، ثم ساق العقيدة بتمامها.

ومنها أفتى فخر الدين بجواز كتب الصداق في الحرير، وخالفه ابن عبد السلام والنووي^(٣).

ومنها، وللتهامي وخمسها الديري^(٤):

[كامل]

حكمُ النية في البرية جار	ما هذه الدنيا بدار قرار ^(٥)
بينا ترى الإنسان فيها مُخبراً	ألفيته خيراً من الأخبار
طبعْتُ على كدر وأنت تريدها	صفوا من الأقداء والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها	متطلب في الماء جذوة نار
وإذا وجدت المستحيل فإنما	تبي الرجاء على شفير هار
والعيشُ نوم والنية يقظة	والمرءُ بينهما خيال سار
فاقضوا ما آركم عَجالاً إنما	أعماركم سفرٌ من الأسفار
وتركضوا خيل الشباب وبادروا	أن تسترد فإنهن عوار
ليس الزمانُ وإن حرصت مسالماً	خلق الزمان عداوة الأحرار

أعمال المتقين، وولي تدريس الحديث بالناصرية ثم الصلاحية بالقدس وقطن به إلى أن مات سنة 761 هـ: الدرر الكامنة 2:212.

(١) المرشدة: هي العقيدة الموحدية التي كان الموحدون بالمغرب يلزمون تعلمها وتعليمها وحفظها الصغار والكبار، أنظر نصها في: ملء العيبة 5:345.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى 8:185.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى 8:187.

(٤) عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الديري، الشيخ الزاهد، صاحب الأحوال والكرامات والمصنفات، له نظم التذية والوجيز وغريب القرآن وغير ذلك، مولده سنة اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة وستمائة، وتوفي سنة 694 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 8:199. شذرات الذهب 3:450.

(٥) أنظر: طبقات الشافعية الكبرى 8:202.

ومنها في ترجمة عز الدين ابن عبد السلام: قرأ الأصول على سيف الدين الآمدي، وسمع الحديث من الحافظ القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم بن عساكر، روى عنه ابن دقيق العيد، وهو الذي لقبه سلطان العلماء، ولد سنة سبع، أو ثمان وسبعين وخمسائة، ولي الخطابة والإمامة بدمشق، إلى أن أعطى السلطان مدينة ضيد للفرنج، فأنكر عليه هو وابن الحاجب، وغضب السلطان، فخرجوا إلى القاهرة، ولما دخلها أكرمه حافظ العصر وزااده عبد العظيم المنذري، وامتنع من الفتيا، وقال: كنا نقتي قبل حضور الشيخ، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه، وكان مع فقره كثير الصدقات، ربما قطع من عمامته وأعطى فقيراً سألته، وعن جمال الدين ابن الحاجب، كان ابن عبد السلام أفقه من الغزالي، لبس خرقة التصوف من الشيخ شهاب الدين السهروردي، وتوفي سنة ستين وستمائة في تاسع جمادى الأولى^(١).

وحكى أن شخصاً جاء إليه وقال إني رأيتك في النوم تنشد^(٢):

[طويل]

وكنْتُ كذبي رجلين رجلٌ صحيحة ورجل رمى بها الزمانُ فشلت

فسكت ساعة ثم قال: أعيش من العمر ثلاثاً وثمانين سنة فإن هذا الشعر لكثير عزة، ولا نسبة بيني وبينه غير السن، أنا سني وهو شيعي، وأنا لست بقصير وهو قصير، ولست بشاعر وهو شاعر، وأنا سلمي وليس هو بسلمي، لكنه عاش هذا القدر، وكان الأمر كما قال^(٣). ولا يعرف شعر إلا قوله:

[كامل]

لو كانَ فيهم من عراة غرام ما عَفَوني في هواه ولا مُوا^(٤)

أنشده للطلبة وقال لهم أجزوه، فأجازه شمس الدين عمر الأسواني (بقوله)^(٥):

(١) نفسه 245:8.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى 245:8 – 246.

(٣) نفسه 246:8.

(٤) نفسه.

(٥) زيادة من ط.

[كامل]

لكنهم جهلوا لذاذة حُسنه وعلمتها ولذا سهرت وناموا⁽¹⁾
لو يعلمون كما علمت حقيقة جنحوا إلى ذاك الجنب وهاموا
أو لو بدت أنواره لعيونهم خروا ولم تثبت لهم أقدام

إلى أن عرج منها إلى مدح الشيخ فقال:

مولاي عز الدين عز بك العلا فخرا فدونَ حذاك منه الهامُ
لما رأينا منك علما لم يكن في الدرس قلنا إنه إلهامُ
جاوزت حد المدح حتى لم يطق نظما لفضلك في الوردى النظامُ
فعليك يا عبد العزيز تحية وعليك يا عبد العزيز سلامُ

ومدحه أبو الحسين الخراز⁽²⁾ الأديب بقصيدة أولها⁽³⁾:

[خفيف]

سارَ عبدُ العزيز في الحُكم سيرا لم يسره سوى ابن عبد العزيز
عمنا حكمةً بفضل بسيط شامل للورى ولفظ وجيز

قال في القواعد الكبرى: لم أقف على ما يعتمد على كون الربا من الكبائر، فإن كونه مطعوماً، أو قيمة الأشياء، أو مقدوراً، لا يقتضي مفسدة عظيمة يكون كبيرة لأجلها⁽⁴⁾. وفي القواعد الصغرى: إن الملائكة لا يرون ربهم. وقال في الكبرى: إذا وجد شخصين مضطرين متساويين، ومعه رغيف إن أطعمه أحدهما عاش يوماً ومات الآخر، وإن فضه عاش كل منهما نصف يوم، المختار أن تخصيص أحدهما غير جائز، لأن أحدهما قد يكون ولياً، وكذا لو كان له ولدان لا يقدر إلا على قوت أحدهما فض. وقال أيضاً: من قذف شخصاً بمكان خال لا

(1) طبقات الشافعية الكبرى 8: 246.

(2) في ط: الخراز.

(3) طبقات الشافعية الكبرى 8: 247.

(4) طبقات الشافعية الكبرى 8: 249.

يعلمه إلا الله والحفظة، الظاهر أنه ليس بكبيرة موجبة للحد. قال السبكي⁽¹⁾: وأنا أسلم له الحكم ولا أسلم له أن هذا قذف، لأن القذف هو التلب والرمي، ولا يحصل بهذا القدر، وذكر في أماليه أن القاتل إذا ندم وعزم ألا يعود لكنه امتنع من تسليم نفسه للقتل، لم يقدح في توبته، وهذا ذنب جديد بعد الذي عصى به، خالف لما وقع به العصيان من القتل، ونحن إنما نشترط الإقلاع في الحال عن الفعل. واستحسن السبكي هذا قائلًا: وإن خالفه نصوص الأصحاب. وقال أيضًا: ينبغي أن يؤخر الصلاة عن أول الوقت بكل مشوش يؤخر الحاكم الحكم بمثله. وقال فيها أيضًا: القطع في السرقة يكفر ما يتعلق بربع دينار فقط، ولا يكفر الزائد. وقال فيها أيضًا: القتال في الجهاد أفضل من القتل.

قال السبكي⁽²⁾: وهذه المسائل الثلاث مليحة ظاهرة الحكم، لا ينبغي أن يطرقها خل. وقال في آخر كلام له في المنع من صلاة الرغائب: وهذه الصلاة لا يصلحها إلا أهل المغرب الذين شهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لطائفة منهم أنهم لا يزالون على الحق حتى تقوم الساعة، وخالفه ابن الصلاح، وكان أفق أولًا بالمنع، ثم صمم بعد على خلافه.

منها في ترجمة المنذري⁽³⁾ أن ابن عبد السلام كان يسمع الحديث قليلا بدمشق، فلما دخل القاهرة أبطل ذلك، وصار يحضر زكي الدين المنذري، ومن شعره⁽⁴⁾:

[كامل]

اعملْ لنفسك صالحاً لا تحفلْ بظهور قيل في الأنام وقال
فالخلق لا يرجي اجتماع قلوبهم لا بد من مُثن عليك وقال

(1) نفسه.

(2) طبقات الشافعية الكبرى 251:8.

(3) عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة ابن سعد المنذري، الحافظ الكبير الورع الزاهد، ولد سنة 581 هـ، وتوفي سنة 656 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 260:8.

(4) نفسه 281:8.

ومنها في ترجمة عبد الغفار القزويني⁽¹⁾، صاحب الحاوي الصغير، أنه حج سنة حج الشيخ شهاب الدين السهروردي بعد ما أضر، وقال لأصحابه: أشم هنا رائحة رجل، ووصفه لهم فطلبوه فوافوه وهو يكتب في الحاوي وقد أضاء⁽²⁾ له نور في الليل، وهو يكتب عليه فقالوا له: إن الشيخ يطلبك. فلما حضر وقال له ما تكتب؟ قال أصنف هذا الكتاب، ووصف له الحاوي، فقال له الشيخ: أسرع وعجل. فقيل للشيخ في ذلك، قال إن أجله قد دنا فأردت أن يفرغ من هذا الكتاب قبل أن يموت، فكان كذلك مات بعد الفراغ بيسير. قال السبكي⁽³⁾: وإضاءة النور وقت التصنيف للقزويني كرامة ذكرناها في ترجمة الرافعي ووالده.

ومنها في ترجمة عبد الكريم بن القاسم الرافعي⁽⁴⁾ صاحب العزيز في شرح الوجيز، قال السبكي⁽⁵⁾: لم يصنف مثله في مذهب من المذاهب، من فوائده في قوله عليه السلام إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، [من أحصاها دخل الجنة]⁽⁶⁾ إنما قال مائة إلا واحداً لثلاثتهم أنه على التقريب، وفيه [فائدة] رفع الاشتباه [فقد يشتبه] في الخط [تسعة وتسعون] بسبعة وسبعين. ومن كلامه:

[بسيط]

وكيف ما دارت الأيام مقبلة وغير مقبلة فالحمدُ محمودُ

وسئل الأصمعي⁽⁷⁾ عن معنى يغان على قلبي، فقال عمن يروى ذلك؟ قيل عن النبي عليه السلام. قال لو كان عن غير قلب النبي فسرت لك، وأما قلبه فلا أدري، فكان شعبة، وهو السائل، يتعجب منه.

(1) عبد الغفار بن عبد الكريم بن عبد الغفار القزويني، الشيخ الإمام نجم الدين صاحب الحاوي الصغير واللباب وشرح اللباب المسمى بالعجاب، وله أيضاً كتاب في الحساب، كان أحد الأئمة الأعلام، له اليد الطولى في الفقه والحساب وحسن الاختصار، توفي سنة 665 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 278:8.

(2) في خ وط: فأضاء.

(3) طبقات الشافعية الكبرى 281:8.

(4) عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسن القزويني، الإمام الجليل أبو القاسم الرافعي، صاحب الشرح الكبير، له كتاب الإيجاز في أخطار الحجاز، ذكر أنه أوراق يسيرة ذكر فيها مباحث وفوائد خطرت له في سفره إلى الحج، توفي سنة 623 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 281:8.

(5) طبقات الشافعية الكبرى 285-8-286.

(6) زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.

(7) نفسه 290:8.

وعن الجنيد لولا أنه حال النبي، صلى الله عليه وسلم، لتكلمت فيه، ولا يتكلم على حال إلا من كان مشرفاً عليها وجلت حاله أن يشرف على نهايتها أحد من الخلق. تمنى الصديق، رضى الله عنه، مع علو رتبته أن يشرف عليها فعنه: ليتني شهدت ما استغفر منه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال الرافعي: والذي يستحسنه والذي إنه الترقى في الدرجات، كلما ترقى درجة رأى التي تحتها قاصرة بالإضافة إليها، فيستغفر⁽¹⁾.

ومنها في ترجمة علي بن الأثير⁽²⁾ صاحب التاريخ، لقبه عز الدين، وهو أخو مجد الدين صاحب النهاية وجامع الأصول، وأخو أبو زيد ضياء الدين صاحب المثل السائر.

ومنها في ترجمة علاء الدين علي بن النفيس الطيب⁽³⁾، صنف في الطب كتاب الشامل، ولو تم لكان ثلاثمائة مجلد، تم منه ثمانون مجلداً.

ومنها في ترجمة سيف الدين الآمدي⁽⁴⁾، قال ابن عبد السلام: ما سمعت أحداً يلقي الدرس أحسن منه، كأنه يخطب، إذا غير لفظاً من الوسيط كان لفظه أسمى في المعنى. وقال أيضاً: ما علمنا قواعد البحث إلا من سيف الدين الآمدي. وقال لو ورد على الإسلام متزندق مشكك ما تعين لمناظرته غير الآمدي لاجتماع أهلية ذلك فيه.

(1) نفسه 291:8.

(2) علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري، ابن الأثير، الحافظ المؤرخ صاحب الكامل في التاريخ، ولد بالجزيرة العمرية سنة 555 هـ ونشأ بها، ثم تحول بهم والدهم إلى الموصل وأخذ على شيوخها، وأقبل في أواخر عمره على الحديث، توفي سنة 630 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 299:8.

(3) علي بن أبي الحزم القرشي، الشيخ علاء الدين بن النفيس، الطبيب المصري صاحب التصانيف الفائقة في الطب الموجز وشرح الكليات وغيرهما، كان فقيهاً على مذهب الشافعي، صنف شرحاً على التتبيه، توفي سنة 687 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 305:8.

(4) علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، الإمام أبو الحسن سيف الدين الآمدي، الأصولي المتكلم، ولد بعد الخمسين وخمسمائة بيسير بمدينة آمد، وقرأ بها القرآن، ثم قدم بغداد فقرأ بها القراءات أيضاً، وتفنن في علم النظر وأحكام الأصولين والفلسفة وسائر العقليات، ثم دخل الديار المصرية وتصدر للإقراء، خرج من القاهرة وقدم إلى حماة فأقام بها، ثم قدم دمشق ودرس بالمدرسة العزيزية، ثم أخذت منه، وبدمشق توفي، من مصنفاته: كتاب الأبقار في أصول الدين، والإحكام في أصول الفقه: طبقات الشافعية الكبرى 306:8.

ومنها في ترجمة عبد الوهاب ابن بنت الأعز^(١)، وقال أهل التجربة: إن هذه الأقاليم المصرية والشامية والحجازية متى كانت البلد فيها لغير الشافعية خربت، ومتى قدم سلطانها غير أصحاب الشافعي زالت دولته سريعاً، وكأن هذا السر جعله الله في هذه البلاد كما جعل مثله لملك في بلاد المغرب ولأبي حنيفة فيما وراء النهر، فكان الرأي السديد لمن رأى قواعد البلاد مستمرة على شيء غير باطل أن يجري الناس على ما يعهدون، هـ كلام السبكي. وقال: لما مات ابن بنت الأعز رثاه بعضهم بأبيات منها^(٢):

[كامل]

يا دهرُ بَع رُئِبَ المعالي بعده بيع الهوان ربحت أم لم تريح
قدم وأخر من تشاء من الورى مات الذي قد كنت منه تستحي

وقال السبكي في ترجمة عمر السهروردي^(٣): المشهور في المذهب، المصحح عن المتأخرين، أن الاستماع إلى الأجنبية غير مُحَرَّم كما زعم السهروردي.

ومنها في ترجمة فضل الله التوربشتي^(٤)، وتوربشت بضم التاء، بعدها واو ساكنة ثم راء مكسورة ثم باء مكسورة ثم شين ساكنة ثم تاء، ومن الفوائد عنه ما ذكره في شرح المصاييح في قوله عليه السلام: ابن لبون، وذكر وبنت لبون أنثى، أن الابن والبنت إنما يختصان بالذكر والأنثى عند الإطلاق في بني آدم، وأما في غيرهم فقد استعمل على غير هذا الوجه، فقل: ابن عرس وابن آوى وابن دأية وابن ذكاء وبنت الأرض وبنت الجبل وما أشبه ذلك من الأسماء.

قال السبكي^(٥): وذكر المازري في شرح التلقين ما نصه: حكى عن بعضهم أن لفظ الذكر والأنثى هنا للتأكيد وحسنه اختلاف اللفظين كقوله تعالى

(١) عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامي، تاج الدين ابن بنت الأعز، ولد سنة 604 هـ، وسمع من جعفر الهمذاني، وقرأ سنن أبي داود على الحافظ زكي الدين، ولي قضاء القضاة بالديار المصرية والوزارة والنظر، واجتمع له من المناصب ما لم يجتمع لغيره، توفي سنة 665 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 319:8. النجوم الزاهرة 222:7.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى 323:8.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى 341:8.

(٤) فضل الله التوربشتي، محدث فقيه من أهل شيراز، شرح مصاييح البغوي، مات في حدود الستين والستمائة: طبقات الشافعية الكبرى 349:8.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى 351:8.

(وغرايب سود)^(١)، قال المازري: والمرضي عندي أن هذا ورد للتنبيه على مشروعية كل منهما في هذا النصاب الواحد وهما مختلفان في السن على خلاف قاعدة بقية النصيب ليتبين أنهما كالمتفقين إذا توصل حالهما لأن بنت مخاض وإن كانت صغيرة حينئذ لا يحمل عليها فلها فضيلة الأنوثة المتوقع منها الدر والنسل وهو مقصود، واختص عنها الذكر في هذه الحالة بنيل الشجر وأكل الكلا، ويمنع صغار السباع عن نفسه، ويرد المياه ويحمل عليه، فهما كالمتوازيين، فأشار عليه السلام بتنفيذ كل واحد منهما بوصفه الخاص به، المشعر بتلك الخصوصية، وهو مثل قوله عليه السلام في الفرائض بلا ولي رجل ذكر.

وفي ترجمة تاج الدين ابن عطاء الله قال: كان شافعي المذهب، وقيل كان مالكيًا^(٢).

ومنها في ترجمة أحمد شهاب الدين ابن جبريل، له تأليف في الرد على ابن تيمية في إثبات الجهة، ونقله بجملة، وفيه طول.
ولا بن نبانة^(٣):

[كامل]

لا تخشَ من غمٍ كغيم ^(٤) عارض	فلسوفٌ يُسفر عن إضاءةٍ بدره
إن يُمس عن عباس حالك راويا	فكأنني بك راويا عن بشره
ولقد تمر الحادثاتُ على الفتى	وتزولُ حتى ما تمر بفكره
هونٌ عليك فرُب أمر هائل	دفعت قواه بدافع لم تدركه
ولرب ليل بالهموم كدمل	صابرةٌ حتى ظفرتُ بفجره

(١) فاطر: 27.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى 23:9.

(٣) نسبت الأبيات في طبقات الشافعية الكبرى لأبي المعالي بن القماح: طبقات الشافعية الكبرى 93:9.

(٤) في ط: لغيم.

ومنها في ترجمة محمد شمس الدين ابن اللبان^(١)، من كلامه على حديث: إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، إلخ، فيه إشارة إلى أن خشية سوء الخاتمة مخصوص بأعمال أهل الجنة، وأما أهل الإخلاص لأعمال التوحيد فلا يُخشى عليهم، ولهذا قال يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع، فافهم بذلك أن المتقرب متقربان، متقرب إلى الجنة بأعمالها، [ومتقرب]^(٢) إلى الله بذكره كما ثبت في أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني إلى قوله: وإن تقرب إلي ذراعاً [تقربت منه باعاً]، وذلك يفهمك أن المتقرب إلى الله لا يمكن أن يبقى بينه وبينه ذراع لأن ذلك الذراع إن كان التقرب به مطلوباً من العبد لم يبق بعده مقدار يتقرب الله تعالى به إليه وذلك يستلزم الخلف في خبره، وهو محال، وإن كان موعوداً به من الله لزم تنجيز وعده وتحقيق القرب للعبد، فلا يبقى بعد ولا دخول إلى النار، فعلم أن ذلك الذراع مخصوص بأهل القرب إلى الجنة، فافهمه فإنه بديع، هـ ما نقله السبكي.

قلت: وفيه عندي شيء لأنه يقال قد يكون المطالب به العبد، ولا يلزم من مطالبته به فعله حتى يلزم المحذور، لأنه قد لا يفعله إن حقت عليه السابقة، فالخوف على كل حال لازم.

وقال أيضاً^(٣): أنكر ابن العربي الرؤية في الموقف في كتاب العارضة، وقال إن نعيم الرؤية لا يكون إلا في الجنة، وما في الموقف امتحان، والصحيح خلافه.

ومنها في ترجمة شمس الدين بن عدلان^(٤) أنه أفتى في وقف اشترط صاحبه أن لا يليه إلا ورع، والورع ترك الشبهات، وخالفه الشيخ الإمام فقال: الورع اضطرب فيه العرف، وأقله ترك الكبائر، فيكتفي فيه بظاهر العدالة. وأفتى ابن

(١) محمد بن أحمد بن عبد المؤمن، الشيخ شمس الدين بن اللبان، صاحب في التصوف الشيخ ياقوت المقيم بالإسكندرية، برع ابن اللبان فقها وأصولاً ونحواً وتصوفاً ووعظ الناس وعقد مجلس التذكير بمصر، ودرس بالمدرسة المجاورة لضريح الشافعي رضي الله عنه، واختصر الروضة، وبوب الأم ورتبها على المسائل والأبواب، توفي بالطاعون سنة 749 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 9: 94.

(٢) زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى 9: 96.

(٤) محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان، الشيخ الإمام، سمع من العز الحرائي والحافظ أبي محمد الدمياطي وأبي الحسن علي بن نصر الله بن الصواف، وأفتى وناظر ودرس وأفاد وناب في الحكم عن شيخ الإسلام تقي الدين ابن دقيق العيد، مولده سنة نيف وستين وستمائة، وتوفي في الطاعون سنة 749 هـ بالقاهرة: طبقات الشافعية الكبرى 9: 97.

عدلان أيضا في وقف اشترط صاحبه أن لا يليه من له ولاية، فإنه يليه من له إمامة مسجد، وخالفه الشيخ الإمام لنص الشافعي أن الإمامة ولاية في قوله: وما أكره الإمامة، إلا أنها ولاية، وأنا أكره سائر الولايات.

ومنها في ترجمة محمد شمس الدين الذهبي الحافظ⁽¹⁾، قال السبكي: اشتمل عصرنا على أربعة من الحفاظ بينهم عموم وخصوص، المزي⁽²⁾ والبرزالي والذهبي والشيخ الإمام [الوالد]⁽³⁾ لا خامس هؤلاء في عصرهم.

وبعدما بالغ في الثناء عليه قال⁽⁴⁾: وكان شيخنا والحق أحق ما قيل، شديد الميل إلى آراء الحنابلة، كثير الإزراء بأهل السنة الأشاعرة، فلذلك لا ينصفهم في التراجم ولا يصفهم بخير، صنف التاريخ الكبير، وما أحسنه لولا تعصب فيه، وأكماله لولا نقص فيه، وكان قد أضر قبل موته بمدة يسيرة، أنشدنا لنفسه:

[متقارب]

تولى شبابي كأن لم يكن وأقبل شيبٌ علينا تولى
ومن عاين المنحنى والنقا فما بعد هذين إلا المصلى

وقال لي شيخنا الذهبي مرة: من في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق بالإجماع؟ فقلت: يفيدنا الشيخ، فقال: عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه من أمة المصطفى يتزل على باب دمشق ويأتم في الصلاة بإمامها ويحكم بهذه الشريعة.

ومنها في ترجمة محمد فتح الدين القليوبي⁽⁵⁾، أرسل له بعضهم بُسرا كثير النوى فكتب إليه⁽⁶⁾:

[كامل]

أرسلت لي بُسرا حقيقته نوى عار فليس لجسمه جلبابُ

(1) طبقات الشافعية الكبرى 9:100.

(2) في ط: المزي.

(3) زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.

(4) طبقات الشافعية الكبرى 9:103.

(5) محمد بن أحمد بن عيسى بن رضوان القليوبي القاضي، كان فقيها شاعرا مجيدا، ولي القضاء بأشموم ثم بأبيار، ثم ولي قضاء صفد، ثم انصرف منها وعاد إلى الديار المصرية وتقلب به الأحوال، توفي سنة 725 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 9:126.

(6) نفسه.

ولئن تباعدتِ الجسومُ فودنا باقي ونحن على النوى أحبابُ
إذا كتب (شخص)^(١) آية فطمسها بالمداد أو قطع حروفها، هل يمسه
الجُنُب؟ فيها وجهان^(٢).

ولبلر الدين بن جماعة^(٣) أنشدنا لنا ولده عز الدين^(٤):

[بسيط]

جهاتُ أموال بيتِ المال سبعتها في بيتِ شعر حواها فيه كاتبه
خمسٌ وفيء خراج جزية عشر وإرث رد ومال ضل صاحبه
وله أيضا^(٥):

[طويل]

ومن كان لا يُرضيه من حالتي سوى خلاف مُراد الله ما حيلتي فيه
وقال في الرحمن الرحيم: فعلان مبالغة في كثرة الشيء ولا يلزم منه الدوام
كغضبان، وفعل لدوام الصفة كظريف، فكأنه قيل العظيم الرحمة الدائمها.
وللسبكي^(٦):

[وافر]

فدم الدهر للإنسان خير من الإنسان ذم له الزمانُ
ولغيره^(٧):

[كامل]

(١) زيادة من ط.

(٢) المسألة من فوائد محمد بن إسحاق بن محمد بن المرتضى الشيخ عماد الدين البليسي: طبقات الشافعية الكبرى 9:129.

(٣) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، قاضي القضاة، محدث فقيه، ولد سنة 639 هـ بحماة، ولي قضاء القدس مدة، مات بمصر سنة 733 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 9:139.

(٤) نفسه 9:139.

(٥) نفسه 9:142.

(٦) نفسه 9:152.

(٧) نفسه 9:153.

جهلُ الفتي عارٌ عليه لذاته وخمولهُ عارٌ على الأيَّام
وقال آخر⁽¹⁾:

[بسيط]

ما في خُمولي من عارٍ على أدبي بل ذاك عارٌ على الدنيا وأهلِها
وقال آخر⁽²⁾:

[خفيف]

أن يكون⁽³⁾ الزمانُ عيبِي أوَّلِي بي⁽⁴⁾ من أن أكونَ عيبَ الزمانِ

ومنها في ترجمة صفى الدين الهندي⁽⁵⁾ المتكلم الأصولي، وكان خطه في غاية الرداءة، فيحكى أنه قال: وجدت في سوق الكتب مرة كتاباً بخط ظنته أقبح من خطي، فغاليت في ثمنه، واشتريته لأحتج به على من يدعي أن خطي أقبح الخطوط فلما عدت إلى البيت وجدته بخطي القلم.

ومنها في ترجمة كمال الدين الزملكاني⁽⁶⁾، ومن فوائده في تفسير قوله تعالى (التائبون العابدون)⁽⁷⁾ الآية، في الجواب عن السؤال المشهور؛ وهو أنه لم ترك العطف في الجميع وعطف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ وقال: عندي فيه وجه حسن وهو أن المقام إذا كان مقام تعداد صفات من غير انظر إلى جمع أو انفراد، حسن إسقاط حرف العطف، وإن أريد الجمع بين الصفتين، أو التنبيه على تغايرهما، عطف بالحرف، وكذا إذا أريد التنويع لعدم اجتماعهما أتى بالحرف،

(1) نفسه 153:9.

(2) نفسه 153:9.

(3) في ط: إن أكن.

(4) ساقط من ط.

(5) محمد بن عبد الرحيم بن محمد، الشيخ صفى الدين الهندي الأرموي، المتكلم على مذهب الأشعري، من تصانيفه في علم الكلام الزبدة، وفي أصول الفقه النهاية والفائق والرسالة السيفية، مولده ببلاد الهند سنة 644 هـ، ورحل إلى اليمن سنة 667 هـ، ثم حج وقدم إلى مصر، ثم سار إلى الروم، ثم قدم دمشق سنة 685 هـ واستوطنها، توفي بدمشق سنة 715 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 162:9.

(6) محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم، كمال الدين بن الزملكاني، الإمام العلامة المناظر، قرأ الأصول على الشيخ صفى الدين الهندي، والنحو على الشيخ بدر الدين ابن مالك، ولد سنة 667 هـ، ولي قضاء حلب مدة، توفي سنة 727 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 190:9.

(7) التوبة: 113.

وفي القرآن أمثلة تبين ذلك؛ (عسى ربه إن طلقكن) ^(١) الآية. عطف الأخيرين، لأن المقصود من الصفات الأول ذكرها مجتمعة، والواو قد توهم التنويع، فحذفت، وأتى بالواو في الأخيرين لتضاد النوعين. وقال تعالى: (غافر الذنب) ^(٢) الآية. عطف الأولين دون الأخيرين، لأن غفران الذنب وقبول التوب قد يتوهم أنهما يجريان مجرى الواحد، لتلازمهما، فمن غفر الذنب قبل التوب، فبين بالعطف أنهما مفهومان متغايران يجب أن يعطى كل واحد منهما حكمه، وذلك في العطف أبين. وأما الأخيرين فكالمتضادين فحذف ليعرف أنها مجتمعان في ذاته، فحسن ترك العطف.

وأما آية (التائبون العابدون) ^(٣)، فيتضح معنى العطف فيها وتركه مما ذكر لأن كل صفة لم تعطف مغايرة للأولى، والغرض في اجتماعهما أنهما كالوصف الواحد لموصوف واحد فلم يحتج إلى العطف فلما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما كالتلازمين كـ (غافر الذنب وقابل التوب) ^(٤)، حسن العطف ليبين أن كل واحد معتد به لا يكفي منه ما يحصل في ضمن الآخر بل لا بد من صريح الأمر والنهي، فاحتاج إلى العطف، وأيضاً لما كان الأمر والنهي ضدّين كانا كالنوعين المتغايرين في قوله: (ثيبات وأبكارا) ^(٥).

ومن فوائده أيضاً: إذا استخار الإنسان فليفعل بعدها ما بدا له، سواء انشاحت نفسه أم لا، فإن فيه الخير، وليس في الحديث اشتراط انشراح النفس.

ومنها في ترجمة ابن دقيق العيد ^(٦) شيخ الإسلام، الحافظ الزاهد، المجتهد المطلق، وأطال في الثناء عليه إلى أن قال: قال أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمرى: لم أر مثله فيمن رأيت، ولا حملت عن أجل من فيما رويت، إلى أن قال: له بالتجريد تخلق، وبكرامات الصالحين تحقق، وله مع ذلك في الأدب باع وكرم طباع، حتى لقد كان الشهاب محمود الكاتب يقول: لم تر عيني آدب منه. قال السبكي: ولم ندرك أحداً من مشايخنا يخالف في أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس

(١) التحريم: 5.

(٢) غافر: 2.

(٣) التوبة: 113.

(٤) غافر: 2.

(٥) التحريم: 5.

(٦) طبقات الشافعية الكبرى 9: 207.

السبعمائة، وأنه أستاذ زمانه علماً وديناً، ولد في البحر المالح، وكان أبوه متوجهاً من قوص إلى مكة ولذلك ربما كتب الشعبي، ثم أخذه والده على يده وطاف به وهو يدعو الله أن يجعله عالماً عاملاً.

ويحكى أنه قرأ على والده [الحديث] ⁽¹⁾ المسلسل، يقول وأنا دعوت فاستجيب لي فسئل ما الذي دعوت [به] فقال: أن ينشئ الله ولدي محمداً عالماً، وكان والده مالكيًا، ثم تفقه هو على عز الدين بن عبد السلام فحقق المذهبين، ولذلك يقول فيه ابن القوبع في قصيدة:

[وافر]

صبا للعلم صبا في صباه فأعلن بممة الصَّب الصبي
وأقنَ والشباب له لباس ⁽²⁾ أدلة مالِك والشافعي

وذكر له كرامات، وكان يقول ما تكلمت كلمة ولا فعلت فعلاً إلا أعددت له جواباً بين يدي الله، وكان يخاطب السلطان فمن دونه بقوله يا إنسان، وإن كان [المخاطب] ⁽³⁾ فقيهاً كبيراً قال [يا] فقيه وتلك كلمة لا يسمح بها إلا لابن الرفعة ونحوه، وكان يقول للشيخ علاء الدين الناجي يا إمام ويخصه بها.

قال السبكي ⁽⁴⁾: سمعت الشيخ علياً الهجار ⁽⁵⁾ المكشوف الرأس يقول: مرَّ أبو العباس المرسى بالقاهرة في غلاء فرق على الناس، وتمنى لو كان معه ما يؤثرهم به، فأحس بثقل في جيبه، فأدخل يده، فأخرج دراهم جملة، ودفعها للخباز، وفرق الخبز على الفقراء، فلما انصرف ناداه الخباز: هي زيوف، فتفكر في نفسه أن رفته اعتراض فاستغفر، فوجدها الخباز جيدة، وجاء إلى ابن دقيق العيد وحكى له الحكاية فقال له ابن دقيق العيد: يا أستاذ أنتم إذا رفقتهم على أحد تزندقتم، ونحن إذا لم نرق على الناس تزندقنا، وأنشد له أبياتا كثيرة منها ⁽⁶⁾:

[سريع]

(1) زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.

(2) في ط: قياس.

(3) زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.

(4) طبقات الشافعية الكبرى 213:9.

(5) في ط: الهجام.

(6) طبقات الشافعية الكبرى 214:9.

كَمْ لَيْلَةٌ فِيكَ وَصَلْنَا السَّرَى
وَاخْتَلَفَ الْأَصْحَابُ مَاذَا الَّذِي
فَقِيلَ تَعْرِيسُهُمْ سَاعَةً
(غيره له) (1):

لَا نَعْرِفُ الْغَمَضَ وَلَا نَسْتَرِيحُ
يَزِيلُ مَنْ شَكَّوَاهُمْ أَوْ يَرِيحُ
وَقِيلَ بَلْ ذَكَرَكَ وَهُوَ الصَّحِيحُ

[كامل]

أَتَعَبْتَ نَفْسَكَ بَيْنَ ذَلَّةٍ كَادِحٍ
وَأَضَعْتَ نَفْسَكَ لَا خَلَاةَ مَا جَنَ
وَتَرَكْتَ حَظَّ النَّفْسِ فِي الدُّنْيَا وَفِي
(غيره له) (2):

طَلَبَ الْحَيَاةَ وَبَيْنَ حَرَصٍ مُؤْمِلٍ (2)
حَصَلَتْ فِيهِ وَلَا وَقَارَ مَبْجَلٍ
الْأُخْرَى وَرُحْتُ عَنْ الْجَمِيعِ بِمَعْزَلٍ

[بسيط]

أَهْلُ الْمَنَاصِبِ فِي الدُّنْيَا وَرَفَعْتُهَا
قَدْ أَنْزَلُونَا لَأَنَا غَيْرُ جَنْسِهِمْ
فَمَا لَهُمْ فِي تَوْقِي ضَرَرًا ضَرَرٍ
فَلَيْتَنَا لَوْ قَدَرْنَا أَنْ نَعْرِفَهُمْ
لَهُمْ مُرِيحَانٌ مِنْ جَهْلٍ وَفَرَطٌ غَنَى
(غيره له) (3):

أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَرْذُولُونَ بَيْنَهُمْ (4)
مَثَلَةُ الْوَحْشِ فِي الْإِهْمَالِ عِنْدَهُمْ
وَلَا لَهُمْ فِي تَرْقِي قَدَرْنَا هُمْ
مَقْدَارُنَا عِنْدَهُمْ أَوْ لَوْ دَرَوْهُ هُمْ
وَعِنْدُنَا الْمُتَعَبَانِ الْعِلْمُ وَالْعَدَمُ

[طويل]

إِذَا كُنْتُ فِي نَجْدٍ وَطَيْبٍ نَسِيمَهَا

تَذَكَّرْتُ أَهْلِي بِاللَّوَى فَمَحْجَرٍ (1)

(1) زيادة من ط.

(2) نفسه.

(3) زيادة من ط.

(4) طبقات الشافعية الكبرى 215:9.

(5) زيادة من ط.

فإن كنتُ فيهم ذبت شوقاً ولوعة
وقد طالَ ما بين الفريقين قصتي
على ساكني نجد وعيل تصبري
فمن لي بنجد بين قومي ومعشري
(غيره له) (٢):

[كامل]

ادأبُ على جمع الفضائل جاهداً
واقصدُ بها وجهَ الإله ونفع من
وأدم لها تعب القرينة والجسد (٣)
بلغته ممن جد فيها واجتهدُ
واترك كلامَ الحاسدين وبغيهم
هملاً فبعدَ الموت ينقطع الحسدُ
أنشدها في أول خطبة (٤) لابن الحاجب.

ومنها في ترجمة فتح الدين ابن سيد الناس (٥)، بعد الثناء الكثير عليه: لما ولي
الوالد مشيخة الحديث بالظاهرية، سعى فيها الشيخ فتح الدين وساعده نائب
السلطنة، ولم يتجاسروا على الشيخ، فأرسل إلى الشيخ الوالد يقول له: أنت تصلح
لكل منصب في كل علم، وأنا إن لم يحصل لي تدريس حديث ففي أي علم يحصل
لي تدريس، فرق له الوالد وتركها له، ثم ذكر له نظماً حسناً (٦).

ومنها في ترجمة ابن نباتة (٧) أديب العصر، له فنون ثلاثة لم نر من لحقه ولا
قاربه فيها، سبق الناس إلى حسن النظم فما لحقه لاحق، وإلى أنواع النثر فما قاربه
مقارب، وإلى براعة الخط فما قدر معارض على أن يحكي له خطاً.

(١) طبقات الشافعية الكبرى 229:9.

(٢) زيادة من ط.

(٣) في ط: من.

(٤) في ط: شرحه.

(٥) محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس، الأنطلسي الأشييلي ثم المصري، الحافظ الأديب، أجاز
له النجيب الحران، وحضر على الشيخ شمس الدين بن العماد الحنبلي، له تصانيف ونظم كثير، تولى
مشيخة الحديث بالظاهرية واستمر بها إلى أن مات سنة 734 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 268:9. لقط
الفرائد، ص: 187.

(٦) نفسه 270:9.

(٧) طبقات الشافعية الكبرى 273:9.

ومنها في ترجمة شيخه أبي حيان⁽¹⁾ بعد الثناء الكثير: جال في بلاد المغرب، ثم قدم مصر قبل سنة ثمانين وستمئة، أخذ عنه غالب مشيختنا وأقراننا، منهم الشيخ الإمام، وناهيك بها لأبي حيان منقبة، وكان يعظمه كثيراً، وله نظم كثير، موشحاته أجود من شعره. ثم ذكر له شعراً كثيراً إلى أن ذكر منظومة حازم الميمية التي امتدح بها بعض سلاطين تونس، وضمنها علم النحو، وذكر مسألة؛ فإذا هو هي أو إياها، قال السبكي في بيان ذلك⁽²⁾: إذا وقع بعد الفجائية ضميران نحو قولك فإذا هو هي، الأصل فإذا هو مثلها، فمثلها خبر مضاف إلى الهاء، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فارتفع [وانفصل وصار فإذا هو هي]⁽³⁾، ومن قال [إذا هو] إياها فالأصل [إذا هو] يشبهها، ثم حذف الفعل والفاعل وبقي المفعول فانفصل [فصار فإذا هو إياها] ونظيره في حذف الخبر وبقاء معموله قراءة [علي رضي الله عنه] (ونحن عصبه)⁽⁴⁾ أي [ونحن] نوجد [عصبه]، وقول النابغة:

[طويل]

وحلت سواد القلب لا أنا باغيا سواها ولا في حبها متراخيا

أي لا أوجد باغيا.

وقد أخذ شاعر العصر ابن نباتة أكثر أبيات الملحّة وضمنها في مدح الشيخ الإمام، وذكر منها جملة.

ومنها في ترجمة خليل بن أبيك الصفدي⁽⁵⁾، صنف الكثير من التاريخ والأدب، قال لي إنه كتب أزيد من ستمائة مجلد مصنفاً، وكانت بيّني وبينه

(1) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الأندلسي الجياني الأصل الغرناطي المولد والمنشأ المصري النار، شيخ النحاة، مولده بخرناطة سنة 654 هـ وبها نشأ وقرأ القراءات والنحو واللغة، وجال في بلاد المغرب، ثم قدم مصر قبل سنة ثمانين وستمئة، توفي بالقاهرة سنة 745 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 276:9. لقط الفرائد، ص: 196.

(2) نفسه 299:9.

(3) زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.

(4) يوسف: 8.

(5) خليل بن أبيك الشيخ صلاح الدين الصفدي، الإمام الأديب الناظم النثر، ولد سنة 696 هـ، وقرأ يسيراً من الفقه والأصولين، وبرع في الأدب نظماً ونثراً، له عدد من المصنفات المشهورة، توفي سنة 764 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 6:10. الأعلام 315:2.

صداقة، فإنه كان يتردد إلى والدي فصحبته، وكانت له همة عالية في التحصيل، ما صنف كتاباً إلا وسألني فيه عما يحتاج إليه من فقه وحديث وأصول ونحو^(١).

ومنها في ترجمة عبد الرحمن بن أحمد الإيجي المطرزي عضد الدولة الشيرازي^(٢)، يذكر أنه من نسل أبي بكر الصديق، اشتغل على الشيخ زين الدين الهنكي، ثم ذكر مكاتبته مع فخر الدين الجاربردي، ومراجعته وانتصار ولده إلى كلام بعض الأئمة في الآية المسؤول عنها، ثم ذكر كلام ولده، ومن جملة أنه أن الله [تعالى] تحدى بالقرآن في أربع سور في ثلاث منها بصفته في نفسه، في يونس^(٣) وهود^(٤) والإسراء^(٥)، [والسياق في ذكر القرآن من حيث هو هو] ولذلك لم يوت بمن في الأولين، [لفظة من المحتملة للتبعيض ولا ابتداء الغاية فتركها يعين الضمير للقرآن]. وفي [سورة] البقرة [لما قال (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا)^(٦)] قال: (فأتوا بسورة من مثله) فيكون من لا ابتداء الغاية والضمير في مثله للنبي ويكون قد [تحداهم فيها بنوع آخر من التحدي غير المذكور في السور الثلاث وذلك أن الإعجاز من جهتين؛ من فصاحة القرآن وهو المقصود، في [السور] الثلاث، ومن إتيانه^(٧) من النبي الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب وهو المتحدى به في البقرة، إلى أن قال^(٨): وهذان النوعان من التحدي يشتملان^(٩) على أربعة أقسام لأن التحدي بالقرآن أو ببعضه بالنسبة إلى من يقرأ ويكتب وإلى من ليس كذلك^(١٠) والتحدي بالنسبة إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، بالنسبة إلى مثل المتزل وإلى أي سورة كانت، [فإن من لم يكتب لا يأتي بها] فصار الإتيان بسورة من مثل النبي،

(١) طبقات الشافعية الكبرى 6:10.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي المطرزي، قاضي القضاة عضد الدين الشيرازي، كان إماماً في المعقولات عارفاً بالأصليين والمعاني والبيان والنحو مشاركاً في الفقه، له في علم الكلام كتاب المواقف، وفي أصول الفقه شرح مختصر ابن الحاجب، وفي المعاني والبيان القواعد الغياثية، مولده بإيج من نواحي شيراز بعد سنة ثمانين وستمائة، وتوفي مسجوناً سنة 756 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 46:10.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً): الإسراء: 88.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله): يونس: 38.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات): هود: 13.

(٦) البقرة: 23.

(٧) في ط: إثباته.

(٨) طبقات الشافعية الكبرى 59:10.

(٩) في خ وط: يشتمل.

(١٠) في خ وط: لا يقرأ ولا يكتب.

صلى الله عليه وسلم، ممتنعا شابهت القرآن أم لا، والإتيان بسورة من مثل القرآن ممتنعا كانت من كاتب قارئ أو من غيره، هـ المقصود.

وحاصل ما ذكره هو وغيره في كلام الزمخشري أن امتناع عود الضمير في مثله لما نزلنا عند تعلقه بـ (فآتوا)، وهو رابع الاحتمالات، يستلزم وجود مثل القرآن، إلا أنهم عجزوا عن الإتيان منه بسورة، وهذا الذي أطبقوا عليه عندي فيه نظر لأن المراد مثل القرآن في زعمهم، لأنهم زعموا ذلك فقالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا، (إن هذا إلا أساطير الأولين)^(١)، فتجدهم الله تعالى بالإتيان من ذلك المثل، الذي زعموه إن كان مثلاً حقاً بسورة فليتأمل، والوجوه الأربعة أن يكون من مثله صفة لسورة أو متعلقاً بـ: (فآتوا)، والضمير في كليهما إما (لما أنزلنا)، أو (لعبدنا).

ومنها في ترجمة عبد الغفار بن نوح^(٢)، كذا يقال، وإنما اسم والده أحمد بن عبد الحميد بن عبد الحميد الأقصري القوصي، صاحب كتاب الوحيد في التوحيد^(٣)، أخذ الحديث من الدمياطي والمحلب الطبري، حج فلما أبصر الكعبة قال لنفسه^(٤):

[كامل]

دعني أعفرُ جبهتي بترابها وأقبلُ الأعتابَ من أبوابها
خودُ رأيتَ البدرَ تحت نقابها سلبت رجال الحي عن ألبابها
فالكُل صرعى دون رفع حجابها

مات بالقاهرة، وأوصى أنه إذا دفن أن يترع عنه الكفن ليلقى الله عريانا.
ومنها في ترجمة جده عبد الكافي^(١)، كان من أعيان نواب ابن دقيق العيد، قرأ الأصول على القرافي، وكان كثيراً ما ينشد^(٢):

(١) الأنعام: 25.

(٢) عبد الغفار بن نوح، له كتاب الوحيد في التوحيد، طلب العلم وسمع الحديث من الحافظين أبي محمد الدمياطي والمحلب الطبري، مات بمصر سنة 708 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 87:10.

(٣) في خ وط: لوجيز.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى 88:10.

[سريع]

يا أيها المغرور بالله	فر من الله إلى الله
ولذبه وسله من فضله	لقد نجما من لاذ بالله
وقم له والليل في جنحه	فجذا من قام لله
واتل من الوحي ولو آية	تكسى بها نورا من الله
وعفر الوجه له ساجدا	فعز وجدة ذل لله

قال: سمعت شيخنا الإمام تقي الدين أبا الفتح بن دقيق العيد يقول: أقمت مدة أطلب الفرق بين الجهر والسر فلم أجد إلا قوله ما أسر من أسمع نفسه.

ومن خطبه: نسبتنا معاشر السبكية [إلى] الأنصار، ولم يكتب الشيخ الإمام الأنصاري قط في نسبه تورعا منه رحمه الله، وكان شيخنا الدمياطي يكتبها له، ومدحه الشعراء بقصائد فيها نسبته إلى الأنصار ولم ينكر، وكان أتقى من أن يسكت على ما يعلمه باطلا.

ومنها في ترجمة عبد الكريم علم الدين العراقي⁽¹⁾، أنه قال في درس ابن بنت الأعز على وجه السؤال في حديث: إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر، لا يخلو إما أن يحصل للطير الحياة بتلك الروح وهو عين ما تقوله الناصحية، أو لا، وهو مجرد حبس الأرواح وسجنها. قال السبكي: الجواب أن يلتزم الثاني ولا يلزم كونه [بمجرد] حبس [وسجن] لجواز أن يقدر الله لها [في تلك الحواصل] من السرور والنعيم ما لا تجده في الفضاء [الواسع]. قلت: وهذا الجواب عندي غير كاف، ولا بد من أبسط من هذا، ولا يسعه هذا المحل.

(1) عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي، كان من أعيان نواب الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، قرأ الأصول على القرافي والفروع على الظهير التزمتي، له نظم كثير غالبه زهد ومدح في النبي عليه السلام، توفي سنة 735 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 89:10. لقط الفرائد، ص: 189.

(2) طبقات الشافعية الكبرى 91:10.

(3) عبد الكريم بن علي بن عمر الأنصاري، الشيخ علم الدين العراقي الضرير، صنف فيه الإنصاف في مسائل الخلاف بين الزمخشري وابن المنير، مولده سنة ثلاث وعشرين ومستمائة، وتوفي في سنة 704 هـ بالقاهرة: طبقات الشافعية الكبرى 95:10.

ومنها في ترجمة الحافظ عبد المومن بن خلف الدمياطي⁽¹⁾، روى عن المنذري، وروى عنه من الأئمة الحافظ المزي، وقال: ما رأيت أحفظ منه، والحافظ الذهبي، والحافظ ابن سيد الناس، والحافظ محمد بن شامة الطائي، والحافظ الوالد، رحمهم الله، وكان الوالد أكثرهم ملازمة له، وسأله الحافظ علي بن محمد اليونيني عن هلال ومرار هل شهدا بدرأ وأطال في السؤال، فإن ابن الجزري وغيره أنكر ذلك، فأجاب بأن قال: لم يشهدا بدرأ ولا أحدا أيضا، وإن ذكرهما الإمام الإمام أحمد والبخاري ومسلم، وإمام الشرق والغرب ابن عبد البر، قلت: كان هذا تنكيثا منه، لأن اليونيني سماه بذلك، قال: وإنما قلد بعضهم بعضا، والمقلد الأول الزهري، ومنه أتى الوهم، ومن ذكرهما في الطبقة الثانية ممن شهدا أحدا فلقد قدم إسلامهما لا لشهودهما الواقعة، ثم قال: وأما قولكم لصاحب الاستيعاب إمام المغرب والشرق فلقد عثرت له على أوهام كثيرة في كتابه، ثم ذكر منها شيئا، وأما إمام الدنيا أبو عبد الله البخاري ففي جامع الصحيح أوهام، ثم ذكر منها شيئا.

ومنها في ترجمة علي بن عبد الظاهر الأحميمي⁽²⁾، قال الله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)⁽³⁾، ومن للتبعيض، ومعنى التبعيض [أن] لا ترفع شيئا من بصرك إلى شيء من المعاصي⁽⁴⁾.

ومنها في ترجمة علي بن إسماعيل القونوي⁽⁵⁾ بعد الثناء الكثير عليه، وذكر أن شيخ الإسلام ابن دقيق العيد قال: إنه يطلق على القونوي اسم الفاضل استحقاقا. وناهيك بابن دقيق العيد. شرح كتاب التعرف، واختصر المعالم وغير ذلك.

(1) عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن، الحافظ شرف الدين الدمياطي، ولد سنة 613 هـ، وتوفي سنة 705 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 102:10. لقط الفرائد، ص: 165.

(2) علي بن أحمد بن جعفر، صاحب أحوال ومقامات، توفي سنة 701 هـ بإخميم: طبقات الشافعية الكبرى 130:10.

(3) النور: 30.

(4) طبقات الشافعية الكبرى 132:10.

(5) علي بن إسماعيل بن يوسف قاضي القضاة الشيخ علاء الدين القونوي، درس بدمشق ثم قدم القاهرة وأقام بها مدة، وولي التدريس بمدارسها، صنف شرح الحاوي، واختصر منهاج الحليمي، وشرح كتاب التعرف في التصوف، ثم ولي قضاء الشام إلى أن مات سنة 729 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 132:10. لقط الفرائد، ص: 184.

ومنها في ترجمة والده علي بن عبد الكافي^(١)، الشيخ الإمام، الفقيه المحدث، الحافظ المفسر، المقرئ الأصولي، المتكلم، النحوي اللغوي، الأديب، الحكيم المنطقي، الجدلي الخلافي، النظار، شيخ الإسلام، قاضي القضاة، تقي الدين، إمام الناس؛ جامع كل علم، فريد الدهر، أسمى من تسامى. وبالغ في الثناء عليه جدا إلى أن قال: أقسم بالله إنه لفوق ما وصفته، وإني لناطق بهذا وغالب ظني أني ما أنصفته. قال: حكى أنه لم يأكل لحم الغنم إلا بعد العشرين من عمره لحدة ذهنه، وإذا شم رائحته حصل له شيء، دخل القاهرة مع والده، وعرض على ابن بنت الأعز وغيره، وقيل إن والده دخل به على ابن دقيق العيد، وأنه قال له: رده إلى البر حتى يصير فاضلا، ثم عد به إلى القاهرة، ولم يعد حتى مات الشيخ، ثم ذكر جملة من أشياخه، ثم قال: سمع منه المزي والذهبي والبرازي وغيرهم، وذكره الذهبي في المعجم الصغير، وأثنى عليه إلى أن قال: سمعت منه وسمع مني، وذكر أحمد بن يحيى بن فضل الله في المسالك وأثنى عليه كثيرا إلى أن ذكر رده على ابن تيمية في مسألة الزيارة ومسألة الطلاق، وأنشد ابن فضل الله:

[كامل]

وتطاعنا وتوافقت خيلاهما وكلاهما بطل اللقاء مقنع

قال التاج^(٢): هذا كلام ابن فضل الله، ولا يخفى ما بينه وبين الوالد من الشحنة، رحل إلى الشام في طلب الحديث سنة ست وسبعمائة، وناظر بها، وأقر له علماؤها، وعاد إلى القاهرة في سنة سبع مستوطنا، وحج وزار في سنة ست عشرة، ولم يزل على نشر العلم بها إلى سنة تسع وثلاثين، فولي قضاء الشام بعد جلال الدين القزويني بعد ممانعة طويلة، قال ولده: قبل^(٣) الولاية، يا لها غلطة، أف لها وورطة، ليته صمم ولا فعلها. ولي مشيخة دار الحديث بعد المزي، فالذي نراه أنه ما دخلها أعلم منه ولا أحفظ من المزي، ولا أورع من النووي وابن الصلاح، وقال شيخنا الذهبي: حين ولي الخطابة ما صعد هذا المنبر بعد ابن عبد السلام أعظم منه، ثم ذكر له شعرا كثيرا منه^(٤):

(١) علي بن عبد الكافي بن علي، ابن سليم السبكي، الشيخ الإمام الفقيه المحدث الإمام المشارك، ولد سنة 683 هـ، به ترجمة ضافية في طبقات الشافعية الكبرى 139:10.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى 157:10.

(٣) في ط: قبلها.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى 4.179:10.

[كامل]

إن الولاية ليس فيها راحة
حكم بحق أو إزالة باطل
إلا ثلاث يتغيها العاقل
أو نفع محتاج سواها باطل
ومنه قصيدته التي أولها: (1)

[طويل]

كمالُ الفتي بالعلم لا بالمنصب
ورتبة أهل العلم أسنى المراتب
أنشدتها حين أخذت منه مشيخة جامع طولون، ومنه في جواب سؤال عن
السماع: (2)

[كامل]

فيه خلافاً للأئمة قبلنا
لكنه لم تأت قط شريعة
سرج (3) الهداية سادة السادات
طلبتة أو جعلتة في القربات
وقبلها:

واعلم بأن الرقص والدف الذي
عنه سألت وقلت في أصوات
وهي أبيات، ومنها في مدح الأخ الأكبر أبي حامد: (4)

[طويل]

أبو حامد في العلم أمثال (5) أنجم
فأولهم من إسفراين نشؤه (6)
وفي النقد كالإبريز أخلص بالسبك
وثانيهم الطوسي والثالث السبكي

(1) نفسه 180:10.

(2) نفسه 182:10.

(3) في ط: شرح.

(4) طبقات الشافعية الكبرى 190:10.

(5) في ط: أمثل.

(6) في ط: نشأة.

ولقد كان الوالد يجلس الأخ ويعظمه، سمعته غير مرة يقول أحمد والد. سمعته في مرض موته والأخ غائب في الحجاز يقول: غيبة أحمد أشد علي مما أنا فيه من المرض.

ثم ذكر التاج في ثناء الأئمة على والده قال⁽¹⁾: وصح عن الشيخ تقي الدين بن تيمية أنه كان لا يعظم أحداً من أهل العصر كتعظيمه له، وكان كثير الثناء على تصنيفه في الرد عليه، وقال فيه⁽²⁾: لقد برز هذا على أقرانه، ولم يكتب المزي شيخ الإسلام إلا له ولا بن تيمية ولا بن أبي عمر، وأما ابن الرفعة فكان يعامله معاملة الأقران، ويعرض عليه ما يصنفه. حكى⁽³⁾ أن ابن الرفعة حضر مجلس الدمياطي فوجد الوالد بين يديه فقال: محدث أيضاً؟ وكان لعظمة الوالد عنده في الفقه يظن أنه لا يعرف سواه فقال الدمياطي: بل إمام المحدثين. فقال ابن الرفعة: وإمام الفقهاء فبلغت شيخه الباجي⁽⁴⁾ فقال وإمام الأصوليين، وبالجملة أجمع من يعرفه على أن كل ذي فن إذا حضره يتصور فيه، وأنه لا فن له إلا ذلك الفن، لا يماري أنه كان إمام الدنيا في كل علم على الإطلاق، إلا جاهل به أو معاند.

وكان ينهانا عن النوم في النصف الثاني من الليل ويقول: يا بني تعود السهر ولو أنك تلعب.

ولقد نزل لي شيخنا الذهبي عن مشيخة دار الحديث الظاهرية في حياته، فلم يمضها لي، وقال: أنا أعرف استحقاقه ولكن سن الشباب منعي أن أمضي له، وقال: ما أعلم أحداً يصلح لمشيخة دار الحديث غير ولدي عبد الوهاب وشخص آخر غائب؛ يعني صلاح الدين العلائي.

وقال لي في أيام مرضه: لا تطلب القضاء بقلبك فضلاً عن قلبك وأنا أطلبه لك لعلمي بالمصلحة في ولايتك لك ولقومك وللناس.

وقال لبعض الفقهاء: أريد ثلاثاً؛ ولاية ابني هذا موضعي، ورؤية ولدي أحمد، وموتي بمصر، أشهد بالله لقد سمعت ذلك منه. فقال له الفقير: سل الله في ذلك إن كان مصلحة، فقال: قد تحققت المصلحة له في الدنيا والدين جميعاً.

(1) طبقات الشافعية الكبرى 10:194.

(2) ساقط من ط.

(3) نفسه 10:196.

(4) في ط: الناجي.

ثم ذكر في سلسلة الحفاظ ما نصه: لم تر عيناى احفظ من أبي⁽¹⁾ الحجاج المزى وأبي عبد الله الذهبي والوالد، رحمهم الله، وغالب ظني أن المزى يفوقهما في أسماء رجال الكتب الستة والذهبي في أسماء من بعد الستة والتواريخ والوفيات، والوالد يفوقهما في العلل والمتون والجرح والتعديل مع مشاركة كل منهم لصاحبيه. فيما يتميز به فيه المشاركة الفائقة. وسمعت شيخنا الذهبي يقول ما رأيت أحدا في هذا الشأن أحفظ من الإمام أبي الحجاج المزى، بلغني عنه أنه قال: ما رأيت أحفظ من أربعة ابن دقيق العيد والدمياطي وابن تيمية والمزى، فالأول أعرفهم بالعلل وفقه الحديث، والثاني بالأنساب، والثالث بالمتون والرابع بأسماء الرجال. وساق سلسلة، ثم قال: وأنا أقول ما رأيت عيناى أعرف بالقراءة منه، ولا رأى كابن الصائغ، ولا رأيت أفقه منه، ولا رأى⁽²⁾ كابن الرفعة، ولا رأيت بعد أبي حيان أنحى منه، وكان يفوقه في حسن التصرف، وتصانيفهما⁽³⁾ تنبئك عن ذلك، وكان يقول: هو لم يلق في صناعة اللسان كأبي حيان، ولا رأيت عيناى في المعقولات بأسرها وفي علم الكلام مثله، ولا رأى مثل الباجي⁽⁴⁾، ولا رأى الباجي كالخسروشاهي ولا هو كالفخر الدين الرازي.

وكان يرى أن النكاح بلا ولي إذا قضى الحنفى بصحته ينقض، ويقول: أنا أستحيي من الله أن يرفع إلي نكاح صح عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه باطل وأستمر به على الصحة لرأي حاكم.

وقال إن تحلية الكعبة وسائر المساجد بالذهب والفضة جائز حلال، والمنع منه في الكعبة شاذ غريب في المذاهب كلها.

وقال: إن المرتد إذا قال بعد وجوب قتله: عرضت لي شبهة فأزيلوها، ناظرناه وأزلنا شبهته ما لم يظهر منه⁽⁵⁾ التسويف، وأن الولد لا يجوز له السفر في تعلم فرض كفاية، ولا تجارة، وإن غلب الأمن، إذا منعه أحد الوالدين، وإن طاعتهما في الشبهات واجبة، وفي ترك السنن إن لم يكن على الدوام، وأنه لا يحل لشافعي لعب الشطرنج مع من يعتقد تحريمه.

(1) في ط: ابن.

(2) في ط: ولا ولي.

(3) في ط: تصانيفهم.

(4) فيط: الناجي.

(5) ساقط من ط.

ثم ذكر شيئاً من مباحثه وقال: سمعت بعض الفضلاء يقول أنا أعتقد أن كل بحث يقع اليوم على وجه الأرض فهو له أو مستمد من كلامه وتقريراته.

وقال^(١) في قوله تعالى: (وكذلك نري إبراهيم) ^(٢)، ذلك تعليم من الله لإبراهيم عليه السلام الحجة على قومه، فأراه ملكوت السموات والأرض، وعلمه كيف يحاجج قومه، ويقول لهم: إذا حاججهم في مقام بعد مقام على سبيل التدرج إلى أن يقطعهم بالحجة، ولا يحتاج مع هذا إلى أن يقال ألف الاستفهام محذوفة، ويدل عليه صدر الآية (وكذلك نري إبراهيم)، وعجزها (وتلك حجتنا).

وقال^(٣): سمعت الباغي يقول في قوله: (أرأيت من اتخذ إلهه هواه)^(٤): لم كم يقل هواه إلهه؟ ولم أزل أفكر في الجواب منذ أربعين سنة حتى تلوت ما قبلها [وهو قوله: (وإذا رأوك)^(٥) إلى قولهم: (إن كاد ليضلنا عن آلهتنا)^(٦)] فعلمت أن المراد الإله المعبود بالباطل^(٧) الذي أشفقوا من الخروج عنه فجعلوه هواهم.

وقال^(٨): إنما يصير الفعل عبادة بالنية، والنية فيها أمران؛ أحدهما قصد الناي، والثاني كون الفعل واقعاً على وجه الامتثال، وذلك ناشئ عن القصد، وهذا الناشئ ركن بلا شك، وهو مع الفعل كالروح مع البدن، وتوجه قصد الناي إلى ذلك خارج؛ لأن القصد إلى الشيء غير الشيء، فمن هنا أشبهت الشرط، واشتبه الأمر في كون النية شرطاً أو ركناً، فصح أن يقال هي ركن باعتبار ذلك المعنى المقوم للفعل المقارن له من أوله إلى آخره، وهي شرط باعتبار القصد القائم بالناي، فهما أمران أحدهما قائم بذات الناي والثاني صفة للفعل، فالأول شرط والثاني ركن، ولا يعتقد أن الناي يقصد^(٩) الفعل المجرد وإنما يقصد^(١٠) الفعل بوصف كونه مطلوباً للرب سبحانه، وذلك الفعل يكتسب من

(١) طبقات الشافعية الكبرى 10: 267.

(٢) الأنعام: 75.

(٣) نفسه 10: 270.

(٤) الفرقان: 43.

(٥) الفرقان: 41.

(٦) الفرقان: 42.

(٧) في ط: المعهود الباطل.

(٨) طبقات الشافعية الكبرى 10: 271.

(٩) في ط: يعتقد.

(١٠) في ط: يعتقد.

الوصف صفة ينصبغ بها كانصباع الثوب، فالثوب المصبوغ صبغته جزء منه، والصبغ الذي هو فعل الفاعل خارج عنه، وشرط فيه، كذلك العبادة.

وقال^(١): اختلف الناس في شرط الحديبية، [من جاءك منا ترده]^(٢)، هل هو مخصوص أو منسوخ في النساء بقوله تعالى (فلا ترجعوهن)^(٣)، والذي اختاره أنه منسوخ، ولا ينبغي أن يقال إنه مخصوص، لأن النبي لا يظهر خلاف ما يظن.

وقال^(٤) في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا)^(٥)، هل الضمير في اغسلوا للذين آمنوا فيكونوا مأمورين الآن بالغسل وقت القيام؟ أو للذين آمنوا القائمين للصلاة لما دل عليه الشرط؟ فلا يكونوا مأمورين إلا وقت القيام للصلاة، وفيه بحث، والأظهر الثاني، ويشهد له قوله تعالى: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء)^(٦).

وقال^(٧) في قوله تعالى (ولا هم يحزنون)^(٨): قيل إنه لنفي الحصر، فلا يلزم نفي الحزن. وجوابه، على تسليم أن (هم يحزنون) للحصر، تقديرهم داخله على لا يحزنون، كما إذا دخل النفي على الفعل المؤكد بنون التأكيد، يقدر التأكيد^(٩) داخلا بعد النفي لا قبله، وقدم في اللفظ لا^(١٠)، ليقابل بها لا خوف عليهم، ولا مسلطة على (يحزنون) لا على الجملة.

وقال^(١١): من قواعد الفلاسفة الفاسدة أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد لأنه لو صدر عنه أكثر، فكونه مصدرا لج مثلاً مخالف لكونه مصدرا لب فالمفهوم أن كانا داخلين في الذات لزم التركيب، أو خارجين لزم التسلسل إلخ ما نظموا من الشبهة، وهذا بعينه يلزمهم في صدور الواحد مع كونه صادراً عن الذات والنسب

(١) طبقات الشافعية الكبرى 273:10.

(٢) زيادة من طبقات الشافعية الكبرى.

(٣) الممتحنة: 10.

(٤) نفسه 274:10.

(٥) المائدة: 6.

(٦) الطلاق: 1.

(٧) طبقات الشافعية الكبرى 276:10.

(٨) البقرة: 38.

(٩) ساقط من ط.

(١٠) ساقط من ط.

(١١) نفسه.

عندهم ثبوتية⁽¹⁾ فيقال لهم الصادر وتأثير القادر فيه إما أن يكونا داخلين أو خارجين أو أحدهما [داخلا والآخر خارجا] إلخ، وينتقض [كل قسم] بنا نقضوا به.

وقال⁽²⁾ في قول الشاعر:

[طويل]

لنا الجففاتُ الغر يلمعن بالضحى [وأسيافنا يقطرن من نجدة دما]

إنما [قال بالضحى و] لم يقل بالدجى لأنها إذا لمعت في الضحى كان أبلغ، فإن القليل يلمع في الدجى ولا يلمع في الضحى إلا الكثير.

وقال⁽³⁾: يقال رضيع الثدي، بكسر الماضي وفتح المضارع ورضع، عكسه إذا تلاءم، والرجل راضع أي لثيم، (ومنه اليوم يوم الرضع)⁽⁴⁾، أي هذا يومكم أيها اللثام.

وقال في كتابه: كشف القناع في حكم لو للامتناع⁽⁵⁾:

[رجز]

مدلول لو ربط وجود ثان	بأول في سائر الزمان
مع انتفاء ذلك المقدم	حقا بلا ريب ولا توهم
أما الجواب إن يكن مناسبا	وليس غير شرطه مُصاحبا
فاحكم له بالنفي أيضا واعلم	بأن كلا داخل في العدم
أو لم يكن مُناسبا فواجب	من باب أولى ذاك حكم لازب
في مناسب له إذ يفقد	مُناسب سواه قد لا يوجد

(1) في خ وط: والمثبت عندهم ثبوته.

(2) طبقات الشافعية الكبرى 10:280.

(3) نفسه 10:281.

(4) زيادة من ط.

(5) نفسه 10:279 — 280.

هذا جوابٌ لو بتقسيم حصل ممتنع وواجب ومُحتمل
ومُعظم المقصود فيما يجب إثباته في كل حال يطلب
مثالُهُ نعم الذي لو لم يخف لما عصى إلههُ ولا اقترف
ومُعظم المقصود في الممتنع بيان نفي شرطهِ الذي ادعى
كلو يكونُ فيهما شريك لفَسدا فالواحدُ المليك
أو أن ذاك النفيُّ حقاً أثرا في عدم الذي يلي بلا مرا
كلو أتيتني لكنت تكرم كرامتي لمن قلاني^(١) لعدم

وقال: ^(٢) قوله: (كلنا لك عبد)، أفردته لأنه قصد أن يكون الخلق أجمعون بمثلة عبد واحد وقلب واحد.

وقال: ^(٣) الحنث العظيم^(٤) القسم على إنكار البعث المشار إليه في قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت)^(٥).

وقال ^(٦) في قول السهيلي: إن قوله عليه السلام: أو مخرجي هم^(٧)، فيه دليل على حب الوطن، أحسن منه أن يقال تحركت نفسه لما في الإخراج من فوات ما

(١) في ط: تلاني.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى 281:10، وهذا جواب عن سؤال وجهه المؤلف لوالده فحواه: لم يقول المصلي في الاعتدال: كلنا لك عبد، ولا يقول: عبيد، مع عود الضمير في كلنا على جمع؟ نفسه.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: (وكانوا يصرون على الحنث العظيم): الواقعة: 46.

(٤) النحل: 38.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى 285:10.

(٦) جاء في صحيح البخاري: "حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن عقيل عن بن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: ثم أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحدث فيه، وهو التعبّد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم)، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زمّلوني زمّلوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروح فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك

ندب الله إليه من إيمانهم وهدايتهم، فإن ذلك مع التكذيب مترقب، ومع الإخراج منقطع، وذلك هو الذي لا شيء عند الأنبياء أعظم منه، لأنه امتثال أمر الله، وأما مفارقة الوطن فأمر جبلي، والنبي أعلى وأجل من الوقوف عنده في هذا الموطن العظيم.

وقال^(١): إنما لم يقل إن شاء الله في قوله: وباسمك أرفعه، [لقوله تعالى: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله)^(٢)] لأنه لو تقدم الفعل على الجار والمجرور، ويكون معناه الإخبار بالرفع وهو عمدة الكلام، وجاء المجرور تكملة، فهنا يقال إن شاء الله، وإذا قلت باسم الله أرفع، كان المعنى الإخبار بأن الرفع كائن باسم الله وهو عمدة الكلام، انتهى. وكون الرفع^(٣) باسم الله محقق فلا يحتاج إلى قوله إن شاء الله. وعندي فيه وجه آخر أن قوله: باسمك أرفعه، وإن كان صيغة خبر، فهو بمعنى الدعاء؛ كأن النائم دعا الله أن لا يكون ممن يقبض في هذا النوم، بمعونة القرآن، ويدل له ما بعده، والداعي لا يقول إن شاء الله.

وقيل له: إن الكتب على الرسم بطلانه إفساد للملك الغير بغير إذنه، فأجاب بأن الكتب عليه واجب بالكتاب والسنة والإجماع والقياس؛ الكتاب قوله: (ليحق الحق)^(٤) الآية، لتبين للناس، (لتبينه)^(٥). الحديث: من رأى منكم منكراً إلى غير ذلك. الإجماع [إجماع الصحابة مع عثمان رضي الله عنهم] على تحريق المصاحف الباطلة لما فيها من زيادة أو نقص عن غير المجموع عليه، فإذا جاز تحريقه لباطل فيه فالكتابة عليه بالباطل أولى، وأما القياس فعلى حكم الكتب في البياعات والأوقاف

لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عم اسمع من بن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزراً ثم لم ينشأ ورقة أن توفي: صحيح البخاري 4:1.

(١) طبقات الشافعية الكبرى 287:10.

(٢) الكهف: 23 - 24.

(٣) في ط: باسم الله.

(٤) الأنفال: 8.

(٥) آل عمران: 187.

وغيرها حتى لا يغتر بما فيها، وهو أولى من إعدامه، لأنه^(١) قد يقول قائل كان ما فيه حق وأما عند وجوده فليتأمل. ولا ينبغي أن يعطى لمن كان في يده، لأنه قد يتعلق به بإزالة ما كتب عليه أو بلبس.

ولأن الكتب إنما يملكها من له فيها حق^(٢)، فإذا بيعت الدار فكتبها ينتقل ملكها بانتقال الدار إلى المشتري ليشهد له بملكها، وهذا الكتاب لا حق فيه لزوره وبطلانه.

وقال^(٣) إن الكلام النفسي يسمع، وإن التعلق قديم. وقال^(٤) البشر أفضل من الملك ولكن لا يجب [على المكلف] اعتقاد ذلك ولو لقي (المكلف) الله ساذجا من هذه المسألة لم يبال.

وقال^(٥): إن قولك من عندك؟ يطلب به التصور لا التصديق، ومن زعم أن المطلوب به التصديق فقد غلط، وأن الجواب فيها مفرد لا مركب، ولا يقدر له مبتدأ ولا خبر، وعلى هذا قوله [تعالى]: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله)^(٦)، وأما قوله: (خلقهن العزيز العليم)^(٧)، فابتداء كلام يتضمن الجواب وليس اقتصارا على نفس الجواب، فالله في الآية الأولى اسم مفرد، والذي يقدره النحاة [من أنه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف ونحو ذلك] إنما يصح بأحد طريقين؛ أحدهما أن لا يراد الاقتصار على الجواب بل زيادة إفادة الإخبار، ويحصل في ضمن ذلك الجواب وهو إفادة التصور، والثاني أن يراد الاقتصار على الجواب لفظا ويدل بالالتزام على المعنى التصديقي وهو أن الله خلقهم، فنظر النحاة إلى هذا المعنى الالتزامي وأعربوا عليه لأن صناعته تقتضي النظر فيه ليكون الكلام تاما، وليس من صناعته النظر في المفرد [قال: لكن يبقى بعد هذا بحث وهو أنه إذا كان مفردا فحقه أن لا يعرب لأن الأسماء قبل التركيب لا معربة ولا مبنية وإذا لم يكن معربا فحقه أن ينطق به موقوفا]، وإنما جاء في القرآن مرفوعا ولم ينطق به موقوفا،

(١) زيادة من ط.

(٢) في ط: حظ.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى 294:10.

(٤) نفسه 295:10.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى 304:10.

(٦) الزخرف: 87.

(٧) الزخرف: 9.

فلعله مراعاة لما استفيد منه بدلالة الالتزام، وقد يقال الأسماء المفردة ينطق بها على هيئة المرفوع، لأن الرفع أقوى الحركات، ولهذا يقال في العدد واحد، اثنان بالالف كالمرفوع، قال: وأصل هذا إذا قيل ما الإنسان؟ فقل: الحيوان الناطق، فإنه مفرد ليس بكلام، إنما القصد به تصور حقيقة الإنسان، ولهذا يعد المنطقيون الحد خارجا عن الكلام ومتى قيل هو الحيوان الناطق كان دعوى لا حدا.

وقال^(١): يقال جاء شيء، ولا يقال جاء جاء، وإن كان الجائي أخص من شيء، لأن جاء مسند والمسند إليه الفاعل، ومعرفة المسند إليه متقدمة على معرفة المسند، فمتى عرف الجائي عرف المجيء، فلا يبقى في الإسناد فائدة، والشيء قد يعرف ولا يعرف بحيته.

قال ولده التاج^(٢): استمر به الضعف من ذي القعدة سنة خمس وخمسين [وسبعمائة] بدمشق إلى أن وليت أنا القضاء، ومكث^(٣) بعد ذلك نحو شهر، وسافر إلى مصر، وكان يذكر أنه^(٤) لا يموت إلا بها، فاستقر بها أياماً ثم توفي ليلة الاثنين المسفرة عن ثالث جمادى الأخيرة سنة ست وخمسين وسبعمائة بظاهر القاهرة، ودفن بباب النصر.

ومنها في ترجمة علي بن محمد علاء الدين^(٥) الباجي^(٦)، شيخ والده في الأصول، بينه وبين النووي صحبة أكيدة، وكان النووي يحب طعام^(٧) الكشك، فإذا طبخه دعاه وقال: أنا أحبك وأحب الكشك فلا أحب أن آكله إلا معك، فقال له الباجي^(٨): يا شيخ محيي الدين أنا أحبك ولا أحب الكشك، لأنه كان يعافه.

(١) نفسه 306:10.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى 315:10.

(٣) في ط: مكث.

(٤) ساقط من ط.

(٥) علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب، الشيخ الإمام علاء الدين الباجي، الفقيه المشارك، مولده سنة 631 هـ، ولي قضاء الكرك ثم استقر بالقاهرة، توفي بها سنة 714 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 339:10. لقط الفرائد، ص: 173.

(٦) في ط: الناجي.

(٧) ساقط من ط.

(٨) في ط: الناجي.

وقال بعد ثناء كثير: لما رآه ابن تيمية أعظمه، ولم يجز بين يديه بلفظة، وقال الشيخ علاء الدين: تكلم نبحت معك، وابن تيمية يقول مثلي لا يتكلم بين يديك أنا وظيفتي الاستفادة منك.

وله^(١):

[وافر]

رثى لي عُودي إذ عايتوني وسحبُ مدامعي مثل العيونِ
ورامُوا كحل عيني قلتُ كُفُوا فأصلُ بِلَيتي كُحل العيونِ

وقال التاج^(٢): ولما ظهر السؤال الذي أظهره بعض المعتزلة، وكنتم اسمه وجعله على لسان بعض اليهود، وهو:

[طويل]

أيا علماء الدين ذمي دينكم [تخير دلوه بأوضح حجة]
وهي ثمانية أبيات.

ويقال إن هذا الناظم هو ابن البقعي^(٣) الذي ثبت عليه أقوال تدل على الزندقة وقتل بسيف الشرع في ولاية الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد، فانتدب علماء مصر والشام لجوابه، ومنهم علاء الدين الباجي^(٤)، وأجاب ابن تيمية بجواب فيه طول.

ولابن الوردي^(٥) في بعض القضاة:

[رمل]

كان والله عفيفاً نزهاً وله عرض غريض ما أتم

(١) طبقات الشافعية الكبرى 10:344.

(٢) نفسه 10:352.

(٣) في ط: التقي.

(٤) في ط: الناجي.

(٥) عمر بن مظفر بن محمد بن أبي الفوارس، ابن الوردي، فقيه أديب نحوي، ولي قضاء حلب مدة، من تصانيفه: نظم الحاوي، وله رسالة في الطاعون، توفي سنة 749 هـ بحلب: طبقات الشافعية الكبرى 10:373. لقط الفرائد، ص: 203.

وهو لا يدري مُدارة الوري ومُدارة الوري أمرٌ مهم
وله^(١):

[سريع]

لما رأى الزهرُ الشقيقَ انثنى مُنهزماً لم يستطعْ غُحهُ
فقلت^(٢) من جاء، فقلنا له جاء شقيقٌ عارضاً رِحمهُ
وله^(٣):

[مجزوء الرمل]

دهرنا أمسى ضُـبـينا باللقا حتى ضُـبـينا
يا ليالي الوصل عُودي واجمعينَا أجمعينَا

ومنها^(٤) في ترجمة الفرّج بن محمد الأردبيلي^(٥) شارح منهاج البيضاوي، نقل عن بعض كتب الرافعي أنه قال: خطر لي أنه من سمع المؤذن وأجابه وصلى في جماعة، ثم سمع مؤذناً ثانياً لا يجيبه، لأنه غير مدعو بهذا الأذان، وهذا بحث صحيح ومأخذ حسن.

ومنها^(٦) في ترجمة القاسم بن محمد علم الدين البرزالي^(٧) الأشيبلي، أحد الأئمة الذين لا خامس لهم في هذه الصناعة، مات محرماً في خليص سنة تسع وثلاثين وسبعمائة.

ومنها^(٨) في ترجمة جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي^(٩)، ذكره الذهبي في المعجم وأثنى عليه إلى أن قال: يشارك في الفقه والأصول، ويشارك في مضائق

(١) طبقات الشافعية الكبرى 10:374..

(٢) في ط: فقلنا.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى 10:375.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى 10:380.

(٥) فرج بن محمد بن أبي الفرّج، نور الدين الأردبيلي، قرأ المعقولات بتبريز، ثم قدم دمشق، ودرس بالظاهرية والناصرية، توفي سنة 749 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 10:380.

(٦) طبقات الشافعية الكبرى 10:381.

(٧) القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي علم الدين أبو محمد الإشبيلي، فقيه محدث، ولد سنة 665 هـ، وتوفي بخليص سنة 739 هـ: طبقات الشافعية الكبرى 10:381.

المعقول. قال التاج: ولا أحسب شيخنا المزي يدري المعقولات فضلا عن الخوض في مضايقتها، فسامح الله شيخنا الذهبي.

وقال⁽³⁾: عاصرت أربعة لا خامس لهم؛ المزي والذهبي والوالد والبرازلي، ولم أر البرزالي، وكان يفوقهم في معرفة الأجزاء ورواها، وكل الثلاثة يعظم المزي ويقرءون عليه ويعترفون بتقدمه. وبالجملة فشيوخنا المزي أعجوبة زمانه، يقرأ عليه القارئ نهارا كاملا والطرق تضطرب، والأسانيد تختلف، وضبط الأسماء يشكل، وهو لا يسهو ولا يغفل.

وقال فيه الشيخ الإمام حين قيل له في عزله عن دار الحديث: من ذا الذي يتجاسر أن يقول المزي ما يصلح لدار الحديث، والله لو عاش الدارقطني لاستحيا أن يدرس مكانه. وإنما قيل بعزله لأن شرط الواقف أن لا يتولاها إلا أشعري، والمزي لم يتولاها حتى كتب بخطه أنه أشعري، ولم يصدق في ذلك، ولذلك لم يتولاها الذهبي بعده، ويتولاها الشيخ الإمام بعد إشارته بالذهبي، ولهذا حكاية.

قال التاج⁽⁴⁾: كان يخوض في شيء من الصفات في أصول الديانات، وأما المعقولات فلم يكن يدريها ولعل الذهبي خطر له أن ذلك القدر الذي كان يخوض فيه من أصول الديانات هي مضايق المعقولات، وهذا ظن من لا يدري مدلول المعقولات، وأنها علوم وراء علم الكلام يعرفها أهلها. وقال الذهبي إن المزي كان يقرر طريقة السلف في السنة فيعضد ذلك بقواعد كلامية ومباحث نظره. قال وجرى بيننا معارضات في ذلك.

قال التاج: وليس المزي والذهبي عندنا في هذا المقام والحق أحق ما قيل. واعلم أن هذه الفرقة، أعني المزي والذهبي والبرزالي وكثيرا من أتباعهم، أضربهم أبو العباس ابن تيمية إضرارا بينا، وحملهم من عظام الأمور ما ليس هينا. وحدث المزي نحو خمسين سنة، سمع منه ابن تيمية والبرزالي والذهبي، وابن سيد الناس، والشيخ الإمام، هـ.

(1) طبقات الشافعية الكبرى 10:395.

(2) يوسف بن الزكي، عبد الرحمن بن يوسف، الشيخ جمال الدين، أبو الحجاج المزي، الدمشقي، ولد سنة 654 هـ بظاهر حلب، وسمع ببلاذ كثيرة وجمع له الدراية والرواية وعلو الإسناد، صنف تهذيب الكمال، توفي سنة 742 هـ بدار الحديث الأشرفية ودفن بمقابر الصوفية: طبقات الشافعية الكبرى 10:395.

(3) طبقات الشافعية الكبرى 10:397.

(4) طبقات الشافعية الكبرى 10:399.

وممن لقيته بالمدينة المشرفة^(١) ممن ينتمي إلى الصلاح وسلوك طريق الإرادة؛ الشيخ مواز الشامي الدمشقي، جاور بالمدينة مدة، وكان أصله من دمشق، وله خبرة بطريق القوم، ولقي عدة من المشايخ؛ كالشيخ أيوب الشامي، وشيخنا القشاشي وغيرهما. وجمع من كتب الفن كثيراً، سيما مؤلفات الشيخ محي الدين ابن العربي فله بها اعتناء، وسبب معرفتي له أني ذات يوم جالس بالحرم الشريف إذ أتاني بمؤلف من مؤلفات الشيخ محي الدين وأرانيه، وسألني عن جل كلام له فيه صعوبة، وكان قد تقدم لي الخوض في تلك المسألة، فذكرت له ما ظهر لي في فهمها، واستحسن فهمي فيها، ثم لم يزل يوالي الجلوس إلي بعد ذلك، وأعارني كتاب عنقاء مغرب ومعرفة ختم الأولياء وشمس المغرب، للشيخ محي الدين ابن العربي، وما رأيته قبل ولا بعد إلا عنده، والذي يظهر من كلامه أن الختم الحقيقي، والمهدي المنتظر هو نبي الله عيسى عليه السلام، واستدل على ذلك، وعلى أوصافه وزمنه، بآيات قرآنية لا يهتدي إلى فهم ذلك منها إلا هو وأمثاله، وله في هذا الكتاب قلم ينسب إليه، يكتب به ما أراد إخفاءه وستره، وصورته قد تقدمت.

لطيفة:

أخبرني صاحب الترجمة أنه صاحب الشيخ الفقيه، الأديب البارع، حافظ المغرب في زمانه، سيدي أحمد المقرئ أيام إقامته بدمشق، وكان يلزمه ويرافقه في تقلباته بما وزياراته، ويحكى عنه أحوالا عجيبة، فمما حكى لي عنه أنه ذهب معه ذات يوم لزيارة قبر الشيخ محي الدين ابن العربي خارج المدينة، قال: وكان خروجنا بعد صلاة الصبح، ووصلنا إلى المزاراة عند طلوع الشمس، فلما جلسنا عنده قال لي الشيخ المقرئ: إني ابتدأت عند خروجنا إلى الزيارة ختمة من القرآن لروح هذا الشيخ، وقد ختمتها الآن، وهذا من غريب ما يحكى في هذه الأزمنة.

وذكر لي صاحب الترجمة أيضا أنه لقي في بعض حجاته رجلا فقيها من أهل تلمسان حكى عنه أحوالا غريبة، منها أنه رافقه من مكة إلى المدينة، وكان يختم في كل يوم كذا وكذا ختمة، قال: فلما وصلنا إلى المدينة ودخلنا المسجد النبوي وتقدمنا إلى الزيارة، ووقفنا بالمواجهة، قال: فلما فرغت من الزيارة على الوجه

(١) في ط: المشرفة.

المعتاد، رجعت إلى الروضة وجلست أنتظره، فأبطأ علي هنيهة، فإذا هو داخل، فقلت له: ما أبطأك عني؟ فقال لي: ختمت ختمة أمام وجه النبي، صلى الله عليه وسلم، ثم جئتك، وهذا لا يستبعد على سبيل الكرامة وخرق العادة، ولا شك أن من ألف قراءة القرآن واعتاد به، قد يبلغ إلى ختم ثلاث أو ما يقرب من ذلك في اليوم، وأما مثل ما تقدم فلا يكون إلا كرامة وخرق عادة، وقد ذكر الناس في كرامات الأولياء من يختم العشر والعشرين وأزيد في اليوم الواحد، وأغرب ما سمعنا من ذلك ما حكاه غير واحد ممن ألف في كرامات الأولياء أن بعض أصحاب الشيخ أبي مدين حَجَّ في السنة التي حج فيها الشيخ السهروردي، فذكر له عنه أنه يختم في اليوم واليلة سبعين ألف ختمة، فبعث بعض ثقات أصحابه يختبر له ذلك فوجده يطوف بالبيت وهو يقرأ، فتبعه من الركن إلى قريب من الحجر، فختم عددا كثيرا من الختمات، وفي هذا خرق عادة للقارئ والسماع، لأن سماع مثل هذا في هذه المدة لا يمكن عادة، وهذا قريب من ختمة في كل نفس، فقد قيل إن أنفاس الآدمي المعتادة في اليوم واليلة نحو من ذلك العدد، وعلم الله أوسع من أن يحاط به.

ومنهم القانت الخاشع، الناسك الخاضع، الراكع الساجد، حليف المساجد، الشيخ عبد الله بن نُمي العمودي اليميني⁽¹⁾، كان هذا الرجل من أصحاب شيخنا عارف وقته الشيخ محمد باعلوي اليميني⁽²⁾، وما أظن أنه خلف في أصحابه مثله ديانة وورعا واجتهادا في العبادة، وكان هو والسيد محمد قد صحبا شيخهما السيد عبد الله بن علي صاحب الرهط الرفيع المشهور الذكر في بلاد اليمن والحجاز، فلما توفي انثال الناس بعده على تلميذه الشيخ عبد الله، واجتمع عليه الفقراء، وانتشر له صيت، وأصحابه لا يشكون أنه الوارث لمقامه، وأهل البصائر يعلمون أن السيد محمد هو وارث مقامه، إلا أنه بقي حامل الذكر، لا يشعر به ولا يعرفه إلا الخواص، وبقي على تلك الحال مدة إلى أن ظهر للشيخ عبد الله أن الشيخ محمد هو الوارث لمقام الشيخ وأحق منه بالتقدم لتربية المريدين، فأصبح ذات غداة على باب السيد محمد واقفا مكشوف الرأس وقوف النائب المستغفر من التقدم عليه بدون استحقاق، والناس يتعجبون من ذلك، ولا يعلمون سببه، فبعد

(1) عبد الله بن نُمي العمودي، ترجم له صاحب نشر المثنائي نقلا عن الرحلة العياشية: نشر المثنائي

389:2.

(2) سبقت ترجمته.

ساعة أذن له السيد محمد فدخل عليه، واستغفر وتنصل مما أتاه، وقبل السيد توبته، وصار من خواص أصحابه، واثال الناس على السيد محمد من يومئذ، وانفضوا عن السيد عبد الله، إلى أن صار أمر السيد محمد إلى ما صار من شدة الظهور والانتقال إلى مكة، والتردد بينها وبين المدينة، إلى أن توفي إلى رضوان الله وجنته، وبقي الشيخ عبد الله بعده على حاله من الخمول لا يعرفه إلا خواص أصحاب الشيخ، وكأنه لم يؤذن له في الظهور بعد ذلك لاستعجاله الظهور أولاً قبل أوانه، ولذلك بقي أصحاب الشيخ بعده فوضى لا إمام لهم، ولم يترشح إلى الآن أحد ينقادون إليه، ويصيرون إلى رأيه، والله في ذلك حكم وأسرار يعرفها أهل النهي والأبصار، وقد اعتنى صاحب الترجمة آخر الأمر بسماع الحديث على أئمة لنيته الصالحة، وأخبرني أنه فتح له سر عظيم وذوق غريب عند اشتغاله بذلك، وأكب على سماع مصاييح البغوي وملازمته في غالب أوقاته، فلا يكاد يفارق كفه، إلا أنه لأئمة يسمع ممن وجد.

لطفة:

من اشتغل صاحب الترجمة بسماع المصاييح منه، وصاحبنا الشيخ حسن البري المتقدمة ترجمته، فيجتمع إليهما جماعة من العوام والطلبة تتسع بهما الحلقة، وكان ذلك بالروضة بين المنبر والقبر الشريف، ومررت يوماً بالمجلس فسمعت الشيخ حسناً يقرر حديثاً، فاستمعت له، فإذا هو حديث أن الله يضحك إلى رجلين قتل أحدهما الآخر، قالوا: كيف ذاك يا رسول الله؟ قال: يقتل أحدهما في سبيل الله، ثم يتوب الله على القاتل، فيستشهد بعد ذلك⁽¹⁾، الحديث بمعناه، فاستمعت لتقريره فكان أول ما طرق سمعي أن قال: وذلك كسيدنا وحشي قاتل سيدنا⁽²⁾ حمزة، فإنه قد أسلم بعد ذلك، فيكونان ممن يضحك الله إليهما، فاقشعر جلدي من ذلك، وأنكره قلبي بعد ذلك كل الإنكار، سيما في ذلك المحل العظيم بمراي من النبي، صلى الله عليه وسلم، ومستمع، ما كان، صلى الله عليه وسلم،

(1) نص الحديث النبوي الشريف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم إن الله يضحك إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما دخل الجنة، يقاتل هنا في سبيل الله فيستشهد، ثم يتوب الله على قاتله فيسلم، فيقاتل في سبيل الله فيستشهد: سنن ابن ماجه 68:1.

(2) زيادة من ط.

ليرضى التسوية بين عمه سيد الشهداء الذي لم يصب من أهل بيته بمثله، وبين قاتله وحشي الحبشي الذي أعرض عنه بوجهه يوم جاءه مُسَلِّماً، وقال له: إن استطعت أن تغيب وجهك عني فافعل، ولم تعرف له صحبة للنبي، صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ولا لقاء آخر يرضى فيه عنه، ولا قرب منه عليه السلام، إلى أن مات، والعجب كل العجب من هذا المدرس، والله يغفر لنا وله، كيف سَوَّلت له نفسه هذه التسوية، وعلى تقدير صحتها، وما أبعداها عن الصحة، كيف قدر لسانه على النطق بذلك في مثل هذه الحاضرة تأدياً معه، صلى الله عليه وسلم، أن يسوى أحداً من الرعايا بعظماء أهل بيته، خصوصاً زعيمهم الذي قيل فيه أنه أفضلهم، فما بالك إذ سوى بقاتله الذي اشتد سخط الرسول عليه، ولقد ظهر أثر سخطه عليه بعد ذلك، فلم تعرف له حالة مرضية بعد إسلامه، بل لا تتحقق موته على الإسلام، فقد قيل إنه مات سكراناً غريقاً في الخمر، ومن لم ترض حالته بعد إسلامه، وسخط عليه الرسول الأعظم، وقارن الكبائر، ومات ملابساً لأم الخبائث، كيف يسوى بإمام (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)⁽¹⁾ وشهد عليهم الرسول، وأخبر برضوان الله عنهم، وأعجب من ذلك كله غفلته عن كون الحديث إنما ينطبق على رجلين استشهدا معاً، ولا قائل إن وحشياً الحبشي استشهد، بل قيل في حاله ما تقدم، مما هو والشهادة على طرفي نقيض، والحامل له على ذلك، والله أعلم، قلة مبالاته، مع ضيق عطنه في علم الحديث والسير، ولم يجد ما يمثل به لذلك لعدم معرفته بأخبار الصحابة وأحوال من استشهد منهم وتسمية قاتليهم، ومن أسلم منهم بعد ذلك ثم استشهد، ولما كانت موته⁽²⁾ سيد الشهداء حمزة وشهادته معروفة عند الخاص والعام، وعلم أيضاً أن قاتله قد أسلم، لم يجد ما يمثل به إلا ذلك، وليته ترك التمثيل وسلم من هذه الورطة التي لا تطابق الممثل، ولا تليق بالمقام ولو طابقت، والله يغفر لنا وله. ولم أذكر ذلك له ولا لأحد من أصحابه خشية أن يظن بي استراق السمع في مجلسه، والتطلب لعوراته، فيثير ذلك حقداً وحسداً، مع أنه أول مرة قد غص بمكاني كما ذكرته في ترجمته، وإنما ذكرت ذلك هنا تحذيراً وتنبيهاً وغيره على مقام النبوة، وليحافظ الناظر في هذا على الأدب إذا تكلم فيما يضاف إلى أهل بيت النبوة، وما قصدت بذلك انتقاص وحشي ولا ذكره بسوء، ولا التعرض لإذايته لما له من فضيلة الصحبة في

(1) الأحزاب: 23.

(2) زيادة من ط.

تلك اللحظة الواقعة بعد النسبة الإسلامية، إلا أن الضرورة دعت إلى ذكر ما تقدم امتعاضاً لمقام السيد حمزة أسد الله ورسوله، وردا على المسوي بينهما، ولولا ذلك لكان الأولى الإعراض عن ذكره بالكلية كما فعل، صلى الله عليه وسلم، فلا يذكر بخير تأديبا معه عليه السلام، ولا بقبيح تأديبا مع مقام الصحبة، ويدل على ذلك أنا ما رأينا قط أحدا من أهل الحديث والسير قال عند ذكره رضي الله عنه، كما يقولون في غيره من الصحابة، ولو كان من أصاغرهم الذين لم تعرف لهم فضيلة ولا أثر في الدين الصحبة، فإن غالب المحدثين إذا ذكروا واحدا منهم ترضوا عليه، والله يغفر لي ما طغى به قلبي، وزل فيه لساني من ذلك.

لطيفة:

وجدت عند صاحب الترجمة بطاقة بخط شيخنا السيد محمد باعلوي كتبها لصاحب الترجمة، نصها تيمنا بلفظه: باسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم:

[رجز]

لبستَ تلك الخرقَةَ الأنيقَةَ وُحِزَت أسراراً لها دقيقة
فهمتَ ما قد لاح أو تلالا من نُور تلك البرقة المشيقة
وأنتَ مخطوب لسر معنا أهل الطريقة صرت والحقيقة

باسم المنور المحبوب العارف، موجه الوجه، الشيخ عبد الله بن نمي العمودي، كتبه الفقير إلى الله السيد محمد بن علوي بن محمد أبو بكر بن علوي بن أحمد بن بوبكر بن الشيخ عبد الرحمن السقاف هـ.

قلت: وحيث جرى في هذه البطاقة ذكر بعض نسب شيخنا السيد محمد، فلنذكر إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، على ما في بهجة المفاخر في معرفة النسب العالي الفاخر، وفيه بعض مخالفة لما هنا، وهو السيد محمد بن علوي بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن محمد بن علي بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن

عيسى بن محمد بن علي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي ابن أبي طالب والزهراء البتول بنت المصطفى صلى الله عليه وسلم. وأما سند شيخنا هذا في طريق القوم فقد لقيته بمكة المشرفة بداره أو آخر سنة أربع وستين ولقني وألبسني كوفية من لباس رأسه الكريم بيده المباركة، وهو أخذ عن شيخه السيد عبد الله بن علي صاحب الرهط، وهو عن السيد شيخ بن عبد الله صاحب أحمد أبادي، وهو عن والده عبد الله بن شيخ، وهو عن عمه القطب أبي بكر بن عبد الله العيدروس، وهو عن والده القطب عبد الله بن أبي بكر العيدروس، وهو عن أبيه وعن عمه الشيخ عمر المحضار ابني عبد الرحمن السقاف، وهما عن والدهما عبد الرحمن بن محمد، وهو عن والده محمد بن علي، وهو عن والده ابن علوي بن محمد، وهو عن والده القطب المحقق سيدي الفقيه محمد بن علي المعروف بمقدم التربة، وهو عن الشيخ عبد الله المغربي، وهو عن الشيخ عبد الرحمن المقعد المغربي، وهو عن الغوث الجامع سيدي أبي مدين شعيب دفين العباد بتلمسان، رضي الله عن جميعهم ونفعنا بهم آمين. وقد طال ما بحثت عن هذا السند فلم أظفر به إلا بعد مدة علي يد خليلنا حسن بن علي العجمي، ثم بعد ذلك أخبرني صاحبنا الشيخ عبد الله باعظيف أن خليلنا حسن إنما كتبه من عنده، وقد اغتبطت بالعثور عليه، لأن انتسابي إلى هذا الشيخ من النسب التي أرجو بركتها، وأعددتها ذخراً عند الله تعالى، وكانت وفاة شيخنا السيد محمد بن علوي يوم الجمعة الرابع عشر من ربيع الثاني عام واحد وسبعين وألف، وفي تاريخ وفاته قلت:

[رجز]

مات في الجند من آل علوي	محمد إمام أرباب النهي
قد كان بحرا في المعارف فلا	ترى له في الوقت طرا مشبها
وكان غوث مكة تاريخه	قولك قطب وقته مات بها
إننا لله به ما نرتجي	دنيا وأخرى وكفانا ما دها

ومنهم المسن العابد، المحاسب نفسه المجاهد، السيد مصطفى، رجل من أهل البيت، قد طعن في السن وكف بصره، وله اجتهاد تام في العبادات، والناس

يعتقدون فيه الصلاح، وأثر العبادة ظاهر عليه، قلما يسبقه أحد إلى المسجد، وقلما يخرج منه بعد دخوله، زرته مراراً عديدة، ودعا لي بما أرجو بركته، وقد أخبرني صاحبنا السيد عمر، وكان ثقة صدوقاً، أنه رأى في منامه ذات ليلة رجلاً، وقال له^(١): تعال أريك رهطاً من الأولياء، لا أدري: قال النجباء أو الأبدال، قال: قد خلت معي إلى المسجد، فأراني جماعة جلوساً مستقبلين القبلة لم أعرف منهم إلا السيد مصطفى، رضي الله عنه، ومنهم شيخنا جمال الدين النقشبندي، رضي الله عنه، وقد تقدم جملة من خبره فيمن لقيناه بمكة، وقد وصل إلى المدينة بعد إقامتنا بها، وقد بلغنا خبر موته ونحن بالمغرب، وأنه توفي سنة ست وسبعين، ودفن عند شيخه بالبقيع بحش كوكب رضي الله عنهما آمين.

(١) ساقط من ط.

ذكر الخروج من المدينة المشرفة إلى مكة المعظمة زادهما الله تعظيماً وتشريفاً

ولما استهل شهر شعبان المكرم أخذت القوافل في الخروج من المدينة إلى مكة، ورجع من جاء من أهل مكة والطائف واليمن لشهود موسم الرجبية بالمدينة، فخرجت قافلة عظيمة ثاني يوم من شعبان، خرج فيها كثير من أهل مكة، وخرج فيها شيخنا سيدي أبو مهدي عيسى الثعالبي، وكانت نيتنا في المجاورة من أول الأمر أن نقيم بالمدينة إلى قرب رمضان، ونشاهد رمضان بمكة، فقوي عزمنا على الخروج من المدينة، وأخذنا في أهبة السفر بقدر ما نرى إدراك أول رمضان بمكة، اغتناما لبركة مضاعفة الأعمال في الحرم المكي، خصوصاً شهر الصيام، ولما ورد أن عمرة في رمضان تعدل حجة معه عليه السلام^(١)، ولما ورد أيضاً أن شهود رمضان في مكة يزيد في الإيمان.

ولامي جماعة من الأصحاب المجاورين والمدنيين على الخروج، وقالوا: إن مذهب مالك أن المقام بالمدينة أفضل، ولم ألتفت إلى شيء من ذلك، وصرت إلى ما قوي عليه عزمي من السفر بعد الاستخارة، راثياً أن لكل من البلدين المشرفين حقاً وحرمة ومكانة عند الله، وفي كل من أنواع العبادات ما لا يوجد في الآخر، لما اشتملت عليه مكة من مشاهدة البيت والطواف به، وأداء المناسك من حج وعمرة وغير ذلك من القربات، مع أن الصحيح عند كثير من الأئمة، حتى من أهل المذهب، أن الأعمال تضاعف بحرم مكة زيادة على حرم المدينة، ولا ينافي ذلك أفضلية المدينة عند القائلين به لاختصاصها بمزايا أخرى، ولما تقرر أنه قد توجد في المفضول مزايا ليست للفاضل، فعلى هذا ينبغي للمجاور أن يجعل لكلا البلدين حصّة من إقامته ليغتني بركتهما، ويفوز بثواب العمل الصالح فيهما، فإن القائل

(١) أنظر: صحيح البخاري 2: 659.

بأفضلية أحدهما لا ينفي فضيلة الآخر إجماعاً بين الأئمة، فعلى هذا فالمؤثر للإقامة بأحدهما تاركاً حظه من الآخر لكونه مفضولاً غير مصيب في الرأي.

وفي فضل البلدين معاً، والإشارة إلى المسجد الأقصى الذي هو ثالثهما في الفضل قلت مضمناً لبيت معروف^(١):

[طويل]

أيا خيرَ خلقِ الله شرفتَ مكةَ	وطية لما صرتَ طرّاً حلاهما
حللتَ بهذا حلة ثم حلة	بمذا فطاب الواديانِ كلاهما
لمكة فضلُ البدءِ والختمُ فضلهُ	لطية فالثمُ يا مُحِبَّ ثراهما
وجاوزَ بماذي مدةً ثم مُدة	بماذي ولا تطلبُ مكانا سواهما
ولا تعدِلنْ بالمسجدينِ وإن يكنْ	ولا بُد أن القدسَ كان أخاهما
فما غيرها تُحدَى الركابُ إليه أو	يُساهما عند الفخارِ تساهما

ولما انتصف شهر شعبان تأهبنا للسفر، واكثرنا جملين بثلاثة عشر قرشاً، واتخذنا لركوبنا شقداً وهبه لنا شيخ الأغوات آغا سليم لما بلغه أني أريد شراء شقدف لركوبنا لأننا فضلة مرض، وهو محمل كبير ما رأيتُهُ إلا في أرض الحجاز، ذو شقتين توضع كل واحدة على جنب البعير، ويقرن بينهما بحبال وثيقة على ظهره، ولا بدُّ للراكب فيه من معادل له في الجهة الأخرى، مقارباً له في الرزانة، ثم يوصل بين الشقتين من أعلى بحبال يظلل عليها بغطاء بقي الحر والبرد، وهو من أشهى المراكب وأهناها، سيما لمن له فرش وثيرة ووسيدة يتكى عليها من الجانبين، فإنه لا يكاد يحس بأن الإبل تسير به، فقد رأينا من اعتاد الركوب فيه ينام من أول الليل إلى آخره ولا يستيقظ إلا بإناخة الحمل عند الترول، وقد لا يستيقظ.

وتحياً لخروجنا من المدينة المشرفة ضحى يوم الثلاثاء السابع عشر من شعبان، فاغتسلت من المدينة، ولبست ثوباً إحرامياً، وكان قصدي اغتنام الإحرام من ميقات النبي، صلى الله عليه وسلم، بندي الخليفة، وجعلت آخر عهدي بالمدينة المتروك بين يدي النبي، صلى الله عليه وسلم، والسلام عليه، ثم صلاة ركعتين فيما

(١) الإشارة للبيت الثاني، وهو لجميل بثينة.

بين القبر والمنبر، وخرجت وودعت غالب الأصحاب، وشيعني جماعة منهم إلى الحرة الغربية⁽¹⁾ خارج المدينة، وودعت شيخنا الملا إبراهيم في منزله، وزاد معي جماعة من الأصحاب إلى ذي الحليفة، وقطعت تلك المسافة راجلا، فوجدنا القافلة قد نزلت بذى الحليفة، ونزلنا هنالك إلى قرب العصر، فارتحلنا وودعنا الأصحاب الراجعين إلى المدينة، وعادوت الاغتسال لطول ما بين خروجنا من المدينة وارتحالنا من ذي الحليفة، وركعت ركعتي الإحرام، وثبتت بالعمرة، وهالني الركوب في الشقذف لأنني ما عاهدته قبل، وعادلني في الجانب الآخر أخي سيدي عبد الرحمن، ولم أستأنس ركوبه إلا بعد مدة، وكان يخيل لي إذ صرت في جنب البعير أن الجانب الذي أنا فيه قد مال للسقوط، وكذلك كان يخيل لصاحبي حتى تمرنا به، فكنا ننام فيه ما شئنا، ونمد أرجلنا ونضطجع كيف شئنا، وسرنا غالب تلك الليلة منفردين عن القافلة، لم نلحق من قبلنا ولا لحقنا من بعدنا، وكان المحل محل خوف لأن تلك المسافة يطرقتها لصوص عترة، وهي في درك بني سالم، ومنازلهم بعيدة عنها، وصاحبنا المكاري من بني سالم، فطار قلبه خوفا من عترة، ولم نزل نسير رويدا طول الليل، وكان الفصل فصل الربيع، قد بقيت بالليل بقية برد، وأما النهار ففي غاية الاعتدال إلى أن وجدنا أول القافلة منيحين ببطحاء القریش⁽²⁾، فملنا عن الطريق قليلا، وأنحنا تحت سمره، وقد لحقنا من العياء ما لا مزيد عليه، وأثر فينا السهر لأننا لم نعتد المشي في الليل كما هو شأن أهل تلك البلاد فإن غالب سيرهم بالليل، لا يحملون الإبل من السير إلا ما سمحت به أنفسهم عن اختيارها، فيتركونها تمشي على مهل بلا سائق، وذلك الذي أعانهم على قطع تلك المسافات بضمير إبلهم، مع هزائها وضعفها، وفي ذلك راحة للمسافر، الراجل والراكب، وأعانهم على ذلك أيضا ما بسط الله في تلك البلاد من العافية الوافية، فلا ترى لصا ولا سارقا في ليل ولا نهار إلا في قرب من المدينة، كما تقدم، وإنما تشتعل نار الحراة والسرقة في تلك البلاد أيام الموسم فقط، لا اختلاط الناس واجتماع الأوباش من كل أوب. وقد عاينا من الطمأنينة في الطريق والعافية والسكون في مسيرنا هذا ما

(1) الحرة الغربية: وتقابلها الحرة الشرقية، وهما حد المدينة المنورة من الجنوب والشمال: الجواهر الثمينة 140:1.

(2) البطاح: جمع بطحاء، وهي بطاح مكة، ويقال لقریش الداخلة البطاح، وقال ابن الأعرابي: قریش البطاح الذين ينزلون الشعب بين أخشبي مكة، وقریش الظواهر الذين ينزلون خارج الشعب: معجم البلدان: الأباطح.

قضينا منه العجب، لأننا ما كنا نسلك هذه البلاد إلا في أيام الموسم، ونعائين ما يقع بها من النهب والسرقة والروعات المتوالية، فظننا أنها كذلك دائماً.

واستريحنا في مناخنا ذلك بقية ليلنا وعامة نهارنا إلى أن زالت الشمس وهبت الرياح قريباً من العصر، فارتحلنا وسرنا ليلنا أجمع أيضاً على نحو السير المتقدم، ومررنا بشرف الروحاء قرب العشاء، ومررنا ببئر الروحاء وسط الليل، ووجدنا بركته مملوءة ماء لكثرة الأمطار في تلك السنة، وأنحنا سحراً قرب مسجد الغزالة مقابلة منقطع العرق في الوادي، فلما أصبحنا عطشنا، ودلنا المكاري على ماء هنالك في شق في^(١) الجبل الأيمن، وما كنا نعرفه قبل ذلك. ثم ارتحلنا من هنالك قرب العصر، وقطعنا النازية^(٢) والشمس حية، ودخلنا في مضيق الخيف، ومررنا بقرية الجديدة ليلاً، ولم نزل، وسرنا ليلنا أجمع، وما نزلنا الصفراء^(٣) حتى طلعت الشمس، وأقمنا بها يوماً في أرغد عيش، وتسوقنا أهل تلك القرى بالاحتاج من لحم وأدام ودلاع وغير ذلك، ثم ارتحلنا منها عشية ونزلنا بدرأ وسط الليل، وأنحنا قريباً من البركة التي في منزل الحاج.

لطيفة:

لما عرفنا أن المرحلة^(٤) في تلك الليلة قريبة، وكنت في وقت العشاء راكباً، وشقَّ عليَّ التزول، أخرت الصلاة إلى وقت التزول لاتساع الوقت، ولما نزلنا وكانت الظلمة، ومحل الماء هنا خلوة، فتيمنت وصليت (العشاء)^(٥)، وسولت لي نفسي جواز ذلك، وترخصت، فتمت في أحد شقي الشقدف وهو على الأرض، فغلبتني عياني، ولم أرَ نومة أحلى منها، فلما كان آخر السحر، ولم يبق إلا مقدار ما أنطهر فيه وأصلي العشاء ثم يطلع الفجر، وقعت الجهة التي أنا فيها من الشقدف إلى الأرض وقعة منكرة، فاستيقظتُ فرعاً مرعوباً، وما كنت أشك أن إنساناً

(١) ساقط من ط.

(٢) النازية: عين ثرة على طريق الآخذ من مكة إلى المدينة قرب الصفراء، وهي إلى المدينة أقرب: معجم البلدان: النازية.

(٣) الصفراء: قرية فوق ينبع كثيرة المزارع والنخل ماؤها عيون يجري فضلها إلى ينبع، وبين ينبع والمدينة ست مراحل، والصفراء على يوم من جبل رضوى: معجم ما استعجم 3: 836.

(٤) في ط: تلك المرحلة.

(٥) زيادة من ط.

تحامل عليها فألقاها بقوة، فنظرت يمينا وشمالا فلم أرَ أحداً، وإذا بالفجر قد قارب الطلوع، فوقع في قلبي أن صلاتي بالتيمة لا تصح لقرب الماء مني، ولا ضرورة تمنع منه، فذهبت وتوضأت وصليت، وأدركت بقية وقت الضرورة، فعلمت أن الله قد لطف بي، وأن سقوط شق الحمل إنما كان تنبيها من الله لثلاثي الوقت، فحمدت الله كثيراً. وأقمنا يومنا هناك، وزرت مسجد الغمامة، ورأيت فيه خط أخي سيدي عبد الكريم، فأذكرني مسقط رأسي وبلادي، ثم ارتحلنا بعد الزوال من بدر، ونزلنا دور الخبت قرب السيل الأول الذي بالبزوة في وسط الليل، ووجدنا البزوة مخصبة كأنها بستان. ثم ارتحلنا منه غداء قرب الزوال أيضا، ونزلنا قرية مستيرة قرب الصباح، ووجدنا البطيخ بها أرخص ما يكون حتى اشترينا خمسة بمحلق.

ثم ارتحلنا منها وصليت المغرب في ثنية هرشا، ونزلنا رابع آخر الليل، ووجدنا السيول قد اجتاحت أكثر منازل أهله، وذهبت بمزارعهم، وهَدَّت الجانب الذي فيه المنارة من مسجدهم، وأفسد الطريق، وتعبنا في قطع الوادي. ثم ارتحلنا منه، وغوى أهل الرفقة عن الطريق وهديا من الليل في الرمال التي بينه وبين قديد، ونزلنا آخر الليل عند السيل الذي هناك، ووجدنا به قهوة وقوما يبيعون العلف والحب، ثم ارتحلنا منه ومررنا بقديد، ونزلنا خليصاً في أعلى الوادي قريباً من العين آخر الليل، ثم ارتحلنا ومررنا بعسفان وسط الليل، وعندما مررنا بالثنية التي نهبط منه على عسفان، تنسمنا نسيماً طيباً وعرفاً ذكياً، استنشقه كل من معنا من راكب وراجل، وقلنا لمن معنا من العرب: ما هذا الشذا؟ فقالوا: عرف الخزامى، فإن منبتها في هذا المحل كثير. فسألت أحداً منهم وناولني ضعفاً⁽¹⁾ منها، فإذا هو نبت له زهر ذو عرف ذكي، من أذكى مشموم شمناء في تلك البلاد. ونزلنا آخر الليل بمحل يُسمَّى برقة، دون السيل الذي هناك، فيه رمال ذات أشجار، بين تلك الرمال تلاع ثمراً بها السيول، فيها مزارع ومقاي كثيرة، تجلب منها إلى مكة وإلى جدة ومُر الظهران، وتسوقنا العرب هناك بالحبب الكثير الحلو الفاخر.

وعند قرية عسفان فارقنا من الربع، وهو القافلة بلغتهم، من أراد الذهاب إلى جدة، فعدلوا يمينا، ودخلوا في إحدى تلك الشعاب التي على يمين القرية، ثم ارتحلنا من هناك ونزلنا مرَّ الظهران آخر الليل. ثم ارتحلنا منه بعدما زالت الشمس،

(1) الضغث: كل ما ملأ الكف من النبات: لسان العرب: ضغث.

ودخلنا مكة المشرفة بعد ما ذهب ثلث الليل، وكنا حرصنا على دخولها فهاراً، فأبى من معنا من العرب، لأنهم كانوا يخافون من أخذ الأمير إبلهم يحملها إلى المدينة، فإننا وجدنا ولده في طائفة من العسكر بذي طوى، وقد أخرج مضاربه وخيامه إلى هناك برسم السفر إلى ناحية المدينة. فأخر العرب بنا حتى دخلنا ليلاً بعدما نام أكثر الناس ليلة الأحد التاسع والعشرين من شعبان، وأنحنا في سوق باب إبراهيم بالفسحة التي أمام رباط الموفق الذي هو معد للمغاربة وطرحنا أمتعتنا هناك، وذهب العرب بإبلهم من ساعتهم، ودخلت المسجد، وطففت بالبيت، وسعيت بين المروتين، ثم حملنا أمتعتنا إلى دار نزلنا بها وراء سوق الشامي من ناحية الباب الذي يلي دار الندوة قريباً من جبل قعيقعان. فلما أصبحنا ذهبنا إلى المسجد وصلينا الصبح، وطفنا بالبيت، ولقيت شيخنا أبا مهدي عيسى الثعالبي حول البيت وسلّمْتُ عليه.

لطيفة:

لما نزلنا من المحلات وجدنا السيل قد أفسد الطرق في الحجون وفي أعلى مكة، وذلك أنه جاء سيل عظيم أظن أنهم أخبرونا أن ذلك يوم الثلاثاء العاشر من شعبان، أو يوم الأحد الثامن، لا أدري أيهما، فحرب غالب أسواق مكة، وهُدَّ دُوراً كثيرة، وأتلف أموالاً عظيمة، ومات فيه أناس، وهدم دار بعض أرباب الدولة، وذهب منها بنقد كثير على ما قالوا، ودخل المسجد الحرام، وكان أكثر دخوله من باب الصفا والأبواب الموالية له التي تلي دار الإمارة، وذلك أن السيل المنحدر من أعلى مكة لما قابل دار الإمارة لقيه سيل آخر مثله في العظمة نازل من الوادي الذي وراء جبل الحزورة، وخرج قريباً من دار الإمارة، فالتقى السيلان هنالك وتصادما، وحصر كل منهما الآخر، فانكفاً الماء راجعا وقد غفل الناس عن إغلاق الأبواب، فدخل المسجد حتى امتلأ المسجد كله، وارتفع الماء فيه إلى أن ذهب بقناديل المطاف كلها، وما في المسجد من ذواريق وبسط، وارتفع على قبة المقام وعلى سطح زمزم الأدنى، وارتفع في البيت سبعة عشر شبراً على ما قال لي من شبر ذلك، وبلغ حلق الباب وملاً كل البيت وخزانة في المسجد، وكان ذلك كله على ما زعموا في مقدار ساعة زمانية أو أقل.

أخبرني صاحبنا الحاج أحمد العجين الطرابلسي، وهو عندي ثقة، أنه كان في المقام بعد صلاة الظهر وأخذ المصحف يقرأ، فقرأ عشرة أحزاب بعد صلاة الظهر، فتكلم الرعد وأرخت السماء عزاليها، وانهمر المطر كأفواه القرب، فما جاء وقت العصر حتى امتلأ المسجد ماء، وأقلع المطر، ولم يقدر أحد على الوصول إلى البيت بقية ذلك اليوم والليل كله وفي الغد إلى الضحى، ولم يهتد أحد من الناس لموضع البلايع التي في المسجد المعدة لخروج الماء، حتى جاء السلطان زيد بنفسه ودلّهم على أماكنها، فغاص الناس إلى محالها حتى فتحوها، ونار الماء ونقص، وطاف بعض الناس بالبيت عوماً ممن يُحسن السباحة، وكان ذلك أمراً مهولاً لم يعهد الناس مثله منذ زمان. وقد أخبرني من شاهد السيل الذي سجدت لله فيه الكعبة ووقع معظمها سنة تسع وثلاثين وألف بأنه لم يبلغ ما بلغ هذا السيل ولكن الله سلم فيه البيت لوثاقة البنيان وكونه قريب العهد، إلا أنه زلزل الرخام الذي فرشت به من داخل وحركه حركة باينت بعضه من بعض، فلما غاض الماء بقي المسجد كله ممتلئاً تراباً وطيناً، ولم يمكن الناس الصلاة فيه ولا الطواف إلا بمشقة، وأمر السلطان بإغلاق الحوانيت، واجتمع أهل مكة كلهم واجتهدوا في إخراج ما أمكن من التراب والأحجار والطين، وعمل فيه الناس كافة حتى السلطان بنفسه وأولاده وأقاربه، وعندما ييست الأرض بعض اليبس أمر السلطان بحرثها بالبقر ليتمكن الناس من رفعها، فحرثوها، فحرثوا فيها على ما قيل بثمانين من البقر، وعمل كافة الناس في ذلك أربعة أيام من غير أجر إلا على الله احتساباً، ثم بعد ذلك قدم نائب جدة أغا سليمان فعينوا لذلك من يقوم به، وأخرجوا لذلك مالا جسيماً، وكان من لطف الله المقارن لقدره أن بعث السلطان الخاقان الأعظم في هذه السنة مائة ألف دينار ذهباً على ما قالوا لتجديد ما يحتاج إلى التجديد في معالم الحرمين، وكان المقدم لذلك نائب جدة، فصرفت جملة من ذلك المال في تنظيف المسجد والمسعى وما احتيج إلى التنظيف من مشارب الماء التي ملأها السيل، وكان يخدم في المسجد كل يوم ما يقرب من مائة وخمسين رجلاً بالكراء، وأدركنا المسجد لم ينظف منه إلا المطاف وأماكن قليلة حوله، فأخرجوا التراب حتى خلصوا إلى الحصاء التي فرش بها المسجد فوجدوها قد اختلطت بالحمأة، ورسبت فيها وصارت كالأرض الصلبة التي لم تحفر قط، فأخذوا يحفرونها، وكان من لطيف احتياهم المغني عن تكلف نقل حصاء أخرى من خارج البلد أن اتخذوا غرايل عديدة من حلفاء أو غيرها من نبات الأرض واسعة العيون، فكان الذين يخدمون

ثلاثة طوائف؛ طائفة تحفر، وأخرى تغربل ما حفرت تلك، والثالثة تلقي التراب المنحول خارج الأبواب ويتركون الحصباء مكانها، فصاروا لا يمرون بموضع إلا بلغ النهاية في النظافة كأنه لم يمر به أذى ولا تعلق به قذى، وينتقلون من مكان إلى مكان في المسجد حتى نظف كله وحصب كما كان أولاً من غير نقل حصباء من خارج ولا إخراج شيء من حصبائه، ودام العمل على ذلك إلى انتهاء رمضان وأكثر شوال، وفعلوا مثل ذلك بما بين المروتين، وأزيل منها ما فيها من الأحجار، وكان الناس قبل تنقيته يلقون منه أذى سيما من كان يسعى بالليل، واجتمعت من التراب المخرج من المسجد تلؤل وأكام عظيمة على أبوابه بقيت كذلك حتى أدركها الحاج وشاهدوا آثار قدرة الله وآثار هم الملوك المعتنين بتعظيم شعائر الله، وعندما فرغوا من تنظيف المسجد والمسعى أخذوا في تجديد الصباغات الرائقة والنقوش الرفيعة التي محق السيل أثرها من المقام وقبة زمزم وقباب مقامات الأئمة وغير ذلك على أرفع مما كان، وزيدت فيه أشياء عجيبة، وصبغت أعمدة الحديد الدائرة بالمطاف كلها بصبغ أحمر قاني مصقولة، ووضع على كل عمود هلال مذهب أبلغ تذهيب، وزيد في مصابيح المسجد والمسعى ثلاثمائة مصباح، وكانت قبل ذلك ستمائة وصارت تسعمائة، وكان بين كل عمودين من أعمدة المطاف، وهي نحو الثلاثين، سبعة مصابيح من زجاج صافي واسع، فإذا أوقدت بليل وأزهر نورها ولاقى إشراقها حمرة الأعمدة وبريق الأهلة المذهبة وبياض رخام المطاف وسواد برقع البيت، كان لذلك منظر رائع وجمال فائق، مع المهابة الربانية والجلالة الإلهية التي كسبها ذلك المحل على الدوام وجللها على مرور الأيام. هذا بعض ما يشاهده أهل البصائر الحسية فما بالك بما يكشف الله عنه لبصائر العارفين عند طوافهم بيته وتقيلهم الحجر الركن الذي هو بمن الله في الأرض مما وقعت الإشارة إليه بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كنا نترأى الله في ذلك المكان، وبما جاء به الأمر من قوله، عليه السلام، فيما بين زمزم والمقام: هنا تسكب العبرات⁽¹⁾.

ومما أتلفه هذا السيل خزانة من الكتب لشيخنا سيدي أبي مهدي عيسى الثعالبي، كانت بالمسجد على وجه الأرض، ولها باب مفتوح إلى المسجد فيما بين باب حزورة وباب إبراهيم، وكان يجلس فيها أحياناً، وهي مأواه قبل أن يتأهل،

(1) نواذر الأصول في أحاديث الرسول 20:2.

فلما سافر إلى المدينة ترك فيها بعض كتبه، وكانت مفاتيحها بيد رجل من أهل إفريقية من أصحابه كان يأوي إليها، فطرق حادث السيل وغفل عن تنحية الكتب ظنا منه كغيره أن الأمر لا يبلغ إلى ما بلغ، حتى أتى الماء عليها كلها ولم يسلم منها شيء، وكانت نحو الثمانين سفراً، فيها من نقائس الكتب وغرائبها التي لا تكاد توجد في غيرها. ما كثر أسفه عليها بعد ذلك، فأمر بها، فحفرت لها حفرة في الأرض ودفنت فيها، كان منها أجزاء من المدونة الكبرى^(١) التي هي أم الدواوين الفقهية ولم يسلم منها شيء، وكثر تأسفي على عدم رؤيتها لغرابتها، ولكون أكابر الفقهاء من قبل هذه القرون لم يظفروا منها بشيء، وأظن أنه أخبرني أنه وجد المذكورة في خزانة رباط الموفق وأنها كانت بيد الإمام الخطاب^(٢). ومنها عيون الأدلة لابن القصار^(٣)، وكان يثني عليه كثيراً في بسط أدلة المذهب والانتصار له والرد على المخالفين، مع التحقيق التام، إلى غير ذلك من الكتب منها ما هو ملكه، ومنها ما هو من كتب الوقف.

ولقد أعقب هذا السيل بمكة ونواحيها خصبا كثيراً، ورخصت الأسعار، وغزرت المياه وعذبت فوق العادة، حتى زمزم قد زال ما فيها من الطعم، وغزر ماؤها وارتفع حتى كاد يتناول باليد، وانكسرت سورة^(٤) الحر في هذه السنة بمكة وبشعابها وبالمسجد وأفنيته لنداوة الأرض، ولقد أنعم الله علينا بيت تحت مسكن شيخنا أبي مهدي بابه إلى المسجد كنّا نأوي إليه، ووجدنا أثر الماء قد كاد يبلغ منه إلى السقف، وبقيت أرضه وجدراته ندية، فكنا إذا اشتد وهج الحر ودخلناه وأغلقنا بابه علينا لا نحس بشيء من وهج الحر، ويغشانا فيه نسيم بارد، وكنا نحمد الله على ذلك كثيراً، وكان انتقالنا إلى هذا البيت من المسكن الذي سكنا فيه أولاً لبعده من المسجد، فشق علينا التردد منه إلى المسجد مع شدة الحر، فأعطانا الشيخ أبو مهدي البيت الذي فيه كتب الوقف برباط الموفق، جعلنا فيه أمتعتنا وأخذنا بيتاً آخر يازائه للطبخ، وبالنهار نأوي إلى هذا البيت الذي بالمسجد حتى

(١) يقصد مدونة سحنون (ت 240 هـ) في الفقه، وقد طبعت مرتين بمصر: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، ص: 106.

(٢) محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني، الشهير بالخطاب المالكي الأنصاري، له شرح على مختصر خليل، توفي سنة 953 هـ: لقط الفرائد، ص: 299.

(٣) علي بن أحمد البغدادي، ابن القصار، فقيه أصولي، من مصنفاته: عيون الأدلة وإيضاح الملّة، توفي سنة 398 هـ: معجم المؤلفين 12:7.

(٤) في ط: صولة.

قربت أيام الموسم ورجع صاحب هذا البيت إليه، وأعطانا صاحبنا الشيخ محمد الغدامسي بيتا له حول باب الصفا وجدنا ماء ولا كصدي ومرعى ولا كالسعدان^(١)، وأقمنا فيه إلى أن خرجنا من مكة قافلين، وهذه أماكن استيطاننا بمكة مدة إقامتنا بها بعدما رمنا أماكن أحر فلم توافقنا؛ منها بيت صاحبنا الشيخ عبد الرحمن أخي الملا إبراهيم، وكان برباط السلطان قايت باي المشرف على الصفا، وهو رباط مليح واسع فيه بيوت كثيرة جيدة جامعة لمرافق السكنى، في كل بيت منه نخاية للماء ومكان للخلاء والوضوء. وكان بيت صاحبنا في أعلاه، وطلب منا السكنى معه، ورغب في ذلك، إلا أننا آثرنا الانفراد وكرهنا التضيق عليه؛ إذ ليس له منزل سواه، فجزاه الله خيراً وأجزل له أجراً. ومنها بيت لبعض أقارب نخليلنا حسن العجيمي كان كتب إليه من المدينة فمكننا من مفتاحه، وكان في ناحية باب علي الموالي للمسعى، ولم يوافقنا أيضاً لقربه من المحكمة التي يجلس فيها القاضي للحكومة، وليس بينهما إلا شباك، فشق ذلك علي، وخرجنا منه.

(١) أمثال العرب، ص: 127.

ذكر شهود رمضان بمكة المعظمة⁽¹⁾

زادها الله تعظيماً وتشريفاً⁽²⁾ (آمين)⁽³⁾

ولما دخل شهر رمضان أخذ الناس بالجد، وشَمَّروا عن ساق الاجتهاد في العبادة، ونصبت الأسواق طول الليل كما هو شأن أهل المشرق في ليالي رمضان، فلا تكاد ترى بالمسجد ليلاً إلا طائفاً أو تالياً أو مصلياً، وأخذ الناس من أهل مكة والمجاورين في الاعتمار، سيما ليلة الجمعة، فلا تكاد الطريق تنقطع طول الليل من التنعيم إلى مكة ركبانا ومشاة رجالاً ونساءً وصبياناً وعبيداً وإماء، وكنت ممن أخذ بحظ من ذلك، والمِنَّة لله، فكنت أعتمر كل ليلة اثنين وجمعة إلى انتصاف الشهر، فكنت أعتمر كل ليلة إلى ليلة أحد وعشرين فدخلت إلى الاعتكاف إلى آخر الشهر، والمِنَّة لله وحده، وهذا من التحدث بالنعم، نسأل الله أن يخلص الأعمال منه. وجعلت منها عمرا للوالدين والإخوان والأصحاب والمشايخ، نفعا لله وإياهم بذلك، ولم أحتفل بما هو مشهور المذهب من كراهة تكرار العمرة في السنة الواحدة، بل بذلت جهدي في ذلك اقتداء بمذهب المخالف وبمن قال ذلك إنما يكره للمقيم، وأما المسافر فليستكثر من الخير ما استطاع، وقد قال بعض أهل السلوك من أئمة المالكية: ينبغي لسالك طريق الآخرة أن يقتدي بمذهب الشافعي في أشياء ذكر منها هذه، وصحة الاعتكاف بلا صوم ولو في الحصة ليل أو نهار⁽⁴⁾، لأنه ولو لم يكن لازماً في مذهبنا فلا يدفع كونه قرينة لأنه مكث في المسجد بقصد التقرب إلى الله مع التلبس بما تيسر من ذكر وتلاوة وصلاة، وهذا لا ينفي أحد كونه قرينة، ولو لم يقل أحد بلزومه، وذكر منها أيضاً ألا يمتنع من الطواف بالبيت وركعتيه في أي وقت شاء من ليل أو نهار لقول النبي صلى الله عليه وسلم: لا

(1) ساقط من ط.

(2) في ط: تشريفاً وتعظيماً.

(3) زيادة من ط.

(4) في ط: يوم أو ليل.

تَمَنَعُوا أَحَدًا طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ أَنْ يَصْلِيَ فِي أَيِّ وَقْتٍ شَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ⁽¹⁾، فَقَدْ رَأَى الشَّافِعِيَّةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ تَخْصِيصَ عَمُومِ النَّهْيِ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَكْرُوهَةِ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَشَبَّهَهُ مِنْ كُلِّ صَلَاةٍ لَهَا سَبَبٌ، وَأَدْلَتُهُمْ فِي ذَلِكَ فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ، عَلَى أَنِّي كُنْتُ أَتَخَرَّجُ مِنْ هَذَا كَثِيرًا، وَإِنْ طَفَتْ فِي وَقْتِ النَّهْيِ أَخَرْتُ الصَّلَاةَ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يُخَيَّلُ لِي أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَتَرَخَّصُ فِيهِ مَنْ اسْتَغْرَقَ غَالِبَ أَوْقَاتِهِ فِي الطَّوَافِ وَقَصِدَ الْاسْتِكْثَارَ مِنْهُ قَبْلَ فَوَاتِهِ، وَلَسْتُ بِذَلِكَ الْمَكَانَ وَفِي الْأَوْقَاتِ سِوَى الْمُنْهَى عَنْهُ غَنِيَةً لَضَعِيفِ الْقَوَى مِثْلِي.

وَاجْتَهَدَ أَهْلُ الثَّرْوَةِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَكَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ⁽²⁾ مُصْبَاحٌ كَبِيرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَخَصْفَةٌ⁽³⁾ يَجْلِسُ فِيهَا كُلُّ لَيْلَةٍ بِالْمَسْجِدِ، وَيَأْتِي بِنَفَرٍ يَقْرَأُونَ عَنْدهُ فِي الْقُرْآنِ أَجْزَاءَ عَلَى الْمَنَاقِبَةِ، إِلَى أَنْ تَذْهَبَ حَصَّةٌ مِنَ اللَّيْلِ، فَإِنْ كَانَ قَارِئًا قَرَأَ مَعَهُمْ، وَإِلَّا اسْتَمَعَ، وَيَسْقِيهِمْ مِنَ الْأَشْرَبَةِ اللَّذِيذَةِ عَلَى قَدْرِ وَسْعِهِمْ، وَيَطْبِيبُهُمْ، وَيَسْتَعْدُونَ لِذَلِكَ، فَتَرَى صَحْنَ الْمَسْجِدِ عَلَى سَعْتِهِ يَزْهَرُ مَصَابِيحُ، وَعَلَى كُلِّ مُصْبَاحٍ نَفَرٌ يَقْرَأُونَ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْخْتِمِ احْتَفَلَ لَهَا أَكْثَرُ، حَتَّى تَكُونَ لَيْلَةُ الْعِيدِ، فَيُعْطَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِمَنْ يَقْرَأُ عَنْدهُ كَسُوةٌ وَدِرَاهِمٌ، عَلَى قَدْرِ حَالِهِ وَمَرْوَعَتِهِ، فَيَنْتَفِعُ بِذَلِكَ غَايَةَ ضَعْفَةِ الْمَغَارِبَةِ الْجَاوِرِينَ مِمَّنْ كَانَ يَسْتَظْهَرُ الْقُرْآنَ، سِيَمَا مَنْ كَانَ حَسُنَ الصَّوْتِ مِنْهُمْ. وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ صَرَامَةٌ يَقْرَأُ فِي عِدَّةِ أَمَاكِنَ، وَيَأْخُذُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ مَا شَوْرَطَ عَلَيْهِ.

وَبَوَّلَغَ فِي تَنْظِيفِ مَقَامَاتِ الْأُئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ، وَتَرْتَبَ فِي كُلِّ مَقَامٍ إِمَامٌ يَصْلِي بِصَلَاتِهِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَهْلِ مَذْهَبِهِ، وَلَهُمْ مَسْمَعٌ. وَأَعْظَمُهُمْ أُئِمَّةٌ، وَأَكْثَرُهُمْ جَعَجَعَةٌ وَأَصْوَاتٌ مُرْتَفَعَةٌ الْخَنْفِيَّةُ، فَيَفْصَلُونَ بَيْنَ كُلِّ تَسْلِيمَتَيْنِ بِتَحْمِيدَاتٍ وَتَهْلِيلَاتٍ وَتَسْبِيحَاتٍ يَرْفَعُ بِهَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْمُؤَذِّنِينَ أَصْوَاتُهُمْ فَيَرْتَجِ لِذَلِكَ مَا حَوْلَهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ.

فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ خْتِمِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ أُئِمَّةِ الْمَقَامَاتِ احْتَفَلَ لِذَلِكَ أْتَمَّ احْتِفَالُ، وَزَيْدٌ فِي مَصَابِيحِ الْمَقَامِ وَفَرَشِهِ وَطَبِيبِهِ، وَأَتَى بِشَمُوعِ كِبَارِ هَائِلَةٍ، وَرَفَعَتْ عَلَى حَسَكٍ عَظِيمَةٍ رَائِقَةٍ، وَيَحْضُرُ الْخْتِمَ غَالِبٌ مِنَ فِي الْمَسْجِدِ مِنَ النَّاسِ، وَيَخْلَعُ عَلَى

(1) السنن الكبرى للبيهقي 2: 461.

(2) ف ط: منهما.

(3) الخصفة: الثوب الغليظ جدا: تاج العروس: خصف.

الإمام بعد الفراغ من الصلاة خلعة من عند السلطان، ويعطى فتوحاً^(١) زائداً على الخلعة، كل على قدر حاله.

وأول من يختم الشافعي، وهو إمام مقام إبراهيم عليه السلام، ويختم ليلة إحدى وعشرين، والمالكي ليلة خمس وعشرين، والحنفي ليلة سبع وعشرين. وجدّ الناس في أنواع العبادات والطاعات، وقد رأيت من المجاورين من يعتمر كل ليلة. وفي ليلة خمس وعشرين يخرج غالب الناس للعمرة، من اعتمر قبل ذلك ومن لم يعتمر، واعتمر شيخنا أبو مهدي في تلك الليلة وكان لا يعتمر قبل ذلك، وكنت إذا تعجبت من اجتهاد الناس ونشاطهم للعبادة، يقول لي: إن هذا تأييد إلهي لسكان الحرم ببركة هذا الشهر، ويقول لي: إذا خرج هذا الشهر الكريم لا ترى في الناس حتى عشر نشاطهم، وكان الأمر كما قال، فما هو إلا أن جاء يوم العيد خف المسجد من سكانه وعماره، وفترت العزائم حتى أنكرت نفسي في أنواع القُرَبات من طواف وغيره، فما هي التي أعهد.

فتحت الكعبة مرتين في شهر رمضان أول جمعة وآخرها، ومنّ الله بدخولها على أحسن حال في كلا المرتين، وصليت فيها ما شئت مع سكون وتؤدة ووقار، وفتحت مرتين آخرين بعد ذلك؛ أحدهما الفتح المعتاد يوم كنس الكعبة في الثالث عشر من ذي القعدة، وتغسل فيه الكعبة وتطيب وترفع كسوتها إلى فوق حتى لا تنالها الأيدي، ويسميه العوام إحرام الكعبة. وفتحت قبل ذلك آخر شوال لإصلاح رخام أرض البيت الذي حركه السيل عند دخوله، ولم يدخل في هذا الفتح إلا أفراد من الناس، وكنت ممن دخل في هذا الفتح والذي بعده بفضل الله تعالى، وقد فتحت قبل ذلك في شعبان فتحاً عاماً أيضاً ولم ندركه، والعادة أن كل ما فتحت الكعبة يوماً للرجال فتحت في غده لدخول النساء، ولا يقرب ساحة البيت يوم دخول النساء أحد من الرجال كفعل النساء يوم دخول الرجال. ومن اضطر لطواف يوم دخول النساء لأجل عمرة طاف من وراء الأعمدة والقباب كلها، فتلحقهم مشقة في ذلك، ويفتح البيت عادة سبع مرات في السنة الأولى يوم النحر لتعليق الكسوة عند طلوع الشمس، ولا يدخل في ذلك اليوم إلا من زاحم وتعلق بالقرب، والثانية يوم عاشوراء، والثالثة يوم المولد النبوي في ربيع، والرابعة في شعبان، والخامسة والسادسة في رمضان، والسابعة في ذي القعدة، وقد مَنَّ الله

(١) الفتوح: الهبة والهدية، وغالباً ما تفتن بالمجال الديني: عامية مغربية.

بدخولها خمس مرات في هذه السنة. ويتمادى فتحها في غير يوم النحر من حل النافلة إلى قرب الزوال، ولما كان يوم الأربعاء، يوم الفطر، بَكَرَ الناس لأخذ مواضعهم للصلاة في المسجد، وبَكَرَتْ وجلست قرب المنبر لاستماع الخطبة، فلم يأت الإمام حتى ارتفعت الشمس وبدأ الحر، وخطب خطبة بليغة وأطالها.

وقدِمَ مع الإمام جماعة من المؤذنين وأكابر الناس معهم ألوية، وعلى المنبر ألوية أخرى، وفرش المنبر كله بالديباج، وجلس المؤذنون تحته إلى باب المنبر، فلما وصل إلى ذكر السلطان والدعاء إليه، قام إليه أحد أصحاب الأمير وخلع عليه الخلعة وهو يخطب، وما هو إلا أن يخلع عليه فيذهب الذين معه، وتتابع الناس أفواجا حتى لا يكاد يبقى مع الخطيب إلا قليل من الناس، ولا ينتظرون فراغ الخطبة ولا دعاء الإمام، وكأن قصدهم إنما هو مشاهدة الخلع على الخطيب، وتلك عادة مذمومة.

ولما انقضى الجمع ذهب كل أحد إلى منزله، ومن كان له صديق حميم أو قريب أو ولي نعمة ذهب للسلام عليه في مجلسه ولو لقيه في المسجد أو جلس معه لا يكتفي بذلك حتى يأتيه إلى منزله.

لطيفة:

لما فرغ الإمام من الخطبة وطفت بالبيت ذهبت للسلام على شيخنا أبي مهدي في منزله، فوجدت الناس يدخلون عليه أفواجا للتهنئة بالعيد، وكنت ترصدت قبل ذلك بحجى يوم العيد لسماع الحديث المسلسل بالسماع في يوم عيد ما أمكنني ذلك في هذا اليوم، وحدثني به يوم الأربعاء يوم فطر بمنزله بباب حزورة، أحد أبواب المسجد الحرام. فقال: حدثني شيخنا أبو إسحاق إبراهيم الميموني بمنزله بالقاهرة يوم عيد الفطر بسنده إلى السيوطي، قال الجلال السيوطي: أخبرني الحافظ تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد فهر^(١) الهاشمي سمعا عليه بالمسجد الحرام في يوم عيد الفطر بين الصلاة والخطبة، قال: أخبرنا الحافظ أبو حامد محمد بن عبد الله بن ظهيرة سمعا عليه في يوم عيد الفطر، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد المعطي سمعا في يوم عيد الفطر، قال: أخبرنا

(١) في ط: فهنا.

الحافظ أبو عمرو عثمان بن محمد التوزري سماعاً عليه في يوم عيد الفطر، قال: أخبرنا أبو الحسن علي ابن هبة الله الجميزي سماعاً في يوم عيد، قال: أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن علي الأنبوسي ببغداد في يوم عيد الأضحى، وأخبرني عاليا بدرجتين أبو عبد الله بن مقبل الحنفي عن محمد بن أحمد المقدسي عن ابن البخاري عن أبي حفص بن طبرزد قال: أخبرني أبو المواهب بن ملوك سماعاً في يوم عيد قالاً: أنبأنا القاضي أبو الطيب الطبري في يوم عيد، قال: أخبرنا أبو أحمد بن الغطريف بمرجان في يوم عيد، قال: أخبرنا ابن ذاهب الوراق في يوم عيد الأضحى قال: حدثني وكيع بن الجراح في يوم عيد، قال: حدثنا سفيان الثوري في يوم عيد، قال: حدثنا ابن جريج في يوم عيد، قال: حدثنا عطاء بن أبي رباح في يوم عيد، قال: حدثنا ابن عباس في يوم عيد قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عيد فطر، أو أضحى، فلما فرغ من الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: أيها الناس قد أصبتم خيراً، فمن أحب أن ينصرف فلينصرف، ومن أحب أن يقيم حتى يشهد الخطبة فليقم⁽¹⁾. غريب بهذا السياق، هـ كلام السيوطي. وكتبت السند من خط شيخنا.

وقد اتصل لنا سماع هذا الحديث بحمد الله بوصفه المشروط في أشرف الأماكن؛ حرم مكة شرفها الله، والذي يغلب على ظني أنني قد حضرت سماع الشيخ الثعالبي من الشيخ الميموني لهذا الحديث في يوم عيد الفطر بعد الصلاة بمقره المجاور للأزهر بالقاهرة سنة أربع وستين، إلا أنني لما لم أحقق السماع آثرت روايته عن الثعالبي عنه بشرطه، وإن كانت إجازة الشيخ الميموني لي مرتين شاملة لذلك، إلا أن السماع لا تعادله الإجازة وإن تعددت، وأما الواسطتان اللتان بين الميموني والسيوطي فلا أعينهما على خصوص هذا الحديث، وأما في غيره فمعروفتان في ترجمته من هذه الرحلة وفي رسالة تحفة الأخلاء⁽²⁾، وفي رسالة اقتفاء الأثر⁽³⁾. وأظن أنني سألت الشيخ الثعالبي أيضاً هل للميموني سند خاص بهذا الحديث بشرطه سوى عموم إجازات مشايخه فتوقف، وحيث كان القصد التبرك فهذا القدر

(1) لسان الميزان 2: 25.

(2) إتحاف الأخلاء، ص: 159.

(3) اقتفاء الأثر، ص: 123.

يكفي. وقد بعث شيخنا سيدي عبد الرحمن المكناسي^(١) من الطائف لأصحابه بمكة يوصيهم بتعهدنا يوم العيد بطعام، فأتانا أصحابه بعد الصلاة بطعام فاخر إلى منزلنا برباط الموفق، وبعث لنا بكسوة جزاه الله خيرا.

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن محمد المكناسي، فقيه متصوف، ولد بمكناس من أرض المغرب سنة 1023هـ، رحل إلى مصر والشام، نزل بمكة واتخذها مقاما، توفي سنة 1085 هـ: خلاصة الأثر 346:2.

ذكر الأماكن التي ينبغي أن تزار بمكة (المعظمة)⁽¹⁾ ونواحيها

فمنها غار جبل ثور الذي اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، رضي الله عنه في هجرتهما، وصرح القرآن بذكره في قوله تعالى: (ثاني اثنين إذ هما في الغار)⁽²⁾، خرجت لزيارته يوم الأربعاء الثامن من شوال مع جماعة من أصحابنا المجاورين.

وجبل ثور على ثلاثة أميال من مكة، إذا مرَّ السالك إليه فيما بين الخندمة⁽³⁾ وأبي قبيس، وهو وراءهما، وأما من مرَّ بأسفل مكة حتى يدور إليه فأضعاف ذلك، وعليها يسلك من مرَّ راكباً مع بُعدها، لتوعر القرية. وخرجنا من المسجد بعد صلاة الصبح وسلكنا الطريق القريبة فما وصلنا إلى سفحه حتى ارتفع النهار وتمع، فأخذنا في الصعود إليه، وهو جبل منقطع عن الجبال التي حوله، ذاهب في الهواء، مشرف على كل ما حوله من الجبال، مكسوَّ جلاله ومهابة، صعب المرتقى غاية، ما رأيت مثله فيما سلكته من الجبال على كثرتها، وفيه أماكن ما كنا نمر بها إلا حبواً على اليدين والرجلين جميعاً، وارتفاعه في السماء نحو من ثلاثة أميال آخر. والغار في أعلاه من الناحية الموالية لمكة. فما بلغنا أعلاه إلا بعد جهد جهيد، واستراحة مراراً متعددة، وكان ذلك في وقت الحرّ وقد حملنا معنا ماء، وتركنا بعضه تحت شجرة بأصل الجبل، اتقاء لمعرة العطش بعد الرجوع. فلما وصلنا إلى محل الغار وجدناه من عجائب آثار قدرة الله، وله بابان، الأصلي الذي دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه من ناحية الغرب وهو صغير جداً ملاصق بأرض الغار، لقد خُيِّل إلي عندما رأيته أن أحداً لا يمكنه الدخول منه لضيقه، وهو شقّ صغير بين صخرتين عرضه ثلاثة أشبار، وارتفاعه أزيد من شبر، فأيست من

(1) زيادة من ط.

(2) التوبة: 40.

(3) الخندمة: اسم جبل بمكة: معجم ما استعجم 2: 512.

الدخول منه، حتى رأيت من هو أعظم مني جثة قد دخل منه، فتحاملت ودخلت من ذلك الشق مع مشقة وترتيب أعضاء من تقدم إحدى اليدين إلى المنكب، واتباع الرأس لها، وإرسال اليد الأخرى مع الجنب.

ولقد طال تعجبي من معرفة الناس بكونه غاراً متسعاً من داخل، فهو إن لم يكن معروفاً عندهم قبل ذلك معهوداً فالأقرب أنه بالوحي، أو إلهام من الله لرسوله، لأن العادة تكاد تقطع بأن مثل ذلك لا يكون كهفاً متسعاً من داخل، إذ هو صخرة واحدة، منقطعة عن غيرها، منكفية على أخرى، منقورة في وسطها قدر الإنسان ارتفاعاً، وسعة نحو العشرة أذرع، ولولا عظم الصخرة وتواتر الخبر بأنه كذلك من قدم الدهر لتوهم أنها صخرة نقرت في وسطها، ثم قلبت على أخرى بصنع آدمي.

وأما الباب الآخر فإنه إلى ناحية المشرق، وهو واسع يدخل منه الإنسان ويخرج كما شاء. وزعموا أنه مفتوح بصنع الآدميين، وأن سبب فتحه أن شخصاً تكلف الدخول فلم يقدر على الخروج وكرهوا تغيير الباب الأصلي بتوسعة، ففتحوا هذا الباب من الناحية الأخرى لخروج ذلك الشخص، ويدخل منه من لم يقدر على الدخول من الباب الأصلي. وبإزاء هذا الباب المفتوح مصطبة محوطة عليها بأحجار شبه مسجد مفروش برمل، والناس يصلّون فيه ويصلّون أيضاً في داخل الغار.

وفوق الغار في قنّة الجبل غار آخر كبير واسع، تحت صخرة عظيمة مفتوح من جوانبه محوطة عليه بأحجار شبه مسجد آخر، يجلس الناس فيه، ولا أدري ما أصله، وفيه منظر رائع يشرف منه الإنسان على بلاد كثيرة، ولم أرَ في تلك الناحية جبلاً أعلى منه إلا جبل أكرى^(١) الذي يصعد منه إلى الطائف.

وقد ذكر بعض من ألف في أخبار مكة وجبالها أن من زار هذا الغار وكان به حزن آله وسأل الله إذهابه، يذهب عنه ولا يحزن بعد ذلك، وكأنه اقتبس ذلك من قوله تعالى: (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)^(٢) ولم أطلع على هذا إلا بعد رجوعنا منه، ولم يمكن الرجوع إليه مرة أخرى بهذه النية.

(١) يقصد جبل كرا.

(٢) التوبة: 40.

وبقينا هنالك في أعلى الجبل مستظلين بظل الغار الذي ذكرنا هناك حتى زالت الشمس بساعة، وصلينا هنالك الظهر وانحدرنا، وقاسينا في الهبوط مثل الطلوع أو أشد، ومررنا على الماء الذي خلفناه أسفل فشربنا، ولولا هو لآثر فينا العطش غاية، وما وصلنا إلى مكة إلا مع أذان المغرب، وقد كَلَّتْ منا القُوى، وضعفت الأبدان، إلا أننا مع ذلك كنا فرحين بما آتانا الله من فضله مستبشرين^(١). والله يتقبل ما تفضل به علينا، فهو المنعم المتفضل الذي يقبل التوبة ويعفو عن السيئات.

ومنها مدينة جدة^(٢)، ولما كانت لي رغبة قوية في معرفة أرض الحجاز ورؤية ما بها من البلاد غير الحرمين، عازمت على الوصول إلى مدينتها لزيارتها وزيارة من بها من المساجد والمشاهد كالحل الذي يقال إن فيه قبر أمنا حواء. وممن جزم بأن قبر أم البشر حواء بجدة ابن خلكان^(٣) في ترجمة ابن قلاقس^(٤) الشاعر وذكره أيضا في ترجمة أخرى. ولأنها في نفسها من أعظم البقاع فقد ورد في فضلها وفضل المقام بها والرباط فيها عدة آثار نقلها الإخباريون، فخرجت إلى زيارتها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة العاشر من شوال مع طائفة من أصحابنا المجاورين، واكترى لي شيخنا أبو مهدي حماراً لركوبي، ولم أرَ أسرع مشياً من حمير الحجاز ولا أوطأ مركباً، ولا أقلّ تعباً مع السرعة المفترطة في المشي، فلقد كنت أنظر وأنا راكب إلى أطراف هل يتحرك منها شيء مع الإسراع في المشي، فلا تكاد تتبين لي حركة شيء منها، مع أن مركوبي ليس من أجاودها. فلقد أُخبرت أنه كان حمار عند رجل من أهل مكة يصلي المغرب بجدة فيركب عليه ويصلي الصبح بمكة، وهي مسافة القصر تحقيقاً، وهم يتغالون في ثمن ما هذه صفته منها، فيبلغ الحمار مائة دينار ذهباً. وقد رأيت حماراً عند فقيه الحنفية الشيخ الزنجبيل رافقنا عليه من المدينة إلى مكة، تقبحه العين، فأخبرت أنه اشتراه بقريب من ذلك الثمن.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: (فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون): آل عمران: 170.

(٢) جدة: بلدة على ساحل بحر اليمن وهي فرضة مكة بينها وبين مكة ثلاث ليال: معجم البلدان: جدة.

(٣) وفيات الأعيان 389:5.

(٤) ابن قلاقس، أبو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف اللخمي الإسكندري، الشاعر المشهور، دخل اليمن ومدح الكبار، مات شاباً سنة 567 هـ: سير أعلام النبلاء 546:20. وفيات الأعيان 385:5.

ولما خرجنا من مكة عن الثنية السفلى إلى مناخ الحجاج أسفل ذي طوى عدلنا ذات اليسار قليلاً، وسلكنا في شعاب هناك وعقاب ليست بالوعرة. وبين مكة وجدة ثمانية قهاوي يتزل المارون في كل قهوة فيستريحون ويشربون القهوة أو الماء، ويشترون علفاً للدواب، فأولها قهوة في مقابلة التنعيم⁽¹⁾ فيما أظن في شعب مررنا عليها قرب المغرب، والثانية في منفسح الوادي الذي يخرج منه إلى رمال الحديبية، والثالثة عند بئر الحديبية عند منتهى الحرم، ومنها يحرم الناس بالعمرة، من شاء منهم. وحول البئر مسجد معطل قد انهدم أكثره، وقد طلبنا من أهل القهوة حبلاً ودلوا حتى استقينا منها وشربنا من مائها للبركة، لما ورد في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم برك عليها حتى غزر ماؤها أو تفل فيها⁽²⁾. والرابعة: في قرية تسمى حدة قريبة من شفير الوادي الكبير الذي يأتي أصله من مر الظهران، وفيه أثل وعشب كثير، ومزارع إذا جاء السيل. ثم الخامسة: حول مزرعة هناك كبيرة، يجلب منها بطيخ كثير إلى مكة مشهور عندهم بالجودة. والسادسة: عندما يريد الذهاب الصعود إلى جبال عمر الطريق بوسطها. والسابعة: عند منقطع الجبال حيث ينحدر الذهاب إلى مكة. والثامنة: حدة. وقد بلغنا إليها بعدما ارتفعت الشمس جداً، ومتع النهار، واشتد الحر. وهي مدينة كبيرة ممتدة مع ساحل البحر نحو ميلين، في كلا طرفيها حصار⁽³⁾ متقن البناء، فيه مدافع كثيرة، وعسكره لا يفارقه. وقد رأيت في الحصار الغربي منها ما يستغرب وصفه من المدافع طويلاً وكبراً، ورأيت فيها مدفعاً له خمسة أفواه، بصنعة غريبة. وفي مرساها سفن كثيرة كبار وصغار، وغالبها معمول بالشريط صنعة عجيبة ليس فيها مسمار، وهي مع ذلك كبيرة المقدار، متباعدة الأقطار، واسعة الأنحاء تحمل أضعاف ما يحمل غيرها من السفن.

وأسواق البلد ممتدة مع جانب البحر، وغالبها أخصاص واسعة، مفتحة إلى البحر وإلى ناحية البلد، فيها قهاوي ومجالس حسنة، يبالغ أصحابها في كنسها وتنظيفها، ورشها بالماء، وفيها جلوس غالب أهل البلد، وقد اتخذوا فيها أسيرة كثيرة، منسوجة بشريط المسد وبصنعة محكمة. وكان نزولنا بوكالة هناك قريبة

(1) التنعيم: موضع بين مر وسرف، بينه وبين مكة فرسخان، ومن التنعيم يحرم من أراد العمرة: معجم ما استعجم 1: 321.

(2) شرح النووي على صحيح مسلم 4: 13.

(3) حصار: حصن.

للمسجد، فإذا كان الليل خرجنا إلى جانب البحر، واكثرنا لكل واحد سريراً
يرقد عليه بدرهم إلى الصباح.

ومسجدها الكبير من أحفل المساجد، فيه أعمدة من الساج، مخروطة على
هيئة أعمدة الرخام المخروط، طيب عودها، يحسبها من لم يتأملها رخاماً أحمر،
أخبرني شيخنا أبو مهدي أنه يقال: إن أعمدة ذلك المسجد جلبت في صدر
الإسلام من كنيسة بأرض الحبشة عندما افتتحها المسلمون.

وزرنا المحل الذي يقال إن فيه قبر أئمة حواء في مقبرة معلّم عليها بحجارة
سود، عند رأس القبر وعند رجله وفي وسطه، وقد ذرعه بعض أصحابنا فكان
قريباً من ثلاث مائة ذراع، والله أعلم بصحة ذلك.

ولم ألق بها من الأفاضل إلا مفتي الشافعية الشيخ عبد القادر، وليس عنده من
العلم والرواية ما يرغب في أخذه، وهو رجل حسن الأخلاق جالسته ساعة.

ولقيت أيضاً مفتي الحنفية الشيخ مصطفى، وهو رجل له مشاركة في العلوم،
سالك على طريق السادات النقشبندية، (أدرك الشيخ تاج الدين عثمان
النقشبندي)^(١)، وله خبرة بكلام القوم وأذواقهم، وفيه سخاء ومروءة، دعانا إلى
داره، وأطعمنا وسقانا، وحصلت بيني وبينه ألفة ومودة وأخوة في الله. وكتبت له
أبياتاً منها:

[رمل]

أشهدُ الله وأمالك السما	وجميع الرسل طراً وكفى
أنني أحببتُ في الله أخي	وخليلي وحببي مصطفى
جمع الدين إلى الدنيا معاً	وحوى من كل خير طرفاً
أسألُ الله وفاءً بالذي	قد عقدنا، فهو يجزي من وفى

وممن ينتحل الأدب من أهل جدة، وهو معدود من فضلائها، الشيخ محمد
مُخبر، ولم يتيسر لي لقاءه، وكتبت له بيتين مُورّياً بلقبه، لأننا أقمنا بجدة ثلاثاً،
نتنظر سفناً ترد من مصر بأخبار المغرب وهما:

(١) ما بيت قوسين ساقط من ط.

[طويل]

يذكرني بالشجر برؤ نسيمه بلادي، فعيشي ناعم متكرر
فقال خليلي: علل النفس واصطبر عسى فرج يأتي به لك مخبر

ومن نظمه قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر فيها أعلام المدينة المشرفة، نظمها لما قدم المدينة للزيارة في الرجبية، ونحن إذ ذاك بها، وبينما أنا ذات غداة بعد صلاة الصبح جالس في المواجهة لوردي من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، إذ سمعت شخصاً ينشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم بصوت مطرب قصيدة بائية، فعلمت أنه نفس محب قريب العهد بالدار، فقطع عليّ حسن صوته وحلاوة مقاطعه ورونق كلامه تمام وردي، فاستمعت له حتى فرغ من إنشاده، ثم بعد ذلك سألت عنه فقيل لي: إنه من أصحاب الشيخ محمد مخبر، والقصيدة لشيخه، فبعثت من كتبها من عنده ولم يمكن لقائه لضيق الوقت. ولنذكر القصيدة بحملتها تبركا بها إذ أنشدت بين يديه صلى الله عليه وسلم، وهي هذه:

[بسيط]

مثل لعينيك داراً شام نجد قبا من الحرير عليه حلة وقبا
لو قابل الشمس نوراً وهي قائلة ضحى أو البدر في أفق السما وقبا
وحجرة حجّ روعي حجر كعبتها ووقفتي وقفة في باها أدبا
وقبة قبة الجوزاء تغطها وسدرة المنتهى تتو لها أدبا
والكوكب الأنور الدرّي تمثله جهراً، فما قط عن قلب المحب خبا
وروضة روضة الفردوس لو نطقت قالت: بخ لك حزت القرب والقربا
لقد شرفت بمن جاورت حضرته وهو الذي شرف الأفلak والحجبا
يهنّ التراب الذي قد مس أخصه منك مليا جفانا كان أو رطباً
وبقعة سجدت فيها سواجده لله يسجد فيك وهو مقترباً

ومسجدا جر ذيل التيه مفتخرا
وفتية عمروة بالقرآن وبالـ
ومنبراً ما ترى في الكون مشبهة
فحاز بالإرث إقداما تقدمه
وصفة الأصفيا خدام حجرته
وخصهم منه قربا حول حضرته
وأسطوانة أم المؤمنين فقد
وتربة للثريا دونها رتب
عظيمة بعظيم ضم أعظمه
الصاحبان الصفيان اللذان هما
أكرم بها بقعة كم لي بها وله
متى أسلم من باب السلام على
وأذكر معاهد آثار الحبيب عسى
فمبرك الناقة المبروك أسعدها
مازال بالذكر معمورا وبالصلحا
ودور أنصاره ودارت بمسجده
واذكر مساجد آيات بها نزلت
واذكر مساجد أصحاب وتابعهم
فمهبط الوحي والتزيل حيث غدا
وخير أعمام خير الرسل سيدنا

لأن محرابه بالرفع قد نُصبا
علم الشريف ففاقوا الأنجم الشهباً
لأنه ورث الجدع الذي انتجا
شانا فعز بمن شأوه خطبا
وراث سكانها سبحان من وهبا
كأنهم حرس من قبل يحتسبا
صلى إليها الحبيب المصطفى وحبا
كذا على العرش والكرسي علت رتبا
تراها وبها الشيخان قد تُربا
هما فكم أحرزا فضلا وكم وهبا
متى أمرغ من خدي بها عتبا
خير الأنام وأقضي حق من عتبا
تطيب عيشا وهم في ذكرها طربا
بوطء أقدام طه بعد أرض قبا
والآن آل الجنيد السادة النجبا
كهالة كلها للأكرمين خبا
على النبي وآبار له وربا
واستقف آثارهم فيها وكن أدبا
من قد غدا بالحيا والنور منتقبا
العباس ذلك نستسقي به السحبا

وفيه بنت رسول الله صفوته
والكامل الطفل إبراهيم شافعنا
وآل بيت رسول الله كلهم
والتابعون وكم فيه إمام هدى
للمذهب الخاص تفضيل المدينة عن
واذكر أبا الشبل ليث الله سيدنا
أخا النبي رضاعا عمه نسبا
وعنده الشهدا سبعون وقد صدقوا
لله درك يا أرض المدينة كم
لو أن واحدهم بالصين حق بأن
فليهن قوم أقاموا في جوارهم
وإن أتيت على بدر فزر شهدا
من مثلهم قتلوا سبعين واحتملوا
واذكر بضاعة أو بطحان أنهما
كانت موطن أنسي حيث كان بها
مع الحبيب الذي أروته ما فيها
فأه يا ليت أوقاتي تعود بها
فيا خليلي إن وافيتما وطني
ويا حويذا المطايا ذا النقا فاتح
واقراً السلام على من حله وأقم
أم الشريفين جدا في الوردى وأبا
شبيه يحيى وعيسى في الكمال صبا
وولده ونسائه ثم من صحبا
كمالك من لدين الحق قد ذهب
كشف لذا ما احتذا فيها ولا ركبا
حامي الحمى حمزة الضاري إذا وثبا
لذاك شج أبا جهل وقال صبا
كل قضى نجبه له محتسبا
حزت هماما يجلي الهم والكربا
تسعى إليه الموالي تطرد النجبا
ومن أناخ بهم مقدار ما حلبا
بدر ومن في حمى آثارهم ضربا
سبعين في القيد ممن طول العذبا
مسامري حين نامت أعين الرقبا
معراج قدسي وكانت لي زمان صبا
راحات سلمى فأسقي بعدما شربا
وهل يعود زمان بعدما ذهب
في طية طنبا في سرحها وطبا
وانح الضريح الذي للمسك منه نبا
مُستبشرا آمنا في منزل رجا

وخصه بتحيات مُباركة
حفص وناد بقلب خاشع وله
قل يا محمد إني جئتكم قاصدكم
قل يا محمد إني جئت زائرکم
قل يا محمد إني ما قصدتكم
قل يا محمد لا تنسوا سميكم
يرجو الإجازة بالقبول منكم
ويطلب الإذن منكم في زيارتكم
بالشوق لكنما الأقدار غالبه
فإن رضيت فهذا جل مقصده
لكن حاشاكم تخيب قاصدكم
فكيف لا وله في حبكم صلة
قطب الوجود غياث الجود سيدنا
به رضيت إماما مرشدا وبه
وجده المصطفى المختار لي سند
فصل رب وسلم ما بقيت على
فلا تعد ولا تحصى وأيسرها
فنوره كان من صلب إلى رحم
نعم وهذا حقير من خصائصه
والآل والصحب ثم التابعين لهم

عني وخص أبا بكر وخص أبا
مُسْتَغْطفا مستجيرا خاضعا أدبا
حق الضيوف على أهل الوفا قد رجا
لقولكم وجبا قل لي نعم وجبا
إلا لأحسب فيمن عندكم حسبا
وناشر المدح فيكم زاحم الأدبا
وبالإقبال لا يرتجي درا ولا ذهباً
في عامه مع صنو قلبه التها
وهو الذي كان لي في نظمها سببا
وإن أبيتم فوا حزنه وا حربا
أبا حمهم يرد القاصدين أبا
بشيخه العلوي من للعلا خطبا
محمد بن علوي من علا وربا
أمنت من وهج البلوى إذا لمبا
وشافع نافع دنيا ومنقلبا
محمد من له في المعجزات ربا
أحييت أما له قد أسلمت وأبا
في الساجدين من الأخيار منقلبا
فكم قرانا بما قد خصه كتباً
والأولياء مع السادات والنجا

واغفر لناظمها حقاً ومنشدها أيضاً وسامعها وعيا ومن كتبها
واغفر لعبد الرحيم الخير من برع فقد أتاني من نيابته نبا
فقال في خلدي هل من عراض على مثل لعينيك خدرا في الحمى ضربا
فقلت بالعجز والتقصير ممثلا مثل لعينيك دارا شام نجد قبا

وهذه القصيدة كما ترى فيها أبيات سلسلة منسجمة، وفي بعضها ركابة وتعقيد وشبه تصحيف، ولا أدري هل ذلك من أصلها أو من تصحيف الكاتب، إذ لم آخذها عن منشئها، وقد ذكر في آخرها أنه عارض بها قصيدة أولها: مَثْلُ لعينيك خِدرًا في الحمى ضُربًا...

بسؤال صاحبه الشيخ عبد الرحيم البرعي، أثابه الله على قصده الصالح، وجعلها من سعيه الناجح.

وخرجنا من جدة قافلين إلى مكة بعد صلاة الظهر، من يوم الثلاثاء، وسرنا على طريقنا الأولى، ننيخ بالقهاوي المذكورة للاستراحة، ودخلنا مكة مع أذان الصبح، وتوضأنا وأدركنا الصلاة بالمسجد الحرام. وقد شاهدنا في هذه الحضرة من العافية التي بسطها الله في الطرق والقرى، والأمان التام ما قضينا منه العجب، فمن ذلك أنا لقينا عيرا في ليل مظلم، تحمل أحمالا من البز الهندي والقماش الرفيع نحواً من عشرين جملاً، وطلبنا أحداً من أصحابها نسأله عن خبر البلد فلم نجد معها أحداً، وذهبنا نحواً من ميل فوجدنا أصحابها في قهوة مستريحين، وأخبرونا أنها لو ذهبت كذلك إلى مكة لم يتعرضها أحد، وأخبرونا بعجائب من مثل ذلك وقعت أيام الأمير زيد وولده محسن، فمن ذلك أنهم زعموا أن رجلاً جاء للسلطان محسن فقال: إني وجدت بالبلاد الفلانية حملاً من البز في الطريق. فقال له: ومن أخبرك أنه من البز. فقال: مسسته برجلي. فأمر بقطع رجله وقال له: لم مسسته برجلك؟ إلى غير ذلك من أمثال هذه الحكايات لا نعلم صحيحها من سقيمها.

ومن لطيف ما شهدناه من أمان هذه الديار وعافيتها، أن المسافرين من مكة إلى جدة، ومن جدة إليها، يكترون الحمير للركوب ولا يذهب صاحب الدابة معها، فإذا بلغ المكثري إلى المحل الذي ذهب إليه أرسل الحمار، ولا عليه فيه، فلا يأخذه أحد إلا ربه إن كان في ذلك البلد أو نائبه، ولكل واحد من أصحاب

الدواب نائب في غير البلد الذي هو فيه يعرف دابته ويقبضها حتى يكرها له ممن يرجع إلى البلد الذي هو فيه.

وقد رافقنا من مكة إلى جدة ذهاباً وإياباً صاحبنا الحاج علي العنابي التونسي، وكان من التجار المجاورين بمكة في هذه السنة، وكان معه جملة من أصحابه، فلم يتركنا أن ننفق في هذه السفرة ولو درهما واحداً، وكان الإنفاق من عنده في كل ما ينوب في منازل الاستراحة وكراء المنزل وما ينوب أيام الإقامة، فجزاه الله خيراً. وكانت فيه سخاوة نفس ودماثة خلق، قد نال غيرنا من المجاورين وأهل مكة من معرفته أكثر مما نالنا، ولقد طوقني من منته ما عجزت عن مكافأته إلا بالدعاء له، وقد أعارني فرسه للركوب مرات عديدة إلى أماكن مختلفة، ركبته مرة إلى الحديبية ومرة إلى الجعرانة، ومرة إلى الطائف، وكلما سمع بعزمي على التوجه إلى مكان يبعث به إلي ويعزم علي في ذلك. ولم يتيسر لي إحرام بعمره يوم رجوعي من جدة فدخلت مكة بلا إحرام مترخصاً في ذلك على مذهب من لا يرى الإحرام على من خرج إلى مثل جدة. ثم بدا لي أني قد غبت في ترك الاعتناء من الحديبية إذ هي من الأماكن المأثورة فضلها بإحلال النبي صلى الله عليه وسلم فيها، فقامت له ولأصحابه مقام الوصول إلى البيت العتيق، وكانت فيها بيعة الرضوان، ومآثرها غير خفية، فخرجت إليها بعد ذلك بليال مع صاحب لي بعد أن صلينا العصر وبلغنا إليها بعد العشاء، ونزلنا واسترحنا ثم اغتسلت وصليت وأحرمت بعمره، فبلغنا إلى مكة سحراً، فصرت بتلك العمرة متمتعاً، وكان ذلك مني عن قصد؛ لأنه تقدمت لي حجج والحمد لله مفرداً، فقصدت استيعاب أوجه الإحرام الثلاثة للاختلاف المشهور في أيها أفضل، ولذلك أحرمت عند إرادة الخروج إلى الحج قبل يوم التروية بالقران، فحصلت لي الأوجه الثلاثة، والحمد لله.

ولما رجعنا من جدة يوم الأربعاء الخامس عشر من شوال كما تقدم، وجدناهم قد شرعوا في تجديد السقف الأعلى للبيت العتيق، وذلك أن للبيت سقفين بينهما مقدار ذراعين ونصف، أو ثلاثة على ما قيل، صيانة له عن وصول شيء من التغير إليه بتزول ماء أو غيره، فإن احتاج أحدهما إلى تبديل كان الآخر صوناً للبيت. ثم إنه بعد ذلك السيل المتقدم ظهر في البيت شبه أثر قطر، فكشف عن ذلك، فوجد في بعض خشبات السقف الأعلى متآكل بالأرضة لطول العهد، فاقتضى نظر الخاصة تجديد السقف كله، فشرعوا في ذلك يوم الاثنين الثالث عشر

من شوال، فنصب سلاليم من جهة الحجر مشدودة بحبال وأعمدة متخذة لها شبه سرير من خشب في الهواء في مقابلة حزام ستر البيت يصعد منها الفعلة، ونصبت خصافات من الجريد على المحال التي يخشى عليها التلوث من أستار البيت، وجعلوا فيها بين الركن اليماني والحجر من أعلى البيت جرارة تجذب اللبن والجبص، واختير لذلك من الفعلة ما يحتاجون إليه، وبعثوا إلى نقل خشب الساج من جدة فجئ بخشبتين عظيمتين لتنصب عليهما الجوائر. قيل لي إنه اكرى على حمل كل واحدة من جدة إلى مكة بمائة وثلاثين ريالاً، وتنافس الناس في العمل في ذلك ابتغاء الأجر، وقد منّ الله علي بالصعود يوماً من الأيام ضحى بواسطة الحاج سليمان، صاحب لي صعيدي كان من الفعلة، فصليت في سطح البيت عدة ركعات، وناولتهم شيئاً من الطين واللبن تبركاً بالخدمة، وأعطوني شيئاً من الخشب المنكسر المقطوع في حال الإصلاح، وتحملت على أن اشتريت نحو ثلاثين لبنة من خالص ما أجد، أدخلت في بناء البيت كل ذلك تطفلاً على باب أرحم الراحمين بالانتساب إلى ما صحت نسبته إليه من بيت وغيره وهو أكرم الأكرمين، فلا يخيب من تطفل عليه وما أخرج من الخشب من سقف البيت جعل فيما احتيج إليه من سقوف القباب والمنارات، وأما التراب فكوم في جانب من المسجد وقالوا إنه يجعل دكة، وأخذ الناس من نجارات الخشب وبعض التراب للبركة، وكثير من الناس لا يجيز ذلك بناء على أنه كتراب الحرم وأحجاره وأشجاره لا يجوز إخراج شيء من ذلك، ومن أخرج شيئاً من ذلك وجب عليه رده على ما نص عليه علماء الشافعية، وتبعهم على ذلك جماعة من المالكية ممن ألف في المناسك. قال ابن فرحون في منسكه: وهو لا يجري على أصول المالكية، بل الجاري على أصولهم الجواز، واستدل على ذلك بأشياء يطول ذكرها. وهذا مستندنا في نقل ما نقلنا من خشب سقف البيت للبركة، والله ولي التوفيق.

ومنها محل في الجبل المشرف على المحصب، على يمين الذهاب من مكة إلى منى، يزعم أهل مكة أن فيه قبر عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، فيخرجون إليه في إحدى ليالي ذي القعدة، أظنها الثالثة عشر، رجالاً ونساء، كباراً وصغاراً، فيبيتون هناك عامة ليلتهم، ولم أخرج معهم تلك الليلة، إذ لا أعلم أصلاً لذلك. وسألت أهل العلم بمكة فأخبروني أنهم لا يعلمون لذلك أصلاً.

غريبة:

من جملة خرافاتهم المتعلقة بتلك الليلة في ذلك المحل أنهم يأخذون معهم نوى التمر فيدفنونه بالأرض في ذلك الجبل تلك الليلة ويزعمون أن من دفن شيئاً حصل له في تلك السنة بعدده ريالاً أو دنائير. وأغرب من ذلك ما حكى بعض أصحابنا تصديقاً لزعمهم ذلك، أن الشيخ علي بن الجمال الشافعي^(١)، وكان من فقهاء مكة الاعتبارين، خرج مع أهل مكة في بعض السنين إلى هذا المحل، فلما رأى فعلهم ذلك أنكره، ثم أنه جمع شيئاً من النوى نحو المائتين ودفنها، ثم وجد سبعا أخرى ودفنها، وهو في كل ذلك كالملاعب، فلما كان وقت الموسم بينما هو جالس في المسجد الحرام، إذ جاء شخص من أهل العراق يسأل عنه حتى وجده فناوله صرة كبيرة، وقال له: إن جماعة من طلبة الأحساء كانوا يقرؤون هنا عندك قبل هذا، وقد جمعوا لك هذه الدراهم بقصد التبرك منك وهم يسلمون عليك، وهي مائتا ريال. قال: فوقع في نفسي تصديق ما زعموا وإني كنت دفنت مائتي نواة، ثم قلت: وأين السبعة التي دفنتها بعد ذلك؟ فلم أبرح مكاني حتى رجع إلي ذلك الإنسان وقال لي: يا سيدي وهذه سبعة أخرى قد تبعتني بها شخص بعدما فارقت أولئك الجماعة. وقال لي: أوصلها إلى الشيخ. قال: فتعجبت من ذلك، ومن موافقته للحال. والذي أخبرني بذلك عن الشيخ ثقة عندي، ولم أدرك حياة الشيخ علي في هذه المرة، وأدركته فيما قبل هذا، ولم يتفق لي لقاءه، ولا الأخذ عنه، وكان من فضلاء الشافعية المدرسين بالحرم المكي، رضي الله عنه، وأرضاه.

ولأهل مكة في هذه الليلة أيضاً عمل مولد كبير في مشهد السيد العيدروس عند الشبيكة، يجتمع هناك جماعة من أولاده وأتباعه السالكين على طريقه، ويعمل هنالك سماع وقراءة وتلاوة، ويجتمع فيه خلق كثير، وقد فرش المشهد كله وما حوله، وأعدت للحاضرين أطعمة وأشربة، ويستكثر هنالك من المصاييح، وقد زرت في هذه الليلة، رضي الله عنه، ومشهده من المشاهد المشهورة بمكة والمزارات المعظمة، ويبتهم له صيت ومكانة عند الخاص والعام.

(١) علي بن أبي بكر بن علي، ابن الجمال المصري، فقيه شافعي، ولد بمكة سنة اثنتين ألف واشتهر بها إماماً مشاركاً، توفي سنة 1072 هـ: خلاصة الأثر 3: 128. اقتفاء الأثر، ص: 133.

ومنها جبل حراء، وفضله مشهور، وفيه الغار الذي كان، صلى الله عليه وسلم، يتحنث فيه قبل النبوة، وفيه نزل الوحي أول ما نزل، وفيه نزلت سورة اقرأ لما في الصحيح. وهو جبل متوحد بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها، وعلى رأسه قبة ترى من المسجد الحرام، والغار في أعلاه من الناحية الغربية الموالية لمكة، وقد خرجت لزيارته مع جماعة من أصحابنا في إحدى ليالي ذي القعدة سحراً، وصلينا الصبح بعدما جاوزنا بيوت مكة كلها ووصلنا أعلاه عند طلوع الشمس، وهو مع صعوبته قد سُوِّيت طريقه، وأزيلت الأحجار المعترضة من غالب طريقه، وبُني ما يحتاج إلى البناء فيها بحيث إن الدابة يمكنها الصعود براكبها إلى أعلاه، وفي أعلاه شبه مسجد على باب القبة، يصلي فيه الناس، والغار من أسفل القبة بين صخرات هناك، وهو صغير جداً يسع ثلاثاً أو أربعاً فيما أظن، ويصلي فيه الناس للبركة، وقد جلسنا هناك هنيهة ريثما حلت النافلة فصلينا فيه ودعونا. وباب الغار منتكب إلى ناحية الشمال، وقد كنت أسمع هذا -ورأيت منصوصاً- أن الجالس في الغار يرى الكعبة، ولذلك اختار النبي، صلى الله عليه وسلم، التحنث فيه، لأن النظر إلى البيت عبادة، فتجتمع له أنواع من العبادات، لا تكاد تجتمع في غيره، وهذا لا يصح إلا أن يريد المحل الذي هو فيه، فإن البيت قبل أن يكتنفه البنيان العظيم قد يظهر من خارج، وأما من الغار نفسه فلا.

غريبة:

أخبرني شيخنا أبو مهدي عيسى أنه خرج ذات مرة للتحنث بهذا الغار، وكان يخرج إليه قبل ذلك بهذا القصد، وخرج معه في هذه المرة ثلاثة من أصحابه من الهنود^(١)، وكان اثنان منهما مقيمين معه، والثالث يتردد عليهما بما يحتاجان من ماء ويطعام، قال: وكان معي كتاب بداية المجتهد للحفيد ابن رشد، أطلع فيه أحياناً، فبينما هو ذات يوم في الغار وصاحبه في القبة، والثالث تحت صخرة هناك، إذ عرض في السماء عارض غيم وبرق، ثم أرزم الرعد^(٢)، وأتى بأمر هائل، قال: ما رأيت مثله قط، فلم أشك أنه الموت، ولزمت مكاني، وطبت نفساً بشرف البقعة، وقلت: حبذا لقاء الله في مثل هذا المكان، وألزمت نفسي حضور القلب،

(١) في ط: الهند.

(٢) أرزم الرعد: اشتد صوته: لسان العرب: رزم.

منتظراً حلول القضاء، حتى انكشف ذلك، وخرجت من الغار فإذا صاحبائي اللذان في القبة قد ماتا، وأحدهما جالس على هيئته، لم تتغير منه شعرة، والآخر ساقط قد سال الدم من بعض منافذه، فلم أرَ منظرًا أهول ولا أفزع من ذلك، فالتمست الثالث من أصحابي فوجدته تحت صخرة وقد سلمه الله، فبعثته إلى مكة ليعلم أصحابنا، فبقيت هنالك وحدي منفرداً في الليل، فلم أرَ أمراً أفزع ولا أوحش من ذلك، وكان أعظم وأشق علي من الحال التي كنت عليها في الغار، فما جاءني الناس مع صاحبي حتى كدت أهلك غمًّا، فاحتملنا صاحبين، وذهبنا. فمن ذلك الوقت ما رجعت للتحنت فيه إلا أن أذهب زائراً ثم أرجع.

قلت: والافتراء عن الناس، سيما في المفازات والمغارات البعيدة من العمران لا يقوى عليه إلا من أيد بروح القدس، وكانت له همة عالية، وسقطت من قلبه مخافة غير الله، فإن الإنسان مدني الطبع لا يتحمل وحشة الافتراء، سيما إن نزلت به مُلِمَّة وهو منفرد عن الناس، فإن عيشه يتكدر، وحاله يتغير، وتضيق نفسه، وتخرج عن معتادها، فربما يتلف من ذلك أو يذهب عقله. وأما من كان قلبه متعلقاً بالله لا يلتفت إلا إليه في السراء والضراء، فذلك موقرة عينه، ولو انطبقت السماء على الأرض ما زاده ذلك إلا تلذذاً بما فيه، لأنه في تلك الحال يقوى تعلقه بربه وانحياشه إليه، وتنتفي الخواطر المشتتة له في أودية الأغيار، وأي شيء هو طلبه المرید وبغيته إلا هذه الحال. ولذلك قيل: مواسم الفاقات أعياد المریدین. ولا أظن أن شيخنا في ذلك الوقت كان من أهل هذه الحال لما غلب عليه من محبة العلوم الرسمية وصرف همته إليها، بذلك على ذلك استصحابه لكتاب بداية المجتهد، ومن كانت هذه حاله، وإن كانت محمودة، لا يقوى على تحمل واردات القدر الخارجة من باب القهر المتلفعة بمروط الجلال والهيبة لتعلق قلبه بأمور وخیالات وعلوم هي في الحقيقة وسائل، فإذا تجلَّى الحق بصفة القهر ذهبت الوسائل وحق الحق (وبطل ما كانوا يعملون)^(١)، فيفجأ القلب أمر غير معهود له ولا مألوف ولا متصور قبل ذلك، فلا تسأل عما يكابده من ألم الغربة والوحشة والخروج عن المألوف، نسأل الله أن يثبت قلوبنا ويؤيدها بنور المعرفة عند كل وارد، وعند واردات القهر خصوصاً، ويشهدنا اللطف المصحب بها، ويغرقنا في بحار التلذذ بمشاهدته حتى لا نحس بذلك، وعافيتك أوسع لي يا أرحم الراحمين.

(١) الأعراف: 117.

ومنها الجعرانة، وهي موضع بين مكة والطائف، إلى مكة أقرب بكثير، بينها وبين مكة ثمانية عشر ميلاً، ومنها كانت عمرة النبي، صلى الله عليه وسلم، في ذي القعدة حين قسم غنائم حنين كما في الصحيحين. وذكر المحب الطبري عن الواقدي أن إحرامه بالعمرة منها كان ليلة الأربعاء لاثني عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة، قال المحب الطبري: ومنها يحرم أهل مكة كل ليلة في ليلة سبع عشرة من ذي القعدة، وذلك خلاف ما ذكر الواقدي، هـ. قال القاضي تقي الدين الفاسي مؤرخ مكة في شفاء الغرام: "وما ذكره الطبري يخالف ما أدركنا عليه أهل مكة فإنهم يخرجون من مكة في اليوم السادس عشر من ذي القعدة ويقيمون اليوم السابع عشر بالجعرانة ويصلون المغرب بها ليلة الثامن عشر، ويحرمون ويتوجهون إلى مكة وهو يلائم ما ذكره الواقدي"⁽¹⁾. قال الخطاب: وعلى ما ذكره القاضي تقي الدين أدركنا عمل أهل مكة.

قلت: ولا أدري متى انقطع عمل أهل مكة هذا فإنهم الآن لا يحرمون منها، ولا تكاد تجد أحداً يعلم أنه من مواقيت العمرة، إلا من مارس كتب الفقه منهم، وأما العوام فلا يطلقون اسم العمرة إلا على التنعيم. ومن أغرب ما وقع لنا في ذلك أنا لما نزلنا بالمحصب بعد تمام الحج في آخر سنة أربع وستين بدا لنا أن نذهب من هناك إلى الجعرانة لنحرم منها بالعمرة لأفضليتها على غيرها من الأماكن كما هو مقرر، فطلبنا من يهديننا الطريق إليها، وسألنا من هناك من الأعراب وأهل البلد فقالوا: وما شأنكم بالجعرانة، فذكرنا لهم الاعتبار، فاشتد نكيرهم وقالوا: ما نعلم أحداً يعتمر من هناك، وإنما العمرة من التنعيم، ولكنكم قوم مغاربة أهل حيل قد يكون قصدكم إخراج كثر هناك، فعميتم قصدكم بذكر العمرة، وإلا فأبي عمرة في الجعرانة. وما كادوا يصدقوننا في ذلك، فقلنا لهم: يذهب معنا أحدكم بأجرته ويشاهد ما نريد من ذلك، فاکترينا رجلاً منهم، فأسرى بنا حتى اعتمرنا، ولما كان اعتماره، صلى الله عليه وسلم، منها إنما هو في ذي القعدة في السابع عشر والثامن عشر، توخينا ذلك في هذه السنة إذ أمكننا بالمجاورة في مكة هذه المدة، فخرجنا مع جماعة من أصحابنا ليلة الاثنين السابع عشر من ذي القعدة اغتناماً لفضيلة الوقت والمكان، فوصلناها بعدما ذهب طائفة من الليل، وأنحنا بها إلى قريب من السحر، ومكانها واد أفيح كثير العضاء، ماؤه شديد الحلاوة غزير، وبها

(1) شفاء الغرام 1: 192.

بثران عظيمان مطويان بالحجر المنحوت، وعنده دوحات عظيمة، وعلى شفير الوادي مكان مسجد يقال إن منه أحرم النبي صلى الله عليه وسلم، ومنه أحرمتنا بعد الاغتسال والركوع، وقفلنا إلى مكة ودخلناها ضحى، والحمد لله.

ومن فضائل الجعرانة ما ذكره الجندي عن ابن ماثك أنه اعتمر من الجعرانة ثلاثمائة نبي. ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم فحص موضع مائها بيده المباركة فانبجست، فشرب منه وسقى الناس. ويقال إنه غرز فيه رمحه فنبع.

ومن الأماكن التي لا ينبغي للمجاور أن يهمل زيارتها بلد الطائف فإن فيها مزارات كثيرة، حسبما أذكر بعضها، وقد خرجنا إليها من مكة بعد العشاء الأخيرة ليلة الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة مع جماعة من أصحابنا في رفقة من أهل مكة والطائف، ومررنا على طريق الحاج إلى منى ثم إلى مزدلفة، ثم إلى بسيط عرفة، ثم تركنا الموقف شمالاً، وأنحنا هناك في قهوة قريباً من نصف الليل، والطريق من مكة إلى الطائف فيها قهاوي يستريح المارة بالترول فيها، واشتراء المحتاج من طعام وعلف، على نحو ما ذكرنا في طريق جدة.

ثم ارتحلنا من هناك قرب طلوع الفجر، وسلكنا مع طريق الساقية التي تأتي من أصل الجبل إلى عرفات ثم إلى المشاعر، ثم إلى مكة، ومنها تأتي المياه إلى مكة في هذه الأزمنة بعد اندثار الأخرى التي تأتي من الجعرانة، وقد ذكر المؤرخون أخبار العيين معاً، وأن التي من الجعرانة من عمل بني أمية، وهذه من عمل بني العباس، وهي من صدقات زبيدة بنت جعفر بن المنصور، إلا أنها ما وصلت إلى مكة إلا في دولة بني عثمان، ملوك العصر من التركمان، وقد شاهدنا في بنيان هذه الساقية ما يدل على فخامة ملكهم، وقوة اعتنائهم بأمر الحرمين. فكلما مررنا غلوة أو غلوتين وجدنا عينا منها مفتوحاً عليه بناء وثيق، ووجدنا الفعلة في وقتنا جادين في إصلاح ما وهى من بنائها، وكنس ما تهوّر من أرجائها، وهي صاعدة مع وادي نَعمان الأراك، بفتح النون، الذي أكثرت شعراء العرب فمن بعدهم من ذكره، وهو وادٍ عظيم أفيح، منحدر من جبل نجد، وبه أدواح يانعة، يصفحها نسيم نجد فتهتز أغصانها طرباً، وتميل إلى أن تلثم أفواه الأزهار الغضة الناعمة الملتفة بحافتي ذلك الوادي. وقد كساه الخصب من مروط الزهر ألواناً، وعمم رؤوس هضابه أقاحى وأرجواناً، فلم نزل نسايره صاعدين إلى أن قربنا من جبل أكرأ، فعدلنا يمينا مع بعض تلك الهضاب، وآوانا الحر إلى قهوة بأصل الجبل بين صخور عظام،

حولها ماء صافٍ يجري على حصباء كالزبرجد، عذب بارد، سهل التناول للصادر والوارد، ما رأينا فيما سلكنا من بلاد الحجاز مكاناً أشبه ببلادنا منه، فلما زالت الشمس وتوضأنا للصلاة أخذنا في صعود الجبل العظيم الذي لا يماثله في عظيمته جبل من جبال تهامة، وسلكنا في طرق ثميل مع خراطيمه الهابطة من أعلاه، وغالب الطريق في هذا الجبل قد نقي من الصخور العظام، ونضدت الحجارة فيه ببناء وثيق مصفح على ممره، يقال: إن ذلك من عمل بني العباس لكثرة اعتنائهم ببلد الطائف ونزول ولاية الحجاز منهم به، وقد أثرت السيول مع طول العهد في أماكن كثيرة من هذا الجبل فخربت بناءه، وكثرت للسالك عناءه، ووجدنا في هذا الجبل أشجاراً عظيمة من العرعر وغيره من أشجار بلادنا، فأنسنا بذلك غاية، ورأينا القروء به تصيح، وتثب في أعالي تلك الصخور، فتعجبنا من ذلك، فأخبرنا أنها توجد في هذا الجبل، وما سمعنا قد أنها بأرض الحجاز، وإنما يقال إنها تجلب من الشام والروم إلى مصر والحجاز.

ولقد لقينا في صعود هذا الجبل مشقة ونزلنا عن الدواب، وأرسلنا أوعاره وأغواره كرهاً، وما كدنا نصل أعلاه حتى تمكن وقت المغرب وصلينا، وتلفعنا بثيابنا لشدة البرد، وتعجبنا من صنع الله وبديع قدرته، فقد قاسينا أول النهار من شدة الحر وسمومه ما كادت العظام منه تذوب وتنفطر القلوب. وكابدنا من شدة البرد آخره ما ارتعدت المفاصل منه، وكلت القوى عنه. ثم وصلنا إلى قهوة هناك ونزلنا بعد العشاء، وطلبنا خيصاً يُكننا من شدة البرد، فأدخلونا محلاً أوقدوا فيه نيراناً عظيمة فاصطلينا بها عامة ليلنا، وحمدنا الله على ذلك. وكان هذا في إبان الحر الشديد، ولذلك خلفنا ثيابنا في مكة، ولم نلبس منها إلا ما يوافق الوقت، وقضينا عجباً من شدة الحر والبرد معا في المكانين المتقاربين.

ثم ارتحلنا من ذلك المكان قرب صلاة الصبح وهبطنا عقبة هناك هي دون التي طلعناها بكثير إلا أنها وعرة، وسلكنا في شعاب ذات مياه غزيرة ونبت ملتف، إلى أن خرجنا إلى قرن الثعالب الذي هو ميقات أهل نجد، وبإزائه قرية ذات مزارع وأشجار من أنواع الفواكه، حولها وادي يسيل ماؤه، وتجاوزناها قرب الطلوع، وسلكنا بين تلؤل هناك في صعود وهبوط واستواء إلى أن وصلنا بلد

الطائف وهو قصور في مستوى من الأرض، تحيطها جنان من نخيل قليل وأعناب كثيرة، (وفواكه مما يشتهون)^(١).

وقصدنا المسجد الأعظم، فأول من لقيناه على بابه رئيس المقرئين وأستاذ المجودين، الذي لا يشاركه في تحقيق فن القراءة بأرض الحجاز غيره، ولا يجهل عند الخاص والعام من أهل تلك الديار أمره، الشيخ عبد العزيز بن حسن بن عيسى التوائي، رضي الله عنه، ولم نكن نعرفه قبل ذلك، ولا يعرفنا إلا بالخبر، وإنما عرف كلاً منا بصاحبه السيد الأجل الفقيه الأمل، صاحبنا السيد عمر المدني، من متفقهة أهل المدينة، تعرفنا به فيها، فوجدناه جالساً مع الشيخ المذكور، عند باب المسجد، فرحب بنا الشيخ غاية، وأظهر لنا من بشره النهاية، وطلب منا التزول عنده في داره، وأقسم على ذلك جهد يمينه، وبذل في القرى المستطاع من ملك يمينه، فدخل معنا إلى المسجد، ووصل معنا إلى محل الزيارة، فزرنا وصلينا في المسجد، ثم ذهبنا إلى المتزل، وأنزلنا في أطيب مكان فيه، وأدخل أمتعتنا ودوابنا.

فلما استقر بنا المجلس، وخرج عنا في بعض شؤونه قلنا لصاحب لنا: (آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً)^(٢). فخرج إلى السوق واشترى لنا ما يصلح للوقت، فلما وضعه بين أيدينا دخل علينا الشيخ، وقد رآه حين دخل وهو يقول: واعيباه واعيباه يكررها، وتلك لغة أهل البلد، كيف تشترون الطعام وأنتم في متزلي؟ ولكن الذنب مني إذ أبطأت عليكم بالقرى، فاعذروني، وما كنت مشغلاً إلا في ذلك، فأخرجنا واعتذرنا له، فلم نبرح من مكاننا حتى أتى بالغداء، فأكلنا واسترحنا.

ولقد أجزل لنا القرى مدة الإقامة فجزاه الله خيراً. إلا أنه لما بلغ خبر قلوبنا إلى جواد زمانه، وحاتم أوانه، وجنيد عصره، وغوث قطره، السيد عبد الرحمن المكناسي، وكان إذ ذاك بالطائف، بعث إليه بعض خدامه بالمحتاج إليه من طعام وإدام ولحم ونحو ذلك، وقال له: إنما علينا قراهم لا عليك إلا أنهم لما نزلوا في متزلك لم يمكننا إخراجهم من عندك، فعليك المتزل وعلينا التزل والقرى، ولم يزل يتعاهده بأمثال ذلك إلى أن خرجنا.

(١) المرسلات: 42.

(٢) الكهف: 61.

ولما كان الغد ذهبنا لزيارة السيد عبد الرحمن في منزله، وكان بأعلى البلد، فدخلنا عليه وبالع في الترحيب والتحفى، وهشَّ وبشَّ، وسأل عن الحال وأظهر السرور بقدمونا، وكنا لقيناه في منزله منزله بمكة يوم دخولنا أو غده وهو متهيئ للخروج إلى الطائف في يوم لقائنا له، ووجدنا ركائبه بيابه، وآلة السفر بين يديه، فلم تطل مجالستنا له، واعتذر لنا عن ذلك، وأخبرنا أن الخروج في ذلك الوقت لم يكن باختياره، وأنه لوارد قهري، وكان اتخذ ذلك عادة منذ أعوام كثيرة، إذا أقبل رمضان وقرب خرج إلى الطائف، وكثيراً ما يستهلُّ له رمضان في الطريق، لأنه كان يسير سيراً رقيقاً، وربما أقام، وربما أفطر بعض أصحابه يوماً أو يومين في الطريق لأجل السفر، فاتخذ الجهال والحسدة له ذلك ذريعة، وتطرقوا منه إلى الوقوع في عرضه، والاتهام له في دينه، وقالوا: إنه إباحي، وما جعل السفر في هذا الوقت ديدنه إلا ليتوصل به إلى الأكل في نهار رمضان، وإلا فأى ضرورة تلجئه إلى الخروج في هذا الوقت كل سنة إلى غير ذلك مما يلقيه الشيطان إلى أوليائه من شياطين الإنس والجن (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً)^(١) سنة الله في أنبيائه وفي أوليائه بالإرث، إذ جعل الله لكل نبي عدواً من المجرمين^(٢). وكذا كل ولي، على ما نص عليه غير واحد، على أن هذا الشيخ ممن ظهرت شواهد صدقه في حاله، واشتهرت كرامته، وعلمت ديانته، فينبغي التسليم له، سيما في الأمور التي لا تصادم الشريعة كهذا، وقد أخبرني، رضي الله عنه، ببعض حاله في سفره هذا، وكأنه توهم أني سمعت شيئاً مما يقوله الناس في ذلك وقال لي: والله ما كنت أخرج من هذا البلد مع غلبة الحال وقوة الوارد حتى أسمع النداء: يا عبد الرحمن ألا تخرج تخاف على إيمانك، فأخرج حينئذ خوفاً على نفسي.

قلت: ومن كانت له بصيرة نورانية وذوق رباني وكشف إلهي، لا ينكر مثل ذلك، فإن أحوال الواردات الإلهية لا تنضبط لزمام، والناس في تحملها أنواع، وقد علم من أحوال هذا الشيخ أنه أسير الحال في أكثر الأحوال، ولعل السر في قهره على الخروج عند قرب رمضان، فاعلم أن شهود رمضان في مكة يزيد في الإيمان، وإن الواردات الإلهية تقوى في هذا الشهر وفي أشهر الحج بعدها، فإذا انضاف إلى شرف الوقت شرف المكان ربما ورد على القلب الضعيف من

(١) الأنعام: 112.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً): الفرقان: 31.

الواردات ما يعجز عن حمله ولا يقوى على القيام بحقه، سيما إن كان مغلوباً من قبل، كهذا الشيخ، فقد يتسع عليه النطاق، ويرد عليه مالا يطاق، وربما أداه ذلك إلى خرق سياج الشريعة مغلوباً، فيخاف عليه في دينه كما وقع للحلاج وغيره من المغلوبين. فعلى هذا فقد يكون الخروج إلى محل يخف عليه فيه الحال وتنكسر سورة الوارد فيه بعدم معاضدة شرف البقعة ألطف به وأرفق وأرحم وأليق بحاله، وهذا أمر غامض لا يدركه إلا أهله.

فإن قيل: ينقض عليك هذا بشهود الموسم فإنه لا مكان ولا زمان أشرف من تلك المشاعر العظيمة في تلك الأزمان الشريفة. قلت: إن الموسم يجتمع فيه من الخلائق من سائر الآفاق من لا يعد كثرة، وفيه من طوائف أهل الحضرة كل صنف من أبدال وتقباء ونجباء وأوتاد والغوث والقطب، وأنواع أهل دائرة الولاية على اختلاف مراتبهم، فتتعاقد أنوارهم وهممهم وعزائمهم سيما والقطب المتصرف في الكل حاضر حساً ومعنى، فيقوى المدد ويكثر سريانه في كل سالك على قدر قوته وضعفه، فينجبر بذلك ضعف القابل، ويقوى به عجز المغلوب، وهذه إشارة إلى ما عجزت عن إبانته العبارة، يعلمه أهله، ولا ينكره إلا من لم يؤمن بطريقهم، فإن أول درجات هذا الطريق الإيمان بأحوال أهله التي لم يقم دليل قطعي على عدم صحتها.

وأحوال هذا الشيخ في الوجود غريبة، وأعظم شاهد على صدقه في حاله زهده في الدنيا، مع كثرة ما يُجبي إليه منها، فلا يبالي من أخذها من يده من غني وفقير، ومأمور وأمير، ورفع همته عن الخلق سيما أرباب الدولة، فإنهم لا يرون في مكان أذل منهم في بابه. ولقد كنا عنده بمقره في الطائف فاستأذن عليه السيد حسن بن زيد، أحد أولاد السلطان زيد، فلأياً بلأى ما أذن له، وعند دخوله لم يقم له، ولا اهتبل له، وغاية ما قال له، كالمعتذر عن تأخير الإذن: إنا اشتغلنا بمؤلاء السادات، وما هم دونك في المكانة عندنا، وإن كان لك حق الشرف، فلهم حق النسبة إلى الله، وطلب العلم، والغربة، أو نحو من هذا الكلام، ولم يأنف ذلك الشريف من هذا الكلام مع ما هو فيه من حداثة السن ونخوة الملك والشرف بل ألان الكلام بين يديه وتلطف. وذلك شأن هذا الشيخ مع أرباب الدول، وأهل المناصب الدنيوية، وسندكر بقية أخباره عند ذكر من لقيناه بمكة من أهل الفضل.

ولم نلقَ بالطائفة أحداً ممن ينتسب إلى علم أو صلاح، سوى الشيخ عبد العزيز الذي نزلنا عنده، وأصله من المغرب من بلاد أوكرت من بلاد تيجورران، وشهرته بالتواني، وقد جال في المغرب وقرأ على كثير من علمائه كسيدي الصغير ابن المنيار التادلي، ودخل فاساً وقرأ على سيدي عبد الواحد ابن عاشر⁽¹⁾ وعلى غيره، ثم ارتحل إلى المشرق قديماً بعد الأربعين وألف، ودخل القاهرة، وأتقن القراءة على مقرئها وأستاذها الشيخ سلطان، وختم عليه إحدى عشرة ختمة، وأجازته بالقراءات السبع، بل وبالعشر، وكتب له خطه بذلك، ثم انتقل إلى الحجاز وحج، ثم استوطن الطائف منذ أعوام كثيرة، وتزوج امرأة من أهله، ورزق منها عدة أولاد، وله عند أهلها مكانة. يحج كل سنة ويحضر الموسم.

وقد سمعت منه المسلسل بسورة الصف، قرأها علينا أمام ضريح الخبر ترجمان القرآن، عبد الله بن عباس ثلاث مرات؛ مرتين بقراءة قالون⁽²⁾، ومرة بقراءة ابن كثير، وأجازنا بها. قال: قرأها على شيخ الإقراء بالقاهرة الشيخ سلطان. قال: قرأها علينا الشيخ حجازي. قال: قرأها علينا الشمس العلقمي. قال: قرأها علينا جلال الدين السيوطي. قال: قرأها علينا أبو عبد الله الحاكم. قال: قرأها علينا أبو إسحاق التنوخي. قال: قرأها علينا أبو العباس الصالحي. قال: قرأها علينا أبو المنجا الليثي. وسند الشيخ سلطان إلى ابن الجزري. قال: قرأها علينا أبو الحجاج الصيرفي. قال: قرأها علينا أبو المعالي عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن أحمد المطعم. قال: قرأها علينا ابن المنجد عبد الله بن عمر الليثي. قال: قرأها علينا أبو الوقت عبد الأول السجزي⁽³⁾. قال: قرأها علينا أبو محمد الداودي⁽⁴⁾. قال: قرأها علينا محمد بن كثير. قال: قرأها علينا الأوزاعي. قال: قرأها علينا يحيى بن أبي كثير. قال: قرأها علينا أبو سلمة. قال: قرأها علينا عبد الله بن سلام. قال: قرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها.

(1) عبد الواحد بن أحمد بن عاشر، الأندلسي الفاسي، فقيه مشارك، له تأليف منها المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، توفي عام 1040 هـ: خلاصة الأثر 96:3. التقاط الدرر، ص: 91. شجرة النور الزكية 434:1.

(2) أبو موسى عيسى، قالون: مقرئ المدينة وتلميذ نافع، توفي سنة 220 هـ: سير أعلام النبلاء 326:10. النجوم الزاهرة 235:2.

(3) في ط: السجزي.

(4) في ط: الداودي.

وقرأت عليه أيضا في المحل المذكور من أول الفاتحة إلى قوله تعالى: (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا)⁽¹⁾ بقراءة نافع من طريق قالون، رواية أبي نسيط والحلواني، ومن طريق ورش رواية الأزرق والأصبهاني، كل ذلك بطريق الطيبة. وأجازني به. ولنذكر نص ما كتبه بين يديه بعدما ناولني إجازة الشيخ سلطان له:

الحمد لله، وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم. يقول العبد الفقير إلى الله تعالى، أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المغربي المالكي: خرجت من مكة المشرفة بعد العشاء الأخيرة ليلة الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة إلى الطائف لزيارة حبر الأمة، ترجمان القرآن، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، ووصلناها ضحى يوم الأربعاء، ولقينا هنالك رئيس المقرئين، وأستاذ المجودين، الشيخ عبد العزيز بن حسن بن عيسى التواتي، وأنزلنا عنده، وقام بالحق الواجب أتم قيام، فجزاه الله خيرا. وسمعت منه سورة الصف، قرأها علينا أمام ضريح الحبر ابن عباس ثلاث مرات؛ مرتين بقراءة قالون، ومرة بقراءة ابن كثير. وأجازنا بها بإسناده الآتي إلى ابن الجزري. وقرأت عليه من أول الفاتحة إلى قوله تعالى: (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا)⁽²⁾ أمام الضريح المذكور، بقراءة نافع من طريق قالون، على روايتي أبي نسيط والحلواني، ومن طريق ورش على روايتي الأزرق والأصبهاني، كل ذلك بطريق الطيبة. وأجازني به وبكل ماله قراءة وحديثا ونحوا وأصولا وتصوفا حسبما سطر ذلك كله في إجازة الشيخ سلطان، شيخ الإقراء بمصر، له بعدما ختم عليه إحدى عشرة ختمة. أما سند القراءة فأخذ الشيخ سلطان عن الشيخ سيف الدين الشافعي ابن عطاء الله الفاضلي البصير بقلبه، وهو عن الشيخ شحاتة اليميني، وهو عن الشيخ ناصر الدين الطيلاوي، وهو عن زكرياء الأنصاري، وهو عن الشيخ شهاب الدين البيجوري، وهو عن شمس الدين ابن الجزري، وهو عن أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد بن علي البغدادي المصري، وهو عن محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري المعروف بالصائغ، وعن أبي الحسن علي بن شجاع العباسي المصري صهر الشاطبي، وهو عن أبي القاسم الشاطبي. قال الشيخ سلطان: وهذا الإسناد لا يوجد اليوم أعلى منه، تسلسل بمشايخ الأفراد وبالشافعية وبالديار المصرية وبالإقراء

(1) البقرة: 17.

(2) البقرة: 17.

والتلاوة، وأخذ الشاطبي عن أبي الحسن علي بن هذيل عن أبي داود سليمان، عن أبي القاسم الأموي، عن أبي عمرو الداني، وسند الداني معروف. قال الشيخ سلطان: وأخذت الحديث على جماعة منهم: الشيخ شهاب الدين بن خليل السبكي (مع زيادة)^(١)، وقرأت عليه أيضا في التصوف. ومنهم الشيخ سالم السنهوري، ومنهم الشيخ نور الدين الزيادي، ومنهم الشيخ يحيى الحنبلي. وأخذت أصول الفقه والدين والنحو والعروض عن جماعة يطول ذكرهم، وقد أجزت بكل ذلك الشيخ عبد العزيز المذكور يرويه ويرويه لمن شاء، هـ باختصار من خط الشيخ سلطان المذكور في إجازته لشيخنا عبد العزيز. وقد أجاز لنا شيخنا ذلك كما أجز له، هـ. وكتب عشية يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي قعدة الحرام سنة ثلاث وسبعين وألف.

هذا نص ما كتبه بيدي وما ناولته إياه فتصفحه وكتب تحته بخطه ما نصه: صحيح ذلك كما ذكره، ولا ينساني من دعائه، وكتب الفقير إلى الله تعالى عبد العزيز بن الحسن الحفصي كان الله له آمين.

وإنما أطلنا بكتابة ما كتبه وما كتبه بلفظه تبركا بألفاظه في الرواية، وثبتنا في النقل على طريقة أئمة النقل من المحدثين، ولا ينكر هذا إلا الجاهل بأصولهم واصطلاحهم، ولولا ذلك لكان الاختصار والإتيان بألفاظ قليلة تؤدي هذا المعنى ممكناً.

(١) زيادة من ط.

وأما الأماكن التي تُزار في بلد الطائف: فمنها البلد نفسه فقد وردت آثار تدل على فضله، وأنه منقول من الأرض المقدسة، نقله جبريل عليه السلام (بإذن الله تعالى)^(١). وورد في الحديث أن، النبي صلى الله عليه وسلم، حرّم عِضَاه وَجَّ^(٢)، وهو الطائف، وهو عند الشافعية كحرم مكة لا يقطع شجره، وكفاه هذا فضيلة شارك فيها الحرمين الشريفين.

ومنها قبر ترجمان القرآن، حبر الأمة، سيدنا عبد الله بن عباس، وهو في قبلة المسجد الأعظم من يمناه^(٣)، وعليه بناء فخم حوله على يمين الداخل من الباب قبر البطل الهمام، والليث المقدام، فارس بني هاشم، سيدنا محمد بن الحنفية بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، (رضي الله عنه)^(٤)، فضائله مشهورة، وسبب انجازه هو وابن عمه عبد الله بن عباس إلى الطائف مذكور في التواريخ، فلا تطيل بذكره. وبإزاء قبر ابن عباس قبر يُقال إنه قبر عبد الله الطيب الطاهر، ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والناس يتبركون به بهذه النية.

ومنها المسجد الأعظم نفسه فإنه في محل نزول عسكر النبي صلى الله عليه وسلم عند محاصرة ثقيف بعد غزوة حنين، وفي صحن المسجد مسجد صغير يقال إنه منزل النبي، صلى الله عليه وسلم، في الحصار المذكور، وفيه محل يقال إنه محل قبة أم المؤمنين أم سلمة وقبة أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنهما، وخبر حضورهما معه، صلى الله عليه وسلم، في هذه الغزوة وإنه اتخذ لكل واحدة قبة، ومصلاه، صلى الله عليه وسلم، بين القبتين مذكور في كتب السير.

(١) ساقط في ط.

(٢) جاء في مسند أحمد: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا عبد الله بن الحرث من أهل مكة مخزومي، حدثني محمد بن عبد الله بن إنسان قال: وأتني عليه خيرا، عن أبيه عن عروة بن الزبير، عن الزبير رضي الله عنه قال: ثم أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من ليلة، حتى إذا كنا ثم السدرة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في طرف القرن الأسود حذرنا فاستقبل نخبا ببصره، يعني وأبنا ووقف حتى اتفق الناس كلهم، ثم قال: إن صيد وج وعضاه حرم محرم لله، وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيف: مسند أحمد 1: 165.

(٣) أنظر: شفاء الغرام 2: 89.

(٤) زيادة من ط.

وآثار حصن ثقيف الذي انحازت إليه بعد الهزيمة وحوصروا فيه باقية إلى اليوم. وقريب من ذلك محال متعددة فيها آثار في الصخر الصلد كأثر ظلف الغزالة، والناس يتبركون بها ويقولون إنها أثر غزالة جاءت النبي صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه في ذلك المحل، ولم نرَ لذلك ذكراً في شيء من كتب السير وأخبار معجزاته صلى الله عليه وسلم.

ومن المحال التي تزار بالطائف مسجد على شفير الوادي بأعلى البلد، فيه شجرة كبيرة أظنها سدرًا، لها أصلان متقاربان بينهما مثل ممر الشاة، يقال إنها الشجرة التي اعترضت النبي صلى الله عليه وسلم، في طريق له فأنشقت شقين، حتى مر بينهما لثلا تعنته فيمر يمينا أو شمالاً⁽¹⁾، وخبرها مذكور في بعض الأحاديث. ولم أرَ من ذكر أنها في هذا المحل، ولا أنها باقية إلى هذا العهد، وأظن أن حديثها مذكور في معجم الطبراني الصغير⁽²⁾، والله أعلم.

وهناك مسجد آخر على شفير الوادي قريب من هذا يزار أيضاً. ولا أذكر الآن شيئاً من خبره. فهذا ما علق بذهني من المحال التي تزار بالطائف.

وفي هذا البلد أسواق حافلة، يحضرها الناس من أطراف نجد، ويجلب إليها من الحبوب والثمار والزبيب والعسل ما قضينا العجب من كثرته، بحيث يخيل إلينا أننا لم نرَ مثل ذلك في الكثرة من الأسواق العظيمة.

ولم تطل إقامتنا في هذا البلد لقرب زمان الموسم، ولأننا وجدنا به مرضاً كثيراً فاشياً في أهله، وأخبرونا أن ذلك شأنه في السنة التي تكثر أمطارها كهذه السنة، وإنما كانت إقامتنا فيه بقية يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة.

وخرجنا منه ليلة السبت قريباً من نصف الليل على طريقنا التي مررنا عليها ذهاباً، ووصلنا قرن الثعالب الذي هو ميقات أهل نجد بعد طلوع الفجر، ونزلنا حتى توضحنا وصلينا، وأحرمت من هناك بعمره ولم أغتسل للإحرام لبرد الماء والهواء، بل اقتصرنا على الوضوء.

(1) أنظر: شفاء الغرام 89:2

(2) لم يرد هذا الحديث في معجم الطبراني الصغير.

لطيفة:

كنت قبل ذلك كثيراً ما أطيل الفكر في مسألة من الحقائق تتعلّق بوحدة الوجود الذي يقول به كثير من محققي الصوفية، كالشيخ محي الدين وأتباعه، فلا ينقدح في قلبي من فهمها شيء يثلج له القلب وينشرح له الصدر، فلمّا كان وقت السحر من هذه الليلة أطلت الفكر فيها على عاداتي، فكشف لي من معناها الموافق لكلام الأئمة ما لم يخطر لي قبل ذلك على بال، وانشرح الصدر لقبوله لأنه لم يعارض نص كتاب ولا سنة، ففرحت بذلك، وحمدتُ الله كثيراً، وتعجبت من ذلك كيف اتضح من دون إلقاء أحد ولا تبينه، وقد تعسر قبل ذلك مع تقرير المشايخ وتبيينهم، ثم وقع في نفسي أن ذلك لعله لخاصية في المكان كما ذكر الشيخ محي الدين في الفتوحات⁽¹⁾ أن الفتح يسرع في بعض الأماكن بالخاصية، ثم ردف ذلك خاطر آخر يشهد لصحة هذا الظن، وهو ما ورد في قضية عرض النبي، صلى الله عليه وسلم، نفسه على القبائل؛ إذ عرض نفسه على ابني عبد يا ليل، وإسائهما إليه، صلى الله عليه وسلم، وأنه قال: فانطلقت مهموماً، ولم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فإذا بملك الجبال، إلى آخر الحديث. ومعلوم أن استفاقته، صلى الله عليه وسلم، إنما هي بالترقي من مقام إلى مقام أعلى، وأن ذلك الترقى حصل له في ذلك المكان بدليل ما عقب ذلك من الرحمة التي استولت عليه، صلى الله عليه وسلم، إذ أجاب ملك الجبال حين قال: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال عليه السلام: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً⁽²⁾.

(1) يقصد كتاب الفتوحات المكية، ولم ترد الإشارة في الطبعة التي اعتمدناها من الكتاب.

(2) جاء في صحيح مسلم: وحدثني أحمد بن عمرو بن سرح وحرمله بن يحيى وعمرو بن يخلو العامري وألفاظهم متقاربة، قالوا: حدثنا بن وهب، قال: أخبرني يونس عن بن شهاب، حدثني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ ز فقال: لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على بن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظللتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً: صحيح مسلم 1420:3.

وانظر هذه الرحمة العظيمة والشفقة العميمة التي استولت عليه بعد ذلك الهم الذي انطلق معه بلا شعور، فلا تسأل عن شدة المقام الذي انتقل عنه، وشدة المقام الذي انتقل إليه، فما أجدى هذا المكان الذي حصل فيه هذا الترقى لسيد الوجود، صلى الله عليه وسلم، بأن تكون خاصية الفتح القريب في الأمر الغريب والعلم عند الله تعالى.

ثم صلينا الصبح في الميقات، وذهبنا ومررنا على القهوة التي بتنا بها قبل عند الطلوع؛ أي طلوع الشمس، وانحدرنا مع العقبة الكؤود؛ عقبة أكرى المتقدم ذكرها، وتعجبنا من صعود إبل أهل ذلك البلد فيها، وهبوطها بأحمال الفاكهة الثقيلة، مع كثرة الأوعار، وتضايق الصخور الكبار، مع الأحجار المعترضة فيها، المشرفة على المهاوي البعيدة، وما وصلنا إلى القهوة التي بسفح الجبل حتى اشتدَّ النهار، وحمى وطيس الهجير، فاتقينا بأخصاصها وهج الظهيرة إلى أن فاء الفسيء، فأثرنا الركاب، وعالجنا بقية الحرِّ في التلوي مع أطراف تلك الشعاب، وما وصلنا وادي نعمان الأراك إلا بعد العصر، وسائرناه مع العشي مسaire الخل الرقيق والحدن العشيق، نكرع من عيونه المترعة التي هي من أصل الساقية المتقدم ذكرها، إلى أن وصلنا إلى القهوة التي هي على حدِّ بسيط عرفات بين العشائين، ونزلنا بها في أرغد عيش، حول عين من الساقية تجري على وجه الأرض، وصلينا صلاة العشاء، وتعشنا ثم أغفينا إغفاءة، ثم ارتحلنا قريبا من ثلث الليل الآخر، ومررنا بنمرة، ثم بالمأزمين، ثم بجمع، ثم بيطن مُحَسَّرًا⁽¹⁾، كل ذلك ليلا، فطلع الفجر ونحن بمنى، فدخلت مسجد الخيف، وصليت به الصبح، وليس به داع ولا مجيب. وقد كان في وقت الموسم ربما لا يجد الإنسان أن يضع جبهته من الأرض أحيانا لكثرة الزحام.

وتأملت بسيط منى وشعابه، وتبينت سعتها وامتدادها، وكانت في أيام الموسم ربما يخيل إلى الناظر ضيقها لكثرة الخلق. ومن رأى منى وما حولها من الأماكن في غير أيام الموسم علم حسن تشبيهه من قال: من أراد أن ينظر إلى الدنيا بعد انقراض أهلها فلينظر إلى منزل الركب بعد ارتحاله.

(1) محسر: واد بجمع وهي مزدلفة: معجم ما استعجم 4: 1190.

ومنى في أيام الموسم هي الدنيا بأسرها؛ قصور عالية وأسواق حافلة وجنود
مجندة، وملابس فاخرة، وأطعمة شهية، ومراكب هنيئة، وبضائع غير معدودة،
ومتاجر ثمينة، إلى أنواع العبادات من تكبير وتهليل، وصلاة وقراءة ونحر وذبح
وإطعام طعام ورمي جمار، وما الدنيا محمودها ومذمومها إلا ما ذكرنا. ولا تمر
على ذلك كله ثلاثة أيام حتى (لا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزا)، فلا
ترى في منازلهم إلا عظاماً نخرة وخرقا بالية، وفضلات منتنة، وغثاء أحوى،
وقتما^(١) أغبر تسفيه الريح وتذروه، وهذا هو المثال الحقيقي للدنيا، فليعتبر أولو
الأبصار من سكان البادية والأمصار.

ثم دخلنا مكة ضحى يوم الأحد، وأحللت من عُمرتي، ووجدنا مكة قد
غصت بساكنها، والوفود ترد عليها من كل أوب. والله المنة.

(١) القتام: الغبار: لسان العرب: قتم.

ذكر من لقيته بمكة من الأفاضل أيام المجاورة وذكر بعض من لقيته من الإخوان وما اقتبسته من الفوائد خلال ذلك

فمن لقيته بمكة عالمها وابن علمائها مفتي الشافعية وإمام المقام شيخنا زين العابدين الطبري الحسيني^(١)، ولم يتيسر لي قراءة شيء عليه في هذه المدة، وقد طلبت منه ذلك فاعتذر بكثرة الأشغال ومباشرة خطة الفتوى، وقد كان السيل الذي ذكرنا خبره قد اجتاح جانباً من إيوان داره، فاشتغل بينائه ولم يمكن إلا مجرد اللقاء والتبرك بدعائه. ولما كتبت الاستدعاء الذي استدعيت فيه الإجازة لي ولإخواني من علماء الحرمين كان هو ممن كتب عليه، وسيأتي نص ما كتب في آخر الرحلة عند ذكرنا للرسالة التي جمعت فيها كتاباتهم، وقد كنت لقيته سنة أربع وستين وقرأت عليه ما تيسر، وأجازني، وأسانيده مستوفاة عندي في اقتفاء الأثر^(٢) وفي تحفة الأخلاء^(٣). وممن انتفعت بلقائه، وكان معظم استفادتي بمكة من تلقائه، وجل مروياتي من سماعه وإلقائه، شيخنا العلامة، المحقق الفهامة، نادرة الزمان، وإمام من ضمه الحرمان، خائض بحار العلوم، ومطير مكتومها من جنس المعلوم، المرقى من الرواية على أعلى ذروته بعدما جلس من الرواية على أرفع منصتها، الحائز من علم الباطن أوفر نصيب بعدما رمى في العلم الظاهر بسهم مصيب، شيخنا ومفيدنا وهادينا ومرشدنا، سيدي أبو مهدي^(٤) عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري، رضي الله عنه^(٥)، أوجد عصره في حسن الأخلاق، وغريب الشكل في دهره على الإطلاق، قائم بحق الله في نفسه وفي معاملة أبناء جنسه، لا تُمل محادثته، ولا تسأم مجالسته، إن حادثته في أخبار الدنيا أمتعك، وفي أحوال

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) اقتفاء الأثر، ص: 136 - 137.

(٣) إتحاف الأخلاء، ص: 134 وما بعدها.

(٤) في ط: محمد

(٥) تقدمت ترجمته.

الآخرة نفعك، لم يتنسك تنسك المتنطعين من المتصوفين، ولا استرسل مع العادات استرسال المسرفين، بل سلك في ديانته أقوم سبيل، واقتدى من الكتاب والسنة بأهدى دليل، مع اعتقاد تام في سالكي طريق القوم، واشتراء بضائع علومهم بأعلى سَوْم، يخضع عند ذكر أحدهم غاية الخضوع، ويخشع عند سماع كلامهم فهاية الخشوع، يسلم لهم غاية التسليم في كل الأفعال والأقوال، حتى ربما عيب عليه ذلك في بعض الأحوال، تلقى من عدة مشايخ، وسلك على طريقهم، إلا أنه لم يعدل عن حزب الشاذلية وفريقهم، فلذلك كان مقبولا عند أهل الباطن والظاهر كما هو شأن أئمة الشاذلية المشاهير، لا يملك عينيه إذا ذكرت الآخرة وأهوالها، ولا تستفزه نضارة عيش الدنيا وأموالها، لا يغشى أبواب الأمراء، ولا يستنكف عن مجالسة الفقراء، لا يسأل الناس شيئا من أموالهم، ولا يرد ما أتاه الله من نوالهم، قاسى في أول مجاورته من الفقر شدة، فاتخذ الصبر عُدة، فلم يكشف قناع وجهه لطلب نوال أمير، وقنع بالكسرة والماء النмир، ثم اشتهر بعد ذلك أمره، وظهر للناس خيره، فانتال الناس عليه من كل جانب، وبسط له من الرزق، وأشربت قلوب الخاصة والعامة محبته، وعكف في آخر أمره على سماع الحديث وإسماعه، فجمع من الطرق العوالي والأسانيد الغريبة والفوائد العجيبة ما لم يجمع غيره، وكتب الكثير وسمع وأسمع من المسانيد والمعاجم والأجزاء ما لم يتفق مثل ذلك ولا قريب منه لأهل عصره. وكان أول نشأته، رضي الله عنه، في بلاده من وطن الثعالب قومه، وهي من عمالة الجزائر بإفريقية، وعشيرته ينتسبون إلى الإمام جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ العالم الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي⁽¹⁾ المشهور رضي الله عنه، ثم نشأ في حجر أبيه وجدته وحمله على الاشتغال بالقراءة، فقرأ في بلاده على فقهاءها، فاشتاق نفسه إلى طلب العلم، وسمت همته إلى ما تقاصرت عنه همم أهل وطنه من الإفادة والاستفادة، فدخل الجزائر وقرأ على علمائها وتبرك بصلحائها، وكان من مساعدة القدر له على ما رامه من ذلك أن صادف دخوله للجزائر بقصد القراءة وصول العالم العلامة حافظ وقته سيدي علي بن عبد الواحد

(1) تقدمت ترجمته.

الأنصاري الفيلاي^(١) إليها، وإقباله على نشر العلم بين أهلها وتصدّيه للتعليم بكلّيته وحصول القبول التام له عند عامتها وخاصتها، فاتصل به الشيخ أبو مهدي ولازمه لزوم الظل للشاخص، وخدمه خدمة الراغب الناصح، حتى اختص به وصار من عليّة أتباعه، وحظي عنده الحظوة التي ليس فوقها شيء، فزوَّجه ابنته، وصار من جملة أهل بيته، وهو في خلال ذلك لم يذخر عنه من علومه شيئاً إلا أبداه له، وقرأ عليه كتباً عديدة في علوم كثيرة استوفى ذكرها في فهرسته المسماة بكثرة الرواة^(٢)، وكان مع لزومه لشيخه المذكور ينتفع بغيره في بعض الأحيان، وممن انتفع به من أهل الجزائر أيضاً عالمها وصالحها وفقهها العلامة المشارك المسن سيدي سعيد بن إبراهيم قدورة^(٣)، أجاز له جميع ما يرويه عن شيوخه ومنهم سيدي سعيد المقرئ، رضي الله عنه، ولم تزل حال شيخنا سيدي عيسى مع شيخه تترقى إلى أن وقع له ما أوجب تطليق ابنة الشيخ بأمر من والدها، فلم ينقطع مع ذلك عن خدمته وملازمته، وكانت للشيخ مكانة عليّة عند والي البلد يوسف باشا، وكان ذا همة عالية وشهامة تركية، ومع ذلك يحب العلماء ويفهم بعض مقاصدهم، فعظمت مكانة شيخنا أبي مهدي عنده أيضاً، واتصل به، وكان من جملة خواصه إلى أن وقع للأمير المذكور ما أوجب عزله عن الولاية وتنقله خارج البلد في عمالته، فكان شيخنا في صحبته في كل ذلك إلى أن وقعت أمور وأمور، ومات الشيخ الأنصاري، ومات الأمير، ومات كثير من أقارب شيخنا أبي مهدي في الوباء الواقع لذلك العهد، وبقي هو متنقلاً في تلك البلاد بين جبال زواوة^(٤) وقسمطينة وبسكرة ونواحيها، ثم لقي صالح وقته ببلاد الزاب سيدي أحمد بن المبارك الملقب بالتواني^(٥)، وهو كبير أولاد سيدي ناجي لذلك العهد، وبقي عنده مدة معظم

(١) علي بن عبد الواحد بن محمد، أبو الحسن السجلماسي، فقيه مالكي، ولد بتافيلالت، أقام بمصر مدة قبل أن يستقر بفاس، نصب مفتياً للجبيل الأخضر، من مؤلفاته: المنح الإحصائية في الأجوبة التلمسانية، توفي بالجزائر سنة 1057 هـ: خلاصة الأثر 1: 173، الأعلام 4: 310.

(٢) قال العياشي إتحاف الأخلاء: وقد اقتصر شيخنا في هذا الثبوت على عد المشايخ ولم يرفع من أسانيدهم شيئاً لضيق الوقت، وقد استوفى مشايخهم وما رواه عنهم في كتابه الذي لم يؤلف في هذا الفن مثله المسمى كنز الرواة المجموع من درر اليواقيت المسموع، وهو نافع جداً يطلع في نحو من مجلدين: (إتحاف الأخلاء، ص: 144 - 145)، وقال الكتاني في فهرس الفهارس أنه ظفر بالمجلد الأول من هذا الثبوت الذي سماه: كنز الرواية المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع: فهرس الفهارس: 1: 503.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) زواوة: بليد بين إفريقية والمغرب: معجم البلدان: زواوة.

(٥) تقدمت ترجمته.

الحرمة إلى أن مات الشيخ المذكور، وكنت لقيته إذ ذاك⁽¹⁾ بيسكرة أوائل سنة تسع وخمسين، ولم آخذ عنه شيئاً، وإنما كانت مذاكرة ومحادثة أبانت منه عن عقل ذكي وفضل جلي، ولما توفي الشيخ التواني ومات إخوانه وأقاربه، ولم تبق له علاقة في تلك البلاد قاداته أزمة السعادة، وساقه سائق الإرادة، فألقى في قلبه التوجه إلى الأماكن المختارة لقضاء الحج والزيارة، فتوجه إلى الحج في سنة إحدى وستين، فكمل الله عليه، فحج وجاور بالحرمين سنتين، وأقبل على نشر العلم وبثه، وكان كامل الأدوات من نحو وتصريف ومنطق وكلام وبيان وأصول، فأعجب أهل الحرمين بحسن تقريره وتبيينه وتحقيقه، فطار له عندهم صيت، وانتشر له ذكر، وتجددت له رغبة في خدمة الحديث النبوي، وكان فيه قبل ذلك من الزاهدين، فأقبل على الرواية والأخذ والسماع مشمرا عن ساق الجد، فأخذ عن أدرك من علماء الحرمين كشيخنا القشاشي، وشيخنا زين العابدين الطبري، وأخيه أبي الحسن، والشيخ عبد العزيز الزمزمي⁽²⁾، والشيخ علي بن الجمال⁽³⁾، وشيخنا تاج الدين المالكي، والشيخ محمد بن علاء الدين البابلي المصري⁽⁴⁾، وكان إذ ذاك مجاورا بالحرمين الشريفين، واستفرغ ما عند هؤلاء من الروايات فلم يشف ذلك غليل أوامه، ولا أبرأ عليل هيامه، وإنما زاده ذلك فهما في طلبه وتغاليا في ارتياحه وطربه، فرجع إلى مصر للأخذ عن علمائها والتبرك بصلحاتها، فاستوطنها سنة أربع وستين وخمس وستين، فأكثر الأخذ عن شيخنا الإمام، شيخ مشايخ الإسلام، إمام المالكية وشيخهم أبي الحسن علي الأجهوري، وعن المحقق المسن شيخنا شهاب الدين الحفاجي الحنفي، وعن شيخنا المسند أبي الحسن إبراهيم الميموني الشافعي، وعن جملة كثيرة من مشايخ القاهرة، وقيد الكثير، وقرأ من الأجزاء والمسانيد الغربية ما صار به فرد وقته في رواية الحديث، وأعطى القبول التام عند المشايخ وأصحابهم بحيث لا يخلون عليه بكتاب، ولا يضجرون منه عند إرادة سماع، بل كان يخف على قلوبهم، ويرتاحون للقائه، وقد أخبرني أن شيخنا الأجهوري، مع أخذ الكبير منه غاية وضجره من طنين الذباب في أغلب الأوقات، كان إذا دخل عليه يبتدئه قبل أن يطلب السماع، فيقول له: شنف الأسماع، علما منه أنه لا يأتي إلا لسماع

(1) في ط: إذ ذاك لقيته.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) تقدمت ترجمته.

(4) محمد بن علاء الدين البابلي المصري، الحافظ المحدث، جاور بمكة ودرس بها، توفي سنة 1076 هـ: اقتفاء الأثر، ص: 135. خلاصة الأثر 39:4. النقاط الدرر، ص: 168.

حديث أو رواية غريب، وما دخل على أحد قط من المشايخ فيخرج إلا بفائدة له وللحاضرين، ولو قيل إن مشايخه كانوا يستفيدون منه أكثر مما يستفيد منهم لم يبعد لأن غالب استفادته منهم إنما هي الرواية، وهم يستفيدون منه في درايتيه وتحقيق معانيه. وقد أخبرني أن الشيخ البابلي كان يقول له: ما وصل إلينا من المغرب أحفظ من الشيخ المقرئ ولا أذكى منك. فأقول له: يا سيدي إنما تقول ذلك لأنصافك.

ثم ارتحل شيخنا أبو مهدي بعدما قضى حاجته من القاهرة إلى الصعيد للقاء الشيخ الجامع بين علمي الظاهر والباطن سيدي أبي الحسن علي المصري، رضي الله عنه، فتلقى منه وقرأ عليه من مصنفاته في طريق القوم، وسمع عليه الحديث. وقد لقيت شيخنا أبا مهدي بالقاهرة في آخر سنة أربع وستين وأوائل سنة خمس وستين، وأخذت عنه وتلقنت منه، وسمعت منه ما تيسر، ورافقته في السماع من بعض المشايخ، وكان لقائي له في أواخر رمضان، فكتبت له يوم عيد الفطر أياتاً أهنيه بالعيد، ومن جملتها قولي:

[مقارب]

هنيئاً لأهل الصيام الذي جباهم به اليوم مولاهم
لئن جاء إن لهم فرحين فعندي ثلاث بلياهم

وقد كتبت له أيضاً بعد رجوعنا من الحجاز قصيدة يقدمها نثر استعطفه وأستعين به على قضاء الوطر من لقاء المشايخ والأخذ عنهم، إذ كان أعرف بي منهم، وأجراً على الهجوم عليهم مني، وهذا نص ما كتبت له:

إن أولى ما استعمل به الأديب بنانه وأرسل فيه الأريب عنانه، وأحلى ما تغالت فيه النفوس من مرأشف الكؤوس، وأعلى ما استخدمت فيه الألباب، واستعملت الأوتاد والأسباب، واختير له من الألفاظ أبلغها، ومن المعاني أسبغها، ومن المباني أبرعها، ومن الحلبي أبدعها، رسالة تهدي، أو يتيمة تسدي، من طالب شائق، أو محب عاشق، إلى شيخ فائق، أو محبوب وامق، تحف بكل لفظ رائق، وتزف بكل معنى لائق، فإن أصاب فمشكور، ولئله يقال لصدقه في المقال: منحت جواد الفضل من هو راكبه، وإن أخطأ فمعذور، والعذر من مثله مقبول،

والعفو عن زلته مأمول، فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه، وقد تحرك أشعب⁽¹⁾ طمعي، وأجرى جفان هلعي، إن أهدى قصيدة، وليتها عسيمة، لبعض من تمنطق بالجوزاء علوا، وأخذ من الفرقدين سُمُوًّا، وارتدى بالمهابة والديانة، واثزر بالعفاف والصيانة، وتوج تاج البهاء والكرامة، فقدم على رغم الحسود للإمامة. وهذه القصيدة وإن أبانت عواري، وفضحت ما كنت من الفهامة أواري، فربما استحسن منها، تفضلا منه، ما استقبح، ورضى منها تكrema قليل ما منح، فتكون ترميما لما عفا من رسوم الوصال، وتجديدا لما ارتث من حبال الاتصال، فاغتفرت ذلك لهذا، وهب إن بان نقصي كان ماذا. وأقول تطفلا وإن لم يجر فريضة فتنفلا⁽²⁾:

[طويل]

إذا غلبتك ⁽³⁾ النائبات فغالب	بفخر فحول العلم عيسى الثعالب
أجل الورى قدرا وعلما وفطنة	وألينهم عطا على كل طالب
وأحسنهم خلقا إذا ما اختبرته	وبدر سماء انجد صدر المناقب
إمام هام لا ترى مثله ولو	ضربت جميع الأرض جم المناقب
وبحر نوال لا تغيض زلاله	ولو كثرت وراده كف ساكب
فحرفته التقوى وصنعتة الندى	ومكسبه التفويض خير المكاسب
رئيس المعالي نخبة الدهر ماجد	وعقد لآلي الحمد تاج المراكب
وأفضل من تسمو له همة سمّت	ودانت لأدناها عوالي الكواكب
على رتبة من دونها البدر قد غدا	وزاحم فيها المشتري بالمناكب
وخاض بحار العلم غير مذمم	على مركب الإنصاف أنجى المراكب
فكم صاغ من دُر يقل نظيرها	ولم تبتذلها قبله كف ثاقب

(1) إشارة إلى أشعب الطماع؛ ابن جبير المدني، ويعرف بابن أم حميد، وهو مضرب المثل في الطمع، توفي حوالي سنة 154 هـ: سير أعلام النبلاء 66:7.

(2) وردت القصيدة في الثغر الباسم ص: 271.

(3) في ط: غالبتك.

وكم نثرتُ سلكَ البلاغةِ كفةً
بحقك أنصتُ هل سمعتَ بفاضل
فليسَ له مأوى تراهُ به سوى
فلا تلتفتُ يوماً لقولِ عدائه
يؤني لكلٍ من ذوي الحق^(١) حقه
إذا رمتَ منه القربَ يوماً لحاجة
وليسَ من الإطراءِ إن قلتَ إنه
هو الفذ في كل العلوم وإنه
وما قلتُ ذا ظنا ولكن لخبرتي
فكم من تأليفٍ له يُهتدى بما
لمذهبه فخرٌ به ومكائنة
حباهُ الذي حلاه علما وحكمةً
وبلغةً في كل ما رامَ عاجلا
وبَوَاهُ في^(٢) دار الكرامةِ آجلا
وكم نظمتُ بالنجومِ الثواقبِ
سني سواه ساطعِ الذهنِ ثاقبِ
صدورِ الكراسي أو بطونِ الخاربِ
ولو نقتتُ منهم شيوخُ محاربِ
ويخضعُ للمولى بصدرِ مراقبِ
فلا تغلُ في الإطرا وسدُ وقاربِ
لأفضلُ من مُدتْ له كف راغبِ
على من معالي أصلها فوق راغبِ
بكل البلادِ شرقها والمغربِ
إلى الرشيدِ من جهلةٍ في غياهبِ
وعز به يعلو جميعَ المذاهبِ
وشرفةً بالذكرِ أعلى المواهبِ
من الله في دنياهُ أسنى المطالبِ
وعقباهُ عند الله خير العواقبِ

وقد أجابني عن هذه الأبيات بما نصه: الحمد لله، يقول كاتب الأحرف المسمى نفسه آخرًا: إن صاحبنا الأديب البليغ الناظم النثر، ربحانة الآداب وواسطة الأحساب، سيدي عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، وصل الله إكرامه، وبلغه من محمود المقاصد مرامه، خاطب العبد الفقير بقصيدة متمكنة الأعجاز والصدور، مسبوقة بأسجاع متناسقة، ولا تناسق القلائد في النحور على الصدور، فجرى قلم فكري الفاتر وذهني القاصر، شاكرًا لفضله بهذه الأبيات المتأخرة عن مباراة

(١) في ط: الحق.

(٢) زيادة من ط.

الصاحب الأرضي، البائنة عن صوب معابد البلاغة، إن لم تنظر بعين المسامحة والإغضاء، وهي هذه:

[طويل]

حبا بابنة الفخم العلا والمناقب	فريدة فرد في امتطاء المناصب
أتت تهادي في مُروط ملاحه	تجررها تيهها على كل كاعب
وتأنف إن كانت يتيمة دهرها	جمالا بديعا عن إجابة خاطب
ولا بدع في إعجاب بكر محاسن	من ابن أبي بكر أتت بعجائب
سوت غُررا في مشرق آي حسنها	كما بهرت من مغرب بغرائب
وقد يمت فضلا عديم كفاءة	وعاقل جيد من حلى المناقب
أباحته له وهي المنوع جمالها	ودانت وما كانت تدين لراغب
فأهلا بها بكرا عروبا قد أعربت	قضايا ثناها عن براعة عارب
ومنت وما منت بود مؤيد	بجازم عقد واجب غير واجب
فيا روح آداب وشخص فضائل	وناظر أحداق الذكاء لطالب
جُزيت بما أسديت أفضل منحة	وبُلغت من رغباك أسنى المطالب

قاله وكتبه العبد الفقير إلى مولاه، الطامع في واسع رحماه، عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري.

ومن أجاب عن قصيدتي المتقدمة أيضا صاحبنا الفقيه النبيه سيدي أحمد القصري الملقب بالسبع، وكان إذ ذاك بالقاهرة معدوداً من جملة أصحاب شيخنا أبي مهدي، فكتب إلي قصيدة طويلة في روي قصيدتي ووزنها، تركت إيرادها لطولها، ولما وقع من الانحلال في كثير من أبياتها، فأجبتة عنها بأبيات هذا نصها:

[طويل]

أتاني نظام كالنجوم الثواقب أو الدر مجلي في نور الكواعب

أو الزهر المزهو في الروض قد بدا
 فما هو إلا البدرُ أشرق نوره
 أو الراحُ أبدت للعيون حباها
 بسحر حلال واضح نفثت به
 إمام همّام فاضل متبين
 ليهن بلاد الشرق ما افتخرت به
 فلا تعجبوا من غربة قذفت به
 وقدا نبت الأكرمين ديارهم
 وكم من غريب حل بعد اغترابه
 هزبر العلوم اللوذعي ومن غدا
 إذا اغبرت الميحا واحمرت القنا
 هنالك يبدو حاسرا غير دارع
 فيوضح منها مشكلا ويزيله
 ودانت له صعب العلوم بأسرها
 هو العلم الفرد الذي بجانبه
 جزاه إله الخلق ما هو أهله

تصافحُ أعلاه أكف السحابِ
 فأبدى لنا وجه الضحى في غياهب
 وقد أخذت بالتأر من عقل شارب
 قريحة خل واقد الذهن ثاقب
 أديب زكي الأصل جم المناقب
 قديما عليها منه أقصى المغارب
 فكم مثلها في دهرنا من عجائب
 وما قصرُوا عن نيل أعلى المناصب
 من انجد في أعلى الدرى والغوارب
 يُنادي إذا ما حاربت باسم غالب

وقيدت لدرس العلم حُمر النجائب
 لها بجنان حاضر غير غائب
 وترنو له الأحداق من كل جانب
 ومدت له الأعناق من كل طالب
 مخافة جهل يلتجى كل هارب
 ومن له في القرب أعلى الرغائب

ولما قضى نعمته من بلاد مصر واستفرغ ما عند علمائها، كرّر راجعاً إلى الحرمين فاستوطنهما، وألقى عصاه بهما وقر عينا بتلك البقاع المطهرة كما قرت به أعينا، نادته السعادة هنا امكث أزمنّا، فتفرغ حينئذ لجمع ما كتب ونشر ما نشر^(١)، وإقراء ما قرأ، وإسماع ما سمع، وجمع من عوالي المسند وغرائب المسلسلات

(١) في ط: لنشر ما جمع، ونشر ما كتب.

ونوادر التواريخ ما تقاصرت عن أدناه هم أهل زمانه، وتتبع الخزائن الكبار بمصر والحجاز فاستخرج منها غرائب المصنفات، قيد الكثير منها، وانتقى الثنائيات والثلاثيات والرباعيات من الأحاديث وما فوق ذلك إلى العشاريات من كثير من المصنفات والجوامع والمسانيد والأجزاء بحسب أزمنة مؤلفيها، فينتقي من كل مصنف أعلى ما فيه، وضبط من الأسماء والأنساب ما قل أن يوجد عند غيره، وأظهر من طرق الرواية ما كان عند غيره مخفياً. وبالجملة فهو نادرة الوقت ومسند الزمان. ولما علمت إني، وإن اجتهدت فوق طاقتي وطففت ما عسى أن أطوف على المشايخ، لا يمكنني أن أجمع ما جمع، ولا أن أحصل من النفائس ما حصل، رأيت أنه قد كفاني المؤنة، وأن الله قد جمع لي ما كان مفرقاً في واحد، فرأيت كل العلمين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصر^(١).

فعكفت على القراءة عليه والسماع منه، فيسر الله تعالى أن قرأت عليه وسمعت في أزمان قليلة ما لم يسمع غيري في عمره، وكفيت مؤنة تقييد الأسانيد بموافقتي له في كثير من شيوخه وكثرة ما جمعت من ذلك قبل بحمد الله، وإن كان دون جمعه، مع تحصيلي لفهرسته المسماة بكثر الرواة، وهو تأليف سلك فيه مسلكاً عجيباً، ورتبه ترتيباً غريباً جمع فيه من غائب الفوائد شيئاً كثيراً، وهو إلى الآن لم يكمل، وإذا من الله بإكماله يطلع في عدة أجزاء. والمسلك الذي سلك فيه أنه رتبته على أسماء شيوخه فبدأ أولاً بالتعريف بالشيخ، وذكر مؤلفاته ومقرئاته وأسماء شيوخه حتى يستوفي جميع ذلك، ثم يذكر قراءته هو عليه وما قرأ عليه من المؤلفات، ثم يذكر سند شيخه إلى ذلك المؤلف فيكتب شيئاً من أوله، ثم يعرف بمؤلف ذلك الكتاب أبسط تعريف مع ما يستتبع ذلك من الفوائد والضبط، وكذلك يجعل في كل شيخ من شيوخه وفي كل مؤلف قرأه عليه أو شيئاً منه، فاستوفي بذلك تواريخ غالب الأئمة المؤلفين وأسانيد مؤلفاتهم، وذلك مما يدل على اعتناء عظيم وحفظ تام ومطالعة واسعة، والحاصل أن هذا المؤلف نزهة الناظرين وغبطة السامعين. وقد وهب لي خليلي الشيخ حسن بن علي العجيمي نسخة بخطه مما وجد من هذا المؤلف، وأجازني به مؤلفه وناولنيه. وسألته هل سميته؟ فقال لي: ما سميته شيئاً ولا وضعت في أوله خطية. وقال لي: أريد منك أنت أن تضع له

(١) تضمين لبیت المتنبی (شرح دیوان ابی الطیب المتنبی 2: 290):
ولقد لقيت كل الفاضلين كأنما
رد الإله نفوسهم والأعصر

خطبة في أوله وتسميه، فتعللت واعتذرت، فلم يقبل عذري. فلما رأيت أن الأمر منه جد قلت: أيكون ذلك على لساني أم على لسانك؟ فإن لكل مقام مقالا. فقال لي: أيهما شئت فافعل، فقلت: إن الذي في خاطري إنما يتيسر لي على لساني، فقال لي: انهج أي طريق شئت، فاخترت أن يكون ذلك على لساني ليتيسر لي ما أردت من البناء على المؤلف والتأليف، وهذا نص ما كتبت له مستعينا بالله:

باسم الله الرحمن الرحيم: إنَّ أصح ما يستند إليه الضعيف من أحسن الأعمال، وأعز شاهد يعتبره العقل ويتابعه النقل على بلوغ الآمال، حمد العزيز الفرد المطلق في كل أمر ذي بال على ما تسلسل واشتهر واستفاض من آلائه عند كل ذي بال، ونشكره على تواتر على العالي والنازل من آحاد خلقه من مقبول الأفضال، وتحمله الأبناء على الآباء من مننه على التفضيل والإجمال. وأفضل صلاة وسلام على خير مرسل على غيره عند الله مرفوع، وأكمل من أدرج في خلقه كل مفرق من الكمال ومجموع، فأليه ينتهي كل مروي من الفضل ومسموع، وبيعته كل منكر متروك وموضوع، وكل رشاد موصول غير مقطوع ولا ممنوع. أنزل الله عليه أحسن الحديث كتابا متشابها، وأكمل بظهوره ما كان من الكفر والضلال ناهيا؛ صلى الله وسلم عليه وعلى كل هاد من أصحابه وسائق، وكل سابق من آله ولاحق، وكل تابع لهم بإحسان غير ملحد في الدين ولا مارق، وعلى كل حامل للدين بعدهم غير بجانب للجماعة ولا مفارق، خصوصا عصابة أئمة الأثر السالكين بعدهم على الأثر، الناظرين من درر الحديث في سلك الرواية ما انتشر، والمحددin لما عفا من رسومه واندثر. هذا وإني قد جبت غالب البلاد بتيساري، وحككت جل المنتحلين للعلم بها على معياري وأسير غور أنجادهم بمسباري، واسم بواتر سيوفهم بمصماري، وأسابق بين جيادهم في مضماري، عسى أن أصادف سيفاً منهم مع مقارعة النوائب لا ينبو، وجوادا إذا تصادمت الفرسان في الميدان لا يكبو، تكون له قوة إقدام على تفريق كتائب المعقولات وجمع شوارد المنقولات، متضلعا من علوم الرواية، جامعا لفنون الدراية. أجعله في فتح معاقل المشكلات أميري، وأتخذ كلامه في وحشة الجهل سميري، وأصعد في سلمه إلى غرف من الرواية من فوقها غرف من الدراية تجري من تحتها أنهار من الرعاية، واستغني بتطوافه على أعلام الرواية عن تطواني وتردادي وبجوبه لمهامه الدراية عن تجوالي، وإسنادي يكون مانعا جامعا، وجامعا لا مانعا، يغني بعلم، ويقني ويقرب

بفهمه، ويدني ويؤنس بخلقه ولا يؤيس، ويقوم على ساق الجذ ولا يجلس، ويطلق عنان التقرير ولا يجبس، فلما كاد ظلام اليأس أن يكسف نور رجائي، وأخذ الوهم في إقصائي عن نيل المطلوب وأرجائي، همت أن أميل إلى بعض القرى وأستبدل من فوائد الإقراء موائد القرى، وأقتصر من التعليم على ما لا بُدَّ لي منه ولا غنى لي عنه، وأتخذ لأورادي سبحة، ولا أطالع من أوراقى صفحة، ولم أزل في أمري متحيراً، ولما أنتحله من النحل متخيراً، إلى أن هتف بي هواتف السعادة أن تعلم العلم من أقوى العباد، فلا تترك الاستفادة والإفادة، وامزج الطلب بالإرادة، واتخذ العزم إمامك، فالذي تطلب إمامك، وأم أم البلد وابذل في ذلك الطريف والتلاد، عساك تصادف هنالك بعض بغيتك، وإلا فأنت على نيتك في أوبتك، فلما بلغت البيت العتيق، وتضمنحت بمسكه الفتيق، طفقت أتصفح الوجوه ببصري، وأسمُ البصائر بميسم فكري، فبينما أنا كذلك متفكر إذ حانت من فكري التفاتة متذكر إلى إمام الحرمين المشرفين، وعلم المغربين والمشرقين، فارس المنابر، ومخدوم الأقاليم والمحابر، جامع أشات العلوم النقية، ومبرز خفايا لطائف الآراء العقلية، محي رسوم الرواية بعدما عفت آثارها، ومشيد مبانيها الأنيقة بعدما انهدم منارها، وسالك مسالك أئمة السلوك، ومالك ملاك أمره في مجانبه الملوك، وهالك في محبة الله مستهلك فيه عن كل هالك وهلوك، المهاجر في الله وبالله وإلى الله عن أهله وبلاده، السائر بسيرة الإنصاف والتواضع لله في عباده، حامل راية الهداية في موكب الولاية بكف العناية لأهل البداية والنهاية، المقتبس له بالإشارة على سبيل البشارة من صريح العبارة في قول خير من ركب عيسى: لا مهدي إلا عيسى⁽¹⁾. ولا بدع في إشارة مثاره لا تعفى من الظاهر آثاره لنكتة لا تنكر وقد لا تذكر، شيخنا الفهامة، ومعلمنا العلامة، أبي مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري، رأس مقانب⁽²⁾ العلوم، العبقرى، نسب عريق في السيادة، مثمر للمتقين، ولا يزال كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. لا زال وأغصان دوحات علومه يتفيا ظلالها العقبات، وحواس إدراكه المدركات الخفي المدركات سالمة من كل الآفات. فلما ألقى في روعي ما ألقى من أمره، علمت أنه الحق الذي لا معدل عنه إلى غيره، فصرفت عنان الاعتناء لاجتناء جنى ثماره، وحدثت بصر البصيرة في استطلاع شوارق أقماره، فاستخرجته ولم أكن به من

(1) المستدرك على الصحيحين 4: 488.

(2) مقانب: جمع مقنب، كف الأسد: لسان العرب: قنب.

قبل، وإن كنت ممن يخبر عنه خبيراً، فوجدته قد حصل من العلم والعمل والذوق جانباً كبيراً، فهزني ما خبرت منه، وشاقني وقادني إلى التلمذ له برقبتي، وساقني ثم قال لي الوهم: جدد النظر ولا تقلد ما يبدو للبصر، فإن الحس قد يغلط، والغث بالسمين قد يختلط، فارجع البصر هل ترى من فطور أو خلل، ثم ارجع البصر كرتين⁽¹⁾ بلا ملل، فرأيت أن قوله الحزم والأمر الجزم، فعادت النظر كرة ثم أخرى فوجدته أحق بأكثر مما ظننت فيه وأخرى، وما اختبرته في أمر ما إلا وجدته حراً، وهلم جرا، يزيد وجهك حسناً إذا ما زدته نظراً، ثم قلت للوهم المسير بالتوفيق حين حصل التعرف: إليك عني فما تري مني.

[وافر]

ألم تعلم بأي صيرفي أحك المدعين على محكي⁽²⁾
فمنهم بهرج لا خير فيه ومنهم من أجوزة بشك
وهذا الخالص الذهب المصفي بتزكيتي ومثلي من يزكي

وعندما انكشف الغيب وزال الريب، علمت أني على الخير سقطت، وأزلت الحجاب عن مطلبي وأمطت، فتوجهت إلى الأخذ عنه بكليتي، وتركت ما كنت أتعلل به قبل من الذي واليت، فاستفدت ورويت، وشربت من حوضه المعين وما رويت، وصرت في مطلبي المزيد ذا إمعان ومنهومان لا يشبعان، إلى أن رأى نار حرصي على الأخذ بما في يديه لي لا تنطفي، وظمئان عزمي في هواجر التلقي عنه بصغار الكؤوس لا يشتفي، فأطلعتني على بحر زخار وعسكر حرار، ومجموع له جموع لو ترؤحن لكان منتهى الجموع، جمع فيه الطم والزم من مروياته ومسموعاته ومرثياته، جمعه لما علم أن هذا الأمر عليه قد تعين، وإن صباح انقراذه بهذا العلم لذي عينين قد تبين، وقصده الإشراف من سائر الأطراف للأخذ عنه والتلقي والتسليك على يديه والترقي، فلم يكن له بد من جمع مروياته في سلك تصنيف ليأخذ منه كل طالب حاجته من غير تطفيف، فلما سبحت في بحاره، وأجلت جواد فكري في مضماره، غرقت فيه وكنت قبل أحسن العوم. وقال الفكر النفاذ: هذا شيء ما رأيتُه قبل اليوم، فلم أزل أتردد ما بين أزهاره وأثماره

(1) إشارة إلى قوله تعالى: (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير): الملك: 4.

(2) الأبيات ليحيى الصنافيري: الدرر الكامنة 6: 235. الطبقات الكبرى للشعراني، ص: 375.

وحياضه وأشجاره، فما أفتن من عجب إلا إلى أعجب، ولا أخرج من طيب إلا إلى أطيب، حتى أنهته بالمطالعة، وعدت عليه ثانياً بالمراجعة، فوجدته بسائر المطالب كفيلاً، وعلمت أني لا أجد له في فنه مثيلاً، فاقتطفت منه على حال استعجال من الأمر واختلاس من يد الدهر أزهاراً على تعاقب الفصول لا تذبل، ودرراً لا تُباع من الذهب بوزن يذبل، وكيف لا وقد اختص بأشياء لا توجد في غيره، ولا يسير فيها أحد قبله ولا بعده بسيره، وامتاز بطرائق عديدة ولطائف حميدة تمتطي في اقتناء أدناها الركائب والمراكب، ويزاحم محصلها الجوزاء بالمناكب، أحدها ما شنف به المسامع وانقطعت عن وجدانه مجموعاً في غيره المطامع من التعريف بكل إمام اتصل به سنده تعريفاً يصيره كالمشاهد بالحس ولو طال أمدّه. ثانيها ما أتعب الأفكار في الأبحاث والآصال^(١)، ومن ضبط غالب أسماء الرجال، وقد ضاق على كثير من الفحول فيه المجال. ثالثها: ما طرز به برده المخبر حتى فاق المنظر فيه المخبر من الإتيان بجملة من أول كل مروي تنشر من محاسنه بعض المطوي. رابعها: ما أدرج في خلاله من الحكايات والطرف الآخذة من الحسن بطرف إلى غير ذلك مما بين النظر مكمونه، ويثير الفكر مدفونه.

وحاصل الأمر فيه أن متأمله لا يقف لمحاسنه على غاية، وأنه على تمهر صاحبه في العلوم أكبر آية. وقد سألت مستخرج درره من البحور إلى أعالي الأجياد والنحور بم سميت هذا العقد بعد نظم جواهره، وهذا الرياض بعد انفتاق أزهاره؟ فقال لي: إلى الآن ما سميت، ولا حليته بما يستحقه بعدما أمليت، غير أني لا أراه أهلاً للتحلية، وإليك النظر في التسمية، فبادرت إلى تنميق هذه الأسطار المتأرجحة بطييه المعطار، فكتبته على حسب حالي لا على حسب حاله، وسَمَّيته لئلا يتطرق مُدَّعٍ إذا تطاول الأمد إلى انتحاله: كثر الرواة المجموع من درر الجواز ويواقيت المسموع. وجعلت ما كتبه خطية يدخل من بابها لهذا الحرز، وطلسم يستعان به على فتح هذا الكثر، فمن أضافها إلى أول الكتاب فلا حرج عليه ولا عتاب، وقد اقتدى بي ونعم ما فعل، وإلا فكل لرجله انتعل، ومن منع فلا يلام في منعه، وربما يحمّد في صنعه، لأنه كره إضافة التبر للتبر، والذهب للذهب، وأنف من إضافة الشكل إلى غير شكله، فلا حرج عليه أيضاً في فعله، إلا أن إضافة الجميل إلى الأجل قد يكون في التنويه به أكمل، والسيف الصقيل لا ينقصه رثاءة

(١) في ط: الآصال والأبكار.

غمده، والسيد لا يؤاخذ بجناية عبده، فإن أحسن العبد فهو لسيدته وما ملك، وإن أساء فالعبد فيما جنى وما استهلك، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً^(١)، ولا يخيب لراجيه وإن أساء أملاً، فنعم المولى ونعم النصير، وهو حسبي وإليه المصير.

قال شيخنا، أطال الله بقاءه، وأدام في أوج الكمال ارتقاءه، فيما قرأت عليه بعضه وأجازنيه وأذن لي فيه وناولنيه، أن أول ما غمرتني إفادته، وشفعت الخطبة المتقدمة بقصيدة دالية أدرجتها^(٢) فيها أدراج القنو المذلل بين أغصان الدالية، جبرت بانسجام نظمها ما عسى أن يقع في النثر من تفكيك، وبلفظها الفصيح ما لعله وقع من معنى ركيك، وهي هذه:

[طويل]

أنتيكَ قديني الرشادَ أبا مهدي	فمثلي من استهدى ومثلك من يهدي
جمعتَ خصالاً لم تكن جمعت لمن	سواك بهذا العصر من خالص النجد
جُبلت عليها ثم أخرى اكتسبتها	فحزت كلا المجدين بالجد والجد
وُخِضت بحارا من علوم كثيرة	فأخرجت منها الدر عار من الزبد
فحلّيتني من ذاك الدر ما غدا	على الرأس تاجاً أو سواراً على الزبد
غنيت به بعد العنا غاية الغنى	فأثرت به وكفى وأوري به زبد
فحسبي الذي قد قلتُ منك فلا أرى	مدى الدهر محتاجاً لعمر ولا زيد
شكرتك بعد الله فيما حبوتني	فأنت حر بالمدح مني وبالحمد
فقد جاء من لم يشكر الناس لم يكن	ليشكر رب الناس والضد بالضد
تقبل بفضل منك تُحفة قادم	ووصلة ظمآن الحشا صادق الود
فيا ليت شعري ما الذي لي عندكم	من الود هل يأتي كبعض الذي عندي
أحبك حبا صادقا أرتجي به	من الله ظل العرش في جنة الخلد

(١) إشارة إلى قوله تعالى: (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً): الكهف 30.

(٢) في ط: درجت.

فلا تنسني من دعوة في تضرع	لكم بفناء البيت للواحد الفرد
فإني محسوب عليك وإنني	عيا ل عليك اليوم في القرب والبعد
فمن على فقري بعقد أخوة	تزيد على طول المدى شدة العقد
وودني لو أسطيع عقد عبودة	ولكن أخاف العجز من خدمة العبد
أقل انتساب منك يكفي ولا عني	عن أكثره للعبد لو كان ذا سعد
فإنك جار الله جار رسوله	فإن كنت جار الجار قد فزت بالرشد
وقصدي بهذا كله أن يكون من	دعائك لي سهم ولو كان بالوعد
على أن وعد الحر عين عطائه	ووعده سواه في الحقيقة لا يجد
أبنت لكم قصدي وأخفيت جلّه	فلله ما أخفي والله ما أبدي
وأزكى صلاة الله ثم سلامه	على خير هاد قد تكلم في المهدي
يكونان لي في الحشر خير وسيلة	إلى الله ترضيني وشيخي أبا مهدي

فلما قرأت عليه النثر المتقدم والقصيدة سر بهما واستبشر وتلقاهما بالقبول، وأطنب في الثناء والحمد ودعا لي بدعوات كثيرة ووعد بأمثالها في مظان الإجابة، فحمدت الله وشكرته إذ وفقني لما استجلبت به مودة الصالحين من عبادته، وأغنم به بركة دعائهم، وعقد لي ما قرت به عيني من أخوته ومودته، وأبسنى قباء له كان يشهد به مواسم الخير من جمع وزيارات، وحباني من بره وإكرامه ما لم أكن أهلاً لبعضه فضلاً عن كله.

وكتبت له أيضاً أهنيّه بمولود ولد له ونحن إذ ذاك بمكة شرفها الله تعالى هذه الأبيات مؤرخاً بها ولادته:

[كامل]

يهنيك يا مولاي بدر طالع	في أفق سعد قد بدا إسعاده
أبقاه ربي نافعاً لعلاكم	بأتم ما نفع امرء أولاده

وأدام نفعك للعباد معظماً حتى تقبل كفكم أحفاده
وأقر عينكم به في نعمة تغشاه مقروننا بما إرشاده
تاريخه الميمون وقولي صادقاً ولد سعيد سركرم ميلاده

ذكر بعض ما سمعت عليه من المرويات (رضي الله عنه)⁽¹⁾

سمعت منه، رضي الله عنه، جميع معجم الطبراني الصغير بلفظه، إلا مجلساً واحداً بروضه الجنة من المسجد النبوي، لما قدم المدينة للزيارة في شهر رجب. وسمعت من لفظه أيضاً أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً للشيخ تقي الدين الفاسي مؤرخ مكة ونزيلها بالحرم النبوي أيضاً، وسمعت منه أيضاً بالحرم النبوي نحو الربع من الشمائل بلفظه، وسمعت من لفظه أيضاً بالمسجد الحرام في شهر رمضان جميع الخلقيات إلا مجلساً واحداً، وهي الفوائد المنتقبات الحسان من الصحاح والغرائب، تخريج أبي نصر الشيرازي من أصول سماعات القاضي أبي الحسن علي بن الحسن بن الحسين الخلعي، رضي الله عنه⁽²⁾، وهي عشرون جزء، وكان يسمعنا كل يوم جزء.

ولنذكر بعض أحاديث هذا الكتاب تبرّكاً بها وبجامعها لغرابة، هذا الكتاب بقطرنا، ولسماعنا لها من لفظ مسند الزمان في أشرف مكان وزمان، فأقول: وهذا ما انتقيته من الجزء الخامس: أخبرنا الشيخ أبو مهدي عيسى ابن محمد الجعفري المالكي المغربي بالمسجد الحرام قبالة الركن اليماني في شهر رمضان من سنة ثلاث وسبعين وألف، عن الشيخ أبي الحسن الأجهوري، عن الرملي، عن زكرياء، عن الحافظ ابن حجر، عن أبي الفرج الغزي الشهير بابن الشيخة، عن أبي الحسن علي بن قريش المخزومي، عن الزكي عبد العظيم المنذري، عن أبي محمد عبد الله بن المجلي الرملي، عن القاضي أبي محمد عبد الله بن رفاعة، عن القاضي أبي الحسن علي بن الحسن بن الحسين الخلعي، رضي الله عنه، قال: أخبرنا أبو عبد الله شعيب

(1) زيادة من ط.

(2) علي بن الحسن بن السنين الخلعي الشافعي، كان يبيع الخلع لملوك مصر فنسب إليها، ولد بمصر سنة 405 هـ وبها توفي سنة 492 هـ، خرج أحمد بن الحسين الشيرازي أجزاء من مسموعاته في الحديث سماها الخلقيات: الأعلام 273:4.

بن عبد الله بن المنهال قراء عليه وأنا أسمع، نا أحمد بن الحسين بن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرّج بن عبد الرحمن القطان، نا عمر بن خالد، نا عبيد الله بن عمر عن عبد الكريم بن مالك الجزري، عن نافع، عن ابن عمر، عن حفصة بنت عمر؛ أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كان إذا أذن المؤذن بالفجر قام فصلى ركعتي الفجر ثم خرج إلى المسجد ويحرم الطعام، قال: وكان لا يؤذن حتى يصبح⁽¹⁾.

أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن المنهال قراء عليه وأنا أسمع: نا أحمد بن الحسين بن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرّج بن عبد الرحمن القطان، نا عمر بن خالد، نا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: يكون قوم في آخر الزمان يخضبون بهذا السواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة⁽²⁾.

أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن المنهال، نا أحمد بن الحسن بن إسحاق الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرّج بن عبد الرحمن القطان، نا عمر بن خالد، نا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم بن مالك الجزري، عن عطاء عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: عمرة في رمضان تعدل حجة⁽³⁾.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزار، نا أبو الحسن شعبة بن الفضل بن سعيد التلّلي، نا إبراهيم بن عبد الله اللّهي⁽⁴⁾، نا محمد بن عبد الله الأنصاري، نا إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن أنس قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار⁽⁵⁾.

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن الخصيب القاضي، نا أبي عبد الله بن محمد بن الخصيب، أملاًنا أحمد بن يحيى بن إسحاق، نا سعيد بن سليمان عن شريك عن

(1) المعجم الكبير 192:23.

(2) الأحاديث المختارة 233:10.

(3) أنظر: صحيح البخاري 659:2.

(4) في ط: الكحبي.

(5) المعجم الكبير 170:2.

جامع بن أبي راشد، عن وائل عن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ولم يكن يعلمنا هذا كما يعلمنا التشهد؛ اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبيل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، أو قال: ذريتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين مثين بها عليك قائلها، وأتمها علينا بخير.

أخبرنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن بن علي بن منير الشاهد قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق البغدادي قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو عمر مقدم بن داود بن عيسى بن تليد الرعيني إملاء، نا أسد بن موسى، نا مروان بن معاوية، نا محمد بن أبي قيس مولى بني هاشم عن رجل، عن عبد الله بن الزبير قال: سمعت عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يقول على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكرموا المهاجرين الأولين، أكرموا الذين صاحبوني، أكرموا الذين آووا ونصروا، ثم الذين يلونهم خير ممن بعدهم، ثم الذين يلونهم ثم أولئك خير ممن بعدهم، ثم يظهر الكذب، فيشهد الرجل ولا يستشهد، ويحلف ولا يستحلف، ويبذل نفسه بخطب الزور، ولا يدعي إلا بمن هو بجوحة الجنة، فلا ينتر من جماعتكم التي أفارقكم عليها فإن ملائكة تحرسها، فمن رغب عنها برئت منه ذمة الله ورسوله، وهو من الهالكين، ألا وإياكم أن يسأل أحدكم عن الإيمان ليعرف الرجل نفسه، إلا فمن أشفق منكم من سيئة ورجا حسنة فذلك المؤمن.

أخبرنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن بن علي بن منير الشاهد، نا أبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق البغدادي، نا أبو عمرو مقدم بن داود ابن عيسى بن تليد الرعيني، أملاًنا أسد بن موسى نا إبراهيم بن سعد بن إبراهيم عن أبيه سعد بن إبراهيم عن محمد بن جبير قال: أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم

فكلمته بشيء، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجذك؟ تعني الموت، قال: إن لم تجدني فأت أبا بكر^(١).

أخبرنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن الخشاب، نا علي بن أحمد بن الحسن البغدادي، نا مقدم بن داود بن عيسى بن تليد الرعيني، نا أسد بن موسى، نا محمد بن حازم الكوفي عن عبد الله بن أبي بكر عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لعبد الرحمن بن أبي بكر: إيتني بكتف حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يفرق عليه. قالت: فقام ليحيى بالكثف فقال: اجلس يا أبي الله والمؤمنون أن يختلف على أبي بكر.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري، نا أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع المدني سنة سبع وتسعين ومائتين، نا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسدي الكوفي، نا علي بن هاشم بن البريد عن فطر بن خليفة عن أبي الطفيل قال: جمع علي عليه السلام الناس في الرحبة فقال: أنشد الله امرؤاً مسلماً سمع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول يوم غدیر خم ما قال، من كنت مولاه فعلي مولاه^(٢)، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، إلا قام يشهد. قال: فقام أناس من الناس يشهدون. قال أبو الطفيل: فخرجت، فكان في نفسي شيء، فلقيت زيد بن أرقم فقلت: إني سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول كذا وكذا. قال: وما ينكر من ذلك؟ فقد سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول ذلك كله.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار: نا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري، نا أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع المدني، نا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسدي، نا علي بن هاشم بن البريد عن فطر عن ابن إسحاق وعن سعيد بن وهب وعمرو ذي مر وزيد بن بشيع، قال: قال علي عليه السلام: أشهد الله امرؤاً مسلماً سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدیر خم ما قال الإمام. قال: فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا، ستة من جانب، وسبعة من جانب. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

(١) صحيح مسلم 4: 1856.

(٢) المعجم الكبير 5: 202.

أخبرنا أبو حازم محمد بن الحسين ابن خلف الفراء البغدادي قراءة عليه وأنا أسمع: نا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدار قطني الحافظ، نا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، نا وهب بن بغيّة، نا عبد الله بن سفيان الواسطي عن ابن جريج عن عطاء بن أبي الدرداء قال: رأيت النبي، صلى الله عليه وسلم، أمشي أمام أبي بكر، رضي الله عنه، فقال: يا أبا الدرداء أتمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة، ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر رضي الله عنه.

أخبرنا أبو حازم محمد بن الحسين الفراء: قال أبو الحسن علي بن عمر الدار قطني، نا إبراهيم بن محمد العمري، نا أحمد بن سهيل الواسطي، قال: نا محمد بن ماهان، نا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض، ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض، ولم يرني إلا من بعيد. وبه إلى الدار قطني، نا ابن منيع، نا عبد الله بن عمر الكوفي، نا عبد الله بن حراش، نا العوام بن حوشب عن مجاهد عن ابن عباس قال: لما أسلم عمر نزل جبريل، عليه السلام، على النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد قد استبشر أهل السماء اليوم بإسلام عمر، رضي الله عنه.

أخبرنا أبو محمد إسماعيل ابن رجاء بن سعيد بن عبيد الله العسقلاني، نا أبو بكر محمد بن أحمد الخندري المقرئ بعسقلان، نا أبو محمد عبد الله بن أبان بن شداد قراءة عليه وأنا حاضر: نا أبو الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري، نا عمرو بن أبي بكر السكسكي عن سفيان وعباد والربذي، عن سهيل ابن أبي صالح، عن أبيه عن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم، صلى الله عليه وسلم، يقول: حَرَّمَ اللَّهُ عَيْنًا بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَلَى النَّارِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَيْنًا سَهَرَتْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَلَى النَّارِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَيْنًا بَكَتْ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْفِرْدَوْسِ عَلَى النَّارِ، وَيَلْ لِمَنْ اسْتَطَالَ عَلَى مُسْلِمٍ فَانْتَقَضَ حَقُّهُ، وَيَلْ لَهُ^(١). وبه إلى السكسكي عن الربذي عن محمد بن كعب القرطبي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: هنيئًا للمتحابين في الله جنات عدن، ومن أحب أن يرافقني فيها فلينصف من نفسه،

(١) الكامل في ضعفاء الرجال 6: 430.

ومن أمسى وأصبح وهمه الدنيا والدرهم تكاثرا، حشر مع اليهود والنصارى والذين قالوا: و(ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)⁽¹⁾.

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل المقرئ قراءة عليه وأنا أسمع، نا القاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير بن عبد الله بن أسامة الدهلي، إملاء، نا أبي، نا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، نا عثمان بن عمر، نا شعبة عن قتادة، قال: سمعت أنس بن مالك يحدث عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا من قلبه، وإني محمد رسول الله دخل الجنة⁽²⁾.

أخبرنا أبو محمد إسماعيل ابن عمرو بن إسماعيل المقرئ، نا أبو القاسم الحسين بن عبد الله القرشي، نا أبو القاسم علي بن الحسن بن قديد الأزدي، نا أبو الربيع بن أخي رشدين، نا ابن وهب، أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال: قال هشام بن عبد الملك لابن شهاب: أبلغك أنه من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة؟ فقال له: يا أمير المؤمنين: كان ذلك قبل أن تزل الفرائض، فلما نزلت الفرائض فلم تنفع لا إله إلا الله إلا بأدائها⁽³⁾.

أخبرنا أبو محمد إسماعيل ابن عمرو بن إسماعيل المقرئ، نا أبو محمد الحسن بن أبي الحسن المعدل، نا أبو علي الحسن ابن علي بن الحسن السرقمدي الأعسم، حدثني أشعث بن محمد الكلبي، نا عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ربي صبيا حتى يقول لا إله إلا الله لم يحاسبه الله⁽⁴⁾.

أخبرنا الخصيب بن عبد الله ابن عمر بن الخصيب القاضي قراءة عليه وأنا أسمع: نا أبي إملاء، نا يوسف بن يعقوب، نا أبو الربيع، نا أبو شهاب عن القاسم بن الوليد عن داود بن أبي غمرة أن عليا، رضي الله عنه، قال: لا يخافن أحدكم

(1) الجاثية: 23.

(2) ملء العيبة 383:5.

(3) ملء العيبة 383:5.

(4) ورد الحديث في كتاب المغني في الضعفاء بصيغة: "إبراهيم بن البراء، عن سليمان الشاذ كوني عن الدراوردي عن هشام عن أبيه عن عائشة مرفوعا: من ربي صبيا حتى يتشهد وجبت له الجنة اتهم به: المغني في الضعفاء 11:1.

إلا ذنبه، ولا يرجون إلا ربه، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحي من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم^(١).

أخبرنا الخصيب بن عبد الله، نا أبي، نا جعفر بن محمد الفرياني، نا أحمد بن أبي الخواري، نا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن بشر بن عبيد الله الحضرمي، قال: إن كنت لأركب إلى مصر من الأمصار في الحديث الواحد.

أخبرنا الخصيب بن عبيد الله، نا أبي، نا جعفر بن محمد، نا أحمد بن عيسى، نا عبد الله بن وهب عن مالك بن أنس، أن سعيد بن المسيب كان يقول: إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد^(٢).

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن سعيد البزاز، أملاًنا الشيخ الزاهد أبو العباس أمد بن الحسن بن دانا ج الأصطخري إملاء سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل وموسى بن هارون، ومحمد بن العباس المؤدب قالوا: نا الحكم بن موسى أبو صالح، قال: نا عبد الله بن أحمد الشيخ الصالح، نا العلاء بن أسلم بن أخي العلاء بن زياد عن روبة بن العجاج قال: دخلت على النسابة البكري فقال لي: من أنت؟ قلت: ابن العجاج. قال: قصدت والله وعرفت. قال: ثم قال: لعلك كقوم عندي إن سكت عنهم لم يسألوني، وإن حدثتهم لم يعوا عني. قلت: أرجو أن لا أكون كذلك. قال: فما أعداء المروءة؟ قلت خبرني. قال: بنو السوء، إن رأوا صالحاً دفتوه، وإن رأوا قبيحاً ادعوه. ثم قال: إن للعلم آفة ونكد وهجنة، فأفته نسيانه، ونكده الكذب، وهجته نشره عند غير أهله.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد ابن النحاس إملاء، أنا أبو الفضل يحيى بن الربيع بن محمد العبدى، نا إسحاق بن إبراهيم ابن يونس، ثنا أبو الطيب الضرير أحسبه عن الأصمعي عبد الملك^(٣):

[بسيط]

(١) ملء العيبة 5: 385.

(٢) ملء العيبة 5: 386.

(٣) الأبيات لأبي الأسود الدؤلي، الديوان، ص: 16.

العلم زينٌ وتشريف لصاحبه	فاطلب هديتَ فنون العلم والأدبا
لا خير فيمن له أصل بلا أدبٍ	حتى يكون على ما زانه حدباً
كم من حسيب أخى عي وطمطممة	قدم لدى القوم معروف إذا انتسباً
في بيت مكرمة آباؤه نجب	كانوا رؤوساً فأمسى بعدهم ذنباً
وخامل مغرب الآباء ذو أدب	نال المعالي والأموال والنشبا
العلم كثرٌ وذخر لا نفاذ له	نعم القرين إذا ما عاقلاً صحباً
قد يجمعُ المرء مالا ثم يسلبه	عما قليل فيلقى الذل والحربا
وجامعُ العلم مغبوط به أبدا	فلا يُحاذر منه الفوت والسلبا
يا جامعَ العلم نعم الذخر تجمعه	لا تعدلن به درا ولا ذهباً
فاشدّد يدك به محمد مغتبه ^(١)	به تنال الغنا والدين والحسبا

آخر الجزء الخامس من الفوائد المنتقات من مسموعات الخلعي، رضي الله عنه، والحمد لله رب العالمين.

وكتبت من نسخة عتيقة عليها سماع جملة من المشايخ منهم: عبد العظيم المنذري وعليها خطه، ومن المتأخرين الحافظ بن حجر وعليها خطه.

ومما انتقيته من الجزء السادس: أخبرنا شيخنا بسنده المتقدم إلى القاضي أبي الحسن الخلعي قال: أنا أبو عبد الله شعيب بن أحمد بن المنهال، أنا أحمد بن الحسن ابن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرّج بن عبد الرحمن القطان، نا عمرو بن خالد، نا بكر بن مضر عن عمرو بن الحارث عن أبي الزبير المكي عن ابن الطفيل عامر بن وائلة البكري أن معاذ بن جبل حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع في غزوة تبوك بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء حتى رجعنا.

أخبرنا أبو عبد الله شعيب ابن عبد الله بن المنهال، أنا أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرّج بن عبد الرحمن القطان، نا

(١) في ط: معيشته.

عمرو بن خالد، نا بكر بن مضر عن عمر بن الحارث عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك أنه قال: صلينا مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الظهر بالمدينة أربع ركعات ثم خرج إلى بعض أسفاره فصلى بنا العصر عند الشجرة ركعتين.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزاز، نا أبو الطاهر أحمد بن محمد بن عمرو المديني، نا أبو موسى يونس بن عبد الأعلى الصدفي، نا عبد الله بن وهب، حدثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس بن مالك قال: لما جاء جبريل بالبراق إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: فكأنما صدت أذنيها، فقال لها جبريل: قر يا براق، فوالله ما ركبك مثله، فسار رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإذا هو بعجوز نائية على جانب الطريق فقال: ما هذه يا جبريل؟ قال جبريل: سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير، فإذا بشيء يدعو منتحى على الطريق: هلم يا محمد. فقال له جبريل: سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير. قال: ثم لقي خلقا من الخلق فقال: السلام عليك يا أول، والسلام عليك يا آخر، والسلام عليك يا حاشر، فقال له جبريل: اردد السلام يا محمد. فرد السلام، ثم لقيه الثاني فقال له مثل مقالة الأول، ثم لقيه الثالث فقال له مثل مقالة الأولين حتى انتهى إلى بيت المقدس، فعرض عليه الماء والخمر واللبن. فتناول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، اللبن، فقال له جبريل: أصبت الفطرة لو شربت الماء لغرقت ولغرقت أمتك، ولو شربت الخمر لغويت ولغويت أمتك، ثم بعث له آدم ومن دونه من الأنبياء، فأمرهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تلك الليلة، ثم قال له جبريل: أما العجوز التي رأيت على جنب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من تلك العجوز، وأما الذي أراد أن تميل إليه فذلك عدو الله إبليس أراد أن تميل، وأما الذين سلكوا عليك فذلك إبراهيم وموسى وعيسى⁽¹⁾.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الإشيلي قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن علان الحراني، أملا نا أبو العلاء أحمد بن صالح نا محمد بن حميد الرازي أراه قال: نا زافر بن سليمان، نا محمد بن عتبة عن أبي حازم عن سهل بن سعد أن جبريل عليه السلام أتى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك: عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من

(1) الأحاديث المختارة 259:6.

أحببت فإنك مفارقة، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس^(١).

أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن زريق الكوفي قراءة عليه وأنا أسمع، نا إسماعيل ابن يعقوب بن الجراب البغدادي، إملاء، نا عبيد الله بن عبد الواحد بن شريك، نا ابن أبي مریم، نا ابن فروخ، أنا أسامة، أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: هل في الناقة أجر، تأتي وقد لطت حوضي إن سقيتها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل كبد حرى أجر.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن زريق الكوفي قراءة عليه وأنا أسمع، نا إسماعيل بن يعقوب بن الجراب البغدادي قراءة عليه وأنا أسمع، نا محمد بن زياد السمسار، نا محمد بن حاتم، نا محمد بن الحسن الوائقي ثقة مرضي، عن معونة بن يحيى، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، قال: يفضل الذكر الذي لا تسمعه الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفاً^(٢).

أنا أبو العباس منير بن الحسن بن علي بن منير الشاهد قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق البغدادي قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو عمرو مقدم بن داود بن عيسى بن تليد، إملاء، نا أسد بن موسى، نا ابن لهيعة، نا أبو قبيل أنه سمع سقا يقول: حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو قبيل لا أحسبه إلا عبد الله بن عمر قال: خرج علينا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً، وهذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً. فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ففيم العمل إذا كان هذا الأمر قد فرغ منه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سددوا أبشروا، وإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار،

(١) المستدرك على الصحيحين 4: 360.

(٢) شعب الإيمان 1: 408.

وإن عمل أي عمل. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بيده، فمدها، فرغ ربكم من الخلق (فريق في الجنة وفريق في السعير)⁽¹⁾.

أخبرنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن الشاهد، نا أبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق البغدادي، نا أبو عمرو مقدم بن داود بن عيسى بن تليد الرعيني، نا أسد بن موسى، نا الليث بن سعد عن ابن قبييل عن شفي الأصبحي عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني: قال: خرج علينا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وفي يده كتابان، قال: أتدرون ما هذا؟ قلنا لا، إلا أن تخبرنا يا رسول الله. فقال: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أحد. فقال بعضهم: فلم نعمل إذا؟ قال: بلى، سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل، وقال: بيده فرغ ربكم من الخلق، (فريق في الجنة وفريق في السعير)⁽²⁾.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد إملاء، نا الشيخ الزاهد أبو العباس أحمد بن الحسين بن دانا الإصطخري إملاء سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، نا إسحاق بن إبراهيم بن عباد الديري قال: قرأنا على عبد الرزاق، أنا معمر عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول في الشونيز: عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل شيء إلا السام؛ يريد الموت⁽³⁾.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزازي إملاء، أنا أبو الحسن أحمد بن سعيد البغدادي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، نا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله بن مسلم ومعاذ بن مثنى العنبري، واللفظ لأبي مسلم، قال: نا بكار بن محمد السيريني، ثنا ابن عون عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، دخل على بلال فوجد عنده نوى تمرتين فقال:

(1) الشورى: 7.

(2) الشورى: 7.

(3) تحفة الأحودي 162:6.

ما هذا يا بلال؟ قال: تمر أدخره. فقال: ويحك يا بلال، أو ما تخاف أن يكون له بخار في النار؟ أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً⁽¹⁾.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزازي، نا أحمد بن سعد البغدادي، نا محمد بن يحيى بن سليمان المروزي، نا عاصم بن علي، نا قيس عن أبي حصين عن يحيى بن وثاب، عن مسروق عن عبد الله قال: دخل النبي، صلى الله عليه وسلم، على بلال وعنده صبر من تمر، فقال: ما هذا؟ قال: أعدته لك ولضيفائك. قال: أما تخشى أن يكون له بخار في جهنم، أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً.

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب القاضي قراءة عليه وأنا أسمع: نا القاضي أبو بكر عبد الله بن محمد بن الخصيب القاضي إملاء، نا محمد بن يحيى ابن إسماعيل، نا عاصم بن علي، نا المسعودي عن الفرات بن أبي الفرات، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد قال: أطلع علينا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ونحن نتذاكر الساعة، فقال: ماذا تذكرون؟ أو تذكرون ماذا قدم ذلك أواخر الشك مني؟ قلنا: الساعة يا رسول الله. قال: إن الساعة لا تقوم حتى يكون عشر آيات: الدخان، والدجال، والدابة وثلاث خسوفات؛ خسف بمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وطلوع الشمس من مغربها، وفتح ياجوج وماجوج، ونزول عيسى ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر⁽²⁾.

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب، نا أبي عبد الله بن محمد بن الخصيب إملاء، نا إبراهيم بن هاشم أملى علينا في مسجده يوم الجمعة في جمادى الأخيرة من سنة خمس وتسعين، نا شيان بن فروخ، نا جرير بن حازم، نا الحسن، نا عمرو بن تغلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أشرط الساعة أن تُقاتلوا قوماً من عراض الوجوه صغار الأعين كأن وجوههم الجان المطرقة⁽³⁾.

(1) المعجم الكبير 341:1.

(2) المعجم الكبير 170:3.

(3) مسند أحمد 31:3.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد ابن سعيد البزاز، نا أبو الطاهر أحمد بن محمد بن عمرو المدني، نا يونس بن عبد الأعلى، عن الشافعي عن محمد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن بن أنس، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدارا، ولا الناس إلا شحا، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدي إلا عيسى بن مريم⁽¹⁾.

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد العسقلاني قراءة عليه وأنا أسمع: نا أبو بكر محمد بن محمد الحندري المقرئ بعسقلان، نا أبو محمد عبد الله بن أبان بن شداد قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الدرداء هاشم ابن محمد الأنصاري، نا عمرو بن بكر السكسكي عن الربذي وعباد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: يصيح صائح يوم القيامة: أين الذين أكرموا الفقراء والمساكين في الدنيا؟ أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. ويصيح صائح: أين الذين عادوا مرضى الفقراء والمساكين في الدنيا فيجلسون على منابر من نور فيحدثون الله والناس في الحساب⁽²⁾.

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد بن عبيد الله، نا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الحندري، نا عبد الله بن أبان بن شداد أبو الدرداء هاشم بن أحمد الأنصاري، نا عمر بن بكر السكسكي عن الربذي عن محمد بن كعب القرطبي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: خيار المؤمنين القانع، وشرارهم الطامع⁽³⁾.

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد العسقلاني، نا أبو بكر محمد بن أحمد الحندري، نا عبد الله بن أبان بن شداد، نا أبو الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري، نا عمرو بن بكر السكسكي عن سفيان وعباد عن منصور بن المغيرة عن مجاهد عن كعب، أن الرب تباركت أسماؤه قال: يا موسى إذا رأيت الغني فقل ذنب عجلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين. يا موسى إنك لن تتقرب إلي بعمل من أعمال البر خير من الرضا بقضائي، ولم تأت بعمل أحبب لحسناتك من البطر، وإياك والتضرع لأبناء الدنيا إذا أعرض عنك،

(1) المستدرك على الصحيحين 4: 488.

(2) التدوين في أخبار قزوين 2: 492.

(3) مسند الشهاب 2: 240.

وإياك أن تجود بدينك لدنياهم إذا أمر بأبواب رحمتي فتغلق عنك، أدن الفقراء وقرب مجالسهم منك تكرم علي، وأبعد الأغنياء وبعد مجالسهم منك، لا تركز إلى حب الدنيا فإنك لن تلقاني بكبيرة من الكبائر أشد عليك من الركون إلى حب الدنيا، يا موسى قل للمذنبين النادمين أبشروا، وقل للعاملين المعجبين انخسثوا.

أخبرنا أبو محمد الحسن ابن محمد بن رزيق الكوفي، نا إسماعيل بن يعقوب بن الجراب البغدادي إملاء، نا محمد بن غالب بن حرب التميمي، نا أبو المعتمر عمار بن زربي، نا بشر بن منصور السلمي عن داود بن أبي هند عن وهب بن مُنَبِّه قال: رأيت^(١) في بعض الكتب التي أنزل الله من السماء أن الله قال لموسى عليه السلام: أتدري لأي شيء كلمتك؟ قال: لأي شيء؟ قال: لأني اطلعت على قلوب العباد فلم أر قلباً أشد حبا لي من قلبك^(٢).

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الشاهد إملاء، نا أبو الفضل يحيى بن الربيع بن محمد العبدى، نا إسحاق بن إبراهيم بن يونس، نا الربيع بن الفضل قال من قول علي عليه السلام^(٣):

[كامل]

أبني ^(٤) إني واعظٌ ومؤدبٌ	فافهم فإن ^(٥) العاقل المتأدبُ
واحفظْ وصيةً والدٍ مُتَحَنِّن	يغذوك بالآداب لا يتغضب ^(٦)
أبني إن الرزقَ مكفولٌ به	فعليك بالإجمال فيما تطلبُ
لا تجعلَ المالَ كسبك مفردا	وتقى إهلك فاجعلن ما تكسبُ
فاتل الكتابَ كتاب ربك موقنا ^(٧)	فيمن يقوم به هناك وينصبُ
بتدبر وتفكر وتقرب ^(٨)	إن المقرب عنده يتقربُ

(١) في ط: قرأت.

(٢) سير أعلام النبلاء 498:15.

(٣) ديوان الإمام علي، ص: 36 - 37.

(٤) في الديوان: أحسين.

(٥) في الديوان: فأنت.

(٦) في الديوان: كي لا تعطب.

(٧) في الديوان: فاقرأ كتاب الله جهداً والله.

واعبد إلهك بالإنابة مخلصاً⁽²⁾ وانظر إلى الأمثال فيما تضربُ
 وإذا مررت بآية تصف العذاب⁽³⁾ ب فقل وعينك بالتخوف تسكبُ
 يا من يعذب من يشاء بقدرته⁽⁴⁾ لا تجعلني في الذين تعذبُ
 إني أبوءُ بعثرتي وخطيئتي هرباً وهل إلا إليك المهربُ⁽⁵⁾
 بادر هواك إذا هممت بصالح وتجنب الأمر الذي يتجنبُ
 واعمل لنفسك إن أردت حباءها إن الزمان بأهله يتقلب
 أبني كم صاحبت من ذي غدره فإذا صحبت فانظر من تصحب
 واجعل صديقك من إذا آخيته حفظ الإخاء وكان دونك يضرب
 واحذر ذوي الملك الكمام فإنهم في النائبات عليك فيمن يحطب
 ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي والنصح أرخص ما يباع ويوهبُ
 انتهى.

ومن الجزء الثاني: أخبرني⁽⁶⁾ شيخنا بسنده إلى أبي الحسن الخلعي قال: نا الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزاز قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو سعيد أحمد ابن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري المعروف بابن الأعرابي قراءة عليه بمكة وأنا أسمع، نا أبو عثمان سعد ابن نصر بن منصور المنحرمي، نا سفيان بن عيينة أبو محمد الهلالي عن عمر ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، عن أم الدرداء ترويه عن أبي الدرداء عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير، من حرم حظه من الرفق فقد

(1) في الديوان: بتفكر وتخشع وتقرب.

(2) في الديوان: واعبد إلهك ذا المعارج.

(3) في الديوان: وإذا مررت بآية وعظية

(4) في الديوان: بعذله.

(5) في الديوان: هرباً إليك وليس دونك مهرب.

(6) في ط: أخبرنا.

تصف العذاب فقف ودمعك يسكب.

حرم حظه من الخير. وقال: وإن أثقل شيء في ميزان المؤمن خلق حسن، إن الله يبعث الفاحش البذيء⁽¹⁾.

أخبرنا أبو عبد الله شبيب بن عبد الله بن المنهال، نا أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزباع روح بن الفرغ بن عبد الرحمن القطان، نا يوسف بن عدي، نا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي صالح عن أبي الدرداء قال: سألت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن قول الله عز وجل: (لهم البشري في الحياة الدنيا)⁽²⁾ قال: ما سألتني عنها أحد قبلك، هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو ترى له⁽³⁾.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الشاهد، نا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عثمان الإمام إملاء، أنا أبو عبد الله عبد الكريم بن إبراهيم بن حبان، نا الحسين بن الفضل بن أبي حديدة قال: سمعت ضمرة بن ربيعة القرشي الرملي يقول: سمعت يحيى بن أبي عمرو الشيباني يقول: سمعت عمرو ابن عبد الله الحضرمي يقول: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله استقبل لي الشام وولى ظهري إلى اليمن، فقال لي: يا محمد إني جعلت ما وراءك مردا لك، وجعلت ما تجاهك عصمة لك ورزقا، قال: والذي نفسي بيده لا يزال الله يزيد في الإسلام وأهله، وينقص الشرك وأهله حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى إلا جورا؛ يعني جور السلطان. قيل: يا رسول الله: وما النطفتان؟ فقال: نحو المشرق والمغرب. قال: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل⁽⁴⁾.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن رزيق الكوفي قراءة عليه وأنا أسمع، أنا إسماعيل بن يعقوب بن الجراب البغدادي، نا إسماعيل بن إسحاق القاضي، نا حفص بن عمر الحوضي، نا شعبة عن واصل الأحمد عن مجاهد عن أبي در عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: أعطيت الشفاعة، وهي ثابتة لمن مات من أمي لا يُشرك بالله شيئا.

(1) مسند الشهاب 1: 274.

(2) يونس: 64.

(3) مصنف ابن أبي شيبة 6: 174.

(4) المعجم الكبير 2: 58.

أخبرنا أبو العباس أحمد ابن الحسين بن جعفر العطار قراءة عليه وأنا أسمع: نا أبو محمد الحسن بن رشيقي العسكري، نا أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع المديني سنة تسع وتسعين ومائتين، نا عبدة بن عبد الرحيم، نا وكيع، نا الأعمش عن عدي بن ثابت الأنصاري عن زر بن حبيش عن علي، رضي الله عنه، قال: لعهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم الأمي أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغيضني إلا منافق⁽¹⁾.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار، نا أبو محمد الحسن بن رشيقي العسكري، نا أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع المديني، نا عبدة بن عبد الرحيم، نا وكيع، نا ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان علي، عليه السلام، يلبس ثياب الشتاء في الصيف وثياب الصيف في الشتاء، فقيل لأبي لو سألتك عن هذا؟ فسأله. فقال: قلت يا رسول الله إني أرمد العين، فتفل في عيني وقال: اللهم اذهب عنه الحر والبرد، فما وجدت حرّاً ولا برداً منذ يومئذ، فقال عليه السلام: لأعطين الراية رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، ليس بفرار⁽²⁾. قال: فتشرف إليها الناس⁽³⁾، فبعث إلى علي عليه السلام فأعطاه الراية. قال: وقال ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو قال عبد الرحمن: وكان أبي يسمر مع علي عليه السلام.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن رزيق الكوفي، نا إسماعيل بن يعقوب بن الجراب البغدادي، نا الحسن بن سليمان بن نافع الدارمي، نا عبد الواحد، يعني ابن غياث، نا خلد، نا حسن بن قيس عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قبض يتيماً من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله (عز وجل)⁽⁴⁾ أوجب الله له الجنة البتة، إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر، ومن عال ثلاث بنات فأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة. قال قائل: يا رسول الله أو اثنتين. قال: أو اثنتين، حتى لو قال أواحدة لقال واحدة، ومن أذهب الله عز وجل كريمته كان ثوابه على الله عز وجل الجنة. فقالوا: يا رسول الله وما كريمته؟ قال: عيناها.

(1) صحيح مسلم 1: 86.

(2) الأحاديث المختارة 2: 275.

(3) في ط: فتشوف الناس إليها.

(4) زيادة من ط.

قال: فكان ابن عباس إذا حَدَّثَ بهذا الحديث قال: هذا والله من كرائم الحديث وغرره^(١).

وأخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج قال: وأخبرنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن إبراهيم الحمداني قراءة عليه وأنا أسمع بدمشق، نا محمد بن إسحاق بن الحريص، نا إبراهيم بن هشام، حدثني أبي عن عروة بن رويم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: من كان ذا وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في تبليغ بر أو تيسير عسيرا أعانه الله على إحازة الصراط يوم دحض الأقدام^(٢).

أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الشاهد، نا أبو الطيب محمد بن جعفر بن در بن غندر، نا إسماعيل ابن علي الشافعي، نا محمد بن إبراهيم بن كثير الصيرفي، نا أبو نواس الحسن بن هاني، نا حماد ابن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله، فإن حسن الظن بالله ثمنه الجنة^(٣).

أخبرنا أبو العباس منير ابن أحمد بن الحسن بن علي بن منير الشاهد، نا أبو الحسن علي ابن أحمد بن إسحاق البغدادي، نا أبو عمرو مقدم بن داود بن عيسى بن تليد الرعيني إملاء، نا أسد بن موسى، نا المبارك بن فضاله، حدثني ثابت البناني، أخبرني عبد الرحمن أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، صلى صلاة الصبح فلما قضى صلاته قال: أيكم أصبح اليوم صائما؟ فقال عمر بن الخطاب: أما أنا فبت الليلة وأنا لا أحدث نفسي بالصوم فأصبحتُ مفطرا. فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله بت الليلة وأنا أحدث نفسي بالصوم، فأصبحت صائما. قال: فأأيكم عاد اليوم مريضا؟ فقال عمر: إنا صلينا الساعة ولم نبرح فكيف عود المرضى؟ فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، أخبرونا بالأمس أن أخي عبد الرحمن بن عوف وجع فجعلت طريقتي عليه فسألت عنه ثم أتيت المسجد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأأيكم تصدق اليوم بصدقة؟ فقال عمر: يا رسول الله، والله ما برحنا معك منذ صلينا، أو قال: لم نبرح منذ صلينا، فكيف نتصدق؟ فقال أبو بكر: أنا يا

(١) مسند أبي يعلى 4: 342

(٢) أنظر: سير أعلام النبلاء 20: 571.

(٣) معجم الشيوخ 1: 301.

رسول الله لما جئت من عند عبد الرحمن بن عوف دخلت المسجد فإذا سائل يسأل، وابن لعبد الرحمن بن أبي بكر معه كسرة فأخذتها فناولتها للسائل. فقال: أنت فأبشر بالجنة، أنت فأبشر بالجنة. فلما سمع عمر بذكر الجنة تنفس فقال: هاه. فنظر إليه رسول الله، صلى الله وسلم، فقال كلمة رضي بها عمر، فقال رسول الله صلى الله وسلم: رحم الله عمر، إن عمر يقول ما سبقت أبا بكر إلى خير قط إلا سبقني إليه⁽¹⁾.

أخبرنا الخصيب ابن عبد الله بن محمد بن الخصيب القاضي قراءة عليه وأنا أسمع قال: نا أبي القاضي أبو بكر عبد الله بن محمد بن الخصيب إملاء، نا أحمد بن يحيى بن إسحاق، نا عبد الأعلى ابن حماد النرسي، نا يعقوب بن إسحاق الحضرمي، نا سعيد بن خالد عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله وسلم المؤمن واهي راقع، وسعيد من هلك على رقعة⁽²⁾.

أخبرنا الخصيب ابن عبد الله قال: نا أبي عبد الله بن محمد إملاء، أنا يحيى بن محمد البخري، نا عباد بن الوليد النرسي، نا عبد الواحد بن زياد، نا سليمان الأعمش، نا أبو نجي مولى جعدة بن هبيرة قال: سمعت أبا هريرة يقول: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتؤذي جيرانها بلسانها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا خير فيها، هي في النار. وقالوا: فلانة تصلي المكتوبة وتصدق بالأنوار؛ يعني الأقط، ولا تؤذي أحدا. فقال صلى الله عليه وسلم: أبشر فهي في الجنة⁽³⁾.

أخبرنا أبو حازم محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء البغدادي، نا أبو الحسن علي ابن عمرو بن أحمد بن مهدي بن مسعود الدارقطني الحافظ، نا أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله، نا سيار بن نصر أبو الحكم، نا عمر بن حفص بصري، نا العلاء بن عمرو، نا الوضاح عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لأبي بكر، رضي الله عنه: يا أبا بكر إن الله أعطاني ثواب من آمن بي منذ خلق الله آدم

(1) مجمع الزوائد 3: 164.

(2) شعب الإيمان 5: 419.

(3) المستدرک علی الصحیحین 4: 184.

عليه السلام إلى أن تقوم الساعة، وإن الله أعطاك يا أبا بكر ثواب من آمن بي منذ بعثني الله عز وجل إلى أن تقوم الساعة^(١).

أنا أبو حازم محمد بن الحسين بن خلف الفراء، نا أبو الحسن علي بن عمر بن مهدي الدار قطني الحافظ، نا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد وأبو حمزة الحضرمي والحسين بن إسماعيل قالوا: نا محمد بن عمرو بن سليمان بن أبي فرعون، نا هشيم، نا مالك بن مغول عن الشعبي وأبو إسحاق عن الشعبي عن الحارث عن علي عليه السلام قال: أقبل أبو بكر وعمر إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كل واحد منهما أخذ بيد صاحبه، قال: فلما رأهما قال: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين المرسلين، لا تخبرهما يا علي^(٢).

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد بن عبيد الله العسقلاني قرأ عليه وأنا أسمع، نا أبو بكر محمد بن أحمد الحيدري المقرئ، نا أبو محمد عبد الله بن أبان بن شداد، نا أبو الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري، نا عمرو بن بكر السكسكي عن ابن المثنى عن ابن الزبير عن أبي الدرداء عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: يصبح صائح يوم القيامة من كانت له عند الله عدة فليقم، أين أهل العفو فيدخلون الجنة. ثم يصبح صائح: من كانت له عند الله عدة فليقم، أين أهل الصدقة؟ فيقومون فيدخلون الجنة، وهم أول الناس دخولا الجنة.

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد بن عبيد الله، نا أبو بكر محمد بن أحمد الحيدري المقرئ، نا أبو محمد عبد الله بن أبان بن شداد، نا أبو الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري، نا عمرو بن بكر السكسكي عن عباد عن أيوب بن موسى وإسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: من مكارم الأخلاق التزاور في الله، وحق على المزور أن يقرب إلى أخيه ما تيسر عنده، وإن لم يجد إلا جرعة من ماء، وإن احتشم أن يقرب إلى أخيه ما تيسر لم يزل في مقت الله يومه وليلته، ومن استحق ما يقرب إليه أخوه لم يزل في مقت الله، عز وجل، يومه وليلته.

(١) الرياض النضرة 2: 121.

(٢) المعجم الأوسط 2: 191.

أخبرنا أبو الفرج عبيد الله بن محمد بن النحوي في المسجد الأقصى قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو أحمد محمد بن محمد بن عبد الرحيم القيسراني، نا محمد بن جعفر ابن محمد بن سهل الخرائطي بقيسارية، نا محمد بن جابر الضرير، نا عبيد الله بن عمر القواريري، نا جعفر بن سليمان الضبعي عن مالك بن دينار عن الحسن قال: ما من عبد يخطب خطبة إلا سائله الله عنها يوم القيامة ماذا أردت بها. وكان الحسن إذا ذكر هذا الحديث بكى.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن زريق الكوفي، نا إسماعيل بن يعقوب بن الجراب البغدادي، نا محمد بن يونس القرشي، نا حرم بن حفص نا صدقة بن عبادة الأسدي عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى: (فعرّفهم وهم له منكرون)⁽¹⁾ قال: دخل إخوة يوسف، عليه السلام، عليه وبين يديه جام من فضة مخصوص بالذهب، وبيده حصاة يضرب بها الجام ويطن الجام، ثم قال لهم: تدرون ما يقول هذا الجام؟ قالوا: لا أيها الملك. قال: يقول لي إنه كان لكم أخ من أيكم فعلتم به كذا وفعلتم به كذا. قالوا: معاذ الله. قال ابن عباس: وهو قول الله عز وجل: (فعرّفهم وهم له منكرون)⁽²⁾.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن زريق الكوفي، نا إسماعيل بن يعقوب بن الجراب البغدادي إملاء، نا الحسن بن سليمان بن نافع، نا هدية بن خالد، نا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن هارون، عليه السلام، مر بالسامري وهو يصنع العجل فقال له: ما هذا الذي تصنع؟ قال: أصنع ما ينفع ولا يضر. فقال هارون عليه السلام: اللهم أعطه ما سألك على ما في نفسه. فلما قفا هارون عليه السلام قال السامري: اللهم إني أسألك أن يخور. فكان إذا خار سجدوا، وإذا خار رفعوا رؤوسهم، وإنما خار للدعوة هارون.

أنشدنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج الإشبيلي قال: أنشدنا القاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر قال: أنشدنا أحمد بن محمد بن المسلم قال: أنشدنا عبد الرحمن بن صالح قال: أنشدنا جليس لأبي بكر بن عياش⁽³⁾:

(1) يوسف: 58.

(2) يوسف: 58.

(3) أنظر ترجمته وبيته في: معجم لأدباء 2: 751.

[بسيط]

إن الكريم الذي تبقى مودته ويكتم السر إن صافي وإن صرما
ليس الكريم الذي إن زل صاحبه أفشى وقال عليه كل ما كتما
هـ.

ومن الجزء السابع عشر: أخبرنا شيخنا بسنده إلى القاضي أبي الحسن الخلعي، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن النحاس قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو سعيد أحمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري المعروف، عن محمد بن عبد العزيز، عن مولى لأبي بكرة عن أبي بكرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذنبان لا يغفران وتعجل لصاحبهما العقوبة؛ البغي وقطيعة الرحم⁽¹⁾.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف الفراء، نا أبو الفوارس أحمد بن محمد بن الحسين الصابوني، نا إبراهيم بن أبي داود، نا آدم، نا إسماعيل بن عياش عن إسحاق بن عبد الله عن يوسف بن سليمان عن جدته ميمونة عن عبد الرحمن بن سنة قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: والذي نفسي بيده ليأرز الإيمان إلى ما بين المسجدين؛ مسجد مكة ومسجد المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها⁽²⁾.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف الفراء، نا أبو الفوارس أحمد بن محمد بن الحسين الصابوني، نا إبراهيم بن أبي داود، نا آدم، نا إسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مریم عن يزيد السكوني عن أبي بحريّة السكوني عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية في سبعة أشهر⁽³⁾.

أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن أحمد بن المنهال قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو العباس أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرّج بن عبد الرحمن القطان، نا عمرو بن خالد، نا عبد الله بن لهيعة عن

(1) مسند أحمد 5:36.

(2) الفتن: 2:491.

(3) مسند أحمد 5:234.

أبي يونس عن أبي هريرة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: نعم القوم الأزدد؛ نقيه قلوبهم، بارة أيمانهم، طيبة أفواههم⁽¹⁾.

أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن المنهال قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو العباس أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع عن روح بن الفرّج بن عبد الرحمن القطان، نا عمرو بن خالد نا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ناعم أن عبد الله بن عمرو قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رجل من الأعراب فقال: يا رسول الله إني أحب الجهاد والهجرة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل بقي من والدك أحد؟ قال: نعم، كلاهما. قال: فارجع فأحسن صحبتهما.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الإشبيلي الشاهد قراءة عليه، وأنا أسمع، نا أبو الفضل العباس بن محمد ابن نصر بن السري الرافقي إملاء، نا سعيد بن يحيى بن يزيد نا مصعب بن عبد الله حدثني إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعي إلى جنازة سأل عنها، فإن أثنوا عليها خيراً صلى عليها، وإن أثنوا عليها غير ذلك قال لأهلها شأنكم بها، ولم يصل عليها⁽²⁾.

وأخبرنا أبو العباس أحمد قال: وأنا أحمد بن إبراهيم بن محمد بن جامع نا علي هو ابن عبد العزيز قالوا: نا عثمان بن ابن زفرح وأنا أبو العباس حمد بن محمد الإشبيلي قال: وأنا عبد الله بن إبراهيم بن إسحاق بن الفراء له نا علي بن محمد بن كاس، نا محمد بن خلف التميمي، نا عثمان بن زبرزاد ابن جامع في حديثه الكوفي، نا محمد بن زياد، قال زكريا عن محمد بن زياد الطحان عن محمد بن عجلان عن أبي الزبير عن جابر قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه، فقيل: يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة إلا على هذا؟ فقال: إنه كان يبغض عثمان بن عفان⁽³⁾، هذا لفظ علي.

(1) مسند أحمد 2: 351.

(2) صحيح ابن حبان 328: 7.

(3) ساقط من ط.

وقال زكرياء: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل ليصلي عليه فأبى أن يصلي عليه، قالوا: يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد غير هذا؟ فقال إنه كان يبغض عثمان بن عفان أبغضه الله.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزاز، نا أبو الطاهر أحمد بن محمد بن عمرو المديني، نا يونس بن عبد الأعلى الصدفي، نا ابن وهب، نا يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن أبي سلمة أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، أو فكأنما رآني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي⁽¹⁾.

وقال أبو أسامة: قال أبو قتادة: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: من رآني فقد رأى الحق⁽²⁾.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الإشيلي، نا القاضي أبو بكر يوسف بن القاسم ابن يوسف المينانجي إملاء بمصر، نا محمد بن طاهر بن أبي الدميك، نا سليمان بن الفضل الربذي أبو الفضل، نا عبد الله بن المبارك عن همام عن قتادة عن أنس أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: من حسن عبادة المرء حسن ظنه⁽³⁾.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف الفراء، نا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عطية بن زياد المعروف بابن الحداد إملاء، نا زكريا بن يحيى السجري، ويعرف بخياط السنة، نا أبو مروان العثماني محمد بن عثمان، نا أبي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عثمان وهو عند باب المسجد فقال: يا عثمان هذا جبريل عليه السلام يخبرني أن الله تبارك وتعالى زوجك أم كلثوم على مثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها⁽⁴⁾.

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب القاضي قراءة عليه وأنا سمع، نا أبي القاضي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن الخصيب، نا أحمد بن يحيى الحلواني، نا علي بن جعفر الأحمر، نا عبد السلام عن يونس بن عبيد عن زياد بن

(1) صحيح مسلم 4:1775.

(2) صحيح مسلم 4:1776.

(3) لسان الميزان 3:100.

(4) المعجم الكبير 22:436.

جبير عن سعد قال: قامت إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، امرأة جليلة كأنها من نساء مضر، فقالت: يا رسول الله أنا كل على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا فما الذي يحل لنا من أموالهم: قال: الرطب تأكله وتمدينه⁽¹⁾.

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب، نا أبي عبيد الله بن محمد بن الخصيب إملاء، نا عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب، نا يحيى بن عبد الله بن الضحاك، نا الأوزاعي، وحدثنا الزهري، وحدثنا سعيد بن المسيب، أنه سمع أبا هريرة يقول: قرأ الناس مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في صلاة جههر فيها بالقراءة، فلما قضى صلاته، صلى الله عليه وسلم، أقبل عليهم فقال: هل قرأ معي منكم أحد آنفاً؟ فقالوا: نعم يا رسول الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أقول مالي أنازع القرآن⁽²⁾. قال الزهري: فاتعظ المسلمون بذلك فلم يكونوا يقرأون.

أخبرنا القاضي أبو الحسن الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب، نا أبي، نا الحسن بن علوية القطان، نا إسماعيل بن عيسى العطار، نا إسماعيل بن زكرياء عن سفيان ومسعد، عن زياد بن علاقة، عن يزيد بن الحارث، عن أبي موسى، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: فناء أمتي بالطعن والطاعون. قيل: يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون؟ قال: ونخر أعدائكم من الجن، وفي كل شهداء⁽³⁾.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري، نا أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع المدني، نا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسدي الكوفي، نا علي بن هاشم بن البريد عن عبد الملك بن حميد عن الحكم، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة قال: غزوت مع علي عليه السلام اليمن فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرته فتنقصته، فرأيت وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتغير،

(1) المستدرك على الصحيحين 4: 149.

(2) سنن البيهقي الكبرى 2: 157.

(3) مسند أبي حنيفة 1: 99.

فقال: يا بريدة ألسنتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فإنَّ علياً مولاه^(١).

أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار، نا أبو محمد الحسن بن رشيقي العسكري، نا أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع، نا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسدي الكوفي، نا علي بن هاشم بن البريد عن ابن هلال الراشدي عن قادة عن سعيد ابن المسيب قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سفراً فحلف علياً عليه السلام، فقال: إنك مني بمنزلة هارون من موسى^(٢) إلا أنه لا يوحى إليك.

أخبرنا أبو حازم محمد بن الحسين ابن محمد بن خلف الفراء البغدادي قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد ابن مهدي الدارقطني الحافظ قراءة عليه، نا علي بن عبد الله بن مبشر، نا محمد بن حرب النشائي، نا وكيع عن سفيان ومسعود ح ونا القاضي الحسين بن إسماعيل، نا يعقوب بن إبراهيم وسلم بن جنادة ويوسف بن موسى، قالوا: نا وكيع، نا مشعر بن كدام وسفيان الثوري عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن علي بن ربيعة الوالي عن أسماء بن الحكم الفزاز عن علي ابن أبي طالب، عليه السلام، قال: كنت إذا سمعت من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حديثاً نفعني الله بما شاء، فإذا حدثني عنه غيري استحلفته، فإذا حلف لي صدقته.

وحدثني أبو بكر الصديق، وصدق أبو بكر، أنه قال: ما من عبد يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غفر له.

أخبرنا أبو النعمان تراب بن عمر بن عبيد بن محمد الكاتب قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الحافظ، نا أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي، نا محمد بن يزيد الأدمي، نا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن ابن جريج عن الزهري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عرضت علي أجور أمي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمي فلم أرَ ذنباً أعظم من آية أو سورة أوتيها

(١) المعجم الكبير 202.5.

(٢) المعجم الكبير 146:1.

رجل ثم نسيها⁽¹⁾. قال الدار قطني: هكذا قال الأدمي في هذا الإسناد عن الزهري عن أنس وغيره يرويه عن عبد المجيد عن ابن جريج عن المطلب ابن عبد الله بن حنطب عن أنس وهو الصواب.

أخبرنا أبو النعمان تراب بن عمر بن عبيد الكاتب إملاء، حدثنا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الحافظ إملاء بمصر، نا أبو بكر أحمد بن نصر يعرف بمحبشون البندار، نا إبراهيم بن الأدمي، نا داوود بن مهران، نا عمر بن يزيد عن أبي إسحاق عن عبد خير، نا علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت أبا بكر الصديق وهو الصدوق، يقول: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: ما من عبد أذنب ذنباً فقام فتوضأ فأحسن الوضوء، وقام فصلى ركعتين ثم استغفر الله تبارك وتعالى إلا كان حقاً على الله أن يغفر له⁽²⁾. قال: فجعل ينادي بها على المنبر صدق أبو بكر صدق أبو بكر، فإن الله يقول: (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً)⁽³⁾.

أخبرنا أبو الفرج عبيد الله بن محمد النحوي قراءة عليه وأنا أسمع في المسجد الأقصى، نا أبو أحمد محمد بن محمد بن عبد الرحيم القيسراني سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، نا محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي بقيسارية في رجب سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، نا علي بن حرب، نا أسباط بن محمد، نا سليمان التميمي عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن منكم قوماً يتعبدون حتى يعجب الناس وتعجبهم أنفسهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية⁽⁴⁾.

أخبرنا أبو الفرج عبيد الله بن محمد النحوي قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو أحمد محمد بن محمد بن عبد الرحيم القيسراني، نا محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي، نا أبو بدر عباد بن الوليد الغبري، نا أبو عمر الحوضي، نا عبد الحكم بن ذكوان عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر البرية عند الله منزلة يوم القيامة من أذهب آخرته بدنيا غيره.

(1) المعجم الأوسط 308:6.

(2) الرياض النضرة 160:2.

(3) النساء: 110.

(4) الأحاديث المختارة 18:7.

أخبرنا أبو الفرج عبيد الله بن محمد النحوي، نا أبو أحمد محمد بن محمد بن عبد الرحيم القيسراني، نا محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي، نا إبراهيم بن الجنيد، نا سعيد ابن أبي مریم، نا نافع بن يزيد، حدثني عياش بن عباس القتابي عن عيسى بن عبد الرحيم، عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرج عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إلى مسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإذا هو بمعاذ بن جبل يكي عند قبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال له: ما يُكيك يا معاذ؟ قال: يكييني شيء سمعته من صاحب هذا القبر. قال: وما هو؟ قال: سمعته يقول: يصير الرياء شركا، وأن من عادى أولياء الله قد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يُفتقدوا، وإن حضروا لم يدعوا لم يقربوا، قلوبهم مصايح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة⁽¹⁾.

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل بن أسد المقرئ قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني الحافظ، إملاء، نا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، نا علي بن الجعد بن عبيد الجوهري، نا الفضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تبارك وتعالى طيب ولا يقبل إلا طيباً، وإن الله عز وجل أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً)⁽²⁾، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم)⁽³⁾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر يمد يده إلى السماء: يا رب يا رب أشعت أغبر، مطعمه حرام، ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذي بحرام، فأني يستجاب لذلك⁽⁴⁾.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد المالكي قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو الحسن شعبة بن الفضل بن سعيد التغلبي البغدادي قراءة عليه في الجامع، نا خلف بن عمرو العكري، نا المعلى بن مهدي الموصلي، نا عمران بن خلد الخزاعي، نا ثابت عن أنس قال: دخل سلمان على عمر بن الخطاب رضي

(1) تهذيب الكمال 628:22.

(2) المؤمنون: 51.

(3) البقرة: 172.

(4) صحيح مسلم 703:2.

الله عنه وهو متكئ على وسادة فألقاها إلي ثم قال: يا سلمان ما من مسلم يدخل على أخيه فيلقي له وساد إكراماً له إلا غفر الله له^(١).

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد المالكي، أنا أبو الحسن شعبة بن الفضل بن سعيد التغلبي البغدادي، نا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، نا علي بن المديني، نا حاتم بن إسماعيل عن ابن مجمع عن أبي الزبير عن علقمة بن سفيان الثقفي قال: قال أبو أيوب سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: من توضأ كما أمر وصلى كما أمر غفر له ما تقدم من ذنبه^(٢).

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد بن عبيد الله العسقلاني قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو بكر محمد بن أحمد الحنلري المقرئ بعسقلان، أنا أبو محمد عبد الله بن أبان بن شداد قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري، نا عمرو بن بكر السكسكي عن إبراهيم بن أبي غيلة قال: سمعت أبا أبي بن أم حرام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بالسنا والسنوات^(٣)، فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام. قالوا: يا رسول الله: وما السام؟ قال: الموت^(٤). قال أبو الدرداء: لعمرى وما السنوات؟ قال في غريب كلام العرب: وفي عكة السمن تعصر فتخرج خطوطاً سوداً مع السمن، وقال الشاعر:

[طويل]

هم السمن بالسنوات لا السمن فيهم وهم يمنعون الجار أن يتقرد^(٥)
قلنا: ما السمن فيهم؟ قال: لا عسر فيهم. قلنا: ما يتقرد؟ قال: لا يذل
جارهم. قال الشاعر:

[طويل]

وجاءت به شكلاء ذات أسرة يكاد عليها ربة النحر تكمدُ

(١) المعجم الأوسط 2: 160.

(٢) سنن النسائي 1: 90.

(٣) السنوات: قيل هو العسل، وقيل الرب، وقيل الكمون: لسان العرب: سنت.

(٤) المستدرك على الصحيحين 4: 224.

(٥) البيت للحصين بن القعقاع: لسان العرب: سنت.

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب القاضي قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبي القاضي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن الخصيب إملاء، نا أحمد بن الحسن بن أحمد الحذاء، نا أحمد ابن إبراهيم: حدثني أبو الوليد خلف بن الوليد، نا المحاربي عن بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن الحسن قال: قراء القرآن ثلاثة: رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس، وقوم قرأوا القرآن حروفه^(١) وضيعوا حدوده، واستدروا به الولاة، واستطالوا به على أهل بلادهم، فقد كثر هؤلاء الضرب في حملة القرآن لا كثرهم الله، ورجل قرأ القرآن فبدأ بدواء القرآن فوضعه على داء قلبه، فسهر ليله، وهملت عيناه، تسربلوا بالحزن وارتدوا بالخشوع، ركدوا في محاربهم وحثوا برانسهم فبهم يسقي الله الغيث ويتزل النصر ويرفع البلاء، والله لهذا الضرب في حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر^(٢).

أخبرنا الخصيب ابن عبد الله بن محمد بن الخصيب، نا أبي، نا أحمد بن الحسين بن نصر، نا أحمد بن إبراهيم، حدثني أبو النضر عن الأشجعي عن سفيان عن عمران المنقري قال: سألت الحسن عن مسألة قال: فلما أجاب قلت: إن بعض هؤلاء الفقهاء يقول فيها غير هذا. فقال: وهل رأيت فقيها يعيك، إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة، البصير لدينه، المداوم على عبادة ربه.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزاز قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن أحمد بن وهذاذ بن قهران قراءة عليه يوم الاثنين سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، نا محمد بن زكريا الغلاي، نا عبد الله بن الضحاك الهدادي، نا الهيثم بن عدي قال: أوتي الحجاج بن يوسف برجل من الخوارج فأدخل عليه والحجاج يتغذى، فجعل الخارجى ينظر إلى حيطانه وما قد نجد، فجعل يقول: اللهم اهدم، اللهم اهدم، اللهم اهدم. فقال له الحجاج: هيه، كأنك لا تدري ما يراد بك؟ فقال الخارجى: هيه، نزع الله ماضيك وما عليك لو دعوتني إلى طعامك، أما أن فيك ثلاث خلال مما نعت الله به عادة فقال: (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين)^(٣)، فامتلاً

(١) ساقط من ط.

(٢) شعب الإيمان 532:2

(٣) الشعراء: 128 - 130.

الحجاج غيظاً فأمر بقتله فأخرجوه الحراس^(١) إلى الرحبة ليقتلوه، فقال لهم: دعوني أتمثل بثلاثة أبيات. فقالوا: تمثل بما شئت، فأنشأ يقول:

[منسرح]

ما رغبةُ النفس في الحياة وإن عاشت طويلاً فالموت لاحقها
قد أيقنت أنها تعود كما كان براها بالأمس خالقها
ألا تمت غبطة تمت هرماً للموت كأس والمرء ذائقها

ثم مد عنقه فضربت، فانصرف قاتلوه إلى الحجاج فأخبروه، فقال: لله دره ما كان أصرمه في حياته وعند وفاته.

هـ ما انتقيته من الأجزاء المتقدمة تبركا بلفظها، واغتفرت طولها لفائدتها، وقد اقتديت في الإكثار من النقل من هذا الكتاب بإمام المرتحلين وشيخ المحدثين، الشيخ محمد بن رشيد السبتي في رحلته المسماة بملء العيبة بما جمع من طول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة^(٢)، وقد أكثر فيها من الفوائد، خصوصاً من هذا الكتاب، فرمما ينقل الجزء بكماله تكثيراً للفائدة، وقد علمت أن الناظر فيما كتبت لا يسأم من مطالعته هذه الأحاديث وأمثالها من الفوائد، إلا أن يكون ممن قصده الإسمار من الجهلة الأغمار، ولا عبرة بهم عند العلماء المحصلين.

ومما رويته عنه وكتبته من خطه رسالة الإمام أبي القاسم القشيري المسماة بشكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة^(٣)، وهي غريبة ذكر فيها أشياء مما نسبته أهل البدعة للإمام الأشعري. أخبرني بها بسنده إلى ابن حجر عن الزين العراقي عن أبي محمد المقدسي العطار قال: أخبرنا الفخر بن النجاري عن ابن الفاخر قال: أنا زاهد بن طاهر السحامي قال: أنا أبو القاسم القشيري قال: الحمد لله الجمل في بلائه، الجزل في إعطائه، العدل في قضائه، المكرم لأوليائه، المنتقم من أعدائه، الناصر لدينه بإيضاح الحق وتبيينه، المبين للإفك وأهله، المسحق للباطل من أصله، فاضح البدع بلسان العلماء، وكاشف الشبه ببيان الحكماء، ومهمّل الغواية حيناً غير مهمّلهم، ومجازي كل غدا على مقتضى عملهم. نحمده على ما عرفنا من

(١) في ط: الحرم.

(٢) أنظر: ملء العيبة 381 - 393.

(٣) وردت هذه الرسالة في: طبقات الشافعية الكبرى، الجزء الرابع، ص: 400 وما بعدها.

توحيد، ونسترفقه على أداء ما كلفنا من رعاية حدوده، ونستعصمه من الخطأ والخطل والزيف والزلل في القول والعمل، ونسأله أن يُصَلِّيَ على سيدنا محمد المصطفى وعلى أهله مصاييح الدجى وأصحابه أئمة الورى. هذه قصة سميناها شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة بخبر عن بثة مكروب ونقثة مغلوب، وشرع ملهم مو لم، وذكر مهم موهم، وبيان خطب فادح، ونشر سافح للقلوب جارح، رفعها عبد الكريم بن هوازن رحمه الله، إلى العلماء الأعلام لجميع بلاد الإسلام. أما بعد: فإن الله تعالى إذا أراد أمراً قلَّره، فمن ذا الذي يمسك ما يسره، أو يقدم ما أخره، أو يعارض حكمه بغيره، أو يغالبه على أمره بقهره، كلا، بل هو الله الواحد القهار الماجد الجبار. ومما ظهر ببلاد نيسابور من قضايا التقدير في مسلخ سنة خمس وأربعين وأربعمائة من الهجرة ما دعا أهل الدين إلى شق صدر صبرهم وكشف قناع ضيرهم، بل ظلمة الملة الحنيفية تشكو غلبها وتبدي عويلها، وتنصب عوالي رحمة الله تعالى على من يستمع شكواها، وتصغى ملائكة السماء حين يندب شجوها، ذلك مما أحدث من لعن إمام الدين، وسراج ذوي اليقين، محي السنة، وقامع البدعة، وناصر الحق، وناصر الخلق، الزكي الرضي، أبي الحسن الأشعري قدس الله روحه، وسقى بالرحمة ضريحه، وهو الذي دب عن الدين بأوضح حجج، وسلك في قمع المعتزلة وسائر أنواع المبتدعة أبين منهج، واستفرغ عمره في النصح عن الحق، وأورث المسلمين بعد وفاته كتب الشهادة بالصدق. وسمعت الأستاذ الشهير أبا علي الحسن بن علي الدقاق، رحمه الله، تعالى يقول: سمعت أبا علي زاهر بن أحمد الفقيه، رحمه الله، يقول: مات أبو الحسن الأشعري رحمه الله عليه ورأسه في حجري، وكان يقول في حال نزعه^(١) من داخل حلقه، فأدنيته إليه رأسي وأصغيت إلى ما كان يقرع سمعي، فإذا هو يقول: لعن الله المعتزلة موهوا وغرقوا، وإنما كان أبو الحسن الأشعري، رحمه الله تعالى، يتكلم في أصول الدين على جهة الرد على أهل الزيغ والبدع تأدياً لما أوجبه الله سبحانه على العلماء من النصح في الدين وكشف تمويه الملحدين والمبتدعين، ولما من الله الكريم على أهل السنة بركاب السلطان المعظم المحكم في رقاب الأمم، الملك الأجل، شاهنشاه ظفرلنك السلجوقي^(٢)، وقام بإحياء السنة والمناضلة عن الملة، حتى لم يبق

(١) في ط: نزاعه.

(٢) شاهنشاه بن نجم الدين أيوب، أخو السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى، قتل شاهنشاه المذكور في الواقعة التي اجتمع فيها الفرنج سبعمائة ألف ما بين فارس وراجل على ما يقال وتقدموا إلى باب دمشق

من أصناف المبتدعة حزبا إلا سل لاستتصاهاهم سيفا عضبا، حرجت صدور أهل الزيف عن محمل هذه النقم، وضاق صدورهم مقاساة هذا الألم، ومنوا بلعن أنفسهم على رؤوس الأشهاد بألستهم، و(ضاقت عليهم الأرض بما رحبت)⁽¹⁾ بانفرادهم الوقوع في مهواة محتهم، فسولت لهم أنفسهم أمرا وظنوا أنهم بنوع تلبيس وضرب تدليس يجلون لعسرهم يسرا، فسعوا إلى عالي مجالس السلطان المعظم بنوع نيمة، ونسبوا الأشعري إلى مذاهب ذميمة، وحكوا عنه مقالات لا يوجد في كتبه منها حرف، بث في المقالات المصنفة للمتكلمين الموافقين والمخالفين من وقت الأوائل إلى زماننا هذا المنشي منها حكاية ولا وصفا، بل كان ذلك تصوير بتزوير، وبهتان بغير تقرير: وإن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت⁽²⁾.

قال: ولما رفعنا إلى المجلس العلي هذه الظلامة، وكشفنا قناع هذه الخطبة، وذكرنا أن هذه المقالات لم تسمع من السنة الزمرة، ولم توجد في كتبهم من هذه الجملة، ورجونا منه لهذه الظلامة نقض بنيانها وإبطال بطلانها، كان الجواب بغير ما أردنا وعما رجونا وأملنا، صددنا، إلى أن قال: ثم انصرفنا وما نقموا من الأشعري، إلا أنه قال بإثبات القدر لله خير وشره، ونفعه وضره، وإثبات صفات الجلال له من قدرته وعلمه وإرادته وحياته وبقائه وسمعه وبصره وكلامه ووجهه ويده، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه تعالى موجود تجوز رؤيته، وأن إرادته نافذة في مراداته، وما لا يخفى من مسائل الأصول التي يخالف طريقه المعتزلة والمجسمة فيها، وإذا لم يكن في مسألة لأهل القبلة غير قول المعتزلة وقول الأشعري، فإذا بطل قول الأشعري فهل تتعين بالصحة لقول المعتزلة، وإذا بطل القولان فهل هذا إلا تصريح بأن الحق مع غير أهل معاشر المسلمين، الغياث الغياث، سعوا في إبطال الدين، ورأوا هدم قواعد المسلمين، وهيئات هيئات (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره)⁽³⁾ وقد وعد الله الحق نصره وظهوره، والباطل محقه وثبوره، إلا أن كتب الأشعري في الآفاق منشورة، ومذاهبه عند أهل

وعزموا على قصد بلاد المسلمين قاطبة ونصره الله سبحانه وتعالى عليهم، وكان قتله في شهر ربيع الأول سنة 543هـ: وفيات الأعيان 2: 452.

(1) التوبة: 118.

(2) صحيح البخاري 3: 1284.

(3) التوبة: 32.

السنة من الفريقين معروفة مشهورة، فمن وصفه بالبدعة علم أنه غير محق في دعواه، وجميع أهل السنة خصمه فيما افتراه، فأما ما حكى عنه وعن أصحابه أنهم يقولون أن محمداً، صلى الله عليه وسلم، ليس بنبي في قبره ولا رسول بعد موته، فبهتان عظيم، وكذب محض لم ينطق به أحد منهم ولا سمع في مجلس مناظرة ذلك عنهم ولا وجد في كتب لهم، كيف يصح ذلك وعندهم أن محمداً، صلى الله عليه وسلم، حي في قبره. قال الله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله^(١) الآية. فأخبر سبحانه أن الشهداء أحياء عند ربهم، والأنبياء أولى بذلك لتقاصر رتبة الكافة عن درجة النبوة. قال الله تعالى: (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء)^(٢). فرتبة الشهداء^(٣) ثالث درجة النبوة. ولقد وردت الأخبار الصحيحة والآثار المروية بما يدل على هذه الجملة، فمن ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: إن الله تعالى ملائكة سياحين في الأرض تبلغني عن أمي السلام^(٤)، ولا تبلغ^(٥) السلام إلا لمن كان حياً. ومنها ما روي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من نبي يموت فيقوم من قبره إلا أربعين صباحاً حتى يرد الله إليه روحه. ومنها عن أبي هريرة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام^(٦)، دل الخبر على أن الميت لا يعلم متى يرد الله عليه الروح، ودل على أن النبي، صلى الله عليه وسلم، حي في قبره.

ومنها عن أبي هريرة عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي غائباً بلغني. ومنها عن أنس بن مالك أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: أتيت على موسى ليلة أسري بي عند الكتيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره. ومنها حديث الإسراء ومروره بالأنبياء في السماوات وخطابهم إياه. ومنها ما رواه ابن قتيبة عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون، فإذا ثبت أن نبينا، صلى الله عليه وسلم، حي، فالحي لا بد أن يكون إما عالماً أو جاهلاً، ولا يجوز أن

(١) آل عمران: 169.

(٢) النساء: 69.

(٣) في ط: الشهادة.

(٤) الترغيب والترهيب 2: 326.

(٥) في ط: يبلغ.

(٦) مسند أحمد 2: 527.

يكون النبي، صلى الله عليه وسلم، جاهلاً لقوله تعالى في صفته: (ما ضل صاحبكم وما غوى)^(١). وقال: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه)^(٢)، فثبت أنه مؤمن، ورتبة النبوة رتبة الشرف وعلو المترلة، وهو، صلى الله عليه وسلم، يزداد كل يوم شرفاً ورتبة إلى الأبد، فكيف لا يكون عارفاً ولا نبياً، والرسول فعول، بمعنى المرسل، ولا نظير له في اللغة، والأرسال كلام الله، وكلامه قديم، وهو قبل أن خلق كان رسولاً بأرسال الله، وفي حالة النوع، وإلى الأبد رسول لبقاء كلامه وقدم قوله واستحالة البطلان على أرساله الذي هو كلامه. ولقد سئل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقيل له: متى كنت نبياً؟ فقال: وآدم منجدل تحت طينته^(٣). وقال، صلى الله عليه وسلم، إني لخاتم النبيين وإن آدم سجد لي في طينته، فإن قيل: فأين وقعت هذه المسألة ولم يكن لها أصل؟ قيل إن بعض الكرامية ملأ الله قبره ناراً، وظني أن الله قد فعل ألزم بعض أصحابنا. وقال: إذا كان عندكم الميت في حال موته لا يحس ولا يعلم، فيجب أن يكون، صلى الله عليه وسلم، في قبره غير مومن لأن الإيمان عندنا المعرفة والتصديق، والموت ينافي ذلك، ومن لا يكون مومن لا يكون نبياً، وما ألزموه باطل، لأن عندنا أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حي يحس ويعلم وتعرض عليه أعمال أمته، ويبلغه الصلاة والسلام على ما بينا، ثم الأشعري لا يختص بقوله إن الميت لا يحس ولا يعلم، بل جميع الطوائف ما عدا الكرامية عليه، وجواب الأشعري كجواب جميع الناس، وأما ما قالوه من أنه يقول أن الله لا يجازي المطيعين على إيمانهم وطاعتهم ولا يعذب الكفار والعصاة على كفرهم ومعاصيهم، فذلك أيضاً بهتان، وكيف يصح من قول أحد يقر بالقرآن، وأن الله يقول: (جزاء بما كانوا يعلمون) (جزيناهم بما كفروا)^(٤) (جزاء من ربك عطاء حساباً)^(٥) (كذلك نجزي من شكر)^(٦) وغير ذلك من الآيات، وليس الخلاف في ذلك، وإنما الخلاف في أنه هل يجب على الله أن يثيب المطيعين وأن يعذب العصاة حتى تكون الطاعة والمعصية علتين في استحقاق الثواب والعقاب كما يقول المعتزلة، أو لا يجب شيء من ذلك، وهو مذهب أهل السنة، لأن الخلق

(١) النجم: ٢.

(٢) البقرة: ٢٨٥.

(٣) المعجم الكبير ٣٥٣: ٢٠، وفيه: وآدم بين الروح والجسد.

(٤) مابأ: ١٧.

(٥) النبأ: ٣٦.

(٦) القمر: ٣٥.

خلقه، والمملك ملكه، والحكم حكمه، فله أن يتصرف كيف شاء، (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)^(١) وقد وعد المؤمنين الجنة، وقوله صدق فلا محالة أنه يجازيهم، فالمطيعون لا محالة لهم جزاء الطاعة، ولكن بفضل الله عليهم لا باستحقاقهم، والعاصون لا محالة لهم ما توعدهم به ولكن بعدله لا باستحقاقهم، فالطاعات والمعاصي علامة للثواب والعقاب بلا علل ولا موجبات. قال الله تعالى حكاية عن أهل الجنة (الذي أحلنا دار المقامة من فضله)^(٢). وقال: (لولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبداً)^(٣). وقال: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً)^(٤). وقال: (لو شئنا لآتينا كل نفس هداها)^(٥). وقال: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)^(٦) الآية. وروينا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس أحدكم ينجي عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته منه ومغفرة. وهذه المسألة من شعب مسألة القدر، وأهل الحق لا يقولون بوجوب شيء على الله، ويقولون: الله أن يحكم على عباده بما يريد ويخص من شاء بما شاء. ولقد روى ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب فقلت: إنه وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله أن يذهب^(٧) من قلبي. فقال: لو أن الله، عز وجل، عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً من أعماهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبل الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، ولو مت على غير هذا دخلت النار. ثم لقيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، ثم لقيت حذيفة فقال مثل ذلك، ثم لقيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي، صلى الله عليه وسلم، بمثل ذلك. وروينا عن حذيفة قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: سيكون قوم يقولون لا قدر، أولئك مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، فإنهم شيعة

(١) الأنبياء: ٢٣.

(٢) فاطر: ٣٥.

(٣) النور: ٢١.

(٤) يونس: ٩٩.

(٥) السجدة: ١٣.

(٦) الأنعام: ١٢٥.

(٧) في ط: يؤتيه.

الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بهم⁽¹⁾. وأما ما يقولون عن الأشعري أن مذهبه أن موسى عليه السلام لم يسمع كلام الله، فسبحان الله، كيف لا يستحي من يأتي بمثل هذا البهتان الذي يشهد بتكذيبه كل مخالف وموافق، إذ حد ما يجوز أن يسمع عند الأشعري هو الموجود، وكلام الله موجود قديم، وكيف يقول لا يجوز والله يقول: (وكلم الله موسى تكليماً)⁽²⁾، وإنما هذا على مذهب القدرية القائلين إن كلامه مخلوق في الشجر، فلزمهم أن موسى سمع كلام الشجرة لا كلام الله، وهذا كما يقال في المثل: رمتني بدائها وانسلت. ومن نسب إلى أحد قولاً لم يسمعه منه ولا حكى له عنه ولا وجد في كتبه ولا قاله أحد من أصحابه ولا وجد في كتب المقالات لموافق ولا مخالف علم أنه بهتان وكذب، وقد قال تعالى: (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا)⁽³⁾ الآية. وأما ما قالوا أن مذهبه أن القرآن لم يكن بين الدفتين فهذا أيضاً تشنيع فظيع وتلييس على العوام، فإن الأشعري وكل مسلم غير مبتدع يقول إن القرآن كلام الله، وهو على الحقيقة مكتوب في المصاحف لا على الجواز، قديم غير مخلوق، ولم يزل ولا يزال، ولا يجوز انفصاله عن ذات الله تعالى ولا الحلول في المحال، وكونه مكتوباً على الحقيقة في الكتاب لا يقتضي حلوله فيه ولا انفصاله عن المتكلم، قال الله تعالى: (الذي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل)⁽⁴⁾، فالنبي، صلى الله عليه وسلم، على الحقيقة في التوراة والإنجيل، وكذلك القرآن، مكتوب على الحقيقة في المصاحف، كما أن الله تعالى على الحقيقة لا على الجواز معبود في مساجدنا، معلوم في قلوبنا، مذكور بألسنتنا، وهذا⁽⁵⁾ واضح بحمد الله، ومن زاغ عن هذه الطريقة فهو قدرى ومعتزلى يقول بخلق القرآن، وأما ما قالوه أنه يقول بتكفير العوام، فهو أيضاً كذب وزور، وهو أيضاً من تلييسات الكرامية على العوام؛ فإنهم يقولون الإيمان هو الإقرار المجرد، ولا فرق بين المؤمن والكافر إلا بالإقرار، وغير من أهل القبلة يقول: الإيمان هو جميع الطاعات، فرضها ونفلها، والانتها عن جميع ما نهى الله عنه تحريماً

(1) ورد الحديث في المعجم الأوسط بصيغة: حدثنا أبو مسلم قال: حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب الحنبل، قال: حدثنا زكريا بن منظور قال: حدثنا أبو حازم عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعذبوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم: المعجم الأوسط 65:3.

(2) النساء: 164.

(3) النور: 16.

(4) الأعراف: 157.

(5) في ط: وهو.

وتتريها، وهذا مذهب أصحاب الحديث. وعند الأشعري: الإيمان هو التصديق، وهو مذهب أبي حنيفة، رضي الله عنه، والظن بجميع عوام المسلمين أنهم يصدقون الله تعالى في أخباره، وأنهم عارفون بالله مستدلون عليه بآياته، فأما ما تنطوي عليه العقائد ويستكن في القلوب من اليقين والشك فالله تعالى أعلم به. فإن قيل: فقد قال الله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن)⁽¹⁾ الآية. فمن أقر حكم بإيمانه فعلم أن الإقرار هو الإيمان، قيل: هذا لا يختص الأشعري بجوابه، بل هو وغيره فيه أسوة. فالجواب أنا نحكم في الظاهر بإيمانه، والله أعلم بحقيقة حاله، وهذا كقوله: (ولا تقربوهن حتى يطهرن)⁽²⁾ فإذا قالت طهرت جاز قربها، وإن كانت في نفس الأمر على خلاف ذلك، فإن قالوا: الأشعري يقول إن العوام إذا لم يعلموا علم الكلام فهم أصحاب تقليد فليسوا بمؤمنين. قيل: هذا أيضاً تليس، فإن الأشعري لا يشترط في صحة الإيمان ما قالوا، بل هو كجميع أهل التحصيل من أهل القبلة يقولون: يجب على المكلف أن يعرف الصانع المعبود بدلائله التي نصبها على توحيد، وليس المقصود استعمال ألفاظ المتكلمين من الجوهر والعرض، وإنما المقصود حصول النظر والاستدلال المؤدي إلى معرفة الله عز وجل، وإنما يستعمل المتكلمون هذه الألفاظ على سبيل التقريب والتسهيل والسلف الصالح وإن لم يستعملوها لم يكن في معارفهم خلل، والمستعملون ليس بينهم وبين السلف مباينة في الحق، ولا ما استعملوه بدعة في الدين، وهذا كاصطلاح الفقهاء على ألفاظ مثل: العلة والمعلول والقياس وغيره، واصطلاح النحاة وأهل التصريف وغيرهم. فإن قيل: إن الاشتغال بعلم الكلام بدعة ومخالفة لطريقة المسلمين. قيل: لا يختص الأشعري بهذا دون غيره من متكلمي أهل القبلة، ثم الاسترواح إلى مثل هذا الكلام صفة الحشوية الذين لا تفصيل لهم، وكيف يظن بسلف الأمة أنهم لم يسلكوا سبيل النظر وأنهم رضوا بالتقليد، حاشى أن يكون ذلك وصفهم. وبالجمل لا يجحد علم الكلام إلا أحد رجلين: جاهل ركن إلى التقليد وشق عليه سلوك طريق⁽³⁾ أهل التحصيل وخلا عن طرق أهل النظر، والناس أعداء ما جهلوا، أو رجل يعتقد مذاهب فاسدة فينطوي على بدع خفية يلبس على الناس عوار مذهبه ويعمي عليهم فضائح عقيدته. هـ باختصار.

(1) البقرة: 221.

(2) البقرة: 222.

(3) ساقط من ط.

ومنها قصيدة: ما شأن أم المؤمنين وشأني، لأبي عمران موسى بن محمد بن عبد الله الواعظ الأندلسي في فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، سمعتها عليه بكمالها، وأخبرني بها بسنده المعروف إلى شيخ الإسلام زكرياء عن ابن الفرات عن العز بن جماعة، أنا أبو عبد الله محمد بن أبي الحرم المكي السمسار سمعاً، أنا الحافظ الرشيد أبو الحسن يحيى بن علي القرشي عرف القطان عن ناظمها إجازة، (قال رضي الله عنه)^(١):

[كامل]

ما شأن أم المؤمنين وشأني	هُدَيَ المُحِبِّ لَهَا وَضَلَّ الشَّانِي ^(٢)
إني أقولُ مُبيناً عن فضلها	ومترجماً عن قولها بلساني
يا مبغضي لا تأتِ قبرَ مُحَمَّد	فأليبتُ بيتي والمكانُ مكاني
إني خصصت على نساء محمد	بصفات بر تحتهن معاني
وسبقتهن إلى الفضائل كلها	فالسبقُ سبقي والعنانُ عناني
مرض النبي وماتَ بين ترائي	فاليوم يومي والزمانُ زماني
زوجي رسول الله لم أرَ غيره	الله زوجني به وحباني
وأناه جبريلُ الأمين بصورتي	وأحبني المختارُ حين رأني
أنا بكره العذراء عندي سره	وضجعه في مـترلي قمـران
وتكلم الله العظيم بحجتي	وبراءتي في مُحكم القرآن
والله خفّرني وعَظّم حرمتي	وعلى لسان نبيه برّاني
والله في القرآن قد لعن الذي	بعد البراءة بالقبيح رَماني
والله وبّخ من أراد تنقصي	إفكاً، وسبح نفسه في شاني
إني نَحْصنة الإزار بريئة	ودليل حسن طهارتي إحصاني

(١) زيادة من ط.

(٢) قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب الصديقة عائشة رضي الله عنها، ص: 63.

والله أحصني بخاتم رساله
وسمعتُ وحي الله عند محمد
يوحي إليه وكنت تحت ثيابه
من ذا يفاخرني وينكر صحبتي
وأخذتُ عن أبوي دين محمد
وأبي أقام الدين بعد محمد
والفخرُ فخري والخلافة في أبي
وأنا ابنة الصديق صاحب أحد
نصر النبي بماله وفعاله
وجنى العنى حتى تخلل بالعبا
وتخللت معه ملائكة السما
وهو الذي لم يخش لومة لائم
قتل الألى منعوا الزكاة بكفرهم
سبق الصحابة والقراصة للهدى
والله ما استبقوا النيل فضيلة
إلا وطار أبي عليائها
ويل لعبد خان آل محمد
طوبى لمن والى جماعة صحبه
بين الصحابة والقراصة ألفة
هم كالأصابع في الدين توأصلا

وأدل أهل الإفك والبهتان
من جبريل ونوره يغشاني
فجئنا علي بثوبه وخباني
ومحمد في حجره رباني
وهما على الإسلام مصطحبان
فالنصلُ نصلي والسنان سناني
حسي بهذا مفخرا وكفاني
وحبيبه في السر والإعلان
وخروجه معه من الأوطان
زهدا وأذعن أئمة إذعان
وأنته بشرى الله بالرضوان
في قتل أهل البغي والعدوان
وأذل أهل الكفر والطغيان
هو شيخهم في الفضل والإحسان
مثل استباق الخيل يوم رهان
فمكانه منها أجل مكان
بعداوة الأزواج والأختان
ويكون من أحبابه الحسان
لا تستحيل بترغاة الشيطان
هل يستوي كفٌ بغير بنان

وقلوبهم مُلئت من الأضغان
من ملة الإسلام فيه اثنان
فبناؤها من أثبت البيان
ليغيب كل مُناق طعان
وخلت قلوبهم من الشنان
وسببهم سبب إلى الحرمان
واستبدلوا من خوفهم بأمان
من ذا يطيق له على خذلان
إن كان صان محبتي ورعاني
فكلاهما في البُغض مستويان
ونساء أحمد أطيب النسوان
حي فسوف يبوء بالخُسران
وإلى الصراط المستقيم هداي
ويهيئ ربي من أراد هواني
وحدثه شكرًا لما أولاني
يرجو بذلك رحمة الرحمن
عنا فتسلب حلى الإيمان
إني والذي ذلت له الثقلان
محفوظة بالروح^(١) والريحان

حصرت صدور الكافرين بوالدي
حبا لبتول وعلها لم يختلف
نسجت مودتهم سدا في لحمه
الله ألف بين ود قلوبهم
رحماء بينهم صفت أخلاقهم
فدخلهم بين الأحبة كلفة
جمع الإله المسلمين على أبي
وإذا أراد الله نُصرة عبده
من حبي فليجنب من سبني
وإذا محي قد أَلِظ بمبغضي
إني لطيفة خلقت لطيب
إني لأُم المؤمنين فمن أبى
الله حبني لقلب نبيه
والله يكرم من أراد كرامتي
والله أسأله زيادة فضله
يا من يلوذُ بأهل بيتِ مُحَمَّد
صل أمهات المؤمنين ولا تُحد
إني لصادقة المقال كريمة
خُذها إليك فإنما هي روضة

(١) في الأصل: الراح، والصواب من نص القصيدة المطبوع.

صلى الإله على النبي وآله فيهم نشتم أزهراً البستان

انتهت القصيدة في مدح أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، وإنما أثبتتها
بكمالها لحسنها وغرابتها.

وسمعت منه أيضاً بلفظي الأحاديث الدالة على الخصال المكفرة لما تقدم أو
تأخر من الذنوب، جمع الإمام ابن حجر في جزئه المسمى بالخصال المكفرة
للذنوب المتقدمة والمتأخرة، رويتها عنه محذوفة الأسانيد بعد أن كتبتها من خطه،
واتفق لي فيها اتفاق عجيب وأمر غريب، اغتبطت به اغتباطاً كثيراً وحمدتُ الله
عليها حمداً أثيراً، وذلك أني قرأتها بلفظها على شيخنا أبي مهدي وكلانا محرم
بالحج والعمرة يوم عرفة بعرفة، وكنت تحينت ذلك الوقت وذلك المكان رجاء أن
يغفر الله لي وله المتقدم والمتأخر من ذنوبنا فإنه لا يتعاضد شيء سيمًا في الوقت
الذي تنصب فيه رحمته انصباباً، وتنكب الخلائق على موائد أفضاله انكباباً، وتوسع
الأطماع، وتمتلئ بالتضرع إلى الله الأسماع، والله يحقق رجاءنا فيه، فإنه الكريم
الذي لا يخيب راجيه، ولنذكر الأحاديث بتمامها تبركاً، محذوفة الأسانيد كما
رويتها، فأقول: أخبرني شيخنا بسنده إلى الحافظ ابن حجر بسنده إلى حمدان بن
أبان مولى عثمان بن عفان قال: دعا عثمان بماء فأكثر ترداد الماء على وجهه
ويديه، فقلت: حسبك قد أسبغت الوضوء والليلة شديدة البرد، فقال: صب فيني
سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: لا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ومسنده.

وأخرج أبو عوانة في مستخرجه على مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سمع المؤذن فقال أشهد أن لا إله إلا الله،
رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وفي رواية رسولاً، غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر. فقال له رجل: يا سعد: ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال:
هكذا سمعته من رسول الله، صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾. وأخرج أبو داود أن رسول
الله، صلى الله عليه وسلم، قال للعباس بن عبد المطلب: يا عباس، ألا
أعطيك، ألا أمنحك، ألا أحبك، ألا أفعل بك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك
غفر الله لك ذنبك أوله وآخره، خطأه وعمده، صغيره وكبيره، سره وعلايته: أن

(1) مسند أبي عوانة 1: 284.

تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القراءة في أول كل ركعة وأنت قائم قلت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشراً، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً، ثم تهوي ساجداً فتقولها عشراً، ثم تسجد فتقولها عشراً، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً، فذلك خمس وسبعون مرة في كل ركعة، تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصلها في كل يوم مرة فافعل^(١)، فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة، هـ.

وأخرج ابن وهب في مصنفه عن أبي هريرة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: إذا أمن الإمام فأمنوا، فإن الملائكة تؤمن، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(٢).

وأخرج آدم بن أبي ياسر في كتاب الثواب له عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صلى سبحة الضحى ركعتين إيماناً واحتساباً كتب الله له بها مائتي حسنة، ومحا عنه مائتي سيئة، ورفع له مائة درجة، أو مائتي درجة، وغفر له ذنوبه كلها ما تقدم وتأخر إلا القصاص^(٣).

وأخرج أبو عبد الرحمن السلمي عن أنس، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: من قرأ إذا سلم يوم الجمعة قبل أن يثني رجله فاتحة الكتاب و(قل هو الله أحد)، و(قل أعوذ برب الفلق)، و(قل أعوذ برب الناس)، سبعاً سبعاً، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأعطى من الأجر بعدد كل من آمن بالله واليوم الآخر، وفي إسناده ضعف شديد جداً^(٤).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(٥).

(١) المعجم الكبير 243:11.

(٢) صحيح مسلم 307:1.

(٣) تنوير الحوالك 85:1.

(٤) فيض القدير 204:6.

(٥) مسند أحمد 232:2.

وأخرج أحمد عن عبادة بن الصامت أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: ليلة القدر في العشر البواقي من قامهن ابتغاء حسبتها فإن الله تبارك وتعالى يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهي ليلة وتر؛ تسع أو سبع، أو خامسة أو ثالثة، أو إحدى وعشرين^(١).

وأخرج أبو سعيد النقاش في أماليه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صام يوم عرفة غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أو وجبت له الجنة. أخرجه أبو داود عن أم سلمة. من جاء حاجاً يريد وجه الله فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(٢)، وشفع فيمن دعا له. أخرجه أبو نعيم عن عبد الله بن مسعود.

إذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله، فإن مات قبل أن يقضي نسكه وقع أجره على الله، وإن بقي حتى يقضي نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(٣)، أخرجه أبو يعلى وأحمد بن منيع عن جابر. من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وحشر يوم القيامة من الآمنين. ذكره القاضي في الشفا^(٤). من قرأ سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أخرجه الثعلبي وابن مردويه في تفسيرهما. من علم ابناً له القرآن نظراً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن علمه إياه ظاهراً فكلما قرأ آية رفع الله بها الأب درجة حتى ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن^(٥). أخرجه الطبراني عن أنس. وأخرج أبو محمد عبد الله بن محمد في فوائد الأصبهانيين عن أم هاني، وكانت تكثر الصيام والصلاة والصدقة، فدخل عليها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فشكت إليه ضعفها، فقال: سأخبرك بما هو عوض من ذلك؛ تسبحين الله مائة فتلك مثل مائة رقبة تعتقنها متقبلة، وتحمدن الله مائة مرة، فتلك مثل مائة بدنة مجللة تهدينها متقبلة، وتكبرين الله مائة مرة، وهناك يغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر^(٦).

(١) مسند أحمد 5:324.

(٢) فيض القدير 6:204.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب 1:319.

(٤) الشفا 2:310.

(٥) مجمع الزوائد 7:16.

(٦) شعب الإيمان 1:432.

من عدد في البحر أربعين موجة وهو يكبر غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر، وإن الأمواج لتحت الذنوب حثًا. ذكره أبو الحسن الربيعي في فضائل الشام.

وروي أيضاً عن أنس عنه عليه السلام: مدينة بين الجبلين على البحر يقال لها عكا من دخلها رغبة فيها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن خرج منها رغبة عنها لم يبارك له في خروجه، وبها عين تسمى عين البقر من شرب منها ملأ الله بطنه نورا، ومن أفاض عليه منها كان طاهرا إلى يوم القيامة، هذا حديث منكر جدا.

من قاد مكفوفاً أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(١)، أخرجه ابن مندة في أماليه.

عن ابن عمر: من سعى لأخيه المؤمن في حاجة قضيت له أو لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكتب له براءتان من النار وبراءة من النفاق، أخرجه ابن الناصح في فوائده عن ابن عباس ما من عبدین متحابين في الله، وفي رواية: ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان، ويصليان على النبي، صلى الله عليه وسلم، إلا لم يفترقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر^(٢). أخرجه أبو يعلى عن أنس. من أكل طعاما ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني من الطعام ورزقني من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن لبس ثوبا جديدا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(٣)، أخرجه أبو داود عن أنس.

وأخرج الحكيم الترمذي عن عثمان قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: قال الله عز وجل: إذا بلغ عبدي أربعين سنة عافيته من البلاء الثلاث: من الجنون والجذام والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة حاسبته حساباً يسيراً، فإذا بلغ ستين سنة حببت إليه الإنابة، فإذا بلغ سبعين سنة أحبته الملائكة، فإذا بلغ الثمانين سنة كتبت حسناته وألغيت سيئاته، فإذا بلغ تسعين سنة قال الملائكة:

(١) كشف الخفاء 2: 353.

(٢) مسند أبي يعلى 5: 334.

(٣) سنن الدرامي 2: 378.

أسير الله في أرضه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وشفع في أهله^(١). قال الحكيم: هذا من جيد الحديث هـ.

وأخبرني شيخنا أبو مهدي بحديث وضع اليد على الرأس عند خاتمة الحشر وكتبته من خطه قال: أخبرني به شيخنا أبو محمد عبد الكريم البكور القسمطي، عن أبي زكرياء يحيى بن سليمان الأوراسي، عن الشيخ طاهر بن زياد عن الشيخ زروق، عن أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي، عن أبي القاسم البرزلي قال: أخبرنا شيخنا أبو الحسن البطرني عن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الليدي، عن الأستاذ أبي العباس أحمد بن علي البلاطي، عن المحدث أبي عمرو عثمان بن حسن بن علي بن دحية الكلبي، عن الحافظ أبي القاسم بن بشكوال، عن القاضي الشهيد أبي علي الصديقي عن أبي منصور عبد المحسن بن محمد بن علي المالكي، عن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، عن أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأنصاري الحافظ، عن أبي الطيب محمد بن أحمد المقرئ، عن إدريس بن عبد الكريم الحداد قال: قرأت على خلف فلما بلغت هذه الآية: (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل^(٢)) قال لي: ضع يدك على رأسك فإني قرأت على حمزة فلما بلغت هذه الآية قال لي: ضع يدك على رأسك، فإني قرأت على الأعمش فلما بلغت هذه الآية قال لي: ضع يدك على رأسك، فإني قرأت على علقمة فلما بلغت هذه الآية قال لي ضع يدك على رأسك، فإنا قرأنا على عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، فلما انتهينا إلى خاتمة سورة الحشر قال: ضعاً أيديكما على رؤوسكما فإني قرأت على النبي، صلى الله عليه وسلم، فلما بلغت هذه الآية قال: ضع يدك على رأسك فإن جبريل عليه السلام لما نزل بها إلي قال لي ضع يدك على رأسك فإنها شفاء من كل داء إلا السام؛ والسام الموت^(٣).

(١) ورد الحديث في مسند أحمد برواية: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا أنس بن عياض حدثني يوسف بن أبي بردة الأنصاري، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ثم ما من معمر يعمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء؛ الجنون والجنام والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة لين الله عليه الحساب، فإذا بلغ ستين رزقه الله الإنابة إليه بما يحب، فإذا بلغ سبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته، فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله في أرضه وشفع لأهل بيته: مسند أحمد 3: 217.

(٢) الحشر: 21.

(٣) لسان الميزان 5: 52.

ورويت أيضاً عنه هذه القصيدة وكتبتها من خطه، وهي للشيخ تاج الدين عبد الوهاب السبكي ذكر فيها المسائل التي اختلف فيها الأشعرية والماتريدية، وهي ثلاث عشرة؛ سبعة منها الأولى الخلاف فيها بينهما لفظي، والستة الباقية الخلاف فيها معنوي، لكنه لا يؤدي إلى تبديع وتضليل، وهذه القصيدة غاية في الحسن والسلاسة والإفادة، وقد رأيتها في محل آخر أطول من هذا إلا أن هذا القدر منها هو الذي يتعلق بما ذكرنا من الخلاف بين الإمامين. أخبرني بما إجازة ولم يكن سماعاً بسنده إلى زكريا عن ابن الفرات عن المؤلف تاج الدين السبكي قال⁽¹⁾:

[كامل]

يا صاح إن عقيدة النعمان	والأشعرى حقيقة الإيقان
وكلاهما والله صاحب سنة	بهدي نبي الله مقتديان
لا ذائِدع ذا ولا هذا وإن	تحسب سواه وهمت في الحسبان
من قال إن أبا حنيفة مُبدع	رأيا فذلك ⁽²⁾ قائل الهذيان
أو ظن أن الأشعرى مُبدع	فلقد أساء وباء بالخسران
كُل إمام مُقتد ذو سنة	كالسيف مسلولا على الشيطان
والخلف بينهما قليل أمره	سهل بلا بدع ولا كفران
فيما يقل من المسائل عده	ويهون عند تطاعن الأقران
ولقد يؤولُ خلافها إما إلى	لفظ كالاستثناء في الإيمان
وكمنعهِ أن السعيد يضل	أو يشقى ونعمة كافر خوان
وكذا الرسالة بعد موت إن تكن	صحت وإلا أجمع الشينخان
وقد ادعى ابن هوازن أستاذنا	فيها افتراءً من عدو شان
وهو الخيرُ الثبت نقلا والإرا	دة ليس يلزمها رضا المنان

(1) طبقات الشافعية الكبرى 3: 383.

(2) في ط: ذاك

فالكفر لا يرضى به لعباده
وأبو حنيفة قائلٌ إن الإِرا
وعليه أكثرُنا ولكن لا يصـ
وكذاك إيمانُ المقلد وهو مـ
ولو أنه مما يصح فخلفهم
وكذاك كسبُ الأشعري وإنه
من لم يقلُ بالكسبِ مالٌ إلى اعتزا
أو للمعاني وهو ست مسائل
لله تعذيبُ المطيع ولو جرى
متصرفٌ في ملكه فله الذي
فنفى العقابَ وقال سوف أثيبهم
هذا مقالُ الأشعري إمامنا
ووجوبُ معرفةِ الإله الأشعري
والعقلُ ليس بحاكم لكن له
وقضوا بأن العقلَ يُوجبها وفي
وبأن أوصافَ الفعال قديمة
ورأيتُ فيهم من يقول بأن ذا
وبأن مكتوبَ المصاحفِ مترل
والبعضُ أنكرَ ذا فإن يصدق فقد
هذي ومسألة الإِرادة قبلها

ويريدُهُ أمرانِ مفترقانِ
دَّة والرضا أمرانِ مُتحدانِ
ح. وقيل مكذوبٌ على النعمانِ
ما أنكر ابن هوازن الرباني
فيه للفظ عادٌ دون معانِ
صعب ولكن قامَ بالبرهانِ
ل أو مقال الجبر ذى الطغيانِ
هائت مداركها بدون هوانِ
ما كان من ظلم ولا عدوانِ
يختارُ لكن جادَ بالإحسانِ
فله بذلك عليهم فضلانِ
وسواه مأثورٌ عن النعمانِ
يقولُ ذاك بشريعةِ الديانِ
الإدراكُ لا حكم على الحيوانِ
كتب الفروع لصحبنا وجهانِ
ليست بمحاذثة على الحدثنِ
كذبٌ عيه جاء من فتانِ
عين الكلام المترل القرآنِ
ذهبت من التعداد مسألتانِ
أمرانِ فيما قيلَ موضوعانِ

وكما انتفى هذان عنهم هكذا
قالوا وليس بجائر تكليف ما
وعليه من أصحابنا شيخ العراق
ورآه مجتهد الزمان محمد
قالوا وتمنع الصغائر من نبـ
والمنع مروي عن الأستاذ والـ
وبه أقول وكان رأي أبي كذا⁽²⁾
والأشعري إمامنا لكننا
ونقول نحن على طريقته ولا
بل قال بعض الأشعرية إنهم
وأبو حنيفة هكذا مع شيخنا
متناصران وإذا اختلاف عین
عنا انتفى مما يقال اثنان
لا يستطيع فتي من الفتيان
وحجة الإسلام ذو الإتيان
بن دقيق عيد⁽¹⁾ واضح السبلان
بي الإله وعندنا قولان
قاضي عياض وهو ذو رجحان
رفعا⁽³⁾ لرتبهم عن النقصان
في ذا مخالفه بكل لسان
كن صجه في ذاك طائفتان
براء معصومون من نسيان
لا شيء بينهما مع النكران
عار عن التبديع والحدلان

وسمعت من لفظه أيضا نحو النصف من كتاب الشفا للقاضي عياض، رواية
ودراية، يقرره أحسن تقرير، ويبين مقاصده، ويطالع عليه شرح شيخنا شهاب
الدين الخفاجي، وكنت أمسكه عليه في حال التقرير وأسرده له المحتاج منه، ويحضر
مجلسه فيه غالب النجباء من متفقي أهل مكة، وكان يوم ختمه يوما مشهودا
حضره أكابر الفقهاء، وأديرت فيه كؤوس الأشرية الحلوة، وأطلقت فيه أنواع
البخور والروائح الطيبة، وهذه هي أنهي تكملة عند أهل ذلك القطر.

وسمعت من لفظه أيضا كتاب الدعاء لابن أبي الدنيا بكماله، وأجازني به
وبكل ما اشتمل عليه من أدعية وأذكار، وبالأربعين الإدريسية، خصوصا إذ هي

(1) في ط: محمد القوصي.

(2) ساقط من الطبقات.

(3) في ط: دفعا.

من جملة الأذكار الواردة فيه. وسمعت عليه جملة صالحة أيضا من صحيح مسلم بلفظه رواية ودراية، كان يكتب نسخة من صحيح مسلم بخطه فيصحح منها كل يوم حصة بحضرة الفقهاء وإحضار غالب المحتاج إليه من شروح الكتاب.

وسمعت من لفظه أيضاً جملة صالحة من سنن أبي داود ومثلها من جامع أبي عيسى الترميذي، ومثلها من سنن ابن ماجة. وسمعت من لفظه أيضا جميع السنن للنسائي المسمى بالمجتبي، كل ذلك بالمسجد الحرام قبالة الركن اليماني بإزاء منزله الذي كان يسكن فيه، رضي الله عنه.

وأنشدت له، رضي الله عنه، يوم ختم كتاب المجتبي هذه الأبيات:

[طويل]

وَأَسْمَعُنَا شَيْخَنَا مَسْنَدَ الدُّنْيَا	خَتَمْنَا كِتَابَ الْمُجْتَبَى وَأَتَمَّهُ
وَمَنْ نَالَ بِالتَّحْدِيثِ مِثْلَهُ عَلِيًّا	مُحَدِّثَ هَذَا الْعَصْرِ شَيْخَ شَيْوَحِهِ
جَمِيعُ عِبَادِ اللَّهِ يَأْتُونَهُ سَعْيًا	قُبَالَةَ بَيْتِ اللَّهِ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي
إِلَى أَنْ نَرَى مَا بَيْنَ أَظْفَارِنَا رِيًّا	شُكْرُنَاكَ فِيمَا قَدْ حَبَوْتَ فَرْدَنَا
رَوَيْتُمْ بِلَا شَرْطٍ يَخْصُ وَلَا ثَنِيًّا	أَجْزَنَا وَكُلَّ الْحَاضِرِينَ جَمِيعًا مَا

وسمعت عليه بلفظ غري جملة صالحة من مناسك الخطاب الكبيرة تفقها بالمسجد الحرام، وكان يحضر مجلسه فيها أرباب المذاهب غير المالكية، وكان يقرأ المناسك في أشهر الحج في غالب السنين، وسمعته يقول: إن عشنا إلى قابل، أو كلاما هذا معناه، قرأنا إن شاء الله منسك ابن جماعة الكبير، ويحضر جماعة أصحابنا من أهل المذاهب ليكون أتم نفعاً، وهذا المنسك التزم فيه صاحبه ذكر كلام أرباب المذاهب الأربعة في المناسك، فأراد، رضي الله عنه، تحقيق مناسك الحج على المذاهب الأربعة كلها بحضور أصحاب المذاهب المحققين لفروع مذاهبهم لأنه اليوم ملجأ الناس في الاستفتاء في المناسك.

وسمعت منه خطبة القاموس في اللغة، وأجازني باقيه، وسمعت منه خطبة كتاب نفح الطيب في أخبار الأندلس وأبي عبد الله بن الخطيب للحافظ المتفطن سيدي أحمد المقرئ، وهو كتاب حافل جمع فيه من أخبار علماء الأندلس

وشعرائها وأحوالها شيئاً كثيراً، واستوفى فيه أخبار لسان الدين بن الخطيب، وكأنه هو المقصود أولاً بالتأليف، وهذا التأليف فيما قيل لي يطلع في نحو من أربعة أسفار، ولم أشاهده كله، وقد أجاد في خطبته غاية، وجمع فيها من علوم البلاغة ما سحر العقول، فلا يمل سامعها مع طولها، لما اشتملت عليه من النثر الرائق، والنظم الفائق.

وسمعت من لفظه أيضاً وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده الثلاثة، وهي من جملة ما اشتمل عليه التأليف المتقدم، وهي في غاية الحسن والسلاسة والجمع لمقاصد الوصية بما فيه صلاح الدين والدنيا. وقد أخبرني أنه سمعها على شيخنا تاج الدين المكي⁽¹⁾، قال لي: ومن عجيب الاتفاق أن كان سماعها بحضور أولاده الثلاثة، وكأنها وصية منه لأولاده، إذ لم يعيش بعد السماع إلا أمدا قليلا، وكان يخيل لي أن ذلك بالقصد منه رحمه الله تعالى.

وعرضت عليه قصائدي المدحية المرتبة على حروف المعجم، وقد تقدم بعضها أول الرحلة، وراجعته فيما يحتاج إلى المراجعة منها، فاستحسنها، ولقوة إنصافه استجازني فيها، رضي الله عنه، وصححت بمراجعته ضبط ألفاظ لغوية فيها، وسمعت بلفظه الدعاء في سجادات القرآن للحكيم الترمذي، ولنذكره لغرابته لأنه لا يوجد في كثير من نسخ نواذر الأصول، فأقول: أخبرني به سماعا وقراءة عليه شيخنا أبو مهدي عيسى الثعالبي قال: أخبرني به سماعا وإجازة شيخنا أبو الحسن علي الأجهوري رحمه الله تعالى، عن القاضي بدر الدين القرافي وعن الجمال يوسف بن شيخ الإسلام زكرياء قال: أنا أبو يحيى زكريا الأنصاري⁽²⁾ عن أبي الفضل بن حجر بإجازته مشافهة من أبي الحسن علي بن محمد بن أبي الجحد عن سليمان بن حمزة عن عيسى بن عبد العزيز، وهو آخر من حدث عنه، عن أبي سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني، وهو آخر من حدث عنه بإجازته من أبي الفضل محمد بن علي بن سعيد المطهر قال: أنا أبو إسحاق محمد بن إبراهيم ابن محمد البرقي الخطيب قال: أنا أبو بكر محمد بن عبد الرحمن المقرئ قال: أنا أبو نصر أحمد بن أحمد بن حمدان أن البيكندي قال: أنا الحكيم محمد بن علي

(1) تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم المكي المالكي، من قضاة مكة، فقيه مشارك، توفي سنة 1070 هـ: اقتفاء الأثر، ص: 136. خلاصة الأثر 1: 457.

(2) أبو يحيى زكريا الأنصاري الشافعي، قاضي القضاة بمصر، من شيوخ أبي سالم العياشي، مولده تقريبا سنة 826 هـ، ووفاته سنة 926 هـ: إتحاف الأخلاء، ص: 177. فهرس الفهارس 1: 457.

الترمذي، رضي الله عنه، قال: فصل ما يقرأ في السجود: روي عن ابن مسعود عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه كان إذا سجد يقول: سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك فؤادي، أبوا بنعمتك علي وأبوا بذنبي، هذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا أنت. وروى عائشة أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول في سجود القرآن بالليل مرارا: سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته⁽¹⁾. وأيضا روى عائشة أنه كان يقول في سجوده: أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، جل وجهك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك يا عظيم⁽²⁾. وأيضا كان يقول في سجوده: اللهم اغفر لي ذنبي كله دقيقه وجليله، أوله وآخره، سره وعلايته. قال الشيخ رحمه الله: هذا ما جاءنا عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولا نعلم أنه وقت شيئا في ذلك، فهذه الأشياء التي ذكرها كلمات ضرع وملق يريد أن يخرج بها إلى ربه من الأحداث، فكان ينطق بما يتراءى له في وقته، وبذلك يناجي ربه. ثم لمن بعده من الصحابة والتابعين مقالات في سجودهم، وأما ما يتراءى لنا في كل سجدة من سجود القرآن فهو ما ذكرنا هاهنا:

سجدة الأعراف: طابت لهم منازل القربة عندك، فتطهروا عن الاستكبار وأذعنوا لك خضوعا بما عاينوا من عظيم كبريائك، وعزيز جبروتك في الملكوت فتلقوا عظمتك واستكانوا بالسجود لك خشوعا، هؤلاء بديع كلماتك، ونحن ولد بديع فطرتك وصنع يدك وأمة حبيبك الممدوحين في التوراة والموصوفين في الإنجيل بما منحتنا من مننك وفضلك، وأهديت إلى المختبين منا هداياك وكراماتك رأفة، سجدنا لك بما منحتنا من رأفتك ورحمتك، وألقينا بأيدينا سلما نرجو مددك وسبيلك ومعروفك، يا معروفا بالعطايا الجزلة، ومحمودا على صنائعك الجميلة.

سجدة الرعدة: سجدت الأحباب طوعا والأعداء كرها، سجد لك شخص الأحباب وظلال الأعداء، أدركت رحمتك شخص الأحباب فنالت السجود وانزوت عن الأعداء فحرمت، سجدت لك ظلالهم بالغدو والآصال تميل مع ميل الأظلة والأفياء، طهرت تلك الأجرام والأشباح فطهارة قلوبهم بنور التوحيد فأهلتهم للسجود لك، ونزهت سجدتك عن تلك الأجرام النجسة التي نجست

(1) صحيح مسلم 1: 553.

(2) سنن الدار قطني 1: 144.

برجاسة الشرك وتمكن العدو منها، فلك الحمد على ما اصطنعت، إلي وإليك الرغبة يا إلهي في دوامها علي فكما جعلتني أسجد لك سجود الأحباب طوعا وسلما، فاجعلي في جميع متقلي في محياي لك كذلك طوعا وسلما.

سجدة النحل: لك سجدت الملائكة وخافوك من فوقهم وفعلوا ما أمرتهم ذلك بأنك عريتهم من الشهوات وطهرتهم من الآفات، ومكنت لهم الزلفات، فخافوك فوقهم وفعلوا ما أمرتهم، ولم يسبقوك بقول وهم من خشيتك مشفقون، فهم عبادك المكرمون، ونحن عبيدك المرحومون المحبوبون، بالرفقة ابتدأنا، ومن باب الرحمة أخرجتنا، ومن ضعف خلقتنا، وبالشهوات ابتليتنا، وللآفات عرضتنا، وبالوعد والوعيد في الوحي أدبتنا، وبجودك ومنتك هديتنا، وبعظيم حظنا منك وسعت علينا، وأشرعت إليك السبيل لنا، وجعلت منا أولياء وأحباء بالمنازل القربة لديك، فخوفنا لك مع الشهوات، وأفعالنا مع الوسوس والخطرات والآفات، فارحمنا فإنك أعلمتنا أنك معنا في العون والنصر والتأييد يا خير من أشفق علينا ورحمنا.

سجدة سبحان: لك خرت العلماء سجدا، وحق لهم بأنهم شاهدوا بقلوبهم عرصة التوحيد، وعانوا بنور علم القربة ماهيات لأحبابك هناك في مراتبهم من البر والوداد، فخرّوا لأذقانهم سجدا مع البكاء والعويل، وسجدوا لربوبيتك، وأيقنوا بوعدك عند تلاوة وحيك، وزادهم بكأؤهم لك خشوعا، فخشعت لك جوارحهم لأن الخشعة ميراث بكاء الخشية، ذلك بأنك جعلت للباكي من خشيتك من عاجل الثواب أن تملأ جوارحه في الدنيا والآخرة ضحكا، فيا حنان تحن علينا بعطفك، وزدنا علما يقربنا إليك، واجعلنا من الشاكرين لك، وتقبلها منا كما تقبلتها من الذين أوتوا العلم من قبلنا.

سجدة مريم: يا خير المنعمين أنعمت على النبيين المهديين والمختبين بالنبوة والهداية والخبابة فيك وصاروا إلى محبوبك من الأعمال، وخرّوا لتلاوة آيات الرحمن لك سجدا وبكيا، تلك خشعة الأحباب، وأهل الوداد سجدوا مع البكاء شوقا إليك وقلقا بطول الحبس عنك في سجون الدنيا يا ودود، فليس من لقيك في السجن عبدا قنا في العبودية كمن لقيك في دارك دار السلام، حرا ملكا محبورا مسرورا، يراك جهرا قد كشفت الغطاء وتجليت لأهل الوداد عن حجب الكبرياء والجلال، فأنبأنا عن أحوالهم وأخبارهم وحيا وتريلا، فحذونا على ذلك من

فعلهم هذا، سجودهم قد علمته، فليت شعري من أين بكاؤهم وما الذي أبكاهم، وأين أصول ذلك المنبع وهم أهل صفوتك ونجباء عبيدك، إلهي فسهل لنا السبيل إلى ذلك من فعلهم ظاهرا وباطنا، ووفر حظنا من ذلك برحمتك علينا.

سجدة (أول)^(١) الحج: سجد لك الخلق والخلقة علوا وسفلا، وبراً وبحراً، والحجر والمدر والدواب والشجر وكثير من الآدميين، وكثير حق عليه العذاب. ثم قلت: (ومن يهن الله فما له من مكرم)^(٢)، فلك الحمد إذ أكرمتنا بالسجود لك ولم تجعلنا ممن أهنته فما له من مكرم، ثم قلت: (إن الله يفعل ما يشاء)^(٣) فلك الحمد على ما بدا من مشيئتك فينا، وعلى الرحمة التي جرت بمشيئتك فينا، وبإكرامك إيانا، إلهي فلا تمنا بعدما أكرمتنا على تقريظنا وقلة شكرنا ووفائنا وجفوتنا، ولا تسلبنا خير ما أوليتنا، يا عظيم الرجاء، يا حسن البلاء، يا كثير النعماء، يا جزيل العطاء، يا جليل الثناء.

الثانية من الحج: بك آمنا، ولك ركعنا، ولوجهك الكريم الباقي الدائم سجدنا، وإياك عبدنا، وإليك أنبنا، ربنا وفعل الخير قصدنا، والفلاح رجونا وأملنا، والنجاح لك بك طلبنا، فأعنا ولا تقطع مردك وعنايتك عنا، خذ إليك بنواصينا، واجعل فيما لديك رغبتنا، ونور قلوبنا وشرح لنا^(٤) صدورنا، وحسن أخلاقنا، واختتم لنا بأحسن ما ختمت لعبادك الصالحين من أهل ملتنا.

سجدة الفرقان: للرحمن سجدنا، وإياه وحدنا، وما عنده أملنا، وبما أمرنا من السجود ائتمرنا، فالرحمن مولانا، والرحمن خالقنا ومالكنا^(٥)، والرحمن هادينا وناصرنا، والرحمن من من علينا باسمه الرحمن ووَفَّرَ منه حظنا، وبالرحمة العظمى نلنا من الرحمن حظنا، فالله ولينا ومولانا، والرحمن أحيانا، والرحيم أعاننا، والقيوم آوانا، فيا أكرم مأمول، ويا خير معبود، ويا أحسن خالق، ويا أكرم مالك، ثم علينا معروفك وما ابتدأت من الإحسان، وتول منا ما توليت من أهل رأفتك ورحمتك، وتعطف علينا بجودك وكرمك، تبارك اسمك الرحمن ذو الجلال والإكرام، علمت القرآن، وخلقت الإنسان، وعلمته البيان، فلك الآلاء والنعماء،

(١) زيادة من ط.

(٢) الحج: ١٨.

(٣) الحج: ١٨.

(٤) ساقط من ط.

(٥) ساقط من ط.

يا ذا الملك والملكوت، يا عزيز الجبروت، إليك الرغبت، ومنك الرهبت، هديتنا
لاسمك الرحمن، ووفرت منه حظنا فأحييت به قلوبنا ونورت به أفئدتنا، فالفرح
الدائم لمن وصل له اليوم الرحمن قلبا، والسرور والبهجة وقرة العين لمن وصل إليه
غدا بدنا، عمتنا رحمتك العظمى فزادني اسمك سرورا وزاد أعداءك نفورا، وإنما
نفرهم عن اسمك الرحمن حرمان حظهم من الرحمن فلم تنلهم رحمتك فجهلوا
اسمك ونفروا من ذكره وهو الاسم الذي به حييت القلب فتمكنوا به في دارك دار
السلام.

سجدة النمل: سجدت لمن يخرج الخبء في السماوات والأرض، عالم
الخفيات، محصل ما في الصدور ومبلي السرائر، ولم تخف عليه حركات جوارحنا
ومكتوم ضمائرنا وخواطر قلوبنا، وهم نفوسنا، ونوازع الأهجاس منا، سجدت
لله الذي (لا إله إلا هو رب العرش العظيم)⁽¹⁾، يا ذا الأمثال العلى، والأسماء
الحسنى، فأنت رب العرش العظيم واستويت عليه، وأنت عال على العرش، وكيف
لا يعظم وهو مقامك للربوبية، يا حي يا قيوم، فمن دون (العرش)⁽²⁾ إلى ما تحت
الثرى في جوف العرش العظيم، يا شاهد كل نجوى، ومن حبل الوريد إلينا أقرب
وأدنى، هب لنا ما أحصيته علينا مما أسرفناه على أنفسنا وتفضل علينا بعفوك يا ذا
الجود والأفضال.

سجدة السجدة: آمنا بآياتك وخررنا لك سُجَّدا، فسبحانك اللهم وبمحمدك
تعاليت، ولك الكبرياء في السماوات والأرض وأنت العزيز الحكيم، نبرأ إليك من
أن نتكبر على عظمتك، ونعوذ بك من أن ننازع أمرك أو أن نسبقك بقول أو
نخالفك عن أمرك، أو نلجأ إلى أحد سواك، أو نركن إلى مخلوق، أو نعلق قلوبنا
بمن دونك، لجلالك خضعت رقبتي، ولكبريائك ذلت نفسي، ولوجهك الكريم
الباقي الدائم وضعت وجهي، ولجاهك أرغمت أنفي، ولعظمتك خرت قامتي
ساجدة، ولربوبيتك أسلم شخصي عبودة ورقا، فاجعل مولاي حركاتي ومتقلي
وهمي لك خالصا وعلى حقوقك عكوفاً، وبالعبودية لك قائما فانيا، وبقلي إليك
هائما لا أؤثر على حبك أحدا ولا على أمرك أمرا.

(1) النمل: 26.

(2) زيادة من ط.

سجدة ص: لك خررت راکعاً وساجداً مفتوناً وغير مفتون، مستغفراً تائباً منيباً، وأنت الذي مننت على عبدك داوود في وقت حلول الفتنة بأن جعلت له السبيل إلى التوبة والاستغفار حتى خر راکعاً وأناب، فغفرت له ذلك، وأعلمت العباد أن له مع المغفرة عندك لزلفى وحسن مآب، وهذا في كرمك وفضلك على أحبابك موجود، يا جواد وأنت به معروف، وما أُنْهِيت إلينا هذا الخبر من صنيعك به إلا أنك رجيت عبيدك وأملته ما أوليته من معروفك لئلا يقنط المفتونون، ولا يتحير الخطاؤون ولا يياس المذنبون.

سجدة فصلت: سبح لك من عندك فلم تلحقهم سآمة ولا فتور، ذلك بأنك قربت مقامهم وعريتهم من أشغال النفوس وأنقذتهم من الوساس والآفات، وخلقنا بموضع رحمة من الشهوات والآفات، تعتورنا أسباب البلاء وأزمة القضاء، فنعوذ بك أن نتكبر عن عبادتك أو نرفع بأنفسنا عن السجود لك والإلقاء بين يديك سلماً، فمن رام عزا فإنما ناله بالتذلل لك، وكيف لا يعز من انتصب لك خادماً وألقى نفسه بين يديك عبودة وتسليماً، إلهي لو كانت لي نفوس غير واحدة لحق لي أن ألقىها بين يديك وأجود بها كلها عليك، وكيف وإنما هي واحدة، وكيف لا أجود بها عليك وإنما نلتها من عندك، وكيف لا أجود بها وإنما سألتنيها لترحمها وتكفها وتحوطها وتغذوها برأفتك لتصلح لجوارك غدا والمصير إلى ضيافتك في فردوس الجنان يوم الزيارة فيك، أعوذ من جماعات نفسي وحرثها عن حقوقك يا أكرم داع ويا حق مجيب.

سجدة النجم: لك سجدنا وإياك عبدنا وبأمرك ائتمرنا، وحق أن نسجد، إلهنا خلقنا من تراب ثم من نطفة ثم من علقة في ظلمات ثلاث في بطون؛ الأمهات والأرحام والمشيمات، ثم أخرجتنا إلى محل الابتلاء والامتحان ودار السباق والمضمار، وعرضتنا للبلايا والرزايا وعظيم الأخطار وفتن دار الغرور وكيد العدو وأمور الغيب في مشيئتك، يا ذا القدرة والعلو والرفعة، دعوتنا إلى دار السلام وأنذرتنا سجون الأعداء، ومننت علينا منة الأحباب، وأبهمت العواقب علينا من أمورنا فمن ذا يرحمنا إن لم ترحمنا، ومن ذا يغفر لنا إن لم تغفر لنا، من ذا يكشف ضررنا إن لم تكشف، يا خير مدعو وأكرم مسؤول، يا أرحم المذنبين تفضل علينا بعفوك.

سجدة الانشقاق: الحين والشقاء أحاط بهم مولاي فاستكبروا عن توحيدك، وفوت حظ منك نالهم إلهي فتعظموا على الإيمان بك، وجعلوا معك إلهًا مغترين بقول العدو، فلا إله إلا أنت سبحانك، وكيف يسجدون إذا قرئ عليهم القرآن وهم المطرودون من بابك (ينادون من مكان بعيد)⁽¹⁾، إنما يسجد لك أحبابك وأهل رأفتك ورحمتك الممنون عليهم، بذلك قربتهم، ووفرت حظهم منك، ونورت قلوبهم بالسراج المنير، وشرحت صدورهم بعظيم آلائك، وأحييت قلوبهم بك، ووصلت حبلمهم بحبلك، فكلما تلوا آياتك فذكروا ذكر الصفاء رموا بأنفسهم إليك خروا لوجوههم، واستروحوا إلى ذلك، وتنسموا روح القربة، وسكنوا بلطائف مقالتك، ضمًا الشوق إليك منهم وتلقوا أمرك بإلقائهم بين يديك مترضين لك، فاجعني ممن يترضاك فترضى يا خير المقصودين.

سجدة القلم: لك سجدنا، وبأسباب وسائلك تعلّقنا، ونفوسنا بين يديك ألقينا قصدا للاقتراب منك، مولانا قد أنزلت في وحيك علينا أن اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة، ثم قلت لنبيك: (واسجد واقترب)⁽²⁾، فجعلت له بالسجود إلى القربة سبيلاً، من ذا يستحق القربة منك مولاي إلا من رحمته وقربته، فقد اقتربت بفعلي وإلقاء نفسي بين يديك تأميلاً لفضلك وطمعاً فيما رجيت عبيدك هـ.

ومما أجازنيه بالخصوص وسمعت منه بلفظي خطبة النبي، صلى الله عليه وسلم، الأخيرة من خطبه، وهي نهاية في الطول توازي إحدى الطولين من القرآن، وما سمعنا حديثاً قط أطول منها، رواها الحارث بن أبي أسامة التميمي في مسنده بسند فيه داوود بن الحخير، قال ابن حجر إنه متروك، ولغرابتها آثرنا ذكرها، فنقول⁽³⁾: أخبرنا شيخنا أبو مهدي، رضي الله عنه، قال: حدثنا شيخنا الأجهوري بسنده إلى الحافظ بن حجر بقراءته لبعض المسند منه، عن أبي المعالي عبد الله بن عمر الحلاوي وإجازته لسائره بسماعه والقدر المقدّر عليه عن أبي العباس أحمد بن كشتغري الصيرفي وإجازته لسائره، قال: أنا به أبو النجيب عبد اللطيف بن عبد المنعم الخرائي بإجازة من أبي سعيد خليل بن بدر مكاتبه من أصبهان قال: أنا أبو علي الحداد قال: أنا أبو نعيم، قال: أنا أبو بكر بن أحمد بن يوسف بن خلاد،

(1) فصلت: 44.

(2) العلق: 19.

(3) وردت هذه الخطبة النبوية الشريفة في مسند الحارث 1: 310-321.

قال: أنا به أبو محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة، رحمه الله، في مسنده الذي رتبته على الشيوخ قال: نا داوود بن المحبر بن قحذم بن سليمان البصري، قال أنا ميسرة بن عبد ربه عن أبي عائشة السعدي عن يزيد بن عمر بن عبد العزيز عن أبي أسامة ابن عبد الرحمن عن أبي هريرة وابن عباس، رضي الله عنهم، قالوا: خطبنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خطبة قبل وفاته، وهي آخر خطبة خطبها بالمدينة حتى لحق بالله عز وجل، فوعظنا فيها موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، واقتشعرت منها الجلود، وتقلقت منها الأحشاء، أمر بلالاً فنادى الصلاة جامعة قبل أن يتكلم، فاجتمع إليه الناس فارتقى المنبر وقال: أيها الناس ادنوا فأوسعوا لمن خلفكم ثلاث مرات، فدنا الناس وانضم بعضهم إلى بعض، فالتفتوا فلم يروا أحداً، ثم قال: ادنوا وأوسعوا لمن خلفكم، فدنوا وانضم بعضهم إلى بعض فلم يروا أحداً، فقام رجل فقال: لمن نوسع، للملائكة؟ قال: لا، إنهم إذا كانوا معكم لم يكونوا من بين أيديكم ولا من خلفكم، ولكن عن أيمانكم وعن شمائلكم، فقال: ولم لا يكونون بين أيدينا ولا خلفنا؟ أهم أفضل منا؟ فقال: بل أنتم أفضل من الملائكة، اجلس. فجلس. ثم خطب فقال: الحمد لله أحمدته وأستعينه، ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أيها الناس إنه كائن في هذه الأمة ثلاثون كذاباً، أولهم صاحب اليمامة وصاحب صنعاء، أيها الناس إنه من لقي الله وهو يشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً لا يخلط معها غيرها دخل الجنة، فقال علي: يا رسول الله بين لنا كيف لا يخلط معها غيرها، بأمي وأمي يا رسول الله، كيف يخلص بها حتى لا يخلط معها غيرها، بين لنا هذا حتى نعرفه، فقال: حرصاً على الدنيا وجمعاً لها من غير حلها، ورضاً بها وأقوام يقولون أقاويل الأخيار ويعملون عمل الجبابرة والفجار، فمن لقي الله وليس فيه شيء من هذه الخصال يقول لا إله إلا الله فله الجنة، ومن اختار الدنيا على الآخرة فله النار، ومن تولى خصومه قوم ظلمة أو أعانهم عليها نزل به ملك الموت يبشره بلعنة ونار خالداً فيها وبئس المصير، ومن خف لسلطان جائر في حاجة فهو قرينه في النار، ومن دل سلطاناً على جور قرن مع هامان في النار وكان هو وذلك السلطان من أشد أهل النار عذاباً، ومن عظم صاحب دنيا ومدحه طمعاً في دنياه سخط الله عليه وكان في درجة قارون في أسفل جهنم، ومن بنى بناء رياء وسمعة حملة يوم القيامة مع

سبع أرضين يطوقه نار توقد في عنقه ثم يرمى به في النار. فقليل وكيف يبني بناء رياء وسمعة؟ قال: يبني فضلاً على ما يكفيه وبينه مباحاة، ومن ظلم أجيراً أجره أحبط الله عمله وحرّم عليه ربح الجنة، وريحها يوجد من خمس مائة عام، ومن خان جاره شبراً من الأرض طوّقه يوم القيامة إلى سبع أرضين نارا حتى يدخل جهنم، ومن تعلّم القرآن ثم نسيه متعمداً لقي الله مجذوماً مغلولاً وسلّط الله عليه بكل آية حية تنهشه في النار، ومن تعلّم القرآن فلم يعمل به أثر عليه حطام الدنيا وزينتها استوجب سخط الله وكان في درجة اليهود والنصارى الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً^(١)، ومن نكح امرأة في دبرها أو رجلاً أو صبياً حُشِرَ يوم القيامة وهو أنثى من الجيفة يتأذى به الناس حتى يدخل جهنم، وأحبط الله أجره ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً ويدخل في تابوت من نار وسد عليه مسامير من حديد حتى تشبك تلك المسامير في جوفه، ولو وضع عرق من عروقه على أربعمئة أمة لما تواء جميعاً وهو من أشد أهل النار عذاباً يوم القيامة، ومن زنا بامرأة مسلمة، أو غير مسلمة حرة أو أمة، فتح عليه في قبره ثلاث مائة ألف باب من النار يخرج عليه منها حيات وعقارب وشهب من النار، فهو يعذب إلى يوم القيامة بتلك العقارب مع ما يلقي من تلك العقارب والحيات، ويبعث يوم القيامة يتأذى الناس بنتن فرجه ويعرف بذلك حتى يدخل النار فيتأذى به أهل النار مع ما هم فيه من العذاب لأن الله حرم المحارم، وليس أحد أغير من الله ومن غيرته حرم الفواحش وحد الحدود، ومن اطلع إلى بيت جاره فرأى عورة رجل أو شعر امرأة أو شيئاً من جسده كان حقاً على الله أن يدخله النار مع المنافقين الذين كانوا يتحينون عورات النساء، ولا يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله ويؤدي للناظرين عورته يوم القيامة، ومن تسخط رزقه وبث شكواه ولم يصبر، لم ترفع له إلى الله حسنة، ولقي الله عز وجل وهو عليه ساخط، ومن لبس ثوباً فاختال فيها خسف به فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، ومن نكح امرأة حلالاً بحال حلال يريد بذلك الفخر والرياء لم يزد الله إلا ذلاً وهواناً، وأقامه الله بقدر ما استمتع منها على شفير جهنم ثم يهوي فيها سبعين خريفاً، ومن ظلم امرأة مهرها فهو عند الله زان، يقول الله له يوم القيامة: عبدي زوجتك على عهدي فلم توف بعهدي، فيتولى الله حقها فيستوعب حسناته كلها، فلا تفي به، فيؤمر به إلى النار. ومن

(١) إشارة إلى قوله تعالى: (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون): البقرة: 101.

رجع عن شهادة، أو كتمها، أطعمه الله لحمه على رؤوس الخلائق، ويدخل النار وهو يلوك لسانه. ومن كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما في القسم من نفسه وماله جاء يوم القيامة مغلولاً مائلاً شقه حتى يدخل النار، ومن آذى جاره من غير حق حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، ألا وإن الله عز وجل يسأل الرجل عن جاره كما يسأله عن حق أهل بيته، فمن ضيع حق جاره فليس منا. ومن أهان فقيراً مسلماً من أجل فقره فاستخف به فقد استخف بحق الله ولم يزل في مقت الله وسخطه حتى يرضيه. ومن أكرم فقيراً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو يضحك إليه. ومن عرضت له دنيا وآخره فاختار الدنيا على الآخرة لقي الله وليست له حسنة يتقي بها النار، وإن اختار الآخرة عن الدنيا لقي الله وهو عنه راض. ومن قدر على امرأة أو جارية حراماً فتركها لله مخافة منه أمّنه الله من الفزع الأكبر، وحرّمه على النار، وأدخله الجنة. وإن واقعها حراماً حرم الله عليه الجنة وأدخله النار. ومن كسب مالاً حراماً لم يقبل له صدقة ولا عتق ولا حج ولا عمرة، وكتب له بقدر ذلك أوزاراً ما بقي ثم موته وكان زاده إلى النار. ومن أصاب من امرأة نظرة حراماً ملأ الله عينيه ناراً ثم أمر به إلى النار فإن غضي بصره عنها أدخل الله قلبه محبته ورحمته وأمر به إلى الجنة، ومن صافح امرأة حراماً جاء يوم القيامة مغلولاً يده إلى عنقه ثم يؤمر به إلى النار، وإن فاكهها حبس بكل كلمة كلمها في الدنيا ألف عام، والمرأة إذا طاوعت الرجل حراماً فالتزمها أو قبلها أو باشرها أو فاكهها أو واقعها فعليها من الوزر مثل ما على الرجل، فإن غلبها الرجل على نفسها كان عليه وزره ووزرها. ومن غش مسلماً في بيع أو شراء فليس منا ويحشر يوم القيامة مع اليهود لأنهم أغش الناس للمسلمين، ومن منع الماعون من جاره إذا احتاج إليه منعه الله فضله يوم القيامة ووكله إلى نفسه، ومن وكله إلى نفسه هلك آخر ما عليها ولا يقبل له عذر. وأيّما امرأة آذت زوجها لن تقبل صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعتبه وترضيه ولو صامت الدهر وقامت وأعتقت الرقاب وحملت على الجياد في سبيل الله، وكانت أول من يرد النار إذا لم ترضه وتعتبه. قال: وعلى الرجل مثل ذلك من الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً ظالماً. ومن لطم خد مسلم لطمه بدد الله عظامه يوم القيامة، ثم تسلط عليه النار، ويبعث حين يبعث مغلولاً حتى يرد النار. ومن مات في قلبه غش لأخيه المسلم بات وأصبح في سخط الله حتى يتوب ويرجع، وإن مات على ذلك مات على غير الإسلام. ثم قال: ألا إنه من غشنا فليس منا، حتى قال ذلك ثلاثاً، ومن تعلّق سوطاً بين يدي

سلطان جائر جعله الله حية طولها سبعون ألف ذراع فتسلط عليه في نار جهنم خالداً مخلداً. ومن اغتاب مسلماً بطل صومه ونقض، يعني وضوءه، فإن مات وهو كذلك مات كالمستحل ما حرّم الله، ومن مشى بالنميمة بين اثنين سلّط الله عليه في قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة ثم يدخل النار. ومن عفا عن أخيه المسلم وكظم غيظه أعطاه الله أجر شهيد. ومن بغى على مسلم وتناول عليه واستحقّره حشره الله يوم القيامة في صورة الذر يطؤه العباد بأقدامهم ثم يدخل النار، ولم يزل في سخط الله حتى يموت. ومن رد عن أخيه المسلم غيبة سمعها تُذكر في مجلس رد الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة، وإن هو لم يرد عنه وأعجبه ما قالوا كان عليه مثل وزرهم. ومن رمى محصناً أو محصنة حبط عمله، وجلده يوم القيامة سبعون ألف ملك من بين يديه ومن خلفه، ثم يؤمر به إلى النار. ومن شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الأسود وسم العقارب يشربه فيتساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها، فإذا شربها تفسخ لحمه وجلده كالجيفة يتأذى به أهل الجمع، ثم يؤمر به إلى النار، ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها سواء في إنمها وعارها، ولا يقبل الله له صلاة ولا صياماً ولا حجاً ولا عمرة حتى يتوب، فإن مات قبل أن يتوب منها كان حقاً على الله أن يسقيه بكل جرعة شربها في الدنيا شربة من صديد جهنم، ألا وكل مسكر خمر وكل مسكر حرام. ومن أكل الربا ملأ الله بطنه ناراً بقدر ما أكل، وإن اكتسب منه مالاً لم يقبل الله شيئاً من عمله ولم يزل في لعنة الله وملائكته ما دام عنده منه قيراط. ومن خان أمانته في الدنيا ولم يؤدها إلى أربابها مات على غير دين الإسلام، ولقي الله وهو عليه غضبان، ثم يؤمر به إلى النار فيهوي من شفيرها أبد الآبدين. ومن شهد بشهادة زور على مسلم أو كافر علق بلسانه يوم القيامة ثم صير مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار. ومن قال لمملوكه أو مملوكته، أو لأحد من المسلمين، لا لبيك ولا سعديك، قال الله له يوم القيامة لا لبيك ولا سعديك، أتعس في النار. ومن أضر بامرأة حتى تفتدي منه لم يرض له بعقوبة دون النار، لأن الله يغضب للمرأة كما يغضب لليتيم. ومن سعى بأخيه إلى السلطان أحبط الله عمله كله، فإن وصل إليه مكروه أو أذى جعله الله مع هامان في درجة في النار. ومن قرأ القرآن رياء وسمعة، ويريد به الدنيا، لقي الله ووجهه عظم ليس عليه لحم،

وزخ^(١) القرآن في قفاه حتى يقذفه في النار فيهوي فيها فيمن هوى. ومن قرأه ولم يعمل به حشره الله أعمى فيقول: (رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً)^(٢) فيقول (كذلك أتتك آيتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)^(٣) ثم يؤمر به إلى النار. ومن اشترى خيانة وهو يعلم أنها خيانة كان كمن خانها في عارها وإثمها، ومن قاود بين امرأة ورجل حراماً حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وساءت مصيراً. ومن غش أخاه المسلم نزع الله منه رزقه وأفسد عليه معيشته ووكله إلى نفسه. ومن اشترى سرقة وهو يعلم بها فهو كمن سرقها في عارها وإثمها. ومن ضار مسلماً فليس منا ولسنا منه في الدنيا والآخرة. ومن سمع بفاحشة فأفشاها كان كمن أتاها. ومن سمع بخير فأفشاها كان كمن عمله، ومن وصف امرأة لرجل فذكر جمالها وحسنها حتى افتن بها، فإن أصاب منها فاحشة يخرج من الدنيا مغضوباً عليه، ومن غضب الله عليه غضبت عليه السماوات السبع والأرضون السبع، وكان عليه من الوزر مثل وزر الذي أصابها، قلنا: فإن تابا وأصلحا؟ قال: قبل منهما، ولا تقبل توبة الذي وصفها. ومن أطعم طعاماً رياء وسمعة أطعمه الله من صديد جهنم، وكان ذلك الطعام ناراً في بطنه حتى يُقضى بين الناس. ومن فجر بامرأة ذات بعل انفجر من فرجه واد من صديد مسيرة خمس مائة عام يتأذى به أهل النار من ريحه، وكان من أشد الناس عذاباً يوم القيامة، واشتد غضب الله على امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها أو من غير ذي محرم منها، وإذا فعلت ذلك أحبط الله كل عمل عملته، فإن أوطأت فراشه غيره كان حقاً على الله أن يحرقها بالنار من يوم وضعت في قبرها، وأما امرأة اختلعت من زوجها لم تنزل في لعنة الله وملائكته ورسله والناس أجمعين، فإذا نزل بها ملك الموت قال لها أبشري بالنار، فإذا كان يوم القيامة قيل لها ادخلي النار مع الداخلين، ألا وإن الله ورسوله بريئان ممن أضر بالمرأة حتى تختلع منه، ومن أم قوماً بأذنه وهم بهم راضون فاقصد بهم في حضوره وقراءته وركوعه وسجوده وقعوده فله مثل أجورهم، وإن لم يقتصد بهم في ذلك ردت عليه صلاته، ولم تجاوز تراقيه، وكان بمنزلة أمير جائر معتد لم يصلح إلى رعيته ولم يقم فيهم بأمر الله. فقال علي بن أبي طالب: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، وما منزلة الأمير الجائر المعتدي الذي لم يصلح إلى

(١) زخ: زخ في قفاه: دفعه: لسان العرب: زخخ.

(٢) طه: ١٢٥.

(٣) طه: ١٢٦.

رعيته ولم يقم فيهم بأمر الله قال: هو رابع أربعة، وهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة؛ إبليس وفرعون وقابل قاتل النفس والأمير الجائر رابعهم. ومن احتاج إليه أخوه المسلم في قرض فلم يقرضه وهو عنده حرم الله عليه الجنة يوم يجزى المحسنين، ومن صبر على سوء خلق امرأته واحتسب الأجر من الله أعطاه الله من الثواب مثل ما أعطى أيوب على بلائه، وكان عليها من الوزر في كل يوم وليلة مثل رمل عاجل، فإن ماتت قبل أن تعبه وترضيه حشرت يوم القيامة منكوسة مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار. ومن كانت له امرأة ولم توافقه ولم يصبر على ما رزقه الله وشقت عليه وحملته ما لا يقدر عليه لم تقبل لها حسنة، فإن ماتت على ذلك حشرت مع المغضوب عليهم، ومن أكرم أخاه المسلم فإنما يكرم ربه عز وجل، فما ظنكم؟ ومن تولى عرافة قوم حبس على شفير جهنم بكل يوم ألف سنة، ويحشر ويده مغلولة إلى عنقه، فإن كان أقام أمر الله فيهم أطلق، وإن كان ظالماً هوى في جهنم سبعين خريفاً، ومن تحلم بحلم كان كمن شهد الزور ويكلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين يعذب حتى يعقدهما ولن يعقدهما. ومن كان ذا وجهين ولسانين في الدنيا جعل الله له وجهين ولسانين في النار، ومن استنبط حديثاً باطلاً فهو كمن حدث به. قيل: وكيف يستنبطه؟ قال: هو الرجل يلقي الرجل فيقول: أكان زيت وذيت، فيفتحه، فلا يكونن أحدكم مفتاح الشر والباطل. ومن مشى في صلح بين اثنين صلت عليه الملائكة حتى يرجع وأعطى أجر ليلة القدر، ومن مشى في قطيعة بين اثنين كان عليه من الوزر بقدر ما أعطي من أصلح بين اثنين من الأجر، ووجبت عليه اللعنة حتى يدخل جهنم فيضاعف له العذاب، ومن مشى في عون أخيه المسلم ومنفعته كان له ثواب المجاهدين في سبيل الله، ومن مشى في غيبته وكشف عورته كان أول قدم يخطوها كأنما وضعها في جهنم، ثم تكشف عورته يوم القيامة على رؤوس الخلائق. ومن مشى إلى ذي قرابة أو ذي رحم يسأل أو يسلم عليه أعطاه الله أجر مائة شهيد، وإن وصله مع ذلك كان له بكل خطوة أربعون ألف حسنة، ويحط عنه بها أربعون ألف سيئة، ويرفع له بها ألف ألف درجة، وكأنما عبد الله مائة ألف سنة. ومن مشى في فساد بين القرابات والقطيعة بينهم غضب الله عليه في الدنيا ولعنه وكان عليه كوزر من قطع الرحم. ومن عمل في فرقة بين امرأة وزوجها كان عليه لعنة الله في الدنيا والآخرة وحرم الله النظر إلى وجهه. ومن قاد ضريراً إلى المسجد أو إلى منزله أو إلى حاجة من حوائجه كتب الله له بكل قدم رفعها أو وضعها عتق رقبة وصلت

عليه الملائكة حتى يفارقه، ومن مشى لضرب في حاجة حتى يقضيها أعطاه الله براءتين: براءة من النار وبراءة من النفاق، وقضى له سبعون ألف حاجة من حوائج الدنيا، ولم يزل يخوض في الرحمة حتى يرجع. ومن قام على مريض يوماً وليلة بعثه الله مع خليله إبراهيم حتى يجوز على الصراط كالبرق اللامع. ومن سعى لمريض في حاجة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. فقال رجل من الأنصار: فإن كان المريض قرابته أو بعض أهله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ومن أعظم أجراً ممن سعى في حاجة أهله، ومن ضيع أهله وقطع رحمه حرمة الله حسن الجزاء يوم يجزي المحسنين، وصيره مع الهالكين حتى يأتي بالخرج، وأتى له بالخرج. ومن مشى لضعيف في حاجة له أو منفعة أعطاه الله كتابه يمينه. ومن أقرض ملهوفاً فأحسن طلبه فليستأنف العمل وله عند الله بكل درهم ألف قنطار في الجنة. ومن فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة، ونظر إليه نظر رحمة ينال بها الجنة. ومن مشى في صلح امرأة وزوجها كان له أجر ألف شهيد قتلوا في سبيل الله حقاً، وكان له بكل خطوة عبادة سنة صيامها وقيامها. ومن أقرض أخاه المسلم فله بكل درهم وزن جبل أحد وحراء وثبير وطور سيناء حسنات، فإن رفق به في طلبه بعد حله جرى له بكل يوم صدقة، وجاز على الصراط كالبرق اللامع لا حساب عليه ولا عقاب، ومن مظل طالبه وهو يقدر على قضائه فعليه خطيئة عشار، فقام إليه عوف بن مالك الأشجعي فقال: وما خطيئة عشار؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خطيئة العشار أن عليه في كل يوم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، (ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً)⁽¹⁾. ومن اصطنع إلى أخيه المسلم معروفاً ثم من به عليه أحبط الله أجره وخيب سعيه، ثم قال: ألا وإن الله حرم على البخيل والمنان والمختال والجواظ⁽²⁾ والجعظ⁽³⁾ والعتل⁽⁴⁾ والزنيم⁽⁵⁾ ومدمن الخمر الجنة. ومن تصدق بصدقة أعطاه الله بوزن كل ذرة منها مثل جبل أحد من نعيم [الجنة]⁽⁶⁾. ومن مشى بها إلى المساكين كان له مثل ذلك، ولو تناولها أربعون ألف إنسان حتى تصل إلى المساكين كان لكل واحد

(1) النساء: 152.

(2) الجواظ: المتكبر الجافي: لسان العرب: جوظ.

(3) الجعظ والجعظ: السيئ الخلق المستخبط عند الطعام: لسان العرب: جعظ.

(4) العتل: الجافي الغليظ: لسان العرب: عتل.

(5) الزنيم: الدعي في النسب: لسان العرب: زنم.

(6) زيادة من مسند الحارث.

منهم مثل ذلك الأجر كاملاً، (وما عند الله خير وأبقى للذين اتقوا وأحسنوا)^(١). ومن بنى لله مسجداً أعطاه الله بكل شبر، أو قال بكل ذراع، أربعين ألف مدينة من ذهب وفضة ودر وياقوت وزبرجد ولؤلؤ، في كل مدينة أربعون ألف قصر، في كل قصر سبعون ألف ألف دار، في كل دار سبعون ألف ألف بيت، في كل بيت أربعون ألف ألف سرير، على كل سرير زوجة من الحور العين، وفي كل بيت أربعون ألف ألف وصيفة وأربعون ألف ألف وصيف، وفي كل بيت أربعون ألف ألف مائدة، على كل مائدة أربعون ألف ألف قصعة، في كل قصعة أربعون ألف ألف لون من الطعام، ويعطي الله عز وجل وليه من القوة ما يأتي على الأزواج وذلك الطعام والشراب في يوم واحد. ومن تولى أذان مسجد من مساجد الله عز وجل يريد بذلك وجه الله أعطاه الله ثواب أربعين^(٢) ألف ألف نبي، وأربعين ألف ألف صديق، وأربعين ألف ألف شهيد، ويدخل في شفاعته أربعون ألف ألف أمة، كل أمة أربعون ألف ألف رجل، وله في كل جنة من الجنان [أربعون ألف ألف مدينة، في كل مدينة أربعون ألف ألف] قصر، في كل قصر أربعون ألف ألف دار، في كل دار أربعون ألف ألف بيت، في كل بيت أربعون ألف ألف سرير، على كل سرير زوجة من الحور العين، سعة كل بيت منها مثل سعة الدنيا أربعين ألف ألف مرة، بين يدي كل زوجة أربعون ألف [ألف] وصيفة وأربعون ألف ألف وصيف، في كل بيت أربعون ألف ألف مائدة، على كل مائدة أربعون ألف ألف قصعة، في كل قصعة أربعون ألف ألف لون، لو نزل به الثقلان لأدخلهم أدنى بيت من بيوته بما شاقوا من الطعام والشراب واللباس والطيب والثمار وألوان التحف والطرائف والحلي والحلل، كل بيت منها مكتف بما فيه من هذه الأشياء عن البيت الآخر، فإذا قال المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله اكتنفه سبعون ألف ملك كلهم يصلون عليه ويستغفرون له، وهو في ظل رحمة الله [حتى يخلو]، ويكتب ثوابه أربعون ألف ألف ملك. قال: ثم يصعدون [به] إلى الله عز وجل، ومن مشى إلى مسجد من المساجد فله بكل خطوة يخطوها عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيئات، ويرفع له عشر درجات. ومن حافظ على الجماعة، حيث كان ومع من كان، مر على الصراط كالبرق اللامع في أول [زمرة من] السابقين ووجهه أضوأ من القمر ليلة البدر، وكان له بكل يوم وليلة حافظ عليها ثواب شهيد. ومن

(١) القصص: 60.

(٢) ساقط من ط.

حافظ على الصف المقدم فأدرك أول تكبيرة من غير أن يؤذي مؤمناً أعطاه الله مثل ثواب المؤذن في الدنيا والآخرة. ومن بنى بناء على ظهر طريق يأوي عابر السبيل بعثه الله يوم القيامة على نجية من در، ووجهه يضيء لأهل الجمع حتى يقول له أهل الجمع: هذا ملك من الملائكة لم ير مثله حتى يزاحم إبراهيم في قبته ويدخل الجنة بشفاعته أربعون ألف رجل، ومن شفع لأخيه المسلم في حاجة نظر الله إليه وحق على الله أن لا يعذب عبداً نظر إليه حتى إذا كان ذلك يطلب منه أن يشفع إليه، فإذا شفع له من غير طلب كان له مع ذلك أجر سبعين شهيداً. ومن صام رمضان وكف عن اللغو والغيبة والكذب والخوض في الباطل، وأمسك لسانه إلا عن ذكر الله عز وجل، وكف سمعه وبصره وجميع جوارحه عن محارم الله عز وجل وعن أذى المسلمين كان له من القربة عند الله أن تمس ركبته ركبة إبراهيم خليله. ومن احتفر بئراً حتى يستنبط ماءها فبذلها للمسلمين كان له أجر من توضع منها وصلى وله بعدد من شرب منها حسنات أنس أو جن أو بهيمة أو سبع أو طائر أو غير ذلك، وله بكل شعرة من ذلك عتق رقبة ويرد في شفاعته يوم القيامة حوضي القدس، قيل: وما حوض القدس؟ قال: حوضي حوضي حوضي. ومن حفر قبراً لمسلم حرمه الله على النار وبوأه بيتاً في الجنة لو وضع فيه ما بين صنعاء والحبيشة لوسعها، ومن غسل ميتاً وأدى الأمانة فيه كان له بكل شعرة عتق رقبة ورفع له بها مائة درجة، فقال عمر بن الخطاب: وكيف يؤدي فيه الأمانة يا رسول الله؟ قال: يستر عورته، ويكتم سيئته، وإن هو لم يستر عورته ولم يكتم سيئته أبدى الله عورته على رؤوس الخلائق، ومن صلى على ميت صلى عليه جبريل ومعه سبعون ألف ملك وغفر له ما تقدم من ذنبه، فإن أقام حتى يدفن وحنأ عليه التراب انقلب وله بكل خطوة حتى يرجع إلى منزله قيراط من الأجر، والقيراط مثل أحد. ومن ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكل قطرة من دموعه مثل أحد في ميزانه، وله بكل قطرة عين في الجنة على حافتيها من المدائن والقصور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واصلف. ومن عاد مريضاً فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله سبعون ألف حسنة ومحى عنه سبعون ألف سيئة ورفع له سبعون ألف درجة ويوكلون به سبعون ألف ملك يعودونه ويستغفرون له إلى يوم القيامة. ومن تبع جنازة فله بكل خطوة يخطوها حتى يرجع مائة ألف حسنة ومحى عنه مائة ألف سيئة ورفع له مائة ألف درجة، وإن صلى عليها وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له حتى يرجع، وإن شهد دفنها استغفروا له حتى يبعث من

قبره. ومن خرج حاجا أو معتمرا فله بكل خطوة حتى يرجع ألف ألف حسنة، ومحو ألف سيئة، ورفع ألف ألف درجة، وله عند ربه بكل درهم ينفقه ألف ألف درهم، وبكل دينار ألف ألف حسنة يعملها ألف ألف حسنة، حتى يرجع وهو في ضمان الله عز وجل، فإن توفاه أدخله الجنة، وإن رجع مغفورا له مستجابا له، فاغتنموا دعوته إذا قدم قبل أن يصيب الذنوب، فإنه يشفع في مائة ألف رجل يوم القيامة، ومن خلف حاجا أو معتمرا في أهله بخير كان له مثل أجره كاملا من غير أن ينقص من أجره شيء. ومن رابط أو جاهد في سبيل الله كان له بكل خطوة حتى يرجع سبع مائة ألف ألف حسنة، ومحو سبع مائة ألف ألف سيئة، ورفع مائة ألف ألف درجة، وكان في ضمان الله، فإن توفاه بأي حتف كان، أدخله الجنة، وإن رجعه رجعه مغفورا له مستجابا له. ومن زار أخاه المسلم فله بكل خطوة حتى يرجع عتق مائة ألف رقبة ومحو مائة ألف سيئة، ويكتب له بها مائة ألف درجة. قال فقلنا لأبي هريرة: أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أعتق رقبة فهي فداؤه من النار؟ قال: بلى، ويرفع له سائرهما في كنوز العرش عند ربه عز وجل. ومن تعلم القرآن ابتغاء وجه الله وتفقه في الدين كان له من الثواب مثل جميع ما أعطى الملائكة والأنبياء والرسل. ومن تعلم القرآن رياء وسمعة ليماري به السفهاء ويباهي به العلماء، ويطلب به الدنيا، بدد الله عظامه، [يوم القيامة وكان من أشد أهل النار عذابا]، ولا يبقى فيه نوع من أنواع العذاب إلا عذب به لشدة غضب الله وسخطه. ومن تعلم العلم وتواضع في العلم وعلمه عباد الله يريد بذلك ما عند الله لم يكن في الجنة أفضل ثوابا، ولا أعظم منزلة [منه]، ولم يكن في الجنة منزلة ولا درجة رفيعة نفيسة إلا وله فيها أوفر النصيب وأشرف [المنازل]، ألا وإن العلم أفضل العبادة وملاك الدين الورع، وإنما العالم من عمل بعلمه وإن كان قليل العلم فلا تحقرن من المعاصي شيئا، وإن صغرت في أعينكم فإنه لا صغير مع إصرار، ولا كبير مع استغفار، ألا وإن الله عز وجل سائلكم عن أعمالكم حتى عن مس أحدكم ثوب أخيه. واعلموا عباد الله أن العبد يبعث يوم القيامة على ما مات عليه وقد خلق الله الجنة والنار، فمن اختار النار على الجنة فأبعده الله، ألا وإن ربي عز وجل أمرني أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على

الله عز وجل، ألا وإن الله عز وجل لم يدع شيئاً نهي عنه إلا وقد بينه لكم (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة)^(١)، ألا وإن الله لا يظلم ولا يجوز عليه ظلم، وهو بالمرصاد (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى)^(٢) فمن أحسن فلنفسه (ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد)^(٣) أيها الناس إنه قد كبرت سني، ودق عظمي، وانهد جسمي، ونعيت إلى نفسي، واقترب أجلي واشتقت إلى ربي عز وجل، ألا وإن هذا آخر العهد بيني وبينكم، فما دمت حياً فقد تروني، وإذا [أنا] مت فالله خليفتي على كل مسلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ثم نزل فابتدره رهط من الأنصار قبل أن ينزل [من المنبر]، فقالوا: جعلنا أنفسنا فداك يا رسول الله، من يقوم بهذه الشدائد؟ وكيف العيش بعد هذا اليوم؟ فقال لهم: وأنتم فداكم أبي وأمي، نازلت ربي عز وجل في أمي فقال لي: باب التوبة مفتوح حتى ينفخ في الصور، ثم قال: من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه. ثم قال: سنة كثير، من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه. ثم قال: شهر كثير، من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه. ثم قال: جمعة كثيرة، قال: (من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال يوم كثير. ثم قال)^(٤): من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه. ثم قال: من تاب قبل أن يغرغر بالموت تاب الله عليه. ثم نزل فكانت آخر خطبة خطبها صلى الله عليه وسلم، هـ.

وسمعت على شيخنا أبي مهدي الثعالبي جميع رسالة أبي محمد بن أبي زيد بلفظي في منزله بجانب المسجد الحرام، وأجازني بها وبسائر مروياته، خصوصاً مؤلفات أهل مذهب مالك (بأسانيد إلى أربابها، حسبما أذكرها، وقد جمع، رضي الله عنه، سلسلة الفقه على مذهب مالك)^(٥) جمعا لم يسبق إليه بعدما حارت فيه فحول الأئمة كما هو معروف، فرفع الأسانيد من طريق شيخه الأنصاري إلى مشاهير أئمة المذهب المتأخرين، ثم إلى من فوقهم في الشهرة والزمان، ثم كذلك على أسلوب غريب إلى أن أوصلها إلى الإمام مالك، ثم إلى النبي، صلى الله عليه

(١) الأنفال: 42.

(٢) النجم: 31.

(٣) فصلت: 46.

(٤) ما بين قوسين ساقط من ط.

(٥) ما بين قوسين ساقط من ط.

وسلم، ولنذكر جمعه المذكور بلفظه، وإن كان فيه طول، فرمما يغتبط به. قال، رضي الله عنه، وهو مما أدرجه في كتابه: كثر الرواة، ما نصه:

باسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم:

في ذكر سند الفقه من طريق شيخنا قلنس الله روحه، قد تقدم ذكر ما أخذته عنه في الفقه، وهو أخذه، رحمه الله، دراية ورواية عن أعلامه الأدلاء، ومفاخره الأجلاء، أبي محمد بن طاهر الحسني⁽¹⁾، وأبي عبد الله بن أبي بكر الدلائي⁽²⁾، والشهاب أبي العباس المقرئ التلمساني. أما الأول فأخذه كذلك عن غير واحد من، أجلهم العالم النظار أبو العباس أحمد بن علي المنجور الفاسي⁽³⁾، وهو أخذه عن جماعة منهم العلامة أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد القصري المعروف بسقين⁽⁴⁾، والعلامة أبو الحسن علي بن هارون المطغري⁽⁵⁾، والعلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن اليسيتي⁽⁶⁾، وأبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن يحيى الونشريسي⁽⁷⁾ الفاسيون، وهم أربعتهم أخذوه عن حافظ المذهب في عصره أبي عبد الله محمد بن أحمد بن غازي⁽⁸⁾، وزاد سقين عن شيخ العلمين، ومحقق الفنين، الإمام أبي أحمد زروق الفاسي، وزاد عبد الواحد عن أبيها حامل لواء المذهب أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني ثم الفاسي، مؤلف المعيار المعرب في

(1) تقدمت ترجمته.

(2) أبو بكر بن محمد بن سعيد المجاطي الدلائي، صاحب لزاوية الدلائية، إمام عارف، توفي سنة 1021 هـ: النقاط الدرر، ص: 65. نشر المتاني 1: 163. اقتفاء الأثر، ص: 105.

(3) أبو العباس أحمد بن علي المنجور الفاسي، فقيه مشارك، له مراقي المجد في آيات السعد، وشرح عقيدة ابن زكري، مولده سنة 926 هـ، وتوفي سنة 995 هـ: دوحة الناشر، ص: 59، شجرة النور الزكية 1: 415.

(4) عبد الرحمن سقين، فقيه مشارك، رحل إلى الحجاز ولقي المشايخ وأخذ عنهم، وعاد إلى فاس وتقلد بها الفتيا، توفي سنة 956 هـ: دوحة الناشر، ص: 56. لقط الفرائد، ص: 301.

(5) علي بن هارون المطغري، الشيخ الفقيه الراوية، تولى الفتيا والتدريس بفاس، توفي سنة 951 هـ: دوحة الناشر، ص: 51. لقط الفرائد، ص: 298.

(6) أبو عبد الله محمد بن أحمد اليسيتي، فقيه مشارك، رحل إلى مكة والقاهرة للأخذ عن شيوخهما، رجع إلى فاس سنة 932 هـ للتدريس بها، له تأليف منها شرح على مختصر خليل، توفي سنة 959 هـ: دوحة الناشر، ص: 58، شجرة النور الزكية 1: 409. الفكر السامي 4: 316.

(7) أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن يحيى الونشريسي، الفقيه العالم المفتي، صاحب كتاب المعيار المعرب، توفي في آخر سنة 955 هـ: دوحة الناشر، ص: 53. لقط الفرائد، ص: 300.

(8) محمد بن أحمد ابن غازي المكناسي العثماني، الشيخ الراوية، تولى الإمامة بجامع القرويين والفتيا بفاس، له كتاب: الروض الهتون في التعريف بأخبار مكناسة الزيتون، توفي عام 919 هـ: دوحة الناشر، ص: 46. لقط الفرائد، ص: 285.

النوازل. وأما الثاني والثالث فأخذه عن شيخ الفتوى بفاس، العلامة المحقق أبي عبد الله محمد ابن قاسم القيسي الشهير بالقصار⁽¹⁾، وهذا أخذه عن اليسيتي وغيره، وأخذه اليسيتي عن تقدم، وعن الفقيه الحافظ أبي العباس أحمد بن علي الزقاق⁽²⁾، والفاسي، وهو أخذه عن أبيه العلامة المحقق أبي الحسن علي بن قاسم بن محمد الزقاق⁽³⁾، وزاد الثالث، وهو الشهاب المقرئ فأخذه عن عمه إمام الفتوى بتلمسان، بل بالمغرب سنين سنة، أبي عثمان سعيد بن أحمد المقرئ⁽⁴⁾، وهو أخذه عن العلامة أبي عبد الله محمد بن محمد التنسي، وهو أخذه عن أبيه الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني، وقد انتهت الطرق باعتبار ما اقتصرنا عليه إلى خمسة أعيان من أعلام فاس وتلمسان الإمام ابن غازي، والشيخ زروق، والعلامة الونشريسي، والمحقق أبي الحسن الزقاق، والحافظ التنسي. أما ابن غازي فأخذه عن جماعة من أجلاهم العلامة الحافظ أبو عبد الله محمد بن قاسم القوري⁽⁵⁾ اللخمي المكناسي ثم الفاسي، والمحقق النظار أبو العباس أحمد بن عمر المزدغي، والفقيه المتفنن أبو زيد عبد الرحمن الكاواني، أما القوري فأخذه عن الحافظ أبي موسى عمران ابن موسى الجاناني، وأما المزدغي والكاواني فأخذه عن شيخ الجماعة بفاس أبي مهدي عيسى بن علال المصمودي، وتلميذه الحافظ أبي القاسم التازغدري، والحافظ الجاناني، وابن علال المصمودي أخذه عن الحافظ شيخ الفتيا بفاس أبي عمران موسى بن محمد بن معطي العبدوسي الفاسي⁽⁶⁾، وهو أخذه عن الفقيه الضابط عبد العزيز القوري الفاسي⁽⁷⁾ صاحب التقييد على المدونة المنسوب لأبي الحسن الصغير، وهو أحسن التقايد وأصحها، وعن شيخ الرسالة

(1) أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسي، الشهير بالقصار، فقيه محدث، له مؤلفات مفيدة، ولد سنة 936 هـ، وتوفي سنة 1012 هـ: التقاط الدرر، ص: 39. خلاصة الأثر 4: 121. روضة الأس ص: 352. شجرة النور الزكية 1: 427.

(2) أبو العباس أحمد بن علي الزقاق، فقيه متكلم، رحل وحج، له تأليف منها شرح على منظومة أبيه في القواعد، توفي سنة 931 هـ: دوحه الناشر، ص: 51. شجرة النور الزكية 1: 396.

(3) أبو الحسن علي بن قاسم الزقاق التجيبي، الفاسي، فقيه مشارك، له لامية الزقاق وتقييد على مختصر خليل، توفي سنة 912 هـ: دوحه الناشر ص: 54. شجرة النور الزكية 1: 396.

(4) أبو عثمان سعيد بن أحمد المقرئ، علامة مشارك، تولى الفتيا والتدريس بتلمسان، ولد قبل سنة 930 هـ، وتوفي في حدود سنة 1010 هـ: التقاط الدرر، ص: 38. شجرة النور الزكية 1: 427.

(5) أبو عبد الله محمد بن قاسم القوري، شيخ الفتوى بفاس، توفي سنة 872 هـ: وفيات الونشريسي، ص: 149.

(6) أبو عمران موسى ابن معطي العبدوسي، فقيه حافظ، توفي سنة 776 هـ: شرف الطالب، ص: 85.

(7) أبو فارس عبد العزيز بن محمد القوري الفاسي، الفقيه العلامة، له تقييد على المدونة، توفي سنة 750 هـ: شجرة النور الزكية 1: 318.

والمدونة أبي زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي⁽¹⁾، والقوري أخذه عن شيخ الإسلام والقائم على المذهب الجامع بين العلم والعمل، أبي الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي⁽²⁾ المشهور بأبي الحسن الصغير، بضم الصاد المهملة وفتح الغين المعجمة وتشديد المثناة التحتية، وهو وابن عفان الجزولي أخذاه عن شيخ الفتيا، وأتبع الناس للحق أبي الفضل راشد بن أبي راشد الوليدي الفاسي، وعن شيخ المدونة أبي إبراهيم إسحاق بن يحيى بن مطر الأعرج صاحب الطرر على المدونة، وهما أخذاه عن شيخ المغرب علما وعملا الإمام الكبير أبي محمد صالح الهسكوري الفاسي⁽³⁾، وهو أخذه عن الحافظ الكبير أبي موسى عيسى بن مع النصر المومنانى الفاسي وأبي القاسم بن البقال، وهما أخذاه عن الحافظ الضابط الواسع الدراية والرواية أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، وهو أخذه عن فحول المذهب وأعلامه؛ أبي محمد عبد الرحمن بن عتاب، وأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم.

وأما شيخ الكمال أبو العباس أحمد زروق فأخذه عن القوري بسنده، وعن عالم الصلحاء وصالح العلماء أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفري مؤلف شرح ابن الحاجب وغيره، وعن الحافظ أبي العباس ابن عبد الرحمن بن موسى المعروف بحلولو⁽⁴⁾ شارح المختصر وغيره، وعن قاضي الجماعة ومفتيها أبي عبد الله محمد بن قاسم الرصاع التونسي مؤلف شرح حدود ابن عرفة وغيره، والثلاثة: الثعالبي وحلولو والرصاع أخذوه عن العلامة النظار حافظ المذهب وشيخ الفتيا أبي القاسم بن أحمد بن إسماعيل التونسي البرزلي مؤلف النوازل المشهورة. وزاد الثعالبي عن العلامة النقاد أبي عبد الله محمد بن خلفه الأبي مؤلف كمال الإكمال، والحافظ أبي الفضل ابن مرزوق الحفيد. وزاد حلولو عن الحافظ أبي الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي⁽⁵⁾ شارح الرسالة والمدونة. وزاد الرصاع عن

(1) أبو زيد عبد الرحمن الجزولي، فقيه حافظ، توفي بفاى سنة 745 هـ: شرف الطالب، ص: 80.

(2) أبو الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي، الشهير بالصغير، فقيه علامة مشرك، توفي سنة 656 هـ: الفكر السامي 4: 278.

(3) أبو محمد صالح بن محمد الهسكوري، فقيه مشارك، توفي سنة 631 هـ: شجرة النور الزكية 1: 266.

(4) أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الشهير بحلولو، الطرابلسي، له شرحان على المختصر، كان حيا سنة 837 هـ: الفكر السامي 4: 301.

(5) أبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي، فقيه حافظ، له شرح على الرسالة مطبوع وشرح على المدونة، توفي سنة 837 هـ: شجرة النور الزكية 1: 350. الفكر السامي 4: 301.

العلامة المحقق أبي عبد الله محمد بن عتاب التونسي، وأخذ الرصاع أيضا عن الثعالبي عن نادرة الدنيا في الحفظ والاتساع أبي القاسم عبد العزيز بن موسى بن محمد بن معطي العبدوسي الفاسي، والجميع ما عدا العبدوسي، أخذوه عن إمام المذهب وأستاذ التحقيق أبي عبد الله محمد بن عرفة الوردغمي التونسي، وزاد البرزلي عن قاضي الجماعة أبي العباس أحمد بن حيدرة التونسي. وأما أبو القاسم العبدوسي فأخذه عن أبيه أبي عمران موسى بن محمد العبدوسي بسنده المتقدم، وأخذه الإمام ابن عرفة والقاضي ابن حيدرة عن جماعة منهم قاضي الجماعة وشيخ الفتيا أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري⁽¹⁾ التونسي شارح ابن الحاجب، والإمام المجتهد أبو عبد الله محمد بن هارون التونسي⁽²⁾ شارح ابن الحاجب ومختصر المتبوية، وهما أخذه عن جماعة منهم العلامة الإمام المعمر أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون القرطبي ثم التونسي، وهو أخذه عن الحافظ أبي القاسم أحمد بن يزيد بن بقي القرطبي، وهو أخذه عن الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الحق الخزرجي القرطبي، وهو أخذه عن شيخ الفقهاء أبي عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع. أما الحافظ أبو العباس الونشريسي فأخذه عن جماعة أعلام أهلهم شيخ الإسلام ومفتيه المجتهد أبو الفضل قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني⁽³⁾ وتلميذه ولده أبو سالم إبراهيم بن قاسم، والعلامة أبو عبد الله محمد بن العباس العبادي التلمساني، وأخذه ابن العباس عن أبي الفضل قاسم المذكور، وعن إمام المغرب وقطبه الحافظ المطلق أبي الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد التلمساني، وهما أخذه عن الإمام الكبير المجتهد والد الأول أبي عثمان سعيد بن محمد العقباني، وزاد الحفيد عن أبيه وعن العلامة المحقق أبي محمد عبد الله بن محمد الشريف التلمساني، وعن الإمام ابن عرفة بسنده المتقدم. أما الإمام سعيد العقباني وابن عرفة أيضا فأخذه عن خزانة المذهب العلامة أبي عبد الله محمد بن سليمان السطبي، وزاد العقباني عن العالمين الراسخين، والعلمين الشاخصين الأخوين أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى ابني إمام التلمسانيين، وهما أخذه عن جماعة منهم: الفقيه الحافظ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن تميم اليفرنى،

(1) محمد بن عبد السلام الهواري، الفقيه القاضي، له شرح على مختصر ابن الحاجب في الفقه، توفي سنة 750 هـ: شرف الطالب، ص: 81. شجرة النور الزكية 301:1.

(2) أبو عبد الله محمد بن هارون التونسي، فقيه مفتي، توفي سنة 750 هـ: شرف الطالب، ص: 81.

(3) أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني، الإمام المفتي، توفي سنة 853 هـ: وفيات الونشريسي، ص: 144.

عرف بالطنجي، وهو والحافظ السطحي عن شيخ الإسلام أبي الحسن الصغير بسنده. وأما والد الحفيد أحمد بن محمد بن أحمد ابن مرزوق فأخذه عن والده الإمام الجليل ابن مرزوق الخطيب، وهو أخذه عن الحافظ السطحي^(١) بسنده، وعن العلامة المحقق أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن راشد البكري القفصي^(٢) شارح ابن الحاجب، وهو عن العلامة الجهبذ واحد الدهر أبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي مؤلف الذخيرة وغيرها، وعن القاضي ناصر الدين الأياري، وعن العلامة النظار المتبحر في المعارف أبي العباس ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور المعروف بابن المنير الإسكندري^(٣)، وثلاثتهم أخذوه عن إمام التحقيق وفارس الإتقان أبي عمرو جمال الدين عثمان بن أبي بكر ابن الحاجب، وهو أخذه عن العلم الراسخ شمس الدين علي بن إسماعيل المشهور بأبي الحسن الأياري بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها مثناة تحتية، وهو أخذه عن إمام عصره المرجوع إليه في الفتوى أبي الطاهر إسماعيل ابن مكى بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري من ذرية سيدنا عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، وهو أخذه عن الإمام الكبير أبي بكر الطرطوشي. وأما العلامة عبد الله الشريف التلمساني فأخذه عن والده الإمام محقق النظار المجتهد أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني، وهو أخذه عن ابني الإمام أبي زيد وأبي موسى، وعن الحافظ السطحي بسندهم المتقدم، وعن العلامة أبي عبد الله البروني، وهو عن أبي الحسن الصغير بسنده. وأما أبو الحسن الزقاق والفاسي فأخذه عن القوري، وقد تقدم سنده، وعن الحافظ المحقق أبي عبد الله محمد بن يوسف العبدري الغرناطي المعروف بالمواق^(٤)، وهو أخذه عن جماعة منهم: الإمام قاضي الجماعة بغرناطة وحامل لواء الفقه بها أبو القاسم محمد بن محمد بن سراج الغرناطي، وهو أخذه عن شيخ الشيوخ وإمام الفتوى أبي سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الغرناطي، وهو أخذه عن القاضي أبي عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد الأشعري المالقي المعروف بابن بكر، وهو أخذه عن الحافظ

(١) محمد بن سليمان السطحي، شيخ الفتيا بالمغرب، إمام حافظ، توفي سنة 750 هـ: وفيات الونشريس، ص: 117. شجرة النور الزكية 1: 319.

(٢) محمد بن راشد البكري القفصي، فقيه مشارك، له شرح لمختصر ابن الحاجب والفائق في الأحكام والوثائق، توفي سنة 736 هـ: شرف الطالب، ص: 78.

(٣) أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الإسكندري، ابن المنير، فقيه مفسر، له ديوان خطب، توفي سنة 683 هـ: شجرة النور الزكية 1: 269.

(٤) أبو عبد الله محمد بن يوسف العبدري، المواق الغرناطي، له شرح على المختصر، توفي سنة 897 هـ: شجرة النور الزكية 1: 378. الفكر السامي 4: 311.

الكبير أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير، وهو أخذه عن جماعة منهم: القاضي الجليل أبو عبد الله محمد ابن غازي الأنصار السبتي، والقاضي أبو الخطاب محمد بن أحمد بن خليل بن واحب السكري، وهو أخذه عن أبيه أحمد بن خليل، وهو والقاضي ابن غازي أخذه عن إمام الشورى وشيخ القضاء والفتيا أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي مؤلف التنبيهات وغيرها، وهو أخذه عن شيوخ المذهب وحفاظه وضابطي معانيه وألفاظه القاضي الكبير أبي عبد الله محمد بن عيسى التميمي السبتي وعليه عمدته، وقاضي الجماعة بقرطبة وشيخ الفتوى بها أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي مؤلف البيان والتحصيل والمقدمات وغيرها. والإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج القرطبي صاحب النوازل وغيرها. وشيخ الحفظ والإتقان القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي مؤلف القبس وغيره، والإمام الواسع المتبحر أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبي، وبالإجازة عن آخر المجتهدين أبي عبد الله محمد بن علي المازري التميمي مؤلف شرح التلقين الذي ليس للمالكية مثله. وأما الحافظ التنسي فأخذه عن جماعة منهم الحافظ أبو الفضل ابن مرزوق الحفيد، وهو أخذه عن تقدم ومن جملتهم العلامة عبد الله بن محمد الشريف التلمساني، وهو أخذه عن تقدم وعن الإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن قاسم المعروف بالقصاب⁽¹⁾، وهو أخذه عن قاضي الجماعة بفاس أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي⁽²⁾ صاحب الوثائق، وهو أخذه عن أبي الحسن بن سليمان القرطبي، وهو أخذه عن أبي عمر عبد الرحمن بن عبد الله بن سليمان بن حوط الله القرطبي، وهو أخذه عن أبيه أبي محمد عبد الله بن سليمان، وهو أخذه عن الإمام الجليل أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الحفيد مؤلف بداية المجتهد ونهاية المقتصد وغيره، وعن الحافظ المبرز أبي عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون⁽³⁾ مؤلف الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار وغيره. فالأول وهو الحفيد أخذه عن أبيه عن جدّه وعن الإمام النظار المجتهد المديد الباع في تحقيق النظر أبي عبد الله محمد بن علي التميمي

(1) أبو العباس أحمد القباب، فقيه مشارك، له شرح على قواعد عياض، وشرح على بيوع ابن جماعة التونسي، توفي سنة 79 هـ: شرف الطالب، ص: 85. وفيات النشرسي، ص: 128.

(2) محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي، قاضي الجماعة بفاس، توفي سنة 777 هـ: وفيات النشرسي، ص: 127.

(3) أبو عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون الأنلسي، من تلامذة القاضي عياض، له كتاب الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار، توفي بإشبيلية سنة 586 هـ: شرف الطالب، ص: 66.

المازري مؤلف شرح التلقين وغيره. والثاني وهو ابن زرقون أخذه عن القاضي أبي الفضل عياض.

جامعة مشارق أنوارها لامة:

قد انتهت الطرق إلى أعلام الطبقة وشيوخ الفتيا وأئمة الشورى، الإمام المازري وأبي الوليد ابن رشد وابن الحاج وأبي بكر الطرطوشي وابن العربي وأبي محمد بن عتاب والقاضي ابن عيسى التميمي. أما الإمام المازري فأخذه عن الإمام المتفّن رأس الفتيا بإفريقية أبي الحسن علي بن محمد اللخمي مؤلف التبصرة، والمحقق النظّار أبي محمد عبد الحميد بن محمد المعروف بابن الصائغ مكمل تعليقه التونسي، وهما أخذه عن الإمام المرجوع إليه أبي إسحاق إبراهيم بن حسن التونسي مؤلف التعليق على المدونة، والعلامة النظّار أبي القاسم بن محرز القيرواني مؤلف التبصرة، وهما أخذه عن الإمامين الكبيرين والعالمين الجليلين أبي بكر بن عبد الرحمن وأبي عمران الفاسي، وهما أخذه عن شيخه المذهب وموشي طرازه المذهب، وحلي الدنيا من سائر الأقطار أبي محمد عبد الله بن أبي زيد مؤلف الرسالة والنوادر والمختصر وغيرهما، وأبي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي⁽¹⁾، وزاد أبو بكر بن عبد الرحمن عن أبي القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله الغافقي الجوهري المصري. وزاد أبو عمران الفاسي عن أبي عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالوشا المصري، وهذا؛ أعني الوشا والجوهري أخذه عن رأس المالكية في عصره بمصر أبي إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المعروف بابن القرطبي⁽²⁾، بقاف مضمومة وراء ساكنة وطاء مهملة بعدها ياء النسبة، المصري مؤلف الزاهي ومختصر ما ليس في المختصر، وهو أخذه عن الفقيه الكبير أبي بكر أحمد بن موسى بن عيسى بن صدقة الصديقي المصري المعروف بالزيات⁽³⁾، وهو أخذه عن رابع المحمدين وكبير الفقهاء الراسخين، أفقه أهل عصره بمصر أبي عبد الله محمد بن عبد

(1) أبو الحسن علي بن خلف القابسي، فقيه متكلم، له تصانيف منها المهد في الفقه وكتاب المعلمين وكتاب الذكر والدعاء، توفي سنة 403 هـ: شجرة النور الزكية 1: 145.

(2) محمد بن القاسم بن شعبان المصري، ابن القرطبي، فقيه حافظ، له كتاب الزاهي في الفقه وغيره، توفي سنة 355 هـ: شجرة النور الزكية 1: 120.

(3) أبو بكر أحمد بن موسى بن صدقة المصري، ابن الزيات، الفقيه الإمام، توفي بمصر سنة 306 هـ: شجرة النور الزكية 1: 120.

الله بن عبد الحكم^(١)، وهو أخذه عن أبيه وعن ابن القاسم وأشهب وابن وهب. وأما الشيخان والراسخان والجللان الشامخان أبو محمد بن أبي زيد، وأبو الحسن القابسي فأخذه عن الحافظ أبي ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي، وعن عالم إفريقية القائم على مذهب مالك أبي العباس عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الإيباني، بكسر الهمزة والموحدة المشددة المكسورة بعدها مثناة تحتية، وزاد ابن أبي زيد عن الحافظ المبرز الجليل القدر أبي بكر محمد بن اللباد القيرواني، وعليه عمدته، وعن العالم الثقة أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي. أما أبو ميمونة دراس فأخذه عن جماعة منهم الحافظ أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي مطر، وهو أخذه عن محقق المذهب ومنقح مسائله والمعول على قوله في عصره أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن المواز مؤلف المختصر المعروف بالموازية، وهو أخذه عن محمد بن عبد الحكم وابن الماحشون وأصبغ والحارث بن مسكين والأخيران أخذه عن ابن القاسم وأشهب وابن وهب. وأما الثلاثة أبو العباس الأيباني وأبو بكر بن اللباد وأبو العرب التميمي فأخذوه عن الإمام الحافظ المجاب الدعوة أبي زكريا يحيى بن عمر الأندلسي القيرواني مؤلف اختصار المستخرجة، وعن الحافظ المقدم أبي جعفر أحمد بن أبي سليمان المعروف بابن الصواف، وعن العالم الورع أحمد بن محمد الأشعري المعروف بحمديس القطان، وثلاثتهم أخذوه عن إمام العلم والعمل أبي سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي القيرواني مؤلف المدونة وتسمى أيضا المختلطة، وهو أخذه عن علي بن زياد التونسي وابن أشرص وابن غانم وابن القاسم وأشهب وابن وهب وعبد الله بن الحكم وعبد الملك بن الماحشون. وأما زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب؛ أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، والحافظ المشاور أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج فأخذه عن جماعة منهم شيخ الشورى أبو جعفر أحمد بن محمد بن رزق القرطبي، وعليه معولهما، وعن شيخ الفقهاء القوال بالحق أبي عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع القرطبي مؤلف كتاب الشروط وكتاب الأحكام، وهما أخذه عن أحفظ الناس للمدونة والمستخرجة إمام المذهب وشيخه أبي عمر أحمد بن محمد بن عيسى المعروف بابن القطان القرطبي، وهو أخذه عن الإمام الجليل أبي محمد عبد الله بن يحيى بن دحون

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحكم، العالم المبرز، له عدة تأليف، منها: كتاب الشروط والوثائق وكتاب أحكام القرآن، توفي سنة 268 هـ: شجرة النور الزكية 1: 101.

القرطبي وعن شيخ المفتين أبي محمد عبد الله بن سعيد المعروف بابن الشقاق القرطبي، وهما أخذاه عن أحفظ الناس لأقوال مالك وأصحابه أبي عمر أحمد بن عمر بن عبد الملك المعروف بابن المكي القرطبي مؤلف كتاب الاستيعاب في المذهب، وهو أخذه عن أفقه أهل زمانه أبي بكر محمد بن أحمد المعروف بالؤلؤي القرطبي، وعن صدر الفتيا أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مسرة القرطبي مؤلف كتاب النصائح، فالأول، وهو اللؤلؤي، أخذه عن الحافظ أبي صالح أيوب بن سليمان المعافري القرطبي^(١)، والثاني وهو إبراهيم أخذه عن أفقه الناس وأعرفهم باختلاف أصحاب مالك أبي عبد الله محمد بن عمر بن لبابة القرطبي^(٢)، وعن الحافظ الخبير بمسائل المذهب أبي عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبي^(٣)، والثلاثة، أبو صالح وابن لبابة وابن أيمن، أخذوه عن الحافظ الكبير أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتي نسبة إلى عتبة بن أبي سفيان ولاء، ويقال ولادة، القرطبي مؤلف العتبية، ويقال لها المستخرجة أيضا، وعن الحافظ معلم الأندلس أبي عبد الله محمد بن وضاح القرطبي^(٤)، وعن فقه الشورى الحافظ أبي زكرياء يحيى بن إبراهيم بن مزين القرطبي^(٥) مؤلف المستقصية وغيرها، وعن الفقيه النظار أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطروح الأعرج، وبه يعرف القرطبي، والأربعة، أعني العتي وابن وضاح وابن مزين وابن مطروح، أخذوه عن كبير الأندلس ورئيسها أبي محمد يحيى بن يحيى الليثي القرطبي، وعن أفقه الطبقة الإمام الحجة النظار أبي عبد الله أصبغ بن الفرغ المصري، وزاد الثلاثة سوى ابن مزين عن الإمام سحنون، وزاد ابن مطروح وابن مزين عن فقيه الأندلس والمقدم للفتيا أبي محمد عيسى بن دينار القرطبي^(٦) صاحب الأسمعة، وهو وسحنون وأصبغ ويحيى

(١) أيوب بن سليمان بن صالح بن هشيم المعافري، أبو صالح القرطبي، فقيه حافظ، توفي سنة 301 هـ: الديباج المذهب 91:1.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابة القرطبي، الفقيه الإمام، توفي سنة 314 هـ: شجرة النور الزكية 129:1.

(٣) أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبي، الإمام الفقيه، صنف كتابا على سنن أبي داود، توفي سنة 330 هـ: شجرة النور الزكية 132:1.

(٤) أبو عبد الله محمد بن وضاح بن يزيد القرطبي، فقيه محدث، له تأليف كثيرة منها رسالة السنة وكتاب الصلاة وغيرهما، توفي سنة 286 هـ: شجرة النور الزكية 114:1.

(٥) أبو زكريا يحيى بن زكريا بن مزين القرطبي، العالم الحافظ، له تفسير الموطأ والمستقصية وغير ذلك، توفي سنة 255 هـ: شجرة النور الزكية 112:1.

(٦) عيسى بن دينار، فقيه مشارك، تولى الفتيا بقرطبة، حج حجات، وولي قضاء طليطلة للحكم والشوري بقرطبة، توفي سنة 212 هـ: الديباج المذهب 179:1.

عن ابن القاسم، وزاد ابن وضاح عن ثقة الثقات القاضي أبي عمرو الحارث بن مسكين المصري، وعن الفقيه الزاهد أبي مروان عبد الملك بن الحسن المعروف بزونان، وعن عالم الأندلس وحافظها أبي مروان عبد الملك بن حبيب مؤلف الواضحة وغيرها، والأولان: ابن مسكين وزونان أخذاه عن ابن القاسم وأشهب وابن وهب، والثالث وهو ابن حبيب أخذه عن أصبغ بن الفرّج وعن الغازي بن قيس، وعن زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبّطون، وعن مطرف وابن الماجشون وعبد الله بن نافع وعبد الله بن عبد الحكم. وأما شيخ الشيوخ أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي فأخذه عن الإمام النظار الحافظ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي مؤلف المنتقى وغيره، وهو أخذه من طريق الأندلسيين عن حافظ المدونة والمستخرجة أبي الأصبغ عيسى بن سهل القرطبي مؤلف الأعلام بنوازل الأحكام، ومن طريق القرويين عن الحافظ أبي محمد علي بن أبي طالب القيسي القيرواني القرطبي، ومن طريق العراقيين عن إمام المذهب بالمشرق في عصره أبي الفضل محمد بن عبد الله بن عبدوس البغدادي. أما ابن سهل فأخذه عن أبي عمر بن القطان بسنده، وعن شيخ المفتين ومعتدّهم أبي عبد الله محمد بن عتاب القرطبي ولازمه واختص به، وعن الفقيه الأنبلي أبي بكر يحيى بن محمد بن حسين الغساني المعروف بالقليعي⁽¹⁾. أما ابن عتاب فأخذه عن جماعة منهم القاضي أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن بشير المعروف بابن الحصار⁽²⁾ ولازمه واختص به وكان يفخر به، وعن كبير المفتين أبي بكر عبد الرحمن بن أحمد التجيبي المعروف بابن حويل، فالأول، وهو ابن بشير أخذه عن قاضي الجماعة أبي العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان⁽³⁾، وهو أخذه عن الإمام المشاور أبي محمد قاسم بن أصبغ البياي القرطبي⁽⁴⁾، وهو أخذه عن محمد بن وضاح بسنده، والثاني، وهو ابن حويل

(1) أبو زكريا يحيى بن محمد بن حسين الغساني المعروف بالقليعي، الفقيه العامل، توفي سنة 442 هـ: شجرة النور الزكية 170:1.

(2) أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد، ابن الحصار، الفقيه الإمام، توفي سنة 422 هـ: شجرة النور الزكية 167:1.

(3) أبو العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان، الفقيه الإمام، توفي سنة 403 هـ: شجرة النور الزكية 153:1.

(4) أبو محمد قاسم بن أصبغ البياي القرطبي، الفقيه المحدث، له مؤلفات عدة، منها المجبى وأحكام القرآن، توفي سنة 340 هـ: شجرة النور الزكية 133:1.

أخذه عن شيخ الشورى والفتيا أبي عبد الله محمد بن حارث الخشني⁽¹⁾ مؤلف كتاب الاتفاق والاختلاف في المذهب، وهو أخذه عن شيوخ المذهب وحفاظه يحيى بن عمر، ومحمد بن سحنون، ومحمد بن عبدوس، وجميعهم أخذوه عن سحنون.

وأما القليعي فأخذه عن كبير المحدثين والفقهاء أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين⁽²⁾، بفتح الزاي والميم وكسر النون، البيري مؤلف كتاب المنتخب في الأحكام، وهو أخذه عن أبي إبراهيم بن مسرة بسنده. وأما أبو محمد مكي فأخذه عن شيخي المذهب أبي محمد بن أبي زيد، وأبي الحسن القابسي بسندهما. وأما أبو الفضل بن عمرو فأخذه عن قاضي المذهب ومحكمي أحكامه العالم النظار أبي الحسن علي بن أحمد البغدادي المعروف بابن القصار⁽³⁾ مؤلف عيون الأدلة في الانتصار للمذهب، وليس في معناه مثله، والعلامة القائم بالحجة للمذهب أبي محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادي⁽⁴⁾ مؤلف التلقين والمعونة والمهد وغيرها. وهو أخذه عن الأول، وعن الحافظ النبيه أبي القاسم عبيد الله بن الجلاب البغدادي⁽⁵⁾ مؤلف التفریع، وهو وابن القصار وكذا عبد الوهاب أخذوه عن انتهت إليه الرياسة في المذهب وتحقيق مداركه الشيخ أبي بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري⁽⁶⁾ مؤلف الشرح لمختصر ابن عبد الحكم، وهو أخذه عن القاضي أبي الفرج محمد بن عمر الليثي البغدادي مؤلف الحاوي، وعن قاضي القضاة أبي عمر محمد بن يوسف من آل حداد، وعن الفقيه الكبير أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد

(1) أبو عبد الله محمد بن حارث بن أس الخشني الأندلسي، الإمام الحافظ، له عدة تأليف منها كتاب الاتفاق والاختلاف في المذهب، وكتاب طبقات علماء إفريقية وغيرهما، توفي بقرطبة سنة 310 هـ: شجرة النور الزكية 1: 141.

(2) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المري القرطبي، الفقيه الحافظ، له تأليف منها تفسير القرآن العظيم والمختب في الأحكام وكتاب المهادي وغير ذلك، توفي سنة 399 هـ: شجرة النور الزكية 1: 150.

(3) علي بن أحمد البغدادي المعروف بابن القصار، الأبهري الشيرازي، الإمام الأصولي الحافظ، توفي سنة 398 هـ: شجرة النور الزكية 1: 138.

(4) أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي، الفقيه الحافظ الحجة، ألف تأليف مفيدة منها: النصرة لمذهب مالك، والمعونة بمذهب عالم المدينة، والمهد في شرح مختصر ابن أبي زيد، والتلقين وشرحه، توفي سنة 421 هـ: شجرة النور الزكية 1: 155.

(5) أبو القاسم عبيد الله بن الحسن بن الجلاب، من أهل العراق، فقيه حفظ، له كتاب في مسائل الخلاف وكتاب التفریع في المذهب، توفي سنة 378 هـ: شجرة النور الزكية 1: 137.

(6) أبو بكر محمد بن عبد الله البهري، الفقيه المقرئ، له تصانيف منها شرح المختصر لابن عبد الحكم وكتاب الأصول وغيرهما، توفي سنة 395 هـ: شجرة النور الزكية 1: 136.

بن الجهم، ويعرف بابن الوراق، والمروزي مؤلف كتاب: مسائل الخلاف والحجة لمذهب مالك وشرح المختصر الصغير لابن عبد الحكم، وهو وأبو الفرج وأبو عمر أخذوه عن أستاذ المذهب والإقراء شيخ المالكية في وقته القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن حماد البصري، وهو أخذه عن نادرة الدنيا والمثل السائر في الذكاء أبي الفضل أحمد بن المعذل العبدي البصري، وهو أخذه عن أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن الماحشون ومحمد بن سلمة. وأما الحافظ المستبصر ختام علماء الأندلس أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري الإشبيلي فأخذه عن أبي بكر الطرطوشي بسنده، وعن أبيه عبد الله ابن العربي، وهو أخذه عن أبي عبد الله بن عتاب بسنده. وأما الإمام الصدر المشاور رحلة الدنيا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب فأخذه عن أبيه بسنده. وأما القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي السبتي فأخذه عن أبي محمد عبد الله ابن حمو بن عمر اللواتي المعروف بالمسيلي، والعلامة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد بن العجوز، واختص بهما وعليهما عمدته، وعن الحافظ أبي علي الحسين ابن محمد بن أحمد الغساني الجياني القرطبي. أما المسيلي فأخذه عن رأس فقهاء سبته أبي إسحاق إبراهيم بن يربوع القيسي السبتي، وعن الحافظ النظار أبي محمد عبد الله بن غالب الهمداني السبتي، وهذا أخذه عن ابن أبي زيد أخذ عنه جميع كتبه بسنده، فالأول وهو ابن يربوع أخذه عن أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بالباجي، وهو أخذه عن ابن لبابة وابن أيمن بسندهما. وأما أبو عبد الله بن العجوز فأخذه عن أبيه الفقيه المشهور أبي محمد عبد الرحمن، وهو أخذه عن أبي إسحاق التونسي بسنده، وعن أبيه شيخ الفتيا أبي عبد الرحمن عبد الرحيم بن أحمد بن العجوز الكتامي السبتي، وهو أخذه عن ابن أبي زيد ولازمه واختص به بسنده. وأما أبو علي الجياني فأخذه عن شيخ الأندلس ومسندها وأحفظ الناس بها لسنة ماثورة أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر مؤلف الكافي والاستذكار والتمهيد وغيرها، وهو أخذه عن أبي عمر بن المنكدر بسنده، وعن الحافظ القاضي أبي الوليد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضي القرطبي، وهو أخذه عن جماعة أعلام منهم: الفقيه المشاور أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن الفخار البيري وعن أبي الحسن مجاهد بن أصبغ الأندلسي البجاني بموحدة الجيم مشددة. أما الأول وهو ابن

الفخار فأخذه عن الحافظ الكبير أبي سلمة فضل بن سلمة^(١) مؤلف مختصر الواضحة وغيره، وهو أخذه عن جماعة منهم الثقة العدل البارع في الفقه القاضي أبو القاسم حماس بن مروان الهمداني القيرواني، وهو أخذه عن محمد بن عبدوس، وهو عن سحنون، وأخذه حماس أيضا عن سحنون وعن محمد بن عبد الحكم. وأما الثاني وهو مجاهد بن أصبغ فأخذه عن الحافظ المشهور أبي عثمان سعيد بن مجلون البجائي^(٢)، وهو أخذه عن الحافظ النزيل يوسف بن يحيى المغامي الدوسي^(٣) من ذرية أبي هريرة، رضي الله عنه، وعن الإمام الجليل أبي بكر أحمد بن ميسر بفتح السين المهملة، فالمغامي أخذه عن يحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب وابن مزين وغيرهم بسندهم، وإن ميسر أخذه عن محمد بن المواز بسنده.

جامعة كبرى ولامعة دوافق أسرارها تترى:

قد ارتقت الأسانيد المتان وانتهت سلاسلها البديعة الإتقان إلى مشاهير أصحاب الإمام وأعلام أئمة الإسلام، مدوني طريقته الغراء، ومنتهجي محجته الزهراء، من المدنيين؛ الإمام الثقة أحد من دارت عليه الفتيا، المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي^(٤) والفقيه الثقة إمام الفتيا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن دينار الجهني^(٥) مولاهم، والثقة الجامع بين العلم والورع أفقه الفقهاء بالمدينة أبو هشام محمد بن سلمة ابن هشام^(٦)، والثقة المقدم أبو مصعب مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار اليساري^(٧)، والفقيه بن الفقيه من دارت عليه الفتيا في وقته أبو

(١) فضل بن سلمة بن جرير الجهني البجائي، الحافظ، ألف مختصر المدونة واختصر الواضحة، مات سنة 319 هـ: شجرة النور الزكية 1:123.

(٢) أبو عثمان سعيد بن مجلون الأموي، محدث الأندلس، توفي سنة 346 هـ: شجرة النور الزكية 1:133.

(٣) يوسف بن يحيى المغامي القرطبي، الفقيه الإمام، له رحلة على المشرق، من تأليفه كتاب في فضائل مالك، مات بالقيروان سنة 288 هـ: شجرة النور الزكية 1:144.

(٤) المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي، الإمام الفقيه، أحد من دارت عليه الفتوى بعد وفاة مالك بالمدينة، توفي سنة 188 هـ: شجرة النور الزكية 1:84.

(٥) أبو عبد الله محمد بن دينار الجهني، الفقيه الإمام، مفتي المدينة، توفي سنة 271 هـ: شجرة النور الزكية 1:86.

(٦) محمد بن سلمة بن هشام، الجامع الثقة، أخذ عن مالك وغيره، توفي سنة 206 هـ: شجرة النور الزكية 1:85.

(٧) أبو مصعب مطرف بن عبد الله بن مطرف المدني، الإمام الثقة، توفي سنة 220 هـ: شجرة النور الزكية 1:86.

مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون^(١)، والثقة الثبت أحد أئمة الفتوى أبو محمد عبد الله بن نافع^(٢) مولى بني مخزوم. ومن المصريين أثبت الناس في الإمام وأعلمهم بأقواله، صحيح الرواية والدراية، أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقي^(٣)، وأفقه الناس الإمام أبو عمرو أشهب مسكين ابن عبد العزيز القيسي^(٤)، والإمام الجامع بين الفقه والحديث أثبت الناس في الإمام أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي^(٥) مولاهم، والعلامة الصالح الثقة المحقق أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم^(٦).

ومن الإفريقيين الثقة المأمون، الخيار البارع في الفقه، أبو الحسن علي بن زياد التونسي^(٧). والحافظ الثقة أبو محمد عبد الرحيم بن أشرص الأنصاري. ويقال اسمه عبد الرحمن. والإمام المجتهد المجاب الدعوة أحد أوتاد المغرب البهلول بن راشد القيرواني^(٨). ومن الأندلسيين إمام الناس بقرطبة وأول من أدخل الموطأ للأندلس أبو محمد الغازي بن قيس الأموي القرطبي^(٩) القائل: والله ما كذبت منذ اغتسلت. وفقه الأندلس وأول من دخلها متقنا أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن المعروف

(١) عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون القرشي، مفتي المدينة، تفقه بمالك وبغيره، توفي سنة 212 هـ: شجرة النور الزكية 84:1.

(٢) عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، الفقيه الثقة، توفي سنة 216 هـ: شجرة النور الزكية 84:1.

(٣) أبو عبد الله عبد الرحمن العتقي المصري، فقيه حافظ، صاحب الإمام مالك وتفقه به، توفي سنة 191 هـ: شجرة النور الزكية 88:1.

(٤) أبو عمر أشهب أشهب بن عبد العزيز القيسي المصري، الفقيه العالم، توفي بمصر سنة 204 هـ: شجرة النور الزكية 89:1.

(٥) أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، الإمام الجامع، له تأليف كثيرة، توفي سنة 197 هـ: شجرة النور الزكية 89:1.

(٦) أبو محمد عبد الله بن الحكم، الفقيه الحافظ، له تأليف منها المختصر الكبير والأوسط والصغير، توفي سنة 214 هـ: شجرة النور الزكية 90:1.

(٧) أبو الحسن علي بن زياد التونسي، الحافظ الثقة، أول ما أدخل الموطأ إلى المغرب، توفي سنة 183 هـ: شجرة النور الزكية 91:1.

(٨) أبو عمران البهلول بن راشد القيرواني، الإمام الكبير، سمع مالك والثوري وسواهما، توفي سنة 183 هـ: شجرة النور الزكية 92:1.

(٩) أبو محمد الغازي بن قيس الأموي، فقيه محدث، سمع الموطأ من مالك، توفي سنة 199 هـ: شجرة النور الزكية 95:1.

بشبطون^(١) من ولد حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه. والإمام الحجة رئيس الأندلس وكبيرها أبو محمد يحيى بن يحيى الليثي^(٢).

وجميعهم قدس الله أرواحهم، وأجزل من وافر عطاياه أبراحهم، أخذوه عن إمام دار الهجرة، المعني بحديث عالم المدينة، عند من أظهر من كنوز خباياه سره، أبي عبد الله مالك بن أنس، رضي الله عنه، وهو أخذ عن أوتاد الدين وجهابذة الإتياع المهتدين، من ضربت إليهم من أرجاء البسيطة آباط المطايا، وتسامت إلى أوج الكمال بلقيهم المزاي، منهم إمام السنة الحافظ المجمع على جلالته أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي^(٣)، والإمام الحجة أحد من دارت عليه الفتيا بالمدينة أبو عثمان ربيعة بن أسد عبد الرحمن فروخ^(٤) مولى ربيعة بن عبد الله بن الهذيل التميمي القرشي، والإمام المقدم أبو يحيى إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري^(٥)، وأبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبي نصر الليثي من أنفسهم، والعلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب^(٦) مولى الخرقعة، والخرقة فخذ من جهينة، وأبو عبيدة حميد الطويل بن أبي حميد^(٧) مولى طلحة الطلحات، وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر الثقفي^(٨)، وأبو عثمان عمرو بن أبي عمرو ميسرة^(٩) مولى المطلب ابن عبد الله بن حنطب المخزومي. وهؤلاء أخذوا عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن القرطبي المعروف بشبطون، الإمام الحافظ، توفي سنة 193 هـ: شجرة النور الزكية 94:1.

(٢) يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي، من علماء الأندلس وفقهائها الكبار، توفي سنة 233 هـ: شرف الطالب، ص: 42. شجرة النور الزكية 95:1.

(٣) أبو بكر محمد بن مسلم الزهري القرشي، أحد أعلام الفقهاء بالمدينة، مات سنة 125 هـ: شجرة النور الزكية 70:1.

(٤) أبو عثمان ربيعة بن عبد الرحمن فروخ، مفتي المدينة، أدرك جماعة من الصحابة وأخذ عنهم، توفي سنة 136 هـ: شجرة النور الزكية 70:1.

(٥) إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري المدني، أخذ عن مالك بن أنس، توفي سنة 132 هـ: شجرة النور الزكية 70:1.

(٦) العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب المخزومي المدني، الفقيه الثقة، روى عن ابن عمر وأنس وغيرهما، مات بعد بضع وثلاثين ومائة: شجرة النور الزكية 70:1.

(٧) وأبو عبيدة حميد الطويل بن أبي حميد البصري، روى عن أنس، مات سنة 142 هـ: شجرة النور الزكية 70:1.

(٨) وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر الثقفي، روى عن أنس بن مالك: شجرة النور الزكية 71:1.

(٩) أبو عثمان عمرو بن أبي عمرو ميسرة، روى عن أنس، مات بعد الخمسين ومائة: شجرة النور الزكية 71:1.

ومنهم الإمام أبو الزبير المكي محمد بن مسلم ابن تدرس⁽¹⁾ مولى حكيم بن حزام وأبو عبد الله، وقيل أبو بكر محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التميمي القرشي، وأبو أسامة زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب، وأبو نعيم وهب بن كيسان مولى عبد الله بن الزبير بن العوام، وهؤلاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري، رضي الله عنهما، وزاد وهب بن كيسان عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه. ومنهم الإمام الحافظ الثبت الثقة أبو عبد الله نافع، والحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله بن دينار مولى عبد الله بن عمر، وهما عن سيدهما ومولاهما أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، وزاد نافع عن أبي سعيد الخدري وأبي لبابة رضي الله عنهما.

ومنهم الإمام أبو حازم سلمة بن دينار الحكيم مولى لبني ليث، وهو عن سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه، وكذا عنه ابن شهاب الزهري أيضا. ومنهم الحافظ أبو سعيد المقبري سعيد بن أبي سعيد، واسمه كيسان مولى لبني جندع، وهو عن أبي شريح الكعبي رضي الله عنه. ومنهم نعيم بن عبد الله المجرم⁽²⁾، وهو عن البحر الزاخر أبي هريرة عبد الرحمن ابن صخر الدوسي رضي الله عنه.

واقصرنا على هؤلاء الأعلام من مشايخ الإمام لكونهم المروي لهم الثنائيات في الموطأ، والجملة المعربة من الصحابة المدركون عين صواب الإصابة تلقوه عن سيد الكونين وجمال الثقلين أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، وهو عن الروح الأمين، عن رب العالمين جل جلاله وتقدس كماله، انتهى من خط جامعها وصاحب سلسلتها العالم الجليل السيد النبيل سيدي عيسى بن محمد الثعالبي نفعا الله به آمين يا رب العالمين، وقيدتها بالمسجد الحرام في أواسط ذي القعدة الحرام عام ثلاثة وسبعين وألف، أسمع الله لنا فيه عن سائر تعلقاتنا وأحبابنا خيرا بمنه ويمنه آمين آمين آمين.

هذه وجادات وجدتها بخط شيخنا أبي مهدي وقيدتها عنا لتكثير الفائدة: الحمد لله الخزرجية: يرويها المقرئ عن عمه سعيد ابن أحمد بن جلال عن سعيد

(1) أبو الزبير المكي محمد بن مسلم ابن تدرس، روى عن جابر بن عبد الله وغيره، مات سنة 168 أو 128 هـ: شجرة النور الزكية 71:1.

(2) نعيم بن عبد الله المجرم المدني، مولى آل عمر رضي الله عنهم: شجرة النور الزكية 71:1.

الكفيف عن الشيخ السنوسي عن أبي الحسن القلصادي عن أبي العباس أحمد بن محمد بن زاغو، بإجازته من شمس الدين محمد بن محمد بن القماح الخزرجي بسماعه لها من بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي الدماميني⁽¹⁾ بثغر الإسكندرية، بسماعه لها من أبي محمد محي الدين عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرحمن الشهير بالقروي، بإجازته من ناظمها أبي محمد عبد الله الخزرجي.

البادسية: يرويها الحفيد ابن مرزوق، عن ابن قنفذ، عن ناظمها حسن بن أبي القاسم بن باديس⁽²⁾ القسنطيني ولد سنة 701، يروي عن ناصر الدين المشدالي⁽³⁾ والقاضي ابن عبد الرقيق وآخر عن الحافظ صلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلي العلاني القدسي، وله نظم القصيدة توفي سنة 787. ولد شيخنا الأجهوري بمصر سنة خمس وسبعين وتسعمائة، وتوفي سنة ست وستين وألف، أخذ عن محمد بن أحمد الرملي وعن ابن أبي بكر نور الدين القرافي الشافعي، والبرهان إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي، وشمس الدين محمد بن محمد بن أحمد الفيشي المالكي، ومحمد البنوفري، وقاضي المالكية بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي، والمسند الكبير عمر سراج الدين الجاني الحنفي، والمسند بدر الدين حسن الكرخي الحنفي، وصالح البلغيثي، وأحمد بن قاسم العبادي، وتفقه بالبنوفري والبدر القرافي، وكريم الدين اليرموني والشيخ عثمان الغزي أصيب ببصره بسبب غريب، له ثلاثة شروح على المختصر الكبير في اثني عشر مجلدا، والصغير في مجلدين. العلقمي يروي عن الشرف السنباطي عن ابن حجر، وهو والنور القرافي وابن الجاني والكرخي عن السيوطي، ويروي الفيشي، عن أبي حفص عمر العبادي، عن أحمد بن عبد القادر طريف الشاوي، عن أبي الحسن بن أبي الجحد عن الحجار. ويروي ابن الجاني أيضا عن الشهاب أحمد بن محمد الحجازي المنصوري، وهو سمع جميع الصحيح عن علي بن أبي الجحد عن الحجار، صاحب الشيخ الأجهوري بدر الدين القرافي والواعظ محمد بن الترجمان الحنفي، وهما صحبا الشعراني، وهو زكرياء، وهو رضوان الكعبي، وهو ابن

(1) بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني الإسكندري، أديب نحوي، له شرح على الخزرجية وجواهر البحور في العروض، توفي سنة 827 هـ قتيلا بالهند: شجرة النور الزكية 346:1.

(2) حسن بن خلف الله بن باديس، القيسي القسنطيني، قاضي قسنطينة، توفي سنة 784 هـ: شرف الطالب، ص: 87.

(3) أبو علي ناصر الدين المشدالي، فقيه مشارك، توفي ببجاية سنة 731 هـ: شرف الطالب، ص: 77.

الجزري، هو ابن حراقة المقدسي الحنبلي، وهو الفخر علي بن أحمد المعروف بابن البخاري، وهو أبا علي حنبل بن عبد الله المكبر، وهو أبا القاسم هبة الله بن محمد الشيباني، وهو أبا علي الحسن بن علي المعروف بابن المذهب، وهو أبا بكر أحمد بن جعفر القطيعي، وهو أبا عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد ابن حنبل، وهو أباه، وهو سفيان بن عيينة، وهو عمرو بن دينار، وهو ابن عباس، وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الأربعة وأيضا صاحب أحمد بن حنبل الشافعي، وهو مالكا ومحمد بن الحسن، ومحمد أبا حنيفة، وأبو حنيفة ومالك صحبا جعفر الصادق، وهو أباه محمدا، وهو أباه زين العابدين، وهو أباه الحسين، وهو أباه عليا، وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سيدي عبد الكريم الفكون⁽¹⁾ بفتح الفاء وضم الكاف المشددة، أخذ عن والده وعن أبي زكرياء يحيى بن سليمان الأوراسي شرح نظم المكودي في التصريف، وشرح شواهد الشريف على الجرومية، والتزم عقب كل شاهد ذكر حديث مناسب للشاهد، وشرح جمل المجراد، وشرح مخارج الحروف من الشاطبية وكتاب في حوادث فقراء الوقت. أخذ والده عن جده سيدي عمر الوزان القسنطيني، وأخذ سيدي يحيى عن سيدي طاهر بن زيان الزواوي، عن سيدي زروق عن الثعالبي. وأخذ سيدي طاهر أيضا عن عبد العزيز بن غانم الصحرابي، عن سيدي عيسى بن أحمد بن يوسف المليتشي عن الثعالبي. وألبس سيدي عبد الكريم الخرقه عن سيدي يحيى عن سيدي طاهر عن سيدي أحمد زروق الصغير، عن والده عن السنوسي عن سيدي إبراهيم شيخنا محمد بن عبد الفتاح الطهطائي، نسبة طهطا قرية بالصعيد، ثم القاهري الأزهري من نظم أبي جعفر الفارقي⁽²⁾:

[متقارب]

أجاز لهم عمر الشافعي جميع الذي سأل المستجير

ولم يشترط غير ما في اسمه عليهم وذلك شرط وجيز

يعني العدل والمعرفة المانعين من الصرف.

(1) تقدمت ترجمته.

(2) ورد البيتان في تاج العروس: جوز.

ومن نظم الحلاج⁽¹⁾:

[مجنث]

عجبتُ منكُ ومـني أفـيتُ بكُ عـيني⁽²⁾
أدنيـتي منـكُ حتـى ظنـنتُ أنـكُ أنـي
ولغيره:

[رمل]

إنـما أجـزُعُ ممـا أتـقي فإـذا حـلُّ فـمـا لي والجـزُعُ
وكـذا أطمـعُ فـيـمـا أبتـغي فإـذا فـاتَ فـمـا لي والطمـعُ

توفي الشعراني سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة.

الملخص للقباسي، ذكر صاحب تثقيف اللسان⁽³⁾ إنه بكسر الخاء، وكذلك سماه صاحبه، جمع فيه أحاديث الموطأ لأبي عمران موسى بن محمد بن عبد الله الأندلسي، يرويها ابن الفرات عن العز بن جماعة، أنا أبو عبد الله محمد بن أبي الحرم مكى السمسار سماعا، أنا الحافظ الرشيد أبو الحسين يحيى بن علي القرشي عرف العطار عن ناظمها إجازة. ولبعضهم:

[بسيط]

أبو حنيفة زينُ التابعينَ روى عن جابر وابن جزءٍ والرضا أنس
ابن سيار وحديث ووائلة وبنت عجرد علم الطيبين قبس
الحاجب⁽⁴⁾:

[مخلع البسيط]

(1) ديوان أبي المغيث الحلاج، ص: 97.

(2) في الديوان: يا مزية المتمني.

(3) تثقيف اللسان لابن مكى الصقلي.

(4) ابن الحاجب؛ الفاضل، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، الإمام العلامة النحوي، ولد سنة 571 هـ. وتوفي سنة 646 هـ: شرف الطالب، ص: 152.

كنت إذا ما أتيتُ عينا أقول بعد المشيب أرشدُ
فصرتُ بعد ابيضاض شبي أسوأ ما كنتُ وهو أسودُ
روى ابن حبيب في كتاب الرغائب أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم،
قال: ابتدعوا بلا إله إلا الله قبل كل كلام.

[وافر]

علومُ الكيمياءِ لديَّ أجلى من الشمسِ النيرةِ للبصيرِ
علومُ حقّةٌ لا شك فيها بتصعيدٍ وتقطيرٍ يسيرِ
إذا ما رُميت تصعيداً فصعدُ إلى الرحمنِ أنفاسَ الزفيرِ
وقطُرُ دمعك اغزون حتى يبينُ لك الصفاءُ من الضميرِ
وقلْ يا جابراً رفقا بعد لما أنزلت من خيرٍ فقيرِ

ذكر في الإصابة نسطور الرومي، وقال: أحد الكذابين زعم أنه عاش بعد
النبي، صلى الله عليه وسلم، ثلاثمائة سنة^(١). ومن حديثه قال: سقط سوط رسول
الله، صلى الله عليه وسلم، في غزوة تبوك، فترلت ومسحته ودفعته إليه، فقال لي:
مد الله في عمرك. وذكر المعمر وقال: شخص اختلق اسمه بعض الكذابين من
المغاربة، وذكر سند المصافحة إلى أبي الحسن علي الخطاب التونسي، قال: صافحني
الصقلي، قال: صافحني المعمر وكان عمره أربعمائة، قال: صافحني رسول الله،
صلى الله عليه وسلم، ودعا لي فقال: عمرك الله يا معمر ثلاث مرات. قال
الحافظ: وهذا من جنس رتن قيس بن تميم وأبي الخطاب وثعلبة ونسطور. وقد
بسّطت ترجمة المعمر في لسان الميزان^(٢)، وقد استوعبت هؤلاء في كتاب المعمرين،
وبالله التوفيق.

وذكر قيس بن تميم الطائي الكيلاني الأشج، من نخط أشج العرب ومن نخط
رتن الهندي قرأت في تاريخ اليمن للجندي أنه حدث في سنة 817 عن النبي، صلى
الله عليه وسلم، وعن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: خرجت من بلدي

(١) الإصابة 1: 555.

(٢) أنظر: لسان الميزان 6: 93.

وكنّا أربعمائة وخمسين رجلاً، فضللنا عن الطريق، فصال علينا ثلاث صولات، فقتل منا في كل مرة أزيد من مائة، فبقي منا ثلاثة وثمانون، فاستأمنوه، فإذا هو علي بن أبي طالب، فأتى بنا النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو يقسم غنائم بدر، فوهبني لعلي، فلزمته، ثم استأذنته في الذهاب إلى أهلي، فأذن لي، فتوجهت ثم رجعت إليه بعد قتل عثمان بن عفان، فكنت صاحب ركابه، فرمحتني⁽¹⁾ بغلته، فسال الدم، فمسح على رأسي وهو يقول: أمد الله يا أشج في عمرك مداً، ثم رجعت بعده إلى بلدي، ثم ساق أكثر من أربعين حديثاً زعم أنه سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومسند الدارمي المسلسل بالعين: نا عبد الصمد بن عبد الوارث قال: نا عبد الوارث عن أبيه، واسمه عبد الرحمن، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان النصف من شعبان فامسكوا عن الصوم⁽²⁾.

سورة الصف. قال الشيخ سلطان قرأها علينا الشيخ حجازي قال: قرأها علينا الشمس العلقمي، قال: قرأها علينا الجلال السيوطي، قال: قرأها علينا أبو عبد الله الحاكم، قال: قرأها علينا أبو إسحاق التنوخي، قال: قرأها علينا أبو العباس الصالح، قال: قرأها علينا أبو المنجا بن الليث. قال ابن الجزري: قرأها علينا أبو الحجاج يوسف الصيرفي قال: قرأها علينا أبو المعالي عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن أحمد المطعم، قال: قرأها علينا ابن المنجا عبد الله بن عمر الليثي، قال قرأها علينا أبو الوقت عبد الأول، إلخ.

من نظم الحصري:

[وافر]

وقالوا قد عميت قلت كلا	فإني اليوم أبصر من بصير
سواد العين زار سواد قلبي	ليجتمعاً على فهم الأمور

(1) رمح: رمح الفرس والبغل والحصار وكل ذي حافر، ضرب برجله، وقيل برجليه جميعاً: لسان العرب:

رمح.
(2) سنن الدارمي 2: 29.

قال في الإصابة: جميع من في الاستيعاب ممن ذكر فيه باسم أو كنية أو هما معا ثلاثة آلاف وخمسمائة. وذكر ابن فتحون في ذيله أنه استدرك عليه على شرطه قريبا ممن ذكر، قال: وقرأت من خط الذهبي على ظهر التجريد لعل الجميع ثمانية آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسون نفسا. قال الحافظ: ومع ذلك فلم يحصل لنا جميعا من ذلك الوقوف على العشر بالنسبة إلى ما جاء عن أبي زرعة الرازي قال: توفي النبي، صلى الله عليه وسلم، (وجملة⁽¹⁾) من رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة كلهم قد روى عنه سماعا أو رواية، قال ابن فتحون: أجاب أبو زرعة بذلك سؤال من سأله عن الرواة خاصة فكيف بغيرهم.

الحمد لله، ومن خط شيخنا العلامة⁽²⁾ الثعالبي ما نصه: قال أبو الوليد الأزرق في تاريخه في صفة الشاذروان، ومن أصله كتبت: ذرع البيت من خارجها في السماء من البلاط المفروش من حولها تسعة وعشرون ذراعا وستة عشر أصبعا⁽³⁾، وطول الشاذروان سبعة وعشرون ذراعا، وعدد الحجارة التي حول الكعبة ثمانية وستون حجرا في ثلاثة وجوه، من جدار الركن الغربي إلى الركن اليماني خمسة وعشرون حجرا، منها (حجر طوله ثلاثة أذرع ونصف، وهو عتبة الباب الذي سد في ظهر الكعبة، وبينه وبين الركن اليماني أربعة أذرع، وفي الركن اليماني حجر مدور، وبين الركن اليماني والركن الأسود تسعة عشر حجرا، ومن حد الشاذروان إلى الركن الأسود ثلاثة أذرع ونصف)⁽⁴⁾ واثنان عشر إصبعا ليس فيها الشاذروان، ومن الركن الشامي إلى الركن الأسود ثلاثة وعشرون حجرا، ومن حد الشاذروان من هذه الجهة إلى الركن الأسود ذراعان ليس فيهما شاذروان، وهو الملتزم، وطول الشاذروان في السماء ستة عشر إصبعا وعرضه ذراع، هـ.

وقال في باب ذرع الكعبة: طول الكعبة في السماء تسعة وعشرون ذراعا، وذرع طول وجهها من الركن الأسود إلى الركن الشامي خمسة وعشرون ذراعا، وذرع دبرها من اليماني إلى الغربي خمسة وعشرون ذراعا⁽⁵⁾، (وذرع شقها اليماني

(1) زيادة من ط.

(2) ساقط من ط.

(3) ساقط من ط.

(4) ما بين قوسين ساقط من ط.

(5) ساقط من ط.

من الأسود إلى اليماني عشرون ذراعاً⁽¹⁾ وذرع سقفها الذي فيه الحجر من الشامي إلى الغربي أحد وعشرون ذراعاً، وذرع عرض جدار الكعبة ذراعان، والذرع أربعة وعشرون إصبعا هـ.

قال الحافظ تقي الدين ابن فهد في ذيله على طبقات الحفاظ: بلغ ابن حجر في سرعة الكتابة والكشف والقراءة إلى غاية لا تلحق، فمن ذلك أنه قرأ البخاري في عشرة محالس من بعد صلاة الظهر إلى العصر، ومسلما في خمسة محالس في نحو يومين وشطر يوم، والنسائي الكبير في عشرة محالس، كل مجلس منها قريب من أربع ساعات، والمعجم الصغير للطبراني من الظهر إلى العصر. وفي مدة إقامته بدمشق، وكانت شهرين وعشرة أيام قرأ فيها قريبا من مائة مجلد مع ما يعلقه ويقضيه من أشغاله، توفي ليلة (...)⁽²⁾ من ذي الحجة سنة 842، ودفن بالقرافة الصغرى.

قلت: قال المنوي في طبقاته في ترجمة سيدي علي بن وفا بعد أن نقل عن ابن حجر في حق سيدي علي كلاما فيه بعض الازدراء به ما نصه: ودأب الحافظ ابن حجر أنه إذا ذكر أحدا من الطائفة لا يبقى ولا يذر، والله يغفر لنا وله. ومن كلامه في سيدي علي قال: وشعره ينعق بالاتحاد المفضي إلى الإلحاد كشعر أبيه⁽³⁾، ورتب لأصحابه أذكارا استمال بها قلوب العوام، وذكر أنه اجتمع به في وليمة، وأنكر على أصحابه. ومن مشايخ ابن فهد عبد الرحمن بن عمر اللخمي المصري القباي بكسر القاف وفتح الموحدة، نسبة إلى القباب الكبرى من قرى أشموم بالصعيد، سمع من الصلاح ابن أبي عمرو. ومنهم محمد بن عمر البارني بفتح الموحدة وبعد الألف راء مكسورة فنون ساكنة، جمال الدين المصري الشافعي سمع من الصلاح الزفتاوي والبرهان الشامي. ومنهم محمد بن عمر التونسي الشهير بابن عزم. قال: وقع لنا في مجلس شيخنا ابن حجر في الإملاء حديث أبي هريرة: ثلاثة لا ترد دعوتهم. فقال شيخنا: هذا قسيم بيت منظوم يا شعراء. فنظمت ذلك بيتين وهما⁽⁴⁾:

(1) ساقط من ط.

(2) فراغ في ط: خ وط.

(3) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية 3: 202.

(4) ورد البيتان في كتاب: أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، ص: 480.

[منسرح]

ديني وفقري وهم عائلتي دعت نذاك لعل ترحمهم

حاشا يخيون إن دعوك وهم "ثلاثة لا ترد دعوتهم"

دمياط: أبو الحسن علي بن الصباغ السكندري، أخذ عن الشيخ عبد الرحيم القناوي عن أبي يعزى. وأخذ ابن شافع عن ابن الصباغ.

أبو الوليد الباجي روى عنه حافظ المشرق والمغرب الخطيب البغدادي وابن عبد البر، وهما أسن منه وأكبر.

ومن نظم الحصري^(١):

[مخلع البسيط]

يموت من في الأنام طُرا من طيب كان أو خيث

فمستريح ومُستراح منه كما جاء في الحديث

وللشيخ محي الدين بن عربي في ليلة القدر بعد أبيات^(٢):

[طويل]

وضابطها في القول ليلة جمعة توافيك بعد النصف في ليلة الوتر

أخذ عن الخطي بالإجازة أبو القاسم محمد بن إبراهيم الدكالي، وعبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق، ومحمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني، وأبو القاسم بن عبد الرحمن الحميري، وأبو عبد الله محمد القاسم الشهير بابن القاضي، ويحيى السراج^(٣)، وأحمد بن محمد ابن عيسى الماواسي، وأحمد بن علي المنجور، وعبد الواحد الحيري، وأحمد الزموري.

تصانيف شيخنا أحمد بن محمد بن خفاجة: شرح الشفا في أربع مجلدات، وحاشية على البيضاوي في نحو ست مجلدات، وشرح درة الغواص في مجلد،

(١) ورد البيتان في نفح الطيب 2:154.

(٢) ورد البيت في نفح الطيب 2:169.

(٣) يحيى بن محمد السراج، فقيه حافظ، تولى خطة الفتوى بفاس، توفي سنة 1007هـ: لقط الفرائد، ص: 330.

وكتاب المجالس مجلد، وحاشية على فرائض الحنفية، وكتاب السوانح في نحو سبعين كراسا، وكتاب الرحلة، وديوان شعره.

الشمس محمد بن أحمد الرملي⁽¹⁾ مولده سلخ جمادى الأولى سنة 919، وتوفي سنة 1000، أخذ عن زكرياء رواية، وعن ابن النجار الحنبلي وناصر الدين اللقاني والشيخ عبد الرحمن الديبع، ولد رابع المحرم سنة 866، وتوفي سنة 911.

[طويل]

عداد أحاديث البخاريّ خالصا من العود والتكرار ألفان مع نصف

وزد عشرة من بعدها وثلاثة أضفها إليه تنج من سبّة الخلف⁽²⁾

سمع الشهاب الحجازي من زين الدين العراقي⁽³⁾، وسمع من ولده أبي زرعة عن محمد بن عطاء الله أخي الشيخ تاج الدين عن النووي.

سوء بخت المسلمين في ملوكهم أن الملك ليس في شريعتنا وإنما هو في شرع من قبلنا، وفي شرعنا الخلافة، فلما صارت ملكا لم يستقم.

ومما أفادنيه شيخنا أبو مهدي وكتبته من خطه ما نصه: محمد بن أحمد بن علي الهواري شمس الدين الضرير شارح ألفية ابن مالك وصاحب البديعية من نظمه⁽⁴⁾:

[بسيط]

في كل فاتحة للقول مُعتبره حق الثناء على المبعوث بالبقره

في آل عمران قِدا شاع مبعثه رجالهم والنساء استوضحوا خبره

إلى آخرها وهي من غرر القصائد، ولو لم يكن إلا هي له لكفت. وكثير من الناس ينسبها للقاضي عياض، وكنت في أول الاشتغال ممن يعتقد صحة تلك

(1) تقدمت ترجمته.

(2) الخلف: الخلف: الولد الصالح يبقى بعد الإنسان، والخلف والخلفة: الطالح: لسان العرب: خلف.

(3) زين الدين عبد الرحيم العراقي، إمام محدث، توفي بمصر سنة 806 هـ: وفيات الوُنشريسِي، ص:

135.

(4) نفح الطيب 7: 324.

النسبة حتى وقفت على شرح البديعية لرفيقه أبي جعفر الإلبيري فإذا به نسبها
لنظام ابن جابر هـ من نفح الطيب لأبي العباس المقرئ^(١).

ومنه أيضاً يذكر عند ركوب البحر: يا حفيظ عدده ويا لطيف عدده.

ومنه:

[وافر]

لقد كثرت دعاةُ الفقه حتى لقد غلبَ النهيقُ على الصهيلِ
وما كل الوقودِ كنار موسى ولا كل الفواطمِ كالبتولِ
ومنه مما قيل في معجم البرزالي وهو أكثر من عشرين مجلدا:

[كامل]

يا طالباً نعتَ الشيوخ وما رووا ورووا على التفصيل والإجمالِ
دارَ الحديثِ انزلْ تجدْ ما تبغي لك بارزا في مُعجمِ البرزالي
ومنه في الضوء اللامع للسخاوي من قول حسان يرثي سيدنا إبراهيم بن
النبي عليه السلام^(٢):

[طويل]

مضى ابنك محمود العواقب لم يشبْ بعيب ولم يُذم بقول ولا فعلِ
رأى أنه إن عاش ساواك في العلا فآثر أن تبقى وحيدا بلا مثلِ
ومنه^(٣):

[مخلع البسيط]

قرايةُ السوءِ شر داء فاحملْ أذاهُمْ تعشْ حميدا
ومن تقعْ قُرحةُ بفيه يصبرْ على مصه الصديدا

(١) نفح الطيب 7: 327.

(٢) الضوء اللامع 7: 126.

(٣) اليتان للسميسير، وهما في نفح الطيب 4: 20.

ومنه الشيخ محمد البكري لقني الذكر وهو: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً، ولا إله إلا الله ثلاثاً، ويدي في يده ورداؤنا من فوقنا هـ.

قلت: وقد منَّ الله علي بتلقين الذكر المذكور من الشيخ محمد البكري المذكور على الصفة المتقدمة بجانب المنبر قبالة البيت العتيق بالمسجد الحرام يوم عيد الأضحى سنة أربع وستين وألف بعد الخروج من البيت والصلاة فيه بإثر طواف الإفاضة، فيا له من تلقين شريف من شيخ مكين في مكان عظيم في يوم كريم إثر عمل صالح بعد انتهاء الحج الأكبر، نسأل الله المتفضل بذلك أن يختم بالسعادة آجالنا، ويقرر بالعافية غدونا وآصالنا آمين.

ولنختم هذه الترجمة بقصيدة أنشأها بالحجاز يحسن إنشادها حول البيت العتيق رجاء أن ينشدها هنالك في غيبي أحد من المحبين فينفعني الله بذلك، ولا آلو ما استكثرت من الأسباب التي أتطفل بها على كرم الله تعالى عسى أن ينفعني منه بنفحة خير تغني عمن سواه دنيا وآخره إنه جواد كريم منعم متفضل، وهي هذه:

[طويل]

ألا أيها البيت العتيق المرفع	جمالك لا يخفيه عني برفع
وقدرك عند الله ليس يناله	وإن كثرت فيه المرافق موضع
أتاك عظيم الجرم ما لندائه	سوى الله في وقت الشدائد يسمع
أنادي إذا ما كنت بالحجر واقفا	نداء منيب دائماً يتضرع
وعند استلام الركن والحجر الذي	إليه وجوه الخلق باللثم تسرع
وعند مقام الخليل فياله	مقام جليل والدعا فيه ينفع
فيا رب أنت الله والملك الذي	لهيته تعنو الوجوه وتخضع
وإني أنا العبد الضعيف وليس لي	سواك إليه في الشدائد أفزع
يذكرني الإحسان فضلك سيدي	فأرجو وأخشى العذل منك فأجزع
ولكن أهل الفضل أولى به فمن	أتى يرتجي إحسانهم ليس يرفع

فما لي من أرجو إذا ما طردتني	وما لي بابٌ غير بابك أقرعُ
فكن لي في يوم طويل وقوفه	به يحصدُ المرء الذي كان يزرعُ
وما إن زرعنا غير سُوء اجتِرامنا	ولكننا في فيض فضلك نطمعُ
ولا نرتجي دُنيا وأخرى يُغيثنا	سواكَ إلهي أو حيُّك يشفعُ
ولم لا ونحنُ مؤمنون بكل ما	أتانا به إذ جاءَ بالحق يصدعُ
سَمعنا أطعنا واتبعنا وما لنا	من الأمرِ إلا أن يقولَ فنسمعُ
فيا رب وفقْ لاتباع طريقه	عبيدك فهو السائلُ المتضرعُ
وحطني من الأسواء في كل لحظة	فأنتَ الذي منها إذا شئتَ تمنعُ
وهي لنا من أمرنا رشدا وجُد	لنا بالرضا في كل ما الله يصنعُ
أيا زائراً للبيتِ قل بسكينة	أ مولاي قل لي إنني فيك أطمعُ
وبلغ أخِي عبدَ الإلهِ مُرادهُ	فمطلوبهُ ما قد سألتك أجمعُ
يدي يدهُ عند الدعا ولسانهُ	لساني وقلبي قلبهُ حين أخضعُ
وواردُ بحر الجود يُروِي برِيهِ	سواءه وفضلُ الله من ذاك أوسعُ
بجاهِ رسولِ الله أَفضل من به	توسلنا وهو الشفيعُ المشفعُ
أصلي عليه ما حييتُ مُسلما	صلاة بها سَغي غدا لا يُضيعُ

ومما منَّ الله علي بمخالته ومصافاته، وأسرى إلي من بره وإحسانه ما عجزت عن مكافأته، خليلنا الأصفى، وحيينا الأوفى، أبسط من لقيته من أهل مكة، كفا وأبر من اتخذته منهم إلفاً، الشاب الظريف، الناسك العفيف، المشارك في العلوم الشرعية، المبرز في الأذواق الصوفية، أبو علي حسن بن علي بن يحيى بن عمر العجيمي^(١) المكي الحنفي أدام الله مقامات العرفان وارتقاءه، وأطال في سلوك مسالك السعادة بقاءه، شاب نشأ في عبادة الله وجبل على محاسن الشيم من

(١) تقدمت ترجمته.

صغره، وأعانتة العناية الإلهية على اكتساب ما فاته منها في كبره، صحب من أدرك من مشايخ الحرميين، وانتفع بصحبتهم وخدمهم، فنال المقام الأعلى بخدمتهم، وأجل من انتفع بخدمته عارف وقته ووحيد عصره، غوث الزمان، شيخنا صفي الدين القشاشي، صحبه مدة مديدة، وسمع وتلقن واكتسى منه مرات عديدة، وترقت منزلته لديه حتى صار يعد من جملة من ينتسب إليه، وانتفع به في علوم كثيرة وأذواق غزيرة، يكثر زيارته، ويمثل إشارته، ويتردد إليه من مكة مراراً، ويقدمه على نفسه إعلاناً وإسراراً، ويلازم مجلسه بالمدينة شهوراً إلى أن صار بين أصحابه علماً مشهوراً، أذن له على ما أخبرني بالاشتغال بعلم الأسماء والدوائر وأسرار الحروف وفن الدعوات وخواص الأذكار وسائر العلوم التي لم يزل المشايخ يتواصلون على إخفائها، ويحذرون الضعفة من الاشتغال بها، وقال له إن فيك أهلية ذلك، ومثلك من يرجى له خيرها، ولا يخشى عليه ضررها، أو كلاماً هذا معناه أو قريب منه، فكانت له بركة الشيخ في هذه العلوم يد طولى ومآثر تتلى، مع حسن الهدى والسمت بلا عوج في أحواله ولا أمت. وكنت ربما أنكرت عليه التفاني في طلب هذه العلوم وأحذره غائلتها كما هو معلوم، إلى أن أخبرني بإذن الشيخ له، فعلمت أن الرجل ملحوظ بالعناية، مؤيد بنظر أهل الولاية، فسلمت له حاله، وصدقت مقاله. ومع اشتغاله بسلوك طريق القوم لم يخل نفسه من الاشتغال بالعلوم الظاهرة، سيما علم رواية الحديث، فقد جد فيه كل الجد وبلغ في الاعتناء به منتهى الحد، فأخذ عن شيخه الصفي وأجازه بسائر مروياته عن سائر شيوخه، ولازم شيخنا أبا مهدي عيسى الثعالبي فسمع منه الكثير وروى عنه غالب مروياته، ولا يقدم أحد من علماء الآفاق على الحرميين الشريفين إلا جد في لقائه والأخذ عنه، ورزق في ذلك سعادة وإقبالاً من المشايخ ما رآه أحد إلا أحبه، ولا خالطه إلا ملأت مودته قلبه، فكثرت بذلك مروياته، واتسعت مسموعاته، وقد استجازني مراراً، وسمع مني كثيراً، وقيد من أسانيد ما احتاج إليه، وكان لقائي له أول مرة بالمدينة قدمها للزيارة في شهر رجب، وكانت أخباره ترد إلي بالمدينة وأخباري ترد عليه بمكة قبل الاجتماع بواسطة شيخنا الملا إبراهيم وأخينا السيد محمد بن رسول لارتباطنا جميعاً بالنسبة العلية القشاشية، جعلنا الله من المتمسكين بحبلها المتين، السالكين على منهجها الأقوم المبين. وعندما ورد المدينة، وبلغني خبر قدومه، بادرني بالحياء إلى والسلام علي، فرحب وأنس واستقصى في السؤال على الحال، وأقبل بقلبه وقالبه غاية الإقبال، ولم يزل يواصلني وأواصله، وتجمعني وإياه

مجالس شيخنا الملا إبراهيم محافله إلى أن توجهت إلى مكة، فتخلف هو في المدينة لعارض وقتي، فأوصى إلى بعض أقربائه بمكة بالاعتناء بي وتهيئة المنزل، ولم يزل في المدينة إلى أن قضى نسك صيامه، فقدم إلى مكة فلابزم زيارتي والإيناس بي، قل ما يمر علينا يوم إلا ويأتينا فيه طرفي النهار، وأفادني في تلك المدة أكثر مما أفدته، وقيد لي بخطه من غرائب الفوائد شيئاً كثيراً، وأعاني باستعارة ما أحتاج إليه من الكتب من عند من كان بها ضنيناً، وكانت له وجاهة وقبول تام عند أهل الدنيا والآخرة معا.

لطيفة:

وقد بلغني مكتوب منه ونحن بالقاهرة بعد الرجوع من القدس الشريف من جملة ما نصه: وقد استجزت لكم من رجل اسمه محمد من ذرية سيدنا عدي بن مسامر، وهو من صالحى أهل الشام، فأجاز لكم رواية ما تصح له روايته عن جميع أشياخه، أجلهم سيدي الشيخ أيوب بن أحمد الدمشقي الأموي⁽¹⁾، وهو عن الشيخ إبراهيم أحمد الدمشقي عُرف بالأحذب، وهو عن شيخ الإسلام أحمد بن حجر المكي، وعن الشيخ رضي الدين الغزي وغيرهما، وبهذا السند يروى الحديث المسلسل بالأولية بشرطه، انتهى المطلوب منه فجراه الله عنا أفضل الجزاء آمين.

وقد جمع صاحبنا هذا رسالة استوعب فيها طرق أثمتنا الصوفية الموجودة في هذه الأزمنة غالباً، وذكر ما يتميز به أهل كل طريق وذكر سنده إلى إمام تلك الطريقة وكيفية اتصاله به، وهي غاية في الباب مستوعبة أتم استيعاب، ما رأيت مثلها لأحد قبله ممن سلك الطريق، وعد من أولئك الفريق، وهي دالة على سعة اطلاعه وكثرة اعتنائه بالطريق ولقاء أهله، ولم يفرغ منها أيام إقامتنا بمكة وبعد الرجوع من مكة كتبتُ إليه من طرابلس أطلبها منه وأستجيزه فيها وفيما اشتملت عليه من الطرق، فبعث إلي منها نسخة هي من مسوداته، وكتب إلي معها كتاباً، فلنذكر جملة تيمناً بألفاظه، ونصه: باسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أهل المحبة والمودة، من العبد الفقير الحقير الكسير، حسن بن علي العجيمي إلى شيخه وأستاذه وبركته وسيدته

(1) تقدمت ترجمته.

وحبيبه وصفيه ووليه في الله الشيخ العلامة، والخبير الفهامة، القدوة المحقق، والعارف المتفنن المدقق، سيدنا ومولانا الشيخ أبي سالم عبد الله بن محمد حفظه الله بما حفظ به عباده الصالحين، وبلغه سؤله، وأدام النفع به آمين، أهدي إليه من محبه شريف السلام وعميم التحية والإكرام، ورحمة الله وبركاته على الدوام، صدرت الأحرف من مكة المشرفة لآداء واجب السلام وتحديد العهد بأخلاقكم الكرام، وينهي الحقيير إلى سيدنا وصول كتابه الكريم ومثاله الجسيم، وإنه كان أعز واصل وأكرم نازل، حيث أخبرنا بصحتكم وسلامتكم التي هي القصد والمراد، مع ما اشتمل عليه من التعريف بخالص المحبة وصادق الوداد، وذكرتم، شكر الله صنيعكم، أنكم استجرتكم لي من الشيوخ الذين لقيتموهم، فجزاكم الله عني خير الجزاء، وذكرتم أنه لم يتيسر لكم أفراد استدعاء لمحبيكم فيما كتبتموه كفاية، كان الله لكم، وما ذكرتم من الأمر المهم من أننا نبذل الدعاء مع ما نعرفه بالخير من الإخوان بالفرج للمسلمين، فقد فعلنا ذلك مع الأخ سيدي الشيخ سليمان الحجّار، ورفعنا أيدينا بالالتجاء إلى الله تجاه الكعبة في ذلك، ومع مولانا الشيخ عيسى حفظه الله، ونرجو من كرم الله الإجابة. هذا وقد استجرت لكم من مولانا الشيخ أبي بكر بن سالم شيخان مرتين بواسطة سيدي الشيخ أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف، فأجاب إلى ذلك ووعدنا بكتابة الإجازة إلى بعد خروج الحجاج من مكة، وذكرتم الاستجازة من مولانا الشيخ إسحاق جمعان^(١)، فنعرفكم أن مولانا الشيخ علي الدييع ما حج هذه السنة لاشتغاله بخدمة شيخه المذكور لأنه مريض نحو سنة، ومقصودي إرسال كتاب إليه أستجير لكم فيه، وتأتيكم إجازته وإجازة السيد أبي بكر شيخان مع ما يتجدد من الفوائد إن شاء الله العام القابل وأنتم بخير وعافية، والفقيير على ما تعهدونه منه من النيابة عنكم في الطواف والاعتمار وعقد الأخوة لكم ممن ألقاه من الشيوخ الصادقين أرباب الأحوال، وطلب الدعاء لكم منهم ولمن تحبون، والاستجازة، إن شاء الله، ممن يفد إلى مكة من الفضلاء، فادع لي بالتوفيق والإعانة والسداد والصيانة، وما قصدي بذكر هذا إلا التعرض لنفحات توجهاتكم وبركات دعواتكم، وأبلغت سلامكم مولانا الشيخ عيسى وسيدي سليمان الحجّار والشيخ أحمد باقشير ومولانا السيد محمد وسائر الإخوان ممن لقيت، وأكدتم في طلب الرسالة التي كنت جمعتها في الطرق وهي مشتملة على

(١) تقدمت ترجمته.

أربعين طريقاً مع التمييز بين كل منها، إلا أنها ما بيضت لاشتغالي عنها، ولأنني ما أحب إظهارها، بل أستغفر الله على ما أقدمت عليه فيها من إفشاء أسرار ذوقية عز يبذلها كثير من أهل التحقيق في الطريق، هذا مع عدم منازلتي لذلك بكمال الذوق، وكان كثيراً ما يختلج في صدري محوها لذلك، لكن لما جاءني مكتوبكم ما وسعني ذلك، وما أمكنني إلا إرسالها، إلا أنني أردت تبييضها واختبارها بالمرور عليها مع إمعان النظر فيها، فما تيسر لضيق الوقت، فإن مكتوبكم ما وصلني إلا أمس، فلعلكم تشرفوها بحلول نظركم السعيد عليها والتصرف فيها بما تستحسنوه من تقديم وتأخير وزيادة وحذف، بل ومحو إن لم تعجبكم، ففي رأيكم السديد كفاية، وإن رأيتم أن تجعلوها خطبة وتنسبوها إليكم إن ناسبتكم فلا بأس، لكن يا سيدي لا تطلعوا عليها إلا من تتحققوا منه كمال الإيمان بكلام أهل الطريق وسلوك أحسن سبل التأويل للغامض من إشارتهم، وقد أمرتم محبكم بالإجازة لكم بها، وقد عظم علي ذلك لعلمي بحقاري وقصور باعي وقلة معرفتي وكمال علمكم ومزيد فضلكم، ولكن لا يحمل مني إلا مقابلة أمركم بالامثال فأقول: أجزتكم وكل من علمتم أهليته من أولادكم وأحبابكم روايتها وإلباس الخرق، وتلقين الذكر، ومد اليد بالتوبة للتائبين، وأخذ العهد والبيعة عليهم، وفتح مجالس الذكر والانتساب إلى أهل الله، كما أخذت ذلك، وأخص منه من شيخنا وأستاذنا وبركتنا وإمامنا الإمام الفرد صفى الدين أحمد بن محمد القشاشي قدس الله سره ونفع به، وقد أخذتم والله الحمد عنه وعن خليفته الملا إبراهيم، فلا حاجة لكم بالرواية عن هذا الحقيق إلا ما سطره في الأوراق، وهو رشحة من علومكم، فاستروا العبد ولا تذكروه فإنه أحقر من أن يذكر، وبز أوراقه حقيق بأن يطوى ولا ينشر، واجعلوا ذكركم له ببذل الدعاء منكم والتماسه من صالحى أصحابكم له بحسن الختام، والفوز بمتابعة السنة المحمدية على الدوام، وجمع الشمل بكم على أسر حال وأنعم بال، والرسالة واصله إليكم ومعها خرقه عتيقة ألبسوها من شتتم، والمقصود من إرسالها أن تذكروا العبد، قرب ذكرى قربت من ترجا، وسلموا لي على ساداتنا إخوانكم ومن شتتم، ويسلم عليكم الملا عبد الرحمن، وذكرتم أنني أؤكد على سيدنا الملا إبراهيم في شرح القواعد الكبرى التي أرسلتموها إليه، فكذلك إن شاء الله أرسل إليه ورقة وأكلمه في ذلك، وهو إن خلد من الأشغال لا يقصر في مطالب الإخوان، جزاه الله خيراً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وصحبه وسلم. كتبه عجلا تجاه الكعبة داعيا لكم في ضحي يوم الاثنين تاسع عشر ذي الحجة سنة 1070 ختمها الله بخير، هـ كتابه بحروفه رضي الله عنه.

ورسائله المذكورة مشتملة على أربعين طريقا وهذه أسماؤها: محمدية، أويسية، قلندرية، صديقية، ملاماتية، كبروية، همدانية، ركنية، نورية، خلوتية، مولوية، جهرية، برهانية، أحمدية، سهروردية، خفيضة، شاذلية، وفائية، زروقية، بكرية، جزولية، خواطرية، عيدروسية، مشارعية، حاتمية، قادرية، عراية، مدينية، قشيرية، رفاعية، خرازيمة، جشتية، مدارية، شطارية، عشقية، نقشبندية، غوثية، حلاجية، جنيدية، سهلية، هـ.

أما المحمدية فمنسوبة إلى سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، ووجه اختصاصها بالانتساب إليه، مع أن الكل راجعة إليه ومستمدة منه، أن صاحبها بعد تصحيح بدايته وسلوكه على منهج الاستقامة المبين في الكتاب والسنة يشتغل بالصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى أن تستولي محبته على قلبه، ويخامر سره تعظيمه بحيث يهتز عند سماع ذكره ويغلب على قلبه مشاهدته، ويصير ثمثاله بين عيني بصيرته، فيسبغ الله عليه نعمه ظاهرا وباطنا، ولا يجعل لمخلوق عليه منة، إلا للنبي، صلى الله عليه وسلم، فيراه يقظة ومناما، يسأله عما يريد، وقد سلك على هذا المقام جماعة من المشايخ قديما وحديثا، ذكر صاحب الرسالة جماعة منهم.

قلت: وقد لقيت بالقاهرة سنة أربع وستين بجامع المارديني الشيخ محمد الخلوتي، وهو رجل مسن منقطع بالمسجد له أصحاب، فسألته عن طريقه ولمن ينسب. فقال لي: أما أنا فطريقي محمدية لا أنتسب لأحد، وذكر أنه محافظ على استحضر صورته عليه السلام في باطنه، فأغناه ذلك عن التقليد بشيخ والاستمداد منه، أو كلاما قريبا من هذا.

وأما الأويسية فهم المنتسبون إلى روحانية بعض الأنبياء أو المشايخ كأخذ سيدنا أويس⁽¹⁾ عن روحانية سيد المرسلين، صلى الله عليه وسلم، وكأخذ أبي يزيد عن روحانية الإمام جعفر الصادق، رضي الله عنه، فصار كل من يأخذ عن روحانية المشايخ تسمى طريقه أويسية.

(1) الإشارة إلى أويس القرني الزاهد، أنظر أخباره في: الطبقات الكبرى للشعراني، ص: 42.

وأما القلندرية فمبنى طريقهم على حصول طيبة القلب والتقلل من الدنيا وترك الاذخار، ومن شأنهم أنهم لا يشتغلون بترك المللذوات من الأطعمة المباحة، لا بالزيادة على الفرائض إذا حصل لهم.

وأما الصديقية فمنسوبة إلى أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وقد ذكرها ابن عطاء الله في مفتاح الفلاح.

وأما الملاماتية فمبناها على الخروج من رعونات النفس وتطهيرها من جنابة العجب والرياء وحب الجاه والرياسة وإسقاط المترلة من قلوب الناس بأمور ينكرها العوام والمسنوب إلى هذه الطريق فرق ذكر صاحب الرسالة جملة منهم، وأسانيدنا تنتهي إلى أبي يزيد البسطامي.

وأما الكبروية فمنسوبة إلى نجم الدين الكبرى، رضي الله عنه، وهي مشهورة.

وأما الهمدانية فهي شعبة من التي قبلها، إلا أن أهلها يختارون الإسرار بالذكر إلا بعد فريضة الصبح فإنهم يقرأون الأوراد الفتحية بالجهر، وبعد العصر الأوراد العصرية، وهما لشيخ هذه العصابة السيد علي الهمداني. وقد ذكر الملا جامي أن سيدنا علي الهمداني ساح الربع المعمور وصحب ألفاً وأربعمائة ولي، أخذ من كل واحد ذكراً وجد ذلك الشيخ ثمرته فجمعها، ثم لما زار النبي، صلى الله عليه وسلم، رآه وقد أعطاه شيئاً وقال له: خذ هذه الأوراد فإذا هي التي جمعها عن مشايخه، فجعلها ورداً في الصباح، وقف على بركتها كثير ممن لازمها، وقد أخذها صاحب الرسالة عن بعض ذريته.

وأما الركنية فهي شعبة من التي قبلها، إلا أن لأستاذنا مولانا زكي الدين علاء الدولة السمناني في كيفية الذكر بالكلمة الطيبة جلسة معينة وزيادة في الضروب.

وأما النورية فهي شعبة من التي قبلها، إلا أن لشيخ خرقته سيدنا نور الدين الإسفرايني كيفية أخرى.

وأما الخلوتية فمبنى طريقهم على الذكر بالكلمة الطيبة بكيفية مخصوصة، ثم يشتغل بذكر الجلالة، ثم يذكر هذه الأسماء العشرة على الترتيب وهي: هو حق

حي، قهار وهاب، فتاح واحد أحد، صمد قيوم، وتنتهي طريقهم إلى الشيخ قطب الدين أحمد بن محمد الأبهري.

وأما المولوية فمبناها على دوام الذكر الحقي مع حبس النفس والدوران، ومن أكبر المشايخ الذين تنتهي إليهم هذه الطريقة وينتسب إليه أكثرهم مولانا جلال الرومي.

وأما الجهرية فمبناها على الجهر بالذكر في جميع الأوقات إلا في الخلوة، ولهم أوراد معلومة، وتنتهي إلى الخوجة أحمد اليسومي، رضي الله عنه، وهو عن سيدنا الخضر عليه السلام.

وأما البرهانية فتتسب إلى سيدنا برهان الدين إبراهيم الدسوقي^(١)، ومن شأنهم الذكر بالجهر، والاستهتار بذكر دائم بياء النداء، ولبس الزي وهو الأخضر.

وأما الأحمدية فتتبع لسيد أحمد بن علي بن إبراهيم الشهير بالبدوي، مبناها على الاشتغال بتلاوة القرآن وبالذكر الجهرى على كيفية مخصوصة، ومن شأنهم حمل العكاز عملاً بالسنة وتذكيراً بسفر الآخرة، ولبس الزي وهو الأحمر.

وأما السهروردية فمعروفة. وأما الخيفية فمنسوبة إلى أبي عبد الله بن خفيف الشيرازي، وطريقه الغيبة والحضور. وأما الشاذلية فمعروفة، والأربعة بعدها شعب منها.

وأما الخواطرية فمبناها على الذكر بكلمتي التوحيد على كيفية مخصوصة لطرد الخواطر من القلب حتى لا يبقى فيه إلا الله، ومن شأنهم الاشتغال بالرياضة الشاقة والتجريد وقراءة الأوراد المذكورة في كتب الشيخ علوان الحموي وابن عراق، وأشهر مشايخ هذه السلسلة شيخهما سيدي الشيخ علي بن ميمون الإدريسي الفاسي.

وأما العيدروسية فمبناها على الاشتغال بالذكر المفرد بالجهر، ومن شأنهم دخول الخلوة بالجوع وضبط الحواس، وحفظ الأنفاس بالذكر على الدوام، ونسبتهم إلى سيدي عبد الله بن أبي بكر العيدروس.

(١) إبراهيم الدسوقي، من أجلاء مشايخ الفقهاء، صاحب كرامات ومقامات: الطبقات الكبرى للشعراني، ص: 234.

وأما المشارعية فمبناها على ذكر الجهر، ومن شأنهم السماع بشروطه، ومطالع كتب القوم وقراءتها ولبس الزنيل للدروزة، وهي الوقوف على الناس للسؤال، ونسبتهم إلى الشيخ أحمد بن موسى المشرع اليمني. وأما الحائمية فمنسوبة إلى الشيخ محي الدين بن العربي، وهي معلومة. وأما القادرية فإلى القطب شيخنا أبي محمد عبد القادر الجيلي، رضي الله عنه، وهي معروفة.

وأما العراية فشعبة منها منسوبة إلى الأستاذ سيدي عمر العرابي. وأما المدينة فمنسوبة إلى الغوث أبي مدين. وأما الرفاعية فإلى سيدي أحمد الرفاعي، وكلها شعب من القادرية. وأما القشيرية فإلى الأستاذ أبي القاسم القشيري. وأما الخرازية فإلى أبي سعيد أحمد بن عيسى الخراز⁽¹⁾.

وأما الجشتية فإلى قطب الدين مودود بن يوسف بن محمد بن سمعان الجشتي. وأما المدارية فإلى الشيخ بديع الدين الشاه مداري. وأما الشطارية فمبناها على عمارة القلب بالتوحيد، ويشغلون المريد بالذكر الجهري، وقد يستعملونه إن كان قوي الاستعداد بفن الدعوة لمشاهدة عجائب آيات الله في ملكه وملكوته، وتنسب إلى الشيخ عبد الله الشطاري.

وأما العشقية فطائفة من الشطارية مبناها على طريق الفناء المطلق والعشق، وتنسب إلى الشيخ أبي يزيد العشقي. وأما النقشبندية فمنسوبة إلى الخوجة بهاء الدين نقشبند. وأما الغوثية فهي خلاصة السادة الشطار فتنتهي إلى إمام العارفين سيدنا بهاء الدين محمد بن خطير الدين غوث الله صاحب كتاب الجواهر الخمس. وأما الحلاجية فإلى الحسين بن منصور الحلاج. وأما الجنيدية فمعروفة للجنيد. وأما السهلية فإلى سهل بن عبد الله التستري⁽²⁾ رضي الله عن جميعهم وعنا بهم آمين.

وقد استوفى صاحب الرسالة أسانيده إلى أرباب الطوائف المتقدمة وما تتميز به كل طائفة، فجزاه الله خيراً، وإنما ذكرت من ذلك شيئاً قليلاً لئلاً تشوف نفس الناظر في هذا الكتاب إلى من تنسب إليه هذه الطرق لغرابة أكثرها بقطرنا ما عدا الشاذلية وشعبها، والله تبارك وتعالى ينفعنا بمحبتهم ويرحمنا بالتطفل عليهم بمجرد

(1) أبو سعيد أحمد بن عيسى البغدادي الخراز، متصوف عارف، أخذ عن إبراهيم بن بشار الخراساني ومحمد بن منصور الطوسي، وتوفي سنة 286 هـ: سير أعلام النبلاء 13: 420.

(2) سهل بن عبد الله التستري، من أئمة الصوفية وأعلامهم، ولد سنة 200 هـ، وتوفي سنة 283 هـ: الرسالة القشيرية، ص: 400.

الانتساب العاري عن الاكتساب، فهو المتفضل على الإطلاق، بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وما ذكر صاحب الترجمة في كتابه المتقدم من استجازته لي شيخنا أبا بكر بن سالم شيخان، رضي الله عنه، فقد وصل إلي بعد ذلك كتاب آخر منه ومعه إجازة الشيخ أبي بكر المذكور، وقد أجازنا فيه واستوفى التعريف بمشايخه وأسانيدهم، ومعه أيضا رسائل آخر لوالده سيدي سالم شيخان، ولنذكر بعض ما يتعلق به الغرض من كتابه هذا، فمن ذلك ما نصه: وقد استجزت لكم السيد أبا بكر بن سالم شيخان فكتب بعد تردي إلي أنه من جملة ما كتبه في الإجازة سند أبيه في دعاء السفر إلى الخضر عليه السلام، وطلبت منه النسخة المسندة، فوعدني بها مرارا وما أعطانيها لأشغال هو فيها حتى أنه ما كتب الإجازة إلا بعد أن أعتته بكتابة ترجمة شيخنا وأسانيده، ثم قابلتها معه، لكن إن شاء الله أكتب منه النسخة المذكورة وتأتيكم بعد، إن شاء الله، وسأكتب لكم نسختين من أحسن رسائل والده أحدهما تسمى إيوان المقعر الحر في جمع ضوابط الفن، فأوعى، وهي حقيقة بما قال فيها، تغني العارف عن شمس المعارف⁽¹⁾، وتكفي الماهر عن الجواهر⁽²⁾، فإنها اشتملت على قواعد شتى من فن الدعوات وعلم البسط والتكسير وطرف من علم الخافية وفائدة جلية في مثال وضع الطلاسم، وألحقت في آخرها مثالا آخر فيه، ورسالة أخرى اسمها حل المغنم في حل الطلسم، جرى فيها على طريقة اختارها في وضع الطلاسم إلا أنه أوضحها غاية الوضوح، رحمه الله، وقد قابلتها على أصله واستجزت لكم الأستاذ محمد الشريف الصديقي شيخ الملا إبراهيم فأجاز لكم بجميع مروياته بإجازته من والده علي الرملي وبما كتبه على محلات من تفسير القاضي البيضاوي وبحاشية والده عليه، وأكدتم على كتابة ما تشوف إليه النفوس من أخبار بلدنا فما تجدد من الأخبار سوى دوام الستر والسلامة إن شاء الله، نعم حصل في هذا العام مرض شديد بمكة وبقطر اليمن وقباء، ومات خلق كثيرون، فممن توفي إلى رحمة الله تعالى في رابع عشر ربيع الأول الشيخ إسحاق بن محمد جمعان شيخ سيدي علي الديبع، ودفن بزييد، ومات محبكم الشيخ أحمد بن علي باقشير في النصف الأخير من شهر جمادى

(1) يقصد كتاب شمس المعارف الكبرى للبوني.

(2) يقصد كتاب الجواهر الخمس.

الأولى من سنة 74 العام الماضي، ودفن بمكة. وتوفي الشيخ جمال الدين الهندي النقشبندی ليلة الجمعة، ودفن صبيحتها سادس عشر جمادى الأولى من هذا العام، يعني سنة ست وسبعين، ودفن في البقيع، رحمهم الله تعالى وأبقاكم في عافية كاملة هـ. هذا نص ما أثبتته هنا من كتابه لما اشتمل عليه من الفائدة، وفي آخر الكتاب حرر في سابع عشر ذي الحجة سنة 1072.

وأما إجازة شيخنا أبي بكر بن سالم فهي طويلة جدا حسنة غاية، وسأثبتها إن شاء الله آخر الكتاب مع إجازات من أجاز لي من المشايخ في هذه الرحلة، ولنذكر افتتاحها هنا تبركا به، قال شيخنا قدس الله سره: باسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله المحيط بما منه الذي لا يدرك غيره له كنه، حمدا لا ثقا بكمالاته الإلهية، جامعا لحامده الذاتية، صادرا من عبد الله الجامع في تعلقه بالتخلق للتحقق بنعوت الأسماء ومقتضياته في المظاهر واردا عنه إليه بلسان جمع الجمع في موكب التجليات الربانية والمحاضر، متصلا بصفات كمال الجمال، الأول والآخر مستغرقا بشؤون جمال الجلال، من حضرتي الباطن والظاهر، حمدا معنويا من حيث هو لا إنشائيا ولا إخباريا، أزليا لا جزئيا ولا حكما، أبديا لا سليا ولا عديما، بسيطا في المقاعد العندية والمناظر ليتضح بذلك للسالك في المشاهد أنه هو الحامد والمحمود بلا ريب ولا شهود، ويعلم علما يقينيا سريان هوى الأحدية في الوجود واحتياز الأثر في التعلق للمآثر، وارتباط ضمائر سر الألوهية بالموجودة الظواهر. والصلاة والسلام على الرؤوف الرحيم، أصل مبدأ الإنشاءات والدوائر في الأزل القديم المضمحل بنوره عن كل شيء في ليل العدم، المتولي به للفيض الإلهي على القوابل من سوابق القدم، وبالتبعية على الهيكل الموجود بكن، والمصطنع باليدين وكتا اليدين يمين، وهو الجوهر الفرد الذي لا يسئل من حيث هو التسديس والشمين دار الندوة للشؤون، ومهبط القدس بالفيض المقدس من الغيب المكنون، وهو المقصود بالذات بالمظنون، والمفهوم من العبارة الأوان من الحجارة، وكم لائحة وبارقة في الإشارة، وبعد فإني:

[بسيط]

أهدي لحضرتك العلياء تحملاها	ريح الصبا لتبث الشوق من قبل
تحية هي من نشر العبير شذا	أذكي وأشهى لفتون من قبل

وقد حثك سيدي باعث ظنك الحسن على طلب الإجازة والسند في الذكر السري والجهري ولبس الخرقة والمصافحة والصحبة والمشابكة واقتفاء ما لأهل الطريق من الآداب والسنن. وفي المرويات من العلوم التي صح اتصال سلسلة سندي به وفيه إلى سيدي والدي وإلى غيره، وإلى التعرض لذكر طرق مما له ولي من منشور ومنظوم والإجازة في الرواية لما من ذلك أمكن.

ولعمري إني لحقيق بالتماس هذا منك، ولجدير بأخذ العلوم واكتسابها بالترقي عنك، وحيث كنت أيها السيد الجليل أهلاً لتلبية داعيك ومحلاً لإبداع السر الخفي المأمول بناديك، اقتحمت خطر هذه العقبة، واجترعت على الارتقاء إلى تلك المرتبة إسعافاً لما له طلبت، وإتحافاً لما إليه وفيه رغبت مبتدئاً في ذلك بالتراجم المحضة، ثم أتبعها بزبدة الفوائد المختصرة. هـ.

ثم ذكر ترجمة والده ومشايخه وأسانيده وأطال وأطاب، ثم ترجمة شيخه شيخنا صفى الدين القشاشي، فأجاد وأفاد، ثم ترجمة شيخه السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن شهاب بن عبد الرحمن باعلوي فأوعب وأوجز، ثم ذكر شيئاً من نظم والده ونثره، ثم نبذة من نظمه هو ونثره، فمن نظم والده قصيدة همزية في مدح الرسول، صلى الله عليه وسلم، مطلعها:

[خفيف]

يا نبياً نوابه الأنبياءُ	لك ذات العلوم والأسماءِ
بك يا من هم به سفراءُ	شرف المرسلين في القدر أسمى
لم يزالوا بها هم العصماءُ	عصمة الله فيهم عنك كانت
أنت في الأصل درة بيضاءُ	سبحة الوجه أنت أنت كريمٌ
قبل لا آدم ولا حواءُ	سابق الكل في الوجودِ تنبأ
ليس مثل له ولا أكفاءُ	وأنت خاتم النبيئين فرداً
	ومنها:

أنت أصل لكل أصل فكل	أصل عنك فرع وإن هم آباءُ
---------------------	--------------------------

قد تبناهمُ بمعنى فلا غر ولهذا همُ لهُ أنباءُ
هو تاءُ الضميرِ من كنتَ كترًا كيف ترقى رقيهُ الأنبياءُ
وكذا الباءُ منُ فبي كنت يا من فوق عيائه لم تكن عيائه
ومنها:

دروة للكمال مركزها الفر د محمــــــــــــــــيطٌ وراءه لا وراءُ
ومن نظم شيخنا أبي بكر قدس الله سره قوله:

[طويل]

أراهمُ معي لا بل أرى أني همُ بنفي حلولٍ واتحادٍ المكذبِ
سلام عليكم أهل ودي ما انتهى لمركزكم دورٌ لصدقِ التحبِّ
وقوله:

[وافر]

سقى الله العقيقَ وساكنيه وعهدا في معاهدهِ قضيتهُ
بشربِ مدامةٍ من ثغرِ حِب حشايَ على مودتهِ طويتهُ
وقوله:

[وافر]

جرى خلفَ الوردى في فهمٍ معني ولي قد صانهُ المولى العليُّ
وعندي من تولاهُ بحفظ وأولاهُ اليقينَ هو الوليُّ

ومما أفادنيه صاحب الترجمة وكتبه لي بخطه رسالة لطيفة لسيدي سالم شيخان في علم الخط المسمى خط الرمل سماها سقط السمط وسمط المرط في علم الخط، وهي مع صغر حجمها مفيدة في بابها. ومما أفادنيه وكتبه لي بخطه أيضا رسالة أخرى لسيدي سالم في مداخل الأوقاف سماها النصر المين بالتصرف المين، وهي وجيزة نافعة.

ومما أفادنيه وكتبه لي بخطه للوصول إلى مقام الطيران والذهاب إلى أي مكان تريد تترتاض 3 أربعينيات بشرائطها من ترك الحيوان، ويذكر كل يوم يا حي يا قيام عشرين ألفا يحصل لك ذلك بإذن الله تعالى ومشيتته.

ومما أفادنيه لرؤية النبي، صلى الله عليه وسلم، في المنام من فوائد السيد جلال الدين نفع الله به، قال: تذهب إلى الماء الجاري ثلاثة أيام بعد الإشراق وتغتسل وتقرأ البقرة وآل عمران وطه ويس، ثم تصلي ركعتين لروح النبي، صلى الله عليه وسلم، تقرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة المزمل، وفي الثانية سورة الفجر، وبعد السلام تصلي على النبي، صلى الله عليه وسلم، ألف مرة بهذه الصيغة: يا حي يا قيوم، يا حي حين لا حي، يا حي محي الموتى، يا حي لا إله إلا أنت بديع السماوات والأرض، يا إلهي صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد، وترحم على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وترحمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، ثم يغمض العينين ويراقب فإنه يتشرف برؤية جماله صلى الله عليه وسلم.

ومما أفادنيه من خط شيخ شيخنا سيدنا أحمد الشناوي نفع الله به: تترتاض 44 يوماً وتقرأ الفاتحة في كل يوم ألفاً وفي كل ليلة ألفاً، وتكون متروحناً عن أكل كل ذي روح وما خرج منه صائماً قائم الليل، فإن عرض عليك ملك شيئاً من الدنيا فلا تقبل ولا تلتفت إلى الآتي، ثم بعد أيام يأتونك ويقولون: ما حاجتك؟ فقل: مقصودي نور الهداية. فيقولون: وجهك إلى غيرنا وينصرفون. وبعد أيام يأتون ويقولون: ما حاجتك نحن نقضوها. فقل: ما حاجتي إليكم، حاجتي هو أعلم بها. فبعد أيام يأتيك رجل أعظم صورة وأحسن خلقه فترى الفاتحة مكتوبة في وجهه تقرأ منه كما تقرأ من اللوح، وهو واقف قبلك ويسألك عما تطلب من الله، فاسأله مطلبك ولا تفرع منه، فما هو من الملائكة، بل هو سيد المرسلين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم هـ.

ومما أفادنيه وكتبه لي بخطه من فوائد السيد مخدوم العالم جلال الدين البخاري قدس الله سره ونفع به للوصول إلى قدم الكرامة والتشرف بزيارة البيت العتيق والطواف به في ليلة واحدة من الأماكن البعيدة، وزيارة المدينة والروضة المشرفة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والعمل فيه بعد طول ونهي

عن إظهاره (والله أعلم حيث يجعل رسالاته)⁽¹⁾ ومن يختص بمولاته، نسأل الله أن يجعلنا من أهل ولايته بمنه وكرمه.

ومما أفادنيه وكتب لي بخطه: للباسور يكتب في فتيلة ويتحمل بها المريض وهو: شلطيظ ملطيظ جهلطيظ، ويكتب في إناء ويشرب محوا وهو هذا: باسم الله الرحمن الرحيم (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)⁽²⁾ يا سلغثوت يا غلثوت يا ملغثوت أغث وأزل هذا المرض الذي يسمى باسورا، الله الله الله الله الله الله الله هـ.

ومما أفادنيه وكتبه لي بخطه لرفع البواسير وزواله بإذن الله: تصاغ حلقة فضة نقية صافية خالصة زنتها قفلة محررة من غير زيادة ولا نقصان، وهي ستة عشر حبة من نواة الخرنوب المتوسطة قبل طلوع شمس يوم آخر أربعاء من شهر صفر، ويختتم بها المريض في يده فإنه يشفى إن شاء الله، وقد أفادني بذلك الأخ الجليل الفاضل النبيل سيدي أبو بكر بن علي باشة الأحسائي عن شيخه سيدنا تاج الدين بن زكرياء العثماني رحمه الله تعالى ونفع به، وقد جربت مراراً فصحت.

وأفادني الأخ الثقة الزكي أحمد بن عبد الواحد المغربي عن الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ عبد الكبير با حميد الحضرمي ثم المكّي عن والده، وكان ممن اجتمع بالشيخ تاج الدين فيما يغلب على الظن، أن المريض بالباسور يداوم مع لبسه إياها، أعني الحلقة على قراءة (سبح اسم ربك الأعلى)⁽³⁾ كل يوم ورداً، ولو مرة.

ومما أفادنيه وكتبه لي بخطه ما نصه: فائدة لطول العمر: يصلي ركعتين يوم عاشوراء ويقرأ هذا الدعاء وهو مستقبل القبلة بحضور قلب سبع مرات، كذا في الجواهر الغوثية. وقال قطب الدين الحنفي: يقرأ عشر مرات. قال سيدنا الغوث: فإن من قرأ العدد المذكور يوم عاشوراء لم يمت في تلك السنة، فإذا دنا أجله لم يوفق لقراءته، هـ. ومن جرب ذلك قطب الدين ووالده علاء الدين. وزاد قطب الدين على ما ذكره الغوث فقال: ينفخ على نفسه في كل مرة من العشر مرات، وأنه إذا قرئ على الأطفال الذين لم ينطقوا ونفخ عليهم القارئ في كل مرة لم

(1) الأنعام: 124.

(2) الإسراء: 82.

(3) الأعلى: 1.

يموتوا. قال: ويلقن لمن استطاع منهم النطق فإنه جرب مرارا وما تخلف قط هـ. والفقر جربه، وهذا هو الدعاء: سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضى وزنة العرش، لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، سبحان الله عدد الشفع والوتر وعدد كلماته التامات كلها، أسألك السلامة برحمتك يا أرحم الراحمين وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا.

ومما أفادنيه وكتبه لي بخطه ما نصه: ذكر الشعراني⁽¹⁾ أن من الفوائد المجربة لإخراج سم الحية والحنش والعقرب أن يرفع الملدوغ مقدار مثقالين من العذرة بماء أو غيره، فإن السم يخرج من القيء من جميع جسده هـ. وأخبرني الشيخ أحمد بن إسماعيل الأزهرى المعروف بالسرطان عن والده الشيخ محمد الحمصاني فعله الملدوغ فشفي من حينه، هـ.

وأفادني، رضي الله عنه، أشياء أخر كثيرة اقتصرت على القدر المتقدم من إفادته جزاه الله خيرا، وقد بالغ، رضي الله عنه، أيام إقامتي بمكة في المواصلة والقيام بالوظائف الدينية والدنيوية، وما رأيت في تلك الديار أكرم منه نفساً وأعلى همة، مع قلة ذات اليد، أردت إعانته بشيء من العرض الفاني فامتنع كل الامتناع، وفي ليلة خروجي من مكة شيعني إلى خارج البلد على رجليه، وتأسف لفارقتي، وأودعته الدعاء وأودعني، وإني لأرجو أن يجعلني وإياه من المتحابين فيه، وأن يجمع الشمل به عن قريب. وقد أمرني عند الخروج من باب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام بقراءتي (إن الذي فرض عليك القرآن)⁽²⁾ فقرأتها داخل المسجد، ولما خرجت أمرني بقراءتها أيضا، ثم أمرني بالدخول وقراءتها ثالثة، ثم خرجت وأخبرني أنه مجرب بهذه الكيفية للرجوع إلى ذلك المكان، والله يحقق رجاءنا فيه آمين.

ومن لقيته بمكة ممن ينتسب إلى طلب العلم وسلوك طريق القوم صاحبنا النبيل الأسعد الجليل الفقيه المشارك سيدي أحمد بن باقشير⁽³⁾، أصله من اليمن،

(1) لوائح الأنوار القدسية في بيان اليهود المحمدية، ص: 500.

(2) القصص: 85.

(3) أحمد بن علي بن عبد الرحمن باقشير، ولد بحضرموت، ارتحل إلى مكة وبها تلقن ولقن، وانفرد بعلمي الفرائض والحساب، توفي سنة 1075 هـ: خلاصة الأثر 1: 252. نشر المثاني 2: 146.

وبيتهم بيت علم، وعمه الشيخ عبد الله باقشير من أعلى طبقة فقهاء الشافعية بمكة، وقد انتفع صاحبنا هذا به في علوم كثيرة ولازمه وزوج بنته وبالع في خدمته، فصار عنده مثل الولد، ولما حل شيخنا أبو مهدي بالحرمين أكثر ملازمته وانتفع به كثيرا، ولم أرَ أحداً من أصحابنا المكين أكثر منه له ملازمة، سمع معي الكثير مما تقدم عن الشيخ وسمعه أكثر من ذلك في فنون شتى، وانتفع دراية في الأصول والمنطق، وأخبرني أنه قرأ عليه قراءة بحث وتحقيق شرح العقبات على جمل الخونجي، وقويت رغبته في الأخذ عن الواردين على مكة، فلأجل ذلك سمع مني أشياء واستجازني، وكان يرى لي من الحق أكثر مما كنت أرى له، وبيالغ في التودد والمحبة، ولي فيه اعتقاد صالح ومحبة خالصة، أسأل الله أن ينفعنا به، وقد بلغني خبر وفاته في سنة خمس وسبعين، رضي الله عنه وأرضاه، وتقبل صالح عمله وتجاوز عنه بفضله وكرمه. وأما عمه الشيخ عبد الله فلم يتيسر لي لقاءه، وكان به مرض وقت إقامتنا هناك مع ضعف الكبر، فقل خروجه وتعذر الأخذ عنه، وقد أخبرني ابن أخيه المذكور أنه ليس عنده من الرواية ما يرغب في مثله، والغالب عليه الدراية، والوقت يضيق عنها، وكان يذكر لي عنه عجباً في فقه الشافعية تقبل الله منه.

ومن لقينته ممن ينتسب إلى الصلاح صاحبنا وأخونا في الله الشيخ سليمان بن شمس الدين الحجار، ولي من أولياء الله حقاً، وصديق فيما أعلم، ولا أقول إلا صدقاً، مجهول بين أهل الأرض، معروف في أهل السماء، دؤوباً على الذكر والتلاوة حيثما وكيفما، ما رأيت أعبد منه ولا أزهد ولا أورع، وسبب معرفتي به أني رأيت من يوم قدومنا إلى مكة مسرّداً للطواف بالبيت نالياً للقرآن سرا لا يسمع قراءته إلا من تنبه له، لا يكلم أحداً ولا يقف إليه، ولا شغل له سوى الطواف بالبيت وقراءة القرآن، وأظن أنه يختم كل يوم لأني ترصدته مرات في وقت معلوم فأسمعه في الغد يقرأ قريبا من موضعه بالأمس، إما قبله بقليل أو بعده، وسألت الناس عنه لم أجد خبره إلا عند الخواص، وأخبروني أنه كان في أول أمره معلم الصبيان ثم ترك ذلك واشتغل بالعبادة، فإذا اشتد الحر قرب الزوال وصارت حجارة المطاف كالرصف المحمي انقطع أكثر الناس عن الطواف، وهو في كل ذلك لا يبالي ولا يخرج من المطاف إلا هنيئة قبل الغروب، وأظنه مقدار ما يدخل إلى منزله لطهارة أو عشاء، ثم يعاود الطواف، ولا يزال كذلك إلى أن تذهب طائفة من الليل ويغلب على النوم، فأذهب وهو على حاله في الطواف، فإذا

خرجت إلى المسجد سحراً وجدته قد سبقني إلى الطواف، ولا أدري متى يذهب من الليل ولا متى يعود. وكنت أولاً إذا لقيتُه وسألت منه الدعاء، ربما أعرض عني إلى أن أنس بي وصار يقبل علي ويدعو لي، وتأكدت الألفة والمحبة بيني وبينه، وعقد لي معه عقد أخوة في الله، وقد رأيت منه خلقاً غريباً في أهل وطنه، أعطيته ذات يوم دريهمات، فقال لي: إن كانت من الزكاة فلست من أهلها فأعطيها لغيري. فقلت: إنما هي صلة مني إليك. فقبضها مني، ولو أعطيت الزكاة لأغني غني من أهل الحجاز لقبضها ورأى أنه أحق بها من غيره.

ومن لقيته بمكة من أهل الفضل والإيثار والمبادرة إلى الخير والإكثار شيخنا الولي الصالح المشفق على عباد الله الناصح الدين، الناسك والمحبوب السالك، ذو المآثر الغريبة والأحوال العجيبة، سيدي أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد المكناسي الحسني^(١) رضي الله عنه وعنا به، رجل ملاً الآفاق ذكره، وعم الوارد والصادر خيره، وسكنت قلوب أهل الدنيا هيبته، وعمر صدور أهل الآخرة محبته، أحبه الله فحبه إلى عبادته، واصطفاه فأسكنه خير بلاده، وجعله رحمة لسكان حرمه، ومظهراً من مظاهر جوده وكرمه. كان أصله من مدينة مكناسة الزيتون بالمغرب الأقصى، ونشأ فيها مع أبيه مرموقاً بعين الصلاح من صغره، موسوماً بنوع من البله بين أترابه في كبره، متغلباً في أمور الدنيا، ربما ينبر بلقب يتضاحك منه الولدان، كما هو شأن أسوء الأحوال في كل البلدان، وكان يلقب كأسلافه بالزناتي، وقد ذكر هو أنه شريف حسني إدريسي، وأصلهم من تامسنا، وهي وطن زناتة في العهد الأول، فطراً أحد أجداده مكناسة على حالة رثة فاستجى أن ينتسب شريفاً، فانتسب زناتياً وعرف به بذلك، والله أعلم، وأكثر المغاربة يقدحون في نسبته هذه إذ لم يظهرها إلا في بلاد المشرق، والناس مصدقون في أنسابهم سيما من علمت عدالته كهذا الشيخ. وقد أخبرني الثقة أنه أقسم له أن أباه أوصاه بهذا النسب، قال: ومع ذلك لم أظهره حتى أمرني النبي عليه السلام بإظهاره. وقد جال في واسطة بلاد المغرب، ودخل فاسا وقصر كتامة وما إلى تلك البلاد، وغلب عليه التنسك من صغره، وفاجأته الجذبة الإلهية، وأدركته العناية الربانية، فيسر له لقاء الأفاضل، فأخذ عن رجل من الصالحين بمكناسة يسمى سيدي مالك، ولقي بفاس سيدي موسى القاطن بكرنيز، واستمد منهم مدا

(١) تقدمت ترجمته.

قويًا، وأخذ أيضا بالقصر عن سيدي محمد القجايري، وكل هؤلاء كانوا من أهل الحال القوي غير معروفين بالتسليك والتربية، وإنما يتصرفون بالحال والجذبة، ولذلك كان هذا الشيخ أسيراً لأحوال، مغلوباً بالواردات الإلهية في كثير من تصرفاته التي حارت فيها عقول المترسمين، وسلمها المحققون منهم، وأذعن لها أهل البصائر النورانية، ولم يزل بالمغرب يتقلب حامل الذكر لا يؤبه به، أشعت أغبر ذا طمرين، لو أقسم على الله لأبره، إلى أن قادته العناية السابقة والهداية اللاحقة إلى التوجه إلى بلاد المشرق لحج البيت وزيارة الرسول، فتوجه بعد الأربعين وألفٍ وحج مراراً، وجال في أرض المشرق ورجع إلى مصر ثم إلى الإسكندرية متوجهاً إلى المغرب، فركب في البحر، فألقتهم الرياح إلى بر الروم، فدخل القسطنطينية وانتشر له صيت هناك، وخضعت له رقاب الأمراء، وهو في كل ذلك على ما أخبرني مسلم للأقدار منقاد له، وإن كانت نيته إلى المغرب، فهتفت به هواتف السعادة من حرم الله الأمين: أقبل ولا تخف إنك من الآمنين، فكر راجعاً إلى مكة فاستوطنها في حدود الخمسين إلى وقتنا هذا، فطار صيته في الآفاق، وأقبل الناس إلى زيارته من كل أوب، وأتحفه أمراء الأطراف بالهدايا السنية وفاخر العطيّة، وحصلت له بمكة وجاهة كبيرة ومترلة خطيرة عند أمرائها، وبث العطاء في العباد، وسال من غيث سخائه كل واد، فعم معروفه أهل مكة الأمراء فمن دوفهم، ولا يتمسك من الدنيا بقليل ولا كثير، ولا يقتني منها ملبوساً ولا مركوباً، ما تزوج قط ولا تسرى، وكان له عبيد وإماء للخدمة في غير الدار التي يسكنها، ولم يتخذ من الفرش سوى حصير يجلس عليه، أو لبد وما يشبه ذلك، غالب لباسه شتاء وصيفا قميص واحد وكوفية على رأسه، كثر ازدحام الناس عليه إلى أن منع من الخروج، فكان لا يشهد جماعة ولا جمعة، واغتفر الناس له ذلك لما يعلمون من حاله، ووجد السبيل بذلك إلى الطعن عليه من لا يعد من أشكاله، وله خبرة بطريق القوم وحكاياتهم وأذواقهم، سيما مشرب الشيخ محي الدين الحاتمي فإنه يبالغ في اقتناء كتبه ويحض عليها ويفهم أسرارها، وقد غلبت عليه الرحمة لعباد الله والشفقة عليهم، فكثرت شفاعاته المقبولة عند أمراء البلد، وربما يثقل عليهم في أمور ولا يجدون محيصاً عن قبول شفاعته. وقد تحدث معي يوماً في هذا المعنى إلى أن قال لي: إني أرحم جميع عباد الله حتى اليهود والنصارى، ولعلك تنكر ذلك. فقلت له: إني لست، والحمد لله، ممن ينكر ذلك، ولا أعظم منه ممن صار مظهراً لأوصاف الحق، وقد وسعت رحمته كل شيء، ورحم الطائع والعاصي، والمؤمن

والكافر في هذه الدار، بل وفي تلك الدار على ما شهدت به بصائر أهل الكشف، إذ ما من عذاب إلا وفي قدرة الله ما هو أشد منه، فلا يخلو أحد من رحمة الله، وإن تفاوتت مراتب العباد فيها. والرحمة التي حرمها الكافرون إنما هي الرحمة الخاصة بالمؤمنين المقترنة بالكرامة والنعيم والرضوان المقيم، فلا يبعد أن تكون منه رحمة أخرى للكافرين مقرونة بالإهانة والنكال والسلاسل والأغلال، فمن ظن انفكاك لطفه عن قدره فلقصور نظره. وكان، رضي الله عنه، لا يُشير بمقاله وحاله إلا إلى الله، ولا يدل إلا عليه، ولا يعبأ بالدنيا وأهلها قلامة ظفر، وقد تقدم شيء من خبره في غير هذا المحل. وقد أخبرني بعض أصحابنا أن له في كل يوم مصروفاً نحو من مائة قرش في أهل مكة، منهم ذو الدرهمين إلى العشرة إلى العشرين إلى أكثر، سوى ما يكون للفقراء والغرباء من خبز ولحم وغير ذلك. وكان بعد أن كثرت حمالته واتسعت دائرته وفشا معروفه في الناس وصار أكثر الفقراء والمنتسبين بمكة عيالاً عليه، ربما يقل ما بيده فيستدين، وربما بلغ الدين الذي عليه إلى الخمسين ألفاً أو إلى مائة ألف، فيؤدي الله ذلك عنه. وقد أخبرني بعض ثقات أصحابه أنه عدله مرة في كثرة ما عليه من الدين. فقال له: إن الله وعدني أن لا أموت حتى لا يبقى علي درهم واحد لأحد، ولما علم أبناء الدنيا ذلك من حاله فرموا يبيعون له إذا احتاج ما يساوي المائة بأضعافها، فيربحون عليه وهو لا يبالي، ومع هذا كله فلا يتشوش فكره من ذلك ولا يختلج في سره شيء من أمور الدنيا، ولا يباشر شيئاً من تلك الديون عند أخذها واقتضاها، وإنما كان له أصحاب ووكلاء يتعاطون ذلك، وقد لا يشعر بذلك الدين إلا بعد اقتضائه وقضائه.

وبالجملة فأحواله غريبة لا تنضبط لزمان، إلا أن معيار صدقه هو زهده في الدنيا مع نياله منها بلا كلفة ما عجز عنه أكابر الملوك مع الكلفة والمشقة. وقد أخبرني أنه أخذ بمكة عن سيدي أبي الحسن علي الغماري^(١)، وهو أخذ عن سيدي عبد الرحمن الفيلاي وعن سيدي محمد الكومي كلاهما عن سيدي أحمد الفيلاي عن سيدي الغازي رضي الله عنه.

وأخبرني أيضاً أنه أخذ عن الشيخ أحمد أفندي بأصطنبول وعن بعض السادات الخلوتية، وعن شيخنا صفى الدين القشاشي، وكلهم أجازوه وأبسوه

(١) أبو الحسن علي بن ميمون الغماري، متصوف من طائفة تعرف بأهل الخواطر، توفي سنة 1004 هـ: مرآة المحاسن، ص: 303.

رضي الله عنهم. وقد ألبسني، رضي الله عنه، مراراً ولقني وصافحني وناولني شرح الحكم^(١) لسيدي محمد ابن عباد وقال لي: أجرتك به كما أجازني به مشايخي، ووهب لي النسخة المناولة. وقد من الله علي بملاقاته وزيارته مراراً عديدة مع عزة ذلك على غالب الناس، ربما يجلس أحد أعواماً بمكة ولا يصل إليه ولا يراه، سيما إن كان من أهل الجاه الدنيوي، وقد لقيناه قبل هذا سنة أربع وستين، وكانت بينه وبين والدي رحمه الله مواصلة غيبية وصحبة روحانية، ولقيناه ثاني يوم دخولي مكة للمجاورة في داره وهو متهيئ للخروج إلى الطائف، ولقيناه بالطائف أيضاً، ولقيناه بمكة مرتين آخرين بعد الحج، وودعته يوم الخروج وأحسن وتفضل ودعاً، فجزاه الله خيراً آمين.

ومن لقيناه بمكة ممن ينبغي ذكره ولا يهمل أمره، صاحبنا النبيه، الفقيه الوجيه، قاضي المالكية بمكة المشرفة وإمام مقامهم الشيخ أحمد بن شيخنا نادرة العصر، وإمام ذلك العصر، القاضي تاج الدين المالكي^(٢) ورث خطة أبيه في القضاء والتدريس والصلاة دون أخويه، وليس بأكبرهم سناً إلا أنه قد ترشح لذلك بأهليته، له خلق حسن وطبع مستقيم ومروءة ظاهرة ووجاهة باهرة، ملازم لشيخنا أبي مهدي من لدن حياة أبيه وانتفع به، ويراعي له شيخنا حرمة والده فيجعله ويكرمه، وله مشاركة في الفنون. كتب لي بخطه أسعده الله قصائد من نظم والده رضي الله عنه. وكان والده إمام الأدباء وجمال الخطباء، ووارث فصاحة العرب العرباء، له رواية ودراية في فنون العلم، لقيناه بداره بمكة سنة أربع وستين، وسمعت عليه بعض الصحيح، وأجازني وكتب لي بذلك خطه، رضي الله عنه وأجله، شيوخه؛ الشيخ خالد بن أحمد الماكي أجل تلامذة الشيخ السنهوري رضي الله عنه، وتوفي شيخنا تاج الدين رحمه الله قرب سنة سبعين. ولنذكر بعض قصائده رحمه الله التي كتبها لي ولده وهذا نص ما كتب لي: الحمد لله، يقول كاتب هذه الحروف الفقير إلى عفو الله الباري أحمد بن تاج الدين المالكي الأنصار عفا الله عن والديه وعنه والمسلمين، أن هذه القصيدة لسيدي الوالد المذكور أسكنه الله مع الحور في القصور، ممتدحاً بها سيد الكونين وإمام الثقلين، سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم:

(١) شرح الحكم العطائية لمحمد بن إبراهيم الرندي، ابن عباد المتوفى سنة 733 هـ، وهو مطبوع.
(٢) تاج الدين المالكي، قاضي المالكية بمكة المكرمة وإمام مقامهم، توفي سنة 1070 هـ: نشر المثاني 106:2.

[بسيط]

وبالغ الشيبُ في التحذير بالندِرِ
لما أتى جيشُ صبحِ الشيبِ بالبتِرِ
بنومه واكتحل من إثمِ السهرِ
غبن الغشاء وما للذنب من أثرِ
إتيان ساحة طه سيد البشرِ
ببابه والشمِ الأعتابِ واعتفرِ
أسندتُ ظهري من وِزري إلى وزرِ
به كما تحدقُ الهالات بالقمرِ
عذبُ الورودِ ورد صفوا بلا كدرِ
مدى الشباك لدى الشباك وانتظرِ
واذرفي المدامع لا تُبقي ولا تذرِ
سِواه يشفعُ من خوف ومن خطرِ
وأم في ليلة الإسراء كل سِرِ
بُحْب من خلع التشريف في مردِ
والرسل والناس من بدو ومن حضرِ
ما أفحمَ البلغاء اللسن بالحصرِ
ما كان من ذلك من الآياتِ والسورِ
ذنوبه في الكتب الصادق الخبرِ
عليك يا صادق الأقوال من برِ

طال المنامُ على أرجوحة الصغرِ
وجيشُ ليل الصبا فرت كتيته
فاغسلُ بدمعك جفنا بات مُكتحلا
وافضُ لتصلُ مرآة البصرة من
إن الذنوب وإن جلت فإن لها
فشد حزم المطايا قصده وأنخ
وقف تُجاه شريف الوجه منه وقل
ولذ بمن تفدُ الأملاك مُحدقة
ونادِ يا نفسُ هذا البحرُ منهله
مُدي شباك الرجاء في مد لُجته
واستمطري عينَ سحب الجود من يده
فهو الشفيعُ المرجى يوم لا أحد
أسرى به الله ليلاً ثم قربه
وشرفَ الملائ الأعلَى وجاوزه
سادَ الخلائق من جن ومن ملك
كم معجزات له جلت وأعظمها
أغناه عن مدحة المداح قاطبة
وجاء من جاءه مستغفراً مُحييت
وعنك يروى صلاة دائمة

فيا نبي المُدى وفيت مرتجيا
أرجوه منك ومالي غير حبك قد
حب أزمته قادت إليك فتى
جانب المهامه من سهل إلى جبل
وها أنا الآن ضيف قد حللت بها
ولي مطالب حسي العلم منك بها
فامنن بها من ذرى عطف على وجل
ما زال يطمعه⁽¹⁾ طورا ويؤيسه
فأمح الإياسَ وحقق في الرجا طمعا
واشفع تشفع وقل نسمع ومن بها
واقبل هدية ذي فقر لرب غنى
أذاب تبر المعاني ثم أبرزها
لولا صفائك لم تصبح قوالبها
بها تطفل تاج ذره صدقا
أنت جواهر تاج التاج تفصح عن
والظن أنك قد حليتة فلقد
فيه دليل بнил القصد أجمعه
دامت صلاة صلاة كل آونة
تغشاك والآل والأصحاب ما عذبت

منك الذي جاء في القرآن والأثر
جعلته في معادي خير مدخر
طوى بأيدي المطايا شقة السفر
شوقا لمنظر تلك الروضة النظر
والضيف يُقرى وأرجو أن يكون قرب
إذ أنت أدري بما في النفس من وطير
بالباب يرجف من خوف ومن حذر
حسن الرجاء وذنب قاصم الفقر
وافتح بئسن ختام آخر العمر
للقلب والعين من سؤل ومنتظر
يرجو خزائن ذي جود لمفتقر
في اللفظ مفرغة من فوطه الفكر
تضيء كالزهر في الأفلاك والزهر
فكلل التاج يا ذا التاج بالدرر
تاريخها وهو وجه أبلج الطرد
أتى بهذا شاهداً حي بمعتبر
يا من مرجيه بالمأمول منه حر
تزف وهي من الأملاك في زمر
أرواحنا بشميم الروضة العطر

(1) في ط: يطعمه.

هـ.

وكتب لي أيضاً ما نصه: ولسيدي الوالد المرحوم المتقدم ذكره يمتدح سلطان الحجاز وابن سلطانه الذاب بفيضه وسمره عن غنيه وصعلوكه، مولانا السيد الشريف ذي الحسب الباذخ المنيف، إدريس بن الحسن^(١)، ويتشكر منه على تمكينه من وظيفة الخطابة وإلباسه القفطان يوم مباشرتها سنة 1028.

[طويل]

زها بك دستُ الملك والتاج والعقدُ	غداة إليك الحل أصبح والعقدُ
مُطاعا بعطفِ الله بعدَ رسوله	أولي الأمر فالعاصي لأمرِك مرتد
أبا شرف إدريس مُنتخب العلا	أبي الشرف الوضاحُ غيرك وانجدُ
لقد خطبتُ شمسُ الخلافة بدرها	فقارنتها في الأوج والطالع السعدُ
قنصت العلا بالترهية واللهي	كما شركاها لا الأمان ولا الوعد
وقمتَ بعبء آذ غيرك حملة	منالُ المهاوي ليس تدركهُ الرفدُ
وشرفتَ دستَ الملك حين حللتُهُ	ومرقاك المرقاة والفرس النهْدُ
فكنتَ به إدريسُ إدريسُ إذ رقا	مكانا عليا خصه الصمدُ الفردُ
وكنتَ ولم تفتنُ سليمان إذ دعا	فأوتيتَ ما لا ينبغي لفتى بعدُ
وما لم ينله غير آبائك الألى	ربوع النداء شادوا وأزرَ العلا شدوا
ملوكهم الأنباب للملك والسدى	إذا نسبوا كانوا الزوائد أوعد
تولوا وأفضى ملكهم لمحب	تصادم تيجانُ الملوك إذا يبدو
تأخرَ عصرٌ فاستزاد من العلى	كما زاد بالتأخير ما ترقم الهندُ
وأصبحَ عطلا جيدٌ من رامَ عقدها	سواءً وأضحى يستضيء به العقدُ

(١) إدريس بن الحسن بن محمد بن بركات، أمير الحجاز، ولد سنة 974 هـ، ولي بعد أخيه طالب سنة 1011 هـ، وتوفي سنة 1034 هـ: خلاصة الأثر 3: 288. تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص: 338.

مزاياءُ فهو الجامعُ العلمُ الفردُ
فصيرةُ قصرًا عليه فلا يعدُ
وما الفضلُ إلا ما أقرب به الضدُ
ويوم الوغى يزهو بك السرج والشرد
عليك رواقُ العجد يُرفع والبنْدُ
ويأمنُ مطروذٌ وترهبك الأسدُ
لدى خطبه الآراء واستتر الرشد
وأنفذت سهم الرأي ليس له رد
من العزم لم يلهم له أبدا حد
إذا طُلبت يدنو بتقريبها البعدُ
من الرعب جيشٌ لا تُشام له جندُ
عليهم وقد ضاقت بما رحبت لحد
ولا راع يوما جار عقبت طود
هو البطل المطعان والأسد الورد
تحكم في الجاني وأحفظه الخفد
نجاة نجد الأرض من حرها خد
فقل عوضا عن جاد قد فقد العد
عذاب لهم مربحة الحزن والد
فينبتُ إلا أن منبته الحمد
وتبلغها منه الصواعق والرعد

تفرد طود الملك بالمجد جامعا
رأى إن عرته خلة منه خلة
فيا ملكا بالفضل أذعن ضده
بك الدست يزهو يوم سلمك البرد
وما زلت في حالك سلما وضده
فيشقى به الجاني ويسعدُ مخفق
إذا بيّت الأعداء أمرا تضاءلت
وترت قويم الفكر قوسا لوثرهم
وحكمت فيهم عاضبا غير مُعمد
وقدت من الوفد الجياد مقاتبا
وغل إلى الأعناق يرى بطشهم
فأحيأهم في الأرض موتى كأنما
سجايا أبي فلا يجار طريده
ملك هو الطود الأشم للائذ
جواذ له في المال صولة تائر
صرت نحونا بالوفد كل تنوفة
وصاد فلم يفقد مراما فجوده
هو البحر عذب للموالي وللعدا
هو الغوث يهمني للولي وليه
تعدو العدا والسهم سمها في لمابه

أخا الجود قد قلبت الجود ودونما	تقلبت أعناق والمطامع تنفذ
وأمطيتني من كاهل العزم مركبا	ترين ذكا كالغور صهوته النجد
ينافسني قوم شارت وقصروا	وما كضليع ضالع خلفه يعدو
وينخس منهم در نظم زعائف	فوا عَجبا من أين للنقدى والنقد
سماء سمات الفضل لقطى نجمها	ولم يخفهِ ألا ترى ضوءه الرمد
وإني كما خلوتُ أهلي ولم أكن	كفوا مسودا إنما أسعد الجدد
ولست به لا عين أسمو وإن يكن	هو الفخرُ يوم الفخر والشرف الفدد
ولكن بنفسي والعبدية التي	بها شرف الآباء من قبل والجدد
وإني لأرجو منك ما نالَ من مضى	ولا عجب إن عز بالسيد العبد
بقيتَ بقاء الدهر فينا مملكا	بك التاجُ يزهر والغلائل والبرد

وله أيضا رحمه الله مؤرخا سكنى سيدنا ومولانا السيد الشريف الهمام
الخطريف^(١) سلطان الحرمين الشريفين مولانا السيد الشريف محسن بن حسين^(٢) دار
الخلافة لما صارت إليه في أول ولايته، وذلك في سنة أربع وثلاثين وألف:

[سريع]

بشراك دار الملك قد صرت في	حوزة سلطان الملوك العظيم
من أصبحت من وطء أقدامه	رؤوسنا تغبطُ منك الأديم
ملك زهت أم القرى عندما	أصبح للملك الكفيل الزعيم
إن ممشاه بها في بطحي فاح من	أفئته كافور البطاح الشميم
يكاد من عرفان كفيه أن	يمسكه البيت والركن الحطيم

(١) الخطريف: السيد الشريف السخي: لسان العرب: غطرف.

(٢) محسن بن الحسين بن حسن، أمير الحجاز، ولد سنة 984 هـ، استقل بأمر الخلافة سنة 1034 هـ،
توفي سنة 1038 هـ باليمن: خلاصة الأثر 3:309. تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص: 340.

أكرم بفرع وبأصل كريم	فرغ زكي من دوحة المصطفى
فخر بني الدنيا أساة الكليم	فخر بني عبد مناف وهم
إدراكها يكفي الكلام الكليم	سهم وفي الوعد ذو فطنة
حتمما بتزيل حميد حكيم	مطاع حكم نافذ أمره
شاب برعب منه فود الفطيم	شبت كهولاً عنده مثل ما
عندهم المقعد منه المقيم	أمد بالرعب فأعداؤه
سهم من قوس رأي قويم	يرد عنهم كيده خوفاً
وقاية الله السميع العليم	والبيض والسمر ومن فوق ذا
عن طلعة غرا وأمر وسيم	تبلغ الملك به مشفرا
غداة أضحى ملكه مستقيم	واعتل الدست به وازدهى
كالروح حلت جسم عظم رميم	وتاه قصر الملك مذ حله
قصر العلا من ذا يسل الغديم	كل مهنيك بما نلته
والعز والسعد الذي لا يريم	بشراك ألبست ثياب البها
إذا صح فيه بيت در نظيم	عز حكى التاريخ تأييده

وله أيضاً سماحه الله معارضا بما قصيدة لبعض فضلاء عصره ممتدحا سلطان
الحجاز السيد الشريف مسعود بن المرحوم إدريس بن حسن^(١) رحمهم الله آمين:

[بسيط]

غدت دُر التصابي قبل ميلاد	فلا ترم يا عذولي فيه إرشاد
غي التصابي رشاداً والعذاب به	عذب لدي كبرد الماء للصادي

(١) مسعود بن إدريس بن الحسن، أمير الحجاز، ولي سنة 1039 هـ، توفي سنة 1040 هـ: خلاصة الأثر 1:240. تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص: 344.

وعاذل الصب في شرع الهوى حرج
ليت العذول حوى قلبي فيعذرني
لو شامَ برق الثنايا والتثني من
ولو رأى هادي الحيداء كان درا
كم باتَ عقداً عليه ساعدي ويدي
إذا عين العين لا تنفك طامية
فيا زمنَ الصبا حيت من زمن
ويا حبتنا زوى تعاهدكم
معاهدكن مصطفىا ومرتعى
فيا راحلين وقلبي إثر ظعنهم
إن يطلبوا شرح ما أيدي النوى صنعت
فقابلوا الريح إن هبت شامية
والفَ نفسي على مغنى سلمت
كأنها واد أم الله مشبهها
ذو الجود مسعود المسعود طالعة
عادت بدولته الأيام مشرقة
وقلد الملك لما أن تقلده
وقام بالله في تأييده فغدا
حق لك الحمد بعد الله مفترض
أنقذتم من يد الأعداء متخذنا

يرومُ تبديل إصلاح بإفسادٍ
أو ليت قلب عذولي بين أكبادي
تلك القدود انتهى من عطف الأسعادِ
أن انشقاقَ الهدى من ذاك الهادِ
نطاق مجتمع المخفي والبادِ
لورد ماء شبابي دون أنداد
أوقاتهُ لم نرع فيها بأنكادِ
في العهدِ سنون رائح غادِ
وكم لها طال بل كم طال تردادي
ونازحينَ وهم ذكري وأورادي
بمعروف حلف لا عاس وإيجادِ
تروي حديثي لكم موصول إسنادِ
أيام صفو لنا كانت كأعيادِ
أيام دولة صدر الدست والنادِ
لا زال في برج إقبال وإسعادِ
تمتز مختلفات أعطاف مبادِ
فخرا على مر أزمان وآبادِ
موفقا حال إصدار وإيرادِ
في كل آونة من كل حمادِ
عند الإله يدا فيهم بأنجادِ

داركتهم سهدا رفقا فعادهم
 بشراك يا دهر حاز الملك كافله
 عادت نجوم من الزهراء لا أفلت
 وأخضل روض الأمان حين أصبحت
 وأصبح الدين والدنيا وأهلها
 مبيح هام الأعداء من صوارمه
 شهم أيادي أياديه ونائله
 يفضي يعمم جود راحته إلى
 بذل الرغائب لا يعتاده كرما
 والعفو عن قدرة أشهى لمهجته
 مآثر كالدراري رفعة وسنا
 تسمو مناقب من كل الكمال حوى
 وأنت من معشر إن غارت أو عرضت
 كم هزمة لك والأبطال محجمة
 بكل أبيض مقصود لمصطهر
 فخر الملوك الألى فخر الزمان بهم
 واستحل أبكار أفكار مخدرة
 كم رد خاطبها حتى رأتك وقد
 أفرغت في قالب الألفاظ جوهرها
 وصاغها في معاليكم وأخلصها
 غمض بجفن وأرواح لأجساد
 بشراك يا دهر أخرى بشريف باد
 لعودة الدولة الزهر المعتاد
 الآجواد عقدا على أجياد أجياد
 في حفظ مالك أهل العدل ميداد
 ما استحصدت بالعاص كل حصاد
 على الورى أصبحت أطواق أجياد
 طلق انخيا كريم الكف جواد
 ما لم يكن غير مسبوق بميعاد
 صينت وأشفى من استيفاء إيعاد
 وكثرة فهي لا تحصى تعداد
 وأنت ذلك عن حصر بأعداد
 جبر إليها وفي النادي كأطواد
 ووقعة أوقفت ليث الشرى العاد
 وللمرائر والمرار قصاد
 دُم حائز ملك آباء وأجداد
 قد طال تعيسها في فكر نقاد
 أمتك خاطبته يا نسل أجماد
 سبكا بذهن وري الزند وقاد
 ود ضميرك فيه عدل إشهاد

يحدو بها العيس حاديهـا إذا زمت
كأنها الراح بالألباب لـأعبة
بفضلها فضلاء العصر شاهدة
فلو عدت من حبيب في مسامعه
واستزلا عن مطايا القول رحلهما
وحسبها في التسامي والتقدم في
تقريضها عندما جاءت معارضة
هــ

وله رحمه الله ملغزا في مسألة فريضة:

[بسيط]

إليكم معشر الفُراض مسألة
أبّ توفي عن بنت فقط فحوت
تدقّ إلا على من كان ذا ملكة
بالإرث سبعة أثمان من التركة
وسئل، رحمه الله، عن حل لغز لبعض علماء البصرة، وصورة اللغز:

[خفيف]

أيها المدعي التصرف في صر
قل لنا أي صيغة ليس فيها
وهي مع ذا حروفها^(١) أربع ليـ
وإذا ما أردت زدت مثليها
ليس فيها من النواصب شيء
فأجاب ساحمه الله عن ذلك بقوله:

(١) ساقط من ط.

[كامل]

يا فاضلا في جامعة فضله	لا خلفَ بين مُفصل أو مُجملٍ
طارَ حتى بالفحص عما فيه ألغز	ناظما كثر العلا عبد العلي
وطلبت كشفَ غطا محاسن وجهه	فخذِ الجواب ونصه من مقولٍ
مهما رأيت ترى بنون مؤنث	قد باشرته فإنه لا يتجل
وإذا انجلي لك ما أراد فاسأله عنه	لغز يحير فكرة التأمل
اسم إذا صحفت بنيته ترى	عدد المسمى عند أهل الجمل
لازتما بحرين تظفر فيهما	بجواهر تسمو على ذرر الحل

وقد تأملت ما ألغز فيه شيخنا آخر هذه الأبيات فوقع في نفسي أنه لفظ عام أو حول، لأنك إذا صحفت لفظ بنيته صار سنة، ونقطتها على حساب المغاربة ثلاثمائة وخمس وخمسين، وهي عدد أيام السنة العربية القمرية. وإن شئت قلت صار بعد التصحيف سنة بالشين المعجمة، ونقطتها على حساب المشاركة كذلك، ويحتمل أن يكون اللغز في السنة مفرد السنين، ويكون المراد ببنيته لفظ السنة، أي حروفها، إلا لفظ بنيته كما في الوجه الأول. ولا شك أنك إذا صحفت سنة صار سنة بالشين المعجمة، ونقطتها على حساب المشاركة عدد أيام الحول المسمى بالسنة. قلت: وسئل أيضا رحمه الله عن قول القائل:

[كامل]

سلم على شيخ النحاة وقُل له	عندي سؤال من يجيبه يعظم
أنا إن شككتُ وجدتموني جازما	وإذا جزمتم فإني لم أجزم
فأجاب سامحه الله عن ذلك فقال:	

[كامل]

أعد السلام لسيبويه زمانه	واذكر له قبل الجواب المحكم
أني مجيبك شارطا أن تلقي	السمع المصيح إصاخة المتفهم

وإذا وفيت به فجزم صادق حصل الجواب به لدى المستدم
فمتى عراك الشك فيه جزمت مع شك وإن تكن جازما لم تجزم
فاجزم ولا تجزم واشكك جازما تر كيف صحة جزم من لم يجزم
قلت: فإن يكن جواب اللغز ما ذكرته، فقد نظمته في أبيات في وزنه ورويه
وهي هذه:

[كامل]

يا من له الوجه الجميل ومنطق منه استعار جميل بعض تجميل
صحف بنيت به يا جميل فعندها من قصدك المكنون كل مؤمل
تصحيفها المعداد ألف منه في وصل كتصحيف بكسر الأول
عش منه قرنا بعد قرن صاعدا رتب الكمال إلى المقام الأكمل
أردت بالبيت الثالث أن تصحيف شنة سنة بفتح السين وألف سنة في وصال
الحيا بها كسنة بكسر أولها.

ولنذكر بعض ما قيده بمكة من كتب غريبة عثرت عليها فيها، فمنها: رحلة
الشيخ المحدث محمد بن رشيد السبيعي، رأيت منها عدة أجزاء بمكة عند شيخنا أبي
مهدي، وكانت في وقف المغاربة برباط الموفق، وعلى هذه النسخة خط المصنف
في أماكن^(١)، وخط تلميذه الإمام عبد المهيمن الحضرمي، وكانت النسخة ملكا له،
وهذه الرحلة كثيرة الفوائد العلمية، فمنها قال: أخبرني بعض الشاميين من أهل
العلم بالروضة الشريفة يوم الجمعة قال: حكى لي أبو بكر بن العربي الحاتمي الطائي
أنه قال: كنت هنا يوما فجاء رجل فقال لي: أنت ابن العربي؟ فقلت: نعم. قال:
أنت الطائي الحاتمي؟ قلت: نعم. فقال: أنت الفتي الذي تزعم أنك تخبر عن الله؟
فقلت: نعم. فقال: فما قال لك؟ قال: فرمت أن أنطق فلم أطق، فعلمت أن
صاحب الحال يقطع صاحب المقال.

(١) أشار الأستاذ أحمد حدادي في دراسته لرحلة ابن رشيد أن العياشي قد قرأ النسخة التي كانت في مكتبة
الحرث الشريف، ويرجح أن تكون كاملة لما فيها من إشارات بعضها لا يوجد في أجزاء الرحلة المعروفة:
رحلة ابن رشيد 1: 225.

ومنها قال: "ولما وافينا ينبع خرج مغنون بأصوات طيبة عذبة يرددون هذه الأبيات ويحيون بها القادمين ويحيون نفوسهم الميتة بطيب تلك النغمات"^(١):

[خفيف]

أيها القادمون أهلا وسهلا كيف نجد وكيف بان المصلي؟
كيف خلفتم العقيق وسلعا وقبا والنقا ومن ثم حلا؟
فأجابوا الله ما كان هنا زمن الملقى وما كان أحلى

قال ابن رشيد: "لله درهم حادوا عن الجواب، لما رأوا أنهم لا عذر لهم في الإياب [...] وينبع عن يمين رضوى، ولمن كان منحدرا من المدينة إلى البحر [...] روي أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، صلى في مسجد ينبع"^(٢)، وهو من حديث محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم هـ كلامه.

قلت: يفهم من كلام ابن رشيد: لله درهم، أن كيف في كلام السائل للإنكار والتوبيخ عن الرجوع من تلك الأماكن، وكيف طابت نفوسهم حتى خلفوها، وليس في الكلام ما يدل على ذلك، بل يمكن أن تكون للسؤال حقيقة عن تلك الأماكن على وجه التحسر والتحزن والاشتياق إليها كالتي قبلها. وإذا كان كذلك فالجواب مطابق لأنه إخبار بما يزيد في شوق السائل وحنينه إلى تلك المعاهد.

وأما مسجد ينبع فقد ذكر السيد السمهودي أنه من المساجد التي صلى فيها النبي، صلى الله عليه وسلم، وأنه مسجد القرية التي يترها الحاج، وقد ذكر أهل السير أن النبي، صلى الله عليه وسلم، وصل إليها في إحدى غزواته^(٣). وأما الأبيات المتقدمة فقد اشتهرت بين أدباء المغرب في قرب ذلك العصر وعارضها بعضهم وذيل عليها آخرون، ومن ذيل عليها الأديب البارع أبو بكر محمد بن الحسن بن

(١) ملء العيبة 5: 277.

(٢) ملء العيبة 5: 279.

(٣) وفاء الوفا 3: 218.

يوسف بن الحسن ابن حَيْش اللخمي الزاهد^(١) نزيل تونس المتوفى بها سنة سبع وثمانين وستمائة.

قال العزفي^(٢) بعد التعريف به وذكر جملة مستكثرة من نظمه ما نصه: وأنشد بعض حجاج المغاربة هذه الأبيات فذكرها وذكر له أنه سمعها بالبقيع وسأله أن يزيد عليها فقال رحمه الله^(٣):

[خفيف]

وَعُرُوسُ السُّرُورِ بِالسَّعْدِ تَجَلَّى	حَيْثُ رَوْضُ النِّعَمِ بِالْأَنْسِ يَجْنَى
وَالَّذِي حَجَبَتْ مِنَ الشَّمْسِ أَعْلَى	حَيْثُ دَارُ الْحَيْبِ تَدْعَى سَمَاءَ
وَعُلَا مَجْدَهُ مِنَ الصُّبْحِ أَجَلَى	وَحَلَى حَمْدَهُ مِنَ الْبَدْرِ أَهْيَى
كَيْفَ بِالصَّبْرِ بَعْدَهُ يَتَحَلَّى	مَنْ رَأَى ذَلِكَ الْمَحَلَّ الْمُحَلَّى
مَنْ لَهُ ذَلِكَ الْجَلالُ تَجَلَّى	كَيْفَ يَدْتُو إِلَى دُنْيَا دُنْيَا
بِذَاكَ الْجَمالُ دَعَا وَجْهًا	أَجْمَلُ يَنْسَى بِثِيَابٍ أَوْ يَرْضَى
أَوْ يَرَى عُرْوَةً لَعْفَرًا مَثَلًا	أَوْ لَقَيْسَ لُبَانَةً غَيْرَ لَبْنَى
أَوْ كَثِيرَ عَنْ عَزَّةٍ يَتَسَلَّى	أَوْ يَزِيدَ سَوَى حُبَابَةِ يَهُوَى
إِنْ حَلَا فَهُوَ بِالْفِرَاقِ يَحَلَّى	وَيَحْ صَادُ أَبْيَحَ وَرَدًا بِصَدَى
ذَاقَهُ الصَّبْرَ بَعْدَمَا ذَاقَ وَصَلًا	أَصْعَبَ الْمَجْرَ فِي الْمَحَبَّةِ هَجْرَ
مَنْ تَعَزَّى عَلَى النُّوَى أَوْ تَسَلَّى	يَا أَحِبَّتْنَا وَلِلْعَذْرِ يَعْزَى
مَنْزِلَ هَيْئَتِهِ بِهِ الْخُلْدُ نَزَلًا	طَيِّبَةَ الطَّيِّبِينَ قَدَسَ مِنْهَا
زَهْرَ طَالٍ أَوْ صَبَاحَ طَلَا	ضَاعَ رِيًّا وَضَاءَ رَوِيًّا فَقَلْنَا

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف ابن حَيْش اللخمي، من شيوخ ابن رشد، توفي سنة 687 هـ: نفح الطيب 311:4.

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد العزفي السبتي، من فقهاء سبته وعلمائها الكبار، توفي سنة 716 هـ: شرف الطالب، ص: 102. لقط الفرائد، ص: 174.

(٣) رحلة ابن رشيد 467:2.

بعد وادي العقيق لا شهد يحلو
 مهلا كان رشفة أو يروى
 ليس لي غير حُب أحمد ذخر
 هو لي في قري وحرشي كما قد
 ليس إلا مُحمد قيل فيه
 مصطفىاه أحبه وحباه بخصال
 ما عسى ينتهي له كُل مثن
 ما تنسمت بعد ذكره مسكا
 قلبوا القلب تبصروا فيه للرو
 واقراءوا للهوى بخدي طرسا
 يا محب الرسول هذا ثراه
 وقبول الصلاة والصوم إن رمت
 هاك يا ربع الأجنة مني
 مقلتي مُزنة وحي روضا
 لا ولا مشهد بعيني يحلا
 وظمائي يزيد لو كان علا
 ليس يلى إذا السرائر تبلا
 همت فيه شيخا وكهلا وطفلا
 سيد الخلق وحده ليس إلا
 حازت من السبق خلا
 والثاني بوصف عليها مثلا
 ما تعرضت بعد جدواه وبلا
 ضة والأقبر الثلاثة شكلا
 كتب الدمع فيه ما الشوق أملى
 عفر الخد حيث أوطأ نعلا
 فحاوله حيث صام وصلى
 أربعا أمنت مُحبك محلا
 وقريضي ورقا وصدري ظلا

ثم أطال فيها وهي كلها سلسلة غريبة المناحي رائقة الألفاظ عذبة المعاني.

ومنها قال: و"وافينا من ينبع [...] المُغَيَّرَة ماءً يحتفر في أحساء، وضبطُ هذا الاسم مفعلة بفتح الغين من التغير"^(١).

قلت: والماء المذكور يسمى في هذه الأزمان نبط، وقد تقدم في محله، وما ذكر في ضبطه أن كان من التغير كما قال، فيكون مفعلة بفتح الغين المعجمة وتشديد الياء اسم مفعول، والذي ينطق به الكافة في أمثالها وهي كثيرة، ومُغَيَّرَة

(١) ملء العيبة 5:279.

بفتح الغين المعجمة وياء ساكنة خفيفة، تصغير مغارة من الغور، وهو الأنسب
بالأمكنة المسماة بهذا الاسم، والله أعلم.

ومنها قال: "مغارة شعيب [عليه السلام، و] هي ماء مدين [ومدين] بلد
جذام، ويروى عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال لو قد جذام: مرحبا بقوم
شعيب وأصهار موسى، ولن تقوم الساعة حتى يتزوج فيكم المسيح ويولد له⁽¹⁾"⁽²⁾.
ومدين الذي سميت به أحد بني وائل بن جذام.

ومنها قال: "ورحلنا من نُخَيْل ضحى يوم الأربعاء [...] إلى موضع يعرف
بالقصاب وافيناه ضحى يوم الخميس [فقلنا هناك، و] فيه مصانع للماء كثيرة في
جباب مقبوة، وفيه غلر"⁽³⁾. وأنشد في وصف تلك الليلة⁽⁴⁾:

[بسيط]

ليل كأن مداه عكس أحرفه ليل وليل فلا طول ولا قصر

قلت: ولا أثر لشيء مما ذكر من المصانع والجباب في وقتنا هذا في الطريق
التي يسلكها الحاج في تلك الناحية. وأما البيت الذي أنشده فليتأمله العارف
بمقاصد البلغاء هل يدل على طول الليلة وشدها، أو حسنها واعتدالها، وهو إنما
ساقه مساق الدلالة على طولها وشدها، ولم يتبين لي الآن وجه ذلك، والله أعلم.

ومنها⁽⁵⁾ أنه نظر في قول ابن الصلاح وغيره أحاديث الصحيحين مقطوع بما
بأن علماء الشأن لم يزالوا يرجحون بعض أحاديثهما على بعض باعتبار رجاله

(1) نص الحديث كما ورد في المعجم الكبير: حدثنا أبو خليفة، ثنا الحسين بن محمد بن سعيد الكرابيسي
المعروف بشعبة، وكان يجالس علي بن المديني، ثنا حفص بن سلمة بن حفص بن المسيب بن شيبان بن
قيس عن قيس بن سلمة عن سلمة بن سعد ثم أنه وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وجماعة من
أهل بيته وولده، فاستأذنوا عليه، فدخلوا فقال: من هؤلاء؟ قيل له: هنا وفد عنزة، فقال: بخ بخ صحيح
البخاري، نعم الحي عنزة، مبغي عليهم، منصورون، مرحبا بقوم شعيب وأختان موسى، سل يا سلمة عن
حاجتك. قال: جئت أسألك عما افترضت علي في الإبل والغنم والعنز، فأخبره. ثم جلس عنده قريبا، ثم
استأذنه في الانصراف فقال له: انصرف فما غدا أن قام فقال اللهم ارزق عنزة كفافا لا قوت ولا إسراف:

المعجم الكبير 55:7.

(2) ملء العيبة 279:5.

(3) ملء العيبة 279:5.

(4) ملء العيبة 279:5. ويشير الشاعر في البيت إلى أن كلمة ليل تقرأ من اليمين إلى الشمال كما تقرأ من

الشمال إلى اليمين بنات المعنى.

(5) ملء العيبة 330:5.

وبغير ذلك من وجوه الترجيحات النقلية، ولو كان الكل مقطوعاً به ما بقي مسلك للترجيح فهذا يعارض الإجماع الذي استقره ابن الصلاح وبأن الأمة إذا أجمعت على ظن شيء إنما يلزم أن ذلك الشيء مظنون لا موهوم أو مشكوك أو معلوم. هـ قلت: أما قوله: وبأن الأمة إلخ، فقد قال جماعة من الأصوليين أن ظنهم لا يخطيء، وإذا كان كذلك فيفيد القطع. وأما الترجيح المذكور فيقال عليه إن كان باعتبار الرجال فلعله قبل انعقاد الإجماع أو عند من لم يتفطن له ولم ينتبه، إذ ليس هذا من الإجماعات المشهورة المعلومة لكل أحد، أو نقول لتلك الأحاديث جهتان: جهة نقلها آحاداً، وجهة الإجماع عليها بعد النقل، فمن نظر إلى الطريق الذي نقلت به واقتصر عليه ولم يلاحظ كونها مجتمعة عليها بعد نقلها بطريق الآحاد أمكنه الترجيح بينهما، فإذا لاحظ كونها مجتمعة عليها بعد ذلك ارتفع الترجيح. وأما إن كان الترجيح بغير اعتبار الرجال فلا يضر في كونها مقطوعاً بها كما علم من محله، فليتأمل.

ومنها قال: "وضايقت شيخنا الشرف الكركي في تحقق الكسب قال كلامه إلى أنه إطلاق لغوي من حيث أن العبد صدر منه ذلك الفعل، يعني على وجه الاختيار في الظاهر، فنسب إليه وأنه في الحقيقة مجبور، وهذا الذي قاله ليس بحث الأشعرين عنه"⁽¹⁾. والكركي هذا شريف إدريسي ولد بفاس وقرأ بها على أبي محمد صالح، ثم انتقل إلى المشرق وقرأ على عز الدين ابن عبد السلام وأخذ على العبقوي، وهو الزكي عبد العظيم المنذري بن القوي المنذري العبقوي نسبة إلى أبيه⁽²⁾ هـ.

قلت: فإذا علمت أن تحقيق الكسب من الأمور المعضلة عند الأشعرية التي عجزت عن تحقيقها الفحول منهم فلا تلومن من دفع منه إلى مضيق عجز فيه عن التحقيق، ولا تبادر إلى تضليل أو تبديع من أبدى فيه وجهاً غير معروف عندك ولا مفهوم، والله أعلم.

ومنها بيان في وصف بعض الطفيليين⁽³⁾:

[سريع]

(1) ملء العيبة 5: 344.

(2) نفسه.

(3) ملء العيبة 5: 342.

لو طُبخت قدر بمطمورة في الهند أو أقصى بلاد الثغور

وأنت بالصين لوأفيتها يا عالم الغيب بما في القدور⁽¹⁾

هـ. قلت: لو قال بالغرب بل الصين لكان أبلغ، ولو قال: يا عالما بغيب ما في القدور، لحسن وتجانى عن لفظ عالم الغيب المشهور بكونه من أسماء الله تعالى، ومثله يتحامى وصف غيره به، ولو كان له وجه صحيح سيما في مقام الهزل، والله أعلم.

ومنها: وللحمّامي⁽²⁾:

لا تُفقه ما حيت إلا بخير ليكون الجواب خيرا لديكا

قد سمعت الصدا وذاك جهاد كل شيء تقول ردّ عليك

وله لغز في مخفية⁽³⁾:

[سريع]

ما اسمّ تراني أبدا شيّقا له ولو كنت على نيّه

حروفه تكتبها ظاهرا وليس تُقرا غير مخفيه

وله يعرض بالسراج عمر الوراق من جملة أبيات لغز⁽⁴⁾:

[طويل]

أيا سامع الأبيات دونك شرحها وإلا فتم عنها ونّبّه لها عمر

(1) في ملء العيبة: الصدور، وهي قراءة من المحقق لأن الكلمة معفاة بالأصل.

(2) ناصر الدين نصير بن أحمد بن علي المصري الحمّامي المنيّاوي، نسبة إلى بعض منى مصر، من الأدباء الظرفاء، توفي سنة 712 هـ: ملء العيبة 363:5.

(3) ملء العيبة 367:5.

(4) ملء العيبة 366:5. والأبيات في الأصل خمسة، لم يورد منها العياشي إلا البيت الأخير الذي لا يقدم مراد الشاعر الإلغاز بالنار والتعريض بالسراج، وبقية الأبيات:

له طلعة تغني عن الشمس والقمر	ما اسم ثلاثي به النفع والضرر
وليس له سمع وليس له بصر	وليس له وجه وليس له قفا
ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر	يمد لسانا تختشي الريح باسمه
وأعجب من ذا أن ذاك من الشجر	يموت إذا قمت تسقيه قاصدا

ومنها كتب في صفة حمام بإشيلية^(١):

[طويل]

ولم أدخل الحمامَ ساعةَ بينهم طلاب نعيم بل رَضيت بُوسي
ولكن لتَجري دمعتي مُطمئنة فأبكي ولا يذري بذاك جليسي
ومنها: دخل ابن الدوري الحمام ومعه ابن رزين فقال^(٢):

[بسيط]

لله يوم بحمام نعمت بما والماء من حوضها ما بينا جار
كأنه فوق شقات الرخام ضحا ماء يسيل على أثواب قصار
قال ابن رشيد: ظن الجيب أنه من تشبيه المفردين فأتى بما يزري بالمشبه، وهو إنما شبه المجموع بالمجموع، ولا خفاء في حسنه.

قلت: والصواب أنه من تشبيه مفرد مقيد بمفرد مقيد، فالتغاير حينئذ بين المشبه والمشبه به بتغاير القيدين بحسب غرابة القيدين يحسن تشبيه المقيدين، فالمشبه ماء هنا مقيد بقيد كونه جار فوق شقات الرخام ضحى، والمشبه به ماء مقيد بكونه يسيل على أثواب قصار. والقيدان، وإن كان وجه الشبه بينهما جليلا لا غرابة فيه، فلما يخطر أحدهما بالبال عند خطور الآخر، فاكسب التشبيه بذلك غرابة وحسنا كما هو معروف في محله، إلا أن ألسنة الشعراء حداد^(٣)، يصورون الحق بصورة الباطل، فمن سمع تشبيه الماء بالماء أنكر ذلك واستبرده من أول وهلة، فإذا تأمله الناقد للشعر العالم بمحاسنه ومعانيه علم حسنه، والله تعالى أعلم.

ومنها: قال أبو حيان: أنشدنا أمين الدين أبو اليمن بن عساكر لنفسه وقد بعث إليه صاحب له فتى اسمه محمد يستدعي نخته، فبعثها وبعث معها^(٤):

[كامل]

(١) ملء العيبة 369:5.

(٢) ملء العيبة 369:5.

(٣) رجل حديد وخداد: يكون في اللّسن والفهم والغضب: لسان العرب: حدد.

(٤) ملء العيبة 375:5.

مولاي إن مُحمدا أوفى إلى عليك بالذكر الحكيم رُسولا

علقت به روحُ الأمين صباة فعليه نزل حُبّه تزيلا

قلت: وهذا في غاية اللطف في التورية، إلا أنه كان الأولى تجنب استعمال هذه الأسماء الشريفة في مقام المداعبة، وهو محمد والذكر الحكيم والرسول الروح الأمين والتزيل، ولم ينكر ابن رشيد هذا عندما ذكره، ولعله استخفه لما لم يكن في معنى مستهجن، وإنما هي حكاية الواقع اتفقت فيه هذه الأسماء والأوصاف مستعملة في معانيها دون تجوز ولا كناية، وهو في غاية الحسن.

وأما أبو حيان⁽¹⁾ الذي ذكره فلا أدري هل هو النحوي المشهور أم لا، فإنه وصفه بصاحبنا، ولم يعده من المشايخ، ولا شك أن أبا حيان إن كان دخل القاهرة في ذلك الوقت فغايبته أن يكون من لداته وأترابه لا من مشايخه، إلا أنني الآن لست على يقين وعلم بالوقت الذي وصل فيه أبو حيان إلى القاهرة، وابن رشيد دخلها في حدود ست وثمانين وستمئة في غالب ظني. وبعد أن كنت كتبت هذا تذكرت أنه تقدم فيما اقتطفته من طبقات السبكي أنه قدم مصر قبل سنة ثمانين وثمانمئة.

ومنها⁽²⁾:

[بسيط]

صنائع العرف عند الحر موجبة شكرا وعند لئيم توجب الإثما

كالغيث يثمر في الأصدا ف لؤلؤه وفي فم الحية الرقطا غدا سما

وقد انتحلت هذا المعنى بأخصر من اللفظ من غير زيادة معني فقلت⁽³⁾:

(1) ذكر ابن رشيد في رحلته أبا حيان قال: قال أبو حيان الأندلسي، وسطره بخطه: حدثنا التاجر أبو عبد الله البرجوني بمدينة عيناب من بلاد السونان، وبرجونة قرية من قرى دار السلام، قال: كنت بجامعة كوعلم من بلاد الهند، ومعنا رجل مغربي اسمه يونس، فقال لي: أنكر لنا شيئا؟ فقلت له: قال علي صلوات الله عليه: إنا وضع الإحسان في الكريم أثمر خيرا، وإنا وضع في اللئيم أثمر شرا، كالغيث يقع في الأصدا ف فيثمر الدر، ويقع في فم الأفاعي فيثمر السم. فما راعنا إلا ويونس المغربي قد أنشد لنفسه: " وأتى بالآيات المذكورة. ملء العيبة 375:5.

(2) ملء العيبة 375:5.

(3) ورد البيتان في كتاب: أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، ص: 496.

[سريع]

العرفُ في الحر بشكرٍ حري وعندَ نذلٍ مُوجبِ ذمّا
كالغيثِ في الأصْدافِ دُرّ وفي فم الأفاعي مُثمر سُما
ثم اختصرته في بيت⁽¹⁾:

[بسيط]

الغيثُ في صدفٍ أو في فم الأفعى كالغُرفِ في الحرّ أو في النذلِ لا يُرعى
إلا أنه قد فات ذكر وجه الشبه.
وفي آخر⁽²⁾:

[بسيط]

العرفُ في الحرّ مثل الغيثِ في صدف يزكو ويخبثُ في قول كفي الأفعى
العرفُ في الحر والنذلِ عواقبه كالغيثِ في صدفٍ أو في فم الأفعى
وأحسنها البيت الأخير.
ومنها⁽³⁾:

[وافر]

لهيبُ الخد حين بدا لعيني هوى قلبي عليه كالفرّاشِ
فأحرقه فصارَ عليه خالا وها أثرُ الدخانِ على الحواشي
وآخر⁽⁴⁾:

[بسيط]

(1) ورد البيت في كتاب: أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، ص: 496.

(2) ورد البيتان في كتاب: أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، ص: 496.

(3) ملء العيبة 5: 376.

(4) قال ابن رشيد: "وتوجهت يوما لزيارة قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه، وتطوفت بالقرافة لزيارة فضلاء من بها، فقرأت في حائط مكتوبا بفحم...": ملء العيبة 5: 378.

لا تحسبن شامةً في خده طبعَتْ على وضوءه خد راق منظره
وإنما خده الصافي تخالُّ به سوادُ عينيك خالاً حين تنظره

ومنها: وفي الجزء الخامس من الخلعيات عن الزهري عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة عن أمها أم حبيبة عن زينب زوج النبي، صلى الله عليه وسلم، قالت: استيقظ النبي، صلى الله عليه وسلم، من نوم محمراً وجهه وهو يقول: لا إله إلا الله ثلاث مرات، ويل للعرب من شر قد اقترب⁽¹⁾، إلخ. قال المؤلف: اجتمع في هذا الحديث أربع صحايات؛ زوجتان للنبي، صلى الله عليه وسلم، وربيتان.

ومنها يعرف مواقع الوجد المفروق من دائرته بأنه إنما يكون أبداً في التفعيل المفرد في الأنصاف هـ. ومعنى ذلك أنه لا يكون في التفعيل المكرر في شطر واحد كمستفعلن في الرجز والسريع، وفاعلاتن في الخفيف والرمل لتكرره في شطر واحد مرتين أو ثلاثاً، وإنما يكون في الذي لا يتكرر كمفعولاتن في السريع والمنسرح والمقتضب، ومستفع لن في الخفيف والمجثث، وفاع لاتن في المضارع.

ومنها مختصر رعاية المحاسبي لعز الدين بن عبد السلام في عدد المختصرات المفضلات على الأمهات.

ومنها قوله تعالى: (وما ربك بظلام للعبيد)⁽²⁾، قال ابن زيتون التونسي: لا ينتسب إلى الله قليل الظلم ولا كثيره، ولكن جرت عادة العرب ألا تنفي عن عظمائها إلا ما يصح نسبته إليها، فلا تقول مثلاً: الملك لا يضيع في ثمرة أو يحيف في كسرة، وإنما تقول: لا يظلم بقتل النفوس ونهب الأموال، فيقولون على هذا الأسلوب: الملك ليس بظلام، ولا يقولون ليس بظالم. هـ. قلت: وهو حسن إلا أنه يرد عليه قوله تعالى (إن الله لا يظلم مثقال ذرة)⁽³⁾ و(لا يظلم الناس شيئاً)⁽⁴⁾، وأشبه ذلك مما بقي فيه الشيء الحقير لإرادة نفي الكثير بالأولوية لإفادة العموم. والظاهر أن المراد المبالغة على بابها لنفي كثير الظلم. ووردت آيات أخر لنفي قليله

(1) المعجم الكبير 416:23.

(2) فصلت: 46.

(3) النساء: 40.

(4) يونس: 44.

وأخرى لنفي الظلم مطلقا الآيات المتقدمة، وكقوله (وما ظلمهم الله ولا يظلم ربك أحدا)⁽¹⁾ كما هو عادة القرآن في التفنن في التعبير، وكل ذلك منفي عن الله من قليل وكثير وشديد وغيره، فيقال: لم عبر في هذا المحل بظلام الذي للمبالغة، وفي محل آخر بغيره؟ وذلك من أسرار البلاغة التي لا يطلع عليها إلا الخذاق، كأن يقال مثلا في قوله (وما ربك بظلام للعبيد)⁽²⁾ إثر قوله: (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها)⁽³⁾، معناه أن إساءة الإنسان مقصور وبالحا عليه، وجزاؤها لا يتعداه إلى غيره ممن عمل صالحا، ولو تعدى لغيره لكان ذلك نهاية في ظلم من يصح أن يصدر منه ظلم كما يقع من بعض ملوك الدنيا يؤاخذون الجار بذنب جاره، والمرء بجريرة غيره، وهو في النهاية في الظلم. ولما كان الظلم المتصور منا عظيم حسن الإتيان بصيغة المبالغة لتدل على أن الظلم المنفي هنا لو وقع كان عظيما حذر الله بذلك عباده لئلا يقعوا في مثل هذا الظلم الفظيع، وإلا فهو تعالى لا يتصور منه ظلم أصلا، إذ لا يتصرف إلا في ملكه، فليتأمل.

ومنها قوله: رُفِعَ عن أمّي الخطأ، أي حكم الخطأ، وهو أولى من إثم، إذ لا تحصل المبالغة من نفي الحقيقة إلا برفع جميع لوازمها، ومن قدر إنما فلأن المحزون يتقدر بمقدار الضرورة وإثم أخص وهو أيضا مجمع عليه، وما سواه مختلف فيه هـ. قلت: والمسألة مبسوبة في كتب الأصول. ومنها قوله في الحديث لا ها الله إذ لا يعمد، معناه: لا إله إلا الله، أي لا يكون ذلك، ثم ابتداء، إذ لا يعمد بفتح الياء وضمها، وفتح الميم وكسرهما. ومنها قوله: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)⁽⁴⁾ برفع الله ونصب العلماء، أي بجامل، لأن الخاشي يخاشي ويرضي من يخشاه.

ومنها: إذا تعارض في الجواز حمل اللفظ على مسببه أو سببه، فالثاني أولى لأنه يستدعي مسببا خاصا كما إذا قلت: أكلتُ خبزا كثيرا، فيستدعي الشبع، وإذا قلت: شبع استدعى مأكولا غير معين، وهذا معنى قولهم إطلاق السبب على المسبب أقوى من العكس.

(1) الكهف: 49.

(2) فصلت: 46.

(3) فصلت: 46.

(4) فاطر: 28.

ومنها كتاب الفصوص تأليف أبي العلاء صاعد بن الحسن الربيعي البغدادي
جمعه للمنصور بن أبي عامر لما قدم الأندلس ليضاهي به كتاب النوادر لأبي علي
القيالي هـ.

قلت: وحكايته معروفة عند المؤرخين إذ أمر المنصور بتغريقه، فأنشد فيه
بعض الشعراء^(١):

[سريع]

قد غاصَ في البحر كتابُ الفصوص وهكذا كلُّ ثَقِيلٍ يغوصُ
فأجابه مؤلفه بقوله^(٢):

[سريع]

عاد إلى عنصره إنْما تخرجُ من قعر البحورِ الفصوصُ
وهذا نهاية في حسن الجواب.

ومنها مشكلات التلقين للقاضي عبد الوهاب في ألفاظ ومشكلات التفریع
لابن الجلاب في فقهه.

ومنها لأبي الفضل ابن شرف^(٣):

[وافر]

ولم أجزعْ لهولِ الموتِ لكن بكيْتُ لقلَّةِ الباكي عليا
وأن الدهرَ لم يعرفْ مكاني ولا عرفتْ بنوهُ ما لـديا
زمانٌ سوفْ أنشرْ فيه نشرًا إذا أنا بالحمام طُويت طيا
أسرْ بأنني سأعيشُ ميتًا به ويسوؤُني أن مت حيا
هـ.

(١) ورد البيت بلا نسبة في نفح الطيب 78:3.

(٢) ورد البيت في نفح الطيب 78:3.

(٣) وردت الأبيات في نفح الطيب 229:3.

قلت: ولم أسمع بأحد رثى نفسه في حياته بأبلغ من هذا.
ومنها يروي عبد الكريم ابن عطاء الله عن أبي الطاهر بن عوف الزهري عن
الطرطوشي هـ.

قلت: والذي في كثير من الفهارس أن ابن عطاء الله يروي عن الطرطوشي،
وكنت أستبعد ذلك إلى أن ظفرت بهذا فعلمت أنه سقط واحد في كلام أهل
الفهارس.

ومنها لما ذكر عبد الله الصنابحي راوي حديث الموطأ: إذا توضأ العبد
فمضمض واستنشق خرجت خطاياہ من فيه^(١)، ما نصه: اختلف الناس هل وجد
في الصحابة من اسمه عبد الله الصنابحي أو لم يوجد، وإنما هو أبو عبد الله الصنابحي
التابعي المشهور. ثم ذكر العلماء وأطال إلى أن قال: "وقد وقفت على كلام جيد
في المحاكمة بين هذين القولين في كتاب المآخذ الحفال السامية عن مآخذ الإغفال
في شرح ما تضمنه كتاب بيان الوهم من الأخلال أو الإغفال وما انضاف إليه من
تتميم وإكمال مما تولى تعليقه الحافظ الناقد أبو عبد الله محمد بن الإمام يحيى بن
المواق رحمه الله تخريج بعضه من المبيضة، ثم اخترمته المنية ولم يبلغ من تكميله
الأمنية، فتوليت تكميل تخريجه مع زيادة تتمات، وكتب ما تركه المؤلف يياضا^(٢)
هـ. وذهب فيه إلى صحة وجود عبد الله المذكور، وهو صحابي، وأنه غير أبي
عبد الله التابعي المشهور.

قلت: وإنما كتبت هذا لأني رأيت في نسخة من تكملة ابن الأبار عند ذكر
عبد الحق الإشبيلي، أن ابن القطان ألف في أوهام كتابه الأحكام، فرأيت في
هامشه بخط الإمام القصار ما نصه: وتعقب الناقد المحقق أبو عبد الله الواق كتاب
شيخه ابن القطان هذا تعقبا ظهر فيه إدراكه ونبله هـ. فظن بعض الأصحاب أن
المراد به الواق شارح المختصر، فاستبعد ذلك، فلما ظفرت بهذا علمنا أنه غيره،
والله أعلم.

ومنها: قال: حضر في مجلس بعض شيوخه بتونس شخص من طلبته قال: ما
كنت أعرفه قبل ذلك، فجرى ذكر مسألة من شك في النجاسة. فقلت إن شك في

(١) سنن ابن ماجه 1: 103.

(٢) ملء العيبة 5: 50.

النجاسة وتحقق الحصول وجب النضح كمن حلف بالطلاق وشك في الحنث وهو سالم الخاطر حنث على المشهور، وإن شك في الحصول وتحقق النجاسة لم يلزم النضح، أو كان مستحباً كمن شك أطلق أم لا، لا يؤمر بالطلاق إذ لم يستند إلى أصل، وإن شك فيهما فلا نضح. قال: فقوي عندي هذا التنظير وأعجبي وغفلت عن مشهور المذهب، فقلت: هذا هو المعروف. فقال ذلك الشخص: يا سيدي هذا المعروف يحتاج إلى معرف، فكأنما ألقمني حجراً، فقام ولم أجتمع به بعد ذلك. ثم أنشد ابن رشيد:

[مقارب]

ومن ظن ممن يُلاقِي الحُرُوبَ بأنْ لا يصابَ فقد ظن عَجْزاً⁽¹⁾

ثم ذكر المذهب بعد ذلك إلا أنه في خلال ذلك قوي التنظير الذي ذكر.

قلت: وفي تقويته نظر إذ لا يتمشى على قواعد مذهب مالك، فإن الشك في المانع عندنا لا يضر بخلاف الشك في الشرط والسبب. والشك في الحنث بعد تحقق الحلف شك في الشرط عندنا، وهو دوام العصمة، وعند الشافعية شك في المانع كالشك في الحدث بعد تحقق الطهارة، فعندنا يضر وعندهم، لا بناء على ما تقدم. وأما الشك في الطلاق فشك في المانع عند الجميع، وكذلك الشك في النجاسة مع تحقق الحصول أو دونه شك في المانع الذي هو النجاسة، فلا يضر. وتحقق النجاسة مع الشك شك في الشرط الذي هو عدم ملاقة المصلي للنجاسة فيضر؛ إذ طهارة الحنث شرط في الصلاة على المشهور، والشك في ملابسة الشيء الحاصل مانع من صحة الصلاة، وانتفاء حصول الشيء النجس شرط لها، والفرق بينهما يدرك بالتأمل، فالشك في أحدهما غير الشك في الآخر من كل الوجوه، وتحقق المسألة يحتاج إلى طول وبيان أن انتفاء المانع هل شرط أم لا، وهي مسألة خلاف بين الأصوليين.

ومنها: قال من تردد نظره في العمرة لاختلاف العلماء بين الوجوب والندب، هل يأخذ بالنية العامة، وهي كونها مطلوبة. أجاب شيخنا ابن عبد القادر التونسي بأنه يقلد أحد القائلين.

(1) البيت للخنساء، الديوان، ص: 277.

قال ابن رشيد: ولي في تسويغ النية العامة سؤال شديد ملخصه أن أحد الأمرين لازم، أما إبطال القول بأن الأحكام الشرعية منحصرة في خمسة، أو خلاف الإجماع في جواز الإقدام على العمل من غير وقف بالمطلقات إذا تعرت عن القرائن كأعتق وأضرب، فمن جعل الأمر حقيقة في القدر المشترك دفعا للمجاز والاشتراك لزم القول بالقدر المشترك فنشأ عن هذا جواز الإقدام من غير توقف عند قول الشارع، مثلا اعتمروا من غير قرينة معتقدين للقدر المشترك، وذلك يستلزم ثبوت حكم سادس، وهو كونه مطلوباً، وذلك أعم من كونه واجباً أو مندوباً، والعام لا إشعار له بالخاص، وهذا معنى النية العامة، أو يلزم التوقف على الإقدام على العمل في المطلقات العريات عن القرائن وهو خلاف الإجماع، فلقد لزم أحد الأمرين إما ثبوت حكم زائد، أو لزوم التوقف، وكلاهما خلاف الإجماع. ومما يستدل به لصحة النية العامة قول ابن عمر لما سئل عن الوتر أوجب أم لا؟ قال: أوتر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأوتر المسلمون. فأعيد عليه السؤال، فأعاد الجواب، والسؤال قوي وما يجاب عنه به ضعيف هـ كلامه.

قلت: ولم يتبين لي قوة السؤال بل تبين لي ضعفه من وجوه أحدها: لا نسلم انحصار الأحكام الشرعية في الخمسة لأن تقسيمها اصطلاح أصولي. وقد اختلفت أقوالهم، فمنهم من قسمها إلى ثلاثة أقسام، وعد خطاب الوضع منها لأنهم قسموا خطاب الله المتعلق بفعل المكلف المفسر به الحكم الشرعي إلى طلب وإباحة ووضع لهما، ثم قسموا الطلبية إلى أربعة والوضع إلى ثلاثة كما هو معلوم، فصارت الأحكام تسعة. ثانيها أن ميل المراد خطاب التكليف لا خطاب الوضع، وإن كان يسمى حكماً، فنقول: هو كذلك أيضاً منهم من قسمه إلى قسمين: طلب وإباحة، وإلى ثلاثة: طلب فعل، أو طلب ترك أو إباحة. وبعضهم لا يعد الإباحة من خطاب التكليف. ومنهم من قسمه إلى خمسة، وهو المتعارف، وعد الإباحة. وزاد بعضهم سادساً وسماه خلاف الأولى، وعليه جرى المتأخرون، فإذا صح زيادة قسم سادس فلم لا يصح زيادة سابع بعد أن يكون داخلاً تحت التعريف وهو خطاب الله إلخ.

ولا شك أن هذا القسم الذي قال ليس خارجاً عن التعريف، بل هو مثل تقسيم من قسم إلى طلب فعل وطلب ترك. وهذا طلب فعل، ثم بعد أن يعد قسماً يمكن تصديره قسمين أو أقساماً كما تقدم، أو إبقاؤه قسماً واحداً ثالثها: سلمنا

انحصارها في خمسة فلا نسلم أن هذا خارجاً عنها بل هو واحد من اثنين منها لا بعينه، فيكون المطلوب به الإنسان عند قبوله، اعتمدوا الإتيان بالعمرة بنية الفرض والنفل، وأيتهما ترى كفت في سقوط الطلب، ولا بدع في ذلك كما في الواجب المخير، وكما في كثير من النوافل التي تقوم مقام الفرض ويسقط بها طلبه سيما في باب الحج. رابعها: لا نسلم بأن القول بالقدر المشترك قول بالنية العامة لأن معناه أن الأمر موضوع للقدر المشترك بين أقسام الطلب، فهو مقبول عليها بالتواطئ حقيقة في كل قسم منها حذراً من المجاز والاشتراك، وهذا معنى القدر المشترك عند المحققين، فإذا فهمت هذا فالتواطئ هل هو عام في أفرادها فيلزم الإتيان بها كلها إذ هو ظاهر فيها على المشهور، أو مطلق، فيكفي فرد منها، أو مجمل، وقد قيل به فيتوقف عن العمل حتى يقع البيان في الأقوال الثلاثة خلاف طويل عريض مشهور بين الأصوليين، فليت شعري قوله آخرًا وكلاهما خلاف الإجماع متى استقر هذا الإجماع بعد الخلاف الذي تلوناه عليك في كلا القسمين، ولا يمكنه دفعه، أم قبله. والحاصل أن الإجماع لا يصح بحال في قسم من القسمين.

وأما قوله: والعام لا إشعار له بالخاص، يعني من حيث خصوصيه. أما من حيث كونه فرداً من أفراد العام غير معين فيشعر به، وإلا لما كان عاماً. وعلى كل حال فمن اتقن ما يتعلق بالمسألة من أصول الفقه علم عدم تحرير السؤال وأنه ليس بالمكان الذي زعم من القوة، وأنه لا يلزم ثبوت حكم زائد ولا التوقف عن العمل وعلى تقدير لزومهما أو أحدهما لا كبير محذور فيه من مخالفة إجماع لأنها أقوال قيلت معزوة لأربابها من الأئمة في محالها فليتأمل.

ومنها لأبي بكر بن صقلاب:

[كامل]

كم قلت ما أجفى مُجبا غافلا حتى ابتليت فقلت ما أجفاني

زار الحبيب فلم يجدني باسطا بطريقه خدي ولا جفاني

ولغيره:

[كامل]

وإذا أتيتك زائراً مُتَشوقاً قصر الطريق وطال عند رجوعي

قلت: لو قال: سهل الطريق وشق عند رجوعي لكان أولى لأن المحب يستسهل كل ما يلقي في طريق لقاء محبوبه. أما وصفه بالقصر فهو خلاف المعروف عند الشعراء من استطالتهم أيام الوعد في طريق الأحبة، فمن واعده حبيبه بأن يزوره غدا طالت عليه تلك الليلة غاية الطول، وإنما يستصغرون أيام الوصل مما يترقبون بعدها من الفراق. والحاصل أن كل زمان يترقب بعده حصول محبوب، فهو عند النفس طويل، وكل زمان يترقب بعده حصول مكروه فهو قصير، هذا بالنظر إلى ما قبل زمان الحصول وما بعده. وأما بالنظر إلى زمن الحصول فلا يخفى أن زمن حصول المحبوب قصير وضده طويل فليتأمل.

ومنها: أراد أبو الحسن الرعيني سفرا فشيعة الوزير أبو الحسن سهل بن مالك، فمر معه على بعض حدائقه، فقدم له خياراً، فلما أراد القيام قال له: ألم تسمع قول الشاعر^(١):

[طويل]

ولو نُعطي الخيارَ لما افترقنا ولكن لا خيارَ مع الزمانِ
وقد أعطيتك الخيار.
ولأبي الفتح^(٢):

[طويل]

لأول أشكال القياس نتائج تفيدُ شفاءً في جميع المطالبِ
وليسَ لثانيها إذا ما سبرتهُ نتائجُ في التحقيقِ غير السوالِ
وللثالث الجزئي إذا ما نظرتَ في نتائجهِ والحقُ أصدقُ طالبِ
فكنْ حَفْظاً ما قلتَهُ تنفعُ به فلن يستجيبَ الدَّر إلا لحالبِ
ولغيره:

[طويل]

(١) ورد البيت بلا نسبة في نفح الطيب 2: 454.
(٢) رحلة ابن رشيد 2: 888.

وَكُلُّ قَصِيٍّ الدَّارِ يَذْكُرُ أَهْلَهُ وَلَكِنْ كَذِكْرِي لَيْسَ يَذْكُرُ ذَاكَرُ
ولغيره^(١):

[كامل]

صَبْرًا لِحُكْمِكَ أَيُّهَا الدَّهْرُ لَكَ أَنْ تَجُورَ وَمَنِي الصَّبْرُ
أَلَيْتُ لَا أَشْكُوكَ مُجْتَهِدًا حَتَّى يَرُدَّكَ مِنْ لَهْ الْأَمْرِ

قال أبو الحسن الزيات: ماشيت بعض الأدباء بشرقي قرطبة، فمررنا بمسجد
خرب وذلك في وقت خلاء وقائلة، فكتب ذلك الأديب على المسجد هذا:

[وافر]

بِأَيِّ جَنَائِيَةٍ وَبِأَيِّ ذَنْبٍ بُيُوتُ اللَّهِ خَرَّبَهَا الزَّمَانُ
فَأَفْحَمَ، وَدَرْنَا بِجَوَانِبِهِ ثُمَّ عَدْنَا وَلَمْ نَرَأِ أَحَدًا، فَوَجَدْنَا بَيْتًا مَكْتُوبًا:

[وافر]

فَسَادُ النَّاسِ خَرَّبَهَا وَلَوْلَا فَسَادُ النَّاسِ مَا فَسَدَ الزَّمَانُ
ومنها^(٢):

[طويل]

لَنْ دَرَسْتُ أَسْبَابُ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنَ الْآنَسِ مَا شَوْقِي إِلَيْكُمْ بِدَارِسٍ
وَمَا أَنَا مِنْ أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ شَمْلَنَا عَلَى خَيْرِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ بِآيسٍ

ومنها: أكثر ما ورد من رواية الصحابة بعضهم عن بعض أربعة، وذلك فيما
رواه البخاري في كتاب الأحكام من جامعه قال: نا أبو اليمان، نا شعيب عن
الزهري قال: نا السائب بن يزيد أن ابن أخت عمر حويطب ابن عبد العزى، أخبره
أن عبد الله بن السعدي، أخبره أنه قدم على عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في

(١) البيتان لابن سيده، وهما في النجوم الزاهرة 5:165.

(٢) ورد البيتان بلا نسبة في زهر الأكم 3:190.

خلافته فقال له عمر: ألم أحدث أنك تلي من أعمال الناس أعمالاً، فإذا أعطيت العمالة كرهتها^(١).

ومنها: وممن تجدد لنا لقاءه بحضرة تونس عند^(٢) مقدمي عليها قافلاً من الوجهة الكريمة صاحبنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حيان الشاطبي^(٣) قال لنا: حدثنا شيخنا أبو عبد الله محمد ابن علي المصري التوزري^(٤) قال: ولد عندنا بتوزر حرسها الله ليلة غرة رجب الفرد عام أربعة وسبعين وستمئة جدي أسود غرته بيضاء وفيها مكتوب بالأسود: محمد، بخط يمين يقرؤه كل أحد، فألفت في ذلك تأليفاً سمّيته بكتاب الغرة اللاتحة والمسكة الفائحة في الخطوط الصمدية والمفاخر المحمدية، ونظمت في ذلك قصيدة منها:

[كامل]

جدي غدا كالجدي أشرق ثوره فمحله فوق السماك الأعزل
رقمت يدا الأقدار صفحة وجهه رقما بديعا باسم أكرم مُرسل

ثم ساق أكثر أبحاثها، ثم قال: أبو عبد الله التوزري هذا أحد أعلام العلماء وصدور القضاة الفضلاء، وله معارف جمّة وتصانيف مفيدة، وكان زاهداً فاضلاً نفع الله به، مولده بتوزر ليلة الخميس السادس والعشرين من شعبان المكرم عام ثمانية عشر وستمئة، وفاته يوم السبت حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وستمئة، شرح قصيدته التي خمس بها الشقراطيسية في مجلدات عدة، هـ.

ومنها: قال لنا ابن حيان عندما أنشدنا هذه القصيدة، يعني قصيدة ابن سهل في مدح النبي صلى الله عليه وسلم^(٥)، قال لنا أبو مروان بن خليل عندما أنشدناها:

(١) صحيح البخاري 2620:6.

(٢) ساقط من ط.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حيان، الأوسي الأنصاري، الشيخ المقرئ، ولد سنة 631، أجاز له جماعة من أهل المشرق والمغرب، له فهرسة شيوخه على حروف المعجم لم تكتمل، مات بتونس سنة 718هـ: فهرس الفهارس 361:1.

(٤) أبو عبد الله محمد بن علي المصري التوزري، ابن الشباط، من القضاة الفضلاء، له تأليف مفيدة، توفي بتوزر سنة 681هـ: شجرة النور الزكية 274:1.

(٥) هي قصيدة عينية في 26 بيتاً، مطلعها: (الديوان ص: 53 - 55).

تنازعني الآمال كهلا وبافعا ويسعدني التعليل لو كان نافعا

كان ناظمها أبو إسحاق إبراهيم ابن سهل الإسرائيلي⁽¹⁾ يهوديا وأسلم وتبين إسلامه، وكان يكره أن يذكر له دين اليهود أو يداعب به، ولما علم الوزير أبو علي الحسن بن أحمد بن خلاص القضاعي حبه في الإسلام ظاهراً نهى أن يذكر له، وشدد في الوعيد لمن ذكره له أو داعبه به. قال: ومات أبو إسحاق عام خمسة وأربعين وستمئة غريقاً في الغراب الميمون صحبة أبي القاسم محمد بن الوزير أبي علي بن خلاص، وسنه نحو أربعين سنة، هـ ما قاله ابن حيان.

وقال ابن رشيد: قلت: أبو إسحاق هذا هو الكاتب المشهور الشاعر الغزل الجيد، إشبيلي الدار وبها قرأ وتأدب، وكان يظهر الإسلام، وقد اختلف في أمره، وقد ذكر لي شيخنا أبو القاسم القبتوري⁽²⁾، وكان ممن صحبه أنه سأل عنه بعض من يعرف دخلته فأخبره أنه يسر دين قومه ويظهر دين الإسلام، والله أعلم. وقد رأيت بخط أبي عبد الله بن الجنان⁽³⁾ ما يدل على أن ابن سهل باق على يهوديته، وكان يسيء الرأي فيه، والله أعلم هـ كلام ابن رشيد.

قلت: ورأيت في الهامش هنا من هذه النسخة بخط الخطيب ابن مرزوق جد الحفيد ابن مرزوق ما نصه: صحح لنا من أدركناه من أسياننا أنه مات على دين الإسلام.

ومنها: وممن لقيناه بتونس الأديب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم التجاني⁽⁴⁾، وقد وصفه صاحبنا حفيد عمه أبو الفضل محمد بن علي بن إبراهيم بن محمد في كتابه الذي سماه الحلّى التيجانية الذي جمعه برسمنا حفظه الله فقال: آدب الجماعة، وحافظ الآداب، وكاتب العلامة، وعلامة الكتاب، وناظم

(1) إبراهيم بن سهل الإشبيلي، نشأ في إشبيلية الأندلسية في عهد الدولة الموحدية، ثم هجرها فور استيلاء الإسبان عليها، اتصل بابن خلاص والي سبتة، ومات غريقاً معه سنة 649 هـ: ديوان ابن سهل، ص: 5 من مقدمة المحقق.

(2) أبو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف الغافقي القبتوري، الإشبيلي المولد والمنشأ، ولد سنة 615 هـ، كتب لأمير سبتة، وحدث بتونس عن العراقي وجاور زماناً وتوفي بالمدينة سنة 704 هـ: نفح الطيب 595:2.

(3) محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري، أبو عبد الله ابن الجنان، من أهل مرسية، محدث راوية، كاتب شاعر، خرج من بلده سنة 640 هـ فاستقر بأريولة إلى أن دعاه إلى سبتة الرئيس أبو علي ابن خلاص، فوفد عليه، ثم توجه إلى إفريقية فاستقر ببجاية إلى أن توفي بها سنة 650 هـ: نفح الطيب 416:7.

(4) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد التجاني، الأديب، لقيه ابن رشيد بتونس خلال رحلته: رحلة ابن رشيد 328:1.

الحفاظ، وحافظ أولي النظم، وعالم الحفاظ، وحافظ أولي العلم. وأنشد له أبياتا منها⁽¹⁾:

[هزج]

لا تحزن ولا تقنط فإن الرزق مقسوم
فإن ضاقت بك الحال فتفويض وتسلم

قوله: وإن ضاقت بك الحال استعمل فيه التخميع، ويقال التجميع، وهو عيب، ومعناه أنه هياً البيت للتصريع ولم يصرع لاضطراره للقافية، ولو قال: وإن ضاقت به حيل، يعني بالرزق، لخرج عن هذا العيب اللاحق.

ومنها: أبو العباس بن محمد بن أحمد الأزدي الإشبيلي عرف بابن الحاج، توفي من خارج تونس عام تسعة وأربعين وستمائة، له تصنيف على كتاب سيويه، ونقد على مغرب ابن عصفور، وكان يقول: إذا أنا مت صنع أبو الحسن بن عصفور في كتاب سيويه ما أراد لأنه لا يجد من يرد عليه.

ومنها: ولأبي الحسن حازم⁽²⁾:

[وافر]

صليه أو كليه لما يلاقي ولا تتكلفني خدع المآقي
وذونك فأنظري طمحان عري إلى أعلى المراقب والمراقي
بأعمالي حروفاً مضمّرات نواصب في الهجير لما تلاقي

قال ابن رشيد: عرض له بقوله في الهجير انصراع، لأن المقصود من التورية أن لا يكون في الكلام لفظ يعين المقصود من التورية إلى الوجه الواحد. وقوله في الهجير عيّن أنه النوق، وكثيراً ما وقع هذا الصدع بجماعة من الشعراء ولم أر من تفتن له. قلت: وهو كثير في كلام فحول الشعراء، ولم أر من عابه إلا هذا الإمام، بل هو كالترشيح في الاستعارة بالكناية.

(1) ورد البيتان في كتاب: رحلة ابن رشيد 1:328.

(2) رحلة ابن رشيد 2:626.

ومنها: روى عن أحمد بن خزيمة الكناني قال: كنت ليلة في بستان واصلت الغداة، قد سقط الطل عن الزهرة، فاستحسنتها ورأيت شقائق النعمان ففكرت فيها، وقلت في نفسي: ليت شعري من النعمان الذي تنسب إليه هذه الريحانة، ثم غلبني النسيم فنمت، فرأيت في منامي كأن قائلاً يقول لي: إن النعمان ولي من أولياء الله سأل الله أن يريه لباسه في الجنة فنبئت هذه الريحانة فنسبت له، وقعت هذه الحكاية في تاريخ [ابن] السمعاني⁽¹⁾ الذي ذيل به تاريخ بغداد للخطيب في اسم عبد الرحمن بن أحمد الطبري.

ومنها:

[وافر]

كأن عذارة المسكي لام ومبسمه الشهي اللثم صاد
وطرة شعره ليل بهم فلا عجب إذا سرق الرقاد

وهذا معنى عجيب أنتج مما تخيله من مقدمة اللام والصاد التي ركب منها لصاً، ومن مقدمة الليل البهيم تمكن اللص من سرقة الرقاد، فوجب أن ينتفي التعجب من سرقة الرقاد.

ومنها: ولعبد العزيز المعروف بابن رأس الحجلة⁽²⁾ يخاطب بعض الأمراء في مداعبة دعاه فيها إلى المشاركة في اصطناع طعام:

[بسيط]

منك السّميدُ ومنى النار أنفخها والماء منى ومنك الزبد والعسل
كل على قدره في حال قدرته الوقت سيفٌ فلا ريث ولا مهل
فدفع له ستة دنائير ذهباً.

(1) ابن السمعاني: أبو سعد عبد الكريم ابن الحافظ معين الدين أبي بكر بن أبي المظفر منصور التميمي السمعاني المروزي، صاحب التصانيف، ولد سنة 506 هـ، وتوفي بمرور سنة 562 هـ: فهرس الهارس 1039:2.

(2) أبو فارس عبد العزيز بن عبد الرحمن الجعدي المعروف بابن رأس الحجلة، أديب ناظم، تولى بعض الخطط بتونس، وهو ممن التقاهم ابن رشيد خلال رحلته: رحلة ابن رشيد 314:1.

ومنها: بعث بعض وزراء مدينة شريش^(١) إلى أبي بكر بن رفاعة جينا، فكتب إليه أبو بكر^(٢):

[سريع]

قد أقسم الجبنُ على حرد ^(٣)	لا ينثني عن صحبة الزبدِ
وغلظ الزبدُ يميناً لما	يحل عقد من يد الشهدِ
واختصموا في حكم أيماهم	وغلبوا الأوحداً في انجدِ
فوجه الدرْمك ^(٤) يقضي لهم بالـ	جمع في مائدة الحمْدِ
أكرم به من حاكم فاضل	قد أوتي الحكمة في المهْدِ

وهو من السهل البديع الممتنع الرفيع.

ومنها: [قال] أبو عمرو بن الصلاح: ويرقى على قُزح^(٥)، وهو جبل صغير إن أمكنه، وإلا وقف عنده وتحتة. قال: وقد استبدل الناس بالوقوف على الموضع الذي ذكرناه الوقوف على بناء مستحدث في وسط المزدلفة، ولا تتأذى بذلك هذه السُّنة، والله المستعان^(٦).

قال أبو عمرو: "أول مُحسر من القرن المشرف من الجبل الذي على يسار الذهاب إلى منى، ثم يخرج منه سائراً إلى منى سالكا للطريق الوسطى التي تخرج إلى العقبة، وليس [وادي المحسر] من مزدلفة ولا منى، وهو مسيل ماء بينهما"^(٧).

ومنها^(٨): يستحب تلاوة القرآن في الطواف عند نزول المطر لما يرجى من اجتماع البركات التي وردت في الآيات الثلاث وهي قوله تبارك وتعالى: (إن أول

(١) شريش: مدينة كبيرة من كورة شنونة بالأندلس: معجم البلدان: شريش.

(٢) أنظر: رحلة ابن رشيد 2: 639.

(٣) حرد: الحَرْد: الجد: لسان العرب: حرد.

(٤) الدرْمك: دقيق الحواري: لسان العرب: درْمك.

(٥) قُزح: جبل صغير، وهو آخر المزدلفة: ملء العيبة 5: 102.

(٦) ملء العيبة 5: 102.

(٧) ملء العيبة 5: 101.

(٨) أنظر: ملء العيبة 5: 84.

بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً^(١)، وقوله: (كتاب أنزلناه إليك مبارك)^(٢)، وقوله: (ونزلنا من السماء ماء مباركاً)^(٣). وفي هذا القدر كفاية لما انتقيته من رحلة ابن رشيد.

لطيفة:

رأيت بمكة سِفراً في القالب الكبير في أمداح النبي، صلى الله عليه وسلم، قال كاتبه في آخره: كمل السفر التاسع من كتاب منتهى السؤل من مدح الرسول^(٤). وذلك في أوائل ربيع الآخر عام ثلاثة وسبعين وستمائة. وكتب محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري، قلت: وهذا التأليف لم يقصد فيه جامع جمع كلامه أو كلام مخصوص، بل ما انتهى إليه عمله من الأمداح النبوية وما شاكلها، والله أعلم كم بقي لتمام الكتاب.

ومن جملة ما في هذا السفر: المعلم الرابع من كتاب الدرّة السنية في المعالم السنية^(٥)، وهو في السيرة النبوية والأعلام الحمدية، للقاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي، وذكر في آخره أن عدد أبيات الكتاب سبعة آلاف بيت من الرجز، وأنه أنشأه بقرطبة سنة أربع عشر وستمائة في أشهر، آخرها مستهل صفر من السنة المذكورة. والمعلم الثلاثة لا أدري فيما هي.

ومن جملة ما في هذا السفر، وهو نحو النصف كتاب اللآلئ المجموعة من باهر النظام وبارع الكلام في صفة مثال نعل رسول الله عليه الصلاة والسلام. مما انتدب لجمعه رجاء نفعه عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي، وسبب جمعه -على ما قال- أنه سئل منه نظم أبيات تكتب على النعل المشرفة فكتب في

(١) آل عمران: 96.

(٢) ص: 29.

(٣) ق: 9.

(٤) كتاب منتهى السؤل من مدح الرسول للحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عنزة المغربي الأنصاري: نفح الطيب 459:7.

(٥) الدرّة السنية في مقتضى المعالم السنية للقاضي محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي المالكي القرطبي، وهي أرجوزة في مجلد، أولها الحمد لله اله الحمد الخ، رتب على أربعة معالم؛ الأول في التعريفات، والثاني في النكت الاصولية والابلة الشرعية، والثالث في الفروع، والرابع في السير، وأبياتها سبعة آلاف واثنان، فرغ بقرطبة في صفر سنة 614 هـ: كشف الظنون 740:1.

ذلك قطعة، وندب أدباء قطره الأندلسي لذلك فأجابوا، وكتب من ذلك ما وصل إليه، وجملة ما فيه من المقطعات ما ينيف على مائة وثلاثين بين صغيرة وكبيرة.

قلت: ولم يطلع على هذا التأليف شيخ مشايخنا الحافظ سيدي أبو العباس المقرئ مع سعة حفظه وكثرة اطلاعه، ومبالغته في التنقيح والتفتيش عما قيل في النعل، ولم يطلع لمن قبل عصره إلا على عدد أقل من هذا بكثير، وغالب ما أودعه في كتابه فتح المتعال في مدح النعال⁽¹⁾ كلامه وكلام أهل عصره، ولو اطلع على هذا الكتاب لاغتنب به كثيراً⁽²⁾.

ومما رأيته من الكتب الغريبة بمكة المشرفة تاريخ الإسلام⁽³⁾ للحافظ أبي عبد الله الذهبي⁽⁴⁾، وهو عشرة أجزاء كبار رتبته على السنين من أول الهجرة، فجعل كل عشر من سنين طبقة، فصار سبعين طبقة، إلى آخر المائة السابعة، وهو كتاب حافل لم يدع شاذة ولا فاذة مما تشوق إليه النفس من علم التاريخ إلا أودعها كتابه مع الاختصار والإتقان، فكأنما جمعت له الدنيا وأهلها في صعيد واحد، وهو موجود في وقف قايت باي بمكة في رباطه المعروف. وقد رأيت منه أجزاء وطالعت بعضها، ومما قيدت من بعضها ما أذكره من ذلك في ترجمة أبي الحسن السخاوي، قال ابن خلكان: رأيته مراراً ركباً وحوله اثنان أو ثلاثة يقرأون عليه في أماكن مختلفة دفعة واحدة، وهو يرد على الجميع⁽⁵⁾. قال الذهبي: وفي نفسي شيء من صحة الرواية على هذا النعت لأنه لا يتصور أن يسمع مجموع الكلمات فـ(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه)⁽⁶⁾، وأيضاً فإن مثل هذا الفعل خلاف

(1) فتح المتعال في مدح النعال لأحمد المقرئ، طبع الكتاب بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد سنة 1334 هـ.

(2) أشار الأستاذ إحسان عباس في مقدمة تحقيقه لكتاب نفح الطيب إلى هذا الرأي وفنده، مستدلاً بإشارة المقرئ للكتاب المذكور ونقله عنه: انظر: نفح الطيب 459:7.

(3) وقفنا على طبعة دار الكتاب العربي لكتاب تاريخ الإسلام للذهبي التي وقفت عند حدود سنة 400 هـ.

(4) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ولد سنة 673 هـ، من مؤلفاته: تاريخ الإسلام، وهو عشرة أجزاء كبار رتبته على السنين من أول الهجرة إلى آخر المائة السابعة، توفي الذهبي بدمشق سنة 748 هـ: فهرس الفهارس 1:417.

(5) وفيات الأعيان 3:341.

(6) الأحزاب: 4.

السنة، ولا أعلم أحدا من شيوخ المقرئين كان يترخص في هذا إلا الشيخ علم الدين، ومن شعره⁽¹⁾:

[سريع]

قالوا غدا نأتي ديار الحمى ويترلُ الركب بمغناهم

الآيات الأربعة المشهورة.

ومنه في ترجمة يعيش النحوي⁽²⁾ سأله رجل عن معنى قوله:

[طويل]

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا آنتِ أم أم سَالم⁽³⁾

فأوضح وأطال، والسائل ساكت إلى أن فرغ، فقال له السائل: يا سيدي وأي شيء في المليحة يشبه الظبية. قال: قرونها وذنبها هـ.

قلت: ولما ظهر له جهله وجموده علم أن تقريره له لم يصادف محلا فأجابه هكما، فأقبح ما في الظبية وأبعده من وصف الآدمي تنبيها له على غباوته وأن مثله لا تقرر له لطائف المعاني، والحكاية مذكورة في تاريخ ابن خلكان⁽⁴⁾.

ومنه في ترجمة قطب الدين العلوي: كان من ظرفاء وقته، بدت منه كلمة فقال: نريد حلقة حديد، على وجه التصحيف، فبلغت الناصر فقال: ألا يكفيك حلقة ولكن حلقتان، فقيد وحمل فسجن بالكوفة، ثم استخلف الظاهر فأطلقه.

ومنه في ترجمة هبة الله عز الكفاة⁽⁵⁾، ولي الحجابة لبعض الأئمة فعزل للين جانبه كما عزل الذي قبله لخيانته، وكتب الإمام: يلحق الثقة العاجز بالخائن الجلد⁽⁶⁾.

(1) ورد البيت في وفيات الأعيان 3: 341.

(2) موفق الدين ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش، شرح كتاب المفصل لأبي القاسم الزمخشري، وشرح تصريف الملوك لابن جني، كانت ولادته سنة 553 هـ بطب وبها توفي سنة 643 هـ: وفيات الأعيان 46: 7.

(3) البيت لذي الرمة: الديوان 2: 767.

(4) وفيات الأعيان 46: 7.

(5) صاحب عز الكفاة، أبو المعالي هبة الله، ولد سنة 561 هـ، كان والده وكيل الناصر، وولي هبة الله واسط ثم صرف لئنه، توفي سنة 645 هـ: شذرات الذهب 3: 233. سير أعلام النبلاء 23: 230.

(6) ورد هنا التوقيع في: سير أعلام النبلاء 23: 230.

ومنه قول ابن شخانة على ابن رواج فقال: الإبط بكسر الباء، فقال: لا تحركه يفح صنانه⁽¹⁾.

ومنه في ترجمة ابن مطروح وقد أبدع في هذين البيتين⁽²⁾:

[طويل]

إذا ما سقاني ريقه وهو باسم تذكرت ما بين العذيب وبارق

ويذكرني من قده ومدامعي مجر عوالينا ومجرى السوابق

ومنه في سنة إحدى وأربعين وستمائة حجت والدة المعتصم بالله من بغداد وعدت جمال الركب عند المدائن فكانت زيادة على مائة وعشرين ألفاً.

ومنه في حوادث سنة سبع وأربعين وستمائة: وفيها وصل إلى بغداد أبو منصور الأصبهاني رجل كهل صغير الخلقة جداً، طوله ثلاثة أشبار وثلاثة أصابع، ولحيته طولها أكثر من شبر، فحمل إلى دار الخلافة فأنعم عليه، ودار على الأكابر. وفي السنة التي قبلها ولدت امرأة ببغداد أربعة أنفس في بطن، فطلبهم الخليفة ورآهم وتعجب منهم، ثم أمر لهم بستمائة.

ومن الكتب الغريبة التي رأيتها بمكة طبقات الصوفية للمنوي وقد أجاد فيها سيما للمتأخرين من الصوفية فلم أر أخبارهم مستوفاة في غيرها، فمنها في ترجمة الشيخ زروق⁽³⁾: وكتب على الحكيم نيفاً وثلاثين شرحاً⁽⁴⁾ هـ. وهذا شيء ما رأيت في غيره، فأعلى ما ريء من شروح الشيخ زروق السابع عشر.

ومنها في ترجمة سيدي علي بن وفا⁽⁵⁾، رضي الله عنه، بعد أن نقل عن الحافظ ابن حجر أنه إذا ذكر أحداً من الطائفة لا يقي ولا يذر، والله يغفر لنا وله. ومن كلامه في سيدي علي قال: وشعره ينطق بالاتحاد المفضي إلى الإلحاد كشعر

(1) الصنان: نقر الإبط: لسان العرب: ص 263.

(2) ورد البيتان في وفيات الأعيان 263:6.

(3) تقدمت ترجمته.

(4) طبقات الصوفية 167:3.

(5) علي بن محمد وفا السكندري الشافعي، من كبار الصوفية وأئمتهم، ولد بالقاهرة سنة 759 هـ، طبقات الصوفية 201:3. الطبقات الكبرى للمنوي، ص: 315.

أبيه، ورتب لأصحابه أذكراً استمال بها قلوب العوام، وذكر أنه اجتمع به في وليمة وأنكر على أصحابه^(١).

قلت: وأخبرني ثقة عن بعض متأخري صلحاء المغرب أنه قال: إن ابن حجر ينكر كرامات الأولياء ولم يتابع على ذلك، واستبعد كون ابن حجر متصفاً بذلك، ولعله إنما قال: يكثر الطعن على أهل الطريق والازدراء بهم كما هو شأن كثير من الأكابر المحدثين، كالذهبي وابن نعيم وابن الجزري وغيرهم، يعرف ذلك من كلامهم. وأما الكرامات فلا ينكرها سني، ومن تأمل كلام الحافظ ابن حجر في مواضع كثيرة علم منه ذلك، وما كان ينبغي له ذلك والله يغفر له.

ومنها من دعائه صلى الله عليه وسلم: اللهم أنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك، فأعطنا منا ما يرضيك عنا.

ومنها ورد أن من صلى كل ليلة بعد صلاة المغرب قبل أن يتكلم ركعتين يقرأ في كل ركعة بالفاتحة (وإنا أنزلناه) وسورة الإخلاص ستاً، والمعوذتين مرة مرة، ويسلم منهما فإن الله يحفظ عليه الإيمان. ومعناه جاء عن ابن عمر مرفوعاً هـ.

قلت: وقد ذكرها الشيخ السنوسي عن بعض أهل الكشف بزيادة: اللهم إني استودعتك ديني وإيماني فأحفظهما علي في حياتي وعند وفاتي وبعد مماتي ثلاثاً في كل سجود، و بزيادة كون الإخلاص سبعا، ولم يذكر رفعهما والله أعلم.

ومنها: وقال محمد بن إبراهيم الجرجاني مما جربنا لرد الضالة: اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه أجمع علي ضالتي، ويقرأ قبله سورة الضحى ثلاثاً^(٢).

ومنها: ومن كلام كعب الأحبار: من أراد أن لا يتخم من طعام فليقرأ عند أكله (شهد الله أنه لا إله إلا هو)^(٣) الحى الحكيم، ومن قرأ آية الكرسي أول السنة ثلاثمائة وستين مرة دفع الله عنه الحزن والمكروه والشر والوباء، وحفظه من كل خوف.

(١) طبقات الصوفية 202:3.

(٢) طبقات الصوفية 125:2.

(٣) آل عمران: 18.

ومنها في ترجمة الشيخ قطب الزمان أبي الحسن الشاذلي ما نصه: نشأ ببلده فاشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها وصار يناظر عليها مع كونه ضريراً هـ.

قلت: وما ذكره من كونه ضريراً أمر مستغرب، مع ما عرف له من السياحات في البلاد البعيدة، شرقاً وغرباً، وسكنى الجبال والمغارات وقطع المفاوز وحده، وهذه الأمور يتعذر مثلها عادة من الضرير وقد أنكرته حين رأيته، ثم رأيت في تاريخ الإسلام للذهبي مثله أيضاً، وقد سألت عن ذلك الشيخ المسن خادم رتبة الشيخ أبي العباس المرسى بالإسكندرية، رضي الله عنه، وكان واعية لأخبار الشاذلية، فأخبرني بذلك أيضاً، إلا أن الذي يظهر لي من كلامه أن ذلك حصل له في آخر عمره لا كما يتوهم كلام المنوي، قال: فإن كان كذلك فممكن والله أعلم.

ومنها لخوف العطش يقرأ الفاتحة سبعا عند الصباح ويثقل في يديه ويمسح بهما وجهه، ويكون على الريق فإنه لا يظماً ذلك اليوم هـ.

ومما رأيته بمكة من الكتب كتاب إتحاف الوري بأخبار أم القرى⁽¹⁾ للشيخ نجم الدين عمر بن فهد وطالعه وانتقيت منه أشياء فمنها: وفي سنة إحدى وستين ومائة أمر المهدي بشراء جميع ما كان من الدور بين المسجد والمسعى، فاشترى كل ذراع مكسراً مما دخل المسجد بخمسة وعشرين ديناراً، وما دخل في الوادي بخمسة عشر ديناراً، ودخل في ذلك دار خيرة بنت سباع الخزاعية بلغ ثمنها ثلاثة وأربعون ألف دينار دفعت إليها، ودار الأزرق وثمنها ثمانية عشر ألف دينار.

ومنها أن شهود صيام رمضان بمكة يزيد في الإيمان. ومنها: حملت ملابس جسم سليمان بن عبد الملك لما حج على سبعمائة بعير، وقيل تسعمائة بعير.

ومما رأيته بمكة القوانين⁽²⁾ لابن أبي الربيع في علم النحو، وقيدت منها ما نصه: اعلم أن ياء حيي يجري مجرى الشين من خشى لا تعتل كما اعتلت في هاب، لأنك لو أعللتها فقلت: حاي كما قلت هاب، لوجب أن تعلها في المضارع فتقول: يحاي كما تقول بهاب، ولو فعلت ذلك لظهرت الضمة في اللام وهي ياء،

(1) إتحاف الوري بأخبار أم القرى للشيخ نجم الدين عمر بن فهد المكي المتوفي سنة 885 هـ: كشف الظنون 1:306.

(2) يقصد كتاب: ملخص القوانين في النحو لعبيد الله بن أحمد بن أبي الربيع العثماني الإشبيلي الأموي المتوفى سنة 688 هـ: كشف الظنون 2:1819.

وقد اطرء في اللام إذا كانت ياء أن تكون ضمتها مقدرة، فإن حذفها كما حذفها مما آخره ياء توالي إعلا لان، وهذا ليس من كلامهم، يعني العرب، فصحت لذلك العين وجرت مجرى الصحيح، فإن كانت اللام مفتوحة فتحة لازمة جاز لك وجهان؛ أحدهما الإدغام لالتقاء المثليين. الثاني: الإظهار، فتقول في حيي حيي، وفي أحيي أحيي. وحكى يونس عن كثير من العرب حي وأحي، قريء بهما هـ منه.

قلت: وإنما قيدت هذا منه لأنني كنت استشكلت عدم إعلال عين حيي وعيي وأشباههما مع استكمالهما لشروط الإعلال المذكورة عند النحاة، فكتبت ونحن بالمغرب سؤالاً منظوماً وأجاب عليه صاحبنا العلامة المحقق سيدي محمد بن شيخنا سيدي عبد القادر الفاسي رضي الله عنهما، وقد رأيت أن أذكر هنا السؤال والجواب معا تميماً للفائدة، وتربية للإفادة، ونص السؤال:

[وافر]

ثُحاة العَصْرِ أرباب المعاني	فُحول العلم أعلام الزمان
أَسْأَلُكُمْ ولا حرج على من	يُسْأَلُ للرَّشَادِ ولِلْبَيَانِ
فَعَيْنُ عِيٍّ أَعْيَتْنِي أَجِيئُوا	وَفَكُوا بِالْكِتَابَةِ مَا أَعَانِي
مُحَرَكَةٌ أَتَتْ مِنْ بَعْدِ فَتْحِ	وَقَدْ فَقَدَ الْمَوَانِعُ بِالْعِيَانِ
فَلَمْ صَحَتْ وَلَمْ تَعْلَلْ كَمَا قَدْ	أَعْلَلْ نَظِيرُهَا فِي ذَا الْمَبَانِ
سَلَامُ اللَّهِ يَصْحَبُكُمْ جَمِيعَا	وَرَحْمَتُهُ فَتْلُكَ مِنِّي الْأَمَانِ

ونص الجواب:

[وافر]

سَلَامٌ بِاللِّسَانِ وبِالْبَنَانِ	عَلَيْكُمْ مَا أَقَامَ الْفَرْقَدَانِ
وَبَعْدَ فَإِنَّ الْمَنُصُوصَ فِيمَا	رَأَيْتَ فِيمَا سَيُوضَحُهُ بَيَانِ
فَقِيلَ لَمْ تَعْلَلْ لِأَنَّهُمْ قَدْ	تَحَامَوْا مِنْ يَحَايِ فِي الْمَبَانِ
وَقِيلَ إِنَّهُمْ قَدْ أَلْحَقُوهُ	بِبَابِ قَوِي فِي هَاذِي الْمَعَانِ

وباب قوي قد أجروهُ مجرى رضى إذا عل منه ثان
وأبقى أول خَوف اجتماع للإعلالين فأظهر بالأمان
ولا عجب إذا ما الفرع ضاهى أصولاً أو عفا عن ذنب جان
فقابل بالسماح سخيـف نظمي فأنت الفذ يا بدر الزمان

ثم ذكر نص ابن الحاجب في الشافية نثراً، ونص السعد، وهو نحو ما تقدم عن ابن أبي الربيع، إلا أن كلام ابن أبي الربيع أوضح، والله أعلم.

لطيفة:

قد نزلت ونحن بمكة نازلة فقهية، وهي أن إمام الحنفية هو الذي يتقدم في صلاة المغرب ويصلي معه غالب الناس، فلما قرب الموسم تقدم يصلي في الحجر، وصلى معه الناس على عادتهم، فجرى كلام في ذلك بين الطائفة المالكية في صحة الصلاة وراءه وعدمها، فكتبت في ذلك رسالة أوضحت فيها الحق إن شاء الله وهذا نصها:

باسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا، الحمد لله الذي عهد إلى إبراهيم وإسماعيل (أن طهَّراً بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود)^(١)، وجعل الكعبة والبيت الحرام قياماً للناس ومثابة وأمناً يأتونه من الأغوار والنجود، وشرف بها المسجد الحرام على سائر المساجد، وصيرها قبلة لكل راكع وقانت وساجد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد هادي الخلق إلى الحق بالحق، وداعيتهم إلى التصديق والصدق بالصدق، وعلى آله وأصحابه وسائر أحبائه.

أما بعد، فهذه رسالة غربية الوضع عظيمة النفع يحتاج إليها أهل مكة البررة الكرام، ويرغب عنها من لم يكن حاضري المسجد الحرام، سميتها رفع الحجر عن الاقتداء بإمام الحجر، رتبها على مقدمة وتنبيهات وخاتمة.

(١) البقرة: 125.

أما المقدمة ففي ذكر سبب وضعها وذكر اختياري الاقتداء بإمام الحنجر، وأما التنبيهات ففي كلام الأئمة في الاقتداء بالمخالف في الفروع وبيان دلالاتي على هذه المسألة بالأولوية أو المساواة، وأما الخاتمة ففي محصل كلام الأئمة المنقول في التنبيهات وتبيين طريقهم في المسألة وتوجيه الحكم بالصحة في مسألتنا على جميع طريقهم، والله أسأل أن ينفع بها، ويجعلها لي وسيلة عنده، ويعتدها لي خدمة مقبولة لساكن حرمة الأمين، آمين.

مقدمة: اللهم اهدنا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك فإنيك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم⁽¹⁾، سبب تألّفي لهذه الرسالة أنه قد نزلت نازلة فقهية ونحن بمكة المشرفة في سنة ثلاث وسبعين وألف، وذلك أن الأئمة في المسجد الحرام متعددون بتعداد أئمة المذاهب، ولكل أهل مذهب مقام يصلي فيه إمامهم، إلا أنهم لا يصلون جميعاً في سائر الأوقات إلا في أيام الموسم وما قرب منها، وأما فيما سوى ذلك فإمام الشافعية والحنفية يصليان الصلوات الخمس، وأما المالكية فلا يصلي إلا الصبح والعشاء، وأما الحنبلي فما رأيت يصلي إلا الصبح، وكان الذي يتقدم في الصلوات كلها ما عدا المغرب هو الشافعي، ويصلي معه غالب الناس ممن في المسجد من أهل المذاهب لما علم أنه لا يجوز لمن حضر المسجد بشروط الصلاة أن يجلس بعد إقامة الصلاة منتظراً لجماعة أخرى يصلونها معها، وقد حكى بعضهم الإجماع على هذا. وأما المغرب فيتقدم فيها الحنفي فيصلّي معه غالب الناس أيضاً لما ذكرنا بناء على جواز تعدد الأئمة في المسجد الحرام باعتباره كمساجد متعددة، وإن كان المشهور خلافه، وأن التعدد لا يجوز، وأن الإمام الراتب هو الشافعي إمام مقام إبراهيم كما ذكر غير واحد ممن ألف في مسألة تعدد الأئمة بالمسجد الحرام، وقد ألف فيها رسائل بالجواز والمنع نقل زبدتها الخطاب مقويا قول من قال بالمنع، والمسألة بين أرباب المذاهب شهيرة⁽²⁾، ولكن لما كانت المسألة ذات خلاف، والجلوس بعد الإقامة في المسجد بلا صلاة ممنوع بالإجماع، أثر المتدينون الصلاة مع الأول في المغرب، وهو الحنفي، وإن كانت الصلاة مع الشافعي أولى على الجلوس بلا صلاة، وعلى الصلاة بنية النفل قبل صلاة المغرب لكراهته أو منعه أيضاً، ولأجل هذا كنا معشر المالكية من المجاورين وأهل مكة نصلي المغرب مع

(1) إشارة إلى قوله تعالى: (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم): يونس: 25.

(2) حول اقتداء المذاهب ببعضهم ببعض كالحنفي يصلي وراء المالكي وبالعكس، أنظر الفكر السامي: 505:4. وقد استشهد المؤلف في هذا الفصل بالرأي الذي ساقه العياشي هنا.

الحنفية، والحال أن الإمام الحنفي يصلي في مقامه مقابل الحجر، فلما كان في إحدى ليالي بعض أشهر الحج تقدم الإمام الحنفي للصلاة في الحجر، وكانت العادة أنه لا يُصَلِّي في الحجر إلا في أيام الموسم حيث يصلي كل إمام في مقامه سائر الصلوات، ولم يشعر بذلك المالكية حتى أقيمت الصلاة، فاختلف ذوو الرأي منهم، فمنهم من جلس ولم يصل، ومنهم من صلى بنية النفل وأضاف إليها رابعة، ومنهم من صلى واقتصر على تلك الصلاة فاكثر الكلام في ذلك. وكنت ممن رأى، والحالة هذه، أن الصلاة معه بنية الفريضة أولى من الحالتين الآخرين محتجا على ذلك بأن الأمر في هذه النازلة دائر بين أحد أمور ثلاثة كلها جارية على غير مشهور المذهب، وهي الجلوس بلا صلاة، أو النفل قبل المغرب، أو الاقتداء بإمام يصلي في الحجر، والثالث أخفها وأقربها، بل لو قيل بأنه المشهور لم يبعد لما سيذكر من نصوص الأئمة، لأن الصلاة في الحجر لا يحكم بطلانها لأن الإعادة فيها وقتية على المشهور، هذا لو كان الإمام مالكية فإننا لا نتجراً على القول ببطلان صلاة المقتدي به، كيف ونحن لا نقول ببطلان صلاة الإمام نفسه، وإنما نأمره بالإعادة في الوقت، ومعلوم أن كل إعادة وقتية هي على الاستحباب فما بالك إذا كان الإمام حنفياً أو شافِعياً ممن^(١) يرى صحة ذلك وجوازه، فإن الاقتداء بمخالف الفروع الظنية جائز إجماعاً كما حكى عن ذلك الإجماع المازري وغيره، وهو على إطلاقه في الظنية، سواء تحقق فعله لسائر الشروط والواجبات على مذهبنا أو لم يتحقق، وهو الموافق لظاهر عبارة المختصر، وأخذ ابن ناجي من المدونة وبه جزم القرافي في الفروق، وفي كتاب الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، وسأذكر نصه، ولم يستثن القرافي من ذلك إلا ما خالف إجماعاً أو نصاً أو قياساً جلياً، أو جرى على خلاف القواعد، وأما ما كان مدركه ظنياً فلا يمتنع الاقتداء فيه، ولا شك أن هذه المسألة ليست من إحدى المسائل ولا مما يقرب منها فإن المدرك فيها ظني ودليل المخالف فيها في غاية القوة. ولما كان تحقيق هذه المسألة يتوقف على نقل كلام أئمتنا في الصلاة في الحجر هل هي جائزة أو مكروهة، أو ممنوعة أو باطلة، وعلى نقل كلامهم في الاقتداء بالمخالف هل يمتنع مطلقاً أو يجوز مطلقاً، أو يجوز في حال دون حال، أردنا نقل ذلك في ذلك، ونبين انطباقه على النازلة إذ لم أرَ فيها نصاً، إلا أنها من جزئيات قاعدة الاقتداء

(١) ساقط من ط.

بمخالف^(١) في الفروع، وسألت أهل العلم بمكة هل عند أحد منهم في النازلة ما يشفي، وذكر لي أن بعض المتأخرين من أهل مكة ألف فيها رسالة، فذكر لي شيخنا أبو مهدي أنه ليس فيها ما يعتمد، فتكلفت كتب هذه الرسالة وجمعها من مظانها رجاء انتفاع أهل البلد الحرام بها:

[طويل]

وكنْتُ كذِي داءٍ تبغي لدائه طيباً فلما لم تجده تُطبياً

فرتبت أقوال الأئمة في تنبيهات، وأدرجت في كل تنبيه ما يتعلق به من بيان أشكال وذكر كيفية أخذ حكم نازلتنا منه فأقول:

التنبيه لأول: قال في باب السهو من كتاب الصلاة الثاني من المدونة: ومن صلى خلف من يرى السجود في النقصان بعد السلام فلا يخالفه لأن الخلاف أشد، ويروى أشد. قال ابن عرفة: لا مفهوم لما ذكره من التصوير، بل وكذلك العكس لقوة الخلاف. قلت: وقول ابن عرفة لقوة الخلاف يشير إلى ترجيح ما ذكره القرافي من أنه لا بأس بالاعتداء به من كل أمر مختلف فيه، وإنما يمتنع في الأمر الجمع على خلافه، أو يكون الخلاف ضعيفاً لمخالفته القياس الجلي والقواعد والنص، ومعلوم أن الصلاة في الحجر ليست بهذه المثابة لقوة الخلاف في المذهب نفسه بالكراهة والمنع والجواز في الصلاة في الكعبة فضلاً عن الحجر. حمل جماعة من شراح الرسالة ظاهرها على جواز الصلاة في الكعبة. قال ابن ناجي: ظاهر كلام الشيخ أن الصلاة في حرف الكعبة جائزة، وهو كذلك، سواء كانت فريضة أو نافلة، قاله اللخمي هـ. وقد قال اللخمي: أجاز أشهب في مدونته الفرض في الكعبة من غير إعادة، وإن كان لا يستحب له أن يفعل إلا أني لم أر من شهر هذا، وعبارة الفاكهاني في نقل مذهب أشهب. وأجاز ذلك أشهب في مدونته في الفرض وقال: إن فعل فلا إعادة عليه، وإن كان يستحب له أن لا يفعل، والعبارة الأولى لابن الملقن في شرح العمدة، والفرق بينهما أن الأولى لا تقتضي كراهة، والثانية تقتضي خلاف الأولى. ونقل الفاكهاني عندي أصح، ويصح الجمع بين العبارتين، والمشهور في المذهب أن الصلاة في الحجر مكروهة أو ممنوعة، ومع ذلك فهي صحيحة، ولذلك كانت الإعادة وقتية، ولو كانت باطلة لأعاد أبداً كما

(١) في ط: بالمخالف.

صرح به الشيخ سالم السنهوري في شرحه، إذ قال: إن الإخراج في قوله لا فرض من الجواز إلى المنع لا من صحة إلى بطلان قطعاً بدليل قوله: يعاد في الوقت، ومن تأمل كلام الشارحين علم أن المشهور الأرجح عندهم إطلاق الإعادة الوقتية، وأن التأويل المقيد بالناسي لا يقاومه في القوة، فعلم أن المشهور صحة الصلاة مطلقاً، عامداً أو ناسياً. قال بعض: ولم أر من شهر الإعادة أبداً إلا التقي الفاسي هـ.

قلت: والمنع المذكور، وإن كان على جهة التحريم فلا يستلزم البطلان، ويحتمل أن يكون المراد به الكراهة الشديدة، فإن ابن عرفة قد عبر بالكراهة إذ قال: وكره الفرض فيها مالك وأعادته في الوقت، وقد صرح محقق المذهب وناصره القاضي أبو محمد عبد الوهاب بالكراهة في كتاب المعونة فقال: وتكره الصلاة داخل الكعبة عند مالك لأنه يستدبر بعض البيت، والأولى أن يصلي بحيث يكون جملة البيت تجاهه، لا يستدبر شيئاً منه، ويجوز فيه النفل، ثم وجه الفرق بين النفل والفرض، ثم حكى عدم الجواز عن أصبغ وقوم من أصحابنا البغداديين وجهه أيضاً. قلت: وقوله: وأولى أن يصلي إلخ، نص في أن الكراهة عنده ليست للتحريم، وإنما المراد بها خلاف الأولى، وعلى كل حال حيث حكمنا بصحة الصلاة، ولو مع التلبس بممنوع أو مكروه، فلا وجه لبطلان صلاة المقتدي، بل ولا بمنعها، إذ صلاته هو سائلة من ملابسة هذا الممنوع والمكروه على القول بعدم الارتباط، وعلى القول بالارتباط فصلاة إمامه صحيحة، إلا أنه متلبس بممنوع أو مكروه في مذهبنا، وأما في مذهبه هو فلا منع ولا كراهة، ولو اقتصرنا على هذا التقرير لكفى في جواز الاقتداء بإمام الحجر، ولكن لما كانت هذه الرسالة برسم تحقيق هذه المسألة، آثرنا ذكر نصوص الأئمة وبيان تطبيقها على هذه النازلة وتناولها بالأولية والمساواة كما يتضح عند التقرير.

الثاني: قال ابن ناجي: ويقوم عندي من قولها أن صلاة المالكي خلف الشافعي جائزة، ولو رآه يفعل خلاف مذهبه، يعني بقولها ما تقدم في أول التنبيه الأول. قلت: وما أقامه ابن ناجي من المدونة هو الذي حمل عليه جماعة من شراح المختصر كلام المصري، وأنه على إطلاقه. قال شيخ مشايخنا السيد إسماعيل السندفاوي ما نصه: وجاز اقتداء في الصلاة برجل مخالف في الفروع الظنية كمالكي بحنفي. وحكى الإمام المازري وجماعة الإجماع على ذلك، وإن نظر فيها بعضهم بوجوه الخلاف، وظاهر كلام المصري الصحة، ولو رأى المخالف يفعل ما

يخالف مذهبه؛ كما لو رأى مالكي شافعيًا يمسح بعض رأسه، أو حنفيًا يقبل زوجته، وهو كذلك، ولم يعتبر تقييد من قيد ذلك بما إذا لم يره يفعل ما يخالف، لأننا إذا قلنا كل مجتهد مصيب فلا إشكال، أو المصيب واحد لا بعينه، فمجزئة لعدم تحقق المصيب، قاله في كفاية المسائل^(١).

وقد علم أن الإمام يرى أن كل مجتهد مصيب، ولذا شهر الصري الاقتداء بالمخالف في الفروع الظنية. قال العلامة اللقاني: وأنا أقندي به لأنه على صواب ولا أصلي منفردا مع وجوده هـ كلامه بحروفه، وهو في غاية الحسن وكفاية السائل الذي ذكره هو شرح العلامة التتائي على الشامل، والعلامة اللقاني المذكور المراد به محقق المذهب ناصر الدين اللقاني، فهو من أشياخه. قلت: وقد علم تناول هذا التقرير لمسألتنا بالأولية لأنه مثل فيها مسح بعض الرأس وهو مبطل للصلاة عندنا، وبتقبيل الزوجة، وهو ناقض عندنا أيضا، والصلاة في الحجر صحيحة على المشهور كما تقدم، وعلى القول ببطلانها فمعلوم أن القول ببطلانها ليس في القوة كالقول ببطلان صلاة تارك المسح والمقبل، وما نقله هذا الشارح قد نقله جماعة من شراح المختصر بعبارات مختلفة، واقتصرت على نقله لجمعه واختصاره، وما ذكر من تشهير المصنف لصحة الاقتداء مطلقا هو ظاهر من تركه التقييد مع شرطه، تبين ما به الفتوى، وكفى بتشهير المصنف حجة. الثالث: قال ابن الحاجب: وحكى المازري الإجماع في المخالف في الفروع الظنية واعتذر عن قول أشهب فيمن صلى وراء من لا يرى الضوء من القبلة أعاد أبدا فإنه رآه كالقطع وقواه بقوله مس الذكر. وخرج اللخمي الخلاف من قول أشهب هـ. قال في التوضيح: ولفظ المازري وقد حكى حذاق الأصوليين إجماع الأمة على إجزاء الصلاة خلف الأئمة المخالفين، لأنه إن كان كل مجتهد مصيب فواضح، وإن كان المصيب واحدا فكذلك لعدم تحقق المصيب. ثم ذكر كلاما مضمونه البحث في حكاية الإجماع وتقوية وجود الخلاف، وليس في ذلك ما يمنع كون المشهور هو الائتمام مطلقا كما يفيد تصديره به. ومعنى قوله: وقواه بقوله بخلاف مس الذكر، ووجه التقوية أن أشهب لو كان يرى المنع مطلقا لما فرق، ولولا أن وجوب الضوء من القبلة عنده كالقطع لما فرق بينه وبين المس حتى منع في

(١) يقصد كتاب: كفاية المسائل لأبي نصر بن الصباغ عبد السيد بن محمد الشافعي المتوفى سنة 477 هـ: كشف الظنون 2: 1501.

أحدهما دون الآخر مع وجود المخالفة فيهما معاً، فقوي بتفريقته أن المخالفة عنده ليست مانعة، وأن الذي قال فيه بالمنع ليس للمخالفة فقط، بل لكونه رأى الدليل عليه كالقطعي، وسيأتي مزيد بيان لهذا.

الرابع: قال الفاكهاني في شرح الرسالة: الصنف السابع، يعني من المختلف في إمامته، المخالف في سائر الفروع لا خلاف أنه لا يفسق ولا يمنع الاقتداء به، وخرج اللخمي الخلاف فيه من قول أشهب في قوم صلوا في بيت مظلم فأصاب الإمام القبلة وأخطأوها أنهم يعيدون، وإن أصابوها وأخطأ الإمام أعادوا أجمعون. وذكر قول أشهب أيضاً فيمن صلى وراء من لا يرى الوضوء من القبلة، أنه يعيد أبداً لأن القبلة من اللمس، وإن صلى وراء من لا يرى الوضوء من مس الذكر أنه لا يعيد، وقول سحنون بل يعيد فيهما بحدثان ذلك، فإن طال لم يعد. قال المازري: فخرج اللخمي على هذا صلاة المالكي خلف الشافعي والعكس، ورأى أنها مختلف فيها. قال الإمام: وإجراؤكم ذلك على الإطلاق عندي لا يصح. قال: وقد حكى بعض الأصوليين إجماع الأمة على أجزاء صلاة الأئمة المختلفين في الفقه بعضهم وراء بعض، ثم اعتذر عما حكى عن أشهب من الإعادة في القبلة أبداً، فإنه رأى المسألة من الوضوح حيث يقطع بخطأ المخالف. قال: وهو معنى قوله إن القبلة من اللمس لأن القرآن جاء به، وكان إيجاب الوضوء به يلحق بالمقطوع به. قال: وأدل دليل على صحة هذا التأويل تفرقه بين مس الذكر والقبلة. قال: وعلى هذا يجري اختلاف أصحابنا في نقض بعض الأحكام في مسائل اختلف فيها وإمضاء الأحكام في غيرها، وإن كان قد اختلف فيها هـ.

قلت: وقد ظهر من كلام الفاكهاني أنه لا يمنع الاقتداء مطلقاً بلا خلاف وصدر به ثم ذكر أن الخلاف مخرج، وسيأتي أن الكلام على أن محامل الفروع المخرجة عليها ما عدا القبلة بكسر القاف فقد كفانا المثونة فيها القرافي وأتباعه، وأنها مما لا يصح الاقتداء فيها بالمخالف كمسألة الأواني والثياب، وأوضح الفرق بينهما وبين غيرهما من الفروع، وسيأتي كلامه بتمامه.

الخامس: ولسند بن عنان^(١) في طرازه قال: وفيه تحقيق ذلك أنه متى تحقق فعله للشرائط جاز الاقتداء به، وإن كان لا يعتقد وجوبها كما لو مسح الشافعي

(١) سند بن عنان بن إبراهيم الأسدي المصري، الفقيه الإمام، ألف كتاب الطراز الذي شرح به المدونة، توفي بالإسكندرية سنة 541هـ: شجرة النور الزكية 1: 184.

جميع رأسه فلا يضر اعتقاد سنننه بخلاف ما لو أم في الفريضة بنية الفريضة أو مسح رجليه. قلت: والتحقيق الذي أرادہ سند تحقيق الجمع بين الإجماع الذي حكاه المازري وبين الخلاف الذي استقره اللخمي من قول أشهب يعيد من صلى خلف من لا يرى الوضوء من القبلة، لا من لا يرى الوضوء من مس الذكر. سحنون: يعيد فيهما ما لم يطل، ومن قول ابن القاسم في العتبية: لو أعلم أن أحدا يقرأ في الركعتين الأخيرتين ما صليت خلفه، فجمع سند بينهما بأن الإجماع إنما هو في المخالف في الفروع من حيث الاعتقاد فإن الشافعي وإن كان لا يقول بوجوب مسح جميع الرأس يقول به على وجه السنية، وإذا مسح فلا يضر اعتقاده إجماعاً، وأما إذا خالف اعتقاداً وفعلاً كان قبل أو مس الذكر ولم يتوضأ أو ترك القراءة في الأخيرتين فليس من محل الإجماع وإذا تبين لك تحقيق سند إنما دل على أنه إذا خالف فعلاً فلا يتناوله الإجماع، لا على أنه إذا خالف لا يصح الاقتداء به كما توهمه كثير ممن نقل كلامه، علمت أن كلامه لا يكون حجة على من أجاز الاقتداء مطلقاً، أو حيث لم يخالف أحداً علمت أن كلامه لا يكون حجة لأشياء أربعة كما ذكر القرافي، وما ذكر سند هو نحو ما ذكر ابن ناجي عن شيخه ابن عرفة أنه كان ينقله عن عز الدين ابن عبد السلام ويفتي به من أن جواز الاقتداء حيث لا يراه المخالف بفعل وإلا فلا.

قلت: وعلى كل حال فلا بد من تقييد كلام ابن عرفة وغيره ممن يختار ذلك من كونه يراه مخالفاً بترك ما هو من شروط الصلاة وواجباتها التي تبطل بتركها، أو بفعل ما هو من مبطلاتها كما يشير إلى ذلك تعبير سند بالشرائط لأن مجرد المخالفة فيما ليس من قبيل ما ذكر لا قائل بطلان صلاة فاعله عن صلاة المقتدي بفاعله متأولاً.

وهذا واضح غني بنفسه عن الإيضاح، وإذا كان كذلك فمسألتنا على مشهور المذهب ليست المخالفة فيها من قبيل ما تبطل الصلاة بفعله كما تقدم بيانه، وإنما المخالف فيها متلبس بممنوع أو مكروه إن كان من أهل مذهبنا ولا نتجاسر على إطلاق المنع والكراهة عليه إن كان من أهل المذاهب الصحيحة حتى المتداولة التي ندين الله تعالى باعتقاداتهم، وكلهم على هدى كالحنفية والشافعية، فبعد أن يقال بطلان صلاة المقتدي بأحد منهم عند تلبسه بأمر لم يقم نص صريح ولا قياس جلي على بطلان الصلاة به، فضلاً على الإجماع، وإنما هو رأي رآه الإمام

مستندا فيه إلى ظواهر وعمومات تقبل التأويل والتخصيص بأخرى مثلها في القوة أو أقوى منها، ولذلك لم يقل الإمام مالك، رضي الله عنه، ومحققو أتباعه يبطلان صلاة فاعل ذلك، فضلا عن صلاة المقتدي، وإنما قال بالبطلان بعض الأتباع تخريجا لا نصا.

السادس: اختار العوفي من عند نفسه ضابطا، وهو أن كل ما كان من الشرائط في صحة الصلاة التي المؤتم مطلوب بها في نفسه لا ينفعه فيها صحة صلاة من ائتم به، مثل أن يكون الإمام⁽¹⁾ متنفلا فلا يصح لمن لا يجوز أن يأتى المفترض بالمتنفل، وإن كان الإمام يعتقد صحة هذا، لأن المأموم هو في خاصة نفسه مطلوب في مذهبه بأن لا يأتى بمتنفل، بخلاف ما إذا كانت الشرائط معتبرة في حق الإمام؛ مثل مسألة المتدلك مع من لا يتدلك، أو لا يرى الوضوء من القبلة أو اللمس، فأن هذه عند المأموم شروط في صحة الصلاة للمصلي لا في صحة الائتمام.

قلت: حاصل ما اختاره العوفي التفريق بين ما هو شرط في صحة الاقتداء، ككون الإمام غير متنفل وغير صبي، ومساواة الصلاتين ونية الإمامة في الجمعة، وما ذكر معها وغير ذلك مما هو مذكور في كتب الفروع وبين ما هو شرط في صحة صلاة الإمام، فتضر المخالفة عنده في القسم الأول دون الثاني، وقد يشكل على ذلك كون صحة صلاة الإمام شرطا أيضا في صحة الاقتداء، إذ لا يصح الاقتداء بالكافر والمحدث وغيرهما من متلبس بما تبطل به صلاته. فيجيب بأمرين أحدهما أنا لا نسلم أن كل ما يبطل صلاة الإمام يبطل صلاة المأموم فإن المحدث الساهي تصح صلاته وتصح صلاة المقتدي به، وكذلك غيره ممن تجب إعادته دون إعادة مأمومه، وإذا كان كذلك فليس كل ما هو شرط في صحة الصلاة شرط في صحة الاقتداء. ويجاب أيضا بأنا لو سلمنا كون صحة صلاة الإمام شرطا في صحة الاقتداء فمعناه صحة صلاته في مذهبه، فإننا لو سئلنا عن نفي مس ذكره وصلى، أو عن شافعي ترك الدلك أو مسح كل الرأس، لما أمكننا أن نقول بطلت صلاته، وإلا بطل المعتقد من كون الأئمة المجتهدين على هدى وأن مقلديهم كذلك، فإذا فهمت ضابط العوفي علمت أنه لا يتناول مسائلنا، إذ ليس من شروط المقتدي، لأن المصلي مطلوب به في خاصة نفسه، ولو لم يقتد به أحد، أو ما هو من شروط

(1) ساقط من ط.

الاقتداء إنما يطالب به الإمام أو المأموم، أو هما معاً، لا الفذ المصلي وحده، وكل ما يطالب به الفذ فهو من شروط الصلاة لا من شروط الاقتداء، وقد نقل الفيثي في حواشيه عن شيخ مشايخنا الشيخ إبراهيم اللقاني أن طريقة سند والعوفي متفقتان على أن الاقتداء صحيح ما لم يأت بمناقض، أي يتيقن أنه أتى بمناقض برؤية أو إخباره، وارتضاه ابن عرفة، وأنا لا نعمل إلا به، هـ ما نقله^(١) عنه.

قلت: ومراده بالمنافي إخلال بشرط أو وجود مانع، وليس في مسألتنا إخلال بشرط ولا وجود مانع، بل تلبس بجائز على مذهب أشهب، أو مكروه أو ممنوع تصح الصلاة معه على مذهب غيره الذي هو المشهور، إلا أن ظاهر كلام اللقاني أن العوفي وسند متفقان في سائر المنفيات وليس كذلك كما يظهر من كلاميهما الذي نقلته، فإن المنافي عند العوفي خاص بما فيه إخلال بشرط من شروط الصلاة لا في الاقتداء، وعند سند عام في كل ما فيه إخلال بشرط من شروط الصلاة، سواء كان من شروط الاقتداء أو لا، على ما يظهر من كلام ناقلي كلامه، وقد تقدم لنا أن كلامه المذكور لا يقتضي ذلك، وإنما يقتضي أن ما حصلت فيه المخالفة الفعلية ليس من محل الإجماع، اللهم إلا أن يكون له كلام آخر صريح في المسألة غير المنقول، ولم ينقل الشارحون والمتكلمون على المسألة عنه إلا ما ذكرنا، ورأيت في طرة غير معزوة أن المعتبر في شروط الصلاة مذهب الإمام، وفي شروط الإمامة مذهب المأموم. وإذا كان الإمام يرى أنه يصح أن يعيد الصلاة ثانية مأموماً، والمأموم لا يرى ذلك، فلا يصح الاقتداء به لأن العبر بعقيدته هـ. وكأنه تحصل لطريقة العوفي. فإن قيل لا نسلم أنه ليس من شرط الاقتداء، لأنه داخل في محل التزاع، فإن التزاع في كون المخالفة تمنع من الاقتداء أو لا تمنع، وأن الموافقة هل هي شرط في الاقتداء أم لا. وجوابه أنه لا قائل بأن مجرد المخالفة يمنع من الاقتداء، ولا بأن الموافقة في غير الشرط والواجب شرط في الاقتداء، لأن الإجماع منعقد على أن مالكيًا لو اقتدى بشافعي مستكمل لشروط الصلاة وشروط الاقتداء على مذهبنا صحَّت صلاته، ولو أخل بشيء مما ليس بشرط ولا واجب، والإجماع في هذا لا أظن أن له مخالفاً، والتزاع إنما هو حيث يخل بشرط أو واجب، والإجماع في هذا لا أظن أن له مخالفاً، والتزاع إنما هو حيث يخل بشرط أو واجب من شروط الصلاة أو من شروط الاقتداء، فخص العوفي المنع بأحد الإخلالين،

(١) في ط: نقلته.

ومعلوم مما تقدم أن الصلاة في الحجر إنما قال أهل المذهب أنها ممنوعة في حق المصلي نفسه سواء اقتدى به أحد أو لم يقتد، ومع ذلك فليس مانعاً من صحة الصلاة على المشهور، وإنما هو ممنوع في نفسه، ولو سلم أنه مانع من الصلاة فليس تركه من شرط الاقتداء، لأن ما كان من شروط الاقتداء إنما يتصور تركه في صلاة فيها اقتداء، إذ هو فعل لا بد فيه من مقتد ومقتدى به، فكل فعل اشترط أو منع في حق صلاة الإنسان وحده فلا يقال فيه أنه من شروط الاقتداء، والصلاة في الحجر إنما قيل بمنعها في حق المصلي وحده ولو لم يقتد به أحد. نعم يرد على هذا الضابط في الجملة أشكال من قيل من يقول أن المخالفة الفعلية في الشروط والواجبات تمنع من صحة الاقتداء مطلقاً، ومنهم القرافي في الذخيرة فإنه قال: الشرط السادس من شروط الإمامة موافقة مذهب الإمام في الواجبات، ثم ساق كلام ابن القاسم في العتبية، وكلام أشهب وسحنون، ثم كلام سند وما ذكره في الذخيرة مخالف لما ذكر في الفروق، والعبرة بما في الفروق لأنه متأخر عن الذخيرة، وبيان الإشكال وهو أن يقال: التقسيم الواقع في الضابط مختل لأن المقسوم لا بد أن يكون أعم من كل واحد من قسميه أو أقسامه، كتقسيم الحيوان إلى ناطق وطائر وناحق، وهو غير ذلك، فكل واحد من الأقسام أخص من المقسوم في الأمور المعنوية، أو أقل منه في الأمور المحسوسة، وهذا التقسيم على خلاف ذلك، لأن المقسوم عندنا هو المخالفة الفعلية الكائنة بين الإمام ومأمومه في الشروط والواجبات، فقسمنها إلى مخالفة فيما هو من شروط الاقتداء تمنع من الاقتداء، وإلى مخالفة فيما هو من شروط صحة صلاة المصلي نفسه، فلا تمنعه. والقسم الأول هنا أعم من المقسوم، فإن من شروط الاقتداء عندنا موافقة الإمام لمأمومه في فعل الشروط والواجبات، فإذا خالف فقد وقعت المخالفة فيما هو من شروط الاقتداء مساوية بالمخالفة في شروط الاقتداء مساوية للمخالفة في الشروط الفعلية أو أعم منها، فكيف يكون قسماً منها، وإن شئت قلت أن المخالفة في شروط الاقتداء أعم من المخالفة في شروط صحة صلاة المصلي، فكيف يكون قسيماً له، والجواب أن يقال هذه مغالطة، فإنما هو في الشروط التي يمكن أن تقع فيها المخالفة لا في نفس المخالفة، والشروط التي يمكن أن تقع فيها المخالفة منقسمة إلى قسمين ليس أحدهما أعم من المقسوم ولا مساو، ولا يقال أن الموافقة في الشروط من جملة شروط الاقتداء لأننا ننقل القسمة إلى الشروط التي تقع فيها الموافقة فيدور، فعلم أن

ما وقعت فيه القسمة لا يصح إدخاله في أحد الأقسام غير القسم. وإذا أوقع القسمة فيه فكيف يجعله من جملة الأقسام.

السابع: ولما كان عمدة المتأخرين في تحقيق مسألة الاقتداء بمخالف في الفروع، وهو كلام القرافي في الفروق، وكان أبسط وأوعب وأقرب إلى التحقيق من غيره، أردنا أن ننقل من كلامه في كتاب الفروق وفي كتاب الأحكام ما تتضح به المسألة، ثم نعقبه بكلام من اقتضى أثره من المؤلفين في قواعد المذهب كالقاضي أبي عبد الله المقرئ وإمام المذهب سيدي أحمد الونشريسي وغيرهم، فنقول: قال القرافي في كتاب الأنوار والقواعد السنية في الأسرار الفقهية ما نصه: الفرق السادس والسبعون بين قاعدة المسائل الفروعية التي يجوز التقليد فيها من أحد المجتهدين فيها للآخر، وبين قاعدة مسائل الأواني والثياب والكعبة وغيرها لا يجوز لأحد المجتهدين فيها أن يقلد الآخر هذه المسألة، يقال إن الشافعي، رحمه الله، سئل عنها فقيل أيجوز أن يُصَلِّيَ الشافعي خلف المالك، وإن خالفه في مسح الرأس وغيره من الفروع، وهل يجوز لأحد المجتهدين في الكعبة والأواني أن يصلي خلف المجتهد الآخر، فسكت عن الجواب عن ذلك، وكان الشيخ عز الدين رحمه الله يحكي ذلك عنه، وكان يفرق هو رحمه الله بأن الجماعة في الصلاة مطلوبة لصاحب الشرع، فلو قلنا بالمنع من الائتمام بمخالف في المذهب، وأن لا يصلي المالك إلا خلف مالك، ولا شافعي إلا خلف شافعي لقلت الجماعات، وإذا منعنا من ذلك في القبلة ونحوها لم يخل ذلك بالجماعات كبير خلل لنذرة وقوع مثل هذه المسألة، وكثرة وقوع الخلاف في مسائل الفروع، هذا جوابه رحمه الله، وقد ظهر لي في ذلك جواب هو أقوى من هذا، وهو أن القاعدة أن قضاء القاضي متى خالف إجماعاً أو نصاً أو قياساً جلياً، أو القواعد، نقضناه، وإذا كنا لا نقر حكماً تأكد بقضاء القاضي، فأولى أن لا نقره إذا لم يتأكد، فعلى هذا لا يجوز التقليد في حكم هو بهذه المثابة، لأننا لا نقره شرعاً، وما ليس بشرع لا يجوز التقليد فيه، فعلى هذا كل من اعتقدنا أنه خالف الإجماع لا يجوز تقليده، وبهذه القاعدة يحصل الفرق في غاية الجودة. بيانه بذكر⁽¹⁾ أربع مسائل: المسألة الأولى المجتهدون في الكعبة إذا اختلفوا لا يجوز أن يقلد أحدهم الآخر، لأن كل واحد منهم يعتقد أنه ترك أمراً مجتمعا عليه، وهو الكعبة، وتارك الجمع عليه لا يقلد، أما المختلفان في

(1) ساقط من ط.

مسح جميع الرأس، فإنما يعتقد كل واحد منهم في صاحبه أنه خالف ظاهراً من نص أو منطوق آية أو مفهوم لفظ، وذلك ليس مجعاً على اعتباره، ولا وصل إلى حد القطع، بل هو في محل الاجتهاد، فجاز له الصلاة خلفه وتقليده، بخلاف اعتقاده أنه خالف الكعبة المجمع عليها المقطوع باعتبارها، وهذا فرق في غاية الجلاء، فأين المقطوع من المظنون، وأين المجمع عليه من المختلف فيه هـ. ثم ساق المسائل الثلاث الأخر وهي من هذا النمط. الثانية: منها المجتهدون في الأواني التي تختلف طاهرها بنجسها، إذا اختلفوا. والثالثة المجتهدون في الثياب التي اختلف طاهرها بنجسها إذا اختلفوا، وذكر أنه لا يأتى أحدهما بالآخر. والرابعة: إناء وقع فيه روث عصفور توضأ به مالكي، وصلى يجوز للشافعي أن يصلي خلفه ولا يضره ذلك كما لا يضره ترك المالكي البسملة وغيرها مما يعتقده الشافعي، ثم ذكر لو أنه اختلف هذا الإناء بإناء طاهر فاجتهد فيه شافعيان فاختلفا لا يجوز لأحدهما أن يقتدي بالآخر، وفرق بينه وبين اقتداء الشافعي بالمالكي المتوضئ، لأن الشافعيين مقلدان لمن يعتقد نجاسة الروث، والإجماع منعقد على أن حكم الله تعالى في حق الشافعي ومن قلده ما ظهر من اجتهاده يعتقده أن الشافعي الآخر قد أصاب ما هو مبطل لصلاته بالإجماع، ومن اعتقدنا فيه مخالفة الإجماع لا نقلده بخلاف صلاة هذا الشافعي خلف المالكي، لأن حكم الله في حق مالك ومن قلده صحة صلاته بروث العصفور إجماعاً، وأنه لم يخالف إجماعاً بل خالف قياساً مظنوناً، أو ظاهر نص غير مقطوع به. ثم قال: فتأمل هذه المسائل وهذه المباحث فهي دائرة كلها على حرف واحد، وهو من اعتقدنا فيه أنه خالف مقطوعاً به لم يجوز لنا تقليده والصلاة خلفه، وهو روح الفرق، وهو فرق جيد جداً، ولكن بعد التأمل هـ. مع بعض اختصاره.

قلت: وبما ذكره القرافي في المسألة الأولى يتضح ما ذكرناه في آخر كلام الفاكهاني الذي نقلته أنه لا يصح تخريج اللخمي الخلاف على قول أشهب في قوم صلوا في بيت مظلم لافتراق المسألتين، فلا يصح تخريج إحداهما على الأخرى، وبقوله لو اختلف هذا الإناء بإناء طاهر إلخ، يندفع النظر الذي ذكره المؤلف كما سيأتي بعد ذكره للفرع الذي نقله ابن عبد البر عن ابن حنبل، وحكايته عن القرافي في جواز التقليد في المسائل الفروعية دون الثياب والأواني. قلت: وقد علم مما تقدم مراراً أن نازلتنا ليست في ورد ولا صدر مما ذكر القرافي أنه يمتنع فيه الاقتداء، لأن

المصلي في الحجر لم يخالف إجماعاً ولا نصاً قاطعاً، ولا قياساً جلياً، ولا جرى على خلاف القواعد، هذا كله لو كان مشهور مذهبنا بطلان صلاة المصلي فيه، وأما من حيث كان المشهور الصحة كما تقدم فنحن في غنى عن الاستدلال بهذا كله. الثامن: لما كان من المستفيض عن المتأخرين أنه لا يقبل من كلام القرافي في الفروق إلا ما قبله الإمام أبو القاسم بن الشاط السبي رحمه الله في كتابه الذي سماه: أدوار الشروق على أنوار الفروق، وأردت أن أذكر كلام ابن الشاط فيما تعقب به هذا الفروق، وليعلم الناظر فيه أنه لم يتعقب من فقهه شيئاً، وإنما تعقب أموراً ترجع إلى تحقيق الفرق وبيانه وأن فقهه مسلم عنده كما يظهر من مجرى كلامه. فأقول: تعقب عليه قوله: يجوز التقليد فيها، فقال هو موهوم، ومراده يجوز الاقتداء، ثم ذكر فرق عز الدين بن عبد السلام فقال بعقبه. فقلت: الفرق الصحيح أن مسألة اقتداء المالكي بالشافعي مع أنه لا يتدلك، لا يمكن الخطأ فيها على القول بتصويب المجتهدين، أو لا يمكن فيها تعيين الخطأ على عدم التصويب. ومسألة الأواني ونحوها لا بد من الخطأ فيها، ويمكن تعيينه في بعض الأحوال هـ كلامه.

قلت: وما فرق به ابن الشاط وزعم أنه هو الصحيح نص في مسألتنا مما يصح فيها الاقتداء إذ هي مما لا يمكن فيه الخطأ أو تعيينه، وأنت خير بأن فرقه لا يخالف فرق القرافي في فقهه لأن كل ما يقول فيه بصحة الاقتداء يقول به القرافي، وإنما اختلفا فيما يفرق به بين ما يصح فيه الاقتداء وما لا، ولا شك أن فرق ابن الشاط أوضح وأبين وأقل تشعباً، وإن كان فرق القرافي مآله إلى هذا، لأن من خالف إحدى الأمور الأربعة تعين خطؤه إن انفرد وإن التبس بغيره أمكن تعيينه، والمصلي إلى غير القبلة يخالف الإجماع إلا أنه إن كان وحده لا يتعين خطؤه إلا بعد ظهور الدليل، وإن كان اثنان وصلى كل واحد إلى جهة فأحدهما يخالف للإجماع، ويمكن تعيينه بظهور الأدلة إذ لا يمكن كون القبلة في جهتين، والمنصف يعلم أن فرق ابن الشاط وإن كان حسناً، فالقرافي هو الذي نهج له الطريق في تحقيق ذلك وبسيره اقتدى في تبين ما هنالك، فله فضل السبق في استنباطه، والآخر له فضل التتبع في تحقيقه وتبيينه، ثم ذكر فرق القرافي، ثم قال ما نصه: قلت: الفرق إنما ينبغي أن يكون من لوازم أحد الأمرين المفرق بينهما وذلك موجود فيما ذكر ولا فيما ندري. قال في المسائل: صحيح بناء على ما قرر، وهو أن الفرق مخالفة الإجماع في أحد الطرفين ذلك صحيح، غير أن الإجماع إنما انعقد

في أحد الطرفين دون الآخر لتعين المناط في مسألة الأواني، وعدم تعيينه في مسألة البسمة ونحوها، هـ كلامه بحروفه، ولم أترك شيئاً مما تعقب به هذا الفرق.

قلت: وما ذكره من انعقاد الإجماع في أحد الطرفين دون الآخر فيه عندي شيء إن كان معناه ما فهمته، وهو أن مسألة القبلة أحدهما مخطئ بالإجماع دون ترك البسمة لتعين المناط في الأولى دون الثانية، لأننا نقول أن عدم تعيين المناط في مسألة البسمة لا يمنع انعقاد الإجماع، فإن مراد القرافي كما يظهر من كلامه أن مسألة البسمة ونحوها، وإن لم يتعين فيها المناط بالإجماع منعقد على أن حكم الله فيها في حق كل واحد ما أداه إليه اجتهاده فيها، وكذا كل من قلده. وإذا كان كذلك فالإجماع منعقد في كلا الطرفين، إلا أن مستنده في الطرفين مختلف، ولا ضرر في استناد الإجماع إلى أمر مظهر كما نص عليه الأصوليون وإن كان معنى ما يذكره غير ما فهمته، فليبين من فهمه وجه كون الإجماع منعقداً في أحد الطرفين دون الآخر، والله أعلم. التاسع: وأما كلامه في كتاب الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام فقد قال في آخر السؤال الثامن والثلاثين ما نصه: مسألة بعيدة الغور معضلة، نقل الشافعية أنها سئل عنها الشافعي رحمه الله ولم أرهم نقلوا جوابه فيها، وهي أن المقلدين لأرباب المذاهب يجوز أن يصلي بعضهم خلف بعض، وإن كان كل منهم يعتقد أن مخالفه فعل ما لو فعله هو لكانت صلاته باطلة، كمن مسح بعض رأسه أو ترك البسمة أو التدلك في الطهارة ونحو ذلك، وكذلك يجوز لأحد المجتهدين في هذه المسائل أن يصلي خلف من يخالفه من المجتهدين. ويحكي أن ذلك جائز إجماعاً وأن الخلاف فيه مسبوق بالإجماع، ثم انعقد الإجماع على خلاف ذلك في المجتهدين في الأواني والقبلة والثياب المختلط نجسها بطاهرها ونحو ذلك إذا أدى اجتهاد أحد الشخصين إلى خلاف ما أدى إليه الآخر أنه لا يجوز تقليده له ولا أن يصلي خلفه لأنه يعتقد بطلان صلاته باعتبار ما خالفه فيه، فما الفرق بين البابين؟ لم ينقل عن الشافعي، رحمه الله، فيها جواباً. وأجاب بعض متأخري الشافعية بأن القسم الأول لو منعنا الاقتداء منه لأدى إلى تقليل الجماعات لعموم موانع الاختلاف في تلك المسائل وكثرتها بخلاف القسم الثاني فالاختلاف فيه نادر، فمنع الاقتداء فيه لا يفضي لذلك وهو ضعيف فإن مصلحته للاقتداء إن كانت لا يبطئها الخلاف في الاجتهاد وجب تجويزها في الجميع، وألا فيمتنع في الجميع، ولأنه فارق وبحث لا يشهد له شاهد بالاعتبار.

والجواب الحق أن فقه المسألة أن الله تعالى شرع لكل فريق من المخالفين في مسألة مسح الرأس ونحوها ما أدى إليه اجتهاده وجعله شرعا مقررًا في نفس الأمر، كما جعل الحل في الميعة للمضطر وتحريمها على المختار حكيمين ثابتين في نفس الأمر لفريقين بالإجماع، وجعل الله تعالى الظنين في حق المجتهدين كالوصفين من الاضطراب والاختيار في حق المكلفين بالنسبة إلى الميعة. أما المجتهدان في القبلة ونحوها فقد أجمعا على أن ثم حكماً معتبراً في نفس الأمر، وهو القبلة أو الطهورية، وأن تركه خطأ بإجماع الفريقين إذا تعين، وكل واحد من الفريقين غلب على ظنه أن مخالفه مخالف للإجماع امتنع تقليده إجماعاً، ولذلك ينتقض ما خالف الإجماع المنقول بخبر الآحاد أو القواعد أو النص، وإن كان ذلك مظنوناً فهذا قاعدة انعقد الإجماع على اعتبارها، ولا يقطع باعتباره وهو معارض البتة، فلم يمكن تقليده من يخالفه في ظننا، وفي الأول لما تقابلت الظنون أمكن أن يكون كل ظن معتبراً في حق صاحبه، ولذلك تقرر شرعا عاما في حق ذلك المجتهد وحق من قلده إلى يوم القيامة، سواء فرعنا أن كل مجتهد مصيب أم لا، ونظيره لو اجتمع شافعيان يعتقدان أن نجاسة الأرواث، واجتهدوا في ثوب نجس بالأرواث لم تجز صلاة أحدهما خلف الآخر، وتجوز صلاته خلف المالكي المعتقد طهارة ذلك الثوب، بسبب أنهما اجتمعا في الأول على عدم تقليد مالك والصلاة بالروث مع عدم تقليد من يعتقد طهارته باطلة بالإجماع، فامتنع تقليده له لأنه غلب على ظنه أنه خالف الإجماع وكذلك ماء نجس لم يتغير غير أنه أخذ من ماء دون القلتين إن كان شافعي امتنع، أو مالكي وشافعي جاز، فضابط هذا الباب أبداً أنه متى كان المقلد فيه على خلاف الإجماع في ظن المقلد امتنع وإلا جاز، وهو سر الفقه في المسألة فتأمل. هـ بكماله ولم يختصر منه شيئاً لحسنه وهو أئین وأوضح من كلامه في الفروق، وبه يتضح ما ذكرناه من كون الإجماع منعقداً في الطرفين لا كما زعمه ابن الشاط، وهو صريح في قوله، ومن غلب على الظن أنه مخالف امتنع تقليده إجماعاً، والحاصل أن كلام القرافي في المسألة هو المعتمد عند المتأخرين وتلقوه بالقبول. العاشر: وممن تبعه قاضي الجماعة أبو عبد الله المقرئ في قواعده فقال ما نصه: قاعدة القرافي لا يجري القول بأن كل مجتهد في القبلة لتعارض أدلة الأحكام دون أدلة القبلة، فلا يقع فيها الخلاف فيها بين عالمين، لكن بين عالم وجاهل. قلت: ومن ثم قال المالكية لا يأتى، بخلاف من يوجب الفاتحة مثلاً لمن لا يقرؤها، وأصل القاعدة أن تعيين الحكم يمنع تعدد المصيب وبالعكس كأحد

الإناعين والثوبين، وكالعقليات ونحو ذلك، ومن قال المصيب واحد إنما قاله لأن اعتقاده أن الله عز وجل، في الاجتهاديات أحكاماً معيّنة أمر المجتهدين بالبحث عليها، وقدرهم بعد استفراغ الوسع بعدم إصابتها بل آجرهم على بذل جهدهم في طلبها، وهو الأقرب. ومن قال: كل مجتهد مصيب فما قاله إلا على الاعتقاد أن لا حكم إلا ما ظن المجتهد فيها، والأحكام تابعة للمظنون، وليس في نفس الأمر حكم معين، وهذا يقول حكم الله عز وجل في هذه الواقعة التحليل والتحريم لشخصين أو لشخص في وقتين هـ كلامه.

قلت: وإذا تأملت كلام المقري وجدته زبدة كلام القرافي في الكتابين وموافق لكلام ابن الشاط غير مخالف لكلام القرافي عند التحقيق. وقوله: ومن ثم قال المالكية إلخ نص في نازلتنا وشاهد لها بالأولوية لأن الحكم فيها ليس بمعتين، ولا الخلاف فيها كالفتحة التي مثل بها والله أعلم. الحادي عشر: ومن تكلم على المسألة وأجاد حافظ المغرب من المتأخرين وإمام المحققين، شيخ مشايخ مشايخنا سيدي أبو العباس أحمد المنجور في شرحه لكتاب المنهج المنتخب إلى نظم قواعد المذهب، وجامعه الشيخ أبو الحسن علي بن قاسم بن محمد التجيبي الشهير بالزقاق⁽¹⁾ فقال في شرح قول الناظم:

[رجز]

هل كل من له اجتهاد واحد فيما يظن نسبة أو واحد

ما نصه: أي هل كل مجتهد في الفروع الظنية مصيب، أو المصيب واحد لا بعينه، اختلفوا فيه ومن ثم أجمعوا على إجزاء صلاة المالكي خلف الشافعي وبالعكس، وإن اختلفوا في مسح الرأس وغيره من الفروع. حكى هذا الإجماع المازري واعتذر عن قول أشهب: من صلى خلف من لا يرى الوضوء من القبلة أعاد أبداً فإنه رأى الوضوء من القبلة كالأمر القطعي، وقوى اعتذاره بقول أشهب بخلاف مس الذكر لأنه رآه ليس كالقطعي، وخرج اللخمي الخلاف في جواز ائتمام أهل المذاهب الفرعية الظنية من قول أشهب ابن راشد. وفيما قاله المازري نظر، ومن أين لأشهب دليل قطعي على وجوب الوضوء من القبلة، وقد قال ابن

(1) أبو الحسن علي بن قاسم الزقاق التجيبي، فقيه علامة، ألف لامية في الأحكام معروفة بلامية الزقاق، توفي سنة 912 هـ: شجرة النور الزكية 1: 396.

الخطيب في محصولة: الدلائل السمعية لا تفيد اليقين إلا بنفي تسع احتمالات، وما أظن ذلك بموجود. نعم مراتب الظنون تقوى وتضعف، وبالجملة استقرار اللخمي صحيح.

ابن عبد السلام ليس هناك إجماع، وقد نص الشافعية على الخلاف عندهم في ذلك، بل ظاهر كلام المازري في كتاب الأقضية وجود الخلاف في ذلك لأن في العتية عن ابن القاسم: لو أعلم أن أحداً لا يقرأ في الركعتين الأخيرتين ما صليت خلفه. ابن عرفة: هب أن المازري اعتذر عن قول أشهب فيما يعتذر به عن قول سحنون: من ائتم بمن لا يرى الوضوء من القبلة أو مس الذكر أعاد ما لم يطل. ابن عرفة: فالإجماع المذكور في المخالف هو من حيث اعتقاده لا من حيث تركه ما يوجب المأموم، فهذا هو المخرج فيه، وكذا لابن عبد السلام، وعليه إذا اختلف اجتهد الرجلين في القبلة أو الأواني أو الأثواب التي بعضها نجس هل يؤم أحدهما الآخر أم لا. ابن الحاجب في القبلة: وإذا اختلفا لم يأتما. ابن عبد السلام: هذا بين، وهو أبين منه في مسألة الأواني إذا كثرت. ابن راشد: رأيت في بعض كتب المالكية جواز الائتمام مع كراهة، فيصلح كل واحد إلى الجهة التي أداه إليها اجتهداه هـ. ثم ذكر كلام المقرئ المتقدم وبعض كلام القرافي المتقدم غير منتقد لشيء منه، وذكر كلام الونشريسي في إيضاح المسالك، وسأذكره بعد هذا. وتنظير ابن راشد في قول المازري مدفوع بأن المازري إنما قال إن أشهب يراه كالقطعي، ومستنده ما تقدم في كلام الفاكهاني أنه يرى القبلة من اللمس الذي جاء به القرآن، فإذا كان أشعب يرى بالأدلة الصحيحة عنده أن القبلة من اللمس المذكور في القرآن، فهو عنده كالقطع، ويحتمل أن أشهب لا يسلم ما قال ابن الخطيب، وعلى تقدير تسليمه، فقد يكون أشهب ظهر له ما ينفي الاحتمالات التسع، وعلى كل حال فالمازري لم يقل إنه أمرٌ مقطوع به إنما قال إن أشهب يراه كالقطعي، وليس فيما ذكر ابن راشد ما يدل على أن أشهب لا يراه كالقطعي، وإنما يدل على أنه ليس قطعياً، وفرق بين قولنا هو أمر قطعي، أو أشهب يراه كالقطعي، فإذا احتمل أن يكون أشهب يراه كالقطعي صح اعتذار المازري، ولو لم يصح كونه قطعياً، يظهر ذلك بالتأمل. قلت: وإن كلامه نص في جواز مسألتنا وغيرها من الفروع التي يقع فيها الخلاف من غير تقييد بشرط أن لا يراه يفعل ما ينافي ما في مذهبه، وما صدر بهذا حتى ارتضاه كما هو ظاهر كلام غيره أيضاً،

وعليه يحمل كلام صاحب المختصر كما ذكره جمع من شراحه، وقد تقدم هذا وما عقبه به مما يقدح في الإجماع لا يقدح في كون هذا هو مشهور المذهب، لأنّ التراجع إنما هو في كونه مجمعاً عليه أو محل خلاف، وعلى تسليم الخلاف فليس في كلام المثبتين ما يدل على تشهير المنع، وهاهنا نكتة تقوي الصحة في مسألتنا بالخصوص، وذلك أن أقوى ما استدل به مثبتو خلاف قول أشهب بالإعادة خلف من لا يرى الوضوء من القبلة، وقد تقدم أن قول أشهب في الصلاة في الحجر الجواز بلا منع، فليست هذه المسألة عند أشهب داخلية في المخالفة أصلاً. وإذا كان كذلك فهي داخلية في الإجماع لا يتطرق إليها اختلاف أشهب كيف وأشهب يقول بخلاف مس الذكر فإنه لا يرى الإعادة على من صَلَّى خلف المخالف فيه، ولا يشك منصف أن الصلاة في الحجر عنده أخف من مس الذكر، بل وعند غيره، لأن مشهور المذهب أن مس الذكر عندنا ناقض مبطل للصلاة بخلاف الصلاة في الحجر. وأما قول ابن عرفة بم يعتذر المازري عن قول سحنون إلخ، أقول: إن قول سحنون لا يدل على بطلان الصلاة، بل يدل على الصحة لأن قيد الإعادة عدم الطول، وذلك يدل على صحة الصلاة عنده، وإلا لقال بالإعادة أبداً. وأما قول ابن القاسم في العتبية: لو أعلم أن أحداً لا يقرأ في الركعتين إلخ، فلا نسلم أن قوله: ما صليت خلفه، يدل على بطلان صلاة المصلي خلفه، لأنه إنما ينبغي أن يصلي خلفه، وذلك لا يدل على بطلانها لاحتمال أن يرى ذلك هو مكروهاً أو ثقيلاً عليه، أو أنه خالف الأولى عنده، وقد علم من ديانة ابن القاسم وورعه واحتياطه في دينه ما يمنعه من ارتكاب المكروه، وخلاف الأولى، ويصير ذلك كالمنوع في حقه تورعاً. هذا إن لم ينقل عنه سوى هذا اللفظ، ولو نقل عنه ما يكون صريحاً في البطلان فلا يبعد أن يكون ذلك عنده مخالفاً للقطعي فلا يكون داخل في الإجماع، لأن دليل القراءة في الأخيرين في غاية القوة والوضوح والصحة، وكل من يخالف فيه من أرباب المذاهب لا يبعد أن يعد خلافه من الخلاف الضعيف الذي ينقض معه حكم الحاكم، وهو خارج عن محل الإجماع، وإنما الخلاف عندهم هل تتعين القراءة بالفاتحة أو بما تيسر من القرآن. وأما ترك القراءة فيها أصلاً للفظ والإمام فلا. وهذه الأقوال الثلاثة، وهي أشهب وسحنون وابن القاسم هي التي خدش بها الإجماع، وقد ذكرنا محاملها حتى أنها لا تتناول مسألتنا، وما يقرب منها من الفروع الظنية، والله الموفق للصواب.

الثاني عشر: قال الإمام المحقق حافظ المغرب في أوانه، وجامع شوارده المتفق عليها والمختلف فيها، سيدي أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي في كتابه: إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك ما نصه: قاعدة: كل مجتهد في الفروع الظنية مصيب، أو المصيب واحد لا بعينه، اختلفوا فيه، ومن ثمَّ أجمعوا على إجزاء صلاة المالك خلف الشافعي وبالعكس، وإن اختلفا في مسح الرأس وغيره من الفروع، ثم قال: تنبيه: قد تقرر في مذهبنا أنه لا يجوز تقليد أحد المجتهدين الآخر في مسألة الأواني والقبلة، وجاز ذلك في أكثر المسائل الفروعية. وقيل إن الشافعي سئل عنها فلم يجب، ثم ساق جواب العز ابن عبد السلام وقبلة وارتضاه، ثم ذكر كلام القاضي أبو الدعائم سند بن عنان، ثم قال: فائدة، وذكر فيها الحكاية التي ذكر ابن رشيد في رحلته فيما وقع بينه وبين ابن دقيق العيد في قراءة المالك بالبسملة أول الفاتحة، وأن المازري كان يعد ذلك خروجاً من الخلاف، والحكاية مشهورة فلا نطيل بذكرها. ثم ذكر جواب القرافي عن المسألة التي سكت عنها الشافعي ولم يتعقبه، وقد تقدم هذا، حاصل ما ذكره الونشريسي في هذه القاعدة، وقد تقدم لنا من الكلام في مواضع ما يغني عن بيان دلالة على جواز نازلتنا، والله الملهم للصواب.

الثالث عشر: قد نقل المواق عند قول صاحب المختصر: ولا يقلد مجتهد غيره ما نصه: عبد الوهاب إن اختلف مجتهدان لم يأتما. اللخمي: اختلف في هذا الأصل في صلاة المالك خلف الشافعي والعكس. أبو عمر: سئل أحمد بن حنبل عن رجل صلى وعليه جلد ميتة فقال: لا بأس بالصلاة خلفه، إذا تأول قيل له: أفتراه أنت يطهر؟ قال: لا. قيل: فكيف يصلي خلفه وهو مخطئ؟ قال: ليس من تأول كمن لا يتأول. ثم قال: كل من يتأول شيئاً عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أو عن أحد من أصحابه فيذهب إليه، فلا بأس أن يصلي خلفه، وإن قلنا نحن بخلافه من وجه آخر. ثم ذكر حكاية إمام الحرمين وتقدمه عبد الحق الصقلي المالك في الصلاة لما اجتمع به بمكة وقال له: البعض يدخل في الكل، يعرض له بمسألة الرأس. ثم ذكر قول القرافي في المسائل الفروعية: يجوز التقليد فيها من أحد المجتهدين فيها للآخر بخلاف الأواني والثياب، ثم قال: انظر قوله في الثياب مع قول ابن حنبل في جلد الميتة هل بينها وبين اختلاط الطاهر بالنجس فرق هـ كلامه.

قلت: أما قول عبد الوهاب إن اختلف مجتهدان لم يأثم، فالظاهر أنه إنما قال ذلك في المختلفين في القبلة، ولذلك نقله الشارح في القبلة، وقد فحصت على هذا الكلام في كتاب المعونة فلم أراه فيه، ولعله في غيره، وعلى تسليم عمومته في المختلفين فهو حيث يرى كل واحد منهما أن صاحبه مخالف للقطعي كالمجتهدين في القبلة والأواني، وإن حملناه على غير ذلك فلا بد من تقييده بالاختلاف في الشروط والموانع المبطلّة. وأما قول اللخمي: اختلف في هذا الأصل إلخ. فمعناه اقتداء المجتهد بالمجتهد المخالف به والمقلد بالمقلد المخالف، وما نقل أبو عمر عن ابن حنبل موافق لقول جماعة في جواز التقليد مطلقاً، ووجهه بين. وأما حكاية أبي المعالي فلا تدل على الجواز مطلقاً لاحتمال أنه إنما قدمه لكون مسح كل الرأس مخالفاً لبعضه كما ذكر، ولا على المنع مطلقاً، لأن المخالفة ليست محصورة في مسح الرأس لأن الشافعي يوجب البسمة ولا يوجبها المالكي، وغير ذلك. وما قوله: انظر إلخ، فإنه ذهول منه، رحمه الله، وهل حقق القرافي في الكتابين إلا ذلك، فقول القرافي المتقدم ونظيره لو اجتمع شافعيان يعتقدان نجاسة الأرواث إلى آخر ما ذكر في آخر المسألة المنقولة من كتاب الأحكام هو نص في الفرق الذي نظر فيه المواق رحمه الله، ولذلك أشرنا إليه عند نقلنا لكلام الفروق.

خاتمة: فإذا تأملت نصوص الأئمة وتطبيقنا إياها على النازلة وتبين ما أشكل منها وتوجيه ما خفي منها^(١) على مدر بضاعتي المزجاة علمت أن تحصيل المسألة في تقليد المخالف في الفروع الظنية أقوال أحدها، وهو أشهرها، الجواز مطلقاً، وهو الذي حكى عليه المازري الإجماع على ما فيه، وهو ظاهر كلام المختصرين، كابن الحاجب، وصاحب المختصر وغيرهما، وهو أسعد بظاهر النقول وبقواعد أصول الدين. ثانيهما: طريق القرافي في كتاب الفروق وفي كتاب الأحكام، وهو الجواز مطلقاً، إلا فيما خالف إجماعاً أو نصاً قاطعاً أو قياساً جلياً، أو القواعد، ولا يبعد أن يكون ذلك هو قصد المازري أيضاً لاعتذاره عن أشهب في القبلة بأنه رآه كالقاطع، فعلم أن ما خالف القاطع عنده ليس من الجواز في شيء، بل يتعين حمل كلامه على ذلك، لأن الكلام إنما هو في المخالف في الفروع الظنية وما فيه إجماع أو نص قاطع ليس من الظن في شيء، فالإجماع عنده إنما قام على صحة الاقتداء بالمخالف في الفروع التي مدركها ظني. وأما ما مدركه قطعي فيلغي خلاف

(١) ساقط من ط.

المخالف فيه، فعلى هذا فطريقه وطريق القرافي شيء واحد، ويكون كلام القرافي كالبيان لكلام المازري، إلا أنه يبقى النظر فيما خالف القواعد والقياس الجلي هل يلتحق عند المازري بما خالف القاطع فيكون خارجاً عن الإجماع، أو يكون سبيله سبيل ما كان المدرك فيه ظنياً إن لم يخرج بعد عن رتبة المظنون ولا وصل إلى حد القطع الذي لا يعتبر غيره. ثالثها: طريق سند وهي الجواز إذا كانت مخالفتها في الشروط اعتقاداً لا فعلاً، وقد تقدم شرحها، وأن كلامه المنقول إنما يدل على الإجماع إذا كانت المخالفة اعتقاداً والخلاف إذا كان فعلاً. رابعها: طريق العوفي، وهو المنع إذا خالف فيما هو من شروط الاقتداء، وقد تقدم تقريرها أيضاً، وبقي طريقان آخران ربما يفهمان من عموم كلام بعض المصنفين ولم أر من صرح بهما، بالخصوص أحدهما، وهو الجواز مطلقاً، ولو خالف قطعياً فإنه ربما يفهم من كلام المختصرين والمصنفين في القواعد كالمقري والونشريسي. وثانيهما المنع مطلقاً بمجرّد المخالفة، ولو وقع الاتفاق في الشروط والواجبات، وربما يفهم من قول من يطلق الخلاف من أهل القواعد، فيقول اقتداء المالك بالشافعي مسألة خلاف بالجواز والمنع. ولا أظن أحداً يقول بهذا إذ لا وجه له فقها وتفقهها. والصحيح الذي لا محيد عنه أن الأقوال الأربعة المتقدمة المتوسطة بين الطرفين كلها مقبولة لها وجوه في النظر والنقل، وأقربها الأول ثم الثاني إن لم يكونا قولاً واحداً، ثم الثالث، ثم الرابع، والقولان الأخيران غير معتبرين سيما الأخير منهما.

وأما نازلتنا فقد علم أن الصلاة فيها صحيحة على الأقوال الأربعة في مشهور المذهب أن صلاة المصلي في الحجر صحيحة، سواء قلنا إنها ممنوعة أو مكروهة، فضلاً عن كونها جائزة، وإذا قلنا إنها باطلة إذا تعمدتها كما هو مذهب ابن حبيب وأصبغ وبعض البغداديين، وهي صحيحة أيضاً إلا على قول سند، إن وجد في كلامه ما يدل على ما نسبوه إليه، فمجموع التقريرات المعتبرة فيها ستة عشر تقريراً، تبطل في واحد منها وتصح في الباقي، وبيان ذلك أن كل واحد من الأقوال الأربعة له أربع تقريرات فعلى قول المازري يصح الاقتداء، سواء قلنا أنها جائزة أو ممنوعة أو مكروهة أو باطلة، وكذا قول القرافي أيضاً في الأوجه الأربعة، وكذا قول العوفي في الأوجه الأربعة، وكذا قول سند إذا قلنا إنها جائزة أو ممنوعة أو مكروهة، وإن قلنا إنها باطلة فتبطل على قوله، وهو التقرير السادس عشر، وأي مشهور أقوى مما يصح على خمسة عشر تقريراً، وبطل على تقرير واحد بعدما

اعتضد به من حكاية الإجماع الشامل له، ولغيره مما هو أولى منه بالمنع، والله الهادي إلى الصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله: ومن المزارات المشهورة بمكة دار الأرقم^(١) التي اختفى فيها النبي، صلى الله عليه وسلم، وفيها كان إسلام عمر، وخبرها مشهور في السير، وهي الآن مسجد قرب الصفا. ومنها موضع بسوق مكة يسمى المودع، يقال إن فيه ودّع النبي، صلى الله عليه وسلم، أهل مكة لما أراد الخروج إلى المدينة في حجة الوداع، وهو مكان مشرف تظهر منه بعض أستار الكعبة، وليس في أسواق مكة محل تظهر منه الكعبة إلا هذا، فيقف الناس فيه للدعاء. وقريب من هذا المكان رباط ينسب للشيخ عبد القادر الجيلاني يسكنه الفقراء، وله أوقاف، وبه قبور تُزار، لا أتُحقق أصحابها. ومنها مسجد الجنّ، وهو بأعلى مكة بجانب الطريق بين الدور، وفيه شجرة، يأوي إليه الفقراء، ويستظلون فيه، وهو المكان الذي جاء فيه الجنّ إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، وأسلموا. ومنها مولده، صلى الله عليه وسلم، وقد تقدّم ذكره. ومنها دار خديجة^(٢) ومولد فاطمة^(٣)، ومنها مولد علي، ومنها دار أبي بكر^(٤)، وكل هذه اتخذت مساجد. ومنها حجر في بعض أزقة مكة مبني في جدار فيه أثر مرفق يقال إنه مرفق النبي، صلى الله عليه وسلم.

ومنها شِعْب أبي طالب الذي انحاز إليه هو وبنو هاشم، وخبره مشهور في السير. ومنها جبل أبي قبيس يشرف منه على مكة كلها، والمسجد والبيت وفيه مغارة يقال إن فيها قبر آدم، والحجاج يشترون من مكة رؤوس الغنم المشوية ويصعدون إليه يأكلونها فيه، ويزعمون أن من فعل ذلك أمن من وجع الأسنان والرأس. ومنها قبل على الجبل الذي على يسار الذهاب إلى السبيكة، يقال إن فيها مولد عمر رضي الله عنه.

وأما المقابر فالحجون كلها مزارات، وأشهر المزارات فيه قبة فيها قبر أم المؤمنين خديجة، رضي الله عنها، وقبة فيها قبر الفضيل بن عياض وغير ذلك، ومحوط فيه قبور كثيرة للأئمة من العلماء الغرباء، قرأت على حجر فيه: هذا قبر

(١) دار الأرقم المخرومي، وهي الدار المعروفة بدار الخيزران عند الصفا، والمقصود بالزيارة منها هو المسجد الذي فيها، وهو مشهور، شفاء الغرام، ص: 274.

(٢) دار خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، رضي الله عنها، تقع بالزقاق المعروف بزقاق الحجر بمكة، ويقال أيضا زقاق العطارين: شفاء الغرام، ص: 272.

(٣) هي نفس الدار السابقة كما ذكر التقي الفاسي: شفاء الغرام، ص: 272.

(٤) بني على هذه الدار مسجد في المحرم من سنة 623 هـ: شفاء الغرام، ص: 274.

الإمام القشيري، وهذا غريب إلا أن يكون نقل بعد موته إلى هناك فلم نرَ أحداً من المؤرخين ذكر أنه مات بمكة. وعلى حجر آخر قبر أبي حامد بهاء الدين السبكي وجماعة كثيرة.

وبأسفل الحجون بجانب الطريق قباب كثيرة غالبها للشرفاء من أمراء مكة. ومنها قبة سامية عالية يقال لها قبة أبي طالب، وعوام الغرباء يظنونها قبة أبي طالب عم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبعضهم يقول أبو طالب المكي، فسألت أهل العلم بمكة، فأخبروني أنه أمير من أمراء مكة المتأخرين من أشرافها من آل أبي نمي اسمه أبو طالب^(١). قالوا: وكان في حياته شجاعاً مقداماً فاتكاً، دَوَّخَ بلاد الحجاز وقهر عربانها غاية القهر، وأهل نجد وتمامة إلى الآن يؤرخون بموته فيقولون: كان هذا في زمان أبي طالب. قالوا: وكان سفاكاً للدماء، ومع ذلك كان حسن السيرة، ولم يكن أحد يأنه بالولاية لما هو عليه من الفتك والبطش، إلا أن بعض أهل الكشف كان يقول: هو مظهر من مظاهر أسمائه تعالى القهرية أقيم في مقام الجلال، فلما توفي ظهرت له كرامات كثيرة وصار قبره من أعظم المزارات. فمما ظهر له أنهم قالوا: جلس جماعة من القراء حول قبره يقرؤون القرآن قرب موته كما هو عادتهم، وبين أيديهم شمعة تضيء ليل فوقعَت إلى الأرض، فانطفئت، فتحيروا ولم يجدوا من يوقدها لهم، فانشق القبر عياناً وخرج منه فأوقد لهم الشمعة ورجع. أخبرني بذلك ثقة وزعم أنه مستفيض عندهم. ومنها أن بدويًا خرج من مكة بقفص عنب، فلما وصل قبره تذكر حاجته بمكة، فوضع القفص ورجع، فجاء سارق ليأخذه، فبيست يده والتصقت بالقفص وبقي واقفاً عنده حائراً إلى أن جاء البدوي فرأى ذلك، فلما علم الأمر قال على حسب نيته: جد يا أبا طالب، جد يا أبا طالب، أطلقه الآن فقد قضيت حاجتي، فانطلقت يد السارق وذهب.

ومن المزارات قبر القطب الولي الشهير الذكر عند أهل مكة وأعرابها سيدي عمر العربي، وغالب السائلين بمكة والمستصرخين إنما يهتفون باسمه، وأهل البادية تسمع الرجال منهم والنساء يقولون: شيء لله يا عربي، وهو عندهم عظيم القدر

(١) أبو طالب بن الحسن بن محمد بن بركات، أمير الحجاز نيابة عن أبيه ومستقلاً بها بعد وفاة والده سنة 1010 هـ، ولد سنة 965 هـ، كان حسن الهيئة شديد الهيئة، توفي سنة 1012 هـ: خلاصة الأثر 1: 131. تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص: 337.

شهير الذكر، وحق له ذلك، فإنه كان من أئمة الطريق رضي الله عنه. ومزارات مكة كثيرة جدا فلنقتصر على هذا المقدار منها. وقد زرت جميع ما ذكرت هنا، لكن سقت أخبارها مختصرة.

ولما استهل شهر ذي الحجة غصت مكة بالوفود وكثر الناس بها كثرة ما رأينا مثلها في غير هذه السنة، وحج خلق كثير من أهل اليمن وأطراف نجد والحجاز لأن السنة كانت مخصبة، فسهل عليهم ذلك وهم أكثر الناس في هذه السنة، وإن كان الأفقيون أيضاً في غاية الكثرة إلا أن رحاب المسجد وأفنيته والشعاب إنما امتلأت من هؤلاء، فتهياً أهل مكة للخروج من أول الشهر، وخرج غالب أهلها حتى العواتق وذوات الخدور، وبالغوا في انتقاء الفرش والمراكب للزينة ولذيد الأطعمة كما هي عادتهم وخروج غالبهم إلى عرفات في اليوم السادس، ويقيمون بها السابع والثامن، وتكون لهم فيها سوق عظيمة حافلة لا يرى مثلها، يجلب طرائف الأطعمة، كما هو عادتهم، من الفواكه وغيرها من كل مكان، وأحرم بعض الناس من أول الشهر، وغالب القادمين من الآفاق من قبل ذلك بقوا على إحرامهم لأنهم أحرموا بالحج، وغالب الناس إنما يحرمون يوم خروجهم. وأما أنا فأحرمت ليلة الجمعة السابع من الشهر قارناً، ونويت الاعتكاف في هذه الليلة ويومها، وجمع الله لي بين عبادات قلما تجتمع من حج واعتكاف وصوم، وأقمت بمكة إلى ضحى اليوم الثامن، فخرجنا من مكة راجلين بلا دابة وقلت لأصحابنا: قد حججنا مراراً ركبنا فتعالوا بنا نحج في هذه المرة مشاة لتمكن ذلك لنا لخفة الحال وقلة الأتباع، وليست عندنا دواب تشوشنا، ولا خباء يثقلنا، فنأوي إلى المساجد والكهوف فنجعلها حجة صعلوكية عسى الله أن يرحمنا بالتزبي بزي الفقراء والضعفاء، فخرجنا يحمل أصحابنا زادنا على ظهورهم وأدواتنا، ولم نخرج معنا ما يثقلنا لتمكن شراء المحتاج إليه في كل مكان، فوصلنا إلى منى ظهراً، ونزلنا بمسجد الخيف⁽¹⁾ مختلطين بالفقراء، وطاب وقتنا وخفت ظهورنا، وكنا في غير هذه المرة لا نتمكن مما نريد من الجلوس في المساجد والتطواف على القانتين بها، فبتنا بالمسجد ليلة مباركة، ولم يكن به إلا طوائف قليلة من الفقراء للذهاب كثير من الناس إلى عرفات كما هو شأنهم من إماتة هذه السنة؛ وهي البيات بمعنى، فلما كان الغد خرجنا قرب طلوع الشمس وذهبنا إلى عرفات فلم نصل إلى نمرة حتى اشتد

(1) مسجد الخيف، يقع بمنى، وهو مسجد عظيم الفضل: شفاء الغرام، ص: 265.

الحر وتعبنا واستقينا من المشعر ماء للاغتسال بعرفة، وآوينا إلى ظل جدار من جدران المسجد، ووجدنا الماء كثيراً في أبواب المسجد سبله بعض أرباب الدولة، جزاه الله خيراً، يبعث راوياً، حتى إذا فرغت بعث غيرها لا يزداد عنها شارب ولا متطهر إلى أن صَلَّى الناس وذهبوا إلى الموقف ولم يعهد ذلك في غير هذه السنة، فقدمنا على تحمل المشقة في استصحابه، وكان شيخنا أبو مهدي نازلاً في رواق مظلل لبعض أصحابنا التونسيين، فذهبت إليه وَقِيلْتُ عنده وقرأت عليه هناك أحاديث الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة حسبما تقدم في ترجمته، ولما زالت الشمس وجمعنا الصلاتين ذهبنا إلى الموقف في حر شديد ما رأيت طول عمري مثله، وبلغ مني الجهد غاية، وتذكرت حر القيامة فكنت كلما عزمت على الجلوس في مكان جددت ذكره، فتحاملت فكنت أنظر يميناً وشمالاً عسى أن واحداً أعرفه فأوي إلى خبائه، فمن الله علي، فلم أرَ أحداً، وتحاملت على أشد ما يكون من التعب ومقاساة الحر الشديد، سيما بعد أن دخلنا مزدحم الناس وانضغاطهم وامتزاج حرارة أنفاس الحيوانات بحرارة الشمس، وثوران غبار الأقدام على الرؤوس، حتى لا يكاد الإنسان يشك أنها نار تلظى، إلا أنها بحمد الله لا يصلها إلا السعيد الذي آمن وأقبل على الله تعالى، وتحاملنا في ذلك الحر مع المشقة التامة إلى أن وصلنا إلى موقف النبي، صلى الله عليه وسلم، وما عرفناه قبل هذه السنة، وبعث معنا شيخنا أبو مهدي رجلاً دلنا عليه، وهو تحت موقف الإمام اليوم في أصل الجبل على صخور مفترشة، وبنى على تلك الصخور محوط شبه مسجد، فوقفت فيه⁽¹⁾ ساعة، فغلبت ثم جلست إلى أن فات وقت العصر، وقضيت الوظيف المعهود من الدعاء والاستغفار والتكبير والتهليل والصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، فخرجنا عن مزدحم الناس، وطلبت هدياً اشتريته لقراي وتمتعي لأذبحه بمكة، فلم يتيسر ذلك، وتأخرت إلى أن اشتريته بمكة وأرسلته إلى الحل، ثم ذبحته بمكة، ولم نزل بقية يومنا ندعو ونكبر، واشترينا لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، فتروينا منه للسنة.

ولما كان قرب الاصفرار نفرت محامل الأمراء والجند، وذهب معه حطمة الناس، وتلك عادتهم لا ينتظرون الغروب في الموقف، إلا أنهم في الغالب لا يتجاوزن الحل إلا بعد الغروب. وأما الجمالون ومن في معناهم فيرحلون بعد

(1) في ط: به.

الزوال، فيذهبون بلا حج إلا على قول من قال إن الوقوف بعد الزوال، وإن لم يكن فرضاً، يقوم مقام الفرض، وما تقرنا نحن إلا بعد الغروب وإقبال الليل، فنفرنا مع أواخر الناس على أشد ما يكون من التعب، فلم نصل إلى مزدلفة حتى قاسينا من التعب ما لا مزيد عليه، وجمعنا العشاءين، وصعدنا إلى جبل قزح وبتنا عليه تنحياً عن مواطئ الأقدام ومواضع الأداء، وبتنا حتى أصبحنا، ووقفنا إلى قرب الطلوع بالمشعر الحرام، ثم سرنا رويداً بنجر الأقدام على الأرض جرّاً، فما وصلنا مسجد الخيف حتى اشتد الحر، وخفت أن أجلس للاستراحة فأغلب عن رمي جمرة العقبة، فذهبت على ما بي حتى رميت الجمرة، فرجعت فمجرد جلوسي ثار علي قيء وتدويخ حتى كدت أن يغشى علي، فبقيت عامة يومي لا أنتفع بنفسي، ويئست من طواف الإفاضة في تلك الأيام، وحلقت رأسي وأخرت الإفاضة إلى أن رجعنا من منى، وأقمنا بمنى ثلاثاً ولم نتعجل مع من تعجل.

ولما كان اليوم الثالث من أيام منى، وخف الناس من منى ولم يبق بها إلا بقية قليلة مع ركب أهل العراق، وهم يتزلون أقصى منى، فخرجت لزيارة الأماكن التي تزار بمنى؛ منها المسجد نفسه، فإنه منزل النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو في القبة التي في وسط الصحن، وهي قبة كبيرة مثمثة الشكل، والمسجد حولها منازل أصحابه. ومنها الغار الذي نزلت فيه سورة المرسلات، وهو فوق المسجد. ومنها مسجد النحر وهو موضع منحر النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو في وسط الدور مقابلة الجمرة الوسطى، وما عرفته إلا في هذه السنة، دكني عليه شيخنا أبو مهدي، وهو مسجد واسع حسن البناء إلا أنه انهدم أكثره، وتلوث بالأقذار والكناسات. وغالب المساجد والمزارات التي هي خارج مكة تنتهك في أيام الموسم، ويترها الناس بدواهم، ويطيخون فيها من غير نكير، وهي من البلايا العظيمة.

ومنها مسجد الكبش^(١) وهو في شعب مقابل الجمرة الوسطى على يمين الذهاب إلى العقبة، وهو بين صخور كبار، ليس حوله ديار، ويقال إنه الموضع الذي أخذ فيه إبراهيم، عليه السلام، الكبش الذي فدى به الذبيح عليه السلام، وهناك ذبحه.

(١) مسجد الكبش: مسجد مشهور بمنى، والكبش الشار إليه هو الذي فدى الله تعالى به نبيه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام: شفاء الغرام، ص: 263.

ومنها مسجد صغير حول جمرة العقبة يقال إنه المحل الذي خلق فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم. ومنها مسجد العقبة في وسط الشَّعْب الذي هو أسفل من جمرة العقبة على يمين الذهاب إلى مكة، وفيه بايع الأنصار بيعة العقبة المشهورة.

ولما زالت الشمس من اليوم الثالث من أيام منى رمينا الجمار وذهبنا وصلينا الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمحصب، فدخلنا مكة بعد العشاء فوجدنا المسجد الحرام غاصا بأهله لا تكاد تجد فيه مجلس رجل واحد ليس به أحد، فجلست إلى الأرض ريثما أستريح وأطوف طواف الإفاضة، ف وقعت ضجة في المسجد، وانجفل الناس انجفال الغنم من غير سبب، وأخبرنا أنها وقعت ضجة أخرى مثلها قبل دخولنا أظنها بسبب سارق، فلما رأيت ذلك تركت الطواف ذلك الوقت، وخشيت أن يقع شيء وأنا متلبس بالطواف فتلحقتي معرة، فذهبت إلى منزلنا وأخرت الطواف والسعي إلى آخر الليل، فوجدت الزحام قد خف، وطففت وسعيت في سعة، وتجشمت بعض أصحابنا ممن أخر الطواف والسعي في ذلك الوقت، وطاف وسعى فلقني من المشقة والخرج مالا مزيد عليه. وقال بعد أن تلبست بالطواف ندمت ووددت أني اقتديت بك وأخرت إلى آخر الليل لما رأى من المشقة، وما وصل إلينا إلا بعد هزيع من الليل.

ذكر خروجنا من مكة إلى المدينة المشرفة

ولما قضينا تفثنا^(١) وفرغنا من نسكنا، أخذنا في الأهبة بالرحيل وليس معنا من آله شيء، وعزمنا على الخروج مع القوافل التي تذهب إلى المدينة قبل خروج الأركاب، وما تمياً لنا ذلك إلا مع القافلة الثانية بعد لأي ولأي، وقاسينا مشقة عظيمة في ذلك، ولم نجد مكاريا، ولا اشترينا غالب أسباب الرحيل من خباء وأثاث إلا قرب الرحيل، واكثرنا من عند أناس من عرب الحجاز ليس لهم دين ولا مروءة، كلما عقدنا معهم عقداً حلوه، وأبرمنا أمراً نقضوه، طلباً للزيادة في الكراء إلا بعد شد الأحمال على الجمال. وكان خروجنا من مكة ليلة الثلاثاء في الثامن عشر من الشهر، وكنت طفت طواف الوداع وقت العصر من يوم الاثنين، وأخذنا في حمل الأمتعة ووداع الناس من المشايخ والأصحاب، فخرجت الرواحل ولم أتمكن أنا من الخروج حتى صليت المغرب في المسجد، ولم أتمكن من إعادة الطواف، وذهبت حتى قبلت الحجر ودعوت عنده، وخرجت ومررت بالشيخ أبي مهدي في منزله، وودعته وبكى وأبكاني، فجزاه الله عني خيراً، وخرج معي صاحبنا أبو علي حسين العجيمي، رضي الله عنه، فما لحقنا برواحلنا إلا في ذي طوى، فصلينا العشاء هناك وودعناه والقلوب مطويات على أساها، وحسرات على طول المدى لا ننساها، وأشغلنا ما دفعنا إليه من القلق ومقاساة أجلاف الأكرباء عن التألم بآلام الفراق والتسويغ لأجاجة المر المذاق، واكتفينا بعلم الله بما تكنه جوارحننا، وإن لم تقم بواجب حق البقعة جوارحننا، وسلينا أنفسنا بدعاء من خلفناه من الأصحاب، وأودعناه الدعاء من الأحباب، نسأل الله أن لا يجعل ذلك آخر عهدنا بتلك الأماكن المعظمة والمشاعر المحترمة، إنه ولي ذلك والقادر عليه هو حسبنا ونعم الوكيل.

[كامل]

ما كان أحلاها ليالي قد مضت بالمكتين وعين دهر غافلة

(١) التفث: وهو ما يكون في النسك من قص الشعر وقطع الأظافر: لسان العرب: تفث.

ما كنتُ أحسبُ من حَيَاتِي غيرها وأَرَى سِوَاهَا من زَمَانِي نَافِلَةً
أَيَّامَ جَارِ اللَّهِ كُنْتُ وَجَارَ من جَمَعَ الخَامِدَ والمَزَايَا الكَامِلَةَ
عُدْتُ لِي بِهَا يَا دَهْرُ بَعَا وَاحْتَكَم فِي غَيْرِهَا مِنِّي تَجَدَّنِي بِإِدْلَةٍ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ خَيْرَ صَلَاتِهِ وَأَمَدَّنِي بِصَلَاتِهِ المتَوَاصِلَةَ

ثم سرنا مع رفقة ليس فيها أحد من أبناء جنسنا، وضافت علينا الأرض بما رحبت، وأساء الأكرياء معنا في الركوب والتزول والحملان، ونزلنا بمر الظهران، وهو الموضع المسمى بالوادي، بعد نصف الليل، وأقمنا به إلى أن زالت الشمس، وهبت ريح شديدة سموم تلفح الوجوه وتثير الأرض حتى لا يكاد أحد يرى رفيقه، وظننا أن الناس لا يرتحلون في مثل ذلك، فارتحلنا وقاسينا ما الله عالم به من المشقة، وسرنا حتى نزلنا آخر الليل ببرقة، ثم منها إلى خليص، ونزلنا برأس العين بقهاوي هناك، واستطال علينا المكارون، وإذ ليس بالقافلة أحد من المغاربة، وقالوا إن أمتعتكم ثقيلة، فإما أن تزيدوا في الكراء، وإما أن نطرح لكم أمتعتكم هنا حتى يقدم عليكم الركب، وزدنا لهم في الكراء.

والحاصل أن ما اكرتينا به من مكة إلى المدينة أزيد مما اكرتى الناس به من مكة إلى مصر، واغتفرنا ذلك كله رغبة في إقامة أيام بالمدينة قبل الركب، فكمل الله مرغوبنا.

ثم ارتحلنا من خليص ونزلنا السيل الذي بين قديد ورابغ، وفي تلك المرحلة التقيت بصاحبنا الشيخ عبد الله باعفيف اليمني أحد أصحاب شيخنا السيد محمد باعلوي، رضي الله عنه، سايرته بعدما نزلنا من عقبة السكر من المغرب إلى العشاء على أرجلنا، وتعرفت عليه وجدته من احسن الناس خلقا وأطيبهم عشرة.

وكان معنا في الركب معاشر للشيخ علي الضرير أحد فقهاء المدينة، وللشيخ صالح أحد فقهاء الحنفية بالمدينة، وكان الثلاثة في خباء واحد، وكلهم أهل فضل جمعتهم النسبة العلمية وتوطن بالمدينة المشرفة، وربما نزلنا في بعض الأحيان بقربهم، وسيأتي ذكر صاحبنا هذا فيمن لقيته بالمدينة بعد الرجوع من مكة، ثم ارتحلنا من السيل ونزلنا رابغ. ثم إلى مستيرة، ثم خرجنا منها، وعدلنا يمينا عن طريق الركب المعهودة، وتركنا المسافة المسماة بالبزوة يسارا، ودخلنا بين تلول وكتبان رمل

عظيم، ونزلنا بئر الملا نافع قرب الصباح، بعدما غلبت الإبل، وهذه البئر تنسب إلى أحد الفقهاء الحنفية المستوطنين المدينة، وقد تقدم ذكره، وهو الذي حفرها بماله، ونفع الله بها العباد، لأنها في مكان منقطع بين رمال كثيرة، وكان صاحبها الذي تنسب إليه حاضراً معنا في القافلة لأنه حجّ في هذه السنة.

وهذه الطريق لا يسلكها إلا القوافل لكثرة رمالها، وإنما سلكوها لأنها أقصر من الأخرى يوم فإنها تأخذ عن يمين بدر إلى أن تترل بالصفراء، ثم ارتحلنا من هناك ونزلنا الصفراء وسط الليل. ثم منها إلى جديدة، وكنا نسير في هذه الليالي كلها سيرا رفيقا على معتاد القوافل نترك الإبل على حسن اختيارها. ولما ارتحلنا من جديدة جدوا في السير، وساروا سيرا حثيثا. ونزلنا قبور الشهداء عند طلوع الشمس، ثم ارتحلنا من هناك قبل الظهر، وساقوا سوقا عنيفا، وكانوا يتخوفون عادية من لصوص عترة في تلك المسافة، وما غابت الشمس حتى دنونا من جبل مفرح.

وكان معنا في القافلة شيخ حرم المدينة، تجدد في تلك السنة، وقدم من اصطنبول، وعزل الذي كان قبله، فقدم مكة أولاً وحج، ثم سار إلى المدينة، وعندما وصلنا السبيل الذي هناك وجدنا طائفة هناك من عسكر المدينة جاءوا يتلقونه، فأمن الناس واطمأنت قلوبهم، وخرج شيخ الحرم من محفته ولبس أحسن ثيابه، وركب فرسه وسرنا سيرا حثيثا فوصلنا ذا الحليفة نصف الليل، ولم ينيخوا بها، فسرنا حتى جئنا آخر العقيق، وأخذنا في الصعود إلى الحرة الغربية، فهممت بالترول والمشي على رجلي تأدبا لقرب المدينة، وكنت أركب أنا وأخي في شبرية واحدة، فرأيت ظلمة الليل وسرعة السير واختلاط الناس وليس معنا سائق إلا بدوي واحد، وله جمال آخر، فقلت إن نزلت وتعبت واشتغلت بسوق الإبل، تشتت فكري، ولم أحصل على طائل من أمري، فحضور القلب بالركوب أولى، فلما استقر هذا الخاطر في نفسي لم أشعر بالجمل إلا وقد مال، فلم ننتبه حتى وقع بالأرض، فسقطت سقوطاً منكراً على أم رأسي، وسلم أخي لأنني سبقته على الأرض، وتكسرت الشبرية، فعلمت أنني قد أوتيت من ذلك الخاطر، وأن المشي أولى، ورعاية الأدب مع تلك البقعة المشرفة أجدر بي، فقلت لنفسي: آيت من التزول على رجلينك فتزلت على رأسك، هذا جزاء عبد يهمل رعاية الأدب مع

سيده، فاستغفرت الله وسرت على رجلي حتى دخلت المدينة قريبا من الثالث
الأخير من ليلة السبت التاسع والعشرين من ذي الحجة.

ذكر دخولنا إلى المدينة المشرفة

ولما وصلنا وجدنا أبواب المدينة مغلقة، فطرحنا أمتعتنا بالمناخة قرب مسجد العيد، وقد بقي معها أصحابنا، وذهبت إلى الباب فوقفنا به ساعة حتى فتح، فدخلت مع أول داخل، وقصدت المسجد فوجدته مغلقاً، فذهبت إلى العين التي في شرقي المسجد من ناحية باب البقيع فاغتسلت بها، وجئت إلى رباط سيدنا عثمان فلقيت بعض أصحابنا المجاورين، وجلست هنيئة حتى فتحت أبواب المسجد، فدخلت وصليت وسلمت على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعلى صاحبيه، رضي الله عنهما، ودعوت بما تيسر، وجلست في المسجد حتى صليت الصبح، ودخل أصحابنا الذين تركتهم بالمناخة، وطرحنا أمتعتنا في منزلنا الأول بمقام سيدنا إسماعيل بن جعفر الصادق، رضي الله عنه، وأقمنا بالمدينة ثلاثة أيام، فدخل الركب المغربي ليلة الثلاثاء، واغتنمنا تلك الأيام وزرنا البقيع وقباء، ولقينا أصحابنا ومشايخنا، فذهبت إلى شيخنا الملا إبراهيم ولقيته بمنزله، فرحب بنا غاية، ووجدته مشغولاً بملاقة شيخه الذي عليه معوله في العلوم العقلية الملا محمد شريف⁽¹⁾، وكان حج في تلك السنة وقدم المدينة مع القافلة التي جاءت قبلنا، ودخلوا قبلنا يوم، فترل بجوار شيخنا الملا إبراهيم، فأقبلت معه للقاءه والسلام عليه، وذكر له شيخنا الملا إبراهيم قصدي، وأثنى علي عنده، وراطنه بالفارسية هنيئة، وإذا هو يثني علي ويصف له حالي، وقال له إن له مشاركة في العلوم، وله اعتناء برواية الحديث، وقد حصل منه ما قل أن يوجد عند غيره، ولقوة إنصافه، رضي الله عنه، أشار عليه بالاستجازه لي، وسماع الحديث المسلسل بالأولية مني، فذكر لي ذلك شيخنا بحضرته، فأخجلني غاية، وتضاءلت لدي نفسي وأكبرته أن أكون ممن يجيزه أو يسمعه، فلم يملكني من أمري شيئاً، فأسمعته وأجزته لفظاً، ولما خرجت من عنده سألت من شيخنا التوسط في سماع مجلس واحد من تفسير البيضاوي، وكانت له في معرفته يد بيضاء، ولولده عليه حاشية، وله هو كتابات كثيرة على محال منه،

(1) محمد شريف بن محمود الكوراني، عالم محدث، توفي سنة 1078 هـ: خلاصة الأثر 4: 280.

فوعدني الغد، فرجعت إليه غدا وأحضر شيخنا نسخة من التفسير قال لي: اختر أي محل شئت قراءته، فاخترت قراءة تفسير سورة (تبارك الذي بيده الملك) رجاء بركتها، وحضر في قلبي ذلك الوقت ما قيل أنها سورة المتوكلين، وأن قدوة المتوكلين في زمانه الغوث أبا مدين كان يلزمها ويقول: هي سورة من القرآن، فقرأت عليه تفسيرها إلى آخره مع السؤال عن محال مشكلاقي منه، قرر لنا تقريراً حسناً في كلام البيضاوي على قوله تعالى (فسحقاً لأصحاب السعير)⁽¹⁾، وأخبرني شيخنا هذا أن لشيخه هذا كتابة عجيبة في تقرير هذا المحل، وأن بعض مشايخه كتب أيضاً على هذا المحل، وطال الكلام بينهم فيه، ولا أدري هل استجزته أنا أم لا، وقد استجازه لي أخونا وخليلنا حسين بن علي العجيمي المكي بعد ذلك، لأن الشيخ محمد استوطن المدينة بعدنا، وهذا نص ما كتب به إلي خليلنا المذكور جزاه الله خيراً آمين:

الحمد لله، اجتمعت بمولانا الشيخ الأستاذ إمام المعقولات، فارس التفسير الملا محمد شريف بن القاضي المحقق يوسف بن محمد الصديقي الكوراني ليلة الثاني عشر من ذي الحجة سنة 1076 بعد صلاة العشاء، فسألته أن يتفضل بالإجازة العامة لشيخنا العلامة أبي سالم عبد الله بن محمد العياشي المغربي، فأجاب إلى ذلك وتلفظ بها، وأخبرني أنه ما انتفع في العلوم إلا بوالده، ولم يكن له شيخ غيره، وأن والده أدرك حياة الجمال الرملي فشملته إجازته، وأن له حاشية على تفسير القاضي البيضاوي، ثم سأله أن يكتب ذلك بخطه الشريف فقال لي: في إخبارك عني كفاية، أو كلاماً قريباً من هذا، والله الحمد أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. قال ذلك وكتبه الفقير إلى الله تعالى حسين بن علي بن يحيى العجيمي المكي الحنفي غفر الله له وللمسلمين هـ ما كتبه إلي بخطه نفع الله به آمين.

وأخذنا تلك الأيام التي أقمناها في أهبة السفر وهيئة الزاد والتزود من زيارة النبي، صلى الله عليه وسلم. ومما زرته من الأماكن التي لم أزرها من قبل البير المسماة بزمزم، وهي إحدى الآبار المباركة بها بالمدينة المنسوبة إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، واشتهرت بزمزم تشبيهاً لها بزمزم المكية المشهورة لبركتها واستشفاء الناس بها، وكانت هذه البير إذ ذاك بيد رجل من أصحابنا المغاربة، فخرجنا معه

(1) الملك: 11.

إليها، وهي في غربي المدينة مما يلي الحرة، وماؤها عذب، فشربنا من مائها
وتوضأنا، وأكلنا من ثمارها.

ومن لقيته بالمدينة هذه المرة صاحبنا المتقدم ذكره، الشيخ عبد الله باعيف
اليمني، وكان ذكر لي إذ لقيته بين الحرمين الشريفين، كما تقدم، أن له قصائد في
مدح النبي، صلى الله عليه وسلم، وفي مدح شيخنا فريد وقته السيد محمد باعلوي
الحضرمي المكي، وواعدني بالاطلاع عليها بعد الوصول إلى المدينة، فلما لقيته
بالمدينة ناولني بعض ذلك، ولنذكر منها ما يدل على نباهته ومعرفته بأساليب
البلاغة واطلاعه على مقاصد الصوفية والتحلي بأذواقهم السنية. فمن ذلك قصيدة
له في مدح النبي، صلى الله عليه وسلم، عارض، بما دالية شيخنا الشيخ إبراهيم
الخيارى المتقدم ذكرها في ترجمته وهي هذه:

[بسيط]

كُونِي سَلامًا وبردا نَارَ أَكباد	على خليلك أو زَيْدِي حشا الصادي
واستبدلينا جُلودًا كلما نَضجتْ	منا جلودٌ عنت للناشئ الشاذي
قال ادخلوا فدخلنا طوع مَالِكها	في أُممٍ قد خلت من خير أَجنادي
لما بدت لكلِّم الوجد آنسها	بذاتِه لا بأطوار وأطوادِ
هي النعيمُ وإن دارت على خلدي	وأَمها قَلبي المَضنى بأخلادِ
فاقصد ربوعَ اللوى والرقمتين وجُزْ	وادي العقيق وزمزم أيها الحادي
وانح الديار وإن شطت مرابعُها	وحالٌ من دونها أصلابُ أصلادِ
أفدي السواري في جنح الظلام طوت	طي السجيل هضابا ذات آمادِ
إلى رياضٍ من الفردوس فائِجها	يفوقُ رياه ريا المسك والجادِ
دارتْ على الأيك أقدام مُعطِرة	من سَجسج الصبح تهدي نشرَ أعوادِ
فغادر الورق والأوراق دائِرة	من راقص أو لعب فوق مِعادِ
وتلك آثارُ غزلان النقا نفحت	من حولها الريح واجتازت بأبرادِ

مست قدودا كساها الحسنُ رونقه
ومالت العذبات الخضرُ مائسة
فذكرنا عهدُها في ديار قبا
تناوح البوم بالوجدِ الشديدِ إلى
منازل القومِ لا عهدي القديمِ بما
من لا يرد تلاقٍ لا لحاق به
ميهات ذلك وقت فات عائده
محمد خير مبعوث دعا فمحا
مُهذب قد زكا في أصل فطرته
وسارَ في الجد لا للمجد ربما
وكيف يسمو بشيء وهو منه سَمَا
شمس وما الشمس لولا نورُ طلعتَه
غيثٌ وما الغيث والسحب الرزان كما
بحر وما البحرُ يغني الواردين بما
فإن علّتي أقوام ودونهم
وصدني الحظ عن قصدِ السبيل فلي
أبيتُ أشدو بأوصاف مقدسة
لعل ممدوحها يوما يجازيني
إلى نزاهة معني في حقائقها
في موطن الفرق بعد الجمع شاخصة

فاستيقظَ البانُ إذ مرت على الوادي
ميلَ المقيم إذ يشدو له الشادي
فاستهترت بين أغوار وأنجادِ
بطحانها لا جفاهُ الرائح الغادي
عهدي ولا عادهم بالأنحنى عادِ
وجيرة بالحمى النجدي وفادِ
لولا تذكر فضلِ المصطفى الهادي
صبح الهدى ليل إشراك وإلحادِ
من قبل تكوينِ آباء وأجدادِ
قد كان بانجدٍ تمجيد الأجدادِ
إذ كان أصلا بدا في كل إيجادِ
بدر وما البدر لولا وجهه البادِ
على متون الروابي وقع أجوادِ
يجاوز القصدَ من آمال مرتادِ
نفسى وإبليس قد قاما بمرصادِ
من نوره جذب مستخذ بإيقادِ
زانت تفاعيل أسباب وأوتادِ
على مجادع أنجباب وأوتادِ
تجلي دقائق زهاد وعُبادِ
على تباهي النهى عن جمع أضدادِ

يا كثرَ رسل وأملاك مطهرة
وافي عبيد والعبرات لؤلؤها
من موبقات أنالته الهوان على
وفي جوائزك العظمى النجاح فما
وما ابن حيان أولى بالحياة وقد
فخذ به لرواي الجمع واسمُ به
جوزيتَ خير جزاء الله أكرم من
فقد أتيتك بالعجز الصريح وبالأ—
ونحن في زمن أفصحت فيه لنا
فما ترى بعدها هاذي بضاعتنا
وأمن صحي وأحزابي ومن لهم
وخص منهم فتى ما زال ترمقني
وكن له من صروف النائبات إذا
واشملة في الدين والدنيا بمرحمة
واقبلُ مديحي وإن إكرام وجه له
فساق نظما لأعلى من بهم شرفت
تعرضاً لعظيم الفضل منك لمن
وهبُ لنا خيرَ مامول منازل
وسق إلى عبدك استعداد متهج
قل قد فعلت وعندي الخير أجمعه

وأولياء وأقطاب وأفراد
يجري على خده في لونِ فرصاد
كز التخاليط من إلف ومعتاد
جوائز الصيد من أملاك بغداد
أثنى زهير بإكثار وتعداد
من ذي الوهاد وبرد حر وقاد
يغني ويغني ولا يلوي لترداد
فقر الصحيح بلا ماء ولا زاد
عن أجر خمسين نلناها بآحاد
رُدت إلينا بأتعاب وأنكاد
يعزى بود وإخوان وأولاد
منه المودة بين الحضر والباد
قام الأذى بين أعداء وحساد
لا يهتدي الدهر معها له بإفساد
تحت المقادر من مهد ومن هاد
فصاحة العرب عند النطق بالضاد
يدلي إليك بإنشاء وإنشاد
بقدر مجدك واكفنا بإسعاد
سبل اتباعك للخيرات منقاد
دُنيا وأخرى بإذن الحسن الهاد

وقم بأمر جميع المسلمين إذا	قام الكفور بأغلال وأصفاد
صلى عليك الإله جل عن مثل	وعن شريك وأضداد وأنداد
تعداد وصفك ما دام الوجود وفي	دار الخلود وفي آباد الآباد
والآل والصحب ما غنت مطوقة	على أرائك أفنان وأعواد
موصولة بسلام منه يعقبها	أسنى التحيات يعي ضبط أعداد

انتهت، وذو الذوق السليم يعلم أن جيد هذه القصيدة أعلى طبقة في مراقي
البلاغة من جيد القصيدة المعارضة، والله تعالى أعلم.

ومنها قصيدة رائية يرثي بها شيخنا السيد محمد باعلوي، وهي من غرر
القصائد أثابه الله عليها:

[طويل]

عواطف آلاء بأيدي غوامر	علينا الشعب عامر شعب عامر
بما أنعمت نعمى وجادات لعبدها	وحقت بتحقيق المني والبشائر
دعنا إلى اللقيا وقد كشفت لنا	خبايا زوايا عن محاجر حاجر
أعادت لنا عن لعل وطويلع	أويقات أسرار بتلك المسامر
ليال إذا ما زار ليلي طيفها	بتذكار أهلها تبلبل خاطر
لنا ولهم مذ أخلف الدهر بالنوى	قلوب تلاقى في جسوم نوافر
حيي يا ثنيات اللوى زمنا مضى	بلذة عيش الوصل في سفح سامر
بأعلى الكتيب الفرد والصمد من قبا	مسارح مع غزلان الكناس السوامر
إذا ما تمشت ساحبات برودها	وأبدت شموسا من فروع غدائر
غدا من سناها البدر والشمس خجلة	وأزرت بمياس الغصون النواظر
فيا طلالا بالغور في أذكاره	تبلبل مشتاق وأنة حائر

يسمى من جزعه وعقيقه
فديت الأولى أنت رباط شموه
هم الغرر السادات من آل هاشم
إمام المعالي نعمة الله سيدي
همام رقى في القرب أشرف رتبة
وسافر من علم اليقين لعينه
وعاد من المولى بأكرم خلعة
دقائق تجلى في علوم حقائق
وفي أن تعدوا نعمة الله مشعر
ولم لا وفي جرثومة الفضل قد غدت
ظواهره تنبي بحسن بواطن
وماذا إذا رقى الزجاج ورقّت الحميا
له في مقامات السلوك مآثر
خلوص وداد في استقامة مخلص
وزفت له الأمداح من كل مادح
فغادرها تحت الركاب حواملا
جوائز لا يدري ابن حيان طرفها
فإن أنطقني بالقريض صفاته
فإن لها سحبان تحت ثرائه

عقيق وجزع حائص من محاجر
بلا غلالها صرف الليالي القوائر
بنو الماجد الفضال تاج المفاخر
أبي عامر أكرم به وبعامر
وقام مقام الأكرمين الأكابر
إلى حقه في غيب غيب السرائر
لأكرم جحجج⁽¹⁾ عظيم الشعائر
تقاصر عن إدراكها كل ماهر
نبيل الكرامات العظام البواهر
سلالته تنمى لعبد القادر
بواطنه تنبي بحسن ظواهر
تري الأعيان من كل ناظر
تؤم البرايا نحو تلك المآثر
وعزلة وأوسمته سميت ساهر
ينافس في أشعاره كل شاعر
سحابا ثقالا أرسلت بالمواطر
وإن جاد بالأيدي البوادي البواتر
فكم علمتني البكم من كل قاصر
فصيح السجيا بين باد وحاضر

(1) الجحجج: السيد الكريم: لسان العرب: جحجج.

فيا أيها الصيدُ الأكارم حيث لا
إذا استجمعت عند الضريح ذواتكم
فلا تحرمونا من عظيم ابتهالكُم
فذلكم البحر الغطمطم^(١) أنتم
وخصوا إذا رحتم لابنة خويلد
إمامي وشيخي عُدي عند شدي
ألا فالتموا عني ضريحهما فلي
وإن حال صرف الدهر بيني وبينه
واذكر ما يشدو به ابن حمامة
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
وقولوا لهم عني خويدمكم ونت
وصلى الإله كل آن مسلما
محمد المختار من آل هاشم
ومنها أيضاً قصيدة أخرى في معنى ما تقدّم، وهي هذه:

[بسيط]

عز العزاء وجد الوجد واشتعل
دعني أداوي كُلومي إن بكيت في
أحل من مقلتي للدمع أوكية القلال
لست الملوم على ما فعل وأنملا
من جملة الكل خلى الكل وارتحلا
حتى أراها وارت القلال

(١) الغطمطم: العظيم الكثر الأمواج: لسان العرب: غطمط.

(٢) ينظر هنا الشاعر إلى قول عمرو بن الحارث بن مضاض:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا

أنيس ولم يسمر بمكة سامر

لسان العرب: حجن.

فقف بتلك الربوع الهامدات لما
واستخبر الدار ما أبقى الزمان لها
عج بالحجون ترى الأنوارَ ساطعة
والشمس تجري لمستقرها لقرا
فتدرك البدر وبدرا في الخاق وقد
أعني خديجتنا الكبرى وسيدنا
شيخى التريل بأقصى الشعب تحت لوا
عليها من رضا الرحمن أكمله
وقل إذا شئت يوما أن تؤرخه
قد نالها وقفة النحرين إن ذهلا
بعد الحبيب الذي عن سوما انفلا
فإن لي ثم بدرا كاملا أفلا
ن مكسب نورها من تحتها حصلا
ألقى البراء العصا من حيث ما وصلا
إمامنا قدوة المهادين والنبلا
بنت الخويلد أوفى من له نزلا
ما ضوى النيران والسهل والجبال
عز العزاء وجد الوجد واستقلا

وهذا الشطر الأخير أرخ به سنة موته، وهي يوم الجمعة الرابع عشر من ربيع الثاني سنة 1071.

ومنها تصدير وتعجيز بقصيدة ابن الخيمي البائية التي أولها: يا مطلباً ليس لي في غيره أرب^(١).

وهي مشهورة عند أهل الحجاز، ينشدها المؤذنون في الحرم الشريف في بعض الأوقات، وهي من الطراز العالي في الرقة والسلاسة، متضمنة لمعان رشيقة في الاستعطاف والتذلل والتشوق، ويزيدون في آخرها أبياتا مشعرة بأن كل ذلك التغزل المتقدم في مدح النبي، صلى الله عليه وسلم، وأظنها ليست من أصلها لأنني رأيتها في بعض الدواوين وليس فيها هذه الأبيات.

ولنذكر هذه القصيدة لكونها ما ينشد في الحرم الشريف، وتلذا بما تضمنته من المعاني الأنيقة والألفاظ الدقيقة، وهي هذه:

[بسيط]

ما إن تقضي طلابي عن جنابك بل يا مطلباً ليس لي في غيره أرب

(١) عجز البيت: إليك آل النقصي وانتهى الطلب: نفح الطيب 2: 619.

من ذله بالمعنى يحمل الهرب إلى —
وما طمحت لرأى أو لمستمع
فما أذاعت خبايا الكون من ملح
وما أراي أهلاً أن تواصلني
نعم أنزه ذاك الحسن عن نظري
لكن ينازع شوقي تارة أدبي
جاز دمعي وباشتيافي في خليفته
ولست أربح في الحالين ذا قلق
غدوت عنه غداة البين ذا وله
وناظر كلما كففت صيه
لا تنسحب وأطعني في مكالمتي
ويدعي في الهوى دمعي مقاسمتي
وعند عجب أيضاً ينازعني
كالطرف يزعم توحيد الحبيب ولا
هيهات توحيده يبكي الربوع ولا
يا صاحبي قد عدت المسعدين فسا
ومسني وصب أسعد فيه فسا
بالله إن جزت كثنانا بذى سلم
فغادرت عندها باناً على كذب
ليقضي الخد من جرعاتها وطراً

ك آل التقصي وانتهى الطلب
يستعذب السمع أو يستهدف الهرب
الألمعي إلى عليك ينتسب
لأنني عنك للسلوان أطحب
عسى علوا فإني فيك مكتئب
وربما عنك يوماً زالت الحجب
فاطلب القرب لما يضعف الأدب
لمعهد بالحمى شطت به الحقب
تام ووجد له في أضلعي لهب
أقل وعارضه في عارضتي يجب
صونا بحبك يقصيني وينسحب
مع التصابي وعندي غيره عجب
حزني ووجدني ويجري وهو مختضب
يفارق الطرف والعدا ينتحب
يزال في ليله للنجم يرتقب
همني فلي مهجة أودت بها كرب
عديني على وصي لا مسك الوصب
حادث بأردافها أكنافها العرب
قف بي عليها وقل لي هذه الكتب
من لثمها ومعنى الدمع ينسكب

من تربها ويؤدي بعض ما يجب
ميل المتيم دارت حوله النجب
فلي إلى البان من شرقها أرب
شئوب دمع وصب المدمع الوصب
دمع الخجين الأنداء والسحب
تحت السكينة والأعداء تضطرب
حتى عراني الكرى والتعب
فيه وقلبا لعذر ليس ينقلب
به العلا وفنون الجند والحسب
الملاحاة واعتزت به الرتب
عمن تحكم منه القصد والطلب
عني وذلي والإجلال والرهب
والنور للآم يدعى عندها الهدب
لأنني لهواه فيه أنتسب
كيموسها الصدق والبهتان والكذب
من صحتي إنما سقمي هو العجب
وما التلهف بالمغني ولا الرعب
وجدا ووا حربا لو ينفع الحرب
لهم فاسجد من شوقي وأقرب
يا للرجال ولا وصل ولا سبب

فينبت العشب مخضر الفروع به
ومل إلى البان من شرقي كاظمة
وقف لأقضي من شرقها أربا
حيث الهضاب ورضواها يروضها
فإن عفت بالسنين الغبر عرقها
أكرم به مولا تحميه هيته
دعني أعلل نفسا عن مطالبها
فيبعث للوصل روحا عز جانبها
ففيه عاهدت قدما حب من حسنت
وعز في ذاته لقد شرفت به
دان وأدنى وعز الحسن يحجبه
حتى رأيت جنود الحب تمنعه
أحيا إذا مت من شوقي لرؤيته
فأنثني وأنا الصب الكليم به
ولست أعجب من حي وصحته
حتى سلا النفخ والمجران منشأه
يا لهف نفسي لو يغني تلهفها
إن لم تجدهم الدنيا فوأسفا
يمضي الزمان واشوقي مضاعفة
وعزة الجند والإجلال يمنعهم

تناوب الأيك من هباتها نوب
لم يبق في الركب من لا هزه الطرب
ففيه منهم لنا الألفاف والقرب
حتى لقد رقصت من تحتها النجب
من أين شاكتني لا هزك العجب
لقد حكمت ولكن فاتك الشنب
وجد علاه ونار فيه تنهب
وعن خفوقك قل لي ما هو السبب
فعانق البان حتى ماست القضب
بالله قل لي كيف البان والعذب
ما أحرز الرحم الموصول والنسب
عهداً أراعيه إن شَطُّوا وإن قربوا
على الحقيقة إن مروا وإن عذبوا
هم الأحبة إن أعطوا وإن سلبوا
فليفعلوا ما أرادوه ولا عتب
فالعبد منهم بذاك البعد مقترب
فهو الغنيمة لا نجس ولا صخب
بأنه من قبيل الوصل يحتسب
عزا تزاح به عن باطني الريب
شهود حسن بقلبي ليس ينحجب

هبت لنا نفحات من ديارهم
حتى إذا لعبت من وجدها طربا
كدنا نظير سرورا من تذكروهم
فاستهزت لنا فنون من لطائفهم
يا راقيا بأعالي الرقمتين سدى
هم أقول بحر أنت حيث ترى
أما خفوق فؤادي فهو عن سبب
قد كنت في المهد لا أدري برؤيته
ويا نسима سرى من نحو كاظمة
فبات يمليهما عن حاجر سيرا
وكيف ذاك الحي هل حفظوا
فقد تحملت مذ فارقت معهدهم
أم ضيعوا ومرادي منك ذكرهم
فالسلب منهم عطاء وافر وهم
وإن كان يرضيهم إبعاد عدهم
فإن هم بعدوا ولات حين قلى
والمجران كان يرضيهم بلا سبب
كأنه جاء في اللقيا يخبرني
وإن هم احتجوا عني فإن لهم
لأن عندي من آثار عشقهم

قد نزه الحسن والإشراق بهجته
 بدت فلم تخف بالأنوار تمنعها
 ما ينتهي ناظري منهم إلى رتب
 إذ ما يلوح له من لحظها رتب
 وكل ما لاح معنى من جهالم
 أظل دهري ولي من حسنهم طرب
 فمن عظيم غرامي فيهم فرح
 وكم أموه بالعرب الكواعب والـ
 فكم أفوه بكثب والقضب به
 كالشمس يسترها بالماء ناظرها
 والقصد خير نبي عم نائله
 وأين يتزل مدح المادحين له
 فمدحة الوحي والتزويل معجزة
 محمد المصطفى الهادي الشفيع إذا
 فاستهترت في هواها العجم والعرب
 عن أن تمنعها الأستار والحجب
 فينتهي في مداها الوجد والطرب
 في الحسن إلا ولاحت فوقها رتب
 راحت لبهجته الأرواح تنجذب
 آثاره الحب لا الصهباء والحب
 ومن إليهم استباقي نحوهم هرب
 وادي التياغا ولا واد ولا عرب
 تشذو الحمام ولا قضب ولا كثب
 إن خاف منها على الأبصار تنسلب
 تضيق عن وصفه الأشعار والخطب
 مما رووا عنه من فضل وما كتبوا
 لا ما تصنعه الأقلام والكتب
 أودت بمحشرنا الأهوال والكرب

ومن فوائد صاحب الترجمة الشيخ عبد الله باعيف ما نصه: قال في العقد النبوي من كلام الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس^(١): وصية ثلاثة أيام وخلوة أسبوع وخلوة شهر وخلوة أربعين يوماً. أما خلوة ثلاثة أيام فهي الاثنين والخميس والجمعة، ولها وظائف دوام ذكر الليل والنهار، والاعتزال في الزاوية وأكله بعد العشاء، وترك النظر إلى الحرام، ولا ينام حتى يقول قبل النوم على طهارة في خلوة واحدة: يا كريم يا رحيم ألف مرة، والصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، ألف مرة، فقد فتح لجماعة في هذا. وأما خلوة الأسبوع بالصوم والعزلة وترك

(١) عبد الله بن علي العيدروس، صاحب الشبيكة بمكة المكرمة، أثرت عنه أحوال وكرامات، توفي سنة 1050 هـ: خلاصة الأثر 3: 62.

ذكر الدنيا وأهلها، وكذلك خلوة الشهر والأربعين، ولكن الأدب نصف الدين، بل الدين كله، والأدب مع الله وترك كل معصية، ومع الصالحين ترك الاعتراض عليهم، والمسلمين سلامتهم من لسانه ويده، والخير كله في تلاوة القرآن، مع الأدب بين يدي المتكلم رب السماوات والأرضين هـ.

وقد أخبرني صاحب الترجمة أن الشيخ محمد باعلوي كان يأمر أصحابه بهذه الخلوات، ولها بركات عظيمة.

ومن فوائده أيضاً قال: ومما كان السيد يعلمه أصحابه ما نُصِّه، وهو من كلام الشيخ محي الدين: اعلم أن القهر عذاب، ومن أراد أن يزول عنه حكم هذا فليصحب الحق تعالى بلا غرض ولا شوب، بل ينظر في كل ما وقع في العالم وفي نفسه فيجعله كالمراد، له فيلنذ به ويتلقاه بالقبول والبشر والرضا، فلا يزال من حاله هذه مقيماً في النعيم الدائم لا يتصف بالقهر ولا بالذلة. قال: وما رأيت الواقع التغير له تغير تطلب الحق منه التغير، وكامن هذا التغير هو المطلوب، لأنه هو الواقع إذ ذاك، وليس بمقهور فيه، بل هو ملتذ بالموجب للتغير فتأمل هـ. وهو نفيس لمن رزق استعماله. وأقمنا بالمدينة خمسة أيام وكأنها طيف منام، فتهياً الرحيل ودنا، ولم نظفر بالمنى، وعاقبتنا أشغال السفر عن ملازمة الحرم واتباع النهل بالعلل من موارد الكرم.

ذكر الخروج من المدينة المشرفة

فكان سفرنا من المدينة المشرفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عشية يوم الخميس الثاني من محرم فاتح سنة أربع وسبعين وألف، واكثرنا جملين من رجل من المغاربة القاطنين بأرياف مصر، وكانت فيه مروءة، فأحسن وأجمل، فكان خروجنا من المدينة بعد صلاة العصر، وودعنا النبي، صلى الله عليه وسلم، وخرجنا نعثر في أذيال الحشرات، وتبع الزفرات بالزفرات، وعطف الشوق علينا رجله وخيله، وكأننا لم نبت بطيبة إلا^(١) ليلة، فكان خروجنا على باب الشامي لأن منزل المغاربة كان به، فوجدناهم قد قضوا، وذهب المكاري بالأمعة، فانعطفنا من وراء المدينة إلى ناحية المناخة حتى ودعنا شيخنا الملا إبراهيم في منزله، وخرج معنا إلى قرب داره، وأذن خلفنا، وذهبنا على أرجلنا، ولم نلحق بالإبل، فلما هبطنا إلى واد العقيق تعبت غاية، فلحقنا هناك رجلا من الفلاحين ومعه جمل يسوقونه، وحن وقت المغرب، والمحل محل خوف، فخاف أن يذهب أصحابنا عنه ويبقى وحده. فقال لي: تعال يا شيخ تركب على الجمل، وأقسم عليّ، وعلم أن أصحابي لا يذهبون ويتركونني، فركبت وتعجبت من لطف احتياله، وما قدر الله لي في ذلك من اللطف لأني لولا الجمل ما ظننت أنني ألحق بالركب إلا أن يكون بعد مشاق عظيمة، فسرنا وما لحقنا بالركب إلا في ذي الحليفة قد نزلوا بعد صلاة العشاء، فبتنا بها ثم ارتحلنا صباحا. وأعد الناس السير، ولم يقلوا إلا سوية قدر ما أكلوا شيئا قريبا من العريش، ومررنا بشرف الروحاء قبل المغرب، ولم نبت إلا قرب منصرف الروحاء، وفي الغد ارتحلنا ومررنا بمسجد الغزالة، وسرنا حتى نزلنا بالجديدة بعدما اشتدت القائلة، ووقف الناس بها هنيئة ريثما أخرجوا أمتعتهم التي اختزنوها، فارتحلوا ولم يتزلوا إلى قرب الصفراء، حيث تنصرف الطريق يمينا إلى ينبع.

(١) في ط: ولا.

وفي الغد ارتحلنا وملنا بمينا مع شعاب متوعرة، وعند المنصرف قبر يقال إنه قبر عبدة بن الحارث سيد شهداء بدر، أحد المبارزين في ذلك اليوم، وزرناه وسرنا إلى قريب من الظهر، فوصلنا بسيط الدهناء، ووجدنا البركة المعمولة هناك ممتلئة ماء، ووقع شتآن بين المغاربة الإفريقيين والجوانيين، ولم يترلوا حتى كاد يبدو لهم نخل⁽¹⁾ ينبع، وانحاز كل إلى ناحيته في التزول، وما سرنا قط مثل هذه المراحل طولا، إلا أن الله لطف بالركب فلم يروا محاربا ولا سارقا.

وفي الغد نزلنا ينبع صباحا، وبات الركب فيه ليلتين، واشتد الحر يوم إقامتنا غاية، وحمدنا الله تعالى إذ لو صادف ذلك اليوم الرحيل لكان فيه فناؤهم. ثم ارتحلنا من ينبع واشتد الحر أيضا وسط النهار، وبقيت من الركب إبل، ونزل الناس عصرا بعدما جاوزوا وعرتين من السبع وعرات، ولم يترلوا حتى عاينوا الهلاك وخافوا من الاستيصال. ووقعت عن الجمل وقعة منكرة يومئذ بسبب الدخول بين قطارين من أقطار الجمال أدمت وجهي وأوهت مفاصلي.

وتزايد الحر بعد التزول وخافوا بعدما نزلوا، فأذنوا بالرحيل ليلا، ونادى المنادي أن تعشوا بعد المغرب وتهايأوا للرحيل، فشق ذلك علينا، وكانت من أعظم الليالي التي قاسيناها في سفرنا. ارتحل الناس بعد العشاء وصاروا ليلهم خائفين من اللصوص ومن إدراك الحر لهم قبل بلوغ المنهل. فأناخوا هنيئة قبل السحر في وسط واد النار، ولم يخطوا الأحمال إلى أن طلع الفجر فارتحلوا وساروا سيرا حثيثا.

ولما طلعت الشمس ووقع شعاعها على الأرض ثار منها هيب روعت الركائب كما هو شأنها غب السرى، فلم يصلوا إلى المنهل حتى قرب الزوال، وضاع ناس من الفقراء بقوا في الوادي بمضيعة، وهلكت إبل، ولكن لطف الله أتم ما كان الناس يظنون، إلا أنه يتلف معظم الركب، وتخوفوا مثل ما وقع في العام الماضي للركب في ذلك المحل فقد تلف فيه آلاف من الخلق، سيما الركب المصري، وسلم الله المغاربة في هذه السنة، ووقع مثل ذلك للمصري في الحاضرة، فمات منهم نحو السبعمائة على ما زعموا وهم نازلون، وهبت عليهم ريح فكان الرجل في حوائجه حتى يقع ميتا، ثم قِيلَ الركب على منهل النبط حتى استقوا

(1) في ط: نخل

وسقوا إبلهم، فارتحلوا بعد العصر ونزلوا قريبا من المغرب لأنهم رأوا لصوصا على رؤوس الجبال فتخوفوا عاديتهم إذ اختلط الظلام.

وفي الغد نزلنا الحوراء قرب العصر وباتوا بها، وفي الغد ارتحلنا فلما طلعتنا من العقبة السوداء اشتد الحر غاية وسرنا سويعة فترل الناس قهرا وتفرقوا في العضاة يستظلون، فترلنا تحت سمررة وتفرق عنا أصحابنا، ولم نجد من نستعين به في نصب الخيمة، فبسطنا ثوبا على أغصان رثمة وأدخلنا رؤوسنا تحته، ولم يرتحل الناس إلى قريب من العصر، فخافوا معرة العطش لبعث المنهل وقبح المياه التي وردوها، والتي أمامهم، فأسروا ليلهم وخسف القمر في تلك الليلة، وسار الناس إلى أن ذهب أزيد من نصف الليل فترلوا، وفي الغد نزلنا كذا قرب الزوال، وبات الناس به، وبالغد سار الناس ولم يبيتوا إلى قرب الوجه، وفي الغد نزلنا الوجه عند طلوع الشمس ووجدنا به أول الملاقى، ورخص السعر وكثر العلف وارتحل الناس منه عشاء، وباتوا بعد أن خرجوا من تلك الشعاب وقربوا من واد الأراك.

وفي الغد مررنا باصطيل عنتر، واستقى الناس منه وتجاوزوه، وفي الغد مررنا بالأزم وتجاوزوه، وفي الغد مررنا بكفافة، فلما قرب الناس من شق العجوز، ودخل معظم الركب فيه ولم يبق إلا القليل، أغار اللصوص على أواخر الركب قرب بئر الدويدر، فلم يجدوا هناك جماعة إلا طائفة قليلة من أعراب برقة، ورجلان من أصحابنا ذهبوا لسقي ماء من البئر فقاتلوهما أشد قتال، وقتل من اللصوص رجلا، ومع ذلك أخذوا من الإبل قريبا من الثلاثين بأحماها، ودخلوا في مضيق تلك الشعاب وتعذر الغوث، بيد أنه ليس في الركب في هذه السنة من يدفع، بل ولا من ينفع، وكان شيخ الركب سيدي أبو زيان حفيد سيدي أحمد ابن يوسف الملياني، وهو رجل لين وليست له عصبية قوية، إنما كان يتأخر في بعض الأحيان هو وفارس آخر من أصحابه، فكان من قدر الله في ذلك اليوم أن ركب⁽¹⁾ على جمل لإراحة فرسه، وتقدم وما رأى الناس قطا لصا في ليل ولا نهار من مكة إلى هذا المحل، وكأنهم أمنوا وقل حذرهم، فساروا حتى جاوزوا دار أم السلطان، وباتوا، وفي الغد أتينا المويلح ضحى بعدما اشتد الحر، ولما قربنا من البندر تقدمت أمام الإبل، وملت إلى حائط من نخل لأستريح، فوجدت حارسه رجلا من المغاربة من زناتة إفريقية، تعوّق هنا فأدخلني الحائط وآواني إلى عريش له، حوله حاية ماء

(1) في ط: أن ركب في ذلك اليوم.

بارد، وقدّم لي من رطب الحائط، فأكلت وقيلت هناك عنده واسترحت حتى ذهبت سورة الحر، فتقدمت إلى المترل، فجزى الله أهل الإحسان خيراً وأثابهم.

وبات الركب تلك الليلة في المويّج في أرغد عيش، وفي الغد ارتحلنا بعد الزوال ونزلنا حيث تنعطف الطريق يمينا عن البحر، وفي الغد مررنا بعيون القصب واستقينا، وفتناه غير بعيد ونزلنا، وفي الغد نزلنا مغارة شعيب قرب المغرب، وفي الغد ارتحلنا بعدما طلعت الشمس وارتفعت، وبتنا أعلى الوادي دون شرف بني عطية، وفي الذي يليه نزلنا أسفل الوادي قريبا من البحر حيث تميل الطريق إلى ظهر الحمار، وفي الذي يليه نزلنا العقبة ظهرا. ووجدنا أهل غزة وأهل معان قدموا بعنب كثير وفاكهة، وبات الناس بها تلك الليلة وأقاموا غدا، وهناك تجددت لنا نية السفر إلى القدس الشريف وزيارة ثالث الحرمين ومشاهدة الأرض المقدسة المباركة ومعاينة آثار الأنبياء وزيارة الخليل وبنيتهم عليهم الصلاة والسلام، وكان ذلك يختلج في أفكارنا أيام المجاورة كلها ونرغب إلى الله تعالى في تيسير ذلك في مظان الإجابة، وهي إحدى المسائل التي سألت الله تعالى فيها الملتزم، وجعلنا هذه عنوان ما غاب منها، فمن الله بالإجابة، إلا أنا مع ذلك كنا نرى الوصول إلى تلك الأماكن متعسرا أو متعذرا على أمثالنا لقلة ذات اليد وعدم القدرة على مقاساة المشاق العظيمة التي يوجبها الانفراد عن الطريق المألوف والسلوك في بلاد غير معهودة، والمعارف بها مفقودة، والرفقة إليها غير مأمونة، والمخاوف فيها إن لم تحقق فهي مظنونة، فكنا نمني أنفسنا بعد الوصول إلى مصر واستقرار الأركاب بها بنجد رحلة من هناك إلى القدس، (وكان أمر الله مفعولاً)^(١)، ومن اختار له كان على كاهل السلامة محمولا، فلما نزلنا بالعقبة ووجدنا بها رفقة أهل غزة، قوي عزمنا على ما كنا نأمله، وتركنا الالتفات إلى ما كانت النفس تسوله، وفوضنا الأمر إلى الله، وتوكلنا عليه وأعاننا على ذلك صاحبنا الحاج أحمد العجيين الطرابلسي، وكان معنا في الركب وقوى عزائمنا، واكترى لنا جملين للركوب وحمل الماء من رجل اسمه صبح الرباب من عرب الحكوط، وهم أهل تلك الناحية، وسلف لنا ما نحتاجه من النفقة في الطريق، وبعثنا كتبنا وأمتعتنا مع بعض أصحابنا في الركب إلى مصر، وفارقنا ركب المغاربة هناك. وارتحلوا صبيحة يوم الأحد التاسع والعشرين من محرم، وأقمنا بعده يوما، وزرنا في ذلك اليوم قبر الشيخ

(١) النساء: 47.

إبراهيم اللقاني، وهو دون البندر في مقبرة هناك معلّم عليه بأحجار، وما عرفناه إلا في هذه المرة دلنا عليه بعض أصحابنا الإفريقيين. فلما خلا المتزل منهم ولم يبق داع ولا مجيب اشتدت علينا الوحشة، وتسوغت مرارة الاغتراب في الغربة، وبقينا منفردين ليس لنا خباء يكتنا من الحر، وثلاثتنا مثل الأثافي لا رابع لنا إلا عناية الله التي شملتنا ولطفه الذي حف بنا، فحملنا أمتعتنا على ظهورنا إلى حائط نخل قرب الركب المصري، ونزلنا فيه حتى جاء صاحبنا المكارى عشاء، فأتينا⁽¹⁾ مأواه في قافلة أهل غزة، فنقلنا إليه أمتعتنا وبتنا عندهم.

وفي الغد أخذ الركب المصري في الارتحال من العقبة من نحو نصف الليل، وما خرج آخره من الدار حتى زالت الشمس، وكان أول من رحل باشة الأزلية، وهو الأمير الذي يقدم مع أول الملاقين إلى الوجه، ولم يزل الناس يرحلون بعده شيئاً فشيئاً، وقبل الظهر رحل المحمل وبعده باشة العقبة، وهو آخر من رحل، ولم يبق بعده إلا من أراد المشي إلى غزة.

فلما خرجوا من المتزل ولم يبق به أحد منهم، وذهبوا⁽²⁾، وتأخر رفقتنا الشاميون حتى غابوا عن أعينهم ودخلوا في شعاب العقبة أخذوا في الارتحال، وارتحلوا في خفارة أمير الوحيدات وما والاها من عرب غزة المسمى الشيخ بشير، وكان ورد العقبة في نحو من عشرين فارساً من أصحابه، وهو صاحب درك الركب المصري والشامي في تلك البلاد. وكانت بينه وبين كبير حجاج أهل غزة في تلك السنة الحاج حسن المغربي معرفة، فتكلم معه على أن يذهب بهم ياتاوة إلى غزة يؤدونها له، فخاف الحجاج غدره وعدوانه، فتكفل لهم صاحبه الحاج حسن المغربي بكل ما يقع منه من نقض وغدر، وتوقى منه بصاحبه، وذهبوا به إلى أمير الحاج المصري حتى تكفل لهم بذلك بين يديه، وكتبوا عليه سجلاً على ما زعموا، وسبب ذلك أن هؤلاء الأعراب نافقوا على عسكر غزة في هذه السنة، ووقع بينهم وبينه قتال، ونهبوا عسكر أمير غزة، وخرجوا عن طاعته، فلذلك خاف منهم الحجاج الشاميون، ولولا توثقهم بضمان حسن المغربي ما ذهبوا معه، ومع ذلك فقد ذهب أكثرهم إلى مصر ولم يأمنوا أن يذهبوا معه، وكانت الجعالة التي تكلموا بها معه ثلاثة قروش لكل جمل، وفي الرفقة أزيد من مائة جمل، ولحسن المغربي منها

(1) في ط: أرانا.

(2) ساقط من ط.

نحو من أربعين. وسرنا إلى العقبة بعدما صلينا الظهر واستقينا الماء سيرا رفيقا لا خوف فيه ولا قلق، ووصلنا فم النقب عند صلاة المغرب وصليناها في المضيق الذي هو مبدأ الصعود، وطلعنا العقبة رويدا، ووافينا ذروتها قريبا من ثلث الليل الأول، ولم نَرَ فيها لصاً ولا سارقاً ولا طارقاً، إلا طارقاً يطرق بخير، لأن غالب المكارين من عرب تلك الناحية، وكل من في تلك الناحية من الأعراب، في درك خفير الركب بشير. وشرف في تلك الليلة حمل من الفلفل للحاج حسن المغربي فبعث بشير من قص الأثر، فأتى به ولم يضع منه شيء، فلما طلعنا لسطح العقبة فارقنا أواخر ركب المصري، وكنا أدركناهم في العقبة، وعدلنا ذات اليمين وقد وجدنا من الإبل الباقية من الركب المصري في صعود العقبة ما ينيف على المائتين بين حي وميت، فرمما يكون بالموضع الواحد خمسة أو ستة مصرعين، فكأنما جزرهم جازر، فقضينا العجب من ذلك، وما ذاك إلا من الثقل وللسوق العنيف، وما كانت إبل الأعراب الذين معنا إلا دون تلك في السمن بكثير، ومع ذلك لم يضع منها واحد. ولم نزل نسير تلك الليلة في سطح العقبة إلى قريب من ثلث الليل الآخر، فأنخنا في فحصاص أسود لا ماء به ولا كلاً ولا ظل، وأصبحنا فيه، وجعل الأعراب يعدون الإبل والأجمال لأخذ الغفر الذي شارطوهم عليه، فأخذوا على كل جمل قرشين، وعلى كل جمل من جمال الأقوام ثلاثة، والأقوام عندهم هم الفلاحون. وكنا توهمنا أنهم يأخذون منا، فصرفهم الله عنا، وليس معنا متاع يأخذون عنه، والإبل التي ركبنا عليها هي لهم، فلم يتعرضوا لنا بسوء. ولم نرحل من ذلك المتزل إلا بعد العصر، وسار الناس سيرا شديدا طول ليلهم، وقل الماء في القافلة، وأضر بنا السهر حتى وقعت مني خيزرانة كانت عندي حججت بها وشهدت بها المشاهد، فتألمت لفقدتها، ولم أصب في طريقي كلها بمثلها.

ولما كان آخر الليل ذهب مكارينا سلمان، وهو ابن أخي صبح المتقدم بعثه معنا، ورجع هو حين قل الماء، وقال لنا إني أعلم هنا موردا كنا حفزنا في هذه السنة لنعمنا، وذهب معه بالجمل ليأتنا بالماء، فلم يدركنا حتى نزلنا ضحى قريبا من ماء آخر، فأتانا بماء بارد حلو، وأقمنا يومنا هناك إلى العصر فارتحلنا، فلما كان الثلث الأول من الليل دخلنا في جبال وعرة وسلطنا في عقاب إلى آخر الثلث الثاني، فترلنا على ماء يسمى مائق، وهو ماء بارد حلو في مسيل واد في حفائر، وكان أصله ماء المطر المتحقم في باطن الأودية، وأقمنا فيه إلى العصر، فارتحلنا

وحصر شيخ العرب الناس حتى عاود لحساب الإبل والأجمال، فأراد أن يعد إبلنا، فقال شيخ القافلة حسن المغربي: هؤلاء حجاج فقراء لاشيء معهم فتركها، فلما كان بعد المغرب رأوا سواداً عقبهم إلى الماء فظنوهم عدوًّا، فرجعت الخيل إلى الماء وبات الناس هنالك، فإذا هم قوم من العرب معهم أحمال للتجارة فروا بها من الغمر، فأتوا بها وغفروها، ثم ارتحلنا صباحاً وقلنا في واد قرب موضع يقال له العين، فلقيني قرب المنزل شيخ العرب وقال: يا حاج، يا مغربي، هات القرسين، يداعبني. فقلت: إن شاء الله. ولم يذكرها لي بعد، وعطشت خيل العرب فأخذوا من الناس الماء قهراً لسقيها، ثم ارتحلنا من هناك نقطع أرضاً بها أثر العمارة والحرق أشبه الأرضين بأرض برقة، ومررنا تحت الموضع المسمى بالعين. وبعد نصف الليل نزلنا على ماء يسمى بيرين، وهو عبارة عن آبار غزيرة المياه باردة حلوة عليها أدواح عظيمة من شجر البطم، وأصبحنا بها وأقمنا إلى العصر، فارتحلنا وانحدرت بنا الأرض إلى سواحل الشام. وفي الثلث الأول من الليل وصلنا إلى كئبان رمل وجبال منه ممتدة، ولم نزل نقطعها إلى أن غاب الغمر في السادسة، ونزلنا إلى الصباح فارتحلنا وقلنا في موضع يسمى الرحبية⁽¹⁾، وبه آثار عمارة كبيرة ومدينة خالية نزلنا عن يسارها، ثم ارتحلنا عند العصر ومررنا بموضع يسمى الراية عند الأصفرار⁽²⁾، فلما كان عند المغرب أمر شيخ العرب الناس فترلوا قرب الوادي المسمى بالفارغ، وكانت إبل حسن المغربي قد تأخرت، فلما جاء وجد الناس قد نزلوا، وأبى عن التزول، فارتحل الناس بعدما حطوا رحالهم، وفارقهم شيخ العرب وجماعته لأنهم خافوا من باشة غزة، فإنهم قتلوا منه في الشهر الذي قبل هذا نحو ثلاثمائة، وسار الناس على حالة، وجل ليلهم أجمع، لأن المحل موضع بين الفريقين، فلما طلع الفجر صبيحة الاثنين السابع من صفر أناخوا بباب غزة، فترلنا خارجها، واطمأنت القلوب بعدما كانت في وجل، ورأينا البساتين والأشجار والمنازل والقصور وكأنما نشرنا من القبور، ودخلنا في عالم آخر سوى الذي كنا فيه، وحمدنا الله كثيراً، وشكرنا شكراً أثيراً، ودخلنا المدينة بعد طلوع الشمس، وتلقانا أول ما دخلنا رجل من تجارها فأدخلنا داره تبركا وأطعمنا، ثم ذهبنا إلى المسجد الكبير ونزلنا به، وما شعرنا أن به اللوية المسماة عندهم بالدم، وهي أضر شيء لبدن الإنسان، تلسع لسعا تسري سميته في البدن فيحكمه أياماً، وكثيراً ما يعقب

(1) في ط: الرجبية.

(2) في ط: الأصفر.

مرضاً ردياً والعياذ بالله، فتأثر من ذلك بعض أصحابنا، ورأينا من غزة بلداً فسيحاً ومنظراً رائعاً، وأسواقاً حافلة، وأسعاراً رخيصة، وفاكهة كثيرة، مع ما هم فيه من التشويش من أجل العرب المخالفين فإنهم يغيرون على القرى التي حول المدينة وينسفون زروعها، وعجز الباشا عن مقاومتهم، وكان في تلك الأيام يضم البيارق من النواحي ويتهاى للخروج إليهم، والبيرق عندهم عبارة عن جماعة من الخيل لهم رئيس يقدمهم، ولكن الباشا مع كثرة ما جمع يقدر على البروز إليهم لنجدتهم وشجاعتهم، وكانوا يحكون عن بشير وجماعة من أقاربه الأبطال أموراً غريبة من الشجاعة، وقد رأيت عند بشير فرساً أنثى كحيلية زعموا أنه اشتراها بألف قرش، والكحيلية نوع من الخيل عندهم معروفة بالنجدة والعناقة، وقد كنت استصحبْتُ كتاباً من عند صاحبنا الشيخ إسماعيل النابلسي الحنبلي لما افترقت معه في العقبة، كتبه إلى صالح علماء غزة وعالم صلاحاتها ذي البيت الشهير، والجاه الكبير، الشيخ عبد القادر بن الغصين^(١) أوصاه فيه بشأني، وعرفه فيه بحالي، فلما دخلت المسجد الكبير وكنا تعبنا ليلنا، وأثر فينا السرى، لم أطق حراكاً ولم أخرج من المسجد حتى صلينا الظهر، وسألت عن الشيخ عبد القادر فعرفت بصفته، فلما جاء وقت العصر ودخل المسجد للصلاة ناولته الكتاب فأخذه وذهب به إلى منزله، وبتنا تلك الليلة بالمسجد ولم يرجع إلينا شيئاً^(٢).

وهذا المسجد من أحسن المساجد رواء عالي البناء فسيح المنظر له صحن رائع مفروش بالمرمر والحجارة المنحوتة وفيه دالية عنب قد غطت بأغصانها الناعمة جهة منه، وفيه شجرتان كبيرتان من الزان بسقتا في السماء بسوقاً مفرطاً كأنهما نخلتان سحوقتان، وعلى يمين قبلة الصحن مسجد كبير مرفوع على سواري كبيرة من الحجارة المنحوتة، وهو مفصول عن الصحن بشبايك غريبة الصنعة ولا يصلون فيه إلا في أيام الشتاء، ووجدنا الفعلة مجتهدين في تبيضه وتجديد نقوشه، وأما بنيانه فلا يحتاج إلى تجديد لفخامته ووثاقه، وكان أصله كنيسة كغالب مساجد ذلك الساحل، إلا أن المسلمين لما ملكوا البلاد من يد الإفرنج صيروها مساجد، وقد سمعت من بعض أهل غزة أن مسجدهم ذلك كان كنيسة في زمن المسيح عليه السلام.

(١) عبد القادر بن أحمد بن يحيى ابن الغصين، الغزي الشافعي، عالم عامل، رحل إلى مصر وأخذ على يد شيوخها، ولد سنة 1013 هـ، وكانت وفاته سنة 1087 هـ: خلاصة الأثر 47:2.

(٢) في ط: بشيء.

ومما عيب على أهل هذا البلد عدم احترامهم للمساجد، فإن لهذا المسجد، وهو أعظم مساجدهم، أبواباً بعضها إلى ناحية السوق، وبعضها إلى ناحية الدور، فلا يكون لأهل الدور مروراً إلى السوق إلا في وسط المسجد، ويمرون في صحنه بنعالهم ويستعملون فيه الدخان الذي يشربونه، وقد قال بعض المغاربة الجاورين هناك مداعباً: إن هؤلاء لا يعدون المسجد إلا الحصر بنفسه فإنهم يحترمون ما دام مبسوطاً ولا يطئون به بنعالهم، وما سوى المكان المفروش لا فرق عندهم بينه وبين الأزقة. ولما كان الغد من يوم وصولنا دخلت على الشيخ عبد القادر في مدرسته فسلمت عليه، وقال لي: أين الرجل الموصى عليه في الكتب الذي ناولتني أمس؟ أين نزل فإنني لم أجد من يدلني عليه، وكان لا يظنني إياه لما رأى من رثاءة هيئتي، فقلت: أنا هو. فأعاد السلام ورحب، واعتذر عما صدر منه من التغافل، وبعث في الحين من أتى بامتعتنا وأصحابنا من لمسجد، وأنزلنا في مكان واسع مهياً للمرافق من مدرسته، وأحسن غاية الإحسان، ومدرسته هذه في قبلة المسجد الأعظم ليس بينه وبين المسجد إلا الطريق، وغالب جلوسه فيه، ويأوي إليه أصحابه فيه، ويقرؤون خمسة أحزاب من القرآن كل يوم قبل طلوع الشمس مناوبة، وفيه خزانة كتب، وتقرأ فيه كتب علمية، وأخبرني، رضي الله عنه، أن أمير البلد هو الذي بنى هذا الرباط وأوقفه عليه، وجعل له أوقافاً، وأخبرني أن الشيخ أبا العباس المقرئ، رضي الله عنه، هو السبب في ذلك، وأنه لما جاء من مصر إلى الشام، وكان نزوله عند والد الشيخ الغصين، وكانت للشيخ المقرئ مكانة عند الأمير. قال: وكانت دارنا بعيدة من المسجد، فآتي إلى المسجد أقرأ فيه وأقري، فسألته أن يطلب لي الإذن من الأمير في بناء بيت ببعض رحاب المسجد وأشتغل فيه بالمطالعة والقراءة، فقال لي: لا بد من حضورك معي عند الدخول على الأمير. قال: فلما دخلنا عليه قدم له الشيخ مقدمات في فضل بناء المساجد والمدارس، ثم أثنى على الشيخ عبد القادر وقال له: إنه من أهل العلم وليس ببلدكم مثله وأراد أن تأذنوا له في بناء بيت في المسجد يقرأ فيه ويقري. فقال الباشا: مثله لا يليق له البناء في المسجد، ولكن هنا موضع نجسه عليك، وهو موضع المدرسة الآن، وكان يسكنه أقوام لا خلاق لهم من أعوان الدولة. فقال له الشيخ المقرئ: لما هممت بهذا فامضه الآن ولا تؤخر. فلم يبرح من المحل حتى دعا القاضي وكتب وشهد الشهود، وأخرج ما كان في ذلك المحل، وحبس على المحل أوقافاً يتحصل منها نحو خمس قطع كل يوم. ولم يزل المحل بعد ذلك عامراً بالذكر والقراءة والله الحمد.

قال: فما نحن فيه كله من بركة الشيخ المقرئ، قال لي: ومن قوة تواضع الشيخ المقرئ، رضي الله عنه، أنه لما أتى من مصر جاء بكتاب من عند الشيخ النجار فيه وصاية إلى والدي به، فأنزله والدي عندنا وأكرمه غاية، فلما أنس بنا وتداخل معنا قال له والدي يوماً: يا سيدي أحمد إنا نشتهي الطعام المسمى عند المغاربة بالكسكس، فهل في أصحابكم من يحسن صنعته؟ فقال له فيهم؟ والله لا يصنعه لكم أحد غري. قال: فأتينا بشاة لحم ودقيق وسمن وما يحتاج إليه، فصنع لنا بيده طعاماً من أجود ما يكون من ذلك النوع. ومما حكى لي عنه أن والده أتى إليه بولده الصغير المسمى عبد الرحمن وسأله أن يدعو له. قال: فدعا له وبرك وكتب له وفقاً في صحيفة من فضة وأمر بتعليقه عليه، فقال يحصل لذلك الولد جاه عظيم وحظوة كبيرة عند الأمراء وأرباب الدولة، وهو الآن شيخ التجار بتلك البلاد، وكلمته نافذة عند العام والخاص، وله أخ بمصر هو من كبار تجارها، وأخوهم الثالث هو الشيخ عبد القادر مشغل بالعلم والعبادة، لا يشتغل بشيء آخر من أمور الدنيا قد كفاه إخوانه مئونة كل شيء، فانتشر له صيت وجاه بتلك الديار من قبل علمه وصلاحه، ومن قبل جاه أخويه الدنيوي، فجمع له جاه الدين والدنيا معاً، وقد استجزته فأجازني حسبما أذكره في جملة الإجازات في آخر الكتاب. وقرأت عليه بلفظي منظومة شيخه المقرئ في العقائد المسماة بإضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة كلها، وأخبرني بها عنه وقال لي: أنا ممن كان السبب للشيخ في نظمها فإني كنت أقرأ عليه صغرى الشيخ السنوسي بمصر، فسألنا منه نظماً في العقائد، فكان كلما قرأ درساً نظمها فيقرأه غداً كذلك، إلى أن ختمها، وعند الشيخ الغصين نسخة من هذه المنظومة عليها خط الشيخ في أماكن، وعليها إجازة لمالكها الشيخ عبد القادر، ولندكر بعض ما رأيته مكتوباً في هوامشها بخط المؤلف تبركاً به، وزيادة للإفادة، فمن ذلك قوله: واستحل معنى من لنفسه عرف ما نصه، حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه. قال النووي فيه أنه غير ثابت، وقال بعضهم، وأظنه السمعاني، من كلام يحيى بن معاذ، وألف بعض شيوخنا المغاربة فيه مصنفاً سماه: القول الأشبه في حديث من عرف نفسه عرف ربه. قال مؤلف العقيدة الفقير أحمد بن محمد المقرئ وفقه الله: وممن صرح بأنه حديث العارف سيدي محي الدين بن عربي فإنه صرح في المسامرات في غير ما موضع بنسبته إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، وأظن أنه صرح به أيضاً في وصايا الفتوحات، والله أعلم.

وكتب أيضا على قوله: آخرها وفاء عده بنصف الألف، البيتين ما نصه،
قولي وفاء، عده بنصف المائة، ألفيتها خمسمائة، وهذا لم أسبق إليه، والله أعلم.
وقولي: وكان إتمامي له في القاهرة، هو جملة التاريخ لأن عدة حروفه بالجمل
1039، قاله وكتبه مؤلفه أحمد المقرئ.

وكتب أيضا في آخرها ما نصه: يقول مؤلف هذه العقيدة العبد الفقير أحمد
المقرئ المالكي، حبره الله، أني صححت هذه النسخة جهد استطاعتي، وأصلحت
فيها ما عثرت عليه، وقد كتب من هذه العقيدة فيما علمت بمصر المحروسة والشام
والحجاز والمغرب نيف على ألف نسخة، والله الحمد، وكتبت خطي على نحو
المائتين منها، وقد كتبها غالب طلبة مكة لما قرأها هنالك وأهل بيت المقدس لما
قرأها به أيضا، وأهل دمشق حين درستها بها، وأخذ منها أصحابنا إلى المغرب
والصعيد نسخا، وكتب لي بعض أصحابنا بالصعيد أنه كتب منه هناك نيف على
مائة نسخة، وكذلك الأمر برشيد والإسكندرية، جعلها الله خالصة لوجهه الكريم،
وكتب لشوال سنة 1037، وعرض علي شيئا من منظومة أبي الحجاج الضرير في
العقائد، وسألني عن تفسير أبيات منها، وكان فيه قوة إنصاف وزيادة تواضع،
رضي الله عنه، وله ولد نجيب شارك في العلوم، حافظ للقرآن، نَحَجَ نَحْجَ أيّه في
اكتساب الأخلاق الحميدة، وغالب من له مشاركة في علم من العلوم يحضر عند
الشيخ عبد القادر في هذه المدرسة أحيانا كثيرة، وبالجملّة فهو الملحوظ والمنظور
إليه في البلد علما وصلاحا وحسن سمّت وهدى، وهو ملجأ الواردين من العلماء
والفقهاء، وإليه يأوون، فهو محط رحالهم ومنتهى آمالهم إذا أحب الله عبدا حبيبه
إلى خلقه، وقد كتبت له أبياتا بعدما أنست به وأنس بي وعمني بره، وهي هذه:

[وافر]

لدى الشيخ الغصين أنختُ رحلي	بغزة ما أعز بها مكان
فأكرمني وأتحفني بترل	ونلتُ بقربه كل الأمان
ولم لا وهو شيخ العصر علما	وجودا وهو نادرة الزمان
فمن خاف الردى وأتاه جارا	أجير وبات في ظل الأمان
إمام عارف بالله حقا	سنا قلبه بسط البنان

به الحسب الصميم وحسن خلق إذا تلقاه يظهر للعيان
فمن خلق الكرام له صفات حسان ليس تحصر باللسان
جزاة الله عني كل خير يكون ختامه سكن الجنان

وهذه الأبيات، وإن كانت في الرتبة الوسطى من البلاغة فقد ابتهج بها سروراً وبالغ جلساؤه في إطرائها، وتناقلوها، وذلك لشغور البلد من أهل هذه الصناعة، بل ومن يحقق غيرها من العلوم، فإن أمثل ما فيها شيخنا هذا، إنما له مشاركة حسنة وديانة ظاهرة أكسبته وقارا وهيبة ووجاهة عفت ما عسى أن يظهر أثره من قصور أو تقصير، وقد رأيت قريبا من مقابلة المكان الذي يجلس فيه في المدرسة بيتين في رق ملصق في حائط ذكر لي أنهما لبعض الواردين هناك وهما:

[مجزوء الرمل]

يا سائلي عن غزوة ومن بأرضها مقيم
فابن الغصين إنه على صراط مستقيم
وسائل عن غزوة ومن بها من الكرام
أجبت عنه مختصرا نجل الغصين والسلام

وكتبت⁽¹⁾ بإزائهما ما هذا قريب منه إن لم يكنه:

مدرسة ذات جمالا ل وهما بـهاهر
لكن كمال حسنهما بالشيخ عبد القادر

ومن لقيته بغزة أيضاً قاضي الحنفية بها الشيخ عمر المشرقي⁽²⁾، وهو صهر الشيخ عبد القادر، وله مشاركة أيضاً، ويُشار إليه في المعقولات على حسب مقتضى الحال، ويبتهم بيت علم، وأسلافه بغزة، كانت لهم رئاسة علمية، فأنضاف إليها موالاته في الوقت لآل الغصين، فاكسب بذلك رئاسة تولى بها خطة القضاء،

(1) ساقط من ط.

(2) عمر بن عبد القادر المشرقي الغزي، العلامة المتفنن، تولى خطة الفتيا ببلده، كانت وفاته بغزة سنة 1087 هـ: خلاصة الأثر 3:212. نشر المثاني 2:140.

فعظمت بها منزلته، وكان أولاً على مذهب الإمام الشافعي كأسلافه، ثم اتفق موت قاضي الحنفية في البلد، ولم يكن معه في البلد من يقوم بوظيفة القضاء، فرشح لذلك، فانتقل لمذهب أبي حنيفة بسبب ذلك على ما أخبرني به بعض أهل البلد، وغالب من يتمذهب بمذهب أبي حنيفة في هذه الأعصار وما قبلها بأزمان إنما ينتقلون لمثل هذه الأغراض، بل هذا من أحسنهم عذراً لأنه ما انتقل إلا بعد أن احتيج إليه في ذلك المذهب، وغيره ينتقل رجاء في التقرب إلى أرباب دولته، ولينال خطة يوماً ما من الدهر، وقد حذر العلماء حتى الحنفية بأنفسهم من الانتقال في المذاهب لأغراض سوى ظهور ترجيح المنتقل إليه، سيما إن كانت الأغراض دنيوية. وسيأتي بقية الكلام على ترجمة هذا الشيخ عند ذكر لقائي له عند الرجوع من القدس.

وفي مدينة غزة مزارات كثيرة ومساجد فاضلة في أطراف البلد قد استولى الخراب على أكثرها، فإن هذه المدينة كانت في أول الأمر من أمهات المدن في الجاهلية والإسلام، وقد أثر الهدم فيها لوقتنا غاية، وبلغ الوهن في أطرافها النهاية، ولم يبق بها إلا رسوم ماثلة تدل على أبهة كاملة في قصور الأمراء والمساجد والرباطات والمشاهد، ومعظم عمارتها اليوم إنما هو في قرب المسجد الكبير إلى دار الإمارة، وما يقرب من ذلك مما هو في أعلى الربوة التي هي فيها لأنها في رابية مشرفة على بساتين وجنات من نخيل وأعناب (وفواكه كثيرة مما يشتبهون)^(١)، ومعظم أجنحتها في زمننا هذا من جهتها البحرية متصلة إلى قريب من عسقلان، وهي على ساحل البحر بينها وبين غزة نحو من ثلاثة فراسخ، وبين غزة والبحر نحو من فرسخ.

ومن المزارات التي زرناها مولد الإمام الشافعي، رضي الله عنه، وهو في مغارة تحت الأرض قرب الجامع الكبير، وقد ذكر المؤرخون أنه ولد بغزة. ومنها قبر هاشم بن عبد المطلب جد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وإليه تنسب غزة إلى الآن، فيقال: غزة هاشم، وهو في طرف المدينة من الناحية البحرية، وقد ذكر أهل السير أنه مات بغزة، إلا أنه يبعد تعيين قبر عربي مات في زمن الجاهلية بأرض غربة في أرض العجم ويستمر تعيينه إلى زمننا هذا، ولا شك أن هاشماً رئيساً في قومه، جواداً سخياً ممدحاً عظيماً في قريش، لا تجهل مكانته، والعرب كانت تعني

(١) المرسلات: 42.

بتعظيم مقابر عظمائها، فلو كان في بلاد العرب ما بعد كل البعد أن يتعين في الجاهلية ثم يبقى كذلك في الإسلام لمكانته من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وإلا فكم من قبر لعظيم من عظماء العرب كان مشهوراً في الجاهلية ينحدر عنه ويستجار به كما هو مذكور في مآثرهم قد محا الإسلام بنوره آثار ذلك كله، وجرت عليه الرامسات ذيوها (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا)⁽¹⁾، وقد زرنا هذا المكان بحسن النية لغرابته من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، واقتداء بمن قال من الأئمة أن أجداده، صلى الله عليه وسلم، مسلمون كلهم على دين إبراهيم عليه السلام، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى.

ومن المزارات أيضاً بغزة قبر الإمام الأوزاعي، رضي الله عنه، ومكانته في العلم والصلاح مشهورة، وهو إمام أهل الشام في زمانه، وله مذهب متبع، وزرنا أماكن كثيرة سوى هذه، نسأل الله أن ينفعنا بذلك آمين. وكانت إقامتنا بغزة خمسة أيام، وارتحلنا منها يوم السبت الثاني عشر من صفر، واكترينا حمارين لركوبنا إلى الرملة، وخلفنا بعض ما يثقل من حوائجنا. وكتب لنا شيخنا الشيخ عبد القادر كتاباً إلى الرملة، وآخر إلى القدس وآخر إلى الخليل، يوصي بنا، فخرجنا ضحى مع قافلة وسرنا في أجنة غزة وكرومها قريباً من فرسخ، ثم خرجنا إلى فحص واسع ذي مزارع وزيتون كثير، ومررنا بقرى متعددة، وتركنا عسقلان على الشمال بيننا وبين البحر، وكنت أود زيارتها وزيارة ما فيها من المساجد فلم يقدر لي ذلك، وكانت في العصر الأول من أمهات المدن إلى أن خربها السلطان صلاح الدين بن أيوب بعد فتح القدس، خشية استيلاء الإفرنج عليها فيجعلونها ذريعة إلى التوصل إلى القدس، وقد عجز المسلمون عن حفظها في ذلك الوقت كما ذكر المؤرخون، ولم أر من ذكر أنها عمرت بعد ذلك عمراناً معتبراً. وسرنا يومنا⁽²⁾ إلى العصر فوصلنا محلاً يُسمى خان أردود، وهو منزل معلوم تتزله القوافل الآتية من مصر على الطريق السلطانية أو من الشام، ولهم منازل معلومة لا يتعدونها، طالت الرحلة أم قصرت من مصر إلى الشام، بل وإلى اصطنبول على ما أخبرني من مارس تلك البلاد، وبجانب هذا الخان مسجد فيه قبر ولي الله تعالى

(1) مريم: 98.

(2) في ط: ذلك اليوم.

الشيخ إبراهيم المتبولي^(١)، وهو من أكابر الأولياء، وقد أظن سيدي عبد الوهاب الشعرائي في التعريف به وذكر له كرامات، وإلى جانبه من جهة القبلة مسجد صغير تحته مغارة يقال إن فيها قبر سلمان الفارسي، ونزلنا في ذلك المثل وصلينا به الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وقرأنا فيه من القرآن ما تيسر، وكنت جهدت أن أختم فيه ختمة كان ابتداءها من مكة المشرفة، فلم يتيسر ختمها إلا بالمسجد الأقصى.

ثم ارتحلنا منه نصف الليل ونزلنا الرملة حين ارتفعت الشمس، ومررنا بقرب الرملة بقبة عتيقة يقال إن فيها كان باب المدينة في قدم العصر، وقد انهدم رأس تلك القبة، وأخبرنا من معنا من أهل الرفقة أن سبب هدمه أن كان مكتوباً فيه: العقل في الرأس، ولا يعلم أحد معنى ذلك إلى أن جاء رجل ليلاً فهدم رأس القبة ووجد فيه مالا على ما زعموا، فلما دخلنا الرملة نزلنا عند محبنا الفقيه الصالح السيد محمد بن أبي الوفاء الأشعري الحسيني، وإليه كتب لنا الشيخ عبد القادر الغصين فأكرمنا غاية الإكرام، وأقام بالحق الواجب، فجزاه الله خيراً، وهذا السيد من أمثل فقهاء الشافعية في تلك البلاد، وقد تولى القضاء مدة بالقدس، ومثله بالرملة مآلف الأفاضل إليه يأوون، وعنده يتزلون وهو محترم يقصده الناس للزيارة، وأسلافه كانوا أهل فضل وبركة، وهو الآن منفرد في مثله أعد فيه مكاناً للوضوء والصلوات، يقيم الصلوات الخمس بمثله مع من حضر، وصادفنا وقت اجتناء القطن عندهم، فكان يمتحن نفسه في ذلك مع من حضر في المثل، ولا يأنف منذ ذلك، ولم يحوجنا مدة إقامتنا إلى شراء شيء من النفقة، فجزاه الله خيراً، ولما كان الغد من يوم نزولنا بالرملة توجهت مع السيد محمد إلى لقاء الشيخ المسن العلامة المتقن السيد الراوية، إمام الحنفية ومفتيهم، وإليه مرجعهم في تلك الديار الشيخ خير الدين الرملي، وكان لقائي له يوم الاثنين الرابع عشر من صفر بداره الجديدة التي شرع في عمارتها بمدينة الرملة، فسمعت منه الحديث المسلسل بالأولية، وأوائل كل من الكتب الستة، ومسند الشافعي وأحمد وأبي حنيفة والسنن للدارقطني، وكان يورد أبحاثاً رائعة في خلال ذلك تدل على تمهره، وأجازني عن شيخه الحنبلاطي، وعن الشيخ سالم وغيرهما ممن كان في عصرهما، وأخبرني أنه دخل

(١) إبراهيم المتبولي، المصري، صوفي عارف، توفي أثناء رحلته إلى القدس سنة نيف وثمانين وثمانمائة: الطبقات الكبرى للشعرائي، ص: 398.

الأزهر المعمور للاشتغال سنة سبع وألف وعمره أربع عشرة سنة، وخرج منه وعاد إلى الرملة سنة سبع عشرة. ومما أخبرني أنه غرس بيده المباركة ما يزيد على مائة ألف شجرة كلها أطعمت وأكل من ثمرها، وهذا أغرب ما يكون، وما سمعنا بمثله. وأغرب ما ذكر البلوي في كتابه ألف با عن بعضهم أنه غرس ثلاثين ألف شجرة^(١). قال لي: وكان ابتداءه في الغرس من سنة سبع عشرة وألف، وكان هذا الشيخ مباركاً له في عمره، وجمع له فيما بين الدين والدنيا، وليس في تلك السواحل كلها أكثر منه عقاراً، ومع ذلك فلم يترك ما هو فيه من الاشتغال بالعلم تدريساً وفتوى. أخبرني الثقة أنه بنى في الرملة ما يزيد على ألف عتبة، وغالب خانات الرملة وكرومها له، أخبرني أنه أدرك الرملة وليس بها من الفاكهة إلا القليل، فلما اشتغل بالغرس تابعه الناس فصارت الآن من أكثر بلاد السواحل فاكهة. وأخبرني أنه لا يدخر شيئاً إنما يدخل بيده من المستغلات، فما فضل عن حاجته أنفقه. وأخبرني الثقة أن مدخوله في كل يوم يزيد على مائة قرش، وما ولي قط ولاية ولا منصب، وإليه انتهت الفتوى ببلاد الشام. جلست عنده عامة يومي والفتاوى ترد عليه من أقطار الشام فيجيب عنها بلا أجر، وله ملكة وقوة عارضة في مذهب أبي حنيفة، وكان بين يديه صهره الشيخ محمد بن تاج الدين الرملي، شاب صالح له مشاركة يكتب الأسئلة ويجيب عنها الشيخ، ولما اكرمت إلى القدس نادى المكاري وقال: لا تأخذ منه كراء، ودفعه من عنده واعتذر إلي. ومما أخبرني به أن عند علماء الحنفية إذا لم يوجد حكم الفرع منصوصاً عليه عندهم ووجد حكم ذلك الفرع في مذهب مالك فإنه يجب العمل به عندهم لأن أصول الإمامين متقاربة. وأخبرني أيضاً أن مما جرى به العمل في مملكة بني عثمان كلها، ويكتب في عهد العمال أن لا تسمع دعوى بعد خمسة عشر سنة إلا في وقف أو حق يتيم أو غائب، وقال لي إن الحاكم إذا حكم بغير ذلك فسخ حكمه لأنه معزول في غير ما عهد إليه، فلا ولاية له.

ونص ما كتبت من خطه في هذه المسألة: سئلت عن مسألة كثر وقوعها والسؤال عنها، وهي إذا منع السلطان نصره الله عن سماع كل دعوى مضى عليها خمسة عشر سنة إلا مال اليتيم، والغائب والوقف هل يمتنع على القاضي سماعها في غير هذه الثلاثة أم لا، فأجبت: يمتنع على القاضي سماعها في غير هذه الثلاثة،

(١) لم نقف على هذه الإشارة في الطبعة التي اعتمدناها من كتاب ألف باء.

والقاضي فيها كالرعية، ولو سمعها لا ينفذ قضاؤه لأن القضاء يتخصص بالزمان والمكان والحوادث والأشخاص، صرح به كثير من علمائنا، وهو مما أجمع عليه فقهاؤنا، فكان القاضي فيه كواحد من الرعية، والله أعلم. وكتبه الفقير خير الدين أحمد الحنفي الأزهرى حامداً مصلياً مسلماً، وأنشدته بعد المذاكرة لبعض الأقدمين⁽¹⁾:

[بسيط]

ما أكثرَ الناس بل ما أقلهم الله يعلمُ أي لم أقل فندا⁽²⁾
إني لأفتحُ عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا
فأنشدني لبعضهم في معناه:

[رجز]

ما أكثرَ الناس وما أقلهم وما أقل في القليل النجبا
يا ليتهم إذ لم يكونوا خلَقوا مُهذِبِينَ صَحَبُوا الْمُهْذِبَا
وهما أخصر من الأولين وأتم فائدة، وقد كتبت له يوم لقائي آياتاً وهي
هذه:

[طويل]

إلى الشيخ خير الدين أمت ركائي فابن ومن يحملنه خير آيب
وردنَ خفافاً ثم عدن كما ترى ثقال المتون من سنى الرغائب
وحاشا لمن قد مد كفا إليكم تردُّ إليه منكم كف خائب
هو البحرُ في أي العلوم اختبرته تجده عاباً زاخراً بالغرائب
على أنه عذب زلال لوارد فلم يخش منه غصة كل شارب
يفيدك في أي العلوم استفدته بذهن ذكي حاضر غير غائب

(1) البيتان لدعبل، وهما في العقد الفريد 1:236.

(2) الفند: الخطأ في الرأي والقول: لسان العرب: فند.

ولا سيما علم الحديث فإنه
وقد رامَ هذا العبد منه إجازة
بكل الذي يرويه عن فئة مضوا
وإن كان من بعد السماع لبعض ما
جزاكم إله العرش عن نشر دينه
وأزكى صلاة الله ثم سلامه
يدومان ما دامت نجوم علومه
إمام هدى فيه عظيم المناقب
وإن لم يكن أهلاً لتلك المراتب
ونالوا من التحقيق أعلى المناصب
يخف عليكم كان أسنى مطالب
بأزكى تحيات وأسنى المواهب
على المصطفى المبعوث من آل غالب
وأقماره تجلو ظلام الغياهب

وسأتي نص إجازته لي، وكتبها نظماً.

ومن المزارات المشهورة بالرملة قبر الصحابي المشهور الفضل سيدنا الفضل بن عباس عم النبي، صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر المؤرخون أنه مدفون بفلسطين، وكانت الرملة قاعدة فلسطين في العهد القديم، وقد من الله علي بزيارته، وحصل لي من السكينة والوقار والتعظيم له عند زيارته ما لا أشك إذ ذاك معه أن ذاك قبره، وقد ذهب معي لزيارته صاحبنا الذي نزلت عنده السيد محمد الأشعري، وكان من أهل الخير ومن أفاضل أهل النسبة إلى الله، أقمت عنده في منزله ثلاثاً، فرأينا منه خلقاً باهراً وفضلاً ظاهراً وديناً متيناً، وقد من الله علي بعقد أخوة معه عند قبر سيدنا الفضل ابن عباس، وكتبت خطي بذلك وكتب لي هو⁽¹⁾ أيضاً هو بخطه، ونص ما كتبه لي: الحمد لله، واصل المنقطعين، والصلاة والسلام على من بشر المتحابين في الله بأسنى مراتب المقربين، وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً دائماً باقين متلازمين ما حن غريب إلى أوطانه واشتاق للمحبين، وبعد، فمما من الله به من النعم أن قدر لي الاجتماع بحضرة مولانا العالم النحرير المفخم، من جمع شتات الفضائل، وأبرز من يم بنات أفكاره فوائد هي من نظم ونثر، ورسائل حضرة الأخ في الله والمحِب لوجه الله، أبي سالم عبد الله ابن محمد بن أبي بكر العياشي المالكي المغربي، كان الله له حيث يكون، ودبرني وإياه في الحركة

(1) ساقط من ط.

والسكون، ونفعني بأخوته (يوم لا ينفع مال ولا بنون)⁽¹⁾، آمين آمين آمين، والحمد لله رب العالمين، قاله بلسانه، وكتبه بيناه، أضعف العباد وأحوجهم إلى عفو ربه يوم التناد، محمد الأشعري الحسيني الشافعي، حامداً مصلياً مسلماً.

ومن المزارات العظيمة بالرملة الجامع الأبيض⁽²⁾، وهو مشهور الذكر عند الصوفية، وقد ذكر الشعراني في كثير من كتبه أن جماعة من الأولياء كانوا يأتونه من الأقطار البعيدة للصلاة فيه، وقد زرناه، والله الحمد، وصلينا فيه. وفي صحنه مسجد تحت الأرض فيه مغارة قد زعموا أن بابها مسدود برصاص، وأن فيها جماعة من الأنبياء، وفي جانبه الغربي مسجد يقال أنه متعبد صالح عليه السلام، وفي شرقيه قبر الحافظ أبي عبد الرحمن النسائي صاحب السنن، وهذا المسجد خارج البلد على حد العمران، وهو خال في أكثر الأوقات مع سعتة وبمائه وانشراحه لا يشك ذو ذوق أنه مأوى الصالحين.

وفي اليوم الثالث من إقامتنا بالرملة ذهبت إلى مدينة لد⁽³⁾ لزيارة بعض الإخوان هناك، وهي مدينة مليحة فسيحة مجاورة لمدينة الرملة، بينهما نحو من فرسخ من ناحية البحر، وفيها أسواق ومساجد ومزارات، ومن مزاراتها قبر يقال إنه للمقداد بن أسود⁽⁴⁾ الصحابي المشهور، ومشهد يقال إنه لعبد الرحمن بن عوف، إلا أن الصحيح أنه مات بالمدينة المشرفة.

ومن الغرائب التي شاهدناها في هذه المدينة أن مسجدهم الأعظم كان في الأصل كنيسة، وصار اليوم نصفه مسجد ونصفه كنيسة، تسمع أصوات كل من المحليين في الآخر، وزعموا أن سبب ذلك أن المسلمين في وقت فتح البلد دخل بعضهم من ناحية صلحا، وبعض من الناحية الأخرى عنوة، فاجتمعوا في وسط الكنيسة، فصار نصفها مسجد والنصف الآخر كنيسة، والله أعلم، وأظن أن ذلك في فتح الشام عند فتح دمشق. وقد صادف دخولنا الرملة نزول أكابر أغوات

(1) الشعراء: 88.

(2) الجامع الأبيض: يقع بالرملة، ويقال أن في قبلته ثلاثمائة من الأنبياء مدفونين عليهم السلام: رحلة ابن بطوطة 1: 80.

(3) لد: بالضم والتشديد، قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين: معجم البلدان: لد.

(4) المقداد بن الأسود: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة القضاعي الكندي البهراني، من الصحابة الأجلاء وشهد بدرًا، توفي سنة ثلاث وثلاثين في أرضه بالجرف، وحمل إلى المدينة وقبره بالبقيع: شذرات الذهب 1: 39. سير أعلام النبلاء 1: 385.

السلطان بها، وقدم من اصطنبول في أكمة عظيمة على ما يُحكى، وزعموا أنه هو الذي رتب السلطان في حجره، وهو المتولي الدار التي فيها حرم السلطان وجواريه، ثم حصل بينه وبين السلطان جفوة، واستحيا السلطان أن يواجهه بمكرهه، فبعثه إلى مصر مصحوباً بجميع ماله، ولم يرزأه شيئاً، ثم أتبعه رسولاً إلى مصر يأمرهم بقتله خفية، فأخذوا جميع ماله وبعثوه إلى الصعيد، فلم يظهر له أثر بعد ذلك. وقد حكى لنا من أئمة أمور مستغربة، من ذلك أن له خمساً وثلاثين محفة، في كل محفة جارية من حظاياه، وأزيد من مائة فرس من عتاق الخيل بجميع ما تحتاج إليه من الآلة كلها مجللة. وزعموا أنه اكرى من اصطنبول نحواً من خمسين سائساً لخياله بأزيد من أربعين فرساً لكل واحد سوى ما يتبع هذا من بسط وفرش وأموال وذخائر وإبل وعبيد وإماء للخدمة، بحيث يستغرب أن يكون مثل ذلك لملك من ملوك الأرض.

وقد سمعت ونحن بالرملة من يقول إن أهل البلد قد تضرروا بالعطش في هذه الأيام، فإن أمير البلد قد أمر بجميع كل سقاء في البلد يستقون للآغا. وقد أخبرني أهل خان يونس أنه لما نزل بهم لم يجد أحد من أين يستقي جرعة ماء من جميع السواني التي في البلد، وقد أشغلها كلها يسقي خيله وإبله وملء قربه ورواياه.

وفي اليوم الرابع ارتحلنا من الرملة صبيحة الأربعاء عند طلوع الفجر قاصدين إلى القدس الشريف، وطلعنا شعاباً وعرة فوجدنا بها قوماً من أهل تلك الجبال يأخذون الغضر من كل من مر من تلك الطريق، وكانت على رؤوس أصحابنا مظلة من الدوم^(١) أو من جريد النخل كنا نتقي بها من حر الشمس، فلما رأنا قوم من أهل تلك الجبال صاحوا بنا من أعلى الجبل: يا للعر والشتم. فقلنا للمكاري الذي كان معنا: ماذا يقولون؟ فوجم أن يخبرنا، فلما ألحنا عليه قال لنا: إنهم لما رأوا ما ظللتهم به على رؤوسكم ظنوا أنكم نصارى فجعلوا يسبونكم، فإن هذا إنما يفعله النصارى في هذه البلاد، فأزلناها عن رؤوسنا ولم نعد إليها من ذلك اليوم، والإنسان يحمي عرضه ودينه.

ولم نزل يومنا سائرين في صعود وهبوط في أرض وعرة، وعلى يميننا ويسارنا قرى ذات كروم، إلى أن وصلنا إلى قرية هي أدنى القرى إلى المدينة بها عين ماء

(١) الدوم: شجر المقل، واحدته: تومة: لسان العرب: دوم.

يجري، فترلنا بها وتوضأنا وصلينا الظهر، وسرنا ودخلنا مدينة القدس وقت العصر، وصلينا العصر بقبة الصخرة، وأنزلنا حوائجنا أولاً بزاوية المغاربة حتى لقيت الشيخ محمد الصيداوي تقيب رواق الشيخ منصور الكائن تحت صحن الصخرة المقدسة، وقد كتب إليه الشيخ عبد القادر كتاباً يوصيه بنا، فأعطانا بيتاً بإزاء الرواق نقلنا إليه حوائجنا، وكان داخل المسجد، فاغتنبنا به لتمكننا من الجلوس في المسجد والصلاة فيه في أي وقت أردنا، وهذا المسجد المُقدَّس آية من آيات الله في فخامة البناء وسعة المقدار، فيه أشجار كثيرة من التين والزيتون عظيمة، تحت كل شجرة مصطبة مبنية بالحجر المنحوت على قدر ما تظله أغصان الشجرة، فيه شكل محراب يجلس الناس تحتها للصلاة والقراءة، ويأوي إليها الفقراء المتجردون، وطوله من الجهة الشرقية ستمائة ذراع وخمسة وستون ذراعاً بالذراع المالكي، وعرضه أربعمائة ذراع وستون ذراعاً بالذراع المالكي، وأما الأروقة التي في داخله والبيوت التي في خارجه، فشيء كثير. وفي وسط المسجد قبة الصخرة ماثلة في الهواء مُثَمَّنة الشكل، لها أربعة أبواب دون القبة، كلها نحو من خمسمائة قدم. وحيطان القبة وأرضها كلها مزخرفة بأنواع الفسيفساء المصبوغة بأصباغ مختلفة ونقوش عجيبة، وهي في غاية الارتفاع وإتقان البناء، وأبوابها في غاية العظمة والإتقان، وداخل الأبواب درايز⁽¹⁾ فيما بين الأساطين على دور الصخرة، وفي داخل الأساطين الصخرة المقدسة يحيط بها شباك من خشب دوره نحو من تسعين خطوة، والصخرة لوئها يميل إلى الزرقة في غاية الصلابة، وشكلها فيه استدارة يغلب عليه الطول، وغلظها نحو من ذراعين، وعلى ظهر الصخرة ندوب ومربعات صغيرة وكبيرة كأنها أماكن أحجار قطعت منها، وقد ذكر بعض المؤرخين أنها كانت في زمن بني إسرائيل طويلة جداً، وأنهم قطعوها وبنوا منها الكنيسة المسماة بقمامة⁽²⁾، وعجائب هذه الصخرة والسلسلة التي كانت عندها في عهد بني إسرائيل مرتفعة، وهي واقفة في الهواء على ما ذكرنا، لا يمسكها إلا الله.

وأما في عصرنا هذا فقد بُني بإزائها ومن تحتها إلى أن صار ما تحتها شبه مغارة على هيئة مسجد يُصَلِّي فيه الناس، ويدخل الناس إليه من تحت طرفها

(1) في ط: دريز.

(2) قمامة: أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس، وصفها لا ينضبط حسناً وكثرة مال وتنميق عمارة، وهي في وسط البلد والصور يحيط بها، ولهم فيها مقبرة يسمونها القيامة لاعتقادهم أن المسيح قامت قيامته فيها، والصحيح أن اسمها قمامة لأنها كانت مزبلة أهل البلدة: معجم البلدان: قمامة.

المُسَمَّى بلسان الصخرة، وهو من ناحية القبلة، وكنت أدخل إليها في غالب أوقات الصلوات وأصلي تحتها ما تيسر. وبين الباب القبلي والغربي في أحد الأساطين حجر يقال إن فيه بعض أثر أعضائه صلى الله عليه وسلم، والناس يتبركون به.

ومن وراء قبة الصخرة قبة لطيفة يصلي فيها الناس، يقال إن منها عرج برسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليلة المعراج، ويحيط بمسجد الصخرة صخر كبير مفروش بالحجر المنحوت، وعلى أطراف الصخر بيوت يترها المتعبدون، وكذلك تحته، وهي متعددة. وفي قبة الصخرة من تحت الصحن بغلوة المسجد الأقصى، وهو كله مسقف، وفيه تصلي الجمعة، وبنائوه من أرفع الأبنية، وفيه موضع زعموا أن فيه صلى عمر رضي الله عنه لما دخل بيت المقدس، وفي ركنه الشرقي موضع يزار فيه حجر منحوت يقال له مهد عيسى، وهناك طاقات واسعات في جدار المسجد يشرف منها إلى الوادي الذي يقال له وادي جهنم، وورد في بعض الآثار تسميته بذلك، وهناك رأس عمود من رخام خارج من جدار المسجد يقولون إنه رأس الصراط المنصوب على جهنم، وهو لا أصل له، ويتزل من ذلك الركن في درج إلى مسجد آخر تحت المسجد الأقصى واسع جدا مرفوع على أساطين من حجارة منحوتة هي من البناء السلیماني، وزعموا أن ذلك هو المسجد في عهد سليمان، وأن الذي فوقه إنما بني بعد ذلك، وما ذكروه هو الأقرب، وذكروا أنه ممتد كذلك إلى الصخرة، وأن أرض المسجد الآن كلها سطح ذلك المسجد، ولا يبعد ذلك.

وبالجملة فغرائب الصخرة والمسجد الأقصى وما حولها من المزارات شيء كثير، وقد ألفت فيه التأليف، وإنما نذكر من ذلك بعض ما رأيناه وزرنا، فمن ذلك حجر خارج بعض أبواب المسجد الغربية مثقوب هو في أصل حائط يزوره الناس ويدخلون فيه أيديهم ويتمسحون به، يقولون إنه الذي ربط به النبي صلى الله عليه وسلم دابة البراق ليلة المعراج، وخبره مذكور في الصحيح⁽¹⁾، ومن عجائب صفة هذا المسجد أن ناحية منه شرقية قد غلب عليها العشب والكلأ اليابس فلا يقدر أحد أن يمشي فيها بلا نعل لكثرة شوكتها المنكسر بعضه على بعض، وإنما يمر الناس في خط رقيق بين ذلك المشيع، وذكروا أن ذلك المحل ربما زرعوا فيه بعض الحبوب في بعض الأحيان ويستغلونها بالبعل لأن البلد كثيرة

(1) صحيح ابن حبان 235:1.

الأمطار، وقد ذكر بعضهم أن من خاصية هذا البلد الشريف أنه ما ريئت السماء صاحية فيه يوماً كاملاً، صيفاً ولا شتاء، ولا بد أن يرى في السماء غيم، ولا يبعد ذلك، فقد ورد في الآثار أن الأرض المقدسة هي أرفع مكان في الأرض وأقربه إلى السماء، وأنها أقرب إلى السماء من جميع الأرض بثمانية عشر ميلاً، وبقدر ما ترتفع الأرض تقل حرارتها وتكثر أمطارها.

ومن المزارات خارجها طور زيتا⁽¹⁾ من شرقي المسجد، بينه وبين الوادي الكبير المسمى بوادي جهنم وطور زيتا مشرف على القدس كله، وعلى غالب تلك البلاد التي حوله، وفي أعلاه مزارة فيها مكان يقال إن منها رُفِعَ المسيح عليه السلام من فوق حجرة هناك، وكان هذا المحل في أيدي النصارى، وسعى شيخ مشايخنا قطب زمانه، الشيخ محمد العلمي⁽²⁾ جد شيخنا الشيخ الآتي ذكره في استخلاصه من أيدي النصارى ونصح لله في ذلك، وتعصب عليه النصارى بأهل الدنيا، وبذلوا في ذلك الأموال، فأعانه الله عليهم حتى أخرجهم من أيديهم، وهو الآن في يد أولاده، وعمر تحته مشهداً ورباطاً فيه قبره رضي الله عنه.

ومن المزارات التي على جبل الطور قبر العابدة العدوية⁽³⁾ في مغارة تحت الأرض. ومن المزارات قبر مريم عليها السلام في كنيسة في أصل الوادي، وهي بأيدي النصارى، فتخرجنا من الدخول إليه، وزرناه من خارج. ومنها عين سلوان⁽⁴⁾، وهي في أسفل الوادي ولم أصل إليها إلا برأي العين، فبعثت من أتانا منها بماء، ووردت آثار في فضلها، وزعم بعض الفقهاء أنه وقعت منه آنية في بئر زمزم بمكة فذهب إلى القدس فوجد لها على باب المحل الذي فيه عين سلوان، وزعموا أنهم استخرجوها من العين، فيقولون إن مادتها من زمزم، ويذكرون في

(1) طور زيتا: جبل بقرب رأس عين عند قنطرة الخابور على رأسه شجر زيتون يسقيه المطر، ولذلك سمي طور زيتا، وفي فضائل البيت المقدس: وفيه طور زيتا وقد مات في جبل طور زيتا سبعون ألف نبي... وهو مشرف على المسجد، وفيما بينهما وادي جهنم، ومنه رفع عيسى بن مريم عليه السلام، وفيه ينصب الصراط، وفيه صلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه قبور الأنبياء. قال البشاري: وجبل زيتا مظل على المسجد شرقي وادي سلوان وهو وادي جهنم: معجم البلدان: طور زيتا.

(2) محمد بن عمر بن محمد العلمي القيسي، عالم عارف، استقر أولاً بدمشق، وحج وجاور، ثم عاد إلى القدس واشتهر بها أمره، كانت وفاته سنة 1038 هـ: خلاصة الأثر 78:4. الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، ص: 197.

(3) مقام السيدة رابعة العدوية البصرية المشهورة، وقبرها على رأس جبل الطور في زاوية ينزل إليها بدرج: الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، ص: 197.

(4) عين سلوان: عين مشهورة برأس الوادي: الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، ص: 187.

ذلك أثرا وهو بعيد من حيث العادة أقرب شيء بالنظر إلى أثر قدرة الله تعالى، وليست عينا معينا يجري ماؤها على وجه الأرض، إنما هي مثل حوض يتزل إليه بدرج على ما أخبروا. قالوا: وربما ارتفع ماؤه حتى يجري على وجه الأرض في سنين الخصب.

ومن المزارات قبر شداد بن أوس^(١) وعُباد بن الصامت الصحابي، رضي الله عنهما، وهما تحت سور المسجد الشرقي بينه وبين الوادي الذي يقال له وادي جهنم، وهناك مقبرة عظيمة وحول قبرهما في سور المسجد صخرة عظيمة منحوتة طولها نحو من أربعة عشر ذراعا، وعرضها نحو من ذراعين أو أزيد، والله أعلم كم عرضها الداخل في الجدار، وسور المسجد هذا كله من بناء نبي الله سليمان عليه السلام بنته له الجن بتسخير الله لهم، وأثر ذلك ظاهر ليس في قوة البشر تعاطي مثل ذلك.

وحول باب المسجد الموالي لناحية الوادي موضع يقال إن فيه عرش سليمان، وهو من المزارات، وقد ذكر بعض العلماء أن الدعاء عنده مستجاب، وهو قريب من الباب الذي يقال له باب حطة. وفي خارج المدينة قريبا من غربيها مزار يقال إن فيه قبر داود عليه السلام، وكان بأيدي النصارى فاستخلصه منهم أيضا الشيخ العلمي أو غيره من الصالحين، وغالب مزارات تلك البلاد هي بأيدي النصارى، فمما بأيديهم بيت لحم الذي فيه مولد المسيح، وهو على نحو فرسخ من المدينة إلى ناحية القبة، وقد مررنا قريبا منه لما ذهبنا إلى زيارة الخليل عليه السلام، ومنها قبر يونس بن متى، عليه السلام، في قرية قرب مدينة الخليل^(٢)، وقد مررنا قريبا منه أيضا، وزرناهما من بعيد تأثما من دخول متعبد النصارى ولضييق الوقت.

وأما قبر موسى، عليه السلام، بينه وبين القدس نحو من نصف مرحلة أو أزيد إلى ناحية المشرق، وقد أروني ما يحاذيه من الأمكنة عندما صعدنا إلى الطور، وأخبروني أن المسافة بيننا وبينه مخوفة غاية، ولا يوصل إليه إلا في قوة ومنعة،

(١) شداد بن أوس بن ثابت بن حرام، هو ابن أخي حسان بن ثابت، من فضلاء الصحابة وعلمائهم، نزل بيت المقدس، مات سنة 58 هـ وهو ابن خمس وسبعين سنة: معجم الصحابة 1: 333. سير أعلام النبلاء 2: 462.

(٢) الخليل: وتسمى حبرون، وهي القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس، وقد غلب على اسمها الخليل، ويقال لها أيضا حبرى، وروي عن كعب الحبر أن أول من مات ودفن في حبرى سارة زوجة إبراهيم عليه السلام: معجم البلدان: حبرون.

و كنت كثير الاشتياق لزيارة^(١) ولمشاهدة ما هناك من العجائب، وإن لم يرد أثر صحيح في أن ذلك قبره، ولم يشتهر ذلك المكان في العهد القديم ولا في صدر الإسلام، وإنما بناه وأظهره المتأخرون من الملوك، وأظن ذلك كان في المائة السادسة أو السابعة بإشارة أهل الكشف.

ومما ذكروا من العجائب هناك أن حول القبر حجراً في حائط لا يزال ترى فيه صور منها ما يكون كالفارس أو الراجل عليه سلاح أو غير ذلك، يشاهده كل من كان في ذلك المكان، وقد أخبروني بكرامة وقعت في بعض الأزمنة القريبة وذلك أن المحل الذي هو فيه ليس فيه عمران إنما يأتيه الوفود في وقت معلوم للزيارة، وعليه بناء متقن عظيم، وعلى المزار أبواب عظيمة مغلقة لا يتمكن أحد من فتحها بحيلة حتى يقدم القيم من القدس فيفتحها، ثم إن الستر الذي على قبره، وكانت له قيمة عظيمة، وُجد مبيعا في بعض أسواق الشام، وعرفه الناس فسألوا عن بائعه، فإذا هو أعرابي فقير، فأخذ وأتى به إلى والي البلد، فبعث إلى المشهد فوجدوا الستر قد أخذ منه والأبواب على حالها مغلقة، فأمر بعقوبة الأعرابي، فأقر أنه هو الذي سرقه، فسأله كيف تمكنت من أخذه مع غلق الأبواب. فقال: إني أصدقكم في ذلك، فإنه لما أن حان وقت موسم من مواسم السنة، وأنا فقير ذو عيال ولا مال لي، جئت إلى المشهد فناديت: يا نبي الله، يا كلیم الله، إني فقير ومضطر، وقد أقبل الموسم ولا شيء عندي، فأعطني ما أنفق على بناتي، أو قريباً من هذا الكلام. قال: فمددت يدي إلى أول مغلق فانفتح، وكلما وقعت يدي على مغلق انفتح حتى وصلت إلى القبر وأخذت الستر، فلما خرجت غلقت الأبواب كما كانت، وظهر لهم أثر صدقه فأطلقوه ولم يعاقبوه.

واستشرت بعض الإخوان في وجه نتوصل به إلى زيارة المحل المذكور وإلى مدينة الخليل عليه السلام، فإن الطريق في تلك المدة قد فسدت ولا يوصل لزيارتها إلا مع قوة، وقد خشيت أن أحرم زيارة المكانين ونحن في غاية القلق لا يمكننا تطويل الإقامة خشية فوات الركب بمصر، فأشار علي المستشار بالوصول إلى قاضي البلد والتعرف له فإنه قد يتمكن ذلك على يده، وكان القاضي في ذلك الوقت الشيخ محمد النفاقي التونسي المغربي، قدم من اصطنبول متقلدا لقضاء القدس، وكانت له وجاهة عند السلطان والعسكر من لدن عهد أخيه الشيخ أبي

(١) ساقط من ط

الحسن النفاقي رحمه الله، فترقى بجاه أخيه، واستوطن اصطنبول مدة أعوام، وقدم في هذه السنة إلى القدس وليست له قوة الحافظة العلمية، إنما هو مجرد ترسم ووجهة أكسبته ذلك، إلا أنه ينتمي إلى الصلاح بسبب أسلافه، فيظهر الانخراط في سلكهم، فتوصلت إليه وسلمت عليه، وأكرمني غاية، وهش وبش، وأظهر المسرة بقلومي وقال لأصحابه: هيئوا له منزلاً يترل فيه هو وأصحابه، وأجروا له من الضيافة ما يليق به مدة إقامته. فقلت له: إنا قد نزلنا بيت في المسجد ولا يمكننا التحول منه إثارةً لقرب المسجد والصلاة فيه، فأجرى لنا المحتاج له من خبز ولحم يصلنا كل يوم إلى منزلنا، بل أجرى لنا ما يفضل عن كفايتنا، فجزاه الله خيراً، فأبنت له مقصدي من إرادة الوصول إلى المقامين فقال لي: أما مشهد الكليم عليه السلام فلا يتيسر في هذه المدة، مع هذا الضيق الذي أنتم فيه لشدة الخوف وبعد الشقة، ولا عمران هناك، ويحتاج إلى ذهاب القيم من هنا، وعليه في الذهاب كلفة، ولا أرى لك تحمل هذه المشقة كلها مع كون المحل ليس موثقاً به أنه قبر الكليم ولا هو قريب من الوثوق، فقبلت عذره في ذلك، ورأيت أن النية كافية، وتوجهنا إلى المحل بقلوبنا ووجوهنا عندما طلعتنا إلى الطور وزرناه من هناك، والله يتقبل. قال لي: وأما الخليل عليه السلام فلا بد لكم من زيارته، وسأبعث معكم إن شاء الله من يوصلكم، ولم أزل أتعاهده بالسلام أيام إقامتنا إلى أن هياً لنا السفر للخليل على يده حسبما أذكره إن شاء الله، وقد امتدحته بقصيدة مكافأة له على بره ومآله على إنجاز الغرض المطلوب فتقبلها بقبول حسن، وهي هذه:

[طويل]

لِقَاضِي قُضَاةِ الْقُدُسِ قُدْسِ سِرُهُ	عَلُو غَدَا فَوْقَ السَّمَاءِ مُسْتَقَرُهُ
تَبْدَى بِأَفْقِ الْغَرْبِ مِنْ خَيْرِ عِثْرَةٍ	هَلَالاً بِهِ قَدْ تَشْرَقَ قَطْرُهُ
فَصَارَ بِأَفْقِ الشَّرْقِ يَسْرِي إِلَى الْعَلَا	وَلَمْ يَنْقَطِعْ حَتَّى عَلَا النَّسْرَ سَيْرُهُ
غَدَا قَمَرًا فِيهِ يَضِيءُ لِقَاصِدِ	وَلَكِنَّهُ فِي الْقُدُسِ قَدْ تَمَّ بَدْرُهُ
تَوَلَّى بِهِ دُونَ الْبِلَادِ لِنَسْبَةٍ	يَرَاهَا لَيْبٌ قَدْ تَهَذَّبَ فِكْرُهُ
وَذَلِكَ أَنَّ الْقُدُسَ أَرْفَعُ بَلَدَةٍ	كَمَا قَدْ أَتَانَا فِي الْأَحَادِيثِ ذِكْرُهُ
وَهَذَا الْإِمَامُ الْبَحْرُ أَرْفَعُ عَالَمِ	تَفَتَّقَ فِي ذَا الْعَصْرِ بِالْجُودِ نَوْرُهُ

والله سر في التناوب غامض
 فأكرم به من عالم متبحر
 فمن ذا سواه اليوم في الأرض كلها
 وما ذا عجيب فهو من سادة فلا
 وقد نال هذا الفضل إرثاً أتاه من
 فمن حل أرضاً كان فيها وما به
 لذلك هذا العبد قد جاء زائراً
 تردد في ذا الأمر إذ كان شأنه
 فرام انقباضاً ثم قال أليس ذا
 فليس على نهج الذين ظننتهم
 تجده على نهج الإمام أخيه لا
 بطبع كريم لا يغيره الذي
 هو البدر لكن ليس يكسف نوره
 على أنه عذب زلال وموجه
 فله ما أسنى فوائده علمه
 فنحدها وغض الطرف عن بنت ساعة
 فأغض بفضل منك عن عيها وجد
 وأزكى صلاة الله ثم سلامه
 تبلغ عبد الله غاية سؤله

خفا وقد يُبدية من شاء غيره
 بكل فنون العلم فالعدل أمره
 إذا ما تولى الحكم يؤمن جوده
 يُقاس بهم زيد الزمان ولا عمره
 أبي الحسن المشهور في الناس خيره
 تشرف لم يقبل له الدهر عذره
 لأرض بها نور الهدى انشق بحره
 قديماً من الحكام ينفر سره
 أبوه الذي عم الأفاضل بره
 فبادر إليه يستب لكَ أمره
 يخالف فيه سره الدهر جهره
 ترى بل به يزداد الله شكره
 هو البحر لكن ليس يدرك قعره
 غرائر فضل والمعارف دره
 والله في در الكمال دره
 بما يغبط النظم المهذب ثره
 لها بقبول يشمل العيب ستره
 على مصطفى الله المعظم قدره
 ويعطى بما أجرا ويغفر وزره

وقد أطنب جلساؤه في مدح هذه القصيدة وما ذلك منها ببعيد.

وممن لقينته بالقدس رجل يسمى شهاب الدين الحنفي المصري، قدم من مصر إلى القدس قبلنا بمدة، وأقام بالقدس نحو الشهرين، وبلغنا بالرملة وغزة أن عالماً من علماء القاهرة ورد إلى القدس وأخذ يدرس الحديث، وبالغوا في الثناء عليه، وذكروا له محلاً عظيماً في العلوم الشرعية، فاشتقت إلى لقائه لأجل ذلك، فلما وردت القدس ونزلت برواق الشيخ منصور داخل المسجد، وكان هو نازلاً بقربه، فبعث إلي بين العشاءين قبل أن أذهب إليه، فدخلت إليه في منزله، ورحب بي وسأل عن أخبار الحجاز، وكنت ألحظه بعين التوقير على قدر ما كنت أسمع، وإن تبين لي من كلامه أن ليس عنده تحصيل، فأحمل ذلك على محامل حسنة، وفي الغد رجعت إليه ووجدت بعض الحنفية يقرأون عليه المناسك في فقه الحنفية، فجرى ذكر يوم التروية⁽¹⁾، فقال: إنه مشتق من الرؤية، فقلت إن هذا لا يصح، وإنما هو مصدر تروى من الماء لأنهم كانوا يتروون فيه من الماء لعرفة، لأن عرفة لم يكن بها إذ ذاك ماء على حسب ما ذكر غير واحد، وإما من الرؤية فبعيد من اصطلاح أهل التصريف، فأبى من قبول ذلك وأصر على ما عنده، ثم جرى ذكر فسخ الحج إلى العمرة، فقال: الإجماع على أنه لا يصح، ولم يقل به أحد من العلماء. فقلت: كيف ينعقد الإجماع على أمر أمر به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وحض عليه في حجته قليل موته بقليل، ومع ذلك فمشهور مذهب الحنابلة جوازه، بل بعض محققهم يراه أولى من غيره لأمر النبي، صلى الله عليه وسلم، به في تلك السنة وعدم الترخيص فيه لمن لم يسق الهدى وتبني أن يكون فعله بقوله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما فعلت، ولولا أني سقت الهدى لأحلت⁽²⁾. فأنكر أن يكون ورد في الحديث أصلاً. فقلت له: مثلك في جلالة قدره وغزارة علمه لا يخفى عليه مثل هذا، وهو في الصحيحين تكرر جداً في أبواب عديدة، خصوصاً صحيح البخاري فقد أورده مكرراً كثيراً بأسانيد مختلفة ومتعفة مطولاً ومختصراً، فألح على إنكاره وأعرضت عنه، فعلمت أنه ممن طبع على قلبه وتبين لي جهله وغباوته، وأن ما انتشر له من الصيت إنما هو بغلبة الجهل على أهل تلك الديار وقلة المحصلين بها، فضلاً عن المحققين، واستعان على ذلك بما أعطي من الجرأة والتجاسر على الحديث الشريف، وهو رجل صيت لسن، فكان يدرس لهم

(1) يوم التروية: يوم قبل يوم عرفة، وهو الثامن من ذي الحجة، سمي به لأن الحاج يتروون فيه من الماء، وينهضون إلى منى ولا ماء فيتروون ريتهم من الماء؛ أي يسقون ويسقون: لسان العرب: روي.

(2) المعجم الكبير 124:7.

في صحن الصخرة بين العشاءين الأربعين النووية، ويطرز مجلسه بحكايات ونقول
فقهية، وأعانه أيضاً كون ذلك الكتاب كثرت شروحه واتسعت نقول أربابها،
وغالب أحاديثه أحكام، فمن كانت له أدنى ممارسة بالفقه لا يعسر عليه تدريسه،
وهو قد شد طرفاً من فقه الحنفية زعم أنه أفقه من زفر أو محمد بن الحسن، ومع
ما عاينت من جهله وغباوته تعاميت عنه وأعرضت، ولم أرد فضيحتة كما هو
شأنى في عدم الرغبة في الفضول والدخول في مثل ذلك، إلا أن أُلجئت، فلما كان
الغد وأراد الله فضيحتة على رؤوس الأشهاد، دعانا شيخنا أبو حفص عمر بن
عبد الصمد بن الشيخ القطب محمد العلمي إلى منزله، وكانت لشيخنا هذا مكانة
عظيمة في قلوب الخاصة والعامة، فحضر في داره جماعة من وجوه الناس، وكان
هذا المصري ممن حضر، لأنه عندهم في مكانة خطيرة، فتفاوضت الكلام مع
شيخنا العلمي، وكان ربما سألتني عن أشياء من معاني بعض الأحاديث والآيات،
وربما تكلم المصري أيضاً، ثم إنه قال لي في خلال الحديث قاصداً بذلك انتقاصي
لما رأى من إقبال الشيخ علي: لقد راجعت صحيح البخاري فما وجدت فيه ما
ذكرت بالأمس أنه فيه. فقلت: لعلك نظرت في غير محله. فقال: ليس ذلك فيه
قطعا، وصمم ولا ورد شيء من الأحاديث. فقلت لشيخنا: أخرج لنا ما حضر
هنا عندكم من كتب الحديث. فأخرج البخاري وكتاب المواهب، فأخذت الجزء
الذي فيه الحج من كتاب البخاري، فسررت عليه حديثاً في ذلك، ثم آخر، ثم آخر
وآخر، وأقرر له وللحاضرين دلالة الحديث على فسخ الحج إلى العمرة، وأنا أسرد
عليه الأحاديث وأقول له: أكفاك أم أزيد؟ إلى أن وجم وسكت، وأخذت كتاب
المواهب، وقرأت عليه ما نقل من أقاويل العلماء في معنى الأحاديث، وأنه لم يأخذ
به من أرباب المذاهب الأربعة إلا ابن حنبل وغيره أنه حملة على أنه خاص بتلك
السنة لبيان جواز العمرة في أشهر الحج مستندين في الخصوصية إلى حديث رواه
النسائي في ذلك، فلم يقم من ذلك المجلس إلا مدحوراً، إلا أنه لجرأته أظهر عدم
المبالاة ولم يقم في البلد بعد ذلك المشهد إلا يوماً أو يومين وخرج راجعاً إلى
مصر.

ولما دخلت مدينة الخليل وجدته فيها، فخرج وأدركته بغزة، ثم اجتمعت به
في خان يونس، وألجأه الأمر إلى أن كان عديلي في شقة شقدف، وكنت أنا وهو

إلى الطينة، فجاملته على خلقه، وعاملته معاملة أنه فقيه إمام إلى أن افترقنا بضمياط⁽¹⁾ على خير.

ولما كان صبيحة يوم الخميس ثاني يوم دخولنا دخلنا إلى الشيخ إمام الصوفية وابن إمامها في تلك الديار الشيخ عمر العلمي، وهو حفيد العالم العامل، الغوث الشيخ محمد العلمي، وجده هذا هو شيخ شيخنا العالم العلامة سيدي أبي بكر بن يوسف السكتاني، تلقى عنه الذكر، وألبسه وأجازته، وكان يثني عليه كثيراً ويقول: ما رأيت أعبد منه مع علمه وورعه.

ومن أخذ عنه أيضاً الشيخ المقرئ، وهو الذي أشار على الشيخ أبي بكر بلقائه والأخذ عنه، وسأذكر التعريف بهذا الشيخ آخر الترجمة. ثم إن الشيخ عمر عزم علينا إلى داره بعد عصر يوم الجمعة الثامن عشر من شهر صفر، فأخذت عليه العهد، ولقني وشد المتزر في وسطى وأقعدني وأقامني، ثم أقعدني قائلاً: اجلس مريداً، وقم خادماً للفقراء، واجلس مرياً لهم، ووهب لي الفوطة التي شد بها وسطى، وأجازني وكتب لي إجازة متضمنة لخطوط جماعة من أصحابه وأصحاب جده يشهدون بذلك، ونص الإجازة سأذكرها بعد هذا، وقد كتبت له قصيدة بعد ذلك أمتدحه بها وهذا نصها:

[طويل]

جزى الله عنا كل خير أبا حفص	إمام الهدى من للكمالات ذا قنص
سليل إمام كان قطب زمانه	ومتزله في خاتم الفضل كالقنص
فكم من مُريد جاءه وهو ناقص	فكلمته حتى غدا ليس ذا نقص
ولم لا وقد ولاه ذلك جده	وطهره مما يشين من الغمص ⁽²⁾
فكل كمالات المشايخ جمعت	له فهو [فيها] واحد الفضل بالشخص
فأنوار أهل الفضل من شمس بدت	يمد الجميع وهو لكل كالقرص
سبرت بلاد الغرب والشرق كلها	وأعملت فيها غاية السبر والفحص

(1) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل: معجم البلدان: دمياط.
(2) الغمص: العيب.

لئن حازَ قَومٌ بالقياسِ فضائلا	فقد حُزَّتْها يا سيدي أنت بالنص
فلم أرَ فيها مثل أخلاقه التي	يكادُ لها المحزونُ يعلن بالرقص
فحسي فإني لا أطيقُ أعد ما	حباؤه به الرحمنُ منها ولا أحص
هو البحر والأخلاق فيه جواهر	وما كنت في إخراجها محسن الغوص
كفاني فخرا أن لي منه نسبة	كستني حُلَى أغنت عن التاج والقمص
تقربني من كل خير أرومة	ومن كل شر أتقي أبدا يقص
أصلي على المبعوث للناس رحمة	أجل صلاة للكمالات تستقص

ومن أصحاب شيخنا عمر محبنا وأخونا في الله الشيخ محمود السالمي والشيخ قاسم إمام، وقد عقدت معهما عقد أخوة في الله وتكفلا لي بالدعاء مدة حياتهما في تلك المقامات الشريفة، ووهب لي أخونا الشيخ محمود السالمي ديوان الشيخ محمد العلمي، وفيه من جيد القصائد المحتوية على قصائد الصوفية وأمداح خير البرية ما لا يحصى كثرة، ووهب لي جملة من رسائله، وسأذكر بعضها إعلاماً بمقامه وحاله. وشيخنا عمر هو القائم مقام جده في تربية المريدين وخليفته في إقامة وظائف الدين وترتيب مجالس الذكر، ويجلس للذكر كل ليلة مع جماعة كثيرة من أصحابه بين العشاءين بباب الصخرة، وكان أبوه عبد الصمد توفي في حياة والده، وبقي ولده هذا في كفالة جدّه إلى أن تُوفي فصار هو الخليفة من بعده، وقد شملته عناية جده وظهرت عليه آثار بركنه والله الحمد.

وهذا نص الإجازة التي كتبها لي، رضي الله عنه، وقد نقلتها مع طولها تبركا بها: باسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي رفع للفقراء مترلة وقدرًا وأعزهم في الدين دنيا وأخرى، وأيدهم بالتوفيق في الأقوال والأفعال سرا وجهرا، وأزال من قلوبهم حسدا وضرا، وجماهم من الشيطان فأنكبه منهم خائفا صيفرا، فمن أحبه نال من الله الكريم أجرا، وصار له بين الأنام عزا وفخرا، فهم أولياء الله تعالى، بذكرهم تكسى الأكوان عطرا، ليس لهم إلا حب مولاهم ذكرا، إذا نزلوا أرضا مجدية أصبحت من وطء أقدامهم خضرا، بهم يرحم الله العباد ويسقي ماحل البلاد قطرا، فسبحان من خصهم بهذه العطايا وسقاهم كؤوس المحبة تثرى، أحمده سرا

وجهرًا، وأشكره على نعم لم نخط بها حصرا، وأسأله التوبة والمغفرة وأن يجعلها لنا ذخرا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله قهر العباد قهرا، وأسبغ عليهم نعمه وأجزل لهم أجرا، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذي أرسله رحمة شاملة بالبشرى، وصلى الله عليه وسلم وعلى روحه الطيبة الزكية صلاة دائمة غرا، وعلى آله الذين فازوا السعادة الكبرى، وعلى أصحابه الذين نصرروا الدين نصرا، خصوصا على أفضلهم أبي بكر الصديق الذي حاز قصب السبق فنال مرتبة غرا، وعلى عمر الفاروق الذي بهر بسطوته أهل الكفر بهرا، وعلى عثمان ذي النورين الصابر على البلاء صبيرا، وعلى علي بن أبي طالب الذي كان للعلوم بحرا، وعلى الستة الذين كمل بهم العدد عشرا، وعلى سائر الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا دائما يقرأ، وبعد: فهذه سلسلة أهل الكمال من الأقطاب والأوتاد والأنجاء والأبدال، فهم أحياء الله تعالى في حضرة قدسه، المخصوصون باللطاف كرمه وأنسه، طريقهم أشرف الطرق وأعلاها، ومطلبهم أعز المطالب وأعلاها، فهم في الحقيقة أهل الكشف والأسرار المشاهدون للأنوار في حضرة الجبار، ومددهم منه مع ذلك على أقسام بحسب ما منحهم ذو الجلال والإكرام، فلذلك قسمهم أقساما وفرقا، وأخذ عليهم عهدا قديما وموثقا، ومنحهم بعنايته ورحمته، ونظر إليهم بعين كرامته ومحبه، وحماهم من الأعيان، ووقاهم من الأقدار، ورعاهم بحسن رعايته، ونقاهم من الحظوظ البشرية، ورفعهم إلى حضرته العلية، وسقاهم بكأس محبه الهنية، فطاب كل منهم بنشوة شرابه، وسما إلى حضرة أحبابه، ولذذهم بسماع الخطاب، وزال عنهم الشك والارتياب، فأورثهم بذلك البلاد، وأقامهم لصالح العباد، وجعل لهم منهم⁽¹⁾ غوثا وأقطابا، وأبدالا وأوتادا، ونقاباء ونجباء⁽²⁾ رجالا، فالأبدال الأربعون أقرهم بالشام سواحا وجوابا، والنقباء سبعون أقرهم بمصر حفاظا ورقابا، والنجباء ثلاثمائة استخلفهم بالغرب للقيام بالحرب، فانتصبوا في طاعته انتصابا، والأوتاد سبعة أركزهم في الأقاليم السبعة فلا يزالون لمصالح العباد طلابا، والغوث واحد جعلت له مكة بابا، فسبحان من اصطفاهم، ومن الكدر صفاهم، وقربهم وطهرهم واجتباهم ومن عليهم بفتح الباب، وكل منهم دعي فأجاب، فترى منهم الدهاش والخيран والولهان والصاحي والسكران، فمنهم من سقي بكأس الوصال، ومنهم من غلب

(1) ساقط من ط.

(2) في ط: أجابا.

عليه الحال، ومنهم من استغرق في ذات الأحد، فما شاهد في الدارين غير الصمد، ومنهم رجال الحضرة الذين أطلعهم على عجائب القدرة، فمن اقتدى بهم نجا من نار الجحيم، ومن تبع طريقهم هدي إلى صراط مستقيم، ويكفيهم عزا وشرفاً قوله تبارك وتعالى في كتابه المكنون (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)⁽¹⁾، فمن أجلهم ذو الكرامات والأحوال التي شهدت له بها الأكابر من فحول الرجال، الفرد القطب الرباني سيدنا ومولانا المحمدي الشيخ حسن الراعي القطباني، فهو الذي سارت بأمداده الركبان، وثبت أنه يمحو ويكتب في الديوان، فسبحان من تفضل بمنه وكرمه عليه، وأنقذه من الدعي وأحسن بفضله وجوده إليه، إذ أصله من فلاح شهبه من قرى حوران، فجاء إلى قرية قطنا ورعى بها المعز بخير قدر له وحن، فبينما هو ذات يوم في المرعى وإذا ثلاثة رجال خيالة إلى نحوه تسعى، ففر الرعاة بين يديه، وثبت هو إلى أن وصلوا إليه، فإذا هم الأقطاب السادات الذين تتشرف بوجوههم الأزمنة والأوقات، وتقضى بركاتهم عند الله الحاجات، القطب الرباني، الهيكل الصمداني، سيدنا ومولانا عبد القادر الجيلاني، والقطب العارف الذي أجاب الداعي، سيدنا ومولانا الشيخ أحمد الرفاعي، والقطب العارف بربه القادر سيدنا ومولانا عدي بن مسافر⁽²⁾، فقرأوا عليه السلام، وطلبوا منه قرى الكرام، ولم يكن له من المعز سوى عترة فريدة، فأحضرها وحلبها ببركاتهم على مرات عديدة، وكان السعد له هناك داعي، فجلبها ووضع اللبن أمام الأستاذ الشيخ أحمد الرفاعي، رضي الله تعالى عنه، فقال له: هو لك يا أستاذ. فقال: وله منكما الامتداد. فقال له: افعل ما تريد وله من كل خير مزيد، فأخذ عليه العهد والميثاق، وأمدوه إلى أن علا على أهل عصره وفاق، وثقلوا له في اللبن، وقال: خذها يا حسن فإن شربها لك وحدك، أو مخفية لك ولذريتك ومحبيهم بعدك. فقال: بل مخفية، وسرها لي ولجميع الذرية، الإناث والذكور، وسائر أولاد الظهور، فشربها وقد ظهرت منه الكرامات والأحوال، وغارت منه فحول الرجال، وكان في زمنه رجل بالأحوال مشهور يعرف بالشيخ أبي بكر، وهو من قرية يعفور، فلما بلغه خبر الشيخ حسن المذكور قال له: لا بد وأن تظهر لك شيئا من الأمور. فقال له: أمرك على طاعة، فأمر بما شئت في هذه

(1) يونس: 62.

(2) عدي بن مسافر الأموي، من كبار المتصرفه وأقطابهم، أثرت عنه خوارق وكرامات، استوطن باليس، وبها توفي سنة 558 هـ: الطبقات الكبرى للشعراني، ص: 196.

الساعة. فقال له: يا حسن، تقد في بيتي ست قناديل متوالية، وأنا أنفخ وأطفئها من هذه الزاوية. ففعل. فنفخ الشيخ فيها وأطفأها، وأخرج ليلها، وأخفى سناها. فقال الشيخ حسن لامرأته: اصعدي السطح واركضي عليه في ست مواضع، فعادت القناديل تشعل ونورها بإذن الله ساطع. ومنها أن البلاد بجميعها كانت بيده، فلما ظهر الشيخ حسن تغيروا عليه، فاشتكى عليه للأولياء وللسادات والأقطاب والأنبياء، وكانت القرى بوادي بردا، فأرسلوا يقسمون عليه بأن يكف عنه الأذى والردى وأن لا يدخل إلى بلاده لئلا تحول أصحابه عن اعتقاده، فجاء لقرية بعيدة وحرك إحدى يديه، فما أحس أهل تلك البلدة إلا وهم بين يديه من نساء ورجال تركوا ما كانوا فيه من الأشغال، وهم مدهشون حيارى كأنهم من تلك الحركة سكارى، إلى غير ذلك مما لا يحصى من الكرامات الظاهرة والأحوال الشهيرة المتواترة.

ولما كانوا مع الله تعالى بهذا الشأن والتأييد الصادق والبرهان، أحب أن يندرج في سلك أهل هذه الطريقة الغراء، وأن ينتظم في عقد أصحاب هذه الحقيقة الزهراء، مولانا الشيخ الصالح والعالم الناجح، المحدث المحقق والعلامة المدقق، زبدة أهل الفضل والصلاح، ومعدن الحلم والسماح، فخر المتقين السالكين، وعين أرباب اليقين، الشيخ عبد الله أبو سالم بن محمد بن أبي بكر العياشي المغربي المالكي، كان الله تعالى له وليا، فقدم بعزم صادق وقلب بحب^(١) السادة الرفاعية واثق، وطلب من مولانا وسينا الشيخ الإمام العالم النحرير الهمام صاحب المعارف الربانية والعوارف الصمدانية، والأنفاس الزكية المرضية والأحوال السنية البهية، ذو المنار الأسنى، والسيرة الحُسنى، سراج الدنيا والدين، مربى المريدين، وكهف الصلحاء الواردين، المعمر بمدد الله تعالى العلي المبين، سيدي عمر بن سيدنا ومولانا الإمام العارف قدوة أهل الخير والمعارف، الوثائق بالواحد الأحد الفرد سيدي عبد الصمد بن سيدنا ومولانا قطب العارفين وعين أعيان الجهابذة المحققين، من فضله كالعالم المشهور، شمس الدنيا سيدي الشيخ محمد العلمي القدسي الرفاعي قلنس الله تعالى أسرارهِ الطاهرة ونفعنا بعلومه المتكاثرة، الإجازة بسلوك أهل طريق الله تعالى، فأخذ عليه العهد والميثاق، ولاحظه فكان ممن سما مجده وفاق، وكان ممن انتقل من حال إلى حال، واستحق الخلافة بين الرجال، فأجلسه

(١) في ط: محب

على السجادة، وأذن له أن يتصرف من طريقته المنيرة على العادة، وأمره أن يتمسك مع الله سبحانه وتعالى بالأدب والافتقار والتواضع والذل والانكسار، مستوثقاً بالقواعد الشرعية والطريقة المحمدية الشريفة المرعية، ملازماً على الصلوات المفروضات بالخشوع والآداب والمسنونات، منتهياً عن جميع المحظورات، وأن لا يفعل كبيرة ولا يصبر على صغيرة، وأن يفشي السلام ويطعم الطعام، ويستعين بالصبر والصيام والصلاة بالليل والناس نيام، محافظاً على الخضوع والخشية والطاعة، والورع والزهد والقناعة، والاستقامة في نفسه ليستقيم به من صحبه من أبناء جنسه، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والغيبة والنميمة في مجلسه لا تذكر، وأن يوقر الشيخ الكبير ويرحم الطفل الصغير، وأن يعفو عمن ظلمه، ولا يشتم من شتمه، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، ولا يؤذي من يؤذي، وأن يرى نفسه دون كل جلس، وأن يكون للفقراء والغرباء نعم الأنيس، وأن يصفح للإخوان عن الزلات، ولا يأخذهم بالهفوات، وأن يسعى في مصالح إخوانه الفقراء ويقضي حوائجهم على حسب ما يرى، وأن يعاهد الفقراء ويربهم ويسقيهم اللبن ويحسن إليهم، وأن يجري في شعورهم المقرض، ويظهر لهم أن تربيتهم لها لا يكون بغير الله تعالى، وينهاهم عن العمل بسوء الأعراض، وأن يقبل ويرد من غير اعتراض، وأن يخلف ممن فيه الأهلية لذلك، وأن ينقب ممن هو بطريق الفقراء سالك، وأن يحص السهم من الملسوعين، ويدوس ظهور الموجهين، ويرد اللقوة للمصابين، وأن يفعل ذلك كله وهو بالله سبحانه وتعالى يستعين، وأن يلبس الخرقة السوداء ويلبسها من أراد كما كان يفعل الأستاذ لما في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء⁽¹⁾. وعن الحسن، رضي الله تعالى عنه، أنه قال: كانت عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء، وكانت رايته، صلى الله عليه وسلم، المسماة بالعقاب سوداء، إلى غير ذلك. وأن يقام الوقت بحضرته في أي مكان أراد، ويسلك بذلك طريق أهل السداد، وأن يضرب بين يديه بالدف مثل أهل الهمم، وأن يحمل على رأسه إذا سار العلم، ثم طلب من مولانا المشار إليه نظر الله تعالى بعين عنايته إليه أن يمدّه بسلسلة الطريق لتكون فرجا له من كل مضيق، فأخبره أنه صحب بها وأخذها من أجل هذه الذرية القطبانية، وأكمل شيوخ الطريقة الرفاعية سيدنا ومولانا الشيخ

(1) صحيح مسلم 2: 990.

حسن، وسيدنا ومولانا محمد القطنانيين نسباً، الرفاعيين طريقة، المصحب كل منهما آباءه وأجداده المتصل ذلك بحضرة سيدنا قطب العارفين سيدي أحمد الرفاعي قدس الله تعالى أسرارهِ الطاهرة، وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركات مواهبهِ الزاهرة، وأخبره أنه صُحب بها وتلقاها وتلقنها من حضرة جده وشيخه ومرشده شيخ الطريقة، ومعدن السلوك والحقيقة، عمدة العلماء العاملين، وإمام الزاهدين السالكين، الشيخ العارف العلامة والعالم المحقق الفهامة العلم الفرد في الآفاق، من طاب نشره، وصفا ذكره، وفاق شيخ الإسلام والمسلمين، وحجة الحق على المريدين، العارف الرباني، المحقق الصمداني، سيدي الشيخ محمد بن مولانا شيخ الإسلام ومفتي الأنام، وعمدة علماء الأعلام، المكرم سراج الدين عمر العلمي المقدسي، وهو صُحب بها وأخذها عن جميع ذرية الأستاذ الكبير، لاسيما الشيخ موسى ذي المقام الخطير، وهو صُحب بها مولانا المذكور أيضاً أجل هذه الذرية، وأكمل هذه الطريقة الرفاعية، القطب الرباني، سيدي الشيخ حسن القطناني عبد الله، وهو صُحب بها والده الشيخ طعيمة، وهو صُحب به والده الشيخ محمد أبا كرش، وهو صُحب بها والده الشيخ عبد الله، وهو صُحب بها والده الشيخ يوسف الذي رد المركب بيده الشمال، وهو صُحب بها والده الشيخ عبد الله المدفون بقب الياس، وهو صُحب بها والده الشيخ عبد الهادي، وهو صُحب بها والده القطب الرباني الشيخ عبد الرحيم القطناني، هو صُحب بها الشيخ الكبير الغوث الرباني سيدنا ومولانا الشيخ حسن القطناني، وهو صُحب بها سلطان الأولياء والعارفين، وقدوة السالكين والمحققين، ذي الكرامات الكثيرة والأحوال الشهيرة، الذي صحت له الإرادة، وثبت أنه يمحو الشقاوة ويثبت السعادة، بإذن الله تعالى ذو القدرة والإرادة، موصل كل عرجاء بالسليمة، وملحق كل عوجاء بالمستقيمة، من ذلت الله الأسود والأفاعي، سيدنا ومولانا أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه وعنا به. وهو صُحب بها الشيخ علي القاري الواسطي، وهو صُحب بها الشيخ أبا الفضل بن كامخ، وهو صُحب بها الشيخ علام بن بركان، وهو صُحب بها الشيخ علي الروذباري⁽¹⁾، وهو صُحب بها الشيخ علي العجمي، وهو صُحب

(1) أبو علي أحمد بن محمد الروذباري، من أعلام التصوف، أصله من بغداد، أقام بمصر وبها توفي سنة 322هـ: الرسالة القشيرية، ص: 416.

بها أبا بكر الشبلي⁽¹⁾، وهو صاحب بها صاحب الأمداد الحمدية، وسيد الطائفة الصوفية، أرباب المقامات العلية والأحوال الحمدية، أبا القاسم الجنيد البغدادي⁽²⁾، وهو صاحب بها الولي الكبير سيدي سري الدين السقطي⁽³⁾، وهو صاحب بها سيدنا العارف الجليل والأستاذ النبيل أبا محفوظ المعروف الكرخي⁽⁴⁾، وهو صاحب بها مولانا الشيخ داوود الطائي⁽⁵⁾، وهو صاحب بها الولي الكبير سيدي الشيخ حبيب العجمي، وهو صاحب بها سيد التابعين سيدنا الحسن البصري، وهو صاحب بها الإمام الهمام زوج البتول وابن عم الرسول صلى الله تعالى وبارك عليه وزاده فضلا لديه، البحر الزخار، والفارس الكرار، باب مدينة العلم والعرفان، وبواب حضرة الغرب والرضوان، آية الله في خلقه، ونقمة على منكري حقه، كاشف المشكلات، ومحل العضلات، عن الأئمة العبدلين، ورابع الخلفاء الراشدين، مظهر العجائب، ومفرق الكتائب، فارس المشارق والمغرب، أبا الحسن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وعنا به، وأعاد علينا من بركاته، وهو صاحب بها ابن عمه نبي الثقلين، وجد الحسين، وأفضل العالمين، وشرف الكونين، وحياة الدارين، نبي الرحمة، وكاشف الغمة، زين من وافى للقيامة، ونال المقام المحمود والوسيلة والكرامة، سيد الأولين والآخرين، حبيب رب العالمين، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى سائر إخوانه السادات الأنبياء والمرسلين وآل كل وصحبه أجمعين، وسائر عباد الله الصالحين، والحمد لله أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً، نسأله سبحانه الهداية والتوفيق لمناهج هذه السادات الكرام، أهل المجد والاحترام، لنندرج في طريقهم، ونعد من حزهم وفريقهم بحول الله تعالى وقدرته، وجوده ورحمته، متوسلين بسيدنا وحبينا المختار صلى الله عليه وسلم في نيل ذلك، إنه تعالى القادر على ذلك، آمين.

(1) أبو بكر لاف بن جدر الشبلي، البغدادي، من أعلام التصوف، توفي سنة 342 هـ: الرسالة القشيرية، ص: 419.

(2) الجنيد بن محمد، أبو القاسم، من كبار أهل التصوف، توفي سنة 297 هـ: الرسالة القشيرية، ص: 430.

(3) أبو الحسن سري بن مخلص السقطي، خال الجنيد وأستاذه في طريق القوم، توفي سنة 253 هـ: الرسالة القشيرية، ص: 417.

(4) أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، من أعلام الصوفية، توفي سنة 200 هـ: الرسالة القشيرية، ص: 427.

(5) أبو سليمان داود بن نصير الطائي: اشتهر بالزهد والورع، أنظر أخبار في " الطبقات الكبرى للشعراني، ص: 109.

انتهت الإجازة البهية على يد أضعف البرية، محمود السالمي القدسي، راجيا دعوة بظهر الغيب من أستاذنا الشيخ الكبير المجيز، ومولانا وشيخنا المجاز، حفظهما الله تعالى آمين، وذلك آخر صفر الخير سنة 1074.

الحمد لله الذي اختار من عباده من شاء لنفسه وقربه إليه وأجلسه على بساط أنسه وسقاه من كؤوس محبته فأصبح هائما ببهاء جمال قدسه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي هو لكل طريقة عنوان المرسل بأشرف معجزة وأبهر برهان، وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان ما تعاقب الملوان، وبعد: فقد شاهد وحضر ما في هذه السلسلة الفخيمة والإجازة الكريمة الصادرة من أهلها لمن هو أهلها ومحلها، الإمام المحدث المحقق والنبراس الوهاج المدقق كان الله له وليا وبه حفياء، والمرجو أن لا ينساني وأهلي وأولادي من دعوته المجابة في خلواته وخلواته وأحواله المستطابة. قال ذلك بضمه وحرره بقلمه أفقر البرية عبد الباقي بن عبد القادر بن الأستاذ الكبير الشيخ محمد العلمي، أمدنا الله بمدده، المدعو بأحد العلمية غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهما وإليه. شهد بذلك الفقير إلى الله سبحانه وتعالى درويش التميمي أحد الفقراء العلمية، شهد بذلك نقيب الحضرة العلمية والفقراء الرفاعية بالقدس المحمية، النقيب يحيى بن شيبانة عامله الله بغفرانه آمين.

الحمد لله الذي أمد من اعتمد عليه وفوض أموره كلها إليه، ولازم بابه بالافتقار فبلغ بفضلته تعالى غاية في الأوطار، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي من اعتمد جاهه الشريف ما خاب، وعلى آله الكرام والسادة الأصحاب، وبعد فقد حضر وشهد بما في هذه الإجازة الكريمة والسلسلة المستقيمة الواقعة في عين الصواب بالصواب الصادرة بالحق المستطاب، راجيا من حضرة مولانا وشيخنا المجاز أن يشملني بدعواته الكريمة، ولا يخليني من خواطره المستقيمة، سيما عقب إيراد الأحاديث الكريمة الجليلة، والمسائل الفقهية الجميلة، وإني الفقير إليه سبحانه علي بن عمر بن عبد الصمد بن القطب الرباني سيدي الشيخ محمد العلمي الرفاعي القطباني قدس الله سره آمين. شهد بذلك النقيب أحمد بن حسن الرجواني نقيب الجلسة العلمية، وقارئ الفاتحة بها، لطف الله به رب البرية. شهد بذلك الفقير إلى رحمة ربه الغني الفقير قاسم بن عبد المعطي الملتمس من مولانا الشيخ

المجاز صالح الدعوات، وأن لا يخلية من خامر خاطره في المجالس السنيات، فإنه تشرف بصحبته، وملازمته⁽¹⁾ له على الدعاء بالقدس الشريف.

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا وقرّة أعيننا محمد الحامد المحمود، وعلى سائر الأنبياء الكرام أهل الفضل والجود، وعلى آل كل وصحبه ما تعاقب الجديدان واستقبل الفرقدان، وأضاء النيران، وبعد: فيقول الفقير كاتب أصل هذه الإجازة الكريمة محمود السالمي القدسي أني شملتني بركة من الله سبحانه بحضور ما وقع في هذه الإجازة الكريمة، وبالاجتماع بمولانا وشيخنا المجاز الإمام العلامة الذي لأصناف الفواضل والفضائل حاز، سيدي المحدث المحقق أبو سالم عبد الله العياشي حفظه الله، وكان به حفيّا وله وليا وحافظا وناصرًا وواقيا وراجيا، أن لا ينساني من دعواته الكريمة في خلواته وجلواته وفي مجالس حديثه ورواياته، وإني أيضا لا أنساه، وكيف وهو شيخي في الحديث الشريف المبجل المنيف، فأكرم بها من إجازة صادرة بالحق من الحق، والله تعالى ولي الهداية والتوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. شهد بذلك الفقير إلى الله سبحانه الخلف عبد الرحمن بن الحاج أحمد الدقاق لطف الله به وبسائر الرفاق.

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه، وبعد: فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه العلي علي الحوراني خليفة الأستاذ ولي الله تعالى سيدي الشيخ محمد العلمي قدس الله سره، وقد وقفت على هذه الإجازة السنية والسلسلة المرضية فرأيتها صادرة بالحق والصواب من أهلها ومحلها إلى من هو أحق بها وأهلها، (وإني)⁽²⁾ راج منه أن لا ينساني من دعائه وأنفاسه، حفظه الله تعالى ولطف به وبلغ مراده على أكمل حال آمين آمين آمين. شهد بذلك نقيب السجادة الفقير يحيى بن المهدي لطف الله تعالى به. شهد بذلك الفقير إلى ربه الكريم الفقير علي الكرّمي أحد الفقراء العلمية.

الحمد لله الذي فتح رونق الغياهب بجلال الخشية، ونور المواهب على سماء قلوب من شاء، واختار من عباده العلماء العاملين وأشرق لهم معارف نجوم الكواكب بأرض أبحر المطالب، فكانوا بضياؤها مهتدين، منحهم بنفحات عبير

(1) في ط: بأنه ملازم له.

(2) زيادة من ط.

طبيها لا ينكر، بل هو من كل طيب أشهر، وعوارف معارف در جوهرها من الشمس في الظهيرة أظهر، سقاها من رحيق شرابه المختوم، وأودعهم خزائن سره المكتوم، وجعلهم من أهل حضرته، ونظمهم في سلك عقد محبته، نصبهم لشرف طاعته، فتراهم لها مسرعين، ورفع قدرهم بأنواع عبادته، فترملوا بها مجتهدين، وعلى قدم الإخلاص ملازمين، ومن الحول والقوة متبرئين، ليس لهم مقصد سواه، ولا طلب إلا إياه، جذبهم بسابق الفضل إليه، ودلهم به عليه، والصلاة والسلام على بحر الأمداد، وعين العناية والإرشاد، سيدنا ومولانا محمد زين العباد، وعلى آله وأصحابه السادة القادة الأبحاد، وعلى تابعي هداهم الأنوار، وسننهم الأزهر صلاة وسلاما دائمين ليوم البعث والمنشر. وبعد، فلما قدم من الحج الشريف والمعبد المنيف، الشيخ الصالح، والعالم الناصح، الفاضل المحقق، والكامل المدقق، عمدة المحدثين، وقدة السالكين، مولانا الشيخ أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي شكر الله مساعيه، وأمده بما يسره ويرضيه لزيارة البيت المقدس والمعبد الذي على التقوى مؤسس، حصل معه بركة الاجتماع، ونظر الاطلاع، والتشرف بأنوار علمه وعمله، فكان من حسن السلوك إلى الله تعالى على قدم أكمل، ومنهاج لمراقي رتب المجد والكمال هو به أخرى وأجمل، أجزت بما أجزت به وتلقينه من السادات الكرام والأئمة الفخام، وجعلته خليفة يخلف وينقب ويلقن الأذكار والأوراد، راجيا أن يكون نفعاً للطالبيين وموصلاً للسالكين، وكهفا للغرباء والواردين، سائر فضله سبحانه أن يمن لنا وله بفيض الأمداد ودوام العناية والرشاد، والتوفيق في الأقوال والأفعال، تحقيق حقائق إرادات الأحوال، وأوصيه وإياي بتقوى الله في السر والعلن، ومراقبته سبحانه وتعالى فيما ظهر وبطن، فإن أكرم الخلق لدى الملك الحق المتقون، وأن لا ينساني وأبنائي وإخواني وأحبائي من صالح دعواته في أوقات طاعته وخلواته وجلواته، لاسيما عقب إيراد أحاديث سيد الأنام ومصباح الظلام، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام. والله سبحانه وتعالى يمن بالقبول إنه خير مأمول ومسؤول يجاه نبيه محمد الرسول صلى الله عليه وسلم، وزاده شرفا وكرما لديه آمين. اللهم آمين.

وكتب ذلك العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير، خادم السادات الصوفية بالقدس البهية السنية، عمر بن عبد الصمد بن محمد العلمي الرفاعي، عفا الله عنه وعن والديه، وأحسن في الدارين إليهما وإليه، وللمسلمين أجمعين آمين. وكان

تحرير ذلك نهار الاثنين المبارك من شهر صفر الخير من رابع وسبعين في العشرة الأخيرة وألف.

ذكر التعريف بجده الإمام الهمام قطب الأنام الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد العلمي

وقد ألف رحمه الله ورضي عنه رسالة لطيفة ذكر فيها مبدأ أمره وتنقلات أحواله ومشايخه في الطريق، فرأيت ذكرها بتمامها أوجب وأتم فائدة، وهي هذه، وسماها رسالة معالم التصديق لمعرفة دخول الفقير في الطريق، ونصها: باسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقني، الحمد لله المنعم البر الجواد الجاذب إليه من أحب وأراد، وصلاته وسلامه المتواليان بالأمداد على من أتانا بالخير والإسعاد والهداية والإرشاد، أفضل الخلق وأشرف العباد، وعلى آله السادات الأجداد وأصحابه الهادين إلى سنن السداد، وعلى تابعي طريقهم إلى يوم البعث والتناد، وبعد: فيقول العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير، خويدم السادات الفقراء، محمد بن عمر العلمي من بجناب مولاه الكريم منتمي، ورد على خاطر الفقير وارد إحسان، أحيت أن أخبر به⁽¹⁾ الأبناء والإخوان ليكونوا من حضرة الكريم المنان على بصيرة وإيقان، إذا سئلوا عن كيفية دخول الفقير إلى طريق الإله، المولي آلاء الصديق والعز والجاه، من أضافه بفضله وكرمه إليه، وأخذته عنه ودله عليه، فأضحى فريدا في الأنام لا يعرف إلا الملك العلام، مشغوقا بوجوده عن شهوده. قال سبحانه وتعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)⁽²⁾. ويروى في بعض كتب الله المتزلة: ابن آدم خلقتك من أجلي، وخلقت الأشياء كلها من أجلك، فلا تشتغل بما خلق لك عما خلقت له، ابن آدم، أنا برك اللازم فالزم برك. ومن كلام السادات جذبة من جذبات الحق توازي أعمال الثقلين من أعمال الجوارح. وقال جل وعلا (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)⁽³⁾. وهذا أوان الشروع في المقصود بفضل الملك

(1) ساقط من ط.

(2) الذاريات: 56.

(3) آل عمران: 73.

المعبود، ولا بأس بذر بعض من اجتمع بهم الفقير من سادات هذا الطريق الذين هم من أرباب الأحوال والتحقيق، ولا بأس أيضاً بذكر شيء من بعض المبشرات المدليات لسبل العناية والمسرات، كما أخبر به بعض الصلحاء من المنامات لأنها جزء من أجزاء النبوة، ولذلك تحرك جأش العبد إلى متابعة الأكياس الذين حضوا بنفائس الأنفاس، ولتظهر آثار الفتوة والتقوى لمن رآها أوريت له في عالم السر والنجوى، والله الموفق إلى الهداية والصواب، ومنه المبدأ وإليه المرجع والمآب. فأول شيء أتحف به العبد في حالة المراهقة أنه مرض مرضاً شديداً قل أن يرجى البرء من مثله، وكان ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم، في شهر رمضان المعظم قدره في شهور عشر الثمانين بعد التسعمائة، فبينما الفقير في شدة تلك الحال وما يكابده فيها من الأهوال في حالة بين النوم واليقظة إذ دخل عليه رجلان عظيمان، فتخيل للفقير أنهما حلقا رأسه، وجاءوا له بدهن بنفسج ودهن به جبينه وأنفه، ومضى أحدهما وجلس الآخر عند رأس الفقير وقال له: لا ترفع رأسك إلى المساء، وربما أن دخولهما كان بين الصلاتين، والله سبحانه وتعالى أعلم. فأخذت الفقير منه هيبة، وامثلت أمره، ووضعت اللحاف على وجهي، فكنت إذا ضاق نفسي أرفع اللحاف برفق على وجهي، فنظرت إليه، فإذا هو ذو شيبة لطيفة، وعليه صوف أخضر في غاية ما يكون من اللطف والحسن، فأجرى الله على لساني أن أسأله عن اسمه الكريم وعن اسم رفيقه، فذكر أنه خليل الرحمن، صلى الله عليه وسلم، وأن رفيقه الشيخ سيدي علي بن عليل الشهير بابن عليم قدس الله سره العظيم، ثم أخذتني ببركته شبه سنة نوم إلى قرب المغرب، فاستيقظت عرقاناً، ومن الله بالعافية، فعلق قلبي حب هذه السادات، وصار يخطر لي إذا أحياني الله تعالى، وكبرت أن أنقطع عند سيدي الشيخ علي بن عليل، لما كنت أسمع عنه وعن مكانه الشريف، وأنه على شاطئ البحر بمكان حسن، ثم من الله تعالى علي^(١) برجل من كبار الصالحين من أرباب الأحوال والكرامات والتمكين صحبته مدة من الزمان بالقدس الشريف يقال له الشيخ حسن الكركي، وكان خليفة لسيدي الشيخ عمر العقيلي الدمشقي، وسيدي الشيخ عمر المذكور خليفة للعارف الرباني سيدي الشيخ علوان الحوني، والشيخ علوان خليفة بحضرة قطب زمانه الشيخ الشريف الحسيب النسيب الشيخ علي بن ميمون نفعنا الله بهم أجمعين. فلازمت الشيخ

(١) ساقط من ط.

سيدي حسن المذكور مدة مديدة في ابتداء حال السيوبة بمسجد بيت المقدس بجامع المغاربة، لأن والدي، رحمه الله تعالى، كان يجتمع به كثيراً، وكانت الفقراء يشكون له الخواطر، وكان يقول لإخواني السادة الكبار: ليتكم لو كنتم مثل هذا الشاب، وكان قبل ذلك قدر الله تعالى عليّ المرحوم سيدي وشيخي الوالد بالتوجه إلى دمشق الشام لأمر أراده الله تعالى غصبا عليه بعد انقطاعه بمسجد بيت المقدس قدر عليه بالتوجه إلى ديار السلطنة ببلاد الروم، وأخذ المدرسة النورية والفتيا بمدينة بعلبك المحمية، فتبعه الفقير إلى هنالك، ثم قدر عليه بالتوجه إلى ديار الروم، فتوجه الفقير معه في خدمته، ودخلت في طريق المدرسين بدمشق المحروسة، وكان في يد الفقير حصّة في قرية شرقي دمشق يقال لها ضمير⁽¹⁾، فاجتمعت فيها برجل من السادات أرباب الأحوال الظاهرة والكرامات المتكاثرة يقال له الشيخ جمعة من قرية عذراء، وكان من جملة كراماته إذا نذر له إنسان نذرا يأتي إليه ويقول له: يا ولدي هات نذري، فبعض الناس ينكر عليه، ويقول له: يا سيدي، وما نذرك؟ فيقول له: الشيء الفلاني، ألا كنت بالحل الفلاني، وحصل لك الشيء الفلاني، فيصدقه ويدفع له نذره. فلما بلغ الفقير عنه مثل ذلك، ورأيت سمته وصلاحيته ظاهرة سألت منه الأخوة لله تعالى، فتخاويت⁽²⁾ معه، وزاد به شوقي في محبة الصالحين.

ومنهم رجل يقال له الشيخ علي⁽³⁾ اللؤلؤي، وكان يدعى بأبي الفقراء، وكان من كبار رجال الشام، والله أعلم، أنه كان من الأبدال، وله أحوال كثيرة ومحبة ورحمة زائدة للفقراء، رحمه الله، وكان أولا مصاحبا لسيدي الشيخ شهاب الدين ولد شيخ الإسلام بدر الدين الغزي رحمه الله تعالى، وكان هذا الشيخ أولا من أهل العلم، وابتلى بمحبة الصالحين والفقراء، فكان أكثر ما يجالسهم وينفق عليهم ما يقدره الله تعالى من الخير، فلما توفي رحمه الله تعالى جاء وصحب الفقير، وكان قبل صحبته عند الفقير رجل من الصالحين اسمه الشيخ خليل ابن قزقوز⁽⁴⁾ القدسي رحمه الله تعالى، وكان ممن نوره الله تعالى ظاهرا وباطنا، وكان يخبر كثيرا أن أهل الله لا بد أن يأخذوا الفقير إلى طريقهم، وكان أيضا بجوار الفقير بدمشق

(1) في ط: خمير.

(2) في ط: فتخاللت

(3) ساقط من ط.

(4) في ط: قزقوز.

المحروسة امرأة كبيرة سالحة حبشية، وكانت كثيرة الاعتقاد لحضرة سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العزيز، فأخبرت الفقير، و^(١) كانت بجواره أنها رأت ذات ليلة في المنام أنهم أخذوا الفقير ووضعوا على^(٢) رأسه علمين، إلى غير ذلك. ثم إن الفقير رأى في ليلة جمعة أنه بجامع بني أمية، وأن حواليه جماعة، وأنه استفتح بهم الذكر فجاء إليه شخص وقال له: اصبر ما لك؟ أو لعله قال: إلى أن تستدعي الناس، فحصل خجل للفقير من كلامه، فبينما الفقير كذلك، وإذا بالوقت قد قام واتسع المجلس، وإذا برجل صار يتواجد في المجلس ويرتفع على الأرض، فإذا عاد إلى الأرض نبت العشب تحت أقدامه قدر شبر أو نحو ذلك. فقال الفقير عند ذلك للرجل: هذا شيخي. فلما أراد الفراغ من المجلس وجاء إلى جانب الحائط الشمالي ضم (ذلك)^(٣) الشيخ، قدس الله سره، الفقير إلى صدره الشريف وقال له: أجزتك بجميع ما يجوز لي، وأخذ الفقير وسار به إلى جهة باب العبرانية^(٤)، فاستقبلنا رجل ذو شيبة بمية وعليه حابية بيضاء، وتصافح مع الفقير، ولم أعرفه، وصار بي الشيخ، رحمه الله، ونفعنا به إلى قرية قطنا^(٥)، وأخذ يريني أشياء ويذكر لي أشياء، فاستيقظت وقد وعيت ذلك، ولم أكن قبل هذا أعرف الشيخ رحمه الله، ولا دخلت تلك القرية، فلما أصبحت وجلست في محل الجلوس مع الإخوان، وجاء بعضهم، ذكرت لهم ذلك، وكان بمثل الفقير رجل من قرية سقيا من أعمال دمشق المحروسة في جماعة من المشايخ، فلما سمع ذلك من الفقير رجل وصفه الشيخ المذكور، قال: هذا سيدي الشيخ حسن أبو علي، وجميع ما ذكرته صحيح كذلك، ثم تشاغل عن مثل ذلك بما هو فيه من أحوال خدمة العلم الشريف وأحوال الدنيا، ثم بعد مدة رأيت في المنام أنهم أخذوا الفقير إلى قرية قطنا، وأن رجلاً جالساً إلى جانب قبة مرتفعة ويده شد أحمر وهو يرمي بطرفه إلى الفقير لأتمسك به وأطلع إليه، فاستيقظت وأصبحت^(٦)، فذكرته لبعض الإخوان، ووصفت الرجل الذي كان بيده الشد، فذكر لي أنه والد سيدي الشيخ موسى، واسمه الشيخ محمد عين رحمه الله تعالى. ثم بعد مدة رأيت أن خمسة رجال

(١) في ط: إذ.

(٢) في ط: فوق.

(٣) زيادة من ط.

(٤) في ط: العنبارية.

(٥) قطنا: من قرى دمشق: معجم البلدان: قطنا.

(٦) ساقط من ط.

دخلوا على الفقير ثلاثة جاؤوا من الجانب الأيمن، واثنان جاؤوا عن يسار الفقير، والفقير يشبه حالة الجالس، فجلس أحدهما إلى جانب الفقير، وصار بمنزلة المتكئ على فخذي الأيسر، وبقي الواحد قائماً ويده بند أو شيء يشبه ذلك، وطرفه بيد، وأخذ الثلاثة الواقفين عن يمين الفقير، أو هو بيد الثلاثة، من شدة هيبتهم، ما علمت حقيقة ذلك، ووضعوه على ظهر الفقير، وصاروا يحركون الفقير به حركة لطيفة، وإذا بي كأني أسمع من يقول لي: هذا الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره العزيز، وكأني به وهو يقول لي عن الشيخ الذي على فخذي: الزم هذا الراعي، وكأني بالشيخ، فأمرني بلبس الخرقة السوداء، وألبسنيها ولا أعلم أي حقيقة، ذلك كان من هيبتهم وجلالتهم، فلما استيقظت خطر بيالي أن الراعي سيدي الشيخ أحمد البدوي قدس الله سره العزيز، لما يحكى عنه أنه رعى الجمال لبنت بري، قدس الله سرهما، فلما أصبحت ذكرت ذلك للإخوان بارك الله فيهم، فقال لي بعضهم: الراعي الشيخ حسن القطباني جد هذه السادات الموجودين الآن بقرية قطنا، أدام الله تعالى قدرهم وكثر عددهم، ثم بعد مضي مدة من ذلك بينما الفقير ذات يوم عند الشيخ الوالد رحمه الله تعالى بمحلته العمارة بدمشق، وإذا برجل من أصحاب الفقير جاء وقال لي الفقير⁽¹⁾ الشيخ القطباني في المتزل، فظن الفقير أنه غير الشيخ حسن الذي رأيته أولاً، وكان بيت الفقير قريباً من باب توماق الغيرية، فلما أتيت المتزل رأيت شاباً لطيفاً حسن الهيئة والمنظر، ومعه بعض جماعته من فقرائهم، فسلمت عليهم، وجلسنا فقال سيدي الشيخ للفقير في أثناء مصاحبته⁽²⁾: إن لم تحيثونا جثناكم، ما في الحجة من عار. وجلس مدة أيام بلياليهن يقيم الأوقات والأوراد بالمتزل عند الفقير، ثم دعاني وأجلسني بين يديه فأخذت العهد عليه، وكل شيء أمر به الفقير امتثلته منه لما تقدم لي قبل ذلك، وهو سيدي الشيخ موسى ولد الشيخ محمد عين قدس الله تعالى روحهما. وأخبر الفقير بأن مدده بالأكثر من سيدي حسن والد سيدي الشيخ علي أطال الله تعالى بقاءه، ورحم والده الشيخ المذكور⁽³⁾، ثم إن الشيخ موسى أخذ الفقير وتوجه به لقرية يقال لها سقيا، من قرى دمشق، كان بها في زيارة الأستاذ سيدي الشيخ حسن، رحمه الله تعالى، مع بعض جماعة، وحصلت أيضاً الإجازة بالخلافة من الأستاذ بعناية الملك الجواد لأنه هو

(1) ساقط من ط.

(2) في ط: ملاعبته.

(3) ساقط من ط.

أول من رآه الفقير في منامه وجميع طائفته وغيرهم من صلحاء عصره الكائنين بدمشق المحروسة، يعترفون بعلو شأنه وبما أولاه به مولاه من فيض برّه وإحسانه، وإن كانت طائفته جميعه بعناية الله تعالى أرباب أحوال النساء منهم والرجال والكبار والأطفال، وبذلك جرى مددهم من العلي المتعال، وهم مشهورون ومعروفون به عند أهل تلك المسالك (قل إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء)⁽¹⁾، ثم توجه بعد ذلك السيد الشيخ موسى لمحروسة صيدا، وكان قبل ذلك فتح الله تعالى على يده خيراً كثيراً بتلك الديار لتربية المحبين، فاخترمته المنية، ودفن هناك خارج بابها على شاطئ البحر بمكان كان يشير بدفنه فيه إلى جانب قبر رجل من السادات يقال له سيدي الشيخ أبو الريش، فعمل له مدفن، وجعلت عليه قبة، ويعمل عنده به محيا في يوم من أيام الجمعة رحمه الله تعالى.

فصل:

في ذكر من حصل منهم الإجازة للفقير من السادات الكرام والأئمة القداة للأنام، وذلك علم الله من غير طلب من الفقير، وإنما ذلك فضل من الله تعالى الكبير. قال بعض السادات:

شعر:

[بسيط]

من أين من أين لي إن لم توفقي مولاي مولاي من لي بتوفيق من قبلي⁽²⁾

وقال سبحانه وتعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)⁽³⁾.

فمنهم سيدي وشيخي والدي، رحمه الله تعالى (ورضي عليه ووالاه بالعفو والرضوان)⁽⁴⁾، اجتمع بكثير من عباد الله الصالحين. ومن جمع الله له بين الشريعة والحقيقة، كان يكتب له في براءته مفتي ومدرس، وكانت الفقراء يشكون له

(1) آل عمران: 73.

(2) البيت مكسور.

(3) يونس: 58.

(4) ما بين قوسين ساقط من ط.

الخواطر ويباديههم، وكان من جملة دعائه للفقير: وهبك الله تعالى التصديق كما وهبه لأبيك، أجاز الفقير بما أجز به من الأشياخ والأسياذ أهل العناية والأمداد.

ومنهم سيدي الشيخ أحمد ذو الأحوال الظاهرة والكرامات الباهرة، وله شهرة شهيرة في غالب البلاد عند السلاطين وغيرهم من أفاضل العباد، الشهير بنسبه الكريم بابن عبدو القصيري الخلوتي صاحب الأسماء، أخبر أنه أخذ عنه حين مجيئه لزيارة القدس الشريف. ومنهم الشيخ الرباني سيدي الشيخ حسن الكركي، وتقدم أنه أخذ عن سيدي الشيخ عمر وسيدي الشيخ عمر عن سيدي الشيخ علوان عن سيدي الشريف العارف الصمداني والعالم الرباني سيدي الشيخ علي بن ميمون المغربي، قدس الله أسرارهم، وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاتهم آمين.

ومنهم الشيخ النليل خليفة الحب الشريف بدمشق المحروسة سيدي الشيخ عبد القادر بن سوار⁽¹⁾، رحمه الله تعالى، تفضل في حاله ابتداء تحول الفقير إلى هذا الطريق الشريف إلى محل الفقير بدمشق المحروسة، فهنيئا للفقير بذلك، وعقد الأخوة مع الفقير⁽²⁾، وأجازني بالحيا الشريف، وكان من جملة من صحبه من الإخوان الأعز الأخ الصالح المعروف بين الأشياخ بالشيخ محمد الباب الصعيدي، صير في القلوب، وله من المكاشفات والأحوال شيء كثير، منها أنه كان في بعض ما عوض له من المكاشفات يخبر بعض الناس بما وقع له في ابتداء أمره إلى ذلك الحين وإلى غير ذلك.

ومنهم المرحوم الأخ في الله تعالى سيدي الشيخ علي اللؤلؤي، وكان يشار له⁽³⁾ أنه من الأبدال بدمشق المحروسة، وكان نفعه متعديا لكثير من الأنام، وتقدم ذكره، ويقال إن الست زينب الكبرى بنت سيدنا علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه⁽⁴⁾، هي التي كتته بأبي الفقراء. ومما حصل للفقير منها قدس الله تعالى سرها ونور ضريحها في بعض الزيارات أن غلب على الفقير حالة نوم في النهار فتمددت تجاهها بالداخل وتوجه بقلبه إليها، فبينما هو بين حالة نوم ويقظة، وإذا بها طالعة من محلها الشريف ويدها الكريمة عمامة كبيرة تشبه عمائم العلماء، غير أن محل

(1) عبد القادر بن محمد، ابن سوار الدمشقي، من الصلحاء، رحل إلى مصر بقصد التجارة وعاد إلى دمشق حيث اشتهر أمره بالصلاح، توفي سنة 1014 هـ: خلاصة الأثر 2: 454.

(2) في ط: معه.

(3) في ط: إليه.

(4) في ط: رضي الله عنه وعنهما.

شكلتها باق لم يوضع في محله، وعليها حلتان حريراً من الختم الفوقانية ياقوتية بأكمام إلى خلف، والسفلى بيضاء، وهي تتهاذى بين خادمتين، وكل واحدة منهما آخذة بيدها من تحت إبطها، ودفعت العمامة للفقير فلبسها، وكان ذلك في بدء دخول الفقير في الطريق. ومن المشهور عنها أنه لا يعطى أحد ولاية بأرض الشام إلا من بابها الشريف.

ومنهم الشيخ الجليل الرباني سيدي الحسيب النسيب الشيخ محمد الصمادي^(١) القادري والد سيدي الشيخ مسلم^(٢)، رحمهما الله رحمة واسعة، وكان من أعيان المشايخ المشهورين في غالب الآفاق بالأحوال والكرامات، فمن بعض كراماته الظاهرة مع الفقير حين توجه لزيارته في بعض الأعياد مع شيخ الإسلام ابن العم مفتي دمشق الشيخ محمد العلمي، ومع فخر المدرسين شمس الدين الصمادي القدسي، ومع الأخ في الله الشيخ العلامة محمد السروري، وبعض المحبين (رحم الله الجميع)^(٣)، فلما انتهى المجلس من عنده وصافحه السادات المذكورون وتأخر الفقير لصغره عنهم لتقبيل يده الشريفة، فأخذنه إلى صدره وضمه^(٤) إليه وجعل يقبل بين عيني الفقير^(٥)، من هنا ومن هنا، يفعل ذلك مراراً بتلهف وتشوق، فتعجبت من ذلك من حيث أن المشايخ المشار إليهم لم يفعلوا مع أحد شيئاً من ذلك، ولعله دعا للفقير بدعاء همهمه ولم أفهم منه، فقلس الله تعالى سره، وسر آباءه وأبنائه وأتباعه إلى يوم الدين.

ومنهم سيدي الشيخ الصالح العالم العلامة الشيخ تاج الدين بن داود القدسي رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وذلك أن الفقير كان بأهله بيت المقدس بمحلة المغاربة من مدة تزيد على خمس وعشرين سنة، ولعله في ختام الألف، والوقت كان مقارباً لأذان العصر فإذا بباب منزل الفقير يدق، فترلت إلى الباب فرأيت سيدي الشيخ المذكور ومعه نقيبته الشيخ محي بن قاضي عصفور، فتلقاهما الفقير وطلع بهما لمحل جلوسه مع الإخوان فإذا بالشيخ، قلس الله سره، رفع صوفاً

(١) محمد بن محمد بن خليل الصمادي القادري الشافعي، شيخ الطريقة الصمادية بالشام، توفي سنة 994 هـ: خلاصة الأثر 363:4.

(٢) مسلم بن محمد بن محمد بن خليل الصمادي القادري الشافعي، شيخ الطريقة الصمادية بالشام بعد أبيه، سافر في آخر أيامه إلى بيت المقدس، كانت وفاته سنة 1015 هـ: خلاصة الأثر 363:4.

(٣) زيادة من ط.

(٤) في ط: فأخذني إلى صدره وضممني.

(٥) ساقط من ط.

أنحضر عن كتفيه وألبسه للفقير وقال: عملت هذا لنفسي فرأيت سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني، قدس الله تعالى سره العزيز، وكان الشيخ خليفة له في طريقته وقال لي: البس هذا الصوف لفلان، يعني الفقير، وها أنا فعلت ما أمرت به، فقرأ الفاتحة بما ألهمه الله تعالى، ولعله أخذته العبرة عند ذلك، فجزاه الله خيراً، إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

ومنهم السيد الجليل والعارف النبل، الأخ في الله سبحانه وتعالى الشيخ عبد القادر الشهير نسبه الكريم بابن قضيب البان⁽¹⁾، كان قدم لزيارة بيت المقدس مجرداً ومعه أخوه سدي الشيخ عثمان ومعهما جماعة من الصالحين، وكان ذلك في التاريخ المذكور أو قريب منه، والله أعلم، فقدر الله بالاجتماع معه في بعض المرات بالمسجد الأقصى بالخلوة التي بقرب الأقصى العتيقة، وكان الشيخ المذكور، أطال الله بقاءه، لابسا صوفا لطيفة أهداه له بعض المحبين، وكان على الفقير حبة صوف سوداء، فقال: يا أخي تلبسي هذه؟ فخلع الفقير الجبة، وخلع الشيخ حفظه الله، وألبسني جبته، ولبس من الفقير الجبة المذكورة، وكان آخا الفقير قبل ذلك، وفي هذا التاريخ أيضا قدم الشيخ الفاضل الصالح الكامل الشيخ موسى المصري الشعرواي لزيارة القدس الشريف، وآخا الفقير واجتمع مع النفير ببلد الله الحرام، وهو الآن ببجيلة، حفظه الله تعالى.

ومنهم العارف الرباني الشيخ النبل القدر الجليل الشيخ أحمد بن سليمان كان من أجلاء المشايخ بدمشق رحمه الله. أخبر الفقير في مجلسه بزاويته أن بينه وبين الشيخ عبد القادر الجيلاني، رضي الله عنه وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته آمين، أربعة أيدي في المصافحة، وأن يده الخامسة، وحصلت المصافحة معه مرارا، والله الحمد (ورحمه الله تعالى)⁽²⁾.

ومنهم سيدي الشيخ محمد بن عبد الهادي نسيب الشيخ عبد القادر بن سوار، وكان من كبار الصالحين وأجل أرباب التمكين، حصلت معه المحبة

(1) عبد القادر بن محمد أبي الفيض المعروف بابن قضيب البان، صاحب أحوال وكرامات، جاور بمكة المكرمة مدة، وانتقل إلى القاهرة قبل أن يعود إلى حلب، له كتاب نهج السعادة في التصوف، ورسالة في أسرار الحروف، وديوان شعر، توفي سنة 1040 هـ بطب: خلاصة الأثر 2: 464.

(2) ساقط من ط.

والأخوة الأكيدة والإشارة بالمبشرات العديدة، وكان قادرياً، رحمه الله تعالى وسلفه، وجعل البركة في ذريته آمين.

ومنهم شيخ السادة الغزاة بدمشق، وكان من المعمرين بالتقوى والدين، الشيخ حسن الصلبي، أخبر الفقير ومن كان في مجلسه من المشايخ بجامع كريم الدين بالقرب من باب الله بدمشق المحروسة أنه اجتمع في حال شبابه لما زار بيت المقدس بسيدي الشيوخ أبي العون الغزي المدفون بالرملة المحروسة، وأنه لوى له المنزر على رأسه، وربما أن الشيخ حسن، رحمه الله تعالى، جاوز المائة، والله أعلم. ومنهم سيدي الشيخ علي بن سيدي الشيخ عمر العقيبي، وربما أنه وصل إلى هذا السن أو أكثر، وكان من كبار الصالحين.

ومنهم سيدي الشيخ نجم الدين، كان إماماً بقلعة دمشق، ولعله عمره نحواً مما تقدّم، وكان يُخبر الإخوان بالفقير، والفقير إذ ذاك في صغيره^(١)، أنه يخدم سيدي الشيخ العارف الصمداني سيدي الشيخ عبد القادر بن حبيب الصفدي قدس سرهما العزيز.

ومنهم سيدي الشيخ العارف بالله أبي البركات البزوري، تخاوى مع الفقير بدكانه بسوق البزورية بدمشق المحمية، ورأى الفقير في المنام أنه قطب الشام، وكان مشهوراً بالكرامات والأحوال، ولعله كان في السن نحو مما تقدم ذكرهم، وكان من أصحاب سيدي الشيخ محمد بن عراف قدس سرهما العزيز.

وبالجملة، فنعم الله تعالى على هذا الفقير في هذا الطريق المنير لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، ولكن شيخ القلب في الحقيقة سيدي الشيخ حسن والد سيدي الشيخ علي القطناني، وهو الذي لف المنزر للفقير وألبسني لبادته التي كانت على رأسه الشريف من مدة تزيد على خمس عشرة سنة، ونصب (في البحر)^(٢) الأعلام ورسوله الذي كان في اليقظة سيدي الشيخ موسى المدفون بشاطئ بصيدا قدس سرهما وأعلى درجاتهما لديه، إنه جواد كريم رؤوف رحيم، وتنتهي طريقتهما إلى سيدي الشيخ الكبير ذي الأحوال الشهيرة والبركات الكثيرة جدهما المعروف بالشيخ حسن الراعي قدس الله أرواحهم، ويقال بينما هو ذات يوم في المرعى وإذا

(١) في ط: كان صغيراً.

(٢) زيادة من ط.

بثلاثة من السادات لنحوه تسعى، فإذا بهم سيدي القطب الرباني سيدي عبد القادر الجيلاني والقطب سيدي أحمد الرفاعي، والقطب العارف بربه القادر سيدي عدي بن سامر، فأتاهم بشيء من حليب الغنم ووضع بين أيديهم بفضل المولى المنعم، وكان له هناك للخير داعي، وكان قريباً من سيدي الشيخ أحمد بن الرفاعي، فأخذ عليه العهد، وثقلوا له في اللبن، فحبي ببركتهم بجزيل الفضل والمنن، أعاد الله علي من بركاتهم والمسلمين آمين.

فصل في ذكر بعض السادات المشايخ الأعلام أئمة العلماء الكرام الذين أخذت عنهم ما تيسر من العلم الشريف، وانتفعت بفوائدهم الجليّة تبرّكا بذكرهم، وإيضاحاً لجليل قدرهم، واستجلاباً للدعاء لهم، رحمهم الله تعالى أجمعين آمين. فأولهم سيدي وشيخي والذي رحمه الله تعالى، أخذت عنه كثيراً من الفقه، قراءة وسماعاً وكشفاً للفتاوى ومطالعة لدروس من كان يقرأ عليه، ذلك نحو من خمسة عشر درسا في علوم متفرقة كلّ بحسب مطلبه، وأخذت عنه الحديث الشريف، وقرأت وسمعت عليه كثيراً من كتب النحو وشيئا من التصريف والأصول وغير ذلك من العلوم.

ومنهم شيخ الإسلام العالم العامل الورع الزاهد المحقق الكامل الشيخ شمس الدين محمد الخديم الحنبلي المقدسي، قرأت وسمعت عليه كتباً كثيرة في النحو وغيره، ولازمته مدة مديدة أحضر دروس الإخوان في النحو وفي كثير منها يفيد من علوم كثيرة، وحصل لي منه نفع كثير رحمه الله رحمة واسعة.

ومنهم شيخ الإسلام مفتي دمشق ابن عم والذي ونحالي، سيدي الشيخ شمس الدين محمد العلمي الحنفي خدمته في قراءة بعض كتب النحو من شروح ألفية ابن مالك وفي غالب مختصر المعاني والبيان، وكنت أسمع كثيراً من دروسه وأبحاثه المفيدة من غالب العلوم بالتحريير وحسن التقرير، رحمه الله تعالى.

ومنهم شيخ الإسلام والمحدثين بدمشق الشام شمس الدين محمد بن داود المقدسي، أخذت عنه شيئاً كثيراً من النحو من شرح ملا جامي على الكافية، ومن الحديث والمعاني والبيان بقراءة غالب عقود الجمان وغير ذلك من دروسه التي كان يبدأ فيها من آخر الليل إلى أواخر النهار مشحونة بالفوائد الجمّة والفرائد المهمة، رحمه الله تعالى.

ومنهم شيخ الإسلام مفتي الأنام، إمام العلوم، التحرير ذو البيان والتحرير، الشيخ تقي الدين بن غالب الحنفي، قرأت عليه في النحو مغني اللبيب لابن هشام بطرفيه قراءة تحقيق، مع حضور دروس له كثيرة بمدينة بعلبك، وكان يفتي بها على المذاهب الأربع قبل أن يلي الفتيا بها سيدي الشيخ الوالد رحمهما الله تعالى، ومع ذلك كان بها جماعة من العلماء الأعلام، لاسيما من الشافعية والحنابلة.

ومنهم الشيخ الحافظ العلامة الحبر التحرير الفهامة سيدي الشيخ علي المغربي المالكي صاحب الأخلاق المرضية والأبيدي السخية، قرأت عليه غالب ألفية ابن مالك حفظاً وحلاً مع غيرها من العلوم والقراءات، توفي بالقدس الشريف، ودفن بباب الرحمة، رحمه الله تعالى.

ومنهم شياخي الذي قرأت عليه القرآن الشريف، سيدي الشيخ حسن الشهير بابن حسين، حفظت عليه نحواً من ربع كتاب الله العزيز، ونحو ربع كتاب الكثر وملحمة الأعراب والأجرومية، ولعل، كان ذلك، وسن الفقير ثمان سنوات أو تسع، والله سبحانه وتعالى أعلم، رحمة الله تعالى عليه وعلى المسلمين أجمعين، والقصد بذكرهم التبرك والترحم عليهم، والحمد لله رب العالمين.

فصل في ذكر بعض من اجتمعت بهم من السادات بمكة المشرفة والمدينة المنورة، زادهما الله شرفاً، فمنهم السيد الحسيب النسيب العالم العلامة الفهامة صاحب التحقيق والتدقيق والعلوم والفوائد المهمة صبغة الله الهندي، روح الله تعالى روحه ونور ضريحه، حصل الاجتماع به بالمدينة المنورة سنة إحدى وعشرة بعد الألف.

ومنهم من السادات من أهل اليمن السيد الأستاذ عارف الوقت والزمان صاحب الكمالات والعرفان، سليل السادات الأقطاب المنقذين من حال إلى حال، صاحب اليد الموسوية، سر العصر اللطيف، مولانا السيد الشريف الشيخ أحمد ابن القطب الكبير صاحب العرف العبير، صائم الدهر، صاحب الكرامات الباهرة والبراهين الظاهرة القائل: من رأي أو رأي من رأي ضمنت له على الله الجنة، فخر الدنيا والدين، أبي بكر بن سالم الحضرمي القافى، أعاد الله تعالى علينا من بركاته، وقد اجتمعت به بمكة المشرفة تجاه بيت الله الحرام عند مقام المالكي، وتضافحت

معه يد الأخوة، وأشار لي بإشارات وأخبار بشارات لحالة الفقير، وما من الله به عليه، وذلك في عام أحد عشر بعد الألف.

ومنهم السيد الشريف الوله بحب سيده ومولاه، المتصرف في أبناء عصره حسبما من به عليه مولاه الذي بذلك تولاه وأولاه، سيدي الشيخ أبو الغيث الشهير بالفخر اليميني الأصل، رحمه الله تعالى، وكان عند الفقير تردد في العزم على المجاورة أو العود إلى الوطن، فأطلعه الله تعالى على خاطر الفقير، وأشار بالمجاورة، وحصلت معه يد الأخوة، وكان له كرامات ظاهرة، وبركات متكاثرة، رضي الله عنه تعالى عنه.

ومنهم الشيخ الصالح الناسك الناجح المعمر لأوقاته بالذكر والعبادات، الشيخ شهاب الدين أحمد العمودي اليميني الحضرمي رضي الله تعالى عنه. ومنهم سيدي الشيخ العارف بالله تعالى سليل السادة الأولياء الكرام أرباب القدر والجهد والاحترام، الشيخ ياسين ابن الشيخ عمر بن الشيخ الكبير، صاحب العرف العبير الشهير، بعد الله رحمه الله تعالى، المدفون ببلد شبيكة، اجتمعت به بمقرله بين الصفا والمروة. ومنهم من جذبته يد الإحسان بلطائف الجهد والامتنان للمجاورة بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، أخونا في الله تعالى الشيخ الزاهد المنقطع إلى الله الشيخ شهاب الدين الملكاني. ومنهم الشيخ العارف الجليل والبحر التحرير النبيل سليل السادات الكرام والأئمة العلماء الأعلام الشيخ شهاب الدين أبو المواهب أحمد الشناوي الغزي⁽¹⁾ حفظه الله وبنه وأهله ومحبيه. ومنهم الشيخ الصالح شيخ الطريقة والحقيقة، الملازم لتلاوة كتاب الله الموله بحب مولاه الهادي إلى صراط الله الشهير بالشيخ محمد الجيد اليميني، رحمه الله تعالى. ومنهم صاحب القدر والإجلال، الشيخ بلال شيخ الطوائف الأحمدية بباب الرحمة رحمه الله. ومنهم صاحب النفحات الزكية والأوقات المرضية سيدي الشيخ أبي الفتح الأحمدى الحلي خادم سيدي حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء، رضي الله تعالى عنه، من أكابر السادات أرباب الكرامات، وبكثير من المجاورين والقاطنين ممن كان في ذلك العام بالحرمين الشريفين والواردين عليهما نفعا الله والمسلمين ببركاتهم آمين.

(1) تقدمت ترجمته.

فصل في بيان المقصود من ذلك على التفصيل والإعادة فيها الإفادة، ليتضح بذلك للأبناء والإخوان، وفقهم الملك المنان، إذا سُئِلوا عن شيء ذلك أن يخبروا بالحقيقة ما يقفوا عليه بعون الله تعالى بقرب من اجتمع بهم الفقير من المشايخ الكرام إلى من يُعَوَّل عليهم من أرباب المجد والاحترام.

فمنهم سيدي الشيخ والذي رحمه الله تعالى، أخذ الأسماء عن سيدي الشيخ أحمد بن عبدو، واجتمع بكثير من المشايخ أرباب المعارف والأحوال، وسيدي الشيخ حسن الصليّ اجتمع بسيدي الشيخ أبي العون الغزي، وسيدي الشيخ أحمد بن سليمان، ذكر أن بين يده ويد الشيخ عبد القادر الجيلاني قدّس الله سره العزيز أربعة أيدي. وسيدي الشيخ نجم الدين إمام القلعة كان من جماعة الشيخ عبد القادر بن حبيب الصفدي، وسيدي الشيخ حسن الكركي هو أول من لازمت مجلسه بجامع المغاربة وحصل منه خير كثير، أخذ عن سيدي الشيخ عمر وسيدي الشيخ عمر عن سيدي الشيخ علوان، والأخ الشيخ علي اللؤلؤي أجاز الفقير بذكر الأنفاس، ونسيت اسم شيخه الذي أخذ عنه، وسيدي الشيخ عبد القادر ابن سوار، وأجاز الفقير بمحيا النبي المختار. وأما لبس الفقير للخرقة السمراء وغيرها فقد تقدّم ذلك، وأما حقيقة المبايعه فلشيخ سيدي حسن القطباني والد سيدي الشيخ علي حفظه الله تعالى يروي عن سيد الأنام عليه الصلاة والسلام: ليس الصيد لمن أثاره، إنما الصيد لمن اقتنصه⁽¹⁾. وعن سيدي الشيخ أبي مدين: شيخك من سدت فيك لإشارته وحلت في وجودك عبرته.

وبالجملة فكراماته أجل من أن تحصى، ومناقبه عند عارفه لا تستقصى، ولقد أخبرت من الثقات أنه كان في يوم نزوله من قريته إلى محروسة دمشق يرتج له كثير من رجالها إجلالا ومهابة لشأنه، رحمه الله تعالى رحمة واسعة على ممر الأزمان آمين.

وأما الذين تحاؤوا مع الفقير من سادات الناس وغالب الأجناس فرما يزيدون على ألف إنسان مشهورين بالخير والصلاح والهداية والفلاح، فلا أخلاقي الله تعالى والمسلمين من بركاتهم آمين، ورحم الله من مضى، وحفظ من كفى منهم، إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

(1) لسان الميزان 2: 253.

فصل في ذكر من من الله تعالى بهم على الفقير من الأولاد، وعدتهم ثلاثة عشر ولداً، ثمانية من بنت العم ستة ذكور وبناتان، وخمسة من بنت الشيخ موسى العسيلي، فأول الثمانية محمد، وبعده الشيخ عبد الصمد حفظه الله تعالى وبنيه، وبنية لابنة، وعيسى وزاهرة وعبد القادر وبعده محمد أيضاً، وبعده الشيخ عبد القادر حفظه الله وبنيه، ولم يبق منهم إلا الشيخ عبد الصمد، والشيخ عبد القادر، أطال الله بقاءهما وجعل البركة فيهما وفي بنيهما ومحبيهما. ومن بنت المرحوم الشيخ موسى ولدان ذكران نزلاً في إخلاصهما ميتين، وثالث بنات توفي منهما ثنتان وبقيت واحدة حفظت بحفظ الله تعالى بالتقوى والإيمان آمين. وأما أبناء القلب فلا يعلم عددهم إلا الرب سبحانه، وجعل تبارك وتعالى البركة فيهم وفي بنيهم وأتباعهم ومحبيهم إلى يوم الدين، إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين. وأما مولد العبد الفقير فأخبرني سيدنا الوالد رحمه الله أنه كان في شهر رجب سنة ثلاث وستين وتسعمائة، وأسأل الله خاتمة الخير من غير فتنة ولا بلاء ولا محنة بمهنة وكرمه إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين. وأوصي الجميع من أبنائي وإخواني وأحبائي وإيائي بتقوى الله الكريم الديان في السر والإعلان، وأسألهم صالح الدعاء لي ولأشياخي وآبائي وأبنائي وإخواني ولمن في الله تعالى أحبني ووالائي، والحمد لله رب العالمين هـ.

وخرجنا من القدس الشريف ضحى يوم الأربعاء الثالث والعشرين، وما كنا
 عزمنا في ذلك اليوم على الخروج في ذلك اليوم إلى أن بعث إلينا القاضي النفاقي
 المتقدم ذكره، وقال: إني وجدت رفقة مأمونة وهي تيسر لنا، فاعزموا على المشي،
 فودعنا الشيخ عمر، وخرج معنا أصحابنا إلى خارج المدينة، وودعنا القاضي ودفع
 كراء الدواب التي ركبناها إلى الخليل من عنده، وكتب كتاباً إلى نائبه في مدينة
 الخليل عليه السلام يوصيه بنا، فسرنا في حفظ الله تعالى، ومررنا بالجوابي التي يأتي
 منها الماء إلى المسجد الأقصى، وهي جوابي عظيمة في غاية السعة لم أر أوسع
 منها، وهي ثلاثة متوالية يجتمع فيها الماء من عين هناك حتى إذا امتلأت ذهب في
 قنوات محكمات تحت الأرض إلى أن يدخل المسجد، ولم نجد فيها في هذه السنة
 إلا قليلاً من الماء لقلة الأمطار، فغارت العيون، ثم مررنا بيت لحم وزرنا من
 بعيد، ولم نزل نسير يومنا في ارتقاء وانخفاض بين غياض ذات أشجار مختلفة من
 شجر البادية، وعلى يميننا ويسارنا قرى إلى أن دخلنا مدينة الخليل قرب العصر،
 وأنزلنا قاضيها نائب قاضي القدس بيت في جوار المسجد، وقام بالواجب جزاه
 الله خيراً، واسمه الشيخ عثمان، وهو تركي، فتوضأنا هناك ودخلنا المسجد للصلاة
 والزيارة، فزرنا قبر خليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام وقبور بنيه الكرام، سيدنا
 إسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام، وقبور أزواجهم، والقبور كلها في مغارة
 تحت أرض المسجد، وفي المغارة طاقة مفتوحة في وسط المسجد مثل البئر قد علقت
 فيها مصابيح توقد ليلاً ونهاراً، وفي أرض المسجد شبائيك على شكل القبور مغطاة
 بستور من ديباج في مقابلة قبور الأنبياء التي في المغارة، إلا قبر يوسف عليه السلام
 فإنه في آخر المسجد في ركنه الغربي في محل يغلق عليه ولا يفتح إلا في أوقات
 مخصوصة، واقتحمنا دخول المسجد اقتداء بمن جوز ذلك من العلماء ورخص فيه،
 وإن كان كثير من أئمتنا المالكية قد شددوا في ذلك النكير وقالوا: لا يحل دخوله
 لأن قبور الأنبياء مقطوع بأنها هناك، ولا نعلم أعيانها، فكل محل يطأ فيه يمكن أن
 يكون هو موضع القبر، ولا يحل الجلوس والمرور على قبر مسلم، فكيف بقبر نبي،
 ولكن العمل منذ افتتحت البلاد على خلاف ذلك، فقد صار ذلك المحل مسجداً
 تقام فيه الجمعة والجماعات على مر الأعصار، والعلماء الأخيار يفلدون عليه

ويسمونه في تآليفهم وأسمعتهم مسجداً، وحكم المسجد لا يمنع أحد من الدخول فيه، وقد استدل لجواز الدخول فيه الحنبلي مؤرخ القدس بما يطول ذكره.

ومن لقيته بمدينة الخليل الفقيه الراوية المسن المسند يوسف القاسمي الجندي من ذرية أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه فسمعت عنه من أول الصحيحين، وأجازني بأسانيده، وستأتي عند ذكر الإجازات.

ومن لقيته بحرم الخليل صاحبنا الأبر، الفقيه الأطهر، الشيخ إبراهيم ابن شهاب الدين المرواني، وهو من فضلاء ذلك البلد، له ديانة ومروءة وأخلاق حميدة، ومشاركة في العلوم الشرعية، وهو ممن صحب شيخنا القشاشي وانتفع به. كتب إليه الشيخ عبد القادر الغصيني يوصيه بنا، فقام معنا أتم قيام، فجزاه الله خيراً، وله بيت في صحن المسجد فيه كتبه يأوي إليه عامة يومه. ولقوة إنصافه رضي الله عنه استجازني بعدما سمع مني ما تيسر، فكتبت له إجازة مشتملة على نظم ونثر لأنه أطلعني على إجازة الشيخ المقرئ لوالده، وهي نظم، فعلمت أنه يحب الكتابة على ذلك المنوال، وهذا نص الآيات التي كتبتها في الإجازة:

[وافر]

أجزتُ بكل ما أرويه طُرا	وما صنفته نظماً ونثراً
وما لي من مجاز عن شيوخ	بمكة أو بطيبة أو بمصر
وما أرويه عن علماء قطري	شيوخ الغرب ما أذكاه قطرا
من المعقول والمنقول مما	قرأتُ أو سمعتُ الغير يقرأ
حديثاً أو تصوفاً أو كلاماً	وتفسيراً وفقهاً فهو أحراً
ونحواً أو عروضاً أو سواها	فيروي إن أحاط بذلك خبراً
أبا إسحاق إبراهيم أكرم	به حبراً يفوق البحر حبراً
على الشرط الذي شرطوا وإن	أزيد له شروطاً ثم أخرى
صفاً قلب وإخلاصاً وأيضاً	دعاء لي بحيث قرأ أو أقرأ
وأشياخي الذين رويت عنهم	كثيراً لم أطق لكل حصراً

لم أذكرهم نظمًا ولكن	سأذكرُ بعضهم من بعد نُثرا
صلاةُ الله تملأُ كلَّ كَوْن	وخيرُ سلامه عشرًا فعشرا
وألفا ثم ألفا في ألوف	على الهادي ختام الرسل تُثرا
وأصحاب فتابعهم وآل	فتابع تابع فلهم جـرا
يعود عليَّ منها كل نفع	ويعظمُ لي بها الرحمنُ أجرا
ويجعل لي بها وأخي المسمى	خلال النظم في عدن قفرا
ويعظم خيرُها فيصيب كلا	من الأهلين والإخوان طرا
وكل المسلمين وكل هذا	يعد من عطاء الله نـزرا

وصاحبنا هذا ممن يتولى الإمامة في مسجد الخليل، ويقيم مجلس الذكر فيه في أدبار الصلوات كما هو عادة أهل تلك البلاد كلها^(١)، فقد استبدلوا من مجالس العلم بمجالس الذكر، فقلما يخلو مسجد من مجلس ذكر برفع الصوت والجماعات والإنشادات على هيئة سماع الصوفية، إلا أن متعاطي ذلك أميون أرباب دنيا، فقلَّ بذلك العلم في هذه البلاد والسواحل الشامية كلها، بقياس ما لم أر منها على ما رأيت، وبأخبار من رآها من الواردين، وقد سمعت صاحب الترجمة يختم بمجالس الذكر هو وأصحابه بقصيدة فيها التوسيل بخليل الله تعالى نظمها ليس حري بذلك، ولكن نية صاحبها بالغة إلى أن صارت تقرأ في ذلك المكان المبارك، وقد منَّ الله عليَّ في بعض أيام الإقامة هناك بإنشاء قصيدة تضمن ما في تلك وزيادة امتدحت بها خليل الله، وتوسلت إلى الله به وبينه الكرام، وتضرعت إليهم بما أرجو من الله قبوله ببركتهم، فكتبتها له وتركتها عنده عسى أن ينالها من بركات أولئك السادات ما نال تلك القصيدة، فتقرأ في ذلك المشهد العظيم، فيسعد بذلك منشئها سعادة عظيمة، وهذا نص القصيدة المذكورة^(٢) التي أنشأتها:

[طويل]

(١) ساقط ن ط.

(٢) ساقط ن ط.

ألا يا خليلَ الله جئتكَ زائِراً
يقود بيَ التوفيقُ والشوقُ سائق
وقد كنتُ قدماً أرتجى الوصلَ ها أنا
وقفتُ ببابِ الجودِ بابك خاضعاً
مددتُ أكفَ الفقرِ نحوكَ حاشَ يا
وأنتَ الذي سَنَ القِرَى ودعا الوردِ
فيا فوزَ عبدٍ قد أجابَ نداءكم
وأدى به النسكُ الذي قد شرعتهُ
ومن بعده زارَ ابنك المصطفى الذي
وفضله قطعاً على الرسلِ كلهم
وبينَ أعلامِ الحنيفةِ التي
محمدُ المحمودُ حياً وميتاً
وأولَ رسلِ الله طراً نبوءة
عليه صلاةُ الله ثم سلامه
ومن بعده يأتي إليك مؤملاً
يُمرغُ في أعتابِ بابك وجهه
ويضرغُ فيه بكرةً وعشية
لتنظرَ فيه نظرةً تُبلغُ المنا
وتشفعُ للرحمنِ فيه لعله
ويمنحه علماً وخلقاً مُهذباً

أجوبُ الجبالَ السود نحوكَ سائِراً
إليك فلو أسطيعُ جئتكَ طائِراً
بذاك بحمدِ الله أصبحتُ ظافِراً
ذليلاً مُنيباً حامداً لله شاكِراً
أبا الرسلِ عنكَ أن تُرد حواسِراً
لأمِ القُرَى لما امثلتَ الأوامِراً
وجاءَ لحجِ البيتِ يسعى مُبادِراً
ولبي وطاف ثم جاءَ المشاعِراً
له جمعُ الله العظيمِ المآثِراً
وأرسلَ للدينِ الحنيفي ناشِيراً
شرعتُ فعادَ باطنُ الدينِ ظاهِراً
وأحمدُ المبعوثِ للذينِ ناصِراً
وإن كان في الأرسالِ قد جاءَ آخِراً
يُعْمانَ آصالَ الدنا والبواكِراً
نداكُ أبا إسحاقَ للكسرِ جابِراً
وبابُ بنيكَ الأكرمينَ الأكابِراً
حقيراً ذليلاً حاملَ الذكرِ صاغِراً
وتهدي طريقَ الرشدِ من كانَ حائِراً
يُجللهُ عفواً عنِ الذنبِ سائِراً
ويلبسهُ ثوباً من الشوبِ طاهِراً

ويلهمه بعد الغواية رشده
فإنك عند الله أعظم شافع
وأنت خليل الله أول من قرا
وإن قرأي أن أجاب بكل ما
وإني لأرجو أن يكون قراكم
وأما إذا كان القرى منك سيدي
أجبرني وإخواني وكل أحبتي
فإني عبد مستجير بكم ولا
وبالباب عبد الله ضيفك فالتفت
ثله بما قلبا منيا مقارنا
واحضار قلب في العبادات كلها
وعافية مقرونة كل لحظة
ويسر إلهي كل أمر يرومه
وهي له رشدا ولطفًا مقارنا
وكن راضيا عنه وحبيب له الذي
ووفقه للخيرات واختتم حياته
بجاه الخليل المجتبى وبنيه والـ
محمد المهادي الحبيب عليهم

ويجعله برا وإن كان فاجرا
متى تدع أو تشفع تشفع بلا مرا
ضيوفًا وقد أصبحت ضيفك حاضرا
طلبت من المولى وإن كنت آثرا
على قدركم حتى يعم الذخائرا
على قدر هذا العبد قد عاد خاسرا
وأهلي وأبناء العبيد الأصاغرا
يضام لكم جار وإن كان جائرا
إليه التفاتا للمواهب عامرا
لسانا مدى الأوقات لله ذا كرا
وعمرًا طويلا بالمعارف عامرا
بعفويكون للمآثم غافرا
لعدك تيسيرًا يزيل الضرائرا
له ثاويًا في أهله أو مسافرا
يرضيك واجعله على ذلك قادرا
بخير إذا حل الفقير المقابرا
رسول الذي نال الهدى والمفاخر
صلاة وتسليم ينير السرائرا

ثم ارتحلنا من مدينة الخليل عليه السلام يوم السبت السادس والعشرين،
واكثرنا حميرًا لركوبنا من المكان الذي أكرى لنا من القدس، وكان فيه حسن

خلق، ولم نخرج من فناء المدينة حتى متع النهار^(١) جداً، وكنا ننتظر رفقة معها عدة فرسان لنسير معهم لأن المحل مخوف، وغالب أهله متلصصون، وقد أخبرنا بعض من سافر معنا من أهل البلد بعد ذلك أن جماعة من متلصصي ذلك البلد جاؤوه وقالوا له: وافقنا على سلب هؤلاء المغاربة، فإذا شلحناهم^(٢) أخذنا نحن الأمتعة وأخذت أنت ما معهم من الذهب، وشلح في لغتهم بمعنى سلب، والمغاربة في أقطار المشرق كلهم متهمون بالذهب ولو كان أحدهم ذا أسمال خلقة، ولولا أن صاحبنا الشيخ إبراهيم الرواني كان أكد كثيراً على كل من سافر معنا من أهل البلد وقال لهم: لا يخلص إليهم^(٣) بسوء إلا إن عمكم، لباعونا وأكلوا أثماننا، ولكن الله سلم.

وسرنا بقية ذلك بين غياض وتلول وقرى إلى أن نزلنا بعد العصر بقرية يقال لها بيت حيرين وفيها قلعة فيها بعض العسكر، وبتنا بها وأضافنا أهلها، وفي الغد ارتحلنا منها ضحى وفارقنا الجبل واستقبلنا أرضاً جرداء ذات مزارع وخصب كثير، وسرنا فيها بقية يومنا خائفين من العرب لأنهم يغيرون في ذلك المحل لما وقع بينهم وبين باشة البلد كما قدمنا. ونزلنا قرب المغرب بقرية يقال لها السوافر، وأضافنا أهلها ضيافة حسنة، وأدخلونا داراً خروفا علينا من إذاية السراق، وفلاحة بلاد الشام كلهم أهل كرم وصدق ووفاء خلاف فلاحة مصر.

ثم ارتحلنا بعدما صلينا الصبح وسرنا خائفين إلى أن قربنا من مدينة غزة، فلقينا هناك بيرقاً معه خيل كثيرة خرجت من عند الباشة لغزو العرب، فاطمأنت قلوبنا وحصل لها الأمن، فدخلنا غزة قرب الظهر، ونزلنا بمحلنا الأول من رباط الشيخ عبد القادر الغصيني ووجدناه (قد خالفنا إلى القدس مع أكبر أولاده لغرض لهم عند قاضي البلد)^(٤)، وكانوا يرون أنهم يدركوننا هناك لتوسط لهم عنده فلم يقدر ذلك، وقد أظلم علينا الجو لما لم نجد هناك، فإنه كان سراج هذه المدينة، على كبرها وإنسان عينها ونور بصرها، إلا أن الله تعالى بلطفه أنس وحشتنا ونفس كربتنا لقاء شيخنا فقيه البلد وابن فقهاها وكبيرها وابن كبرائها المشارك في فنون من العلم، المتخلق بأخلاق ذوي النهى والحلم، الشيخ عمر بن عبد القادر

(١) متع النهار: ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال: لسان العرب: متع.

(٢) شلح: شلج فلان: إذا خرج عليه قطاع الطريق فسلبوه ثيابه وعروه: لسان العرب: شلح.

(٣) في ط: لهم.

(٤) ساقط من ط.

المشرفي، وكان يتعاهدنا بقراءه كل يوم، يبعث به إلى محلنا لما علم غيبة شيخنا الشيخ عبد القادر، وأنا في خلال ذلك لا أفارق مجلسه ويحليني فوق ما أستحقه من الإجلال، ويفاتحني بالكلام، وذاكرته في مسائل كثيرة من فنون العلم، وله في البحث قوة إنصاف وحسن تحل بالعلم واتصاف، وقد قرأت عليه بعض صحيح البخاري، واستجزته لي ولمن يذكر في الاستدعاء من الأصحاب، فأجاز بذلك وكتب لي خطه بذلك، وسيأتي نص إجازته لي في آخر الرحلة عند ذكرنا لإجازات المشايخ، وله في الرواية سند قوي. أخذ عن شيخ لإسلام الأستاذ المحقق الشيخ الصالح التمرتاشي بأسانيد، وأخذ أيضا عن الشيخ الإمام شيخ مشايخ الإسلام الشيخ غرس الدين الخليلي ثم المدني رضي الله عنه، وأخذ أيضا عن شيخنا شهاب الدين الخفاجي المصري رحمه الله، لقينته في رجوعي من بلاد الروم، وقرأ عليه وأجازته حسبما رأيت ذلك بخطه عنده، وقد أطلعني على تأليف له سمّاه الدر والعقيان في طبائع الإنسان، ذكر فيه أول نشأة الإنسان وما يعرض له من الأحوال وكيفية تنقلاته في سائر أطوار من طور النطفة فما بعده، ونقل فيه كثيرا من أقوال الحكماء والأطباء والأدباء وما يشاكل ذلك من الآيات والأحاديث إلى غير ذلك مما هو مشاكل لغرضه. وكتبت له عليه تقريضا حسنا من جملته هذه الآيات⁽¹⁾:

[كامل]

حُب الوردى للدر والعقيان	طبعَ بدا في نشأة الإنسان
لا سيما العقد الثمين منهما	فيه الفصوصُ مثلث الأركان
فالنفسُ أميلُ ما تكونُ لمشتهي	يبدؤ لها في غاية الإتيان
مثل الذي أبداهُ أوحى عصره	مُفتي الأنعام ووارث النعمان
عمر بن عبد القادر الأسقى الذي	خضعتُ لرفعه علا الأقران
لله ما أسنى فضائله وما	أزكى مواصلة على الإخوان
خاضَ البحارَ زواخرا فأجاد في	إخراجه الدر العظيم الشأن
من كل جوهرة تكادُ لحسنها	أن لا تُنالَ بغاية الأثمان

(1) وردت الآيات في: نشر المثنائي 2: 141.

لكنه جادت يده بها على	طُلَاهَا مِنْ جُودَةِ الْهَتَانِ
فَأَفَادَ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَجْعَهُ	مَا لَمْ يُفِدْ أَحَدٌ مِنَ الْأَعْيَانِ
وَأَجَادَ فِي تَرْتِيهِ وَسَيَاقِهِ	فَعَدَا رِيَاضًا نَاعِمَ الْأَغْصَانِ
مَنْ شَكَّ فِي ذَا فُلَيْطَالِغٍ بَعْضُهُ	تَغْنِيهِ رُؤْيَاهُ عَنْ الْبِرْهَانِ
كَمْ فِيهِ مِنْ حِكْمٍ يَلِدُ سَمَاعُهَا	وَيَحَارُّ فِيهَا ثَاقِبُ الْأَذْهَانِ
حَسْبِي فَلَا أَسْتَطِيعُ حَصْرَ صِفَاتِهِ	وَلَوْ اسْتَعْنْتُ بِسَائِرِ الْأَوْزَانِ
لَا زَالَ جَامِعُهُ إِمَامٌ يُقْتَدَى	بِعُلُومِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ
فَجَزَاهُ عَنْ إِحْسَانِهِ رَبُّ الْوَرَى	بِالْعَفْرِ وَالْإِفْضَالِ وَالْإِحْسَانِ

ولما طالع الأبيات طار بها فرحاً، واختال في برد الإعجاب بها مرحاً، ولا أقول ليست بذلك جديرة، فقد حوت من محاسن البلاغة جملة كثيرة، يعلمها كل ذي ذوق سليم إذا أنصف وقال بما هو به عليم، وقد حمّله الإطراء لها والتبجيح بها إلى أن أبلغها إلى مجلس الأمير، وكانت له ماسة بالطلب وخبرة ببعض أساليب الكلام على ما قيل.

ولما طالت إقامتنا وجلوسنا بغزة وتعذرت السبل وانقطعت لاشتعال نار الفتنة بنهب الأعراب المخالفين لسائر الضواحي، وعجز الباشا عن مدافعتهم، لحقنا قلق لذلك وانزعاج خاطر خوف فوات الركب وخروجه من مصر، واستعنت في أمرنا بكل ذي رأي من أصحابنا فعجزوا، وزادني غما غيبة الشيخ عبد القادر الغصين عن البلد، وانتظرت قدومه فأبطأ علينا، فعلمت أنه لا ينجي إلا اللجوء إلى الله والتوسل إليه بخالص أحبابه وإمام أنبيائه، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، ففرغت إلى عادي المعروفة وسجيتي المألوفة من مدح المصطفى لما عودني الله تعالى عند أمداح نبيه من تفريج الغموم ونيل المطلب⁽¹⁾ المروم، وفي ذلك قلت في القصيدة الهمزية:

[طويل]

(1) ساقط من ط.

إذا نابني أمرٌ فرعتُ لدحيه فاعطى به خيرا وأكفى به سُوءا

ولقد تحققت عند انقذاح ذلك في خاطري وجولانه في ضمائري أني ألهمت
رشدي، وبلغت بحمد الله قصدي، فوقعت بيدي نسخة من بردة الإمام^(١)، فتأملتها
فوقع في نفسي أن لو تكلفت تخميسها، وإن كنت لا أحسن تخميسها لما جرب من
بركتها ويؤمن نقيبتها، فاستخرت الله تعالى، وشرعت في ذلك بحسن النية وصادق
الطوية على أسلوب عجيب ومنهج غريب، محولاً أكثر معانيها الغزلية إلى مقاصد
وعظية، مع حسن التناسب والارتباط الوافي، ولزوم ما يلزم في غالب القوافي،
فراق بذلك مدوِّها عند من جمع بين الأدبين، وقضى به منشدها منتهى الأربين،
فقلت:

[بسيط]

كادت دموعي تُباري البرق في الظلم	من خوف ذنب على ظهري كالعلم
فقال لي لا ئمي لما رأى ألي	أمن تذكر جيران بذي سلم
فقلت: كلا ولكن خوف خاتمة	إذ هل منا الحشا عن لوم لائم
فما أبالي أبان حي فاطمة	أم هبت الريح من تلقاء كاظمة

وكتبت من ذلك التخميس نحو الخمسين بيتاً، فيسر الله تبارك وتعالى الأمر
وتيسر لنا الخروج بعدما بلغ منا القنط كل مبلغ، وخرج من كان معنا من الحجاج
ممن لهم قدرة على المشي يتسللون مع السواحل، إذ ليس لهم أمتعة يخافون عليها.
وكان خروجنا من غزة يوم الثلاثاء السابع من ربيع الأول مع السرايا الجالين
للبطيخ من خان يونس، واكثرنا منهم أربعة من الحمير باثني عشر فضة، ووصلنا
إلى الخان بين الظهرين بعد جهد وخوف كثير، فترلنا في علية على باب الخان،
ووجدنا الآغا علي صاحب الخان غائباً في ناحية العريش، ذهب مع الأولاق الذي
جاء من اصطنبول، وكان الشيخ عمر كتب لنا كتابين مختومين بخاتم الخوجة عبد
الرحمن الغصين، وهو صاحب الأوامر بغزة، أحدهما إلى الآغا صاحب الخان،
والآخر إلى الآغا أحمد صاحب العريش يوصيهما علينا ويؤكد عليهما في شأننا،

(١) يقصد قصيدة البردة للإمام البوصيري.

وأقمنا بالخان حتى قدم صاحبه علينا وأعطيته الكتاب، فما أحسن ولا أجهل، فأقمنا بالخان ثلاثة أيام واشتد الأمر علينا أكثر مما كان في غزوة، واشتغلت بما شرعت فيه من التخميس هناك، إلى أن وصلت إلى قوله:

تبارك الله ما وحي بمكتسب^(١)

وكان من لطف الله بنا أن صادفنا صاحب الخان محتاجاً إلى الطعام، واضطر إلى بعث إبله إلى الطينة لتأتيه بالعلوفة، فاكرتنا من عنده الركوب والحملان بستة قروش، فلم يحسن الاقتضا، ولم يأت بما يرتضى.

لطيفة:

لما كان يوم الجمعة بكرت إلى المسجد بالخان وتطهرت، وأخذت المصحف العظيم أقرأ فيه، وخطر لي أثناء القراءة وأنا متفكر فيما يؤول إليه أمرنا من المسير أو التعويق، وقلت في نفسي وأنا مسترسل على القراءة، فإذا جاء الخطيب فأني آية وافق مجيئه قراءتي لها يكون فيها جلية أمري إن شاء الله، وكان ابتداء قراءتي من المائدة، ولا أظن أنني أصل في القراءة إلى سورة الأعراف قبل مجيء الخطيب لأنهم يبكرون بالصلاة، فتماديت على القراءة وأنا أنتظر دخول الإمام، فلما دخل صادف قراءتي لقوله تعالى: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت)^(٢)، ففرحت بذلك كثيراً واستبشرت بالفرج بعد الشدة، لأن أصحابنا الذين قدموا معنا من القدس ذهبوا كلهم ولم يبق إلا ثلاثتنا، فكان الأمر كذلك والحمد لله فقد تيسر لنا الخروج آخر ذلك اليوم ولم يقع لنا بحمد الله تعويق بعد ذلك.

لطيفة:

لما قدم الأغا علي صاحب الخان من العريش وأعطيته المکتوب الذي كتب الشيخ عمر، ولم يهتبل بذلك، ورأيت في خلال كلامه يحسن شيئاً من العلم ويفهم

(١) بقية البيت: ولا نبي على غيب بمتهم: قصيدة البردة، ضمن مجموع مهمات المتون، ص: 86.
(٢) التوبة: 118.

بعض مقاصد أهله، فخطر في نفسي أن لو كتبت إليه بآيات أستعطفه بها، فزجرت نفسي عن ذلك فقلت: إنه يفتح لي التعلق بمخلوق بعد التعلق بالله ورسوله، وكنت كالمعاهد نفسه أن لا نمدح أحداً من الولاة رغبة في نواله، فانفتح لي باب من حسن التلطف في السؤال فقلت: إن احتجت إلى التوصل إلى وال في طلب نوال أو دفع مكروه التجأت إلى الله، فإن طالبتني النفس في امتداحه امتدحت أحداً من الصحابة أو أكابر الأولياء أو العلماء، فمن كان اسمه موافقاً اسمه، وتوسلت إلى الله فإن اللطيفة التي وقع بها الاشتراك في التسمية ستطلب على سمية ذلك حتى يتيسر المطلوب من قبله، وكان اسم هذا الأمير علياً، فامتدحت الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بهذه الآيات، فيسر الله المقصود من قبل سمية هذا في أقرب مدة، وهي هذه:

[طويل]

ألا يا أبا السبطين يا فارسَ الحرب	ويا قدوة الأبطال في الطعن والضرب
قصدتك يا زوجَ البتول وخير من	ينم لخير الخلق بالصهر والقرب
تشفعَ عند الله لي فيمديني	بئسر وتيسر إلى بلد الغرب
فلي فيه أفراخ يعز عليهم	فراقني وأخشى أن أعاق عن الركب
ووالدة قد أوجب الله حقها	يحن لها رُوحِي ويصبر لها قلبي
فيسرَّ وعجل بالوصول إليهم	وقرب مسيري بالسرة يا ربي

ثم يسَّر الله خروجنا من الخان آخر يوم الجمعة قبل^(١) غروب الشمس، وهو اليوم العاشر من ربيع الأول، وسرنا ليلنا أجمع ونحن خائفون من سلاية العرب، ومررنا بالزعقنة نصف الليل ولم نزل بها، وهي قنّاق للقوافل، والقنّاق بلغتهم اسم لكل حصن تزل فيه القوافل الذاهبة من مصر إلى اصطنبول، فإن لهم منازل معلومة يتزلون فيها حصون معدة لذلك يسمونها بلغتهم القنّاق.

وسرنا بقية ليلنا وجئنا إلى العريش بعدما أمتع النهار واشتد الحر، ونزلنا به وأقمنا بقية يومنا فيه، ولم أذهب إلى أميره أغا أحمد بالكتاب الذي كتب إليه المفتي

(١) في ط: قبل.

من غزة وقلت: وهل يفعل إلا مثل ما فعل صاحبه الذي بالخان، والعريش بلد كبير على ساحل البحر فيه نخل كثير وأجنة، وبه مسجد كبير وفنادق وأسواق، وهو آخر عمالة الشام وأول عمالة مصر، فقد ذكر المؤرخون في حدود مصر أنها من العريش إلى أسوان بلد بأعلى الصعيد، وذكروا في حدود الشام أنها من العريش إلى الفرات نحو مسافة شهر، وقد دخلت علينا ليلة المولد فيه، ووددنا أن لو بات الجمالون فيه تلك الليلة للاستراحة واغتنام بركتها، فأبوا وارتحلوا بنا بعد صلاة العشاء من تلك الليلة الشريفة، وسرنا ليلنا أجمع سيراً حثيثاً في سباح وليس في الطريق حجر ولا شجر، وكان عديلي في شق المهية شهاب الدين المصري الذي لقيته بالقدس، فكنت أقطع الليل معه بمحاورات ومذاكرات، لأنه ينتحل العلم ويزعم أنه فيه أوجد عصره، وكنت أعامله على حسب ما يقتضيه حاله في زعمه وأسايره فيه بسيره وأتأدب معه ولا ألاحيه، وإن تبين خطؤه في المذاكرة، ولم نزل كذلك معه حتى افترقنا في دمياط وكانت تلك الليلة من أشد الليالي التي سرناها في تلك الطريق، فلم نزل حتى طلعت الشمس فترلنا في موضع يقال له الجونية، ولا ماء به، وفيه رسم قرية دائرة، وهو رأس ثلاثة برود من العريش قطعناها في ليلة واحدة. ثم ارتحلنا منه قبل الزوال وجئنا إلى محل يقال له أم الحسن عند العصر، وهي من المنازل المعروفة عند الجمالين لأنها نصف الطريق بين العريش وقايطه فإنها رأس أربعة برود، وبين البلدين ثمانية برود، وعند أم الحسن هذه أثر عمران خراب، وفيها ماء مالح لا يكاد يُساغ، وقد تجاوزناها ولم نبت إلى موضع يقال له رأس الدروب، نزلناه عند المغرب وارتحلنا منه في النصف الأخير من الليل ونحن خائفون لأننا وجدنا حلة من العرب نازلين في تلك الرمال، وجئنا إلى بئر العبد مع الفجر وتجاوزناه، ولم نزل إلى قطيبة، وجئناها عند الزوال، وعندما قربنا منها أنزلنا المكارون عن الإبل لئلا يؤخذ منا غفر، وكانوا أخبرونا أن لا غفر علينا، ولأجل ذلك تغالينا في الكراء وقصدنا المسجد، وهو على طرف البلد، في هيئة الصعاليك نحمل بعض أمتعتنا على ظهورنا، ودخلنا المسجد واضطجعنا فيه للاستراحة، فلم يرعنا إلا خادم الكاشف جاء يطلبنا، ولم أدر لماذا، فمررت معه إلى أعوان الكاشف، فطالبوني بالغفر، فقلت له: إني اشترطته على الجمالين، وأنكر الجمالون ذلك، فلم يسمع مني، ودخلت إلى الكاشف في محله الذي هو فيه، فوجدت بيده سبحة يديرها، فقلت: عسى أن أصادف عنده فرجا، فإذا أقسى من حلمود، وقال لي: هذا مال السلطان لا يمكننا ترك شيء منه، وإن اشترطت أنت

شيئاً على الجمالين فخذهم منهم، فلما أيست من خيرهم وخيرهم دفعت لهم أربعة قروش غير ربع بعدما هددونا بالحبس، وطالبوني بالغفر عن رجل من أصحابنا كان يخدمنا، فتعللت لهم بأنه فقير ليس عنده ما يعطي، فأدخلوه الحبس ولم يخرج منه حتى دفعت عنه ما ينوبه من الغفر، وبتنا تلك الليلة في نكد عظيم وغم أليم لما فعل بنا ولحقنا من المذلة والإهانة، ولم نعهد مثل ذلك قبل هذه الواقعة، ونزلنا هناك تحت أثل عظيم قريباً من البلد إلى أن كان بعد العشاء بقليل إذا بضجة في البلد وقالوا إن العرب جاؤوا لقتال الكاشف بسبب محبوس منهم كان عنده، فنقلنا حوائجنا من ذلك المكان إلى المسجد خوفاً علينا وأغلقناه على أنفسنا، وكنت قبل ذلك شرعت في قراءة أسماء يدعى بها على الظالم لما لحقنا من ظلم ذلك الكاشف وأعوانه، وأقبلت على تلاوتها بجد وجمع همة، فلما وقع من الضجة وأدى الحال إلى أن خفنا على أنفسنا أقلعت عما شرعت فيه وتركته وأعرضت عن ذلك خشية أن يترل به من عقاب الله ما يعمنا وإياه.

وبتنا في المسجد على حالة وجل إلى الصباح، فلما أردنا الخروج من البلد قرب الظهر أخبرونا أن من لم يأخذ معه كتاباً من النصراني القابض بأنه قد دفع الغفر لا يتركه أهل الطينة^(١) يدخل البلد، فذهبنا إلى النصراني القابض، فبعث معنا غلاماً له إلى مشيد الطينة وهو اسم لمن يتولى القبض في الطينة، وكان حاضراً هناك في البلد إذ ذلك، وقال له إن هؤلاء قد أنقذوا ما عليهم فلا تتعرض لهم، وحينئذ ارتحلنا من قطيبة فلما خرجنا من البلد اعترضنا خيل أخرى وقالوا لنا: لا بد أن تؤدوا لنا غفر الطريق من هنا إلى الطينة فإن أمامكم بالرمانة عرب إن لم تؤدوا إلينا درهما لكل راكب سلبوكم، فأدينا ليهم. فسرنا بقية يومنا في رمال كثيرة، ومررنا ببلد الرمانة وهي ذات نخل كثير قد غلب الرمل على أكثرها فترى النخلة السحوق قد رسيت في الرمل حتى لا يظهر إلا جريدها، وهي مع ذلك في غاية الاخضرار والنعومة كأنها في أطيب تربة وأعذب ماء، ولم أرَ مثل نضارتها في جريدها واحمرار ثمارها واصفرار قنوائها، فتجتمع من تلك الألوان الناعمة هيئة عجيبة تسر الناظرين، ووقفنا هناك حتى صلينا العصر وشربنا من ماء فيها عذب، وسرنا ولم نصل إلى الطينة حتى قربت العشاء، ونزلنا بمسجد هناك مبني على ساحل البحر المالح يضرب موجه حيطانه، وبتنا فيه إلى الصبح، وجاءنا أعوان

(١) الطينة: بلدة بين الفرما وتيس من أرض مصر: معجم البلدان: الطينة.

والىها يفتشون أمتعتنا هل فيه شيء من تجارة تُعطي عليه المكس، فلم يجدوا عندنا إلا قريتين جئنا بهما من بلد الخليل، فأعطينا عليهما درهما أو درهمن، فما أكثر المكوس بهذه السواحل وأقل العوافي، فلا كثر الله في بلاد المسلمين أمثالها، وعجل على ولاية الظلم بها بسبب أفعالهم وبألها آمين، ولم نبت في الطينة إلا ليلة واحدة، وهي قرية خبيثة لا دنيا بها ولا دين، وليس فيها ماء إلا ما يؤتى به في القوارب من سواحل النيل على مسافة يوم أو أزيد، وطلبنا فيها مركبا من دمياط فلم يتيسر لنا إلى الظهر، فاكثرنا فيه بثلاثة فضة لكل واحد منا، وركبنا فيه في بحيرة من البحر المالح قد دخلت إلى ناحية البر كثيراً، وسرنا فيها بقية يومنا إلى الليل، وفي تلك البحيرة كثير من صيد البحر، وقد رأيت فيها الدابة المسماة عند البحريين بالدنفيل، ويقولون هي خنزير البحر، كبيرة الخلقة جافية تأتي إلى قرب المركب، وسرنا ليلنا أجمع فلما طلعت الشمس بدا لنا ساحل دمياط، ولم نصل إلى مرساها إلا قرب الظهر، فترلنا بها خارج البلد، واكثرنا على جمل أمتعتنا ودخلنا إلى البلد بين أجنة كثيرة وبساتين مخصبة إلى أن دخلنا المدينة، وهي مدينة كبيرة ممتدة على ساحل النيل ذات مساجد كثيرة وأسواق حافلة وخانات عامرة ومرسى عجبية غصت بها السفن الكبار والقوارب الصغار فيها من أنواع الفواكه والثمار وصنوف الأطعمة ما لا يكاد يوجد في غيرها، وكان نزولنا بمسجدها الكبير، وهي مسجد وثيق البناء فسيح الفناء على ساحل البحر يضرب الماء في سورها، يتناول الشارب والمتوضئ الماء بيده من البحر وهو جالس في باب المسجد، وفي المسجد طائفة من الطلبة يقرؤون ويدرسون على هيئة ما في الأزهر، ولقيت بهذا المسجد الشيخ المدرس العالم العامل المحدث الراوية الشيخ عبد الله بن محمد الديري، وحضرت تدريسه بعد العصر في سيرة شيخه إمام المحدثين الشيخ علي الحلبي، وقرأت عليه أوائل البخاري ومسلم، وقرأت عليه الفاتحة، وأجازني وسائر الجماعة المذكورين في الاستدعاء، وسيأتي بقية خبره عند ذكر الإجازات.

وبتنا بالمسجد تلك الليلة، وكانت ليلة الجمعة، وأحيا أهله الليل كله بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك دأبهم في كل جمعة، فلما أصبحنا ذهبنا لأنظر مركبا في المقايسة فإنهم يسافرون إلى مصر في كل جمعة ويوم اثنين، ولم أزل أضرب يمينا وشمالاً إلى قرب الظهر حتى لغبت^(١) ودخلت أكثر جهات

(١) لغبت: أعيا أشد الإعياء: لسان العرب: لغبت.

المدينة، فلما صلينا ظهر يوم الجمعة خرجنا إلى المرسى فوجدنا قياصة صغيرة تسافر إلى منية عمرو، واكثرنا منهم بثلاثة فضة لكل واحد، وسافرنا بعد الصلاة من دمياط، وسرنا بقية يومنا إلى العشاء وبتنا في بلدة قرب فارس كور، وهي مدينة كبيرة على ساحل النيل. وفي الغد سافرنا ومررنا بقرى كثيرة ومدن عديدة على ساحل البحر منها مدينتان إحداهما تسمى رأس الخليج والأخرى تسمى السرو متقابلتان وبينهما قتال على ما أخبرونا في غالب الأوقات، وسرنا يومنا إلى العشاء ومررنا بشربين وغيرها من المدن، وبتنا بإزاء قرية، وفي الغد جئنا إلى منية عمرو عند الزوال يوم الاثنين العشرين من ربيع، والله يسهل الطريق ويسر الرفيق، ويمكن بالتوفيق ويزيل التعويق، بحاه كل نبي وولي وصديق.

وفي هذا اليوم مررنا بقرية، وأخبرنا النواتية أن كل من قال لهم أبو الحسن هل هو هناك؟ شتموه وضربوه ويتأذون بذلك، وأنهم لا يتسمون بهذا الاسم ولا يذكرونه، وسبب ذلك قصة شنيعة، وقد ذكر لهم بعض النواتية عند مرورنا بهم ذلك، فجعل بعضهم يشتمنا وبعضهم يرمينا بالمدر إلى القياصة، وقد مررنا بامرأة منهم فقال لها صاحب المركب: يا حرمة أبو الحسن هل هو عندكم؟ فقالت له: هو عند امرأتك يؤنسها أيام غيبتك. ومررنا بقرية أخرى يتأذون بكلمة أخرى ولا أعلمها الآن.

ولما نزلنا بالمنية، وهي مدينة كبيرة فيها مساجد وخانات لم نجد بها مركبا يسافر، وضائق صدورنا خوف التعويق، وسألنا هناك بعض من جاء من مصر، فأخبرونا أن الركب عازم على الخروج من مصر، فأقلقنا ذلك، وقد رأيت بهذه المدينة المشعوز المسمى بو لهوان، وهو صبي صغير دون البلوغ قد ركب حبلا على أعمدة وهو يمشي فوقها بقبقاب من حديد، فرأيت أمرا عجيبا وصنعا غريبا ما رأيته قبل ذلك، ولما اشتد غمنا خشية التعويق أخرجت أوراقا ودخلت إلى المسجد، وكان على ساحل البحر، لأكتب شيئا من تخميس البردة، فبينما أنا كذلك إذ سمعت مناديا ينادي: يا ماشي لمصر. فخرجت، فإذا بمركب كبير جاء من المحلة الكبرى ذاهبا إلى مصر، وهم يريدون من يحملونه معهم، فاكثرنا منهم بثلاثة فضة لكل واحد، وقلت لأحد النواتية: انظر لنا محلا يخصنا ولك عندي قهوة، ففعل، وكان جلوسنا بموضع بإزاء نصارى في المركب، ولم تحصل لنا منهم إذاية ولا حصلت لهم منا إلى أن افترقنا بخير، وكان المركب جيدا ركنا فيه قرب

الاصفرار وسرنا إلى قريب من الثلث الأول من الليل، ونزلنا وخرجنا إلى البر، ونمنا نوما قليلا إلى قريب من نصف الليل، فأقلعوا وسرنا بقية ليلتنا، وطاب الهواء آخر الليل وسائر اليوم، ومررنا أول ذلك اليوم بقبر الشيخ داوود الأعزب، وقرأنا له فاتحة، وذلك دأب البحرية كلما مروا بقرية فيها قبر رجل من الصالحين قرأوا له فاتحة، ومررنا بموضع يقال له كرش البقرة قد اتسع البحر فيه عرضا وبعد عن العمران فصارت المراكب تخاف فيه من اللصوص إن مرت هناك بليل يجتمع لصوص من ملاحى تلك النواحي فيركبون في زورق إذا جنهم الليل، فكل من استقبلوه في ذلك المحل وقدروا عليه سلبوه، وقد يسر الله علينا بطيب الهواء، فكان الخروج منه نهارا، ولم يأت وقت المغرب آخر ذلك اليوم إلا وقد أرسينا ببولاق، وهي مرسى القاهرة الكبيرة التي تجتمع فيها مراكب دمياط ورشيد والصعيد، وهممنا أن نبيت في المركب إلى الصباح، فاستخرت الله تعالى، فقوي عزمي على الخروج، وتجشمتنا مشقة الخروج من السفينة بين العشاءين من الزحام الكثير من كثرة المراكب بحيث لم يتمكن لنا الخروج إلا على ظهور المراكب من مركب إلى آخر، وأصحابها يمنعوننا ويشتموننا، فلما خرجنا تعرضنا المكاسون، فلما لم يجدوا عندنا شيئا يعشر أخذوا يشتموننا، فأعزناهم أذنا صماء لأنها آخر ساعة لنا معهم، وكثيرا ما كنت أسمع صاحب المركب التي ركبنا فيها من دمياط يقول لمن في المركب إذا وقعت بينهم خصومة على مكان أو أمر غيره، اصبروا واعلموا أن السفر قصير، فنفعني الله بهذه الكلمة، وأثرت في، فكلما وقع لي في سفري أمر⁽¹⁾ يخرج الصدر تذكرها⁽²⁾ فيخف علي الأمر، ولقد صدق فإنما الدنيا كلها سفر لأنها ساعات تنقضي شيئا فشيئا، وما كانت ماهيته مركبة من الانقضاعات فهو أقصر من كل قصير، وإلى الله المصير.

ولما خرجنا من مرسى بولاق حملنا أمتعتنا إلى جامع السانية، وإليها يأوي فقراء المغاربة ببولاق، فأدخلنا حوائجنا فيها ووجدنا هناك بعض من نعرفه من المغاربة، فأخبرونا عن أصحابنا الذين خلفناهم وعن المركب أنه لم يخرج، فاطمأنت نفوسنا، وفي الغد اكرتينا حمارين بنصف فضة لكل واحد، وركبت أحدهما وحملت على الآخر أمتعتنا، وجئنا إلى الأزهر بعد طلوع الشمس،

(1) في ط: شيء.
(2) في ط: تفكرتها.

واجتمعنا بأصحابنا وبالشيخ علي الدمشقي، وطلبنا بيتاً للكرء فليم يتيسر لنا، وهمنا بالقعود في المسجد لقرب الوقت، فلم يخف علينا، فيسر الله لنا بيتاً بسطح المسجد في الركن الشرقي، واكثريناه بثمانية فضة، وهو ضيق غاية، إلا أنا أدخلنا فيه حوائجنا، ولا يفارقه أحدنا ليلاً ولا نهاراً، وكنت أنا أبيت في المسجد إلى أن احتلمت فيه ليلة فشق ذلك علي، ولم أبت فيه بعد ذلك، ثم أخذنا في تهية أمر السفر وشراء الإبل، ولم يتيسر لنا لقاء المشايخ إلا القليل، منهم الشيخ الميموني ترددت إليه مرارا وسمعت عليه أوائل كل من أبي داود والترمذي والنسائي والموطأ. ومنهم الشيخ سلطان، وسمعت عليه حديثاً واحداً من أول البخاري، وقال لي: أحزتك بالبخاري ومسلم، وانتهرني لضيق خلقه الذي جبل عليه، فعفا الله عنا وعنه، وقد كان من أفذاذ الرجال علماً وعملاً وزهادة، إلا أن شكاسة أخلاقه غطت على ذلك ومنعت كثيراً من الناس عن الانتفاع به، وقد ضاق صدري من انتهاره حتى كدت أن أجابه، فعصمني الله تعالى، مع أني ما قدمت على ذلك حتى استأذنته فأذن، إلا أني قلت له: أقرأ حديثاً أو حديثين؟ فلما سمع الحديث الأول من البخاري ظن أني أريد أن أقرأ الحديث الذي بعده الطويل في بدء الوحي، فنهر⁽¹⁾، وقال لي رحمه الله: حتى ترجع من بلادك.

ومنهم شيخنا المقرئ المحقق شيخ الإسلام الشيخ علي الشيراميلي رضي الله عنه، فما أغزر علمه وأوسع حلمه وأكثر احتمالاً وأجمل أفضاله، وهو والشيخ سلطان فارسي الإقراء وإمامي القراء بالقاهرة، وهما مع ذلك على طرفي نقيض في الأخلاق، وسمعت عليه أوائل كل من الكتب الستة وابن ماجه، وأجاز لي وللجماعة المذكورين في الاستدعاء بأسانيد الآتية عند ذكر الإجازات. ومنهم الشيخ عبد النور الشافعي من أصحاب اللقاني، أقعد فلازم بيته منذ زمان، سمعت عليه من أوائل الصحيحين. ومنهم الشيخ البابلي، سمعت عليه بعض الأربعة وبعض الموطأ وبعض مسند ابن أبي الدنيا وأجاز لي وللجماعة. ومنهم الشيخ عبد السلام اللقاني⁽²⁾ أجاز لي وللجماعة وكتب لي خطه بذلك. ومنهم الشيخ أحمد البشيشي أجل تلامذة الشيخ علي الشيراميلي له قوة إدراك وحسن تصرف ومشاركة حسنة في كثير من العلوم إلى ما أعطى من سكون وتؤدة وحسن خلق، ما رأيت في

(1) في طه: فوجد.

(2) عبد السلام بن إبراهيم بن إبراهيم اللقاني، المصري المالكي، حافظ محدث مشارك، تصدر للتدريس بالأزهر، له ثلاثة شروح على عقيدة والده الجوهرة، توفي سنة 1078 هـ: خلاصة الأثر 2: 416.

مدرسي الجامع أعقل منه ولا أكثر تحقيقاً، سيما العلوم المعقولة فهو فيها آية، قرأت عليه بلفظي دروساً من شرح المحلى على ابن السبكي، وحضرت مجالس في التصريح للشيخ خالد الأزهرى يقرر تقريراً حسناً بسكون وتؤدة وتفهم وإنصاف. ومنهم الشيخ العالم العامل الناسك الورع المتقشف الزاهد المتعفف مدرس المالكية الشيخ محمد الخرشي، سمعت عليه أوائل كل من النكت الستة، وأجاز لي وللجماعة.

فهؤلاء الذين تيسر لي لقاءهم في هذه الكرة لمزاحمة الأشغال وضيق الوقت، واستحثاث الركب للخروج، وكنت طول نهارى ذاهباً وجائياً في قضاء الأوطار وتهيئة أسباب الأسفار وشراء كتب، وقد يسر الله منها جملة اشتريتها نحو الخمسين من جملتها نسخة من الكشف قرئت على العلامة الجرابردى، اشتريتها ليلة خروجنا بواسطة محبنا وأخينا الشيخ علي الدمي^(١) من عند رجل له تعلق بالعسكر، واشتريت من مصر فرساً أنثى جيدة لركوبي، وقل ما بيدي من النفقة، فأسلمني صاحبنا الحاج أحمد العجين الطرابلسي مائة قرش حتى أبعثها له من طرابلس، فجزاه الله خيراً، ولم أطلب منه ذلك، وإنما كان هو الراغب فيه لحسن نيته، وسألته أن أشهد له بما علي، فأبى، وقلت له: أكتب لك بخطي وأتركه عندك، وحلف لا فعل شيئاً من ذلك، وأوصاني أن لا أخبر بذلك أولاده في طرابلس، وكنت رفعت له معي حوائج لأولاده، وكانت أماننا بالقاهرة نحواً من أربع عشر يوماً.

غربية:

قد وصل إلى القاهرة قبل خروجنا منها بأيام بريد من الخاقان الأعظم ملك القسطنطينية يأمر بتزيين القاهرة سبعة أيام بلياليها سروراً بفتح مدينة عظيمة من مدائن النصارى يذكر من أمر حكايتها وفخامتها أمر عظيم منها أنه يوم افتتحها وصلت إلى يده مفاتيح ثلاثين (قلعة)^(٢) عظيمة حصينة كلها من عمالة تلك المدينة، وكان فتح هذه المدينة على يد الوزير الأعظم مع عساكر السلطان، وأمدته التتار

(١) في ط: الدمشقي.

(٢) زيادة من ط.

بستين ألف فارس، والسلطان يومئذ مقيم بأدرن وقد غاب في سفره قريباً من الستين، فلما وقع هذا الفتح العظيم كتب إلى جميع بلاد الإسلام التي في أيالته بخبر الفتح ويأمرهم بالزينة وإظهار السرور، فزينت الأسواق والطرقات، وتعطل البيع والشراء إلا ما يناسب ذلك من طعام ونحوه، وأوقدت الشموع طول الليل في سائر الأسواق والطرقات، وعلقت أستار الحرير والدياج في الحوانيت، ونصبت التصاوير الغريبة الشكل في الخانات وغيرها، وتفصيل ذلك يطول. فخرجنا من مصر صبيحة يوم الأربعاء السادس من ربيع الثاني فجننا إلى مرسى بولاق فوجدنا الزحام على المراكب، وكان منزل الراكب بعيداً بموضع يسمى القطعة على مسافة يوم، فلما رأينا الزحام على المراكب أكثرنا مركبا خاصا لأنفسنا بقرشين، ولم يدخل معنا غيرنا فيه خشية معرة الحجاج وسوء أخلاقهم، فركبنا من بولاق ضحى وكانت معنا في المركب ناقة لبعض أصحابنا لم تألف البحر، فكادت تغرق بنا المركب مرارا كثيرة، كلما بدا لها موج البحر اضطربت، والمركب صغير، فيميل بنا، ولم نخرج من ذلك المركب حتى عاينا بعض ما يعاينه البحرية عند هيجان البحر، فوصلنا إلى منزل المركب بالقطعة بين العشاءين، ونزلنا مع أصحابنا الفاسيين، وأقمنا بالقطعة يوم الخميس ويوم الجمعة، وكان عزمي أن أذهب مع ركب أهل الجزائر رغبة في مرافقة سيدي يحيى الشاوي⁽¹⁾، وكان من فقهاء بلده ورفيقه سيدي المختار، وكان أيضاً من نجباء الطلبة فرغب في المرافقة كـرغبتي أو أشد لمشاكلة الجنس ورجاء المذاكرة في بعض العلوم إن تيسر ذلك، فلما رأى أصحابنا المغاربة من أهل مراکش عزمي على ذلك جاءوني بأكابر المركب مستشفعين، فقبلت شفاعتهم وجلست، وكان في ذلك خير، فقد حمدت مرافقتهم وأحسنوا إلي وأجملوا العشرة.

ثم ارتحلنا من القطعة يوم السبت، وفي اليوم الرابع مررنا بالحوش عند الظهر، ووجدنا ركب أهل الجزائر نازلين فيه، وكان بينهم وبين المغاربة الجوانين تنافس، فلم يترلوا فيه، وسرنا يومنا وفي الغد انحرفنا يسيرا مع السبخة لأن الماء غمرها فلم يتمكن قطعها إلا من أعلاها، وبتنا قريباً منها، وفي الغد قطعناها من أعلاها من مقابلة البوصير⁽²⁾، ورجعنا إلى الاسكندرية مشرفين فترلنا خارجها عشية يوم

(1) أبو زكرياء يحيى الشاوي، تولى التدريس بالأزهر، ثم ولي إمارة الحاج المغربي وحج بالركب مرتين: نشر المثنائي 2: 376.

(2) بوصير: اسم لأربع قرى بمصر، منها بوصير قوريدس؛ ولعلها المقصودة: معجم البلدان: بوصير.

الخميس بالحل المعروف لتزول الركب عند باب السدرة من أبوابها، وبه يتزل المغاربة ذهابا وإيابا نسأل الله السلامة آمين. وتقدمت أمام الركب وسرت كما أنا إلى أن نزلت بباب مشهد القطب الشهير الولي الكبير الشيخ سيدي أبا العباس المرسي ودخلت، فلما رأي خادماً المشهد الشيخ باكر بن سالم عرفني، وكنت أتعجب من ذلك مع كبر سنه وطول غيبي عنه نحو العشر سنن، وزرت الشيخ رضي الله عنه، وزرت تلميذه سيدنا ياقوت العرشي، وكان لقبه الحبشي لأنه من الحبش، فيذكر أن الشيخ قال لهم: إنما هو العرشي لا الحبشي، فجرى عليه العرشي، وزرت أيضاً الإمام أبا عمرو بن الحاجب رضي الله عنه في ذلك اليوم، ورجعت إلى الركب ووجدتهم قد نزلوا، ولم أزل أتعاهد زيارة الشيخ كل يوم مدة إقامتنا، وكانت سبعة أيام، وبت عنده ليلة الاثنين وليلة الجمعة التي ارتحلنا في صبيحتها.

لطيفة:

جئت يوماً لزيارة الشيخ رضي الله عنه فلما جلست بين يديه وأخذت في الدعاء لي ولإخواني ومشايخي، وعندما شرعت في الدعاء لشيخنا أبي محمد عبد القادر الفاسي رضي الله عنه لحقني أمر ما كنت أعهد من نفسي قبل ذلك، وحضرني من الخشوع والأدب ما الله عالم به، حتى خيل لي أن شيخنا أبا محمد حاضر هناك، فعلمت بذلك أن شيخنا، والله الحمد، ممن تحقق بحال الشيخ وسلك على قدمه وورث علومه، ومن علم أحوال الشيخ المرسي وأحاط بخبرة بكلامه وسيرته وشاهد ما عليه شيخنا وهدية علم صحة ما ذكرنا.

غريبة:

ذهب بعض أصحابنا يوم دخولنا إلى الإسكندرية لزيارة الشيخة الصالحة الست نعيمة مستعجلين، وكانت نية أهل الركب أن لا يقيموا بالإسكندرية إلا يومين أو ثلاثة، وعندما دخلوا عليها قالت لهم: أنتم تقولون نقيم يومين أو ثلاثة، لا بد لكم من ستة أيام أو سبعة، فاستبعدنا ذلك غاية، فقلت لأصحابي: من هنا

يظهر لنا صدقها أو خلافه. فكان الأمر كما قالت، أقمنا نحن سبعة أيام، وأقام الركب الجزائري ستة أيام، وقد استفاض على السنة الحجاج كثيراً من المكاشفات منها، وقد زرئها مرتين فلم أر شيئاً من ذلك، والله أعلم بحقيقة الحال، والغالب أنها من أهل الأحوال، وقد أخبرتنا أن عمرها مائة وأربع سنين وأربعة أشهر، وقالت: لا أدري هل أصل إلى رمضان أم لا؟ ومن جملة ما قالت لنا إن الغرب الآن في هذا الوقت أحرق ولا تصلون إليه حتى تجدونه في خير كثير ولا وباء فيه. وقالت أيضاً: إن الدولة العثمانية قد انقضت لظلم أهلها، وأن السلطان يأتينا من وراء فاس يبطل المكحلة والكابوس والمدفع، ويمشي الذيب مع النعجة في كلام كثير لا أحفظه، إلا أن بعضه مصادف للواقع، وبعضه الله أعلم بمرادها فيه. وقالت لنا أيضاً: إن الركب لا خوف عليه فإن أهل الشرق من أولياء الله^(١) تكفلوا به حتى يوصلوه إلى سيدي أحمد زروق، ومن هناك يتكفل به رجال الله من أهل الغرب، وما رأينا في الطريق، والحمد لله، إلا خيراً، مع ما كنا نتوقعه من الشرور والحن في الطريق لقلة الركب مع اختلاف أهواء أهله، والله المستعان.

ومدينة الإسكندرية من أمهات المدن المذكورة في الدنيا، وهي دار مملكة الديار المصرية قبل الإسلام، وبها كان المقوقس الذي كان في زمانه عليه السلام، وناهيك بفخامة ملك بانيها الإسكندر وشهرته واستيلائه على الممالك، وقد ذكر المؤرخون أخباره وأخبار بنائه لهذه المدينة وكيفية بنيانها، وأنه جعلها مدينتين أحدهما تحت الأرض، والأخرى فوقها ظاهرة، وأن الماء يجري من النيل أيام فيضه حتى تمتلئ السفلى، ويستقي من العليا من تحتهم، وآثار ذلك باقية إلى اليوم.

ومن عجائبها العمود المشهور بعمود السواري، وهو باق إلى اليوم مائل في الهواء تحار الأفكار في صنعه، وقد زعموا أنهم كانوا قبل ذلك أربعة وفوقها قبة. ومن عجائبها المنارة المشهورة، إلا أنها الآن دائرة ولم يبق منها شيء، وقد سألت صاحبنا الشيخ باكر عن محلها، فأخبرني أنه في البحر، وأن البحر استولى على أكثر المدينة. قال: وقد شاهدنا الآن رسوماً بأيدي الناس فيها شراء دور وحوانيات وفنادق حول المنارة، وكل ذلك قد استولى عليه البحر الآن ولم يبق منه بقية، وقد كنت أتعجب مما ذكر المؤرخون من فخامتها وعظمتها، ولم أر بعض البعض، فلما ذكر لي صاحبنا ذلك علمت أن البحر هو الذي أزال أكثر رسومها.

(١) في ط: أولياء الله من أهل الشرق.

لطيفة:

أخبرني صاحبنا الحاج باكر أن السلطان سليم العثماني لما دخل الإسكندرية بعد مجيئه من مصر طلع ذات يوم إلى كوم مشرف على البلاد وجاءه أهل الإسكندرية وقالوا: يا سلطان، إن بلدنا هذا قد استولى عليها الخراب كما ترى، فريد كمال جودك أن ترحمنا وتصرف نظرك إلى عمران هذا البلد فإن مكانته من مدائن العالم معروف، فعسى أن يرجع إلى بعض حاله الأول على يدك. قال: فسكت عنهم ساعة وهو مطرق، ثم رفع رأسه إليهم وقال لهم: إن هذه البلدة قد نظر إليها الحق وقال لها: كوني كذا، وأنا لا أقدر أن أعمر ما أذن الله في خرابه، فانصرفوا عنه.

قلت: لقد نظر هذا الملك نظرة عارف، وغاص بفكره الفائق في دقائق حكمة الله الجارية في مملكته، فكأنه نظر إلى ما اشتملت عليه هذه المدينة من المرافق الدنيوية واكتنافها من أسباب العمران مع توسطها في الممالك الإسلامية، وجمعها بين الأسباب البرية والبحرية، والأجناس البدوية والحضرية، فبأبها الشرقي متصل بأرياف مصر التي هي مزرعة الدنيا التي لا نظير لها، وبأبها الغربي متصل ببادية برقة الفاصلة بين بلاد المشرق والمغرب، فلا بادية في الدنيا تدانيه في اتساع الأقطار وطيب المرعى وصحة الهواء، وبأبها البحري مقابل لأرض الروم التي منها تجلب البضائع النفيسة، فإذا كانت بهذه الحثيثة، فأسباب العمران متوافرة بها، فلا موجب لخرابها إلا إرادة الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه، فإذا كان خرابها بكلمة كن من الله فلا مطمع للعبد في عمران ما أذن الله في خرابه. ولعمري إن هذا لنظر مصيب وفكر عجيب، ولا عجب في ذلك فإن السلطان سليم رحمه الله كان معروفاً بأصالة الرأي وثقابة الذهن وجودة التدبير في المملكة، وبه فحمت دولة بني عثمان، وهو المستولي على الممالك الشامية والمصرية والحجازية وما انضاف إليها من البلاد.

ومن المزارات التي زرناها بالإسكندرية قبر الإمام الجامع بين العلمين الشيخ أبي بكر الطرطوشي، رضي الله عنه، وهو من المزارات المشهورة بالإسكندرية. ولقد أخبرنا شيخنا العلامة أبو بكر السكتاني رضي الله عنه لما زرنا معه هذا

المشهد سنة ستين وألف بحكاية من كرامات هذا الشيخ. قال: لما استقر الطرطوشي آخرًا بالإسكندرية وتصدى بها لنشر العلم وانتشر صيته، وشى به بعض الحساد إلى سلطان مصر في وقته، فبعث إليه (فلما وصل إليه)^(١) وأراد إهانته، فدعا عليه الشيخ، فانتفخ حتى صار كالزق، فبعث إلى الشيخ يتصل ويعتذر إليه ويطلب منه أن يدعو له، فقال الشيخ: لا أدعو له إلا أن يعطيني جميع ملكه، فأعطاه جميع ملكه، فذهب الشيخ ودخل عليه وضربه برجله فضرط الملك وزال ما به من النفخ، فقال له الشيخ: أف لك ولملكك الذي قيمته ضربة، كيف ينبغي لعاقل أن يرغب فيه، قد رددناه عليك، فخرج الشيخ وقد عظمت مكانته عند الملك من يومئذ.

ومن المزارات أيضاً مشهد سيدي علي البدوي، رضي الله عنه، ومنها قبر الخزرجي، منسوب^(٢) مشهور هناك بنسبته، ولا أدري هل هو صاحب المنظومة في العروض أم غيره؟ وبإزائه قبر الإمام الفاكهاني. ومنها قبر الشيخ الصالح سيدي عبد الرزاق أجل تلامذة سيدي أبي مدين، رضي الله عنهما، وأجل من نشر طريقه بعده وأخذها الناس عنه، وقدره بين أهل الطريقة معروف. وزرنا قلعة أبي الحسن الشاذلي التي كان يأوي إليها هو وأصحابه، وهي قلعة كبيرة في سور البلد الشرقي فيها بيوت متعددة، والطائفة الشاذلية، رضي الله عنهم، إلى الآن يأتون في ليلة معلومة في السنة ويبيتون بها ويطعمون ويذكرون الله تعالى ويقرؤون ثم يفرقون من هناك إلى مثل ذلك الوقت في السنة الأخرى.

ومن المزارات قبر سيدي أحمد المناري، وهو مشهور البركة، وسبب تسميته بالمناري فيما أظن على ما أخبرني به الشيخ باكر أنه ذهب مع الشيخ المقرري لزيارته وأخبره أن سبب تسميته بذلك أنه قدم البلد ومعه حمارة له، وقال لهم: أين أبيت؟ فأشاروا كالمستهزئين به إلى المنارة فقال: باسم الله وصعد بحمارته إلى أعلاها، فاجتمع الناس (إليه)^(٣) ينظرون متعجبين، وهذا قليل في حق أولياء الله تعالى ولست على يقين في الحكاية لطول العهد. وقد أخبرني صاحبنا المذكور أيضاً أن الشيخ سيدي علي الأنصاري لما قدم الإسكندرية وزار مزاراتها فلما خرج إلى

(١) ساقط من ط.

(٢) ساقط من ط.

(٣) زيادة من ط.

الباب وشيعه أصحابه من أهلها جعل يمرغ وجهه في بابها ويقول لهم: ادعوا لي هنا فكم من ولي وصديق من هذا المكان. قلت: والشيء بالشيء يذكر أن الشيخ الأنصاري قد اقتبس ذلك من كلام شيخه سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي، فقد ذكر لي بعض أقاربه أنه كان يقول لهم: إذا ذهبت لزيارة الشيخ أبي يعزى ومررت بالطريق السلطانية التي تمر من فاس إلى مراكش فقفوا عندها واقرأوا الفاتحة، فكم مرَّ بها من ولي وصديق. ولا شك أنه مرَّ بباب الإسكندرية أكثر مما مرَّ بتلك الطريق (بأضعاف مضاعفة لأنها من أول الإسلام إلى الآن دار إسلام يقصدها)⁽¹⁾ الواردون والصادقون من أقطار الأرض. وأخبرني أيضاً صاحبنا أن الإسكندرية كانت في قديم العصر لا توجد فيها كناسة ولا قمامة في طرقها وأبواب دورها لطلسم كان في بيت عند باب البحر مغلق، ففتح بعض الملوك ذلك البيت فوجد فيه تمثال رجل مشمراً بيده مساحة من حديد، فبطل الطلسم من يومئذ.

لطيفة:

لما دخلت مشهد الشيخ أبي العباس المرسى، رضي الله عنه، وجدت القصيدة التي بعثتها عند ذهابنا ملصقة بالجدار القبلي بإزاء المحراب، وحوّلها قصيدة لي أخرى كتبها هناك سنة أربع وستين، وبإزائها قصيدة الشيخ الأديب الهمام محمد الحافظ ابن جمال الدين المقدسي القاضي بالبهنسا أمدح بها الشيخ رضي الله عنه متوسلاً به إلى الله في قضاء مآربه لما مر بالإسكندرية قاصداً إلى بلاد الروم، فخشى معرة البحر، فكتب القصائد وألصقها هناك مع قصائدي، ولنذكرها متبركا بأنفاس من مدح بها الشيخ رضي الله عنه، وهي هذه:

[خفيف]

ما على من أتى هنا من بـاسٍ	لا بـسا بالرجا أجـل لبـاسٍ
رافع الكف خافض الطرف ذُلا	طالب الفيض من أبي العباس
غبت في الحسن عن شهود سواه	فلذا زال بالفنا إحـسـاسـي

(1) ساقط من ط.

أنا لعمري عبدة وفتاه
أنا منه مدى المدى مُستمد
فضله عم في الوجودِ وجودي
عز من جاء بانكسارِ وذل
هو حي به^(١) الحياة لئيت
يا مدارَ الوجودِ يا أيها القطر
جاء للباب خاضعا مُستجيرا
فسل الله أن يقيه بحر
واسأل الله أن يحلّه فضلا
لا تكله لصبر قلب ضعيف
ها يدُ الفقير والتضرع مُدت
أيها الغوثُ أنت غيثي وغوثي
أنت مرسى بحر شرق وغرب
قدم العبدُ عرض حاج ويرجو
سبقتني إلى الأماني أناس
مس هام العلا أشل أياد
إن هذا الزمان ما زال يسقي
هل جميل بأن مثلي يُقاسي
ولهذا الجنب أضحي انتسابي

لم أزلُ واصلا به أنفاسي
أنا من غرسه سقيتُ أغراسي
وعلاني وفاض من فوق راسي
لقام به ثقام الكراسي
لعلاه يذل صعب المراس
بُ احفظ العبد من أذى الأرجاس
باسطا كف حاجة والتماس
كل ربح مُخالف وعاس
بمحل مُشعشع النبراس
حال كرب ولذة وافتراس
لقام سما بئسن أساس
فاحم من جاس للحمى من باس
مركبُ العبد عند بابك راس
منك في الحال رفعة القرطاس
هم وحوش على صفات الأناس
ماله بالكمال أدنى مساس
كأس غدر لكل من هو كاس
كل هول ما إن له من قياس
وبه الفخر لي على جلاسي

(١) في ط: له.

أنزل العبدَ في سفينة آمن
 واجبر الكسر واكفه الأسرَ والحر
 وأعدّه إلى الديارِ سريعاً
 وعليك السلامُ من عند عبد
 ما سقى العرضَ المتونَ رياضاً
 وتلا حافظُ الزمانِ مقالاً
 وله أيضاً (رحمه الله)^(١) دالية وهي هذه:

[خفيف]

سَيدي سَيدي شَهَابُ الوُجُودِ
 حافظُ العهدِ مَنْ لست أنادي
 أيها القطبُ أيها الغوثُ إني
 أنا من جُملة العبيد لبابِ
 أسعدِ اسعدُ ببحرِ سعدك عبداً
 أيها البحرُ حافظُ الدينِ أهدي
 هُو من بحركَ الذي قد تسامى
 بحركَ العذب في الموارِدِ وِردي
 أجزل الله خيره طولَ عمري
 رب عَجَلْ بِجَاهِ قطبك هذا
 وله أيضاً رحمه الله بحنه سينية:

احفظِ احفظُ من الهلاكِ وجودي
 أنا واللّه حافظُ للعهودِ
 من يربكُ بينَ أهلِ الشهودِ
 فيه صُفتُ صُفوفُ أهلِ السجودِ
 لم يزل منك في مَراقِي السعودِ
 دُر فكَرٍ مُكَلَّلٍ للعقودِ
 أيها القطبُ عن جهاتِ الحدودِ
 وارتشافي من بحركَ المورودِ
 في ذهابي وعودتي وقعودي
 ما أُرْجِيهِ منك من مقصودِ

(١) زيادة من ط.

[طويل]

ويا داخلا في جوفِ حوباء كالحبسِ
وخفتَ على الحالِ النفيسِ مع النفسِ
ركوبَ الجواري المنشئات على الأسِ
وقل يا غفيرَ البحرِ يا أحمدَ المرسى
من الأسرِ واحرسنا من العكسِ والنكسِ
من الكسرِ واحفظها من الغمسِ والطمسِ
فِداك وعفرنا الحدودَ على الرمسِ
براهينها في ذروة الصدق كالشمسِ
على راكبِ القاموس في حالة اليأسِ
عبيدك راجي فيضك الحافظ القدسِ
فكونوا له في اليم كالدرع والترسِ
ليعلوا قهرا على النوع والجنسِ
ويدرس أهل الحقدِ بالعلم والدرسِ
ورب السما والروح والعرش والكرسي
وأستاذنا المعلوم للعرب والفُرسِ
بمصر العلا من دُون نقص ولا بَخسِ
من السوءِ في اليوم الجديد وفي الأمسِ
كبشر وللأعداء يُعزى إلى عبسِ
فروعا وهذا الزهرُ من ذلك الغرسِ

أيا سالكَا بحرَ الحقيقةِ والحسِ
إذا ما خشيتَ البحرَ يوما لهولِهِ
وأوثقتَ حبلَ العزمِ والحزمِ طالبا
فلذُ بأبي العباسِ وانزل برحبِهِ
أغننا أغثنا في الشدائدِ واجننا
وسلم بأسماء السلام وجودها
وقفنا على أعتابِ فضلك نرتجي
لنا فيك يا قطبَ الوجُود عقيدة
فكم لك من فضلِ عَميم ومنة
على بابك المرفوع يا أحمدَ المرسى
نوى سفرا للروم من باب فيضكم
أفيضوا عليه من سحائبِ فضلكم
ويسمُو على الأقران في كل مطلب
فيا خالق الأرضين يا مُوجد الورى
إليك توسلنا بجرمة شيخنا
أنلنا المنى من غير كد ولا عنا
وعجل بعودِ العبدِ للشجرِ آمنا
ألا يا أبا العباسِ يا من لصادق
عرضنا بروض الصدق في ساحة الصبا

فَرَوِي بِمَاءِ الْفَيْضِ قَلْبًا مَقْدَسًا	وَرَوْضًا بِقَدَسِ الْأَنْسِ فِي غَايَةِ الْأَنْسِ
فِيَا سِنْدِي بِحَرًّا وَبَرًّا وَعُمْدَتِي	وَيَا سَيِّدَا شَرَفْتُ مِنْ مَدْحِهِ نَفْسِي
سَفِينَةٌ هَذَا الْعَبْدِ فِي كُلِّ حَالَةٍ	عَلَى بِحْرِكَ الْخُرُوسِ يَا سَيِّدِي تُرْسِي
وَقَدْ حَرْتُ فِي أَمْرِي وَضَاقَ تَصَبَّرِي	وَضَاقَ عَلَيَّ الْحَالُ فِي عَالَمِ الْحَسِ
وَكُرْتُ خِيُولُ الْهَمِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ	وَأَصْبَحْتُ فِي وَهْمٍ وَأَمْسَيْتُ فِي حَلَسٍ
وَلَا عَلِمَ لِي أَيْ الْمَرَاكِبِ سَالِمًا	فَأَرْكَبُ فِيهِ سَالِمًا مِنْ ذَوِي الرِّجْسِ
وَأَنْتَ بَعْلَمَ اللَّهِ تَعْلَمُ ذَا وَذَا	وَتَعْرِفُ وَقْتَ السَّعْدِ مِنْ سَاعَةِ النُّحْسِ
فَعَرَفْتُ مَرِيدَ الْحَيِّ أَيْ سَفِينَةَ	يُسَافِرُ فِيهَا سَالِمَ الْمَالِ وَالنَّفْسِ
وَسَلَّ لِي مِنَ الرَّحْمَنِ حَفْظًا وَرَحْمَةً	فَأَنْتَ قَرِيبُ الْقَلْبِ مِنْ حَضْرَةِ الْقَدْسِ
وَقَدْ قَدَّمَ الْقَدْسِيُّ حَافِظَ عَهْدِكُمْ	قَصِيدَتَهُ وَالْقَصْدُ فِي دَاخِلِ الطَّرْسِ

هــ.

ومن المزارات بالإسكندرية زاوية لأبي محمد صالح يترلها المغاربة ولهم فيها أوقاف وفيها سلاح معلق يتبركون به يزعمون أنه من سلاح الصحابة الذين فتحوا المدينة، ولا أصل لذلك.

ومن المزارات أيضاً مصحف كبير بجامعها الكبير يزعمون أنه من المصاحف التي بعثها سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الآفاق، ولا يصح نسبته إليه. ومن مبانيها العجيبة التي لا شبيه له في الدنيا حمامها الكبير فقد أثنى عليه الأطباء وذكر المؤرخون أنه انفرد في سعته وحسن شكله وفخامة بنائه عن غيره من حمامات الدنيا، وقد خرب غالب المدينة ولم يبق إلا عمارة قليلة حوله، وقد تحولت العمارة في هذه الأزمنة إلى خارج المدينة مما يلي بابها البحري بين البحر، فهناك معظم أسواقها وخاناتها حول المرسى. وبالجملة فهي عقيلة البلاد الحائزة للطريف من المحاسن والتلاد، عقيلة أبلى الدهر شبابها ومزق جلبابها، وأكل لبابها، ولم يترك إلا أسوارها وأبوابها فقد نبت الكأ والعشب في أفنيتها، وعشش البوم في أبنيتها، تسير فيها نصف الميل أو أكثر ماشياً ولا تلقى ذاهباً ولا جاثياً،

فهي عبرة لمن اعتبر، ومزهدة في الدنيا لمن تدبّر، وأوفى حجة على منكري الفناء الأكبر، تخبر أطلالها البالية بأخبار القرون الخالية، ولم يبقَ من غرائب آثارها الدالة على فخامة ملك عمارها إلا العمود المسمى بعمود الصواري المسالم للعوادي من آفة الدهر والطواري، وهو عمود واحد من حجر مائل في الهواء لا يميل في أرضه من التواء، من فوقه حجر مُرَبَّع مثل الكرسي الذي تحته دورة نحو الثلاثين ذراعاً ما رأينا أعجب من طول العمود وفخامته، ومن وضع ذلك الكرسي فوق هامته أي قدرة من قدر البشر تبلغ ذلك؟ وأي حيلة أو سبب يوصله إلى هنالك يرى من أمكنة بعيدة كالنخلة السحوق، وقد زاحم بمنكبه الجوزاء والعيوق، وبالجملة فهو من مباني الدنيا الغربية ومن مآثر هذه المدينة العجيبة.

ذكر ارتحالنا من الإسكندرية متوجهين إلى المغرب في كفالة الله ورسوله وحماية أوليائه

كان ارتحالنا من الإسكندرية يوم الجمعة الثاني والعشرين من ربيع الثاني بعدما تزودنا واكثرينا، وكانت رفقتنا مع ركب المراكشين، وقد أحسنوا بنا، فجزاهم الله خيراً، ورحل ركب الجزائر قبلنا بيوم، وتخلف عنهم هناك فقيهم سيدي يحيى الشاوي⁽¹⁾، (وكان معه أهله)⁽²⁾ فاستهول المشي في البر، وشق عليه قطع مسافة برقة مع استقبال أيام الشتاء وشدة البرد، فاختر ركب البحر، وكان ذلك لأمر أراه الله به، فإنه دخل إلى الإسكندرية بعد ارتحال الركب ينتظر سفر البحرية، ثم بدا له في الرجوع إلى القاهرة في تلك السنة، فلما وصلها اعصوب⁽³⁾ عليه جماعة من طلبة المغاربة بالأزهر للتدريس، فطار له صيت عند المغاربة إلى أن توصل لأرباب الدولة، فتولى قضاء المالكية وعزل عنه الشيخ عمر فكرون⁽⁴⁾، زاعماً أنه يجور في الحكم ويداهن بأخذ الرشا، وترقت به الحال إلى أن تولى إقامة الحاج المغربي، وحج بالركب مرتين، وانتشرت القالة فيه، وكثر مادحوه، وأكثر منهم داموه، وكان من أذكىاء الطلبة النجباء، له معرفة حسنة بعلم النحو ومشاركة في غيره، مواظب على التعلم والتعليم، إلا أن الرئاسة إذا سكنت قلب إنسان لا تقصر به عن ذهاب رأسه، نسأل الله العافية آمين.

ثم استقبلنا بادية برقة المتناهية الأطراف المخوفة الأكفاف، الضاحية الأرجاء، البعيدة الأنحاء، القليلة المرعى، المجهولة المسعى، نقطعها مراحل، ونرد فيها المناهل في أيام الشتاء القصيرة ولياليها المستطيلة المستطيرة، نقطع المرحلة منها في يومين،

(1) أبو زكريا يحيى الشاوي، فقيه مشارك له حواشي على الصغرى، اشتغل بالتدريس في الأزهر، تولى إمارة ركب الحجيج المغربي وحج به مرتين، توفي سنة 1096 هـ: خلاصة الأثر 4: 486. النقاط الدرر، ص: 250.

(2) ساقط من ط.

(3) اعصوب: استجمع: لسان العرب: عصب.

(4) تقدمت ترجمته.

كأننا نسير على أجفان العين، لا نتحقق ارتفاع الشمس في الأفق إلا وقد مالت للأفول، ولا يزمع رائد الارتحال إلا وقد آن بالقفول، فطالت لذلك المسافة، وعظمت لقلة الزاد من الجوع المخافة، طاولنا مراحلها بالتجلد فطالت، وداولنا تقصيرها بالسوق العنيف فما حالت.

وفي اليوم السادس من رحيلنا من الإسكندرية مررنا بمورد الجميمة ضحى، ونزلنا بعيدا منها، فأصابتنا هناك سماء منعتنا من الرحيل بعدما رمناه، فتعذر بكثرة الوحل حتى تكسر بعير للدليل الركب، فأقمنا هناك يومين كأننا على الجمر قاعدون، وبسبب التعطيل مع الانزعاج متواعدون. وفي اليوم العاشر طلعتنا العقبة الصغيرة، والمسافة بينها وبين الإسكندرية نحو من أربع، ولقينا هناك قافلة امتاروا تمرًا من بلاد سوى، فاشتري الناس منهم حاجتهم من التمر، وتمر هذا البلد أحسن تمر رأيناه في بلاد المشرق حلاوة ونقاء وكبراً تشابه تمر سجلماسة، يحملونه في مقاطف صغار من عشب النخل تسع كل واحدة أزيد من ربع القنطار، ويبيعونها كذلك بأوعيتها، وأخبرونا أنها لا تباع في بلادها إلا كذلك، فمشتريها لا يحتاج إلى حبال للشد ولا غرائر للحمل، بل يشتري حاجته منها فيعلقها على بعيره، فمن الإبل ما يحمل العشرين فما دون.

ثم سرنا فيما بين العقبتين بمثل سيرنا الأول نرد المناهل التي ذكرناها في الذهاب، والأرض مجدبة كأنها لم تكن قبل ذلك⁽¹⁾ مخصبة قد أطارت الرياح ما فيها من الهشيم، ويبس أوراق الشجر بترادف البرد العقيم. وقطعنا ما بين العقبتين في عشرة أيام، وطلعتنا العقبة الكبرى في اليوم العاشر، ولم يتزود الناس من الماء يوم طلوعنا، ظنا منهم أن الماء يجذونه لكثرة الأمطار وخير العربان، فلما طلوعوا لم يجدوا من الماء إلا شيئاً قليلاً في ماجل فوق سطح العقبة، فترحوه فما قارب كفايتهم. وفي الغد، وهو يوم الخميس، ظل الناس سائرين خائفين من العطش كلما رأوا نشزاً⁽²⁾ من الأرض الحمراء تسابقوا إليه، والخبير أمامهم وهم بأثره كأجود الخيل إلى المغرب، فلم يجدوا ماء ولا سمعوا له خبراً، ونزل الناس بعد المغرب في صحصحاح⁽³⁾ من الأرض لا ماء به ولا كلاً، وذهب الدليل وحده يطلب

(1) في ط: كذلك.

(2) النشز والنشز: المتن المرتفع من الأرض، وهو أيضاً ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض: لسان العرب: نشز.

(3) الصصحاح: ما استوى من الأرض: تاج العروس: صحص.

الماء، وظن به أكثر الناس السوء، وزعموا أنه قال لهم: إن لم أجد الماء فلا أرجع إليكم، وهو في ذلك مصيب، فإنه إن رجع إليهم بغير ماء قتلوه بلا شك، وبقي الناس في حيرة، كل واحد يزجر طيره ويسأل عن تفريج كربته غيره، فلما كان بعد العشاء الأخيرة جاء الخير وأخبرهم أنه وجد الماء، فمن الناس من صدق ومنهم من كذب، وكانت معنا فضلة ماء تقسطناها شرباً ولم نطبخ عشاء، وادخرنا فضلة منها لغد خوفاً من عدم وجدان الماء، ولولا أن الفصل فصل برد أوائل دجنبر لهلك بعض الناس عطشاً.

فلما أصبحنا استبق الناس إلى الماء فوجدوا ما كفاهم من ماء المطر في مسيل وادي ذي أحجار لم يمر عليها الركب الذي أمامهم، فأخذ الناس منه حاجتهم وساروا.

لطيفة:

لما أصبحنا في ذلك اليوم بعثت أحداً^(١) أصحابنا إلى الماء مع السيارة المتقدمين، وكان معه مفتاح قيد من حديد على فرسي، ولم أشعر بذلك إلى أن طلع النهار وارتحل الناس، فتفقدت المفتاح ولم أجده، وأعيتنا الحيلة في فتح القيد إلى أن خرج الناس من المتزل ويشت من انفتاحه، فلما حصل الاضطراب جاءت الاستغاثة من الملك الجبار، فحركنا الفرس فطار القيد من رجليها من غير صنع أحد، فحمدنا الله كثيراً وكبرناه تكبيراً، وسرنا بقية ذلك اليوم. وفي الغد منه نزلنا إلى البطنان، فترلنا في أرض سهلة مطمئنة، وسرحت الإبل قرب المتزل، وعندما اختلط الظلام عدا بعض متلصصة عرب هنادي على فرس لبعض الحجاج، فركضها من فناء الخيام، فركبنا وتبعناه فلم نقع له على أثر، وحال الظلام بيننا وبينه، ثم بلغ الخبر إلى شيخ الفريق الذي هناك من الهنادي، وجاء بالليل إلى شيخ الركب واعتذر له وبعث إليها من جاء بها من أهلها، فواعدوه بكسوة فلم يوفوا له بما وعدوا، وتلك شيمة في حجاج المغاربة يكادوا أن يعاملوا بمثلها، والله يلطف بالعباد.

(١) في ط: بعض.

وفي الغد نزلنا ظهرا على ماجل كبير في البطنان يوم الأحد حتى سقى الناس إبلهم واستقوا وأقاموا بقية يومهم، والله الحفيظ (فهو خير حافظا وهو أرحم الراحمين)⁽¹⁾.

ثم في الغد نزلنا قرب المكان المُسمَّى بالمدور، وهو مكان فيه مآجل للماء قل ما تخلو منه إلا في السنة المجدبة، وفيه مزارع ربما مررنا بها، وفيه زرع كأجود ما يكون.

ثم في الغد نزلنا على البسيط الذي يمر منه إلى عين الغزالة، ثم في الغد مررنا على يمين الطريق فوق الجبل المستطيل بين الطريق والبحر بماجل فيه ماء كثير، واستقى الناس منه، ولم يمر الركب به أجمع وإنما مر به من قصده للورود، وكنت جنباً وكان اليوم شاتياً، فكنت أسأل الله أن ييسر لي الاغتسال، فوجدت ماجلاً مهدوماً ودخلته أنا وصاحب لي، وأورينا ناراً وسَخْنَا الماء، فاغتسلت في مكان أشبه الأمكنة بالحمام دفئاً، بحيث لا أحس بشيء من البرد مع شدته، فحمدت الله كثيراً وشكرته، ومررنا يومنا على يسار عين الغزالة، وهي ماء فيه ملوحة تسح من سفح الجبل وتصب في بحيرة كبيرة تحتها من البحر المالح يحف بها القطب⁽²⁾ والعريش وأنواع النبات المادي⁽³⁾، يوجد حولها صيد كثير عند خلو البلد من كثرة المارة. وبتنا تلك الليلة في سفح الجبل المقابل لها من غربيها، ثم في الغد يوم الجمعة نزلنا على التميمي ضحى، ووجدنا ركب الجزائر مقيمين فيه، وكرهنا الورود عليهم لأجل ما بين الركبين من الشنآن، وكانوا يتوقعون منهم فتنة، فوقى الله شرها، ونزل ركبنا دون الوادي بنحو ميل، فلما أصبحنا ارتحل أهل الجزائر وأقام أصحابنا، وكان من أشد يوم رأيناه برداً مشوباً ببلل يشوي الوجوه، فضلاً عن غيرها من الأعضاء، وحمدنا الله على الإقامة، ورأينا ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)⁽⁴⁾، وهم الذين رحلوا رائيين أنهم حازوا قصب السبق بالتقدم وتحملوا مشقة ذلك اليوم العبوس القمطرير لحظ عاجل في

(1) يوسف: 64.

(2) القُطْب: القُطْبُ والقُطْبَةُ: ضربان من نبات، وقيل: هي عشبة، لها ثمرة وحب مثل حب الهراس: تاج العروس: قطب.

(3) النبات المادي: الماد من النبات: اللين الناعم: لسان العرب: ماد.

(4) الأعراف: 187.

فلوات من الأرض لا يحمدهم عليه ربهم ولا أحد من العباد، نسأل الله تعالى أن لا يملكنا لحظوظ أنفسنا الزائلة، وأن لا يجعل أزمنا بأيدي الآراء القائلة.

ولم يجد الناس ما يتسوقون في مورد التميمي، وكان معهوداً بالسوق غالباً إلا شردمة من مُتَفَرِّقة أعراب ذلك البلد وشيخهم يدعونه سيد حسين العجل من متفجرة الأعراب، مزج تفقره بمشيخة الصرم الذي هو فيه، جلبوا إلى الركب شياها وعترا وتيسا وكن هزالا، وبيع الزرع هناك بسبعة قروش لإردب⁽¹⁾ القمح، وأكثر من اشتراه عرب البلد، وأخذ الحجاج منه قليلاً، وكانت معنا قافلة لبعض الأعراب تحمل زرعاً بقصد البيع لما رأوا في العام الذي قبله من المجاعة التي لحقت الركب في برقة، وذلك الغالب على من سلك برقة في أيام الشتاء، تقصر الأيام وتكثر المراحل وتتسع الأمعاء للأكل، فلا يكاد يكفي الإنسان ما يحمله من الزاد من مصر إلا من له فضل ظهر يستظهر حملان أكثر مما يحتاج في الغالب، وقليل ما هم، وعامة الناس إنما يحملون الزاد من أرياف مصر مقسطاً على المراحل المعتادة لقلة الظهر وطول المسافة، فيتضررون لذلك بزائد المراحل التي يوجبها قصر الفصل، مع كثرة العوارض المؤذية بالإقامة من شدة برد أو مطر أو عروض مخافة توجب الإقامة، وهذا عكس ما وقع لنا في الطلوع في فصل الربيع، فقد فضل للناس بعد الخروج من برقة عامة أزوادهم ولم ترزأهم المسافة منها إلا القليل حتى قال بعض الحجاج بعد الوصول إلى مصر: قَدَّرَ اللهُ علينا أن نأكل الطعام بأغلى ثمن في أرض رخيصة الأسعار كثيرة الأرزاق، وذلك أنهم اشتروا الطعام من طرابلس بسعر غال، واكثروا عليه بأضعاف مما اشترروه به إلى مصر، فلم يقدر لهم أن يأكلوه إلا في مصر، فيأكلون الأكلة منه في مصر بثمن ثلاثين أكلة في مصر، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر، وقد تسوق إلى الركب بعض الأعراب هناك بسلع نهبوها من سفينة تكسرت في بعض سواحل البطنان، فمن الناس من اشترى، ومنهم من كف، وقليل ما هم. ومن جملة ما أتوا به للبيع مصحفاً بخط مشرقى، وكتاب آخر فيه شرح منية المصلي⁽²⁾ في فقه الحنفية، وهو غاية في بابه، فهممت باشتراؤه استخلاصاً له من أيديهم، لأنه عرضة للضياع والإهانة، ثم كففت خشية أن

(1) الإردب: مكيال ضخم لأهل مصر، قيل يضم أربعاً وشرين صاعاً: لسن العرب: ردب.

(2) منية المصلي وغنية المبتدي للشيخ الإمام سديد الدين الكاشغري، محمد بن محمد المتوفى سنة 705 هـ: كشف الظنون 2: 1887.

يقتدي بي في استحلال شراء أموال المسلمين، ولغلبة الظن أني لا ألقى ربه فأرده عليه، فآثرت السلامة.

وفي الغد منه أقام الناس ثانياً لجمع ما فرضوه لخلاص الدليل ولسوى مصالح ذلك، وكان جملة ما فرضوه نحو سبعين ريالاً للدليل، منها ثلاثة عشر قيمة ناقة له تكسرت قرب الحميمة، فغرمها الحاج له تطيباً لخاطره، وعشرون منها أجرته، وخمسة عشر أعطوها لشيخ من شيوخ الركب كان قليل ذات اليد شكس الأخلاق، ومعه طائفة من أهل بلدته يرون رأيه، فكان الناس يدارون منه بعض الحد خشية افتراق الكلمة، ويعرف بابن مؤمن من أندلس مراكش، والشيخ في الحقيقة الذي لا ينبغي أن يعدل عنه عند وجوده الحاج محمد بن الحاج عمران المراكشي، فقد كانت له سراوة نفس وطيب أخلاق وحسن عشرة واحتمال مع طوائف الناس، وله سخاوة يد وعفة قلب عن المطامع، وآتاه الله مع ذلك سعة من المال إلا أنه ليس معه عصبية، وقسيمه الآخر في الرئاسة قد اعتضد بعصبية من أجلاف الأندلس وشياطينهم، ومعظم الناس لا يعدلون بابن عمران أحداً. ومن جملة ما فرضوا عشر ريالات للعلامين، وثلاثة للبراح^(١)، وضربوا الأجرة في هذه المرة على أحمال السلع خاصة، وكان معي حمل من الكتب ولم يأخذوا عليه شيئاً ولم يطالبوا أحداً ممن ليس معه سلع، وهو أرفق بالمساكين، وإن كان الأوجه من حيث النظر ضرب الأجرة على كل الإبل لاشتراك الكل في منفعة الدليل على حد سواء لأن منفعته هداية الطريق، والدلالة على موارد الماء وأهل الأحمال وغيرها من الاحتياج إلى هذين الغرضين على حد سواء، بخلاف أجرة المجير الذي يجير الركب من اللصوص فليس خوف صاحب الأحمال والسلع الكثيرة كخوف غيره، لأن المقصود بالإذابة في الغالب هو من له أحمال وبيع، والفقير قل ما يتعرض له سيما مع وجود غيره.

(١) البراح: المنادي بالأخبار والإعلانات في الأسواق وما سواها: عامية مغربية.

لطيفة:

سمعت شيخنا العلامة أبا بكر السجستاني^(١) المراكشي، رضي الله عنه، يقول: جرى البحث في الأزهر أيام اشتغاله بالإقراء هناك في هذه المسألة، وهي أجرة دليل الركب، هل تكون على الإبل أو على أحمال السلع أو على أصحابها؟ أو هل تكون على التابع دون المتبوع؟ قال: ولم يوجد نص في ذلك. قال: ويمكن استخراج حكم المسألة من أصل ما ورد في حديث الهجرة من استئجار النبي، صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، رضي الله عنه، من ابن أريقط الديلي، وكان مع أبي بكر غلامه عامر بن فهيرة^(٢)، فهل كانت الأجرة على الإبل أو على الرؤوس؟ وعلى الثاني هل أعطى أبو بكر عن غلامه أم لا؟ قال: ولم يتحصّل بين المتباحثين ما يعتمد عليه إذ ذاك. قال: ثم إن الشيخ علي الأجهوري أورد هذه المسألة في شرحه للمختصر، وذكر فيها ما جرى من التوجيهات، وصير ذلك كله كأنها أقوال في المذهب مع أنه لم يوجد فيها نص في المذهب، وكان من جملة ما ينقض عليه في شرحه وهو جدير بذلك هـ.

قلت: وما ذكر من أخذ الحكم من الحديث فبعيد مما علم من حال النبي، صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، رضي الله عنه، من تصرف النبي، صلى الله عليه وسلم، في مال أبي بكر كيف شاء من دون مشاحة ولا مكايسة بينهما في ذلك، حتى تجعل الأجرة على الرواحل أو على الرؤوس، أو يحاسب النبي، صلى الله عليه وسلم، أبا بكر بما ينوب غلامه عامراً، وكلاهما في الحقيقة غلام وخادم للنبي، صلى الله عليه وسلم، وهو أيضاً بعيد مما علم من مكارم أخلاق النبي، صلى الله عليه وسلم، هذا نظير ما لو قيل إن النبي، صلى الله عليه وسلم، وأبا بكر تفارضا في الزاد الذي حملاه في هجرتهما وحاسب النبي أبا بكر بما يأكل غلامه، وهذا لا يتوهمه أحد ممن عرف كمال مقام النبوة وفضيلة الصديق، رضي الله عنه، وحاله معه، وليس الأجرة والزاد مثل الراحلة التي أبي، صلى الله عليه وسلم، أن يأخذها إلا بالثمن ليسارة أمرها، ولما أجاب به بعض العلماء أيضاً على امتناعه عليه من

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) أنظر في هذا: صحيح البخاري 2: 790. الطبقات الكبرى 3: 173.

أخذها إلا بالثمن، فإن الهجرة لما كانت من أجل القربات وأعظمها، وليست بعمل يتكرر غالباً فيتيسر مثله، أراد النبي، صلى الله عليه وسلم، أن ينفق فيها من ماله كما أتعب فيها بدنه الشريف صلى الله عليه وسلم. نعم هذا التوجيه يقتضي أيضاً أن يكون الزاد من عنده والأجرة أيضاً ليكمل ثوابه.

قلنا: لا نمنع أن يكون ذلك من عنده كله أو من عند أبي بكر كله، أو بعض من هذا وبعض من هذا بحسب ما تيسر دون محاسبة ولا تقسيط على الرؤوس، وذلك هو الذي تقتضيه المروءة وشرف النفس، فكيف بكمال المروءة وغاية الشرف، بخلاف أخذ الراحلة بالثمن، فإن كل ذي ذوق سليم وعالم بأحوال المروءة يدرك أن أخذ الرجل الراحلة من صاحبه في السفر بثمنها لا ينافي المروءة، لا من الآخذ ولا من المأخوذ منه، بخلاف الزاد بالثمن والمقاسمة في الأجرة ومحاسبة الرجل صاحبه بما ينوب غلامه فإنه بعيد من مكارم الأخلاق، وقد علم أن مئونة سفرهما، من زاد وراحلة وأقتاب وغير ذلك، كان من دار أبي بكر، رضي الله عنه، لأنه هو الذي كان يستعد لذلك، والنبي عليه السلام إنما فاجأه الأمر بذلك من عند الله، فلو أخذ النبي عليه السلام من عند أبي بكر شيئاً سوى الراحلة بالثمن لذكر ونقل، ولكنه لم ينقل، فعلم أنه لم يقع. نعم لو وقع ونقل لكان وجهه قصد التشريع وبيان الأحكام، إلا أن اللائق به مقام غير هذا، وكان يقع من النبي، صلى الله عليه وسلم، مع غير أبي بكر في غير هذه السفرة، بل اللائق والغالب في تشريع ما يبعد من المروءة أن يقع من غيره عليه السلام، فيعلم به ويقره ولا ينكره للإعلام بجوازه من غير أن يقع منه هو لكمال منصبه، صلى الله عليه وسلم، في سائر تقلباته وأحواله، والله تعالى أعلم هـ.

ولم يقدم أحد من دونه للسوق كالعادة لأجل الفتنة الواقعة بين أهلها وأميرها الحاج محمود عامل عصمان باشا صاحب طرابلس، وذلك أن أكثر سكان البلد مغاربة لأنها حديثة العهد بالعمارة، ولم يبق من أهلها بالأصالة أحد، فلما عظمت شوكة الوالي أنف سكان البلد من الفضيحة، فأضمرؤا له العداوة وثاروا عليه في المدينة فأخرجوه وصار في مركب إلى جزيرة^(١) كندية، وبعث إلى طرابلس يعلم الباشا بالخبر، فبعث مركباً من طرابلس مشحوناً بالمقاتلة، ورجع الحاج محمود من كندية في مركب آخر، فتوافوا على البلد، فأخرجوا كل من كان فيها من

(١) في ط: مدينة.

المغاربة بعد قتل ذريع ونهب، وصاروا لا يتركون أحدا يدخل البلد ممن ليس من أهلها، حتى الصعاليك من الحجاج والمتسوقة فيبيعون ويشترون خارج البلد.

ثم ارتحلنا من التميمي يوم الاثنين، فلما نزلنا ليلا، وكانت عادة الجمالين أنهم يعتمدون في مسارح الإبل فلا يرجعون إلا بعد هوي من الليل، ولم يروا قبل ذلك باشا، فاطمأنت قلوبهم، فجاءهم على عدة قوم من الأعراب الذين تركناهم بعين الغزاة، فأغاروا على بعض إبل الركب، فأخذوا منها نحو من عشرين بعيرا، فلما أصبح الناس هموا بالرجوع إليهم وغزوهم في حلتهم، ثم تراجع الناس عن ذلك وكان بعض الإبل لمرابطة سمالوس، فتبعوهم وردوا إبلهم إليهم، ولم يلحقوا بنا إلى أن جاوزنا سمالوس وبعض الإبل للجوابس، وهم رهط معتوق دليل الركب فلم ترجع.

ثم ارتحلنا ونزلنا قرب غدير يسمى بوهندي، وفي الغد مررنا به ضحى وسقا الناس واستقوا، ونزلنا المخيلي قرب المغرب بقليل، وكان به أثر مسجد تهدم ولم يبق إلا منارته وعلى بابها قبر شيخ الحجاج عمران، وولده محمد هو شيخ الركب بعد موت أبيه، وموت أبيه كان في شهر رمضان في السنة الفاتنة، وهذا الذي طلع بالركب من مراکش ولده، فلما باتوا بهذا المحل وتسحر قبل الفجر وما به من ناس، ثم أصابه سعال شديد بأثر ذلك مات منه قبل أن يرتحل الناس من المنزل، ودفن هناك رحمة الله عليه، فعندما مررنا عليه وقف الحجاج عليه هنيئة، وقرأوا ما تيسر، وبنوا عليه حائطا من الحجارة، ونزل الركب بقربه.

ثم ارتحلنا من المخيلي، وفي اليوم الثالث مررنا بسمالوس ظهرا، وسقى الناس واستقوا ووجدنا فيه ماء كثيرا، وهو وادي كبير يهبط من الجبل الأخضر تصب فيه أودية كثيرة من أودية الجبل قلما يخلو من ماء إلا في الأعوام المجدبة، وفي اليوم الثاني منه استهل جمادى الثانية ليلة الاثنين، وفي اليوم الثالث نزلنا بإزاء قصور الرجبية، ووجدنا هناك أعرابا كثيرة من عرب الجبل؛ السعادي الفرائد وغيرها. وفي الغد ارتحلنا وسرنا في وادي كله ربيع⁽¹⁾ وماء وأعراب، والناس يتسوقون ويشترون اللبن والسمن عامة يومهم، ونزلنا بعد العصر بالبيوت آخر الجبل

(1) الكلمة غير واضحة في ط.

الأخضر ولحقنا هناك أواخر ركب الجزائر، وكانوا يظنون أن لا نلحق بهم، فلما لحقناهم جدوا في السير ولم يتزلوا إلى الليل.

وفي الغد ارتحلنا وتركنا مورد سلوكهم عن يميننا وقصدنا الجاية والركب الجزائري أمامنا يتراءى لأولنا آخرهم، وفي اليوم الثالث نزلنا الجاية عصرا ومررنا بهم وهم نزول، فبعثوا إلينا أن تأخروا عنا حتى نرتحل أمامكم، فأنف أصحابنا من ذلك، فتجاوزوا الجاية ولم يتزلوا بها ولا عرجوا عليها، ولم يتزل ركبا إلى العشاء الأخيرة على آبار آخر على نحو فرسخ من الجاية وعليه أثر قصر تهدم، وكان أهل الجزائر قد طلبوا من أصحابنا أن يتأخروا عنهم يوما يقيمونه بالجاية معتلين بأن معهم من أكابر ترك الجزائر طائفة لا يرضون أن يتقدم عليهم صعايلك المغاربة لأنهم جيش السلطان، فأخذت أصحابنا الحمية والأنفة وقالوا لهم: نحن لا نعرف عزا ولا سلطانا، وحلف الآخرون أن لا يتقدموا عليهم حتى خشينا أن تكون فتنة، فكف الله أيديهم وجهدوا أن يلحقوا بنا فلم يقدرُوا بعد ذلك.

ثم ارتحلنا من هناك مجدين في السير خشية لحوق أهل الجزائر بنا فتكون فتنة على غير شيء، وفي اليوم الثاني ألقينا على قصيرات وعتلا عرب الجهمة الذين قتلوا عبد القادر بن أخي عبد الرحمن الجبالي، وقد قدموا من فزان، فلما رأوا أوائل الركب ظنوه غازيا للجبالي، فانجفلوا إلى فدغد على ساحل البحر تحيط به سباخ يتعذر سلوكها إلا من محل واحد. وبعدما وصلوا إليه رجعت خيلهم وتلقت الركب من أمام فتشوش الحجاج منهم، فلما وصلوا إلينا وعرفوا أننا حجاج جاء أشياخهم وتكلموا كلاما طيبا وقالوا: ما نحن إلا في بركة الحجاج، وإنما ظنناكم من جموع الجبالي، سيد روحه ونحن قاصدون إلى الهنادي، وهم عرب العقبتين، ومعنا مائتا فارس وأربعمائة راجل، وكتبوا مع شيخ الحجاج كتابا إلى الباشا زاعمين أنهم لم يقصدوا مخالفته وإنما أضرمهم الجبالي حتى وقعوا فيه، وأنه إن أمرهم بترول الجبل نزلوه، وكانوا قد استنصروا بسلطان فزان على الجبالي لما ثقلت عليهم وطأته، فجاء معهم بجموعه ومن انضاف إليهم من عرب تلك الناحية حتى أغاروا عليه في بلد سارت وأهل حلته غارون منتشرون في إبان الحرث، وأخبرونا أنهم في وقت الغارة صادفوا عبد الرحمن وابن أخيه عبد القادر يأكلان لحما حينذا بينهما، فلما أحسوا بالخيل قال عبد القادر لعمه: انج بنفسك وأنا أدافع عنك الخيل ريثما تبعد عنهم، فنجا برأس طمرة ولجام، ودافع عنه ابن أخيه حتى قتل وأخذ جميع من

معهم من حلل الأعراب، وخلت قصور سارت من يومئذ ونهبوا ما فيها ورجعوا إلى فزان، وأقاموا هناك حتى جاؤوا في هذه الكرة.

ثم ارتحلنا من هناك وأصابنا مطر أول النهار إلا أنا كنا بأرض مسترملة فلم يمنعنا من السير، وإن عاقنا بعض التعويق، ونزلنا قرب المضيق الذي دون المنعم، وفي الغد مطرنا أيضا مطرا أشد من الأول وتقدم الناس إلى المورد ليستقوا فلم يخرجوا من مضيق السبخة عند منقطع الرمل حتى وجدوا الطريق ممتلئة ماء، فاستقى الناس منها ولم يقفوا ولا تعطلوا، وأغناهم الله بماء السماء عن ماء الآبار، وتجاوزنا مورد المنعم قبل الظهر ولم نزل إلى المغرب، وفي الغد بينما نحن نسير أول النهار إذ سمعنا صوتا هائلا مثل الرعد القاصف فظنناه مدافع حرب وقع في البحر بين المراكب، فتسارع الناس للصعود على الحاجب الذي بيننا وبين البحر، وكنت فيمن ذهب فلم نر في البحر شيئا، وأخبرنا بعض الناس ممن لهم علم بأحوال البحر أن ذلك صوت يسمع في البحر أحيانا يسمى تمد لا يعلم له سبب، وأظنه أنه قال: إن ذلك إنما يقع في الغالب عند إبان المطر. ثم مررنا وسط النهار يوم الخميس بأسفل السبخة التي فيها منقطع الكبريت، وبه سمي المكان، وبقي في ذلك اليوم جمل لنا تخلف عليه بعض أصحابنا، فتخلفت لأجلهم مع طائفة من الحجاج، ولم نصل إلى الركب حتى قرب العشاء وهم نزول، وفي الغد عدلنا عن السيخة يسارا وسلكنا أطراف الشعاب التي تشرف على الساحل، وهي طريق غير معتادة للركب إلا أنها مخصصة صلبة لا يخشى فيها من وحل السباخ إذا نزل المطر.

وفي الغد مررنا بغدران كثيرة وريع كثير في تلك الأودية، وذلك^(١) أوائل بلاد سرت، فلما بتنا قرب الكحيلة في أعلى واديهما ترقب الناس قلوبهم الشيخ وجماعته إلى الليل، فلم يقدموا، وكانوا تأخروا في بعض تلك الأودية يطبخون غذاءهم، وتلك عادتهم من يوم خروجنا من الإسكندرية يتناوبون ذلك فيما بينهم، فكل يوم يأتي أحدهم بآلة الطبخ والمطبوخ على قدر كفايتهم، فيتقدمون أمام الركب من المنزل، فإذا وجدوا محلا مخصصا نزلوا وطبخوا وأكلوا وركلوا حتى يجوزهم الركب فيقومون، وفي ذلك اليوم كانت المرحلة ذات شعاب كثيرة، فلما فرغوا من أكلهم وركبوا ضلوا عن طريق الركب وكانوا اثني عشر رجلا يبغاهم ومكاحلهم، فذهبوا ذات اليسار، فلما علموا أنهم حادوا عن طريق الركب اختلف

(١) في ط: وتلك.

رأيهم في السير يمينا أو شمالا، ثم اتفق رأيهم على المبيت إلى الصبح، وبات الناس تلك الليلة يخوضون في أمرهم، وأوقدوا نارا على قدر ورفعوا مصباحا على رمح، وضربوا بالطبل والمدافع فلم يقعوا لهم على خبر، فلما أصبحنا ارتحلنا وظنناهم أمامنا وذهبنا أمام الركب نقتص الأثر فلم نقع لهم على أثر، فبينما نحن كذلك إذ لحقوا بالركب ظهرا، وكان من أمرهم أنهم لما أصبحوا اتفق عزمهم على أن يذهبوا إلى ناحية البحر، فلما ساروا قليلا رأوا ركب الجزائر فقصدوهم، فلما عرفوهم عدلوا عنهم إلى أن وقعوا على أثر الركب فاتبعوه.

ولم نبت تلك الليلة إلى قريب من الشقة، ووجدنا بها أوائل عرب زاوية أولاد سيدي ناصر، وفي الغد مررنا بالشقة ضحى ولم نجد بها ماء، وفي الغد مررنا بقبر قدير ونزلنا مورد الأحمر، ثم ارتحلنا منه ونزلنا قرب الموضع المسمى بالمدينة، وفي الغد مررنا بها ولم نزل نسير ذلك اليوم والغد منه في مزارع وربيع كثير إلى أن نزلنا إلى عفران، ووجدنا قصوره خالية من لدن قتل سلطان فزان مع الجهممة والهيابية لعبد القادر، وأخذ أعرابه وقد جاؤوهم غارين ظانين أن لا يقدر عليهم أحد فقتلوه ونهبوه كما تقدم خبر ذلك. ثم ارتحلنا منه واستقبلتنا ريح باردة لم نر مثلها قبل ذلك ودامت طول النهار وغده، إلا أنها في اليوم الثاني أخفت، وفيه مررنا بحسان ظهرا، وهذا الاسم الآن صار علما على موضع فيه مورد ماء ضنين يوجد فيه ما يكفي الركب إلا في أزمة الخصب، وكان في الأصل اسما لعامل بعض ملوك بني مروان بعثوه لغزو إفريقية بعد موت عقبة بن عامر⁽¹⁾ أمير إفريقية ومفتتحها وارتداد غالب أهل إفريقية، فترل في هذا الموضع وبني فيه قصورا تسمى الآن قصور حسان، وكان يغير من هناك على إفريقية، وأقام بذلك المحل نحو من ثلاث سنين، وخبره قد كرر في تواريخ فتوح إفريقية.

وقريبا من هذا المحل لقينا أوائل عرب الجبالي عبد الرحمن الذين استنفرهم الآخذ بالثأر وهو معهم بمحلته من الأتراك وغيره، وظننا أنه يعارضنا للسوق فلم يجتمع بنا واجتمع بركب الجزائر، وكان قد حمى واسطة سرت فلم يقدر أحد من أعرابه أن يتقدم إليها مع غاية خصبها حتى يقدم، وفي الغد سرنا طول النهار والبحر عن يميننا والسيخة عن يسارنا، وكنا نقطع مخاضة الهائشة آخر ذلك اليوم

(1) يقصد عقبة بن نافع الفهري الذي افتتح بلاد إفريقية واختط مدينة القيروان: البداية والنهاية 45:8. الكامل 450:3.

فلم تقدر، وبتنا قريبا منها، وفي الغد لقينا صباحا بعض الصعاليك ممن تقدم من المغرب فأخبرونا ببعض أخبار المغرب في الحملة، وقطعنا مشرع الهائشة ولم نجد به شيئا من الملح وطلب الناس فيه، ولو ما يعيشهم فلم يجدوه لأنها صارت كلها ماء بكثرة الأمطار، ووجدنا ماء الهائشة كله أقبح ما يكون، وكنا ظننا أنه يحلو بكثرة الأمطار، فلم تزد إلا مرارة، وسرنا بقية يومنا، وفي الغد نزلنا بوكدية آخر منازل برقة التي قيل: غرقه ولا برقة.

وفي الغد لاحت لنا أعلام العمارة وظهرت لنا من الدنيا إمارة، وتصايح الحجاج: البشارة البشارة، هذا أوائل العمران قد كشف لنا أستاره بأمان، ودخلنا قصر أحمد⁽¹⁾ ظهرا نظهر فرحا ونسر ذعرا، لأننا لم نر العمارة دهرا، يخيل إلينا أن المباني والنخيل شيء ما عرفناه، وانتشار الناس في جرائها أمر ما ألفناه، وكأننا أموات نشروا ومن المقابر حشروا، وما أسرع انقضاء سفر تنقصته الليالي والأيام، فكيف بعمر مرت له الشهور والأعوام، نسأل الله حسن الختام بالموت على الإيمان والإسلام، والعفو والعافية على الدوام آمين.

ولما دخلنا قصر أحمد⁽²⁾ سألت عن صاحبنا الحاج عبد الله بن غلبون فدلوني على مسكنه ولم أجده فيه، ونزلنا بالفناء حتى قدم فأكرم نزولنا، وأجزل قرانا وعلف خيلنا، وعرض علينا المبيت فأبينا لعدم نزول الركب، وقد طلب منهم أهل البلد التزول متبركين بهم فأبوا، ولم يبيتوا تلك الليلة إلى تكيران بلد ولي الله تعالى قطب الزمان وإمام أهل العرفان سيدي أحمد رزوق، رضي الله عنه، ونفعنا به، وسرت أنا وصاحب لي كما نحن ولم نخرج على منزل الركب بقرب مسجده، ودخلنا للزيارة والصلاة وأردنا المبيت بالمسجد فوجدناه غاصا بالصعاليك من الحجاج، وأكثروا فيه اللغط فذهبنا إلى دار صاحبنا سيدي أبي العباس خدام الزاوية، فبتنا عنده تلك الليلة وأكرمنا، وكانت ليلة الجمعة، وكتب لي سؤالا في مسألة من بيع الثنيا هل تبطل بموت البائع والمشتري. وكتبت له في ذلك ما حضرني في الوقت مرجحا بطلانها بموت المتطوع بها لأنها هبة لم تقبض كما قيل بذلك، ولم أعلم أن التراع بينه وبين ابن عمه في ذلك، فقدم طائفة من المجاورين هناك سيدي عبد الواحد فوجد عليّ في نفسه، ولم يظهره لي، وأقام الركب هناك

(1) في ط: أحمر.

(2) في ط: أحمر.

يوم الجمعة والسبت، نتعاهد زيارة الشيخ طرفي النهار والأمطار قلما يخلو منها الجو، وذلك دأبه من يوم رحيلنا من الجابية، قلما يمر علينا يوم صاح، فأخصبت البلد لذلك وغزرت مياهها، فتجد على طرف كل بلد بحيرة من الماء النازل من الجو والنابع من الأرض، وربما أضر ذلك بالإبل في سيرها لكثرة الوحل، والغيث كما قيل لا يخلو من الغيث، سيما على المسافر الذي طال سفره وانتهى وطره.

وكان ارتحالنا من سيدي أحمد رزوق يوم الأحد، وبقيت لنا هناك ناقة وهبتها لصاحبنا أبي العباس خشي أن يشاركه فيها من بقي من خدام المحل، قال لي: اذهب مع ولدي ومكنها له ولا تقل أنها هبة، ففعلت ابتغاء مرضاته، وفي الغد من يوم رحيلنا مررنا بزاوية سيدي عبد السلام ظهرا ودخلنا إلى المسجد وزرنا ضريحه نفعا الله به، ولقيت سيدي أحمد بومجيب⁽¹⁾ وقد تقدم التعريف به، وبتنا خارج البلد، وفي الغد مررنا بساحل حامد وزرنا سيدي مفتاح، رضي الله عنه، وبتنا قريبا من آبار السليم، وسرقت لنا تلك الليلة سطة عظمت علينا المصيبة بها، لأنها كانت تكفيينا في أشغال كثيرة أعظمها تسخين الماء للطهارة لأن الوقت وقت برد، وفي الغد نزلنا النكارة ونزلنا قرب بيوت، وفي الغد نزلنا واد المسير بأعلاه ووجدنا فيه ماء كثيرا غزيرا لكثرة الأمطار، وقاسى الناس في قطعه مشقة ولم يتزل آخر الركب إلا بعد العشاء، بل بات بعضهم في عدوته القصوى.

وفي الغد ارتحلنا ورافقت الركب إلى واد الرمل، وتقدمت أمامه مع بعض أصحابي ولقينا أهل طرابس الخارجين للقاء إخوانهم أفواجا، وبلغنا تاجورا عند الظهر وجاوزناها، واجتمعت بينها وبين الهنشير بصاحبنا سيدي محمد بن أحمد بن عيسى البربوعي خرج لقائنا ومعه طعام يتلقانا به، ورجعنا به معنا، وكنت نويت زيارة الشيخ السيد فجئنا إليه، ووصلنا بعد صلاة⁽²⁾ العصر وتوضأنا وزرنا ولقينا ولده سيدي عبد الحفيظ، وأخرج لنا طعاما فأكلناه، ولما دعانا للأكل وكنت بالمسجد تربصت ريثما صليت الظهرين آخر وقتيهما، فعتبني على ذلك وقال: إذا حضر الغداء تؤخر الصلاة؟ فهممت أن أقول له إنما ذلك مع اتساع الوقت، فشمت منه رائحة عدم قبول المراجعة، فتركته، وكان له صيت ملأ الخافقين،

(1) تقدمت ترجمته.

(2) ساقط من ط.

أصله ديني فتحول دنيوي، فمزجا بتدين، غمره إقبال الخلق ونفوذ الكلمة عند الأمراء، والله أعلم بسريرته. وأكثر الناس يقولون بحسبها، ومذهبي التسليم.

وكان شيخنا سيدي أحمد بن مساهل⁽¹⁾ من عادته صلاة الجمعة في الهنشير، فرجوت أن أدركه، فوجدته قد خرج أمامنا، ثم صلينا العصر وسرنا ودخلنا المدينة قبيل غروب الشمس، آخر يوم الجمعة الرابع من رجب، وتيممنا منزلاً المعهود بجامع الحاج إبراهيم وبتنا فيه، وفي الغد لقينا شيخنا ابن مساهل ولم يقدم أصحابنا بالإبل إلا قريباً من الظهر، وكانوا قد باتوا قريباً من تاجورا ولم نجد هناك شيئاً من خبر المغرب، وقلق الناس من ذلك، فمن زاعم أنه لم يبق به من يجيء، من قائل منعهم الجوع أو الوباء أو الخوف، وأنا في ظني أن الوقف قد تأخر شيئاً ما، وبعد نحو من جمعة دخلت علينا الأركاب الآتية من المغرب؛ ركب أهل فاس أميرهم الحاج محمد القسيمي، وركب أهل مراکش وأميرهم الشيخ المبارك الحاج إبراهيم الفران، ولم يقدم أحد من أهل بلدنا إلا أنه جاءت مكاتب كثيرة من إخواننا شرحت الأحوال جميعها وأقامت مقام المعائن سميعها، فابتهجنا بها فرحاً، وأزالت عنا ترحاً، وملأت أكفنا ورقاً، بفتح الراء لا بالكسر، وجبرت بعض ما كان في القلوب لا في القوالب من الكسر، وقاسينا في تلك المدة ما الله أعلم به من الشدة غالب ما نأكل في اليوم والليلة أكلة واحدة، وقلوبنا مع ذلك شاكرة لله حامدة، وكنا ننتظر شيئاً يصل إلينا من بلادنا نستعين به في زادنا فلم نر شيئاً من الإخوان ولا من أحد من الأقران إلا ما وصل إلينا من صاحبنا الصديق الود الوثيق ذي العهد القديم الإيحاء، العزيز السخاء، سيدي الحاج بوشة المنفوشي ضاعف الله مثوبته، وطيب أحواله، ووقاه من كل الشرور، وأجزل حظه في الدنيا والآخرة من جميع السرور⁽²⁾ آمين آمين، بعث إلينا عشر ريبالات مع بعض الحجاج الفاسيين أقمنا بها الأود، وقضينا بها بعض مصالح ذلك الأمد، ولا شيء أشد علي⁽³⁾ قضاء دين صاحبنا الحاج أحمد العجين الذي استندته من القاهرة ووعدته ببعثه من طرابلس ظناً مني لم تصدق مخايله أنه يأتيني بشيء من البلد أو ألقى هناك من أتسلف منه، فلما انقشع غيم ذلك العارض وأخلف خلب برقة الوامض، علمت أن لا ملجأ من الله إلا إليه، ولا وسيلة أكرم عليه من رسوله المكين لديه، صلى الله

(1) تقدمت ترجمته.

(2) في ط: الخيرات.

(3) في ط: والأشد من كل شيء.

عليه وسلم، فشرعت في تكميل تخميس البردة المبتدأة في غزة قاصدا بذلك التوسل به إلى الله تعالى أن ييسر خلاص الدين من وجه سهل، فأكملته في نحو من أربعة أيام وأنا في خلال ذلك أكابد هم الدين مصدقا بأثر: لا هم إلا هم الدين، ولا وجع إلا وجع العين.

وفي اليوم الذي أكملت فيه التخميس، بل في المكان الذي فرغت فيه منه، من الله بخلاص الدين من جهة أرجو من الله إتمامها بلا كلفة، وقد فعل، فله الحمد والشكر، وذلك أني أوصيت بعض أصحابنا أن ينظر لي من يبيع سلعا من الحجاج بالسعر الذي بلغهم أنها تساوي في المغرب ويربح كلفة الطريق، والأمر من خطره، فتردد في ذلك تلك الأيام فلم يجد شيئا إلى أن يسر الله ذلك في ذلك اليوم من عند بعض شرفاء مكناسة، وهو سيدي إدريس بن أبي عبد الله، أحد أهل البيوتات وذوي الثروة والرئاسة في مكناسة، فاشتريت منه مائة مثقال أشقوبية إلى المغرب ما يبيع في طرابلس بنحو من مائة ريال، فبعثنا إلى صاحب الدين ماله علينا، واسترحنا من هم الدين، وأخذنا في التجهيز لما يحتاج إليه السفر من الزاد والرواحل والأسباب، فبعنا ما فوق وما تحت لشراء الظهر، وفي كل جمعة أركب للعمروس لشراء الإبل، وهو أعظم أسواق طرابلس، تجلب إليه الإبل من كل مكان، وأردت بيع الفرس فيه فلم يتيسر، وكنت أرجع في كل جمعة أصلي الجمعة بزاوية سيدي محمد الصيد وأنا فيما بين ذلك أخرج طرفي النهار للسعي في قضاء الدين، وفي خلال ذلك ترد علي الفتاوى من أهل البلد لما سمعوا بي وأجيب عليها بقدر الحال، وهممت ببيع بعض الكتب فلم أجد من يسأل عنها، ولم يزل لطف الله علينا في ازدياد وبركته في تتابع أمداد، وجاءني رجل ممن ينتحل العلم من أهل الزاوية الغربية بمت إلى صاحبنا سيدي محمد أحمد بقراءة، وكلفني قراءة بعض التلخيص للقزويني، فقرأ ما تيسر منه وكلفني صاحبنا قراءة بعض الألفية، وورد علي في طرابلس صاحبنا سيدي أبو راوي من حفدة الشيخ سيدي عبد السلام، وذاكرنا واستفاد أشياء في التوقيت على قصر باعي فيه، وجاء ونحن هناك مركب معهم كتاب من الخاقان الأعظم يأمر فيه بالزينة التي جاء خبرها ونحن بمصر، فزينت طرابلس سبعة أيام بلياليها على نحو ما وقع بمصر، وأكثرنا من الأعاجيب ومن تماثيل وتصاوير، فصوروا صورة الفيل وصورة الحمل ملبسا بجلود الضأن، وفيها رجال يمشون بها حتى لا يشك الرائي أنه جمل وغير ذلك، وتعطل على

الحجاج بسبب هذه الزينة جل أسبابهم من بيع وشراء، وزاد ذلك في أمد عطلتهم طولا، وجاءنا ونحن بطرابلس خبر سيد روحة عبد الرحمن الجبالي أنه أخذ الجهمة وأصحابهم، وزاد ذلك في سرور أهل البلد وأميرهم لأنه كان يتوقع عاديتهم⁽¹⁾ ويتخوف انقطاع طريق الجبل الأخضر بسببهم، فوَقَى الله شرورهم عنه وفضله، ودخل علينا في طرابلس ركب أهل تونس في شارة حسنة وفخامة هيئة في بشر كثير وسواد عظيم كسواد الليل يفعم الطرقات كإفعام السيل، يجرون سبع كراريط وخمس محفات زادت في ألفتهم وزينتهم، وأميرهم أبو الفضل مفتي تونس ومعه جماعة من كبراء تونس، ومنهم ابن أخي قاضي القدس الشيخ محمد النفاتي اجتمعت به وسألني عن عمه، وأخبرته أنه يريد الحج في هذه السنة، وجاء معهم الشيخ العلامة الفقيه المشارك سيدي عاشور القسطيني⁽²⁾ ارتحل إلى الحجاز بجميع أسبابه وحمل معه جميع كتبه، ونوى الاستيطان والمجاورة في تلك البلاد، فلما بلغ إلى طرابلس وقع بينه وبين أهل تونس بعض ما يقع من المسافرين في سفرهم من مراجعة، فانخذل عنهم ورجع إلى أهل بلده أهل قسطينة، وقد لقينته وتبركت به واستجزته لنفسه ولمن ذكر في الاستدعاء من الإخوان، وأجاز لي ولهم لفظا، وهو يروي عن سيدي محمد التواتي وعن سيدي عبد القادر بن خدة عن الشيخ السنوسي، رضي الله عنه، ويروي أيضا عن سيدي محمد السوسي عن المنجور، ويروي أيضا عن سيدي سليمان التمارسي عن الشيخ سالم السنهوري وأسانيد الشيخ السنوسي والشيخ المنجور والشيخ سالم السنهوري معروفة في محلها، وكتبت له يوم لقينته هذه الأبيات الثلاثة:

[كامل]

للشيخ عاشور الإمام الأجد	حاوي الكمالاتِ التقى الأرشد
مُدت يدي لتال كل فضيلة	علما وذوقا من إمام مُرشد
حاشا تُرد يدٌ إليك مددتها	يا حائزا أقصى الغلا والسؤدد

(1) في طه: عناوتهم.

(2) عاشور بن عيسى القسنطيني، عالم عامل، استوطن تونس، كان حيا سنة 1074 هـ: شجرة النور الزكية 449:1.

واعتذر لي عن كتب الإجازة بضيق الوقت ومزاحمة الأشغال لقرب السفر، فقبلت عذره، وقد كتب من هناك كتباً إلى أصحابنا بالحرمين الشريفين ومشايخنا الشيخ عيسى الثعالبي والملا إبراهيم بن حسن الكوراني، وصاحبنا الشيخ حسن بن علي^(١) العجيمي المكي، وكتبت إليهم بإجازات المشايخ لهم، وكتبت إلى شيخنا الملا إبراهيم أستنجزه الوعد في شرح قواعد الشيخ زروق، فبعث إليه نسخة من القواعد، وكتبت على ظهرها هذه الأبيات، وأخبرت بعد ذلك أن ذلك كله سرق من حامله ولم يصل، ولنذكر الأبيات:

[طويل]

قواعدُ هذا الفن صَوْنُ قَوَاعِدِ	يُسَنِّ نِكَاحًا يَنْتَظِرْنَ مَوَاعِدَا
مواعد صدقٍ من إمامٍ مُحَقِّقٍ	بشرحٍ لمعناها يكونُ مُسَاعِدَا
فيرجعن بعد اليأس يخطبن رغبة	يواصلنا من كان قبل مُبَاعِدَا
يُبين منها مُشْكَلًا وَيُزِيحُ مُعْـ	ضلةً فيعدن للعفاة مواجِدَا
تد لذا أبوابكم كف فاقة	وتبسط للشكوى ذراعًا وساعِدَا
قواعدُ في الأعتابِ يَبْغِينَ فَضْلَكُمْ	فقوموا لها حتى تكونَ قَوَاعِدَا
فقد جمعتُ علم السلوك وحكمة	وفقها صَحِيحًا واسعا عقائدَا
وذي كلها هي التصوفُ فاجتهد	لتودعها من كل فن فوائِدَا
واستوهِب التوفيقَ من ربنا لكم	وعونا على القدرِ الذي كان زائدَا
بجاه رسول الله أفضل من غدا	إلى الخير هاديا وللرشد قائدَا
عليه صلاة الله ثم سلامُهُ	يدومانِ ما دام المهيمن واحدَا

وقد كثر تطليبي من علماء الوقت شرح هذا الكتاب، فلم ييسر الله ذلك على يد أحد منهم مع كون هذا الكتاب ليس مثله مما يترك ويسهل، ولا هو مستغنى على الشرح فيؤخذ على ما هو عليه ويحمل لوجازة لفظه ودقة معناه، مع

(١) ساقط من ط.

استمداده من علوم كثيرة يتوقف في تحقيقها على مشاركة تامة في جميع العلوم واطلاع عظيم على نواذر العلوم وغرائبها، وقد وعد شيخنا الملا إبراهيم بشرحه وهو بذلك جدير إن وفق إليه وأعين، والله خير معين.

وكتبت من هناك أيضا كتابا لأصحابنا المجاورين في المدينة المشرفة أوصيهم فيه بالدعاء شاكيا إليهم أمر ما وقع في الغرب من الفتن، خصوصا بلادنا، وسائلا منهم أن يرفعوا أمرها إلى صاحب حضرة الرسالة ومعدن الجمال والجلالة، صلى الله عليه وسلم، وقد ظهر والحمد لله أثر ذلك في الوجود ظهوراً لا يشك فيه من علم بالحال وميز ما كان عليه الأمر وما إليه آل، خصوصا فتنة العصاة الناجمة ببلادنا من أهل الغواية المنتهكين لحرمة الشرع المسددين سهام إزابتهم لأهل الدين خصوصا، ولكل من لم يتابعهم على ضلالتهم عموماً، فقد أكثر التأكيد على أصحابنا المكين والمدنيين في رفع الشكاية إلى الله لمبتوعهم الذي ثلم في الإسلام ثلماً لا يسدها إلا الذي فيه عيناه، وقد رأى بعض الفقراء في واقعة منام إثر وصول الكتاب إليهم أن النبي، صلى الله عليه وسلم، في دار والناس يدخلون عليه فيها أفواجا، فسأل الرائي عن ذلك فقيل له: إن النبي، صلى الله عليه وسلم، يبايع الناس على البراءة من فلان، ومن ذلك اليوم أخذ ذكره في السقوط وأمره في الهبوط، (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)⁽¹⁾، وفي ضمن الكتاب الذي بعثته للمجاورين ثلاث آيات أمرتهم بالصاقها حذاء المكان الذي كنت أجلس فيه بالمسجد النبوي يكون ذلك تذكرة لهم⁽²⁾ بقائلها فيقسمون له من دعواتهم في أشرف الأماكن، وقد كتبوا إلي أنهم فعلوا، والحمد لله كثيراً على ما من به من ذلك، وهي هذه:

[طويل]

أجيران خير الخلق منوا بدعوة	لمن ناب عنه في الخطاب بنانه
لئن غاب عنكم شخصه ففؤاده	لديكم رهان لا يفك رهانه
فإن خفتن نسيانه فكتابه	يذكركم به وهذا مكانه

(1) يوسف: 21.

(2) في ط: لهم تذكرة.

نسأل الله تعالى بجلال وجهه العظيم ووجاهة نبيه الأكرم الكريم أن يرزقنا العود إلى تلك الأماكن المطهرة، وينعم قلوبنا وقوالبنا بالتقلب في تلك البقاع المنورة، ويحشرنا في زمرة أهلها أحياء وأمواتا، ويجعل محبة سكانه لأرواحنا أقواتا، إنه جدير بالإجابة قريب لما واطب في دعائه إلا عليه آمين آمين.

ومن لقينته بطرابلس مفتيها الشاب الظريف الأريب العفيف الفقيه المشارك سيدي محمد المكني، بيتهم بيت علم ورياسة من لدن أسلافهم، إلا أنه لم تكن له رحلة في طلب العلم، وقد حج مع أبيه في صباه، ومات أبوه قبل أن يستفيد منه، فقرأ على شيخنا ابن مساهل وعلى بعض متفقي البلد، فأعانتة الحظوة والذكاء ونباهة الفكر واقتناء الكتب الكثيرة على ولاية منصب الفتوى بعد عزل شيخنا ابن مساهل، وقد تقدم شرح ذلك في أول هذا الكتاب، وقد شاهدت منه حسن أخلاق، ويدل على طيب أعراق، وقد استعرت منه كتباً فما بخل بإعارتها، بل استعار لي من غيره كراريس من شرح المختصر لشيخنا الأجهوري مست الحاجة إليها لتكميل جزء ناقص عندي، فتوسط لي في ذلك توسط أمثاله، ولم يقصر عما يقتضيه مجده من رتب كماله، فأوجب على ذلك أن أكتب له بعد إتمام الجزء آياتاً ثلاثة أشكر صنعه وأشيد ذكر نعمته التي بذل في إتمامها وسعه، لأن الكتاب كان بيد من يضمن به عن ملاقاته الهواء ومماسه الهباء، لولا استعانة بوجاهة من ذكر، وجلالة من شكر، وهي هذه:

[طويل]

سأشكرُ إحساناً بدا منك سيدي	وأشكرُ فعلاً منك قد صدق القولا
ويشكرُ الشرح الذي تم نقصه	ولولاك كان النقص قطعاً به أولى
وقد قيل من لم يشكر الناس لم يكن	ليشكر رب الناس في كل ما أولى

لطيفة:

الحديث شجون، سيما عند إرادة تكثير الفوائد وجمع الفنون، والشيء بالشيء يُذكر، ووصل فائدة بمشابهها لا ينكر، وذلك أني ضمنت الآيات الثلاثة

قصيدة بعثتها إلى بعض الفضلاء من الإخوان النبلاء (كنت)^(١) استعرت منه شرح
المواقف للنسخ، فمطلت برده حولاً، وقد كان الوعد شهراً أو شهرين، فكتبت
إليه معتذراً وإغضائه منتظراً، وقد كنت كتبت في حال الاستعارة قصيدة ليست
معانيها من غيرها معارة، فأجاب عنها بأفضل منها، ونص ما كتبت^(٢):

[طويل]

أمولي غدا حُر الكلام له مولى	وبحر ندى لم يخشَ وارده هولا
ومن نظمه يسي العقولَ رحيقه	سوى أنه لا إثمَ فيه ولا غولا
سأشكرُ إحسانا بدا منك سيدي	وأشكر فعلا منك قد صدقَ القولا
ويشكرُ المتن الذي تم شرحه	ولولاك كان النقصُ قطعاً به أوّلى
فقد قيلَ من لم يشكر الناس لم يكن	ليشكرَ رب الناس في كل ما أوّلى
تطولت حتى طلت غيرك ثم لم	تدع لسواك اليومَ طولاً ولا طولاً
فمثلك من أوّلى الجميلِ وسوغ الـ	جزيلَ ولم يطلب على قوله فعلا
فقد حزت إرث الأولين وأدخلت	فضائلك الغر على من أتى عولا
وغذرا فقد أخلفت وعدي مما طلا	ولم أرَ شهراً قبله قد غدا حولاً
على أنما الأيامُ تعرض تارة	وآونة ترئو بعين لها حولاً
فنبرم أمرا والمقدرُ غيره	فلا قوة للعبد في ذا ولا حولاً

وقد أجاب عن هذه القصيدة بقصيدة له طنانة، ضربت في الإبداع بسهم
مصيب، وحازت من رقة اللفظ وجزالة المعنى أوفر نصيب، بيد أنه تحامى روي
قصيدتي لقلته، بل لتعذره وعزته، سيما مع لزوم ما لا يلزم، على أنه قد أتى من
بديع النظم بما هو أحزم، ونص قصيدته التي أجاب بها:

[طويل]

(١) زيادة من ط.

(٢) وردت القصيدة في: البدور الضاوية 730:3 (رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب الرباط).

قوافٍ لأسلاك العقودِ على النحر	بها الشعرُ قد أبدى فنونا من السحر
وطبعٌ يحاكيه النسيجُ لطافة	وقد عنبرت أذيالهُ نفحة الزهر
ومجدٌ يُنبئ عن محاسن من مضى	كما أنبى للإسفارِ عن صادقِ الفجر
أ رَبَّ المعالي والقوافي ومن غدا	له الفضلُ مسطورا على صفحةِ البدر
أتاني شعر هذب الطبع لفظه	كما هذب الصواغ صافية التبر
غدا فتنة العقل الرصين كأنما	به قد نفثت السحر من عقد الفكر
ومالت بأفكاري حلاوة لفظه	كما قال سكران على نشوة الخمر
وقلدي فخرا وعزا ومُؤددا	يرى مثل عقد الدر في لبة البدر
حنانيك إن الفكر أدهاه حادث	لهول وهم قد تلجلج في الصدر
ولولا نظام منك أيقظَ فكري	لكنت بليدا عن نظام وعن شر
وهبني صغت الشعر تاجا مرصعا	لبدر الدجا والشمس والأنجم الزهر
أ أرضاه للمجد الذي ذاع فضله	وأخرس أرباب الفصاحة بالشعر
عليك سلام من تحب تباعدت	به الدارُ مثل المسك أو عنبر الشحر

ثم كتب بإثر هذا النظام نثراً وهو هذا: حمدا لدهر أطلع في فلك المعالي شمسك، ولزمان أزهر في روض السيادة غرسك، لقد أتحفتني منك بتميمة ليس لها إلا نفس الأحرار قيمة، وأقسم بمن زين العقود على النحور، وأخجل البروق بمياسيم الحور، وصير النيرات قنائص أقلامك، والدر والياقوت معادئهما بحور كلامك، لو قدرت لصيرت لك النثرة نثراً، والشعر شعراً، فضلاً عن القريض، ولكن كيف حال المريض، فليقبل سيدي ما أنا برئ من عهده ومستفص عن عقدته، إذ هذه عجالة ارتحال مع توالي الأحوال وضيق المجال، ولولا الحرص على إرضائك والاعتماد على إغضائك ما سطرت ما إن لحظته لفظته، والله يبيحك وعلى معارج الاصطفائية يرقبك ويعلم الله وهو المطلع. إني وإن تناءيت عنك شخصاً فإن قلبي قد صار بحبك مختصاً، فليدع سيدي لأخيه لعل الله أن ينير لنا ما

أد لهم ويفرج ما أهم، وأن لا يروع سربنا، ولا يكدر شربنا، بجاه المصطفى، صلى الله عليه وسلم، هـ ما كتب.

ولعمري، وما عمري علي بهين، إن الإذعان لهذا المعجز من القول على كل بليغ لمتعين، فوالله ما أدري أي كلاميه أبلغ، وأي ثوبي براعته أسبغ، أنظامه الذي رقت ألفظه فراقته معانيه وضاقته على استحسان محاسنه طاقة الفكر لدقة مبانيه، أم نثره المزري بنثر المسك الفتيق المتلاعب بالعقول ولا كتلاعب الخمر الرحيق، ما تأملته إلا أبدى لي من محاسنه ما لم أعهد، ولا عاودته النظر إلا أشهدني ما لم أكن أشهد، كأنه روض تأنقت أزهاره، فما عسى يد الناظر منه أن تقتطف، ومن أين لها من كل ألوانه أن تختطف كلما استجاد شيئاً عاقه عن اجتنائه أجود، وكلما عاود النظر كان العود بالفائدة أعود، وبالجمله فالمنصف اللبيب لا يمتري أنه السهل الممتنع، ولا يرتاب أنه الشافي الكافي والقليل المنقنع، وما بعد العيان من بيان، وربما تشوقت نفس الأديب وتطلعت أمنية اللبيب سماع القصيدتين اللتين أوجبت ذكر ما قبلهما، وكانتا في الحقيقة أصلهما، والكلام يقود بعضه برسن بعض، ومسالكه تشعب بالطول والعرض وتتسع بالرفع والخفض، وتتمايز بالقبول والرفض، والأديب لا يمل فيها الترداد، بل لا يزال نشاطه مع الترداد يزداد، فلنذكر القصيدتين وسيهما، وذلك أني كتبت له أولاً نثراً لا بأس به، فرجع الرسول واضعاً إحدى يديه على الأخرى راضياً من الغنيمة بالإياب، محتسباً في ذهابه أجراً، فرددته إليه بقصيدة بائية للحظ في الطلب ثانية، وهي هذه⁽¹⁾:

[بسيط]

أنالك أنجد موروثاً ومكتسباً	زكاء أصل وفرع أثمر الحسباً
ماء الصبا ووقار العلم إذ مزجا	بوجهك اكتسباً نوراً به التهباً
هدى إلى بابك الآمال فيض قدا	منك سقى من نأى عنك ومن قرباً
وقد سما أملني إليك يقدمه	ظن جميل فلا ترددده مكتسباً
وجهت وجه سؤالي لك حين غدا	وجهك قبلة من في الخير قد رغبا

(1) وردت القصيدة في: البدور الضاوية 727:3 (رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب الرباط).

ما كان ظني أن الوفاء من أملِي
 حتى أتى رائدي صفرا اليدين وقد
 فعاتبتني وساوسُ الصدور ولم
 فقلتُ عودا على بدءِ فعد أملِي
 قد يخلفُ النوءُ أحيانا فيعقبه
 وللمقاديرِ أوقاتُ فربتما
 فإن يعد ثانيا من دون رغبته
 حتى أنالَ المني أو يقضي الناس من
 بأن يقولوا وحاشا الجود غاض وقد
 وإن يعد بالمني فسوف أنشر ما
 أشدو بشكركم وأسعين على
 وأودع الكتب منظوما وأنشره
 لكي يقول بني الآداب أبلغ في
 وإنني بكلا الأمرين مضطلع
 وقد وجدتُ مكان القول ذا سعة
 ومن كتابي يعودان كما ذهبا
 غدا بخفي حنين منك محتقبا
 أعبا بما فرددتُ الوفاء منقلبا
 إن الجواد إذا استوهبته وهبا
 غيث يكون لذاك النوء منتسبا
 صادفت غيثا نداه اليوم منسكبا
 فلأردنه بالرغم محتسبا
 فعلي وفعلكم في ذلك العجا
 أبلى الفتى العذر فيما فيه قد دأبا
 يملأ أسمع من يهواكم طربا
 أداء واجبهِ إخواني الأدبا
 بين الخافل أقضي منه ما وجبا
 شكر كما أكثر الإلحاح إذ طلبا
 لو مسني نصب لا أشتكي نصبا
 كما وجدتُ لسانا قائلا دربا

فلما بلغته القصيدة بعث بالكتاب ومعه جوابها من بحرهما ورويها وهو هذا:

[بسيط]

ما روضة زادها مزن قد انسكبا
 فافتت زهر اللقاح الروض من طرب
 ولا الكؤوس ولو لاحت أشعتها
 والفجر ينثر من عقد الدجا شهب
 والشمس ما رشفت من ثغره الشنبا
 كأن حمرا خد قد التهبها

على أغان غوانٍ في دجا سحر
ولا وصالٍ حبيب زار عن شحط
عندي بأحسن من شعر ينمقه
النائر الدر في طوق المهار وإن
در مقول مذهب الكتاب صولته
شمس العلوم تبدت في سما دول
وافت خليلك أبيات خجلت لها
إن صدرت هفوة من خلکم سفها
فجد بعفوك إن العفو من كرم
لم لا أنيلك ما ترجوه من أمل
وكيف أمنع من أدراك بغيته
كل يساء بما يعطيه من نشب
لا تلزمني ذنبا ساقه قدر
وبيننا ذمم ترعى شرائطها
هذا جوابي عن أبيات شعركم
لا زلت تحيي رسوما للعلا اندرست
هـ.

ومن جملة ما وصل إلينا من المكاتيب من المغرب، كتباً^(١) من صاحبنا الأريب
الأديب سيدي عثمان بن علي، ومن جملتها قصيدة له فائية أردت إثباتها هنا وهي
هذه، وقبلها نثر بليغ وهو: من ترك الجسم وهنا، واللب وهنا، وأصلى الفؤاد بنار

(١) في ط: كتابا.

البعاد، وأعرض ولم يبال، وأسلم إلى وبال، وأغاب وأطال، وأذال وصال، فلولاً
التعلل ببلقائه لم يحقن من الحب فضل دمائه، المعنى بهذا التغزل والمطلوب منه
التفضل بالتوصل، فقد طال على الكتيب أمد الهجران، وأمضه التأسف والهوان
فقال منشداً، ولبعض هب الأسى مخمداً:

[طويل]

أهاجرةً بعد الوصال لها إلفا	وغادرةً من كان أوفى لها إلفا
ومحرمة جنباً له خير مضجع	ومانعة للظلم من ظلمها رشفاً
أجاح الهوى جوانح الصب مذ صبا	إذ رام فتحا منك أتخفه حتفا
رقدت هنيئاً إذ قدرت على النوى	وجفن محب من بعادك لا يغفى
وأضمرت جعراً في الحشا ورجمته	فرجمك لا ينفي وجمرك لا يطفى
وأزمت صرماً دون عفو كأنني	فرقت من الأوزار ما عنه لا يعفى
حكيت صديقي في خلائق تقتضي	مواصلة الأحزان والبشر لا يلقى
أخالكما حسبما إن جفوئكما	تركت الهوى كلا فلم أغضض الطرفا
صدودكما أغرى الفؤاد وما سلا	بحقكما عن صد حبكما كفى
صلائي غثائي دمائي ^(١) أبقيا	فإني وإن طال الجفا أرتجي العظفا
صديقي ثدي الأنس ارضع مرضيا	به القلب مني قبل ثم ارتضي الحيفا
فاعقب أنسي بالتناسي وما درى	بأن الردى في الطرد كيف به كيفا
واشرع رمح الهجر بالصد جاهرا	وسل إلى قلبي بجفوته سيفا
فإن كان غمر عن صديقي سائلا	فذا ابن جلاء في الأوبة لا يخفى
هو العرف واعدو من عداه منكرا	وعند ذوي العرفان ما أظهر العرفا

(١) في ط: أنعشني نمامي.

أبا سالم لا زالَ دهرًا مسالما
أبا سالم أفجعتني بتخلف
أبا سالم شوقي للقياك شَفني
أبا سالم أوحشتني وتركني
أبا سالم عهدي بكم أرأف الورى
أبا سالم أخرجت صدى لودكم
فلولا المبيح للتخلف والنوى
ولكن أجبت في مُجاورة الذي
بلغت الذي تنسى الأحبة عنده
أرحت فؤادا إذ أزحت عناءه
شفيت جنانا بالحضور وطالما
ومتعت نفسا في بقاع شريفة
هنيئا لك الجوارُ بعد زيارة
أعلل نفسي والتعلل باطل
تمنى ولو أن التمنى حاصل
ولكن حسبي عن وفاق مقدر
فعندي من الأثقال ما يمنعُ السرى
ونسأل ربي⁽²⁾ أن يُمّن بتوبة
وأزكى صلاة الله معها تحية

له أبدا ولا عدتمه لي إلفا
وصيرتني ذا غربة للأسى حلفا
فهل منكم⁽¹⁾ وصلّ يزيد الذي شفا
مريضاً فهل طب بطبك يشتفى
فما لكم عدم أفضهم أجفا
صديقا وخط لا يرى يقبل الصرفا
لما صافحت كفي لكم في اللقا كفا
لإكرامه أعت محاسنه الوصفا
ويرمى بكل الأهل من أجله خلفا
بمكث لدى من كان في شدة كهفا
بغيته على شفا المهلك قد أشفى
ونزهت دون الريب في حسنهما الطرفا
لسيد كل الخلق من عدم الإلفا
وهيهات لا يُجدي لعل ولا سوفافا
أسيرُ مع الركبان يحصل لي الزلفا
وهمي في التداءب لا يقبل الكشفا
وعندي من الأوزان ما يوجب الخوفافا
تحففُ وزري علي أنزل الخيفافا
على أحمد تنهل كالمنزة الوكفافا

(1) في ط: لكم.
(2) في ط: واسأل إلا.

وأهدي سلاما وافرا ناميا إلى أبي سالم لا زال من همه يكفا

ومن لقينه بطرابلس الشيخ الفقيه المشارك النبيه سيدي محمد بن العلامة الفهامة الناسك الخاشع الجامع بين علمي الظاهر والباطن سيدي عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسمطيني، رضي الله عنه ونفعنا به، قدمها حاجا وهو أمير ركب الجزائر وقسمطينة وتلك النواحي على نهج أبيه وعادته في ذلك محافظا على سلوك سيرة والده من التؤدة والحلم والوقار، فأحبه القلوب، ومالت إليه النفوس، ولم يطلع أميرا إلا في هذه السنة، وقبل ذلك إنما كان يطلع بالركب والده، رضي الله عنه، فلما توفي قام ولده هذا مقامه في ذلك، أعانه الله وسدده، وكانت وفاته، رضي الله عنه، عشية الخميس السابع والعشرين ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وألف شهيدا بالطاعون، وكانت لنا به، رضي الله، وصلة وانتساب بالخدمة والولاء والاعتقاد الصالح لما حججت معه في سنة أربع وستين، وقد قال لي، رضي الله، عنه لما طلبت منه الاتصال بحضرته والانخراط في سلك أهل خدمته: إني أقول لك كما قال الإمام الشاذلي رضي الله عنه: لك ما لنا من الخدمة، وعليك ما علينا من الرحمة.

وكان، رضي الله عنه، في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق ومجانبة علوم أهل الرسوم بعدما كان إماما يقتدى به فيها، وله في كثير منها تأليف شهد له فيها بالتقدم أهل عصره، فألقى الله في قلبه ترك ذلك والعكوف على حضرته بالقلب والقالب والتردد إلى الحرمين الشريفين مع كبر السن، وكان يقول إذا ذكر له شيء من هذه العلوم قرأها لله وتركتها لله، وقنعت منه، رضي الله عنه، بالكلمة التي قالها لي لما علمت حاله وخشيت أن أثقل عليه وأكلفه ما لا تطيب به نفسه، فإنه، رضي الله عنه، من أهل القلوب، ومروياته، رضي الله عنه، مستوفاة في فهرسة شيخنا أبي مهدي عيسى الثعالبي، فنحن نروي عنه جميعها بواسطته، فلما لقيت ولده هذا تقربت له وانتسبت له بمعرفة والده، فوجدت عنه بعض علم بي، وقال: أما أنت الذي وصل إلي كتابك الوالد المبعوث من وادي ريغ عتده قبل موته بعام، فقلت: نعم، ورحب بي، وهش وبش وأنس، ووجدت عنده عدة من مؤلفات والده، وبعضها بيده، رضي الله عنه، فأعارها لي مدة إقامته هناك، فمنها شرحه على أرجوزة المكودي في التصريف، وهو مجلد أجاد فيه غاية الإجاد وأحسن كل الإحسان، وأعطى النقل والبحث فيه حقهما، ولم يهمل شيئا مما

يقتضيه لفظ المشروح، ومعناه ألا يكلم عليه، وأجاد كما هو شأنه في تأليفه، وأول خطبته: الحمد لله الذي أجرى تصاريف المقادير بواسطة أمثلة الأفعال، وأوضح بيان افتقارها إليه بتغير حالاتها من حركة وصحة واعتلال، ونوع أشكال عين وجودها إلى ضم الانضمام إليه وكسر الانكسار لديه، وفتح الانفتاح في مشاهدة العظمة والجلال.

ولا يخفى عليك ما اشتمل عليه هذا المطلع من براعة الافتتاح ولطيف الإشارة إلى أنواع الإعراب والتصريف، وقد فرغ من تأليف أوائل صفر من عام ثمانية وأربعين وألف، وشرحه هذا أوسع نقلاً وأكثر بحثاً وأتم تحريراً من شرح العلامة سيدي أبي عبد الله المرابط الدلائي، ولا أدري أيهما سبق إلى شرحه.

ومن تأليفه، رضي الله عنه، ديوانه في مدح النبي، صلى الله عليه وسلم، المرتب على حروف المعجم، وكتب عليه مما يمدح به عند الغمة وساعة الغياهب المدهمة، والتزم أن جعل مبدأ كل شطر حرفاً من حروف: إلهي بحق الممدوح اشفني، آمين. وجملة ذلك خمس وعشرون حرفاً، ففي كل قصيدة مثلها أبيات، فلنذكر بعضها تبركاً، فمنها في روي الهمة:

[طويل]

أبدر أبدت في الخافقين سعوده	ونورا به الأكوان أضحت تاللاً
له في العلا أعلى العلا رتبة وفي	مراقي ذوي العرفان قدما مبدأ
أضاء وجود الكائنات بعثه	وطلعت الغرا من الشمس أضوا
هو الغيث أحيا الأرض بعد مماتها	وخاتم كل الرسل ثمت مبدأ
يرى ذا لواء الحمد في الحشر إذ غدا	مكينا وفي الأهوال للخلق ملجأ
بمولده الأرض فخر على السما	وحق لها بالفخر وهو النبأ
حوى ليلة المعراج كل فضيلة	وأمم بما نعم الإمام المبرأ
قريب العين عاد بالسؤل والمني	وتوجه المولى بما هو أهنا
أتم له بالفرض أشرف خلعة	وأخدمه الأملاك والحجب توطأ

لله المعجزات الغر أسطع نورها
مكين أمين صادق القول مرتضى
مآثره محمودة فوق ما أتى
دعا فاستجاب في المعاد ادخارها
وكم له من آي كريم شهيرة
حينئذ لجذع وانقياد لدوحة
إشارة كف عندما الشمس فاخرت
شكا جمل أشكا والضب إذ لجأ
فلله كم قد حاز من معجز وكم
نبي له الجاه العظيم فمن أتى
ينادي الحمى يا من يلوذ بابنا
أيا خير خلق الله أنميت قصتي
أنلني المني من جود طولك إنني
منادي الشفا لما به الجسم مبتلى
يمين جرت من ناظم عن تيقن
نظمت وقد أهديت أبغي الرضا غدا
قافية الباء:

[طويل]

أحبتنا إني كلفت بحب من
لدى نوره الأنوار تجبو وليلا
لله العز قدما والرسالة منصب
ومنه استمدت والشواهد تكتب

أيا سيدا فاقَ النبيين كلها
هديتَ نفوسا بعدما ضل سعيها
يفوحُ ذكاء المسك من ريحك التي
بطلعتك الغراء أشرفت الدنا
حللتَ من العرفانِ كل محلة
قرأتَ سطور السر لما سرّيتَ إذ
أتاك الندى يا أفضلَ الخلق أقبِلْ
لك البقية العظمى فسلْ تعطَ وارغبْ
منحناك قربا لا لغيرك مطمع
هناك سراح الطرف متع تطولا
دنوتَ وحيدا إذ دعيتَ لحضرة
وتوجتَ يا محبوبا تاج كرامة
حظيتَ بما حليت من خلعة البها
أتيتَ كلِّم الله بعدَ تردد
شكوتَ له إذ ما وما لك دعوة
فترهت في الفردوس نفسا بهيمة
فحضتَ لهذا السر في بعض ليلة
يرومُ العدا التنقيصَ عند سماعها
أتى العيرُ بالتصديق مرأى ومخبرا
أيا مالك الأوصافِ فقت الورى فما
وبدرٌ له فوق المراتب مرتبُ
ومولدك الأسنى به القلبُ يطربُ
بما طابت الأكوانُ والريح أطيّبُ
وأضحى على الإشرak للباس مرهبُ
بذا كانت الأرسال تنبي ونخطبُ
تقدمت عن جبريل تدنى وتقربُ
فكنت كقاب القوس بل أنت أقربُ
أبجنا لك الأكوان إذ فيه ترغّبُ
إليه وأعطيناك ما أنت تطلبُ
أزلنا عن الأبصار ما كان يحجبُ
بما الأين والأثار تفنى وتذهبُ
وبالكأس من بحر المعارف تشربُ
وطوقت فرضا بالمهابة يرقبُ
إليه بتخفيف لما كان يصعبُ
بقدر الحياء والجلالة أرهبُ
وفي ملكوت الله طُرا أتقلبُ
رجعتَ من المسرى وما الليل يذهبُ
فما كان إلا والبراهين تضربُ
وفي المسجد الأقصى دليل يرتبُ
به خصك المولى من الذكر أعجبُ

معالم دين الله قد سطرت به
ينادي عليل الجسم غوثا ببابكم
فمضت بمدحي مستغيثا وطالبا
قافية اللام:

واخباء صدق والأمائل تقرب
فيشفى كما الأسقام عن ذاك تسلب
فلاحا وما في أول السطر يجلب

[طويل]

أعيني جوادا بالدموع تأسفا
لدى غصني لفح من الحب فأنمحت
أذاعت شهوّر الوجد كامن دفته
هللت النيران النوائس أضلعي
بيت من الأشواق قلبي معذبا
بناظر عيني لاح ساطع نوره
حوت قبة لم يخلق الله مثلها
قباب بها مسك يفوح لنا شذا
أتك به أخبار مضت كتب بها
لمولده الأسنى تدلت كواكب
مزايه عند الوضع جاءت شهيرة
مكارمه إذ ذاك أبدت فضائلا
دنت شرفا للهاشمي محمد
وقد صانه الرحمن من كشف سوءه
حوى الطست والإبريق أيدي ملائك

لصب نحيل الجسم زايله عقل
محاسن وجه ذاب إذا بقي الشكل
فأضحى الخيا كاسفا ضاء من قبل
فيا ليث كان الوصل وانتظم الشمل
كملدوغ رقط أو تناصله النبل
على روضة الخضراء حيث بدا الوصل
ولا شابهته الأنبياء ولا الرسل
وغرته الأنوار كلامه تجل
هواتف صدق بان من وصفها الفضل
وحفت به الأملاك وازدحم الحفل
فقد حضرته العين لما انقضى الحمل
لذا جاء مسرورا بكحل الهدى كحل
ملائكة تسعى بخدمته تعلو
توالد محتونا فليس له مثل
كما حوت المنديل من سندس تجبل

أزالوا من المنديلِ خاتم صدقه
شريف الحيا غسله قد بدا إذا
فالقوا عليه جفنة خوف أن يرى
نزيدُ بأملاك له الطرف نزهت
يجوبون أقطارا وقد كتبوا اسمه
أيا نخبه لم يخلق الله مثلها
أتيت ذليلا خائفا بابك الذي
مهلك غوث والعليلُ به التجا
يمن طبيبٌ للمصاب وأنت لي
نسائك التخليصَ من كل عاهة
قافية الياء:

[طويل]

أيا باهرَ الإشراقِ يا غاية المني
لوجهك يا بدرَ الكمالِ تألؤ
أزحت ظلامَ الشركِ بالطلعة التي
هداك صراط مستقيم من اقتفى
ينجى من العاهاتِ مُعصما به
به فازَ من قد فاز يا خير مرشد
حوى كل علم سابقا ومؤخرا
قوارعه من نظمه قدت الحشا
ومن حازَ في تشریفه الرتبة العليا
وغيثٌ به الأكرانُ إذا ما بدا تحيا
أضاءتُ كما أوليتَ من نورها هديا
مراشده استهدى وقد جانبَ الغيا
وقد جاء بالبُشرى كما يدفع الخزيا
لذا ورث الفردوس إذ ورث الوحيا
وأهدى إلى من قد يناضله العيا
فما وجدوا طعنا ولا أظهرُوا أليا

أيا من سما فوق السماواتِ والعُلا
لقد جئت يا دخري وكثري وعُدتي
حصينا من الزلات ضَارِع علة
مدحتك والتقصيرُ شأني وشيئتي
دعائي الصبا للهو حتى أقامني
ولعت بآثامي زمان شبيبي
حللت محل الجود والفضل أبغي
أغثني إذا ما الموتُ أحكم سكرتي
شفاعتك العليا أراعي بمحشري
فظني جميل فيك يا أكرم الوردى
نريدُ جوار الخلق معك وفي الدنا
يحقق آمالي ويدفع كربتي
أما والذي أحيا بك الكون إنني
ألم يك للمهدي جزاء يسره
مواهبك الفضلى طلبت لمنيتي
يمن عظيم الجود من سيح بحره
نشاب بنظم رؤية الله في غد
هـ.

ولنقتصر على هذه القصائد تبركاً بمن قيلت فيه، وبنفس هذا الشيخ المبارك،
رضي الله عنه، وبآخرها بخطه: تم بحمد الله وحسن عونه هذا المديح في المصطفى
المليح الفصيح في ليلة الجمعة وقت العشاء منها ليلة ثلاثة وعشرين من جمادى

الأخيرة من سنة إحدى وثلاثين وألف، عرفنا الله خيره وكفانا شره، بجاه رسول الله وأصحابه وأوليائه، وأسأله بجرمة المديح والجاه أن يعجل بالشفاء الذي لا سقم معه، ويتحلف بالمطلوب وما هو لي فيه مرغوب، إنه سميع مجيب، مع عقب صالح، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن تأليفه، رضي الله عنه، جزء في تحريم الدخان سماه: محدد السنان في نحر إخوان الدخان، وهو في عدة كراريس مشتمل على أجوبة عدة من الأئمة، وقد لخصنا بعضه بحسب ضيق الوقت، ولنذكر ذلك تيمima للفائدة، وهذا نص ما قيده: الحمد لله، سئل الأجهوري من علماء المالكية بالقاهرة المحمية من علماء العصر عن حكم الدخان فأجاب: الدخان المذكور ليس مسكراً قطعاً، لأن المسكر ما غيب العقل دون الحواس مع نشوة وطرب، وهذا إن سلم أنه يغيب العقل، فليس معه نشوة وطرب كما هو مشاهد، وأخبرنا به جمع كثير ممن يفيد خبرهم العلم الضروري، وإذا لم يكن من المسكر وسلمنا أنه يغيب العقل فيجري على حكم المفسد والمرقد، فيحرم على من يغيب عقله، ولا يحرم على من لا يغيب عقله، وهذا يختلف باختلاف الأمزجة وكثرة الاستعمال وقلته، لأن المفسد هو ما غيب العقل دون الحواس لا مع نشوة وطرب، والمرقد هو ما غيب العقل والحواس جميعاً. صرح أئمتنا بأنه يجوز للشخص أن يستعمل منهما القدر الذي لا يغيب العقل ولو لغير ضرورة، ومن ذكر ذلك القرافي صاحب الذخيرة، والشيخ خليل في توضيحه، وابن غازي في تكميل التقييد وغيرهم هـ.

وعليه مؤاخذات، فقول الشيخ المذكور: الدخان ليس بمسكر قطعاً يؤذن بأن علة التحريم عموماً منوطة بالإسكار حتى يصح له الاستدلال، وعليه فحذف الكبرى^(١) من المقدمتين للعلم بها، والسياق يرشد إليها، والتقدير فيها، وما ليس بمسكر فليس بحرام، وهذا غير صحيح، لأن التحريم غير خاص بما فيه الإسكار، وهو أوضح من أن يوضح ولا يعتقد في الجيب إرادته إلا أنه اقتضاه اللفظ والكلام على مقتضى الألفاظ، فإن قلت: لا نسلم أنه مقتضى العبارة إلا لو كان المحذوف المقدر ما قرئتموه، وليس كذلك لأن الثانية من المقدمتين هي ما أشعر بها قوله بعد ذلك، وإذا لم يكن من المسكر وسلمنا أنه يغيب العقل. قلت: فهم هذا من كلامه بعيد لمن وقف مع ظاهر الألفاظ التي هي قوالب المعاني وذلك لأن قوله: وهذا إن

(١) ساقط من ط.

سلم أنه يغيب العقل دليل عنده على أنه لا يغيبه بقريضة أن الشكية الداخلة على فعل سلم فإن التسليم الواقع على طريق الجدل وقوفاً مع الأدلة، وظاهر اللفظ، وإذا حكم بمقتضاه فهو عنده لا يغيب العقل ولم يتضح في المقدمة الثانية إلا ما قررناه لعدم الجامع بين المقدمتين، وهو اشتراكهما في الحد الوسط. لا يقال فعل التسليم الداخل عليه أن هو تسليم انقطاع لا تسليم جدل حتى يلزم ما ذكرتم، بل ليس عنده إلا ما ذكر من كونه مغيباً للعقل، وحيث لا يصح أن يكون قوله بعد ذلك، وإذا لم يكن مسكراً هو المقدمة الثانية لأننا نقول حمل الكلام على هذا يورث ركافة ونفوراً لسماعه لذوي الأبواب، فلا ينبغي أن يتناول لهذا الشيخ المحب مثله، وأيضاً ذكره في بيان تعليل نفي أن المسكر ما غيب العقل ينافيه إذ لو كان عنده مغيباً اقتصر في نفي الإسكار عنه على الصفة الخالصة به فقط، فإن قلت في الكلام حذف دل عليه أمراً أحدهما قوله قطعاً فهو يؤذن بأن المنفي قطعاً إنما هو الإسكار وغيره ليس محقق الانتفاء، بل هو معروض لتطرق الاحتمال، وهو كونه مغيباً للعقل^(١).

والثاني ما يفهم من قوله: وسلمنا أنه يغيب العقل، وحيث فكأنه، قال: ليس بمسكر قطعاً، وهو مغيب احتمالاً أي أن الدخان مقطوع بنفي إسكاره ومحمّل لتغيب العقل، وإذا لم يكن مسكراً وسلمنا تغيبه العقل فيجري إلخ، فيمكن إذا أن يكون نظم الدليل على هذا النمط. قلت: لا يخفى ضعفه، أما أولاً فلأن طريق أهل المناظرة أن الدعوى المسلمة في ثاني حال على طريق الجدل مرجوحة، والراجح عدم اعتبار عدمها، وإنما سلمت لإقناع الخصم وتدريبه إلى ما هو أحلى في نظره، وعلى هذا فيبطل ادعاء كون قوله: وإذا لم يكن مسكراً مقدمة. وأما ثانياً فلأنه أخلاها من دليل يدل على كونه مغيباً سلمنا كونه مقدمة ثانية فيرد عليه ما ورد أولاً من أن علة التحريم ليست منوطة بالإسكار وتغيب العقل، ولا إشعار لنفي الأخص بنفي الأعم. سلمنا ذلك فقوله: فيجري على حكم المفسد والمرقد غير صحيح، أما أولاً فلاقتضائه الشك في كونه مرقدًا، وليس كذلك لأن المرقد ما غيب العقل والحواس، وهذا لا غيبة معه للحواس بالمشاهدة. وأما ثانياً فلما فيه من مجازاة الشيء على حكم نفسه، فإن قلت: هذا غير لازم لأنه أحال على ما هو أعم من المسألة فهو أمر باق يجري في الإباحة وعدمها على ما ليس بمسكر مما

(١) في ط: للعقل.

وافقه في صفته، وإنما يلزم ما ذكر أن لو حكم فيه بحكم المفسد تعييناً ثم أجراه عليه، قلت: لا نفي عنه أن يكون مسكراً من حيث انتفاء النشوة والطرب تعين أنه سليم الحواس، وتسليمه تغييب العقل مع ذلك حكم عليه بأنه مفسد لدخوله في تعريف المفسد من الأقسام الثلاثة، فاتضح ما ذكرناه لمن أنصف واتبع الحق ولم يتعسف، ثم لجأ المجيب في صحة الصغرى بدعوى نفي الإسكار إلى دليلين الأول المشاهدة، والثاني الإخبار المفيدة العلم الضروري، وكلاهما لا ينهض حجة على ما ادعاه، أما الأول فلأن المشاهدة إنما يحكم بمقتضاها فيما هو متعلق لها، وإنما يصح ذلك إن لو كان مدلول الإسكار عربدة الساكر وممايلته ورقصه وغير ذلك مما يتعلق بالمشاهدة، وليس كذلك، وسيأتي إن شاء الله، وإنما الإسكار نشوة وطرب يتعلق أمره بالقلب، فتارة يعظم فينتشر أثره على الجوارح فيحصل معها ما ذكر، وتارة تقتصر على فرح قلبي وزهو لبي^(١)، وهذا كثيراً ما يشاهد من تناول الخمر لا يحصل منه ما يظهر على جوارحه من العربدة ونحوه، سيما بعضهم، بل لا يكون سكره إلا قاصراً على حالة الباطن، فهم في ذلك باعتبار الأشخاص والأمزجة والطبائع.

وإذا ظهر لك ما قررناه علمت بطلان ما ذكره المجيب من كون المشاهدة دليلاً على عدم السكر. فإن قلت: هذا مسلم، إلا أنا لم نشاهد من أصحابه دلالة ظاهرة على سكره ولو نادراً، ألا ترى الخمر، وإن كان لا يميل بعض الناس عياناً، فقد شاهدنا منهم من يعربد ويظهر أثرها للمشاهدة. قلت: إذا عرفت ما ذكرناه من الإسكار ظهر لك الجواب من هذا، ألا يرد فيمكن أن يكون سكر الدخان مما لا يبلغ ظهور أثره لحس المشاهدة، وإنما هو منوط بالباطن فقط، ولا يشترط في حقيقته ما يشاهد من حال بعضهم في عراييده كما أشرنا إليه قبل، وسيأتي تمامه إن شاء الله.

وأما الدليل الثاني فهو الذي يعبر عنه بالتواتر، وهو معارض بخبر من أثبت له نشوة وطرباً، وكثيراً ما سمعنا ممن تناوله أنه يجد لنفسه معه نشوة وطرباً، وأن منهم من أقلع عنه، ونبذه لذلك الحال الوجداني، ومنهم من أصر على ذلك، والعياذ بالله، ويدل لما ذكرناه من النشوة والطرب استغراق أربابه الأزمنة لشربه وتقويت ما لديهم من الأموال في جلبه، ونسيان ما سواه من منافعهم حالاً، وحالاً عند

(١) في ط: ولهو قلبي.

شربه وعدم التفاهم إلى لوم لائم وعذل عاذل، وما ذاك إلا لما استغرقوا في شربهم إياه من السرور والنشوة، وبهذا استدل الشيخ سيدي عبد الله المنوفي على أن الحشيشة ذات نشوة وطرب حسبما ذكره تلميذه الشيخ خليل رحمه الله في توضيحه، على أن الخبر الذي أراده إن كان مستنده أصحاب شربه فلا ينهض حجة لما فيه من الاتهام، وقد اعتبروا أشراط نفي الاتهام فيما اعتبر من عدد التواتر حسبما نقله الأصوليون. وذكر التفتازاني في كتاب التلويح في اشتراطهم في التواتر أن لا يمكن تواطؤهم على الكذب، أن هذا الشرط عند المحققين تفسير للكثرة، بمعنى أن الاعتبار في كثرة المخبرين بلوغهم حداً يمتنع عند العقل تواطؤهم على الكذب حتى لو أخبر جمع غير محصور بما يجوز توافقه على الكذب فيه لغرض من الأغراض لا يكون متواتراً، وأنت خير بما في تلقي ألفي السكر منهم من الغرض الفاسد الموجب الاتهام في بقائهم على ما هم عليه من تناول ما اغتبطوه، واستمرارهم عليه. فإن قلت: المقرّر عند أهل الأصول عدم اشتراط العدالة فيمن يفيد خبرهم العلم، بل حكموا بإفادته العلم ولو كانوا ذوي فسق. قلت: يفيد ذلك بما إذا لم يكونوا يخبروا بما لهم فيه أرب وبغية، وأما ما لهم فيه أرب وشهوة كهذه المسألة فلا كما تقدم قريباً. فإن قلت: ما حملت عليه كلامه يخالف ما قرره القرافي في تنقيحه حيث جعل ما مدركه الوجدانيات في فصل غير فصل التواتر، فهو مما أفاد العلم ضرورة بطريق غير طريق التواتر، وكلام الجيب يوافقه حيث قال: وأخبرنا به جمع عظيم ممن يفيد خبرهم العلم الضروري. قلت: تنقده التادلي قائلاً بعد أن ذكر تمثيل القرافي له بأخبار كل واحد منهم أنهم وجدوا الطعام الفلاني شهياً أو كرهاً أنه راجع إلى التواتر المعنوي، ثم هذا كله إن كان المعتمد في نفي الإسكار خبر من أمر بتركه وأباه ما شاهدناه من أهل بلدنا وما هم عليه فيه من التعصب الجهلي، وأما من ليس بهذه المثابة فيكفي في تضعيفه ما قررناه قبل من^(١) معارضته بقول من أثبتته. فإن قلت: ناهي الإسكار هم من الكثرة بحيث يبلغ من قبول الخمر والصدق مبلغ الضرورة ومثبته على ما زعمت أفراد فلا يعدوا خبراً لواحد فيسقط التعارض. قلت: حيث ما ثبت الإسكار ثبت التحريم، وانتفاؤه في بعض الأشخاص أو جلها لا يبيحه لما تقرّر من درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، وتقدم المحذر على المبيح، على أن خبر الواحد إذا احتفت به قرائن أفاد

(١) ساقط من ط.

العلم كما تقرر في فن الأصول، وقد قمنا ما هو قرينة لذلك، وإذا ضعف المدرك الثاني للمحب ضعفت قطعية نفي الإسكار المأخوذة في دليل إباحة شربه، وقوله: فيحرم على من يغيب عقله، ولا يحرم على من لا يغيب عقله يقتضي بحسب الظاهر أن حكم المرقد والمفسد كذلك، ولم يذكر العلماء ذلك في المفسد والمرقد، بل أطلقوا القول بتحريمه في عموم الأشخاص، نعم على ما ذكره القرافي حسبا نقله عنه وعن تابعيه يحرم ما يغيب العقل منه دون ما لا يغيب معه وعيه، فصواب العبارة: فيحرم استعمال قدر ما يغيب العقل منه ولا يحرم استعمال القدر الذي لا يغيبه، وفرق بين العبارتين لما يلزم على عبارته من جواز تناول من لا يغيب عقله القدر الذي لا يغيب العقل معه في غيره، وذلك فاسد لثبوت تغيب العقل معه في ذلك، فيحرم ولو تخلف. فإن قلت: يلزم مثله فيما إذا كان قدراً لا يغيب معه العقل لأن تلك الذات في الجملة ثبت لها التغيب فيحرم تناوله مطلقاً وهو باطل لما نص عليه العلماء من جواز تناول القدر الذي لا يغيب معه العقل كما تقدم. قلت: القدر المذكور لم يثبت له وصف التغيب قط، فهو سالم من وجوب الحظر بخلاف ما ثبت له وصف التغيب في صورة، فقد وجب فيه الحكم بالتحريم، فحيث ما وجد ذلك القدر وجب ابتعاده، ضاعته تلك الصفة أم لا. وقوله هذا يختلف باختلاف الأشخاص في تسليم منه لكونه يغيب العقل كما أشرنا إليه قبل وإقرار بعدم انضباطه في شخص معين، وقدر مبين وهو بعينه معتبر في الإسكار بدليل المخبر على إثباته فلا يكون إفادة خبر الجمع عنه نفيه ضرورة بالإطلاق، وإذا جاز إسكاره وعدم إسكاره بتعدد المحال والمقادير صح امتناع تناوله لما قدمناه من سد الذرائع المبني عليها مذهب مالك، رضي الله عنه، ولعدم تيقن أن هذا الشخص المأذون له في تناوله ممن لا يسكره، ولما ورد في الصحيح: ما أسكر كثيره فقليله حرام^(١)، إذ العلة الإسكار، وحيثما ثبت لذات وجب تحريمها، فلا فرق فيه إذن بين ما أسكر منه وغيره كما هو معلوم بين الأئمة وعلماء الأمة، وقوله: لأن المفسد، وهو ما يغيب العقل والحواس إلخ، دليل على إرادة الاحتمال الأول من الاحتمالين الذين ذكرنا، وهو ينافي فحوى كلامه من أن الدخان لا يغيب الحواس لما قرّرناه. وقوله: صرح أئمتنا بأنه يجوز للشخص إلخ، هو مع تيقن القدر الذي لا يغيب العقل، وأما مع نفي ذلك فلا، فإذا ظن الغيوبة أو شكها، فكما لو تيقنها

(١) المستدرك على الصحيحين 3: 466.

في طلب المباحة من تناوله. وقوله: ممن ذكر ذلك القرافي إلخ، من نسب إليهم سوى القرافي ليس ما ذكر قولاً لهم، وإنما هي نقلة عن القرافي بلفظه إلا أن يقال حكايتهم له عنه وتسليمهم إياه يتنزل منزلة القول به، وهي مسألة خلاف.

وكنت اطلعت أول ما فشا شربه، أعني الدخان، بهذه البلدة على جواب فيه يذكر أنه لمفتي القيروان خدم به حضرة أمير إقليمه إذ ذاك طال عهدي به، ولم آخذ فيه بالحزم حتى أحفظه أو أنسخه تهاوناً بشأن المسألة إذ ذاك لما لم أظن بصير أمر الدخان إلى ما شاهدناه^(١). ثم نقل كلاماً في تحريمه لصاحبه الأستاذ أبي عبد الله محمد السوسي المغربي المتوفى بالجزائر سنة ثلاث وعشرين بعد الألف، وبحث معه في استدلاله، ونقل ما استحضره من كلام جمال الدين مفتي القيروان وأبطله، ثم نقل أجوبة في تحريمه منظومة لبعض الفاسيين ولمفتي القسنطينة أبي محمد سعد الدين. ثم قال: فاعلم أن الكلام على اجتناب الدخان من ثلاثة أطراف من حيث ذاته، ومن حيث صفته، ومن حيث عوارضه، وقدم مقدمة في أن المؤمنين أمروا بما أمر به الرسل من أكل الطيب، وهو المستلذ، ورجحه، أو الحلال، وأن الدخان ليس بمستلذ طبعاً وليس بمباح لأنه كرهه الرائحة، والنبي مأمور باجتنب خبيث الرائحة وكريهها، وكذلك المؤمنون لأمرهم بما أمر الرسل، فعلى هذا هو مطلوب الترك إما على وجه التحريم أو الكراهة، فانتفت الإباحة والإدمان على المكروه حرام. ثم قال: الطرف الأول في اجتنابه من حيث ذاته، لنا عليه أدلة أحدها أن نقول: الدخان خبيث الرائحة، وكل ما كان كذلك فالشرع طلب اجتنابه ببيان الصغرى واضح لذي طبع سليم، وبيان الكبرى ما في المقدمة من أن المراد بالطيب الحلال أو المستلذ به أمر الرسل وأمر المؤمنون بما أمر به الرسل، ولا شك أن النبي مأمور باجتنب كرهه الرائحة ولا يحسن بمسلم أن يحب ما يكرهه الرسول إلى أن قال: ولا يخطر ببال من يألف جنس الدخان من الطبائع في الحيوان البهيمي فضلاً عن أرباب الأبواب حتى أن النحل تترك ما كابدت عناءه لأجله، ثم ذكر وقعة الجراد الوارد في سنة ثلاث وعشرين وأربع وخمسين حتى عم الأفق كثرت وأجذب السهل والجبل وطأته حتى كان قنطرة على الوادي يجوز الناس على متنه ويرمى بأضخم حجر فيمسكه متنه عن الوادي، وتغير منه ماء الوادي ما يزيد على شهر، وصار كالقطران ولا يشرب، ففقد الماء وغلا، واستعانوا على تنفيرها بالدخان،

(١) في ط: شاهدته.

وذلك حين اشتهار أمر هذا الدخان، وكأن الله عاقبهم عليه بهذا الجراد ونبههم بنفورها منه، وهم لا يبصرون. ثم قال: حيثما تقرر للدلائل طلب اجتنابه تعين أنه غير مباح فدأبه بين التحريم والكراهة، وقد قيل بالقولين في الثوم ونحوه، لأنَّ التحريم لأهل الظاهر. ثم ذكر أن المستلد في الآية لا يمكن أن يفسر بحساب طبائع جميع الناس، فوجب اعتبار طبائع العرب الذين بعث فيهم الرسل وكل ما يستطيعه العرب فهو حلال، والمحرم الخبيث لا يستطاب عند الشافعي. وأما الطرف الثاني فأدلته أن الدخان نار، والنار يجب اجتنابها لباطن الجسد، فالدخان يجب اجتنابه لباطن الجسد، أما أنه نار فلأن حقيقته على ما قال الأطباء أجزاء هوائية ممتزجة بأجزاء نارية، وذكر رؤيا، وهي أن رجلا كان يشربه فرآه الشيخ في النوم في دار يكثر التردد إليها ولامه على الدخان. قال: وقلت له: إنه يثقل اللسان عند الموت عند ذكر الشهادة، ولم أطلع على من وصفه بذلك، ففضى الله بعد ذلك أن وقع للرجل سبب أوجب كثرة دخوله لتلك الدار فظهر تصديق الرؤيا هـ. ما قيدت منه مستعجلاً، وقد كثر خوض المتأخرين من علماء هذا القرن في أمر هذا الدخان بين مباح ومحرم، والأكثر على التحريم منهم علامة زمانه الشيخ إبراهيم اللقاني وشيخه المحقق الشيخ سالم السنهوري⁽¹⁾، ومن ألف في إباحته الشيخ أبو الحسن الأجهوري، وكلامه هو الذي رده الشيخ الفكون. ومنه الشيخ أحمد بابا التنبكتوي السوداني⁽²⁾، وقد أخبرنا شيخنا سيدي أبو بكر السجستاني، رضي الله عنه، أنه راجعه في كثير من أدلته التي استدل بها على إباحته، فلم يجد عنده تحقيقاً أيضاً. قال: وقصارى ما قال لي إنها ليست من أخلاق الصالحين، وقصدنا تنفير الناس عنها. قال لنا شيخنا المذكور: قد رأيت في شأنها نحواً من ثلاثين تأليفاً بين محلل ومحرم، ولا أرتضي شيئاً منها، وكان، رضي الله عنه، يقول: مذهبي فيها التوقف وعدم الجزم فيها بتحريم أو تحليل، لأن إحداهما حكم من أحكام الشرع في نازلة من دون برهان واضح من البلاء العظيم الموقع في الدين شديداً أمره، ومن أظلم ممن قال إن الله حرم هذا أو أحله بدون نص من الشارع، أو قياس مقبول مسموع جار على أصول الشرع وقواعده، إلا أنه كان يجزم بوجوب تركه من

(1) سالم بن محمد السنهوري، مفتي المالكية بمصر، توفي سنة 1015 هـ: شجرة النور الزكية 418:1.
(2) أحمد بابا التنبكتوي السوداني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر، من فقهاء المالكية الكبار، له عدة تأليف منها شرحه على المختصر ونيل الابتهاج بتطريز الديباج الذي ذيل به ديباج ابن فرحون، واختصر شرح صغرى السنوسي وغير ذلك، توفي عام 1035 هـ: روضة الآس، ص: 303. النقاط الدرر، ص: 87. صفوة من انتشر، ص: 114.

جهة أخرى وهو أنه مجهول الحكم، ولا يجوز لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، وهذا الأمر قد جهلنا حكم الله فيه في هذا الوقت وإلى الآن لم يتضح فيه شيء يثلج له الصدر ويبين فيه الأمر، وقال لي، رضي الله عنه، وقد رأيت قصيدة في تحليلها للعشابي الدرعي تزيد على مئين من الأبيات، قال: وقد عارضتها بمثلها وكتبت في آخرها ما معناه: لست ممن يذهب في هذا إلى التحريم ولا إلى التحليل، وإنما أردت أن يعلم الناظر في القاصدين أن كل واحد منا يتكلم بهوى نفسه وليس على يقين فيما يقول. وقال لنا رضي الله عنه: وأبلغ واعظ رأيته في شأنها يدل على تحريمها، لو كنت ممن يعتمد المرائي وأشباهها في التحليل والتحريم، وذلك أني كنت بدرعة أول ما ظهرت هذه العشبة وأنا حديث السن في أوائل الاشتغال بالطلب، بينما نحن ذات ليلة والطلبة مجتمعين في ليلة خميس كما هو شأنهم في ليالي تعطيل القراءة، فأتى بعضهم بهذا الدخان فتناولوه فيما بينهم على أن جاءت إلي فتناولتها وأخذت منها نفساً أو نفسين، فلما نمت جاءني في عالم نومي رجلان بيدهما حرب من حرب السودان، وما كنت رأيتهما قبل ذلك، فأخذ يضرباني ويعذباني ويقولان لي لم تناولت الدخان وأنا أعذر لهما وأقول لا علم لي بشأنها، ولم يقبل عذري وعذباني عذاباً شديداً حتى استيقظت ووجدت أثر الضرب في جسدي ظاهراً أتألم منه ألماً شديداً، وبقيت مريضاً من أجل ذلك نحواً من سبعة أشهر. قال لنا رضي الله عنه: وأنا لا أشك في صدق الرؤيا، ومع ذلك فأنا متوقف عن الحكم بالتحريم لما في الحكم من الخطر، ولم أخبر شيخنا اللقاني بهذه الرؤيا خشية أن يعتمدها في التحريم هـ. ما ذكر لنا شيخنا وغالبه بمعناه.

قلت: والذي أرتضيه ما ذكره شيخنا هذا، رضي الله عنه، من الوقف، مع الميل القوي إلى التحريم، وغالب المتورعين من الفقهاء ومعهم جميع الصوفية أرباب القلوب^(١) الصافية يصرحون بالتحريم، والذي أعتقد أن الفقهاء إذا اختلفوا في حكم وكانت الصوفية في جانب واحد، فالحق معهم لأن الله يؤيدهم، وهوى النفوس معقود منهم فلا ينطقون إلا عن حق وصواب. وقد سألت شيخنا الملا إبراهيم بن حسن الكردي ثم المدني عن قول شيخنا قطب زمانه الجامع بين العلمين، صفي الدين القشاشي، رضي الله عنه، في شأن هذا الدخان فقال لي: سمعناه مراراً يقول بكراهته ولا يبلغ فيه التحريم، وعامة فقهاء المشرق متساهلون

(١) في ط: البصائر.

فيه، فضلاً عن عوامهم، وقد رأينا كثيراً ممن يستعمله في المساجد ولا يتحرّجون، وهذا أمر شنيع لا ينبغي أن يختلف في امتناعه لكراهة رائحته وخبثها ومنافاة تعاطيعا للتعظيم والوقار المطلوبين في المساجد، حتى إنه يحرم كل ما يخل بتعظيمها ويقتضي إهانتها حتى الثوم والبصل، مع الاتفاق على إباحتهما، ولو اضطر إليهما الأكل لدواء، إلا أن أهل المشرق في الغالب مخلون بتعظيم المساجد يأكلون فيها ويشربون ويحلقون رؤوسهم وينامون. وأما شيخنا علامة الوقت أبو محمد عبد القادر الفاسي، رضي الله عنه، فطريقه فيه كنعو طريق شيخنا السكتاني وأشد منه فإنه يميل كثيراً إلى التحريم ويصوب أدلة قائله ويرجحها ما أمكن، ومع ذلك لا يصرح بالتحريم إلا أنه يبالغ في التنفير منه والتقبيح لشأنه، وذلك رأي شيخه وعمه العارف بالله تعالى سيدي عبد الرحمن الفاسي رضي الله عنه. قلت: وأحسن سؤال وجواب رأيت في شأنها سؤال العلامة سيدي العربي الفاسي^(١) وجواب عمه العارف بالله سيدي عبد الرحمن، فقد بالغ السائل في السؤال وحقق المناط في ذلك حتى أنه لو وقع عليه جواب مطابق لجميع فصوله لاتفصلت القضية، وجواب عمه فيه بعض اختصار غير مناسب لإطناء السائل مع ما فيه من التحقيق، وهو مائل إلى التحريم، ولولا الإطالة لكتبناهما معا تميماً للفائدة، وفي الإشارة ما يغني الllib عن إطالة العبارة.

(١) العربي بن أحمد بن علي الفاسي، فقيه مشارك، توفي عام 1096 هـ: النقاط الدرر، ص: 232.

ذكر ارتحالنا من مدينة طرابلس (أمنها الله)^(١)

كان ارتحالنا منها بعد ارتحال الأركاب كلها، المشرقية والمغربية، يوم الاثنين الخامس من شعبان، وافترق الركب من هناك، وذهبت طائفة منهم مع الحاج محمد نين، والطائفة الأخرى مع الحاج محمد بن عمران والحاج محمد بن مؤمن، وهم جل الركب، وشيعنا من هناك صاحبنا سيدي محمد بن أحمد بن عيسى اليربوعي، وصاحبنا أبو راوي، وجماعة من الطلبة إلى زترو، ودخلنا المدرسة التي هناك ووجدنا بها صاحبنا الناسك الخاشع سيدي محمد بن بلقاسم الغرياني، وتلقانا الطلبة بالترحيب، وأطعمونا، وهذه المدرسة أحسن المدارس التي في تلك السواحل، وقد زرنا على بابها قبر رجل من الصالحين قريب العهد، أظن أنهم ذكروا أنه يعرف بالعرفي^(٢)، وأخبرني من أثق به بحكاية وقعت لبعض الناس مع صاحب هذا القبر في شأن الدخان تدل على قبحه وخبثه، وذلك أنه كان عند قبره زيتونة كان يجلس إليها في حياته، فجاء رجل بعد موته فجلس في ذلك المحل وشرب فيه الدخان، وكان من أكابر البلد، فلما نام في الليل جاءه ووقف عليه وضربه على رأسه فقال له: يا فلان، مكان كنت أجلس إليه فجئت إليه فنجسته، فأصبح الرجل أعمى. أخبرني بذلك من أخبره الأعمى، وبات الركب هناك قريبا من زترو، وبات معنا أصحابنا، وفي الغد ارتحلنا ومررنا ضحى بقرية هناك قريبا من الزاوية الغربية فيها رجل من الصالحين يزهد، وكل من جاءه ضربه بين كتفيه ثلاث ضربات ودعا له، وأخبروني أنه كان هناك رجل من الصالحين قبله يفعل مثل ذلك، وكان هذا غير معروف، فلما مات أصبح هذا الرجل يفعل مثل ذلك، ونزلنا ذلك اليوم بالزاوية الغربية، وكان قد تقدم إليها صاحبنا الحاج عبد الرحمن غريط المكناسي وله عند أهلها مزية عظيمة، ويعتقدون فيه اعتقادا كبيرا، ويرون أنه من أهل التصريف، فكل من له حاجة طلبها منه وأتاه بصدقة، ولا يذهب عنه إلا وهو يعتقد أنه قد ظفر بحاجته، وربما قضيت حاجة بعضهم، وربما اتفق له

(١) ساقط من ط.

(٢) ترجم له صاحب الصفوة تحت اسم: مجهول نقلا عن الرحلة العياشية: صفوة من انتشر، ص: 287.

الأخبار بشيء فيقع كما أخبر، وهو رجل عامي نعلم طويته وعلايته، خال من كل ما يتوهمون فيه، وإنما أعانهم على ذلك حسن اعتقادهم وبركة إخلاصهم، فأضافوا الركب تلك الليلة ضيافة كبيرة يتقربون بذلك إلى مرضاة الشيخ عبد الرحمن، وفي الغد ارتحلنا ومررنا قبل الزوال بقرب ولي الله تعالى سيدي راشد الكاليلي، وتوثر عنه كرامات كثيرة، ونزلنا قريبا منه، وزرناه من هناك، ودعانا صاحبنا سيدي محمد بن أحمد بن عيسى اليربوعي ورفيقه سيدي أبو قطاية من نسبه، ولم نبت إلى مقابلة زواغة، وفي الغد نزلنا الزاوية الشرقية بعد المغرب، ومنها إلى برج الملح، ومنه إلى قرب السواني، ثم مررنا بالسواني في المكان المسمى ابن كردان قرب الزوال، ونزلنا دون حاسي السلطان، ثم نزلنا بينه وبين واد السمار، ثم نزلنا قرب عرام، ثم زريق، واجتمعت بصاحبنا سيدي محمد الصالح سيدي عبد الله بن عبد العزيز المحروني، وأدخلني إلى محل تعبّد والده، وبتنا هناك عنده، وأضافنا وأجزل القرى جهده، ووجدنا عنده جملة من الكتب، ومن جملتها مختصر معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان، وقد ذكر البلوي في رحلته أنه لقي صاحب التأليف وأثنى عليه وعلى تأليفه هذا، ولأجل اغتباطي بهذا الكتاب سهرت عليه معظم الليل وطالعت جُلّه في تلك الليلة، وقد ذكر فيه خبر القبر المنسوب إلى أبي لبابة، رضي الله عنه، في مدينة قابس، وقد فحصت عن خبره كثيرا ولم أجد من ذكره إلا ابن ناجي في هذا الكتاب، فقد أطل في خبره وذكر أن قبره مما تواتر عند أهل بلده، وذكر أن شيخه البرزلي، رضي الله عنه، قال له مثل ذلك، وأن تواتره دليل على صحة ذلك، وذكر أن من لم يذكره ممن ألف في أسماء الصحابة وأمكنة وفياهم، فلائه لم يبلغه العلم به والتواتر المذكور مقدم على ذلك، وكاف في إثبات أن ذلك قبره، وكنت قبل ذلك ربما لحقني فتور في العزم عند زيارته لاستبعاد ذلك من غير أن يكون منصوفا عليه، فلما رأيت ما في هذا الكتاب زال ما بقلبي من ذلك وقويت نيتي في زيارته، رضي الله عنه، وقد بنى عليه أمير تونس حمودا بنيانا عظيما أثابه الله على قصده الجميل، ومما نقلته من هذا الكتاب أنه لما فشت البدعة بخلق القرآن بالقيروان شكوا ذلك إلى سحنون فقال لهم: لا يروعنكم ذلك فإن الله تعالى إذا أراد قطع بدعة أظهرها وأفسأها، فكان الأمر كذلك هـ بالمعنى.

ثم ارتحلنا من هناك ونزلنا مدينة قابس ضحى ونزلنا بأبي لبابة، رضي الله عنه، واجتمعت بقاضي البلد سيدي عيسى بن علي العبدى الدكالي المغربي، وهش وبش وبالع في الإيناس ولاطف جهده، وله وجاهة تامة في البلد وعند أميرها، تربي على علمه بأضعاف مضاعفة وليس عنده من التحصيل في فن من الفنون ما يستحق به أدنى من تلك الخطوة، ولا بدع في ذلك فإن البلد شاغرة من العلوم، وسألته عن قراءته وأشياخه وعمن أخذ فلم أجد عنده ما يغط فيه، وأخبر أن قراءته إنما كانت بتونس، وأنه قدم من المغرب وهو صغير.

وفي الغد ارتحلنا وشيعنا القاضي إلى الحامة، وبتنا بها عند رجل من أهل الخير يقال له سيدي أبو القاسم السويدي وعنده رجل من أهل الخير اسمه سيدي مصطفى كان أصله علجا فأسلم وأتاب إلى الله في كبره، وإسلامه قصة، وظهرت عليه سيما الخير من الاجتهاد في العبادة والزهد في الدنيا والرضا بالدون بعدما كان فيه من النعمة ومخالطة الأمراء، ثم انضاف إلى سيدي أبي القاسم المذكور يتعلم منه دينه، وبالجملية فهما رجلان من أهل الخير فيما يظهر، وقرأ على القاضي في تلك الليلة أحاديث من البخاري وغيره، واستجازني فأجزته، ومن هناك ذهب طائفة من أصحابنا إلى الحاج مراد بي ولد حموداً، وهو أمير تلك البلاد، وكان بقفصة، فقصدته الحجاج في سرقة سرقت لهم في عمالته أيام طلوعهم فلم ينجح سعيهم عنده ولا ظفروا بما قصدوا من عنده، ثم ارتحلنا من الحامة وكان نزول الركب بعدما قطعوا^(١) الوادي، ولم نبت تلك الليلة إلى نيس الذيب عند شارية سيدي جمال بن سيدي حامد، وتطلبت في الوادي قبل النباش معدن الزجاج الحبري، وكنت عهدته فيه قبل هذا بأزمان فلم أجده لكثرة الأمطار في هذه السنة، وفي الغد نزلنا قصر الرمان، وفي الغد مررنا بزاوية سيدي حامد، ولم نبت إلى زاوية الرمل، ومنها قطعنا السبخة الكبيرة التي لا نظير لها إلى زاوية سيدي أبي هلال السوداني، وتقدّمت أمام الركب في طائفة من الحجاج، ونزلنا البلد ظهراً وقيلنا في النخيل إلى أن صلينا الظهر، فطلعنا إلى زاوية الشيخ سيدي أبي هلال في سند الجبل وعليه مشهد وعنده مسجد وثيق وحوله أبنية ليس فيها ساكن، وقبور كثيرة ربما ترى الأموات في بعضها عليهم أكفان لم يتغير منهم شيء، ومن لم يعهد مثل ذلك من الحجاج في بلاد المشرق من وضع الأموات في بيوت فيطير عليهم

(١) في ط: قطع.

ربما زعموا أن ذلك كرامة ومنقبة لأولئك الأموات فيتبركون بهم، وقد جلسنا هناك هنيئة وطفنا في تلك الأماكن، ثم رجعنا ووجدنا الركب قد نزل خارج الزاوية، وبتنا هنالك تلك الليلة.

ولما ارتحلنا من زاوية أبي هلال مررنا ببلدة دقيوس وهي من أكبر بلدان تلك الناحية، وفيها مأذنة كبيرة، وفي الجبل الذي فوقها غار يسمى غار أهل الكهف، وكأنهم تلمحوا ذلك من كون البلد يسمى بلد دقيوس، وقد استفاض على السنة الحجاج وعامة أهل البلد أن أهل الكهف في ذلك الغار، وأخبرني بعض الأصحاب من أهل ذلك البلد ممن يعتقد طريق القوم أن كثيراً من الصالحين يذكر أنهم في الغار، وذكر لي صاحبنا أحمد بن عبد الإله عن سيدي محمد بلقاسم الجمني أنه ذهب مع بعض الصالحين من أهل جنة إلى فم الكهف ودخل فخرج منتقعا لونه، وذكر أنه وجدهم هناك ورأى منهم عجبا، ولم يقض لي الوصول إليه لضيق الوقت، ولم أرَ من المفسرين من ذكر أنهم في هذا المحل، وقد ذكر المفسرون أماكن متعددة فمنهم من ذكره في الشام، وقيل بالعراق، وقيل بالأندلس، وذكرت أماكن آخر في المغرب.

لطيفة:

ذكر لي بعض الفقراء عن بعض المتفهمة أنه قال له: إن من زعم أنه رأى أهل الكهف أو دخل عليهم في غارهم وشاهدتهم فقد كذب لأن الله تعالى قال لنبيه، صلى الله عليه وسلم: (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا)⁽¹⁾، فإذا كان، صلى الله عليه وسلم، يفر منهم ويمتلئ رعبا فكيف بغيره من الخلق. قلت: وهذا الذي ذكره ربما يستحسنه من لم يتمدن بأساليب البلاغة ويقف مع ظواهر الألفاظ، والحق وراء ذلك إن شاء الله تعالى، فقوله تعالى: (لو اطلعت عليهم)⁽²⁾، الآية، تهويل لشأنهم وتعجيب من حالهم وتصوير له في حال مهولة مفرعة موحشة من شأنها أن يفر منها الرائي ويمتلئ رعبا، على أنا لا نسلم أن الخطاب في قوله تعالى: (لو اطلعت) للنبي، صلى الله عليه وسلم، بل هو

(1) الكهف: 18.

(2) الكهف: 18.

خطاب عام لكل مطلع من شأنه ذلك كقوله تعالى: (ولو ترى إذ وقفوا على النار)^(١)، ولو ترى يا من تصح منه الرؤية، فكيف يظن عاقل عالم بجلال النبوة وكمال الرسالة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يفر ويرعب من رؤية أشخاص رقود أو أموات في محل موحش، كيف وهو ثابت الجأش رابط القلب تام العقل كامل الإدراك، قد شاهد من ملكوت السماوات والأرض ما لم يشاهده غيره، ورأى من عجائب مخلوقات الله ما لم يره أحد، وعاین الجنة والنار وجبريل على صورته، بل رأى ربه على أصح الأقوال، ولقد رأى من آيات ربه الكبرى، وما زاغ البصر منه عليه السلام، وما طغى، ولقد بعثه الله تعالى إلى جميع الثقيلين ودعا جميعهم إلى الله، وكابد كل من خالف أمر الله، وبارزه بالعداوة ودفع إلى مضايق الأمور، وبارزه بالعداوة عظماء الإنس وعفاريت الجن، فكم من ظالم غشوم رام الفتك به، وكم من عفریت نفريت من مرده الجن تفلت عليه ليقطع عله صلاته، فما رغب لذلك ولا جزع، فكيف يفرع من رؤية أشخاص رقود في مكان موحش هذا أبعد منه بكثير.

ثم وصلنا إلى توزر ضحى يوم الأربعاء الواحد والعشرين من شعبان وبها وجدنا التجار الذين قاموا من تونس وبعض أهل جربة أرادوا أن يسافروا مع الحاج إلى المغرب، ولقيت صاحبنا سيدي سحراوي، وكان حج معنا وقدم قبلنا مع ركب أهل الجزائر، وهو رجل من أهل الخير صاحب وتلمذ لبعض أصحاب سيدي أحمد الدباسي، وكان أصله من عرب تلك الناحية، وسكن بعض أرباط توزر، وكان حج ماشيا حافيا، وذهب معنا لزيارة القدس والخليل عليه السلام، وقد جاء إلينا بعد نزولنا خارج توزر، وأحسن إلينا ودخلنا ذلك اليوم إلى المدينة القديمة، وهي خالية، وزرنا قبر الإمام الشقراطيسي^(٢) وولده، وزرنا خلوة الإمام أبي الفضل بن النحوي رضي الله عنه، وهي بجانب المسجد، وزرنا مشاهد أخرى غير ذلك.

ومدينة توزر مدينة حسنة غزيرة المياه كثيرة الأجنة والنخيل، ينساب فيها وادي كبير، منبعه من غريبها، وأعرابها أهل يادية مخصبة، فیرخص فيها غالبا سعر اللحم والسمن، وأما التمر فيها فرخيص جدا، ولقيت من طلبة البلد سيدي أحمد

(١) الأنعام: 27.

(٢) في ط: السرقسطي.

المولى، ولا بأس به، وسأل عن عدة مسائل فقهية، وبحث بحث مستفيد عالم بقواعد البحث، ودخلت إلى خزانة سيدي أحمد الدباسي عند حفيده سيدي يدين، ووجدت فيها عدة كتب منها السفر الثاني من كتاب الوجيز للشيخ عبد الغفار بن نوح، وهو كتاب نفيس جدا غية في بابيه، وكان في ملكي السفر الأول وطال بحثي عن الثاني فلم أراه إلا في هذه الخزانة، ولأجل اغتباطي به طالعت جلها في هذه المدة، ولما كان يوم الجمعة ذهبت مع صاحبنا سيدي سحرأواني⁽¹⁾ إلى مدينة نفطة⁽²⁾ لزيارة سيدي أبي علي النفطي نفعا الله به، وهو من أكابر الصالحين من أصحاب أبي الفضل البسكري مذكور في كتاب التشوف⁽³⁾، وسمعت من بعض الفقهاء أن سيدي بوهلال السراي معاصره، وبلغنا إلى نفطة قبل الظهر وبينها وبين توزر ثمانية عشر ميلا، وزرنا ذلك اليوم وجلسنا هناك حتى صلينا الظهر، ووجدت هناك سفرا من شرح الشقراطيسية لابن المصري، وهو كتاب ممتع غاية، طالعت بعضه في تلك الهنيئة وقيدت منه، ورجعنا في ذلك اليوم ووصلنا إلى توزر بعد المغرب، ولم نصل إلى الركب، وبتنا في منزل صاحبنا سيدي سحرأواني⁽⁴⁾، وأجزل القرى، وأقمنا بتوزر إلى يوم الأحد ينتظر الركب أصحابهم الزاهبين إلى قفصة، ولم يصلوا إلا في يوم رحيلنا، وجاعت الإبل في ذلك البلد غاية، وأكثر ما يطعمهم أربابها أغصان الزيتون يشترونها من أهل البلد.

ومن لقيت بتوزر صاحبنا سيدي أحمد بن عبد العاطي، وهو من أصحاب شيخنا سيدي محمد بن ناصر، وأدخلني إلى داره وأضافنا وأراني عقد حبس عتيق عنده بخط الإمام ابن مرزوق وتاريخه سنة كذا وعشرين وثمانمائة، وفيه خط الإمام العقباني رضي الله عنهما، وقد أعطاني نحواً من صاع من تمر ذلك الجنان المحبس، فقلت آخذه على وجه البركة، وبقي عندي إلى أن دخل شهر رمضان، وكنت أفطر منه كل يوم بتمرات تبركاً بالحلل، وأي حلل يوجد اليوم أحسن من ملك بقي صاحبه نحو الثلاثمائة سنة، وشهد فيه الأئمة الأعلام بصحة الملك.

(1) في ط: سحرأواني.

(2) نفطة: مدينة بإفريقية، من أعمال الزاب الكبير، وبين نفطة ومدينة توزر مرحلة، وإلى مدينة نفزاوة مرحلة، وبينها وبين قفصة مرحلتان: معجم البلدان: نفطة.

(3) قال التالبي: أبو المن ابن المصري النفطي، من أهل نفطة من بلد إفريقية، من أهل المعرفة والإقبال على الله: التشوف، ص: 433 - 434.

(4) في ط: سحرأواني.

ثم في يوم رحيلنا دخلت إلى البلد القلم أيضا وزرت الإمام الشقراطي سي مرة أخرى، وزرنا سيدي علي بن عمران تلميذ سيدي أبي علي النفطي، ومقام ابن النحوي وجماعة من الصالحين، ودخلت المسجد القلم ورأيت في محرابه منقوشا ما هذا صورته: نقشت هذه القبلة سنة كذا وتسعين وخمسمائة.

ومن زرناه أيضا قبر ولي الله سيدي أحمد الدباسي وله كرامات كثيرة ومقامات عليّة، وعليه تخرج العارف بالله محي الطريقة بالبلاد الشرقية سيدي علي بن ميمون الحسيني الإدريسي الفاسي الأصل، وأكثر أتباعه، وانتشرت تآليفه في بلاد الشام ومصر والروم نفعا الله به، ثم ارتحلنا من مدينة توزر يوم الأحد وبدا الركب في المرور بمدينة نفطة بعدما كانوا عزموا على سلوك الطريق اليمنى على الحامة، وهي المعهودة للآركاب لاتصال عمراتها، وفي هذه السنة مررنا بنفطة وزرنا الشيخ أبا علي مرة أخرى ذلك اليوم، ولم نبت إلى حاسي السلطان، ولقينا أهل نفطة قد بيتوا الجراد، وقد بقيت في البلاد بقية جوع، وكان بها جوع في الزمن الماضي، ونفطة مدينة كبيرة أيضا قريبة من توزر ولها واد مثل واديهما يقال إن خراجها مثل ثلثي خراج توزر. ثم ارتحلنا من حاسي السلطان ولم نبت إلى قرب الكلاية، ثم وردناها ضحى يوم الثلاثاء بعدما داخ عنها الدليل وتحير الناس فلم يهتدوا إليها إلا بمشقة، ووجدناها مردومة، ونزل الناس عليها وجهروا وأقاموا عليها بقية يومهم في أرغد عيش على الماء والمرعى، والله المعين. وبات الجراد بإزاء الركب في الكلاية وسرى إليه طائفة من الحجاج فأخذوا منه ما استعانوا به في زادهم تلك المدة، وكان الجراد في إبان ولادته بيوضا وارتحل الناس من الكلاية، ونزلنا الرقيق وهي أحساء مُتَعَدِّدة وماؤها صافٍ، وهو مثل الذي قبله، ثم ارتحلنا ونزلنا قرب الأعرج، وفي ذلك اليوم خرجنا من الرمل إلى أرض صحيحة وجئنا إلى زريبة حامد ووجدنا عليها عرب نميلة، وأولا سيدي المبارك بن ناجي، ولقيت هناك أخا الشريف المجذوب صاحبنا، وهو أشبه الناس به، وأخبرني بموته رحمه الله، وكان رحمه الله^(١) من أفضل من رأيته من المجاذيب، وله حال أقوى فيما أظن، لقيته سنة أربع وستين وسنة خمس وستين في ذلك البلد، وهو ينتمي إلى سيدي محمد بن بو علي البسكري رضي الله عنه. ولقيت هناك أيضا صاحبنا سيدي عبد الله بن محمد بن المبارك ومعه جماعة من إخوانه وبني عمه، وكانوا يرتقبون قلوبنا منذ

(١) في ط: وهو.

أيام، وفي ذلك اليوم أيسوا منا وراحوا آخر ذلك اليوم إلى الخنفة وهي بلدهم، فلما رأوا أعلام الركب تحقق جاؤوا وباتوا معنا وأضافونا ضيافة حسنة، وبعث إلى والده، وقدم صباحاً، وتبركنا به، وسألوا عن مسائل من أمر دينهم وهم أهل خير وبركة لهم رغبة في العلم وتعلمه، إلا أنهم في بلاد قل فيها أهل التحصيل، وأبلغتهم سلام شيخنا أبي مهدي، رضي الله عنه، وكانت بينه وبينهم ألفة قديمة ومودة أكيدة حياة عمهم الأكبر سيدي التواتي بن ناجي، وكان من العلماء العاملين، فلما توفي حصلت بينهم جفوة سببها منهم، ولم يحتمل لهم ذلك، وذلك أن شيخنا لما خرج من الجزائر وتقلب في البلاد آوى آخرها إلى سيدي التواتي وقام بحقه وألف به وبقي معه إلى أن طرق الوباء تلك الناحية في حدود الستين وألف، وفر غالب من كان مع الشيخ التواتي، وبقي معه الشيخ أبو مهدي صابراً محتسباً إلى أن طعن الشيخ التواتي، فقام أبو مهدي بأمره إلى أن توفي ودفنه وفرغ من تجهيزه، فجاء إلى إخوانه الذين في بلدهم بالخنفة، وكانت له عليهم آلة، ورأى أنه قد امتن عليهم وأسدى إليهم معروفا بما فعله مع كبيرهم وأخيه، فلما رأوه تنكروا له وتجافوا عنه خشية العدوى فيما زعموا، فأنف هو من ذلك وذهب مغاضباً لهم، وترك كتبه هناك عندهم وقال لي: لا أبعث إليها أبداً إلا أن يبعثوها من عند أنفسهم، وقد تعللوا أنهم لم يجدوا أميناً يبعثونها معه، وقالوا لي: لو مررت بنا لبعثناها معك، ولا عذر لهم في ذلك. ومن جملة ما سألونا عنه أنا وجدناهم متحيرين في أمرهم لطروق الوباء في نواحيهم، وتخوفوا أن يدهمهم في بلدهم وعزموا على الفرار وسألوا هل يسوغ لهم ذلك قبل وصوله إليهم أو لا يسوغ إذ كان القصد الفرار منه ولو لم يطرق البلد فتوقفت في ذلك إذ لم أر نصاً، وقلت لهم: مقتضى قول من علل حرمة الفرار لما يؤدي إليه من ضياع المرضى وعدم القيام بأمرهم الذي هو واجب أن ذلك يجوز قبل وصول الوباء إلى البلد، ومقتضى قول من علل بأنه شك في المقدور وعدم ثقة بالله أنه لا يجوز، وربما رخصت لهم في الخروج وقوفاً مع ظاهر لفظ الحديث، ثم بعد ذلك رأيت الإمام الخطاب في كتاب الطواعن جعله محل نظر ورجح الجواز، والله أعلم.

ثم ارتحلنا من ذلك المكان أول يوم من رمضان يوم السبت ومررنا بزريرة الوادي ضحى ولم نبت إلى المنصف، وهو نصف الطريق بين الزاب وسيدي عقبة، ووجدنا المنصف نزلتين لأولاد صولة قد نزلوه ذلك اليوم، وكانوا أغاروا على نزلة

لبعض الأشراف وأخذوهم. وفي الغد جئنا لبلد سيدي عقبة وتحققنا الوباء فيه، وفي البلاد التي في أطرافه وفي بسكرة، ولم ندخل لزيارته وبتنا بينه وبين بسكرة، ولقينا في ذلك اليوم نزلة الأشراف الذين أخذوهم أولاد صولة رجالاً ونساء راحلين وعليهم أثر الجوع باد، وفتتوا أكبادنا وهم قوم من الأشراف صح نسبهم واشتهر بين الحاضر والباد من أهل تلك النواحي، وأخبرني بصحة نسبهم شيخنا أبو مهدي وهو عارف بأخبار البلد وأهلها، وإنما أزرى بهم كونهم يرحلون ويتزلون في البادية، وأما سيدي عقبة المنسوب إليه البلد فهو عقبة بن عامر التابعي^(١)، وهو الذي افتتح بلاد إفريقية وبنى مدينة القيروان، وقد استوفى المؤرخون أخباره، وذكر ابن خلدون خبر قتاله مع الكاهنة التي بجبل أوراس، وقبره الآن مشهور ويزار، وعليه مسجد عجيب وحوله قرية كبيرة في وسط هذا البسيط، وفي مسجده مأذنة كبيرة متقنة البناء، وفي أعلاها عمود، والحجاج يزعمون أن من تمسك بذلك العمود وحركه وقال: أقسمت عليك أيتها المأذنة بحق سيدي عقبة إلا ما تحركت، فتهتز، وقد طلعت إليها ورأيت ذلك، وليس كما زعموا، وإنما هو من إتقان البناء وفرط طوله، فإذا صودم بقوة ظهر فيه شبه اهتزاز وذلك يقع في كل بناء، وغالب من دخل المسجد من الحجاج يكتب خطه على أساطين المسجد وحيطانه، ويكتب اسمه، واتخذوا ذلك ديدنا وعادة مستمرة، وقد دخلته مرارا، وقد عاقنا الوباء من دخوله في هذه المرة وزرناه من خارج، وبتنا بينه وبين بسكرة، وأصابتنا ريح عاصفة بليل منعت غالب الناس من وقود النار، فأصبحت مفطرا ذلك اليوم من أجل ذلك، ونزلنا بسكرة ضحى يوم الاثنين، وكان نزولنا خارج البلد من غريبه لأجل الوباء، واضطر الناس لدخول البلد لشراء الزاد، ووجدنا الركب الذين قدموا أمامنا نزلوا داخل البلد وأقاموا بها يومين قبلنا وخوف أهل البلد من عرب أولاد نصر ابن بو عكاز، وحذروهم من غاراتهم على إبل الركب، فلم تسرح للركب سارحة إلا ما يشترون من الحشيش، واقتفينا آثارهم في ذلك، ولحقنا في ذلك مشقة عظيمة من حبس الإبل والشراء لها، ولم أدخل البلد لمزاحمة الأشغال إلى عشية يوم الأربعاء، ودخلت لزيارة أبي الفضل، رضي الله عنه، وقبره خارج المدينة وحوله مسجد ومساكن أقوام من جيرانه، ودخلنا المسجد وطلعنا إلى مأذنته، وهي في غاية الإتقان والطول والسعة، تقدر

(١) يقصد عقبة بن نافع الفهري الذي تقدمت ترجمته.

الدابة على الصعود إليها بحملها، وأدراجها مائة وأربعة وعشرون درجة، والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء، إلا أنه قل عامروه وضعف ساكنوه، فلا ترى به مدرسا ولا قارئا مع أن هذه المدينة من أعظم المدن وأجمعها لمنافع كثيرة، مع توافر أسباب العمران فيها قد جمعت بين التل والصحراء، ذات نخيل كثير وزرع كثيف وزيتون ناعم وكتان جيد وماء جار في نواحيها، وأرحاء متعددة تطحن بالماء، ومزارع حناء إلى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول وكثرة اللحم والسمن في أسواقها، وبالجملة فما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا أحسن منها ولا أحصن ولا أجمع لأسباب المعاش، إلا أنها ابتليت بتخلف الترك عليها وعساكر الأعراب يستولي عليها هؤلاء تارة، وهؤلاء تارة، إلى أن بنى الترك عليها حصنا حصينا على رأس الماء الذي يأتي إليها، فتملكوا البلاد وضروا بأهلها وأجحفوا بهم في الخراج، ولم يقدرُوا على الخروج عليهم لتمكنهم من الماء الذي به حياة البلد وأهله، فاجتمعت عليها غارة العرب من خارج وظلم الترك من داخل، وقد أشرفت على الخراب، وقاربت أن تكون يابا لولا ما تأثّل من أسباب عمرانها الموجبة لرغبة الناس في سكناها، وقد لقيت بها في سنة تسع وخمسين رجلا من الصالحين ممن جمع بين العلم والعمل والزهد والورع وصدق التوجه إلى الله، واسمه سيدي بوطيب نصير، لم تر عيني قبله ولا بعده أمثل منه في هديه وسمته، تخشع القلوب لوعظهِ، وتلين لكلامه ولو كانت أقسى من حجر، ولما رجعت من الحجاز في سنة ستين وجدته قد توفي بالوباء الواقع في تلك السنة، وكان وباء مفرطاً مات به في بسكرة على ما قيل نحو من سبعين ألف نفس، وقد دخلنا المدينة عقبه فوجدنا أكثر حوماتها خالياً، ومساجدها دائرة، ولقيت بهذه المدينة سيدي محمد الصالح، وهو رجل من أهل الخير منفرد في مسجد له بإزاء داره يلزم فيه الصلوات الخمس ويجتمع إليه ناس من أصحابه يذكرهم ويعلمهم، وخرج إلينا أيضا من فقهاء البلد سيدي عبد الواحد الرماني، وهو أيضا رجل من أهل الخير غلبت عليه الديانة والانقطاع عن الخلق، وقرأ علي أول صحيح البخاري، من رواية أبي ذر، وذهب معنا إلى زيارة أبي الفضل، وصلينا العصر في مسجد سيدي أبي الفضل، وفي الغد يوم الخميس ارتحلنا ودخلنا البلد ثانيا لزيارة سيدي محمد بن بوعلي فوجدناه على سطح دار يشرف على الطريق، ولم يترل إلينا وقرأ لنا الفاتحة

من هناك ونحن في الطريق، ودعا لنا، وهو رجل من أهل الأحوال الصالحة مغلوب عليه في أكثر أوقاته تؤثر عنه كرامات⁽¹⁾، وقد لقيته بداره سنة خمس وستين، وهو في مرمة له في داره يعمل بها بيده ينسج الثياب، وأخبرنا أن قوته من كسب يده، وأخبرنا بحاله ومبدأ أمره مع شيخه، وقد انتشر صيته في هذا الوقت بتلك البلاد، وله أتباع وأصحاب يجتمعون إليه في أوقات للسمع والذكر، وسمعنا من بعض الحجاج ممن زاره بعد ذلك أنه قال لهم: إن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال له: إن النار لا تمس من رآك. وزعموا أنه قال: ومن رأى من رآك مراتب متعددة، والله أعلم بحقيقة ذلك، فإن صح أنه قاله فهو في الغالب لا يكذب، إلا أن كلامه يحتاج إلى تأويل ويبعد حمله على ظاهره، وأن المراد بمجرد الرؤية البصرية، فإن القواعد تأبى بقاءه على عمومته فإنه يراه البر والفاجر، والمصر على الكبائر القارف لها، والجاهل الذي يتطرق الخلل إلى إيمانه لغلبة الجهل والآراء الفاسدة، ولكثرهم جدا يبعد موت جميعهم على التوبة النصوح الموجبة لغفران جميع الذنوب الموجب للنجاة من النار، إلا أن كلام الأولياء لا ينبغي أن يرمى به جزافاً، فليحرص المرء جهده على لقائهم ورؤيتهم والتبرك بهم، فعسى أن يصادف نفحة من نفحات الحق فيسعد بها دنياه وآخرته فإن الله عبادة إذا نظروا إلى أحد أغنوه، ومع ذلك فلا يركن إلى ظواهر ما يجري على ألسنتهم كل الركون حتى يعتقد أنه إن رآهم أمن. فمن قال مثل ما تقدم فقد أمن النار، فإن لكلامهم وجوهاً واحتمالات تدق على أفهام أكثر الخلق ممن لا يسلك طريقهم، وأقرب ما يحمل عليه الكلام المتقدم أن تحمل الرؤية على القلبية والمرئي على صورته الباطنة التي توجب العلم بما هو عليه من سني الأحوال وسمي الأوصاف ورفيع المقامات، ولا شك أن من منح شهود ذلك وأشرف عليه فله نصيب وافر من التخلق بأخلاق الأولياء والورود من موارد الأصفياء، وحينئذ يكون جديراً بأن لا تمسه النار، وهذا من معنى ما اشتهر عن قطب الزمان مولانا عبد القادر الجيلاني، رضي الله عنه، أنه قال: أخذت العهد على ربي أن لا يدخل أحد من أتباعي النار إلى يوم القيامة فيحمل على من اتبع طريقه لا على مجرد الانتساب باللسان، ولو صح حمل الكلام المتقدم على ظاهره وعمومه لكان أولى بذلك الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، وكثير ممن رآهم رؤية بصرية لم يوفق للاهتمام بهديهم فحرم بركة رؤيتهم، وكل مقام ناله ولي من

(1) وردت هذه الترجمة بنصها في نشر المثنائي 2: 137.

الأولياء فهو ميراث أتباعه لبنيه وما كان ميراثاً لا يصح أن يكون شيئاً لم يكن لموروثه، بل يستحيل عند أرباب القلوب أن ينال ولي ولو ذرة من مقام أو حال لم تكن بكمالها لمتبوعه، ومعلوم أن هذا الحال لم تكن لأحد قط فلا بد من التأويل وما أظنبت في هذا إلا أنني رأيت كثيراً من الجهلة يغتر بأمثال هذا ويحملة على ظاهره، وإلا فأنا والحمد لله ممن يعتقد تزيه ساحة الأئمة الصوفية عن الكذب والافتراء ويثق بأقوالهم ويصدق بكراماتهم ويحمل ما أشكل على أحسن محامله ولا أظن فيه بوجه، وأسلم لهم فيما لم يتبين لي وجهه، والمنة لله وحده في ذلك.

وكان ارتحالنا من بلاد بسكرة قاعدة بلاد الزاب يوم الخميس وسرنا على غاية من الوجل من عرب أولاد نصر لكثرة ما يخوفنا الناس منهم، واجتمع الركبان عند قطع الساقية وساروا جميعاً، ومررنا بقرية أمليلي ظهراً ثم بزاوية سيدي الشيخ عبد الرحمن الأخضر، ودخلنا لزيارته وصلينا بمسجده وهو إمام جامع بين علمي الظاهر والباطن له تأليف مشهور وكرامات ماثورة، واشتهر بتأليفه المنظومة في المنطق المسماة بالسلم المروني^(١)، وقد نفع الله بها، وله منظومة في السلوك تشابه المباحث الأصلية رائقة النظم فائقة الحسن، حلوة وله مقدمة في الفقه مشهورة عند أهل ذلك البلد، ويبتهم بيت علم وصلاح، وسمعت أنه هو الذي أظهر القبر الذي في بلاد الزاب المنسوب لنبى الله خالد بن سنان عليه السلام، وهذا القبر الآن من المزارات الشهيرة في تلك البلاد تقصده الأركاب للزيارة من نواحي إفريقية كلها، واشتهر أمره عند الخاص والعام، والبدو والحضر، وعليه مسجد عظيم، وحوله مدرسة، والناس يؤثرون عن ذلك المشهد كرامات، وقد أشكل أمره علي، وسألت عنه من يظن به علم فلم أجد عند أحد ما يشفي ولا رأيت خبره في تاريخ ولا تقييد، وغاية ما سمعت من بعضهم أن سيدي عبد الرحمن الأخضر أخبرهم أنه شاهد النور صاعداً من تلك البقعة إلى السماء ثلاث ليال أو نحوها، وأخبر أنه قبر نبى الله خالد، فإن كان اطلع على ذلك من كشفه فيسلم له فإنه أهل لذلك، وقد رأينا وسمعنا في بلاد المشرق بمشاهد متعددة من قبور الأنبياء والأولياء أظهرها أهل الكشف الصادق فتزار بحسن النية وجميل الاعتقاد وحسن الظن بقائل ذلك حتى أن المشهد المنسوب لكليم الله موسى عليه السلام بالأرض المقدسة إنما أظهره بعض أهل الكشف بعد الستمائة أو قريب من ذلك، وهو الآن من المزارات العظيمة

(١) أنظر هذه المنظومة في كتاب: مجموع مهمات المتون، ص: 262 - 270.

الشهيرة، وقد ذكر لي بعض الناس أن خبر خالد بن سنان هذا مذكور في بعض التفاسير المنقولة عن الإمام ابن عرفة، وأنه في هذا المكان، وبحثت عن ذلك فلم أقف عليه، ويبعد عندي كل البعد أن يكون خالد بن سنان العبسي مدفونا في هذا المكان فإن الأخبار المنقولة في شأنه المذكورة في كتب أهل السير تأتي ذلك فقد ورد في بعض الأحاديث أنه نبي من العرب بعث بين عيسى عليه السلام ونيينا، صلى الله عليه وسلم، وأنه بأرض الحجاز وأنه مات بها، وأنه أوصى بنيه أن ينبشوه بعد حول فيخبرهم بأخبار ما أرادوه وغير ذلك من الأخبار المنقولة عنه، فإذا ثبت ذلك فما أبعد الحجاز من الزاب، وقد ورد في بعض الآثار أنهم لم يدفنوه وأنهم حملوه على ناقه فذهبت به، فإن صح ذلك فرما يتوهم أنه بلغت به إلى هذا المكان ودفن فيه، وهو خرق عادة أيضا، وأقرب ما يحمل عليه أمر هذا المشهد إن صح أن به قبر نبي ما. قال لي شيخنا أبو بكر بن يوسف السجستاني، وقد سألته عنه لما مررنا به سنة ستين وألف فقال لي: لم أر خبره منصوصا، وأقرب ما يحمل عليه أحد رسل عيسى عليه السلام الثلاثة المذكورين في قوله تعالى (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية)⁽¹⁾ الآية، فقد ذكر بعض المفسرين أحدهم اسمه خالد، وأنه نبي أصحاب الرس، وقد ذكر بعضهم أن بلاد الزاب هي بلد أصحاب الرس، فإن صح أن هذا قبر نبي الله خالد فهو هذا، والله أعلم، وقد مدحت نبي الله خالد بن سنان بأبيات لما مررت بهذا المشهد سنة أربع وستين وهي هذه:

[خفيف]

يا نبي الإله يا ابن سنان	خالد جُدْ خائفٍ بأمانٍ
مُذنب يطلب السماح ويرجو	نفحة تطلق الأسير العانٍ
قد أناخ ببابكم مُستجيرا	بجنبك من صُروف الزمانِ
فأحمه أنت خير من يمنع الجا	رَ ويطعن دونَه بسنانِ
وحاشاك يُسام جارك يا خير	الورَى بمهانة وهوانِ
فأحم من أم ابك الرحب يرجو	غارة يكشف الهموم الدوانِ

(1) يس: 13.

أَيْخَانُ إِذَا أَتَى لِحْمَاكُم	مُسْتَجِيرٌ مِنَ الْمَهَالِكِ جَانِ
كُنْ كَفِيلاً بِمَحَبِّ ذَنبِي فَمَا لِي	بِالَّذِي قَدْ جِئْتَ مِنْهُ يَدَانِ
مَا أَضَاعَكَ إِذْ أَضَاعَكَ عَبَسَ	مَنْ أَجَلَكَ فِي أَجَلِ مَكَانِ
بَلْ حَبَاكَ نَبْوَةٌ وَارْتِفَاعَا	قَدْ غَدَا دُونَ قَدْرِهِ الْفَرْقَدَانِ
لَوْ أَطَاعَكَ فِي وَصِيَّتِكَ	الْقَرَارِ أَوْ مَا تَقُولُ أَيُّ عِيَانِ
قَدْ أَتَيْتُكَ طَالِبَا وَصَلَةٍ	اللَّهُ فَإِنْ نَلَيْتُ هَذِهِ فَكُفَانِي
فَبَجَاهُكَ أَسْأَلُ اللَّهَ رَبِّي	لَأَفُوزَ بِهَا بِغَيْرِ تَوَانِ
وَقَصْدَتِكَ مَادِحَا بِنِظَامِ	مِثْلَ زَهْرِ الرِّبَا وَنَظْمِ جُمَانِ
فَتَقَبَّلْ بِفَضْلِ جُودِكَ مِنِّي	حُلَّةَ رُمْتُ نَسَجَهَا بِلِسَانِي
يَا نَبِيَّ الْإِلَهِ فَاجْعَلْ جَزَائِي	بِالَّذِي ابْتَغَيْتُ وَسُكْنَى الْجَنَانِ
يَا نَبِيَّ الْإِلَهِ فَاقْبَلْ عَلَيَّ مَا	سَطَرْتَهُ مِنَ الْمَدِيحِ بِنَانِ
فَعَلَيْكَ مِنَ الْإِلَهِ سَلَامٌ	وَصَلَاةٌ تَتَرَا بِكُلِّ أَوَانِ

وتجاوزنا زاوية الأخصري وبتنا ببلدة تُسَمَّى لُؤي، وفي الغد ارتحلنا وسرنا
حدا خائفين، ونزلنا ظهراً بالمكان المسمى بالدويسة بينه وبين أولاد جلال نحو من
فرسخ، وهناك تحقق الناس أمر العرب وأنهم معترضون للركب قاصدون أخذ
معهم نحو من ثلاثمائة فارس، وأنهم ارتحلوا بحللتهم ونزلوا بأعلى واد سيدي خالد
على حافتي الطريق، ومرادهم إذا توسطهم الركب وثبوا عليه رجالاً ونساء
وصبياناً، وأخبرنا أهل البلد أنهم في غاية ما يكون من الجوع، وقالوا لنا لا طاقة
لكم بهم، ولو قاتلتموهم وقتلتم ما عسى أن تقتلوه، فإن ذلك لا يردعهم عنكم،
لشدة جوعهم، وأشاروا علينا بتنكبهم وترك الطريق التي هم عليها، وبعثوا إلينا
دليلاً عارفاً بالطريق، واشتد الخوف على الحجاج وقوي العزم من جماعة أهل
الركب على الرجوع إلى بلاد ريغ، وجأؤوا إلى مستشيرين فلم أوافق على الرجوع
إلى ريغ واشتد ذلك علي وعلى سائر الضعفاء، ورأينا أن الرجوع إلى ريغ هو غاية

التعويق والانقطاع في بلاد الصحراء التي لا يقدر الضعفاء على سلوكها، وقلنا لهم إن وصلنا إلى ربيع فأنا أجلس هناك وسائر الضعفاء، ولا يصحبكم منا أحد، ولم أزل أقتل لهم في الدروة والغارب إلى أن هداهم الله وعدلنا ذات اليمين إلى طريق الظهر، وتنكبنا المحل الذي فيه أولئك المحاربون، وارتحلنا نصف الليل عند قرب مغيب القمر وسرنا بقية ليلنا في أرض حرشة وظلمة وخوف شديد لا تسمع إلا همسا بأخفاف الإبل، فلما أصبحنا خرجنا إلى أرض سهلة بيننا وبين الجبل أزيد من بريد، وزعم المخبر أن ذلك محل الخوف، وسار الناس سيرا حثيثا إلى أن دخلنا من خرزة في الجبل تسمى خرزة البطم ظهرا، وفي الجبل خرزات متعددة، والخرزة في لغتهم اسم لكل فرجة في الجبل يخرج منها طريق، فلما دخلنا من الخرزة وعاد الجبل بيننا وبين العدو، أمن الناس بعض الأمن لدخولهم بين الجبال، ووجدنا هنالك غرباء آخرين ضعفاء وهم خائفون مثل خوفنا، ووجدنا عندهم سمنا فاشتري الناس منها بعض شيء، وبتنا قريبا منها.

وفي الغد ارتحلنا وعدلنا يمينا في أرض وعرة حرشة وسرنا إلى قرب المغرب، وفي الغد جئنا إلى الجرف ظهرا وهو ماء غزير عذب بين جبلين، ونزلنا فيه وأما من غائلة الأعراب، ورجع الدليل وهو من أولاد جلال، وقرية أولاد جلال من أكبر قرى الزاب وهي قرية جامعة فيها مدرسة للطلبة المهاجرين وهم يسمون الغرباء مهاجرين، وهم في قوة ومنعة من العرب لا يؤدون إليهم أتاوة، ويسمون كل من لا يؤدي إتاوة للعرب بالمجاهدين، وقد صدقوا في ذلك. وفي يوم نزولنا بالجرف ظهر الضعف في فرسي التي أركبها وكانت قد أصيبت بريح ليلة أسرينا من أولاد جلال، ولم أتفطن له. وفي الغد ارتحلنا في يوم بارد غاية مثل الذي قبله، وجئنا إلى عبد المجيد ضحى ونزلنا، وفي الغد نزلنا ظهرا أيضا قبل العوينة، ومات رجل من أصحابنا الفلايين من أولاد الإمام أهل سجلماسة طعن بالوباء رحمه الله.

غريبة:

كنت أسمع هذا الرجل رحمه الله كثيراً ما ينشد قبل أن يطعن بأيام هذه
الآيات:

[وافر]

سَكَنَاهَا لِيَالِي آمَنِينَ وَأَيَّامًا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ

فَلَمَّا أَنْ جَلَّاهَا الدَّهْرُ عَنْهَا تَرَكْنَاهَا لِقَوْمٍ آخَرِينَ

والأبيات لبعض أمراء بني زيان لما انجلوا عن تلمسان فكان ذلك من عجيب الاتفاق. وفي الغد جئنا للعوينة ضحى وعدلنا عن دماك يساراً، وبتنا، وفي الغد مررنا ضحى بأولاد سيدي مخلوف، فقراء أشراف قد بلغ الجهد منهم كل مبلغ، وبقيت هنالك فرسي وأيست منها ووهبتها لهم، وذكروا لي أنهم إن أيسوا منها ذبحوها ليأكلوها، وأخبرني بعض الحجاج بعد ذلك أنهم ذبحوها، وفي ذلك اليوم افترق الركب وحدث بينهم التنافس عندما أمنوا وهم الناس بالترول دون الماء وليس معنا ماء، وغالب الناس صائمون، فأيت، فتبعوني ولم نترل عليه إلى المغرب في الفلجة، وفي الغد لم نرتحل إلى قرب الظهر ونزلنا إلى قرب العوينة التي دون الأغواط، وفي الغد مررنا بالعوينة ضحى ونزلنا الأغواط قبل الظهر يوم الأحد السادس عشر من رمضان، وكان في الركب أعراب سعاة من دمك يتكففون الناس، فقالوا لأهل البلدان: في الركب وباء، فلم يتركوا أحداً يدخل إليهم، ووجدنا الغلاء كثيراً عندهم مقدار مدين فاسيين بريال قمحاً، فلم يخرج أحد منهم إلى الركب، وكانوا يملون الزرع من فوق السور ويأخذون الريال ويغسلونه ولا يتناولونه إلا بعد الغسل، والله تبارك وتعالى يكتب السلامة والعافية آمين.

وفي يوم الاثنين السابع عشر من رمضان ارتحل الناس من الأغواط بعدما تشاجروا في أي الطريق يسلكون، فمالت طائفة إلى طريق عين ماضي، وكان لي فيها أرب لبيع بعض الكتب ولقاء الأصحاب، ولم يقدر ذلك، ومالت طائفة وهي الأكثر إلى المرور على الطريق اليسرى لقربها وسهولتها وخصبها فيما زعموا وأكثروا مخبراً، وذهب الركب الآخر أمامنا وسرنا، فلما وصلنا إلى الماء الأدنى الذي بين الجبلين وجدنا الركب الذين تقدموا يحفرون في حسيانه لأنهم قدموا بلا ماء، وأما ركبنا فقد جاؤوا بمائهم، ولما كان قريباً من الظهر أرعدت السماء وأبرقت وأرخت عزاليها بماء غزير وبرد منع الناس من المسير، لأيا بلائي ما نزلوا، وأقاموا بقية يومهم وليلتهم وهي لا تصحو، ثم ارتحلنا منه، فلما كان الضحى وسخنت الأرض أخرجت الأرض من مخبأها ما ملأ الأرض حتى لا تكاد ترمي ببصرك إلى ناحية إلا وقعت على عقرب، وأخذ الناس يقتلونها، فمنهم من قتل

المائة فما دون، وقضينا من ذلك عجب، إلى أن بتنا، ومن الناس من يقول إن العقارب نزلت مع المطر كما تنزل الضفادع، والله أعلم بحقيقة ذلك، فلما بتنا أمطرنا بالليل، وفي الغد ارتحلنا ووجدنا وادي مساعد كله ماء وأرضه رخوة، فلم نقطعه إلا بمشقة عظيمة، وسرنا بقية يومنا وطلعنا إلى حمادة هناك في ربح بارد، وبتنا بها، وبات المطر يسح وأصبح في الأرض كذلك، وأقمنا وكان ذلك في نوء الثريا، فأنشدت بعض الأصحاب في ذلك:

[مقارب]

بلاذي التي كنت فيها هيا	سقاك على البعد نوء الثريا
وحيا الإله جماها ومن	ثوى بفناها جميعا ويا
فسقيا ورعيا لمربعنا	فكم قد حبا الحي سقيا ورعيا

وقد خطر ببالي أيضا في تلك الإقامة ذكر البلاد وطول غيبتنا عنها وسآمتنا للسفر فأنشدت:

[بسيط]

يا رحلة كلما قصرت شقتها	بالسير طالت فعادت شهرها حينا
تسعا وعشرين شهرا أتوهمها	من السنين غدت عشرا وتسعين

وفي يوم إقامتنا خرج بعض جيراننا من أهل مراكش في طلب إبل له كان يظنها ذهبت، فذهب هو فلم يهتد إلى مكان الركب لأن أرض ذلك المكان مستوية في مرأى العين وهي ذات غيطان متشابهة، وفي الغد أصبح الناس يطلبونه إلى أن وجدته الدليل راجعا من حيث جئنا وهو تائه يظن أنه متوجه إلى المغرب، فأتى الدليل إلى الركب فارتحلنا وسرنا والإبل في غاية ما يكون من الضعف من أجل البرد والمطر إلى أن قطعنا وادي الأشبور من أسفله ووجدناه حاملا، وبتنا، وفي الغد أصبحنا على قرية تسمى الماية، وليس فيها إلا رجلان أو ثلاثة في غاية ما يكون من الضعف والجوع، وزعموا أنهم شرفاء ولم يجد الناس عندهم ما يشترون إلا الملح يبيعونه بالطعام، وكان من لطف الله بهم أن الركب المتقدم أقام هناك يوما من المطر فماتت لهم ثلاثة من الإبل وانتفع أولئك الضعفاء بلحمها، وهناك وجدنا

شيئا من خبر الغرب وأن طائفة من عرب مولاي محمد رحمه الله أغارت على العرب الذين بأحواز الكراكدة، وأخبرنا أن الغرب أمطر مطرا عاما لم يعهد مثله، وبعد أن تجاوزنا المائة يومين عدلنا ذات اليمين وقطعنا الجبل من ثنية هناك وعرة، وكان المخبر يظن أنها تسلك إلى الطريق فإذا بها تفضي إلى أودية وعرة وأماكن لا تكاد تسلك فيها الإبل، ووقع الناس في حيرة بعدما قطعوا كثيرا منها، فمن قائل نرجع إلى طريقنا، ومن قائل نبيت هنا حتى نرى في أمرنا، فترل الناس قبل العصر وذهب المخبر وشيخ الركب يلتمسون الطريق فما رجعوا إلى قريب من المغرب، وفي الغد ارتحلنا وسلكنا وعرة ولم نخرج إلى أسهلها إلا قريبا من الظهر، ومررنا بقرية في بعض تلك الشعاب قائمة البناء ملتفة الأشجار كأنما خرج أهلها بالأمس، وسألنا بعض أهل تلك البلاد فأخبرونا أنها ربما سكنها بعض الضعفاء أيام الشتاء وعندما توغلنا في تلك الشعاب أيس أكثر الناس ممن لا خبرة لهم بالطريق، ولم نبت تلك الليلة إلى أسفل من وادي الغاسول، ووجدنا هنالك عشا كثيرا، وتباشر الناس بالخبر، وفي الغد لقينا طريق الحجاج المألوفة وتباشر الناس بالخبر، وبلغنا قرية الكراكدة، ووجدناها في غاية ما يكون من الغلاء وقد غارت عليهم خيل من خيول العمور بالأمس فأخذت لهم غنما بقيت لهم، وقد كانوا أغار عليهم عرب الشريف مولاي محمد رحمه الله صاحب تافلات، وأخذنا ماءنا منها، وتجاوزناهم فلم نبت إلى موضع هناك يقال إن فيه مات الشيخ سيدي عبد القادر بن أبي سماعة، وفيه مزارعة تزار، وفي الغد ارتحلنا ووجدنا عرب الأغواط الغربية قد فروا أمامنا من العمور، ونزلوا قريبا من قرى ربا، ونزلنا عندهم ظهرا فوجدنا لديهم سمنا كثيرا وقليلًا من الإبل، واشترى الناس حاجتهم من السمن، وكان أهل الركب قد جاعوا جوعا عظيما من يوم خرجوا من الأغواط لأنهم كانوا يظنون أنهم^(١) يقطعون تلك المسافة في خمسة أيام فما قطعوها إلا في أزيد من عشر، وبلغ الشعير قريبا من ريال للصاع، وبلغ الدقيق أكثر من ذلك، وبقيت لي هناك ناقصة أحمل عليها كتي فبعتها بثلاث ريالات، وفي الغد مررنا بقرى بأصبجا، وفي الذي يليه نزلنا أبو سمغون عند المغرب ووجدناه أرخص من كثير من البلاد التي مررنا عليها قبل، وأقمنا فيه غدا آخر يوم من رمضان يوم الأحد، ومن هناك بعث

(١) ساقط من ط.

الحجاج المبشرين إلى بلادهم مراکش ومكناسة وفاس وتافالالت، وبعثت أصحابي معهم بكتاب إلى إخواننا واختصرته غاية، وكان في ضمنه بيتان وهما:

[طويل]

حملتُ جنينَ الشوقِ في بطنِ مكة زمانا إلى أنْ آنَ منها انفصاله
فزادَ نموا فاستوى عندما غدا ثلاثينَ شهرا حملة وفصاله

وفي ضمن الكتاب أيضاً بيتان آخران قد حازا من البلاغة مثل الذي قبلهما أو أوفر نصيب، وهما:

[طويل]

ألا عم صباحا متزلي بين أطلال ودُم ذا صفاء من تغير أحوال

وخرج المبشرون صبيحة يوم العيد قبل طلوع الشمس، وبقينا بعدهم إلى أن صلينا مع أهل البلد، وكان من عادتهم أنهم يخرجون إلى المصلى بسلاحهم لا يخرج أحد بغير سلاح صغيراً كان أو كبيراً، وبينون في المصلى أحجاراً يتخذونها غرضاً للرمي بالبنادق، فلا يذكر الله في المصلى إلا أناس قليلون، وغالب الناس مشغولون بالرمي حتى في حال الصلاة والخطبة إلى أن فرغ الإمام من الخطبة، فرجعنا ورحلنا ذلك اليوم، واشتريتُ من هناك حماراً لركوبي بأربع ريالات لأني أضعفني المشي على رجلي كثيراً بعد موت الفرس، واكترى أمير الركب رجلاً من أولاد سيدي سليمان بن أبي سماحة يذهب بهم ذات اليسار حتى يخرجوا في فجيج، وكان ماهراً خريئاً عارفاً بالطريق، فسار بنا في أرض سهلة مخصبة، وفي اليوم الثالث نزلنا وادي الناموس، وهو وادي كبير ملتف بأشجار الطرفا في حلاها قيعان تمسك الماء وتنبت الكلاً يكفي الأنجاء من العربان إذا أووا إليه، وفي أعلاه عند فرضة الجبل الذي يخرج منه إلى الصحراء قرية سندانة، وهم قوم من متفجرة ذلك البلد، وكبيرهم الآن صاحبنا سيدي محمد بن سليمان، وكان رجلاً لا بأس به، ينتسب إلى الوالد رحمه الله بتلمذ، وبعثت إليه ليأتينا فلم يجده من بعثته إليه، فلحقنا أخوه ليلاً ونحن باثتون في وادي الزبية، وفي الغد دخلنا فجيج خامس يوم من رحيلنا من بوسمغون، وكان دخولنا من طريق تمزوغت يوم الجمعة ظهراً، ووجدنا الرقاصين⁽¹⁾

(1) الرقاصون: جمع رقاص، وهو حامل الأخبار، أو ساعي البريد بلغة العصر.

الذين جاؤوا من مراکش ومن مكناسة، وأخبرونا خبر الغرب، ووجدنا المبشرين الذين بعثناهم ذهبوا على طريق أنوال، وأقمنا فيه يوم الأحد وهياً الناس زادهم، ولقينا صاحبنا فقيه البلد سيدي أحمد بن أبي بكر الشريف من بني صيكون بإشمام الصاد زايا، وهو بقية طلب فجيج، وعاملنا مقلوره وهو من أصحاب شيخنا سيدي محمد بن ناصر، رضي الله عنه، ولم أر أحدا من أولاد سيدي عبد الجبار إلا رجلاً ضريراً اسمه عبد القادر منقطع في داره، الغالب عليه أنه من أهل الخير، وطلبت الدخول إلى خزانة كتبهم فلم يتيسر لغيبة الذي عنده المفتاح، وأطلعني سيدي محمد بن أبي بكر على تأليف له جمع فيه مناقب الخلفاء الأربعة، والله يجازيه على قصده خيراً، واستعرت من عنده كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول لمحدث الديار اليمانية الشيخ عبد الرحمن الديبع، وهو من أجداد شيخنا المقرئ الفصيح أبي الحسن الديبع، وهذا الكتاب غاية في بابه جمع أحاديث الأصول الستة بأوجز عبارة وأحسن ترتيب، وأسلوبه في ذلك ألطف من أسلوب البارزي في اختصاره المسمى بالمجتي، وزاد عليه بتفسير الغريب، وقد اتصلت بحمد الله روايتنا لهذا الكتاب بالخصوص من طريق أبي الحسن شيخنا إلى جده مؤلفه، رضي الله عنهم، وهذا الكتاب غريب الوجود سيما في بلاد المغرب، وإنما دخل بيد صاحبنا المذكور من عند سيدي محمد بن إسماعيل المسناوي لما دخل بلدهم، وكان عنده نسختان من هذا الكتب، فوهب أحدهما لصاحبنا، وقد رأيت الأخرى بالمدينة من جملة كتبه الذي أوصى للحرم الشريف، ومن هذا الكتاب جمع صاحبنا كتابه المذكور في مناقب الخلفاء وأطلعته على كتابي إظهارا لمنه، فابتهج به سروراً، وكتابه بالنسبة إليه نقطة من بحر، والمئة لله ومن شكر الله التحدث بها، ولم تسخ نفس صاحبنا المذكور بإعارة كتابه حتى تكفلت له باستنساخ حاشية أبي الحسن على البخاري، فوفيت بحمد الله.

ثم ارتحلنا من فجيج يوم الأحد سابع شوال، وعندما حملنا على الإبل جاءني صاحبنا سيدي محمد بن سليمان السنداني وتأسف كثيراً لعدم الملاقاة قبل ذلك، وزعم أنه يواسي بمركوب لو اجتمعنا به وسرنا يومنا ذلك وبتنا قريباً من كلنة الرجم، وفي الغد جئناها صباحاً، ومن هناك افترقنا مع أهل مراکش وأهل تافلاّت وكتبت مع محبنا الحاج محمد الأحمر السلاوي إلى عالم مراکش وصالحها سيدي محمد بن سعيد، رضي الله عنه، آمين.

وذهبنا نحن مع أهل مكناسة وفاس بأحد عشر خباء، وأخذنا عن يمين جبل
 عنتر، وهو أعظم جبل في تلك الناحية، وسلكنا طريقاً حرشة هنالك بين جبلي
 أحدهما جبل عنتر وهو عن يسارنا إلى أن خرجنا عند الثوميات، وفي الغد وصلنا
 إلى مرغل قبل الظهر وتجاوزناه، فلما وصلنا إلى قرية المناهة تفقدنا صاحبنا لنا نام
 في وادي قبل أن نصل إلى موغل، فوقفنا ساعة ننتظره إلى أن وصلنا فسرنا وبتنا،
 وفي الغد جئنا لبوكايس ضحى ووجدنا واديهم ليس فيه إلا قليل ماء، وكان
 عهدنا به ذا ماء كثير، وأخبرنا أهل البلد أنه كان بأعلى الوادي غار في الجبل فيه
 بركة ماء طاف مستدير لا يعلمون من أين جاء ولا إلى أين يذهب، فبأذوا يحفرون
 عنه ليخرجوه ويزيدوه على ماء ساقيتهم، فلما أجروه وأبلغوه إلى الساقية انقطع
 ماء الوادي الذي يجري في الساقية، وتبين لهم أن الماء الذي في الغار هو أصل ماء
 الوادي، فذهب عناؤهم باطلاً، إلا أنهم استفادوا من ذلك سلامة ساقيتهم من
 إحفاف السيول ببعدها عن مجرى الوادي، وتجاوزنا بوكايس ولم نبت إلى قريب
 من وادي زلمو، وفي الغد جئنا لقرية الحجوي وتجاوزناها إلى وادي بوعنان قبل
 العصر ووجدناه يجري بالماء العذب، وتجاوزناه وبتنا في سهب الحجارة، وفي الغد
 جئنا إلى السهلي ظهراً وزرنا سيدي عبد الرحمن، وهو من تلامذة سيدي علي بن
 عبد الله الفيلاي، وفي هذه البلدة وجدنا غاشي بلادنا ومن يخبرنا ببعض خبرها،
 ولم نلق قبل ذلك من عنده من يشفي من الخبر، وتجاوزنا إلى بني بودنيب وبتنا
 فيها، وفي الغد بتنا بقلدوسة، ومنها إلى تولال نزلناها ظهراً لضعف أباغير الحجاج
 وأكرمنا بعض الأشراف النازلين هناك، وأطعم الحجاج فجزاه الله خيراً، وكنا
 ننتظر من يتلقانا من إخواننا في هذه القرى، فلما لم نجدهم هناك علمنا أنهم ذهبوا
 على طريق أخرى، وبعثت من هناك رجلاً آخر إليهم، وفي الغد مررنا بتكريرن
 ظهراً وتجاوزناها وبتنا وفي الغد خرجنا من قم الطبل ولقينا إخواننا في ذلك اليوم
 وبتنا معهم ومع الحجاج أصحابنا تلك الليلة، وفي الغد فارقنا الحجاج وبعثنا معهم
 من وصلهم إلى أوطاط.

ووصلنا بلدنا آمنه الله من كل سوء يوم الأربعاء ظهراً سابع عشر شوال من
 سنة أربع وسبعين وألف، وألقينا عصا التسيار واستقرت بنا الدار، وأكثرنا
 الاستغفار للملك الغفار، وحمدنا الله على السلامة من ركوب الأخطار والنجاة
 من غوائل الأسفار، ونسأله الإجابة والعافية وحسن القرار في هذه الدار وفي تلك

الدار بجاء سيدنا محمد المختار وآله الأطهار وصحابته الأخيار ومن تبعهم بإحسان من الأبرار، والله يَخْتَم بالسعادة آجالنا، ويقرن بالعافية غدونا وآصالنا، ويبلغنا من خير الدارين آمالنا بجاء سر الوجود ومنيع الجود سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وعلى آله وصحبه أجمعين، (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)⁽¹⁾⁽²⁾.

(1) الصافات: 180-182.

(2) كتب في آخر النسخة خ: كمل تمام هذه الرحلة المباركة ضحى يوم الجمعة أوائل رجب الفرد سنة اثنين ومائة وألف على يد أحوج عباد الله أحمد بن عبد الرحمن العياشي المستوطن تاضغوت، متوسلاً إلى الله تبارك وتعالى، بجاء مؤلف هذه الرحلة وأشياخه وأجداده وبركة ما احتوت عليه من الصالحين الأطهار والعلماء الأخيار والأولياء الأبرار، ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم المختار، وسائر الأنبياء وتلك الأقطار، وزيارة تلك البقاع الأطهار، وأن يَخْتَم آجالنا بحسن الختام بالموت على الإيمان والإسلام، والعفو والعافية على الدوام لنا ولأشياخنا ولأحبابنا ولأقاربنا ولمن قال آمين، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. وكتبناها لمولانا العلامة والبحر الفهامة القدوة المحقق والعارف المتفنن المدقق، باذل الجهد في اتباع السنة، ومستغرق الوقت في شهود المنة، ذي الجنان المرعي، شيخنا وسيدنا أبي العباس سيدي أحمد بن ناصر الدرعي، أطل الله لنا بقاءه، وأناله في الدارين نيته ومرامه، ورزقنا رضاه، آمين آمين آمين، يا رب العالمين.

وفي ط: انتهى الكتاب المبارك بحمد الله وعونه، اللهم اختم لنا بالسعادة التي ختمت بها لأوليائك، واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك، يا أرحم الراحمين، بجاء سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس الكشافة

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الآية	الصفحة
إياك نعبد وإياك نستعين	الفاتحة	5	1: 249، 602
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا	البقرة	17	2: 173
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا	البقرة	23	2: 109
ولا هم يحزنون	البقرة	38	2: 118
مصدقا لما بين يديه	البقرة	97	1: 535
وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله	البقرة	101	1: 612
والله يختص برحمته من يشاء	البقرة	104	1: 303، 2: 442
فأينما تولوا فثم وجه الله	البقرة	114	1: 510، 503
العزیز الحکیم	البقرة	129	1: 223
ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه	البقرة	130	1: 479
فلنولينك قبلة ترضاها	البقرة	144	1: 394
والهكم إله واحد لا إله إلا هو	البقرة	162	2: 84
يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم	البقرة	172	2: 224
وإذا سألك عبادي عني فإني قريب	البقرة	185	1: 503
ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم	البقرة	197	1: 543، 565
فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه	البقرة	201	1: 331
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم	البقرة	211	1: 305
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن	البقرة	221	2: 234

الآية	السورة	الآية	الصفحة
ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم	البقرة	241	610 :1
ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض	البقرة	249	610 :1
ولكن الله يفعل ما يريد	البقرة	253	366 :1
وما يذكر إلا أولو الأبواب	البقرة	268	599 :1
أن يمل هو فليملل وليه بالعدل	البقرة	281	568 :1
آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه	البقرة	285	231 :2
هو الذي يصوركم في الأرحام كيف			
يشاء	آل عمران	6	610 :1
شهد الله أنه لا إله إلا هو	آل عمران	18	351 :2
فاتبعوني يحيبكم الله	آل عمران	31	601 :1
قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء	آل عمران	73	446 ، 442 :2
ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما			
ضعفوا وما استكانوا	آل عمران	146	490 :1
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله	آل عمران	169	230 :2
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل	آل عمران	173	224 ، 69 :1
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل	آل عمران	174	69 :1
إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة			
مباركا	آل عمران	196	347 :2
إن الله لا يظلم مثقال ذرة	النساء	40	334 :2
فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد	النساء	41	390 :1
وكان أمر الله مفعولا	النساء	47	404 :2
فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله			
والرسول	النساء	58	607 :1
من النبيئين والصديقين والشهداء			
والصالحين وحسن أولئك رفيقا	النساء	69	230 :2 ، 556 :1
ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر			
الله يجد الله غفورا رحيفا	النساء	110	223 :2

الآية	السورة	الآية	الصفحة
وكان الله بكل شيء محيطا ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا وكلم الله موسى تكليما اليوم أكملت لكم دينكم يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما لتجدن أشد الناس عداوة لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وهو القاهر فوق عباده إن هذا إلا أساطير الأولين ولو ترى إذ وقفوا على النار ما فرطنا في الكتاب من شيء لكل نبي مستقر وسوف تعلمون وكذلك نري إبراهيم قل الله ثم ذرهم يخرج الحي من الميت يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غورا والله أعلم حيث يجعل رسالاته فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله	النساء النساء النساء النساء المائدة المائدة المائدة المائدة الأنعام الأنعام الأنعام الأنعام الأنعام الأنعام الأنعام الأنعام الأنعام الأنعام الأعراف	125 130 152 164 4 6 17 82 107 19 25 27 40 67 75 92 95 112 124 125 43	504 :1 562 :1 260 :2 233 :2 87 :1 118 :2 250 :1 402 :1 564 :1 561 :1 110 :2 535 :2 31 :2 560 :1 117 :2 511 :1 60 :2 170 :2 306 :2 232 :2 255 :1

الآية	السورة	الآية	الصفحة
ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين	الأعراف	55	347 :1
فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون	الأعراف	68	566 :1
وبطل ما كانوا يعملون	الأعراف	117	165 :2
النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل	الأعراف	157	233 :2
ولكن أكثر الناس لا يعلمون	الأعراف	187	490 :2
ليحق الحق	الأنفال	8	121 :2
وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى	الأنفال	17	605 ، 511 ، 504 :1
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة	الأنفال	42	264 :2
ولكن الله سلم	الأنفال	43	374 :1
قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم	التوبة	14	610 :1
يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره	التوبة	32	229 :2
ثاني اثنين إذ هما في الغار	التوبة	40	151 :2 ، 288 :1
لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا	التوبة	51	209 :1
وعلى الله فليتوكل المؤمنون	التوبة	118	466 :2
وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت	التوبة	120	562 :1
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين	يونس	44	334 :2
لا يظلم الناس شيئا	يونس	49	614 :1
قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله	يونس	58	466 :2
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون	يونس		

الآية	السورة	الآية	الصفحة
ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون	يونس	62	433 :2
لهم البشرى في الحياة الدنيا	يونس	64	212 :2
فإن كنت في شك مما أنزلنا عليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك	يونس	94	532 :1
ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا	يونس	99	232 :2
ثم ننجي رسلا الذين آمنوا كذلك حقا	يونس	103	244 :1
علينا ننجي المؤمنين	هود	18	511 :1
ألا لعنة على الظالمين			
وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي			
وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على	هود	44	560 :1
الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين	هود	113	565 :1
ولا تركنوا إلى الذين ظلموا			
إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى	هود	114	564 :1
للكافرين	هود	115	565 :1
فإن الله لا يضيع أجر المحسنين	هود	117	228 :1
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم			
والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا			
يعلمون	يوسف	21	505 ،33 :2
ما أنزل الله بها من سلطان	يوسف	40	381 :1
فعرفهم وهم له منكرون	يوسف	58	217 :2
فإن الله خير حفظا وهو أرحم الراحمين	يوسف	64	193 :1
فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم	يوسف	77	334 :1
قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة	يوسف	108	337 :1
أنا ومن اتبعني	يوسف	176	591 :1
وفوق كل ذي علم عليم			

الآية	السورة	الآية	الصفحة
فنعم عقي الدار	الرعد	24	396 :1
لكل أجل كتاب	الرعد	39	606 :1
والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع			
الحساب	الرعد	41	233 :1
ولكن الله يمن على من يشاء من عباده	إبراهيم	14	587 :1
بواد غير ذي زرع	إبراهيم	39	516 :1
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين	الحجر	99	512 :1
أتى أمر الله	النحل	1	90 :2
وعلى الله قصد السبيل	النحل	9	600 :1
وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله			
من يموت	النحل	38	120 :2
من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا			
للشاربين	النحل	66	187 :1
فلا تضربوا لله الأمثال	النحل	74	512 :1
ولا تقف ما ليس لك به علم	الإسراء	36	430 :1
وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا			
تفقهون تسبيحهم	الإسراء	44	194 :1
ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر			
والبحر ورزقناهم من الطيبات	الإسراء	70	266 :1
وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني			
مخرج صدق	الإسراء	80	602 :1
وجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان			
زهوقا	الإسراء	81	602 :1
ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة			
للمؤمنين	الإسراء	82	306 :2 ، 561 :1
قل الروح من أمر ربي	الإسراء	85	523 :1

الآية	السورة	الآية	الصفحة
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملت منهم رعبا ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله وما ظلمهم الله ولا يظلم ربك أحدا وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وعلمناه من لدنا علما إنا مكنا له في الأرض قل إنما أنا بشر مثلكم كهيعص يا يحيى خذ الكتاب بقوة هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا الرحمن على العرش استوى والسلام على من اتبع الهدى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما رب لم حشرني أعمى وقد كنت بصيرا لا يسأل عما يفعل وهم يسألون كل في فلك يسبحون رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ومن يهن الله فما له من مكرم	الكهف الكهف الكهف الكهف الكهف الكهف الكهف الكهف الكهف مريم مريم مريم طه طه طه طه طه طه الأنبياء الأنبياء الأنبياء الأنبياء الحج	18 23 38 49 59 61 64 83 105 1 12 98 5 47 107 108 125 23 33 88 104 18	534 :2 121 :2 608 :1 334 :2 508 :1 169 :2 357 :1 612 :1 511 :1 557 :1 58 :2 414 ، 179 :2 572 :1 511 ، 339 :1 301 :1 557 :1 258 :2 232 :2 600 :1 566 :1 31 :2 250 :2

الآية	السورة	الآية	الصفحة
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بيمة الأنعام	الحج	28	325 :1
لهدمت صوامع وبيع وصلوات ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة فتبارك الله أحسن الخالقين	الحج	38	312 :1
يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا	الحج	63	125 :1
ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن وهو يجر ولا يجار عليه ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا لولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبدا	المؤمنون	14	230 :1
قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم الله نور السماوات والأرض رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله	المؤمنون	51	224 :2
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فليحذر الذين يخالفون	المؤمنون	72	562 :1
يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا	المؤمنون	89	551 :1
أرأيت من اتخذ إلهه هواه بل هم أضل سبيلا	النور	16	233 :2
يوم لا ينفع مال ولا بنون	النور	21	232 :2
	النور	30	112 :2
	النور	35	25 :2، 254 :1
	النور	37	592، 353 :1
	النور	44	51 :2، 305 :1
	النور	61	79 :2
	الفرقان	27	160 :1
	الفرقان	42	117 :2
	الفرقان	43	117 :2
	الفرقان	44	201 :1
	الشعراء	88	419 :2

الآية	السورة	الآية	الصفحة
لئن لم ينته المنافقون جزيناهم بما كفروا وإنا وأياكم لفي هدى أو في ضلال مبين إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وغرايب سود إنما يخشى الله من عباده العلماء الذي أحلنا دار المقامة من فضله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والله خلقكم وما تعملون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه وأشرق الأرض بنور ربها فنعم أجر العاملين غافر الذنب وقابل التوب فادعوا الله مخلصين له الدين أدعوني أستجب لكم فإذا جاء أمر الله قضي بالحق أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ينادون من مكان بعيد	الأحزاب سبا سبا فاطر فاطر فاطر فاطر يس الصافات الصافات الزمر الزمر الزمر الزمر غافر غافر غافر غافر فصلت فصلت فصلت	60 17 24 6 27 28 35 81 96 180 21 67 69 74 2 13 60 77 14 33 44	79 :2 231 :2 510 :1 512 :1 99 :2 335 :2 232 :2 610 :1 609 ، 605 :1 552 :2 ، 602 ، 556 :1 601 :1 555 ، 562 :1 25 :2 396 :1 104 :2 552 :1 542 :1 538 :1 615 :1 536 :1 253 :2

الآية	السورة	الآية	الصفحة
ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد	فصلت	46	334، 264 :2
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم	فصلت	52	509 :1
أو لم يكف بربك أنه على كل شيء	فصلت	53	509 :1
شهيد	فصلت	54	509 :1
ألا أنهم في مرية من لقاء ربهم	الشورى	1، 2	557 :1
حم، عسق	الشورى	7	207 :2
فريق في الجنة وفريق في السعير	الشورى	9	609، 557 :1
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير	الزخرف	9	122 :2
خلقهن العزيز العليم	الزخرف	87	122، 84 :2
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله	الجاثية	23	202 :2
ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما	الفتح	10	605، 601، 503 :1
يهلكنا إلا الدهر	الفتح	27	312 :1
إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله	الحجرات	11	565 :1
فوق أيديهم	الذاريات	21	503 :1
لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين	الذاريات	55	567 :1
ولا تنازعوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق	الذاريات	56	441 :2
بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم	النجم	2	231 :1
الظالمون	النجم	23	564 :1
وفي أنفسكم أفلا تبصرون	النجم	31	510 :1
وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين	النجم	41	496 :1
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	القمر	35	231 :2
ما ضل صاحبكم وما غوى			
إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس			
ولقد جاءهم من ربهم الهدى			
فلا تزكوا أنفسكم			
وإن إلى ربك المنتهى			
كذلك نجزي من شكر			

الآية	السورة	الآية	الصفحة
مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا بيغيان	الرحمن	17	335 :1
كل من عليها فان ويبقى وجه ربك	الرحمن	26	509 :1
ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون	الواقعة	88	503 :1
هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم	الحديد	3	504 ، 503 ، 337 :1
وهو معكم أينما كنتم	الحديد	4	503 :1
ما يكون من نحوى ثلاثة إلا هو رابعهم	المجادلة	7	510 :1
فاعتبروا يا أولي الأبصار	الحشر	2	601 :1
لو أنزلنا هذا القرآن على جبل	الحشر	21	242 :2
فلا ترجعوهن	المتحنة	10	118 :2
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم	الجمعة	4	250 :1
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون	المنافقون	8	208 :1
يوم التغابن	التغابن	9	566 :1
ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم	التغابن	11	607 :1
يا أيها النبي إذا طلقتم النساء	الطلاق	1	118 :2
إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا	الطلاق	3	568 :1
سيجعل الله بعد عسر يسرا	الطلاق	7	565 :1
عسى ربه إن طلقكن	التحریم	5	104 :2
لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون	التحریم	6	523 :1
فسحقا لأصحاب السعير	الملك	11	388 :2
إنه عليم بذات الصدور	الملك	13	272 :1

الآية	السورة	الآية	الصفحة
واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتلا	المزمل	8	339 :1
هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا	المزمل	19	163 :1
قم فأنذر	المدثر	2	474 :1
وما تشاؤون إلا أن يشاء الله	الإنسان	30	613 :1
وفواكه مما يشتهون	المرسلات	42	169 :2
جزاء من ربك عطاء حسابا	النبأ	36	231 :2
أنا ربكم الأعلى	النازعات	24	221 :1
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن			
الهوى فإن الجنة هي المأوى	النازعات	39	564 :1
أما من استغنى	عبس	5	563 :1
ما شاء ركبك	الانفطار	8	29 :2
والله من ورائهم محيط	البروج	20	221 ، 177 :1
سبح اسم ربك الأعلى	الأعلى	1	307 :2 ، 552 :1
وما أدراك ما العقبة	البلد	12	283 :1
وأما بنعمة ربك فحدث	الضحى	11	510 :1
واسجد واقترب	العلق	19	253 :2
يتلو صحفا مطهرة	البينة	2	34 :2
وتواصوا بالصبر	العصر	3	568 :1
لإيلاف قريش	قريش	1	90 :2
لكم دينكم ولي دين	الكافرون	6	326 :1
لم يلد ولم يولد	الإخلاص	3	561 :1

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	طرف الحديث
564:1	اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها
607:1	إذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج
240:2	إذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله
239:2	إذا أمن الإمام فأمنوا
415:1	إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئر غرس
336:2	إذا توضأ العبد فمضمض واستنشق خرجت خطاياہ من فيه
516:1	إذا لا تجده إلا قرشيا أو أنصاريا
402:1	أسكن أحد
504:1	أصدق كلمة قالتها العرب كلمة لبيد
377:1	أعلم به قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي
199:2	أكرموا المهاجرين الأولين
377:1	الحقي بسلفنا عثمان بن مظعون
51:1	أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله
111:2	إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر
636:1	إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها
606:1	إن دين الله وضع دون الغلو وفوق التقصير
582:1	إن الرجل ليشتهي الولد في الجنة
208:2	إن الساعة لا تقوم حتى يكون عشر آيات
514:1	أن الله إذا أنجلي لشيء خشع
212:2	إن الله استقبل لي الشام وولى ظهري إلى اليمن
224:2	إن الله تبارك وتعالى طيب ولا يقبل إلا طيبا

الصفحة	طريف الحديث
53 :1	إن الله تعالى يقول: إن عبداً أصبح له جسمه
504 :1	إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني
478 :1	إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء
609 :1	إن الله صانع كل صانع وصنعه
162 :1	إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر
611 :1	إن الله يفعل عند الأشياء لا بها
200 :2	إن لم تجدني فأت أبا بكر
96 :2	إن لله تسعة وتسعين اسماً
230 :2	إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض تبلغني عن أمي السلام
223 :2	إن منكم قوماً يتعبدون حتى يتعجب الناس وتعجبهم أنفسهم
610 :1	أنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر
445 :1	إنا معاشر الأنبياء أمرنا بثلاث
208 :2	أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا
222 :2	إنك مني بمنزلة هارون من موسى
490 :1	إنما يرحم الله من عباده الرحماً
220 :2	إنه كان يبغض عثمان بن عفان أبغضه الله
393 :1	إنه يقول: لا أسوؤك في أمتك
221 :2	إني أقول مالي أنازع القرآن
253 :1	أول ما خلق الله نور محمد
214 :2	أيكم أصبح اليوم صائماً
230 :1	أيما عبد أبق من سيده
417 :1	أذهبوا بنا إلى هذا الوادي المبارك
490 ، 489 :1	أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء
120 :1	بئس الميت أبو أمانة لليهود والمنافقين
177 :2	بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً
417 :1	بوادي العقيق أتاني الليلة آت فقال: صل في هذا الوادي المبارك
51 :1	تابعوا بين الحج والعمرة
512 :1	تفكروا في آلاء الله ولا تنفكروا في ذات الله

الصفحة	طرف الحديث
129:2	ثم إن الله يضحك إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر
636:1	حب الوطن من الإيمان
309:1	الحج والعمرة والتج
201:2	حرم الله علينا بكت من خشية الله على النار
387:1	الحمد لله الذي قرب منا مسجد قباء
399:1	حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم
594، 527:1	خاطبوا الناس بما يفهمون
209:1	خير المؤمنين القانع وشرارهم الطامع
606:1	خير الأمور أوساطها
38:2	خير هذه الأمة أولها وآخرها
218:2	ذنبان لا يغفران وتعجل لصاحبهما العقوبة؛ البغي وقطيعة الرحم
489:1	الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى
221:2	الرطب تاكلنه وتهدينه
391:1	سألت ربي ثلاثا فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة
207، 206:2	سددوا أبشروا إن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة
396:1	سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
339:1	سلمان منا أهل البيت
232:2	سيكون قوم يقولون لا قدر
417:1	صل في هذا الوادي المبارك
388:1	الصلاة في مسجد قباء كعمرة
222:2	عرضت علي أجور أمي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد
417:1	العقيق وادي مبارك
225:2	عليكم بالسنا والسنوت، فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام
207:2	عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل شيء إلا السام
198، 135:2	عمرة في رمضان تعدل حجة
377:1	عند فرطنا عثمان بن مظعون
222:2	فمن كنت مولاه فإن عليا مولاه
221:2	فناء أمي بالطعن والطاعون

الصفحة	طرف الحديث
206:2	في كل كبد حرى أجر
389:1	قوموا إلى سيدكم
432:1	كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه
524:1	كنت كثرًا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفوني
388:1	لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إلي من أن آتي بيت المقدس مرتين
610:1	لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم
478:1	لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء
574:1	لا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله
145:2	لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت أن يصلي في أي وقت شاء
215:2	لا خير فيها، هي في النار
209، 192:2	لا مهدي إلا عيسى
209:2	لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدماراً، ولا الناس إلا شحاً
214:2	لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله، فإن حسن الظن بالله ثمنه الجنة
607:1	لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به
397:1	اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء
612:1	اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فأعطنا منها ما يرضيك عنا
351:2	
424:1	اللهم حبب إلينا المدينة
387:1	لو كان مسجدنا هذا بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل
461:1	لو يعلم الناس ما في الصف الأول لاستبقوا إليه
454:2	ليس الصيد لمن أثاره
240:2	ليلة القدر في العشر البواقي
525:2	ما أسكر كثيره فقليله حرام
408:1	ما بين بيتي ومصلاي روضة من رياض الجنة
596:1	ما بين مسجدي ومصلاي روضة من رياض الجنة

الصفحة	طرف الحديث
230:2	ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام
223:2	ما من عبد أذنب ذنبا فقام فتوضأ فأحسن الوضوء
241:2	ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان
523:1	ما من مولود إلا ويولد على الفطرة
241:2	مدينة بين الجبلين على البحر يقال لها عكا
329:2	مرحبا بقوم شعيب وأصهار موسى
220:2	الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية في سبعة أشهر
51:1	من أراد دنيا وآخره فليؤم هذا البيت
210:2	من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوما من عراض الوجوه
35:2	من أشراط الساعة خسف بالشرق ومسح بالمغرب
213:2	من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير
596:1	من أكل مع مغفور له غفر له
227:2	من توضأ كما أمر وصلى كما أمر غفر له ما تقدم من ذنبه
242:2	من جاء حاجا يريد وجه الله فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
222:2	من حسن عبادة المرء حسن ظنه
123:2	من رأى منكم منكرا
91:1	من رآني فقد رأى الحق
222:2	
91:1	من رآني في المنام فسيراني في اليقظة
222:2	
204:2	من ربي صيبا حتى يقول لا إله إلا الله لم يحاسبه الله
243:2	من سعى لأخيه المؤمن في حاجة
242:2	من صام يوم عرفة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
242:2	من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
241:2	من صلى سبحة الضحى ركعتين
386:1	من صلى في مسجدي أربعين صلاة
243:2	من قاد مكفوفا أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
242:2	من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم

الصفحة	طرف الحديث
215:2	من قبض يتيما من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه
241:2	من قرأ إذا سلم يوم الجمعة قبل أن يثني رجله فاتحة الكتاب
243:2	من عدد في البحر أربعين موجة وهو يكبر غفر الله له ذنوبه
240:2	من علم ابنا له القرآن نظرا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
198:2	من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار
200:2	من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
216:2	من مكارم الأخلاق التزاور في الله
215:2	المؤمن واهي راقع، وسعيد من هلك على رقعة
35:2	نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب
446:1	نحن معاشر الأنبياء لا نورث
414:1	نعم القلب قلب المزي
219:2	نعم القوم الأزدي؛ نقيه قلوبهم، بارة أيمانهم، طيبة أفواههم
417:1	هذا الوادي يحبنا ونحبه
403، 404:1	هذا جبل يحبنا ونحبه
207، 206:2	هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة أسماؤهم
216:2	هذان سيدا كهول أهل الجنة
142:2	هنا تسكب العبرات
201:2	هنيئا للمتحابين في الله جنات عدن
461:1	وآتوها تمشون، وعليكم السكينة والوقار
212:2	وإن أثقل شيء في ميزان المؤمن خلق حسن
254:1	واجعلني نورا
504:1	والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل
218:2	والذي نفسي بيده ليارز الإيمان إلى ما بين المسجدين
504:1	ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه
516:1	ولم يزل الخلق ينقصون
233:2	ويل للعرب من شر قد اقترب
201:2	يا أبا الدرداء أتمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة
215:2	يا أبا بكر إن الله أعطاني ثواب من آمن بي

الصفحة	طرف الحديث
220 :2	يا عثمان هذا جبريل عليه السلام يخبرني
610 :1	يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلّالا فهداكم الله بي
216 :2	يصيح صائح يوم القيامة من كانت له عند الله عدة فليقم
206 :2	يفضل الذكر الذي لا تسمعه الحفظة
198 :2	يكون قوم في آخر الزمان يخضبون بهذا السواد

فهرس الأعلام

(ابن)

ابن أبي جمرة	430، 99، 95، 90 :1
ابن أبي حديدة	212 :2
ابن أبي الحواري	202 :2
ابن أبي الدميك	220 :2
ابن أبي الدنيا	1 :544، 547، 549، 550، 553، 2 :245، 473
ابن أبي الربيع	2 :352، 354
ابن أبي زمنين	2 :275
ابن أبي زيد	1 :116، 2 :60، 275، 264، 271، 275، 276
ابن أبي سماحة سليمان	2 :549
ابن أبي سماحة عبد القادر	2 :548
ابن أبي شيبة	1 :53، 2 :212، 238
ابن أبي طالب عقيل	380
ابن أبي طلحة	2 :279
ابن أبي عمر	2 :114
ابن أبي الفتوح	1 :339، 340
ابن أبي فرعون	2 :215
ابن أبي ليلي	2 :213
ابن أبي محلي	1 :76

223 ، 218 :2	ابن أبي مرزوم
272 :2	ابن أبي مطر
211 ، 200 :2	ابن أبي مليكة
421 ، 391 ، 387 ، 378 :1	ابن أبي وقاص
337 :2	ابن الأبار
101 :2	ابن إبراهيم بن سعد
700 ، 695 ، 96 :2	ابن الأثير
152 :1	ابن أدهم
102 :1	ابن الأستاذ
212 ، 198 :1	ابن إسحاق أحمد بن يحيى
279 ، 223 ، 209 :2 ، 391 :1	ابن أسلم زيد
278 ، 272 :2	ابن أشرص
276 ، 274 :2	ابن اصبع
211 :137 :2	ابن الأعرابي
281 :2	ابن باديس
281 ، 149 :2	ابن البخاري
202 :2 ، 398 ، 104 :1	ابن البراء
378 ، 315 :2	ابن بركات
221 ، 200 :2	ابن البريد علي بن هشام
50 :1	ابن بزيمة
267 ، 242 :2	ابن بشكوال
274 :2	ابن بشير
98 :1	ابن بطال
124 :2	ابن البققي
112 ، 111 ، 97 ، 89 ، 87 :2	ابن بنت الأعز
463 ، 111 :1	ابن بوسماحة
57 ، 30 ، 11 :2 ، 635 ، 439 :1	ابن التاج
92 :1	ابن التوأمة
98 :1	ابن التين

279 :2	ابن تدرس
281 :2	ابن الترجمان
91 :2 ، 115 :1	ابن تومرت
114 ، 112 ، 98 :2 ، 613 ، 577 ، 574 :1	ابن تيمية
126 ، 124 ، 123 ، 115	
511 :2	ابن ثابت الخطيب
289 :2	ابن جابر
200 :2	ابن جامع
98 :2	ابن جبريل
223 ، 218 ، 204 ، 202 :2 ، 397 ، 394 :1	ابن جبل معاذ
401 :2 ، 404 ، 401 :1	ابن جحش
216 ، 213 ، 212 ، 209 ، 206 ، 205 :2	ابن الجراب
217	
222 ، 200 ، 149 :2	ابن حريج
281 ، 173 ، 172 ، 111 :2 ، 480 ، 477 :1	ابن الجزري
351 ، 285	
280 :2	ابن جلال سعد بن أحمد
270 ، 246 ، 101 :2 ، 455 ، 413 :1	ابن جماعة
405 ، 404 :1	ابن الجموح
81 :2	ابن الجناب
88 :2 ، 511 ، 387 ، 150 :1	ابن الجوزي
344 ، 270 :2 ، 89 :1	ابن الحاج
634 ، 528 ، 483 ، 191 ، 145 ، 117 :1	ابن الحاجب
354 ، 283 ، 268 ، 267 ، 108 ، 106 ، 92 :2	
374 ، 371 ، 359	
422 ، 219 ، 212 :2 ، 418 ، 53 :1	ابن حبان
393 ، 304 ، 191 ، 99 ، 98 ، 97 ، 95 ، 93 :1	ابن حجر
204 ، 197 :2 ، 612 ، 549 ، 547 ، 432	
286 ، 281 ، 253 ، 247 ، 238 ، 237 ، 227	

351 ، 350 ، 294 ، 287 ، 286	
220 :2	ابن الحداد
201 :2	ابن حراش
405 ، 404 :1	ابن حرام
379 ، 152 :1	ابن حرب
367 ، 366 :1	ابن حزم
452 :2	ابن حسين
274 :2	ابن الحصار
222 :2	ابن الحكم محمد بن عبد الله
509 :1	ابن حمزة محمد بن أحمد
429 ، 374 ، 373 ، 366 ، 281 :2	ابن حنبل (أحمد بن حنبل)
239 :1	ابن الحنبلي
275 :2	ابن حويل
393 ، 391 ، 343 :2	ابن حيان
268 :2	ابن حيدرة
539 ، 35 ، 34 ، 27 :2 ، 222 ، 125 ، 81 :1	ابن خلدون
349 ، 348 ، 153 ، 82 :2 ، 263 :1	ابن خلكان
395 :2	ابن الخيمي
106 ، 105 ، 93 ، 88 :2 ، 443 ، 103 :1	ابن دقيق العيد
373 ، 124 ، 116 ، 113 ، 112 ، 111	
330 :2	ابن الدوري
217 :2	ابن دينار مالك
149 :2	ابن ذاهب الوراق
275 :2	ابن ذكوان عبد الله
345 :2	ابن رأس الحجلة
330 :2	ابن رزين
273 ، 271 ، 270 ، 267 :2	ابن رشد محمد بن أحمد
227 :2	ابن رشيد السبتي
197 :2	ابن رفاعة

281 :2	ابن زاغو
420 ،383 ،297 :1	ابن زبالة
271 ،217 :2 ،506 :1	ابن زرقون
545 :1	ابن ساسويه
496 ،495 :1	ابن سبعين
391 :1	ابن سعد عامر
71 :1	ابن سعيد محمد بن عبد الله
507 :1	ابن سكينه ضياء الدين
121 ،73 :1	ابن السيد محمد بن عبد الله
127 ،112 ،105 :2	ابن سيد الناس
207 :2 ،94 ،92 :1	ابن سيرين
370 ،369 ،367 :2 ،173 :1	ابن الشاط
288 :2	ابن شافع
507 :1	ابن شبل
350 :2	ابن شخانة
220 ،202 :2	ابن شهاب
197 :2	ابن الشيخة
216 :2	ابن صاعد
328 ،114 ،95 :2 ،103 ،102 :1	ابن الصلاح
272 :2	ابن الصواف
221 :2	ابن الضحاك
557 ،556 :1	ابن طاووس
149 :2	ابن طبرزد
204 :2	ابن الطفيل
268 :2	ابن الطلاع
391 :1	ابن طلحة محمد
148 :2	ابن ظهيرة
172 :2	ابن عاشر
312 :2	ابن عباد الرندي

254 :2	ابن عبد ربه ميسرة
295 :2	ابن عبد الرؤوف
234 :1	ابن عبد الجبار محمد بن محمد
281 :2	ابن عبد الرفيح
392 ، 398 :1	ابن عبد الله جابر
447 :2	ابن عبلو القصيري
274 :2	ابن عتاب
276 :2	ابن العجوز محمد بن عبد الرحمن
100 :2	ابن عدلان شمس الدين
300 :2 ، 241 ، 240 :1	ابن عراق
411 ، 381 ، 505 ، 288 :2 ، 300 ، 411	ابن العربي محي الدين
96 ، 191 ، 447 ، 267 :2 ، 268 ، 357 ، 543 ، 372 ، 371 ، 363 ، 361 ، 358	ابن عرفة
376 :1	ابن عرفطة خالد
288 :2	ابن عزم
90 :2	ابن عساكر فخر الدين
191 :1	ابن عسكر
344 :2 ، 77 :1	ابن عصفور
99 :2 ، 521 ، 263 :1	ابن عطاء الله تاج الدين
442 :2	ابن عليم علي بن عليل
401 :1	ابن عمرو خلاد
275 :2	ابن عمروس
259 :2	ابن عنان سيدي محمد
280 :2 ، 421 ، 376 :1	ابن العوام عبد الله بن الزبير
207 :2	ابن عون
217 ، 212 :2	ابن عياش أبو بكر
266 :2	ابن غازي محمد بن أحمد
272 :2	ابن غانم
149 :2	ابن الغطريف عبد الله

213 :2	ابن غياث
227 :2	ابن الفاخر
262 :2	ابن الفارض عمر
277 :2	ابن الفخار البيري
283 ، 243 ، 235 :2	ابن الفرات
117 :2	ابن الفرضي
288 ، 287 :2	ابن فهد تقي الدين
230 :2	ابن قتيبة
92 :2	ابن قدامة
449 :2	ابن قضيب البان
272 :2	ابن القرطبي محمد بن القاسم
444 :2	ابن قزقوز
337 ، 274 ، 273 :2	ابن القطان
153 :2	ابن قلاقس
105 :2	ابن القوبع
616 :1	ابن القيم الحنبلي
31 :2	ابن كمال باشا
92 :2	ابن كيكلدي
100 :2	ابن اللبان محمد
219 ، 206 ، 202 :2	ابن لهيعة
1 ، 67 ، 377 ، 415 ، 567 ، 582 :2 ، 129 ،	ابن ماجة
473 ، 336 ، 246	
274 ، 272 :2	ابن الماجشون
631 :1	ابن مالك عتبان
401 :2	ابن مالك النعمان
201 :2	ابن ماهان محمد
537 ، 220 :2	ابن المبارك عبد الله
225 :2	ابن مجمع
216 :2	ابن المثنى

282 :2	ابن المذهب الحسن بن علي
240 :2	ابن مردويه
225 :2، 301 :1	ابن المديني علي
140، 138، 132، 128 :1	ابن مساهل
242، 232 :2، 390، 378 :1	ابن مسعود عبد الله
133 :1	ابن المسعود محمد بن محمد
217 :2	ابن المسلم أحمد بن محمد
350، 274 :2	ابن مطروح
103 :1	ابن الملغن
149 :2	ابن ملوك أبو المواهب
241 :2	ابن مندة
219، 218، 212، 204، 198 :2	ابن المنهال
201 :2	ابن منيع
277 :2	ابن ميسر
532، 361، 358، 357، 356، 268 :2 :2	ابن ناجي قاسم
241 :2	ابن الناصح
109، 108، 99 :2	ابن نباتة
477 :1	ابن نجاح سليمان
289 :2	ابن النجار الحنبلي
218، 203 :2	ابن النحاس عبد الرحمن بن عمر
539، 537، 219، 85 :2	ابن النحوي
353 :2	ابن نعيم
99 :2	ابن النفيس علاء الدين
52 :1	ابن هاني
388 :1	ابن الهدم كلثوم
477 :1	ابن هذيل علي بن محمد
278 :2	ابن الوراق محمد بن أحمد
275، 274، 241، 222، 205، 204 :2	ابن وهب
276	

ابن الياسمين	632 :1
ابن يدير محمد بن أبي بكر	476 :1
(أبو)	
أبو الأحوص	203 :2
أبو أسامة زيد بن أسلم	282 :2
أبو إسحاق التونسي	279 :2
أبو أمامة سعد بن زرارة	120 :1
أبو أيمن	401 :1
أبو أيوب	227 :2، 389 :1
أبو بكر الصديق	1 :336، 339، 341، 612، 2 :103، 111، 224، 225، 238، 300، 434
أبو بكر بن أيوب	505 :2
أبو بكر بن علي بن محسن	71 :1
أبو بكر بن عياش	2 :214، 219، 220
أبو بكر بن الطيب	93 :1
أبو بكر الشبلي	439 :2
أبو جيدة	148 :1
أبو حصين	210 :2
أبو الحكم سيار بن نصر	217 :2
أبو حيان محمد بن يوسف	1 :110، 118
أبو حنيفة	1 :262، 326، 2 :80، 100، 236، 245، 246، 247، 284، 286، 415، 418
أبو الدرداء	1 :336، 2 :203، 211، 213، 214، 218، 227
أبو راوي	2 :504، 533
أبو الرواين	79 :1
أبو الزبير المكي	2 :206، 282

291، 288 :2	أبو زرعة
188 :1	أبو زعامه
222 :2	أبو الزناد
270 :2	أبو سالم إبراهيم بن قاسم
97 :1	أبو سعيد أحمد بن محمد
256 :2	أبو سعيد خليل بن بدر
377 :1	أبو سفيان بن الحرث
335، 222، 175 :2، 415 :1	أبو سلمة
342 :2	أبو سعيد النقاش
279 :2	أبو سلمة فضل بن سلمة
91 :2	أبو شامة عبد الرحمن
194 :1	أبو شعيبة
373 :1	أبو الشوارب
84 :2	أبو الطاهر المحلي
210، 202 :2	أبو الطفيل
268 :2، 520 :1	أبو عبد الله بن عبد الجليل
508 :1	أبو عبد الله بن المجاهد
85 :2	أبو عبد الله القرشي
275، 270 :2	أبو عبد الله محمد بن فرج
282 :2	أبو عبيدة حميد الطويل
	أبو عمران الأندلسي موسى بن محمد
285، 270، 269، 237 :2	
240 :2، 92 :1	أبو عوانة
250 :2	أبو الفضل بن حجر
439 :2	أبو الفضل بن كامخ
346، 250 :2	أبو الفضل محمد بن علي
489 :1	أبو قابوس
176 :2	أبو القاسم الأموي
208 :2	أبو قبيل

أبو لبابة	2: 282، 534، 535
أبو محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة	2: 256
أبو محمد صالح	1: 202، 2: 269، 331، 486
أبو مدين الغوث	2: 130، 134، 302، 456، 481
أبو مروان بن خليل	2: 345
أبو المعالي عبد الله بن عمر الحلاوي	2: 256
أبو المعالي عيسى بن عبد الرحمن	2: 174، 288
أبو معزة عيسى بن محمد	1: 137
أبو منصور عبد المحسن بن محمد بن علي	2: 244
أبو ميمونة دراس بن إسماعيل	2: 274
أبو موسى عيسى	2: 269، 271
أبو النعمان تراب بن عمر بن عبيد	2: 224، 225
أبو نعيم وهب بن كيسان	2: 282
أبو هريرة	1: 91، 93، 408، 545، 594، 2: 203، 209، 211، 217، 221، 222، 223، 225، 226، 232، 234، 241، 242، 256، 265، 279، 282، 287، 290
أبو هشام محمد بن سلمة	2: 277
أبو الوائل بن العربي	1: 511
أبو الوقت	2: 172، 285
أبو يعزى	1: 403
(أم)	
أم إبراهيم	1: 394
أم بشر بن البراء	1: 398
أم حبيبة	2: 333

أم سلمة 2: 175، 239
أم كلثوم 1: 381، 2: 220

(أ)

إبراهيم (عليه السلام) 1: 381، 382، 592، 2: 321، 337، 457
إبراهيم بن النبي (ص) 2: 290
إبراهيم بن أبي داود 2: 218
إبراهيم بن سعد بن إبراهيم 2: 199، 219
إبراهيم عبد الله أبو مسلم 2: 207
إبراهيم بن هشام 2: 213
إبليس 2: 205، 258، 390
الأنبوسي عبيد الله 2: 149
الأبهري أحمد بن محمد 2: 298
الأبهري محمد بن عبد الله 2: 275
الأياري علي بن إسماعيل 2: 269
الأياري ناصر الدين 2: 269
الإبياني عبد الله بن أحمد بن إبراهيم 2: 271
أبي بن كعب 2: 232
الأجهوري 1: 240، 241، 2: 46، 48، 49، 187، 197،
247، 253، 281، 493، 505، 520، 527
الأحذب إبراهيم بن أحمد 2: 294
الأحسائي أبو بكر بن علي باشة 2: 306
الأحسائي يحيى بن الباشا 2: 57، 72
الأحسائي علي الضرير 2: 75
أحمد أبادي 2: 131
أحمد الأصغر 1: 190، 192
أحمد باقشير 2: 295
أحمد بن إبراهيم بن الزبير 2: 269

219 :2	أحمد بن إبراهيم بن محمد
121 ، 115 :1	أحمد بن جلاب
226 :2	أحمد بن الحسين بن نصر
373 ، 281 ، 260 :1	أحمد بن حنبل
71 :1	أحمد بن عبد الصادق
261 :1	أحمد بن طولون
344 ، 342 :1	أحمد بن عبد الأحد
543 :2	أحمد بن عبد الإله
187 :1	أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد
536 :2	أحمد بن عبد العاطي
172 :1	أحمد بن عبد الله
183 :1	أحمد بن عروس
242 :2 ، 507 :1	أحمد بن علي بن ثابت
46 :2	أحمد بن عمران
203 :2	أحمد بن عيسى
212 :2	أحمد بن محمد بن عثمان
67 :2	أحمد بن محمد بن علي
240 :2	أحمد بن منيع
78 :1	أحمد بن موسى
226 :1	أحمد بن وهذاذ
215 ، 198 :1	أحمد بن يحيى بن إسحاق
113 ، 112 :1	أحمد بن فضل الله
82 ، 57 :2 ، 67 :1	أحمد الخطيب
257 :2	أحمد الزاهد
27 :1	أحمد وزير الشاه
453 :1	الأحمدي أبو الفتح الحلبي
220 :1	الأحمر علي بن جعفر
544 ، 542 :1	الأخضري عبد الرحمن
112 :1	الإخميمي علي بن عبد الظاهر

552، 550 :2، 315 :1	إدريس (عليه السلام)
501 :1	إدريس بن أبي عبد الله
16 :1، 24، 215، 2 :2، 323، 517، 519، 520	آدم (عليه السلام)
87 :1	الإرييلي عماد الدين بن يونس
222 :1	الآدمي محمد بن يزيد
125 :1	الأرديلي الفرّج بن محمد
497 :2	أرسطو "إرسطأ"
412 :2	أريس
344 :1	الأزدي أبو العباس بن محمد
202 :1	الأزدي علي بن الحسن بن قديد
414 :2، 173 :1	الأزرق
286 :1	الأزرقى
417 :1	الأزهري خير الدين
307 :1	الأزهري أحمد بن إسماعيل
223 :1	أسباط بن محمد
210 :1	إسحاق بن إبراهيم بن يونس
218 :1	إسحاق بن عبد الله
481، 476 :2، 295 :1	إسحاق جهمان
214، 206، 199 :1	أسد بن موسى
343 :2	الإسرائيلي إبراهيم بن سهل
382، 120 :1	أسعد بن زرارة
344 :1	الإسفراييني
354 :2	إسماعيل (عليه السلام)
216 :2	إسماعيل بن أمية
221 :2	إسماعيل بن زكرياء
198 :2	إسماعيل بن مسلم
93 :2	الأسواني شمس الدين
121 :1	الإشبيلي أبو الفرّج

الإشيلي أحمد بن محمد	2: 217، 220، 344
الإشيلي عبد الحق	1: 510، 2: 336
أشعب الطماع	2: 185
الأشعري بن أبي الوفا	2: 415
الأشعري أبو الحسن	1: 480، 533، 577، 578، 579، 613، 617، 618، 619، 620، 2: 88، 227، 228، 229، 231، 232، 233، 234، 243، 245
الأشعري أبو موسى	1: 317، 413
الأشموني عز الدين	1: 103
أشهب بن راشد	2: 370
أصبغ بن الفرّج	2: 273
الأصبهاني إبراهيم بن أبي بكر	2: 84
الأصبهاني أبو منصور	2: 350
الأصبهاني زاهر بن رستم	1: 510
الإصطخري	2: 203، 207
الأصمعي	2: 96
الأعرج	2: 220، 267
الأعمش	2: 212، 215، 242
أغا أحمد	2: 465، 467
أفلاطون	1: 497
أفليوس	2: 25
أفندي الشيخ أحمد	2: 311
الإلبيري أبو إسحاق	2: 16
اللهي إبراهيم بن عبد الله	2: 198
إلياس (عليه السلام)	1: 340
إمام الحرمين (الجويني)	2: 229
أمة الجليل	1: 189، 190
الآمدي سيف الدين	2: 92، 97
أمية بن زيد	1: 419

294 :2	الأموي أيوب بن أحمد الدمشقي
441 ، 377 :1	الأمير إبراهيم
69 :1	الأمير محسن
365 :1	الأندلسي علي بن أحمد
242 :2	الأنصاري أحمد بن عبد الله
279 :2 ، 395 :1	الأنصاري جابر بن عبد الله
421 :1	الأنصاري حوات بن جبير
421 :1	الأنصاري السري بن عبد الرحمن
393 ، 384 :1	الأنصاري سعد بن معاذ
479 ، 182 :2 ، 120 :1	الأنصاري سيدي علي
278 :2	الأنصاري عبد الرحيم بن أشرص
212 :2	الأنصاري عدي بن ثابت
347 ، 212 :2	الأنصاري محمد بن أبي القاسم
198 :2	الأنصاري محمد بن عبد الله
225 ، 216 ، 209 ، 201 :2	الأنصاري هاشم بن محمد
39 :2	الأنطاكي داوود
34 :2	أورتريك
282 ، 242 :2	الأوراسي يحيى بن سليمان
414 ، 220 ، 172 :2	الأوزاعي
352 :1	أولياء الكبير
297 :2 ، 210 :1	أويس القرني
108 :2 ، 498 ، 145 :1	الإيجي عبد الرحمن
216 :2	أيوب بن موسى
414 ، 227 ، 34 :2 ، 467 :1	الأيوبي صلاح الدين

(ب)

506 :1	الباءاني عبد الله
473 ، 184 :2	البابلي محمد بن علاء

288، 124، 123، 116، 114 :2	الباجي
287 :2	البارني محمد بن عمر
444 :1	با عفيف عبد الله
303 :2	باعلوي أحمد بن عبد الرحمن
602، 581، 580 :1	باعلوي سالم
400، 392، 384، 131، 128 :2، 133 :1	باعلوي محمد
131 :2، 380 :1	الباقر محمد بن علي
476 :2	باكر بن سالم
79 :2	البالسي أبو بكر
212 :2، 120 :1	الباهلي أبو أمامة
190 :1	البجائي أحمد بن منصور
215 :2	البخري يحيى بن محمد
445 :2، 403 :1	البدوي أحمد
479 :2	البدوي علي
126، 125، 112 :2	البرازلي القاسم بن محمد
525 :1	البرشيني شمس الدين
160 :2	البرعي عبد الرحيم
281 :2	البرموني كريم الدين
221 :2	بريدة
78، 77 :2، 452، 16 :1	البري أحمد الخطيب
129، 62، 61 :2	البري حسن
287 :2	البرهان الشامي
269 :2	البروني
226، 219، 211، 208، 207، 204 :2	البزاز عبد الرحمن بن عمر
203 :2	البزاز عبد الرحمن بن محمد
450 :2	البزوري أبو البركات
536 :2	البسكري أبو الفضل
473 :2	البشيشي أحمد
217، 211 :2	البصري أحمد بن زياد

275 :2	البصري أحمد بن المعذل
437 :1، 25 :2، 553، 552، 550، 547	البصري الحسن
215 :2	بصري عمر بن حفص
511 :1	البصري القاسم بن جعفر
242 :2	البطرني أبو الحسن
512 :1	البغدادى ابن البنا
205 :2، 206، 209، 212، 213، 216، 217	البغدادى إسماعيل بن يعقوب
173 :2	البغدادى عبد الرحمن بن أحمد
275 :2	البغدادى عبد الوهاب بن نصر
275 :2	البغدادى عبيد الله بن الجلاب
214، 206، 199 :2	البغدادى علي بن أحمد بن إسحاق
199 :2	البغدادى علي بن أحمد بن الحسن
222، 215، 200 :2	البغدادى محمد بن الحسين
431 :1	البنغوي حسين بن مسعود
224، 200، 129، 75، 61 :2، 2	البنغوي عبد الله بن محمد
225 :2	بكر بن خنيس
204 :2	بكر بن مضر
84 :2	البكرى محمد بن عمر "الرازى"
288، 285، 282، 278، 273، 270 :1	البكرى محمد بن محمد
312، 309، 308، 303، 301، 296، 295	
242 :2	البلاطى أحمد بن علي
254، 208، 207 :2	بلال
281 :2	البلغيشى صالح
445 :2	بنت بري
69 :1	بنت جحش
281 :2	البنوفرى محمد
19، 117 :1	بهرام
465 :2، 217 :1	البوصيرى

540 :1	بوطيب نصير
61 ، 60 :1	البوعناني الطيب
471 :1	بو لهوان
184 :1	بو مجيب أحمد
16 :2 ، 595 :1	البوني شهاب الدين
173 :2	البيجوري شهاب الدين
1 :224 ، 241 ، 244 ، 247 ، 529 ، 616 ، 633 :2 ، 77 ، 125 ، 387 ، 388	البيضاوي ناصر الدين
22 :2 ، 511 ، 411 ، 400 ، 381 :1	البيهقي محمد

(ت)

448 :2	تاج الدين بن داود
242 ، 75 :2 ، 329 :1	تاج الدين المكي
274 :2	التجيبى عبد الرحمن
172 :2	التادلي الصغير بن المنيار
72 :1	التادلي يوسف بن يحيى
266 :2	التازغدري
83 :1	التباع عبد العزيز
359 :2 ، 117 ، 126 :1	التتائي
1 :91 ، 508 ، 512 ، 571 ، 2 :241 ، 247 ، 473	الترمذي
300 :2	التستري سهل بن عبد الله
83 :1	التسفاوتي سيدي موسى
224 ، 198 :2	التغلي شعبة بن الفضل
1 :145 ، 191 ، 244 ، 498 ، 523 ، 609 ، 610 :2 ، 623 ، 523	التفتازاني سعد الدين
265 :2	التلمساني شهاب الدين
268 :2	التلمساني عبد الله بن محمد

288 :2	التمساني محمد بن عبد الرحمن
503 :1	التمارسي سليمان
432 :1	التمام عبد الكريم
209 :2	التمتام محمد غالب
463 :2	التمرتاشي
272 :2	التميمي أبو العرب
219 :2	التميمي ربيعة بن عبد الله
223 :2	التميمي سليمان
272 :2	التميمي محمد بن أحمد
219 :2	التميمي محمد بن خلف
512 :2	التميمي محمد بن عبد الرحمن
276 ، 269 :2	التميمي محمد بن عيسى
527 :2	التبكي أحمد بابا
431 :2	التنجري عبد المؤمن
266 :2	التنسي محمد بن عبد الله
266 :2	التنسي محمد بن محمد
272 :2	التنوخى القيرواني
183 :1	التواني أحمد بن المبارك
173 ، 169 :1	التواني عبد العزيز
119 :1	التواني عبد الكريم
119 :1	التواني محمد بن عبد الكريم
98 :2	التوربشتي فضل الله
82 :2	التوزري أبو الفضل ابن النحوي
148 :2	التوزري عثمان محمد
342 ، 82 :2	التوزري محمد بن علي
271 :2	التونسي إبراهيم بن حسن
337 :2	التونسي ابن عبد القادر
29 :2	التونسي أبو الغيث القشاش
278 ، 272 :2	التونسي علي بن زياد

التونسي محمد بن هارون
التهامي
268 :2
91 :2

(ث)

الثعالي عبد الرحمن بن محمد
الثعالي عيسى أبو مهدي
1: 124، 191، 2: 60، 182، 242
1: 63، 222، 237، 321، 369، 339، 340،
403، 429، 448، 468، 471، 573، 580
2: 135، 140، 142، 182، 247، 264،
280، 282، 293، 503، 514
2: 222
2: 224
2: 279
الثقفي عثمان بن المغيرة
الثقفي علقمة بن سفيان
الثقفي محمد بن أبي بكر

(ج)

الجرابري فخر الدين
جابر بن عبد الله
جامع بن أبي راشد
الجامي عبد الرحمن
جامي الملا
الجاناني عمران بن موسى
الجبالي عبد الرحمن
الجرجاني
الجرجي يعقوب
الجزائري محمد بن منصور
الجزاز أبو الحسين
الجزري عبد الكريم
الجزولي عبد الرحمن
الجشتي مودود
2: 474
1: 392، 2: 280
2: 199
1: 350، 351، 352
1: 524، 2: 298
2: 266
2: 496، 503
1: 246، 493، 497، 2: 16
1: 338
2: 60
2: 94
2: 97
2: 267
2: 300

473 :1	الجعبري أبو شامة
215 :2	جعدة بن هبيرة
182 :2	جعفر بن أبي طالب
203 :2 ، 376 :1	جعفر بن محمد
506 :1	الجلودي
533 :2	جمال بن سيدي حامد
526 :2	جمال الدين مفتي القيروان
288 :2	جمال الدين المصري
247 :2	الجمال يوسف
302 ، 296 :2 ، 472 :1	جمعان إسحاق بن محمد
126 :1	الجمني سيدي حامد
534 :2	الجمني محمد بلقاسم
149 :2	الجميزي علي بن هبة الله
343 :2	الجنان أبو عبد الله
416 :2	الجنبلاتي
201 :2	الجندي محمد بن أحمد
167 :2	الجندي
، 97 :2 ، 594 ، 499 ، 345 ، 341 ، 211 :1	الجنيد
458 ، 437 ، 157	
458 :2	الجنيدي يوسف القاسمي
278 :2	الجهني محمد بن إبراهيم
224 :2	الجوهري علي
300 :2 ، 480 :1	الجيلي عبد القادر
595 :1	الجيلي عبد الكريم
(ح)	
225 :2	حاتم بن إسماعيل
494 :2 ، 205 :1	الحاج محمود

112 :1	الحاج يوسف
272 :2	الحارث بن مسكين
344 :2	حازم أبو الحسن
286 ، 172 :2	الحاكم أبو عبد الله
223 :2 :2	حبشون البندار
26 :2	الحبشي بدر
226 :2	الحجاج بن يوسف
75 :2	الحجار إبراهيم
296 ، 295 :2	الحجار سليمان
83 :1	الحجام عبد الله
226 :2	الخداء أحمد بن الحسن
242 :2	الحداد إدريس بن عبد الكريم
254 :2	الحداد أبو علي
208 :2	حذيفة بن أسيد
254 :2	الحراني أبو النجيب
24 :2	الحراني ثابت بن قرّة
205 :2	الحراني علي بن علان
217 :2	حرم بن حفص
12 :1	الحريري
171 :2	حسن بن زيد
217 ، 213 :2	الحسن بن سليمان بن نافع
546 ، 383 ، 376 ، 92 :1	الحسن بن علي
304 :1	حسن بن عليان
213 :2	حسن بن قيس
70 :1	الحسني عبد الله بن علي
216 :2	الحسين بن إسماعيل
464 :2 ، 464 :1	الحسين بن حماد
261 :1	حسين بن زيد بن علي
132 :2	الحسين بن علي بن أبي طالب

الحسيني آدم	379، 360 :1
الحسيني غضنفر	336 :1
الحسيني محمد بن علي	132 :2
الحسيني هبة الله بن عطاء	336 :1
الحصري	288، 286 :2
الحضرمي أحمد بن عقبة	191 :1
الحضرمي بشر بن عبيد الله	203 :2
الحضرمي جابر بن أيوب	503 :1
الحضرمي عبد المهيمن	324 :2، 362 :1
الحضرمي عبد الوهاب	307 :2
الحضرمي عمرو بن عبد الله	212 :2
الحضرمي محمد بن هارون	222 :2
الحضرمي نصر بن أبي الفتح	507 :1
الحضرمي يعقوب بن إسحاق	215 :2
الخطاب	355، 246، 166، 49، 46 :2، 189 :1
حفصة (زوج الرسول عليه السلام)	198 :2، 378 :1
الحفصي عبد العزيز بن الحسن	174 :2
الحفيان محمد بن محمد	331، 185، 57 :2
الحكم بن موسى	203 :2
حكيم بن حزام	280 :2
الحلاج الحسين بن منصور	301، 283 :2
الحلي عبد الغني	436 :1
الخلواني أحمد بن يحيى	221، 173 :2
خلولو أبو العباس عبد الرحمن	268، 267 :2
حليمة (مرضعة الرسول عليه السلام)	382، 379 :1
حماد بن سلمة	217 :2
الحمامي نصير بن أحمد	329 :2
حمدان بن أبان	238 :2
حمديس القطان	272 :2

454 :2، 379 :1	حمزة (عم الرسول عليه السلام)
307 :2	الحمصاني محمد
247 :1	الحمصي ياسين
300 :2	الحموي علوان
378 :1	حميد بن عبد الرحمن
289 :2	الحميري أبو القاسم بن عبد الرحمن
103 :1	الحناطي
451 :2	الحنبلي محمد الخدم
144 :1	الحنبلي مرعي بن يوسف
174 :2	الحنبلي يحيى
225، 209 :2	الهندري محمد بن أحمد
209 :2	الهندري محمد بن محمد
452 :2	الحنفي تقي الدين بن غالب
507 :1	الحواري
223 :2	الحوضي أبو عمر
342 :2	حويطب بن عبد العزى
289 :2	الحيري عبد الواحد

(خ)

401 :1	خارجة بن زيد
543، 542 :2	خالد بن سنان
72 :2	خالد بن عبد الله
243 :1	الخامي أحمد
498 :1	الخاموش نظام الدين
352 :2	خيرة بنت سباع
377، 121 :2، 376، 359 :1	خديجة (أم المؤمنين)
53، 91، 382، 395، 412، 413، 582 :1	الخدرى أبو سعيد
280، 201 :2	

224، 223، 217 :2	الخراثطي محمد بن جعفر
300 :2	الخراز أحمد بن عيسى
35 :2	الخراساني أبو مسلم
474 :2	الخرشي محمد
341، 340، 339 :1	الخرقاني أبو الحسن
189 :1	الخروبي
224 :2	الخراعي عمران
281، 268 :2	الخرزجي عبد الله
281 :2	الخرزجي محمد بن محمد
200 :2	الخشاب منير بن أحمد
275 :2	الخشني محمد بن حارث
221، 220، 208، 203، 202، 198 :2	الخصيب بن عبد الله
226	
140 :1	الخصيري سيدي علي
423 :1	الخطيب أحمد
288 :2	الخطيب البغدادي
243، 269 :2	الخطيب بن مرزوق
463، 245، 184 :2، 482، 223 :1	الخطاجي شهاب الدين
401 :1	خلاد بن عمرو
204، 197 :2	الخلعي علي بن الحسن
458، 426، 425، 404 :2، 235، 234 :1	الخليل (إبراهيم عليه السلام)
535، 461	
478، 429، 427، 191، 140، 116 :1	الخليل (صاحب المختصر)
266، 143، 62 :2	
463 :2، 620 :1	الخليلي غرس الدين
620 :1	الخليلي ياسين
298 :2، 484 :1	الخلوتي محمد
447 :2	الخلوتي عبدو
338 :1	خواجهكى الأمكنكي

465 :2، 349، 348، 347، 346 :1	الخوجة عبد الخالق
345 :1	الخوجة عبيد الله
308 :2	الخونجي
389 :2	الخيارى إبراهيم
84 :1	الخطاط عبد الله
289 :2	الخطيبي

(د)

224، 223، 222، 215، 126 :2	الدار قطني علي بن عمر
285 :2	الدارمي أبو محمد
213 :2	الدارمي الحسن بن سليمان
174 :2، 506، 477، 473، 471 :1	الداني عثمان بن سعيد
562، 474، 25 :2، 559 :1	داوود (عليه السلام)
202 :2	داوود بن أبي غمرة
254 :2	داوود بن المحبر
223 :2	داوود بن مهران
507 :1	الداودي
537، 536، 535 :2	الدباسي سيدي أحمد
605، 578، 552، 544 :1	الدجاني أحمد
185 :1	الدرابي سيدي مسعود
43 :2، 187، 33 :1	الدرعي محمد بن ناصر
299 :2، 217، 212 :1	الدسوقي إبراهيم
228 :2	الدقاق أبو علي
439 :2	الدقاق عبد الرحمن
72 :1	الدقاق عبد الله
181 :1	دقيوس
533 :2	الدكالي عيسى بن علي
289 :2	الدكالي محمد بن إبراهيم

265 :2	الدلائي أبو عبد الله بن أبي بكر
281 :2	الدمامي محمد بن أبي بكر
270 ، 225 ، 220 :2 ، 473 :1	الدمشقي علي
116 ، 115 ، 111 ، 110 :2	الدمياطي
27 :2	الدنديلي عمر
202 :2	الدورقي يعقوب
280 :2	عبد الرحمن بن صخر
277 :2	الدوسي يوسف بن يحيى
589 ، 487 ، 475 ، 471 ، 28 :1	الديبع أبو الحسن
550 ، 289 :2 ، 476 ، 28 :1	الديبع عبد الرحمن
207 :2	الديري إسحاق
470 :2	الديري عبد الله بن محمد
493 :2	الديلي بن أرقط

(ذ)

465 :1	الذهان حسن
، 113 ، 112 ، 101 ، 85 ، 84 ، 80 :2 ، 550 :1	الذهبي أبو عبد الله الحافظ
، 348 ، 286 ، 127 ، 126 ، 116 ، 115 ، 114	
351	
202 :2	الذهلي محمد بن أحمد

(ر)

203 :2	رؤية العجاج
424 :2	رابعة العدوية
219 ، 218 ، 212 ، 204 ، 198 :2	الرازي أحمد بن الحسن
219 ، 218 ، 212 ، 204 ، 198 :2	الرازي إسحاق بن عتبة
116 ، 89 ، 84 :2	الرازي فخر الدين
205 :2	الرازي محمد بن حميد

85، 84 :2	الرازي محمد بن عمر
125، 94، 96 :2	الرافعي
219 :2	الرافقي العباس بن محمد
220، 209، 201 :2	الربذي
335 :2	الربيعي صاعد بن الحسن
210 :2	الربيع بن الفضل
241 :2	الريعي أبو الحسن
351 :2	الرجراجي محمد بن إبراهيم
80 :2	رحمة بنت إبراهيم
545 :1	الرستمي الحسن بن عباس
284، 235 :2	الرشيد القرشي يحيى بن علي
268، 267 :2	الرصاص محمد بن قاسم
340 :2، 508، 507 :1	الرعيي أبو الحسن
214، 207، 200، 199 :2	الرعيي مقدم بن داود
451، 437، 436، 434، 433، 300 :2	الرفاعي أحمد
220 :2، 377 :1	رقية بنت رسول الله (عليه السلام)
540 :2	الرماني عبد الواحد
416 :2، 622 :1	الرملي خير الدين
212 :2	الرملي ضمرة بن ربيعة
197 :2	الرملي عبد الله بن المجلي
289، 281 :2، 489 :1	الرملي محمد بن أحمد
416 :2	الرملي محمد بن تاج الدين
338 :2، 338 :1	الربوكري عارف
43 :2، 631 :1	الروداني محمد بن سليمان
437 :2	الروذباري علي
284 :2	الرومي نسطور

(ز)

205 :2	زافر بن سليمان
228 :2	زاهر بن أحمد
167 :2	زبيدة بنت جعفر
476 :1	الزبيدي محمد بن المخلص
389 :1	الزبير بن باطيا
421 :1	الزبير بن بكار
401 ، 191 ، 103 ، 100 ، 98 :1	الزر كشي
477 :2 ، 220 ، 193 ، 187 ، 84 :1	زروق أحمد
267 :2	الزرويلي علي بن عبد الحق
288 :2	الزفتاوي
266 :2	الزقاق أحمد بن علي
370 ، 269 ، 266 :2	الزقاق علي بن قاسم
173 :2	زكرياء الأنصاري
190 :1	الزلاعية فاطمة ابنة أبي عبد الله
184 ، 39 :2	الزمزمي عبد العزيز
104 :2	الزملكاني كمال الدين
289 :2	الزموري أحمد
153 :2 ، 465 :1	الزنجبيل
336 ، 269 :2	الزهري أبو طاهر بن عوف
269 :2	الزهري إسماعيل بن مكي
279 :2	الزهري محمد بن مسلم
205 :2	الزهري يعقوب بن عبد الرحمن
274 :2	زونان عبد الملك بن الحسن
272 :2	الزيات أحمد بن موسى
221 :2	زياد بن جبير
221 :2	زياد بن علاقة

222، 221، 213، 200 :2	العطار أحمد بن الحسين
174 :2	الزيادي نور الدين
280، 224، 209 :2، 387 :1	زيد بن أسلم
200 :2	زيد بن بشيع
232 :2	زيد بن ثابت
463، 365، 326 :1	زيد بن محسن
376 :1	زين العابدين بن الحسين
447 :2، 377 :1	زينب (بنت رسول الله عليه السلام)
333 :2	زينب بنت أبي سلمة
333 :2، 69 :1	زينب أم المؤمنين

(س)

342 :2	السائب بن يزيد
280 :2، 413 :1	الساعدي سهل بن سعد
389 :1	سالم بن عوف
439، 438 :2	السالمي محمود القدسي
217 :2	السامري
399 :1	السبيتي أبو العباس
276 :2	السبيتي عبد الله بن غالب
324، 227 :2	السبيتي محمد بن رشيد
383 :1	سبط ابن الجوزي
191، 574، 79 :2، 83، 84، 85، 87، 89، 90، 92، 95، 96، 98، 99، 101، 105، 106، 108، 112، 115، 174، 243، 378، 332	السبكي تاج الدين
527، 493 :2، 303، 302، 257، 256 :1	السجستاني أبو بكر
543	
172 :2	السجزي

152، 151 :1	سحبان
227 :2	السحامي زاهد بن طاهر
348 :2	السخاوي
330 :2	السراج عمر الوراق
289 :2	السراج يحيى بن محمد
536 :2	السرادي بوهلال
448 :2	السروري
269 :2	السطي محمد بن سليمان
238 :2، 421، 387، 378، 113 :1	سعد بن أبي وقاص
199 :2	سعد بن إبراهيم
391 :1	سعد بن خيثمة
526 :2	سعد الدين أبو محمد
401 :2	سعد بن الربيع
219 :2	سعد بن يحيى بن يزيد
221، 217، 198 :2	سعيد بن جبير
215 :2	سعيد بن خالد
198 :2	سعيد بن سليمان
221، 203 :2	سعيد بن المسيب
200 :2	سعيد بن وهب
281 :2	سعيد الكفيف
222، 149، 25 :2	سفيان الثوري
506 :1	سفيان بن العاصي
131 :2	السقاف محمد بن علوي
437 :2	السقطي سري الدين
478، 430 :2، 302 :1	السكتاني أبو بكر
270 :2	السكري محمد بن أحمد
225، 216، 209، 201 :2	السكسكي عمرو بن أبي بكر
288 :2	السكندري علي بن الصباغ
218 :2	السكوني أبو بحرية

89 :2	السكوني أبو علي
218 :2	السكوني يزيد
551 :2	السلأوي محمد الأحمر
288 :2	السلجوقي
142 :1	السلطان أبو عنان
266 :1	السلطان حسن
478 ، 32 ، 31 ، 30 :2 ، 250 ، 144 :1	السلطان سليم
414 :2 ، 463 :1	السلطان المظفر غازي
507 :1	السلفي أحمد
222 :2	سلم بن جنادة
416 ، 405 ، 401 ، 138 ، 137 :2	سلمان المكاربي
248 :2 ، 547 :1	سليمان بن حمزة
352 :2	سليمان بن عبد الملك
239 :2	السلمي أبو عبد الرحمن
210 :2	السليمي بشر بن منصور
338 :1	السماسي محمد بابا
217 :2	سماك بن حرب
495 :1	السمرقندي
206 :2	السمسار محمد بن زياد
410 :2 ، 335 :1	السمعاني
507 :1	السمناني أبو جعفر بن محمد
299 :2 ، 525 :1	السمناني علاء الدولة
377 ، 375 ، 367 ، 366 ، 302 ، 279 :1	السمهودي
325 :2 ، 406 ، 389 ، 388 ، 382 ، 378	
282 :2	السنباطي
220 :2	السنجري زكريا بن يحيى
360 :2	سند بن عنان
550 :2	السنداني محمد بن سليمان
358 :2	السندفاوي إسماعيل

527، 503، 358، 313، 174 :2	السنهوري سالم
528، 430 :1	السنوسي
98 :2	السهروردي عمر
205 :2، 413 :1	سهل بن سعد
401 :1	سهل بن قيس
340 :2	سهل بن مالك
378 :1	السهمي خنيس بن حذافة
201 :2	سهيل بن أبي صالح
120، 89 :2	السهيلي
533 :2	السوداني أبو هلال
76 :2	السوداني محمد
85، 77 :1	السوسي إبراهيم
526 :2	السوسي أبو عبد الله محمد المغربي
70 :1	السوسي محمد بن محمد
194 :1	السويدي أبو القاسم
646، 323، 84 :2، 482 :1	سيبويه
306 :2	السيد جلال الدين البخاري
197، 196 :1	سيد روحه
304 :1	السيد الغيث
194 :1	سيدي أبو تركية
172 :1	سيدي أبو القاسم
125 :1	سيدي أبو هلال
189 :1	سيدي أحمد أذفال
533 :2، 133 :1	سيدي حامد
73 :1	سيدي رضوان القافي
536 :2	سيدي سحراوي
550 :2	سيدي عبد الجبار
184، 183 :2	سيدي عبد السلام الأسمر
268 :2	سيدي محمد بن عبد السلام

378 :2	سيدي عمر العربي
312 :2	سيدي الغازي
194 :1	سيدي فرج
127 :1	سيدي كناو
310 :2	سيدي مالك
540 ، 537 :2	سيدي محمد بن بو علي
185 :1	سيدي محمد الحاج
551 ، 44 :2	سيدي محمد بن سعيد
546 :2	سيدي مخلوف
500 :2 ، 182 :1	سيدي مفتاح
310 :2	سيدي موسى
536 :2	سيدي يدين
183 :2	سيدي ناجي
200 :1	سيدي يونس
547 ، 545 ، 430 ، 230 ، 229 ، 223 :1	السيوطي
172 ، 149 ، 148 :2 ، 608 ، 550 ، 549	
285 ، 282	
207 :2	السيريني بكار بن محمد

(ش)

532 ، 343 :1	الشاذلي أبو الحسن
102 ، 98 :1	الشاذلي عبد القادر بن مغيزل
174 ، 76 :2 ، 478 :1	الشاطبي ابو القاسم
333 ، 77 :2 ، 393 ، 262 ، 261 ، 216 :1	الشافعي (الإمام)
414 ، 413	
214 :2	الشافعي إسماعيل بن علي
173 :2	الشافعي سيف الدين
163 :2	الشافعي علي بن الجمال

508 :1	الشافعي القاسم بن علي
127 :2	الشامي أيوب
219 :2	الشاهد أحمد بن محمد
207 :2	الشاهد منير بن أحمد
199 :2	الشاهد منير بن الحسن
27 :2	الشاہ ملك الهند
300 :2	الشاہ مداري
14 :2	الشاہ هندي
282 :2	الشاوي أحمد بن عبد القادر
487 ، 475 :2	الشاوي يحيى
257 :1	الشبراملسي علي
243 :1	الشبراملسي محمد بن علي
279 ، 274 :2	شبطون زياد بن عبد الرحمن
424 ، 224 :2	شداد بن أوس
505 :1	الشراط عبد الرحمن بن غالب
550 :2	الشريف أحمد بن أبي بكر
326 ، 179 :1	الشريف زيد
198 :2	شريك
301 :2	الشطاري عبد الله
540 :1	الشطاري محمد الغوث
142 :1	شعبان بن مساهل
212 ، 202 :2 ، 120 :1	شعبة
216 :2	الشعبي
381 ، 342 ، 261 ، 259 ، 250 ، 222 :1	الشعراني عبد الوهاب
415 ، 38 ، 2 :2 ، 636 ، 584 ، 535 ، 481 ، 399	
449 :2	الشعراوي الشيخ موسى
404 ، 327 :2 ، 288 ، 285 ، 284 :1	شعيب (عليه السلام)
537 ، 535 :2	الشقراطيبي
207 :2	شفي الأصبحي

484 :2	شمس الدين القدسي
552 ، 541 ، 540 ، 336 :1	الشناوي أحمد بن علي
289 ، 282 :2	الشهاب الحجازي
428 :2	شهاب الدين الحنفي
105 :2	الشهاب محمود
411 :1	الشهابي بدر الدين
223 :2	شهر بن حوشب
77 :2	الشهرزوري محمد بن رسول
282 :2	الشيبياني هبة الله بن محمد
212 :2	الشيبياني يحيى بن أبي عمرو
598 :2	شيخان أبو بكر بن سالم
300 :2	الشيرازي أبو عبد الله
197 :2 ، 513 :1	الشيرازي أبو نصر
446 :2	الشيخ أبو الريش
453 :2	الشيخ أبو الغيث اليميني
483 ، 482 ، 257 ، 256 ، 236 ، 229 :1	الشيخ سلطان
473 ، 285 ، 174 ، 173 ، 172 :2 ، 484	
388 :1	الشيخ صالح
559 :1	الشيخ الوفائي

(ص)

173 :2 ، 476 :1	الصائغ محمد بن أحمد
218 :2 ، 495 :1	الصابوني أحمد بن محمد
387 :2 ، 380 ، 372 :1	الصادق إسماعيل بن جعفر
132 :2	الصادق جعفر بن محمد
286 ، 172 :2	الصالح أبو العباس
13 :2 ، 588 ، 544 ، 498 ، 379 :1	صبغة الله الحسيني
282 :2	الصحراوي عبد العزيز بن غانم

220، 205 :2	الصدفي يونس
302 :2	الصدقي محمد الشريف
388 :2	الصدقي يوسف بن محمد
447 :2	الصعيدى
545 :1	الصفار محمد بن عبد الله
109 :2	الصفدي خليل بن أيك
454، 450 :2	الصفدي عبد القادر بن حبيب
69 :1	صفوان بن المعطل
376 :1	صفية بنت عبد المطلب
285 :2	الصقلي
288 :2	الصلاح بن أبي عمرو
414، 34 :2، 463 :1	صلاح الدين ابن أيوب
454، 450 :2	الصلي حسن
448 :2	الصمادي محمد بن محمد
433 :2	الصمداني
336 :2	الصناجي عبد الله
186 :1	الصوفي محمد بن أبي القاسم
27 :2	الصوفي محمد بن أبي الفتح
133 :1	الصيد الطرابلسي
254 :2	الصيرفي أحمد
214 :2	الصيرفي محمد بن إبراهيم
286، 172 :2	الصيرفي أبو الحجاج
545 :1	الصيرفي محمد بن موسى

(ض)

217 :2	الضبي جعفر بن سليمان
203 :2	الضرير أبو الطيب
290 :2	الضرير شمس الدين

الضرير محمد بن جابر
ضياء الدين أبو زيد
217 :2
97 :2

(ط)

الطائي الشيخ داود
الطائي قيس بن تميم
الطالقاني أحمد بن إسماعيل
طاهر بن زياد
الطبراني
437 :2، 341 :1
285 :2
507 :1
242 :2
1 :377، 386، 394، 467، 2 :176، 197،
240
2 :149
1 :28، 333، 489، 2 :181، 184
2 :110، 166
2 :173
2 :141، 404، 474
2 :269، 271، 276، 278
2 :28، 228، 257
2 :280
2 :283
2 :115
1 :97
الطبري أبو الطيب
الطبري زين العابدين
الطبري محب الدين
الطبرلاوي ناصر الدين
الطرابلسي أحمد العجين
الطرطوشي أبو بكر
الطريني عبد الجواد
طلحة الطلحات
الطهطائي محمد بن عبد الفتاح
الطوسي
الطبي

(ع)

عائشة أم المؤمنين
عاصم بن أبي صالح
عاصم بن علي
1 :69، 190، 311، 312، 378، 419، 513،
2 :175، 200، 202، 206، 214، 235،
238، 248
2 :212
2 :208

92 :1	عاصم بن كليب
493 :2	عامر بن فهيرة
424 ، 240 :2	عبادة بن الصامت
282 :2	العبادي أبو حفص عمر
282 :2 ، 588 :1	العبادي أحمد بن قاسم
268 :2	العبادي محمد بن العباس
507 :1	العباسي يونس بن يحيى
172 :1	عبد الجبار بن أبي بكر
401 :1	عبد بني الحسحاس
223 :2	عبد الحكم بن ذكوان
215 ، 200 :2	عبد الرحمن بن أبي بكر
382 :1	عبد الرحمن بن أبي سعيد
81 :1	عبد الرحمن بن الحسن
218 :2	عبد الرحمن بن سنة
217 :2	عبد الرحمن بن صالح
220 ، 211 ، 208 ، 207 ، 205 ، 198 :2	عبد الرحمن بن عمر بن محمد
226	
419 ، 269 ، 215 ، 214 :2 ، 407 ، 378 :1	عبد الرحمن بن عوف
278 :2 ، 262 :1	عبد الرحمن بن القاسم
205 :2	عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة
203 :2 ، 478 :1	عبد الرحمن بن يزيد
279 :2	عبد الرحمن فروخ
132 :2	عبد الرحمن المغربي
399 ، 189 ، 109 :2	عبد السلام بن مشيش
285 :2	عبد الصمد بن الوارث
222 :2	عبد العزيز بن أبي داود
536 ، 110 :2	عبد الغفار بن نوح
503 :2	عبد القادر بن خدة
545 ، 450 ، 447 :2	عبد القادر بن سوار

464، 462، 458، 408 :2	عبد القادر بن الغصين
336 :2	عبد الكريم بن عطاء الله
228 :2	عبد الكريم بن هوازن
394، 384، 132 :2	عبد الله با عفيف
116 :1	عبد الله بن إياض
225، 216، 209، 201 :2	عبد الله بن أبان
219 :2، 424 :1	عبد الله بن أبي قتادة
203 :2	عبد الله بن أحمد بن حنبل
203 :2	عبد الله بن أحمد الصالح
401، 397 :1	عبد الله بن جحش
201 :2	عبد الله بن حراش
221 :2	عبد الله بن الحسن بن أحمد
273 :2	عبد الله بن الحكم
280 :2	عبد الله بن دينار
280، 199 :2، 421 :1	عبد الله بن الزبير
342 :2	عبد الله بن السعدي
173 :2	عبد الله بن سلام
132 :2	عبد الله بن شيخ
80، 79 :1	عبد الله بن طمطم
175، 173، 172 :2، 336 :1	عبد الله بن عباس
128 :1	عبد الله بن عبد العزيز
132، 128 :2	عبد الله بن علي
280، 206، 162 :2، 359، 313 :1	عبد الله بن عمر
489 :1	عبد الله بن عمرو بن العاص
449 :2، 199 :1	عبد الله بن غلبون
472 :1	عبد الله بن كثير
220 :2	عبد الله بن المبارك
278 :2	عبد الله بن مطرف
278، 274 :2	عبد الله بن نافع

278، 205، 203 :2	عبد الله بن وهب
132 :2	عبد الله المغربي
277، 274 :2	عبد الملك بن حبيب
358، 335 :2	عبد الوهاب القاضي
1: 134، 182، 195، 206، 207، 285،	العبدري
270 :2، 411، 318، 306، 290	
286 :1	العبدلي محمد
277، 275، 274 :2	عبدوس محمد بن عبد الله
268 :2	العبدوسي عبد العزيز
268، 267 :2	العبدوسي موسى بن محمد
210، 203 :2	العبدوي يحيى بن الربيع
402 :2	عبدة بن الحارث
215 :2	عبيد الله بن عبد الصمد
198 :2	عبيد الله بن عمرو
390، 389 :2	عتبان بن مالك
274، 273 :2	العتبي محمد بن أحمد
278 :2	العتقي عبد الرحمن
139، 110 :1	عثمان باشا
219 :2	عثمان بن زبرزاد
219 :2	عثمان بن زفرح
484، 285، 238، 220، 219 :2، 379 :1	عثمان بن عفان
202 :2، 167، 158 :1	عثمان بن علي
378، 377 :1	عثمان بن مظعون
307 :2	العثماني تاج الدين
437 :2	العجمي حبيب
1: 190، 144، 132 :2، 581، 477، 465	العجمي حسن بن علي
383، 295	
636 :2	العجمي يوسف
501، 474، 404، 141 :2	العجين الحاج أحمد

362 :2	العذري أحمد بن محمد
294 :2	عدي بن مسامر
300 :2	العرابي سيدي عمر
73 :1	العربي بن عبد العزيز
214 :2	عروة بن رويم
177 ، 120 :2 ، 418 :1	عروة بن الزبير
227 :2	العراقي زين الدين
289 :2	العراقي عبد الرحيم
111 :2	العراقي علم الدين
476 :2	العرشي ياقوت
531 :2	العريفي
79 :1	العيان "عريان الرأس"
325 :2	العزفي أحمد بن محمد
349 :2	عز الكفاة هبة الله
225 ، 216 ، 209 ، 201 :2	العسقلاني إسماعيل بن رجاء
222 ، 221 ، 213 :2	العسكري الحسن بن رشيق
381 :1	العسكري محمد بن حسن
301 :2	العشقي أبو اليزيد
149 :2	عطاء بن أبي رباح
201 :2	عطاء بن أبي اللرداء
198 :2	عطاء بن جابر
227 :2	العطار أبو محمد المقدسي
221 :2	العطار إسماعيل بن عيسى
476 :1	العقاقي عبد الله بن عبد الباقي
269 ، 268 :2	العقباني قاسم بن سعيد
539 ، 498 :2	عقبة بن عامر
443 :2	العقبي الشيخ عمر
377 ، 376 :1	عقيل بن أبي طالب
213 :2	عكرمة

224 :2	العكري خلف بن عمرو
203 :2	العلاء بن زياد
203 :2	العلاء بن أسلم
280 :2	العلاء بن عبد الرحمن
117 :2	العلائي صلاح الدين
439 :2	علام بن بركان
284 ، 283 :2	العلقمي إبراهيم بن عبد الرحمن
443 ، 432 :2	العلمي عمر بن عبد الصمد
453 ، 443 ، 440 ، 433 ، 426 ، 425 :2	العلمي محمد بن عمر
186 ، 165 :2	علي بن الجمال
225 :2	علي بن حرب
352 :2	علي بن رواج
189 :1	علي بن عزازة
175 :2 ، 476 :1	علي بن شجاع
224 :2	علي بن عبد الله بن مبشر
115 :2	علي بن عبد الكافي
539 :2	علي بن عمران
221 :2	علي بن محمد بن كاس
539 ، 449 ، 445 ، 302 :2	علي بن ميمون
223 ، 202 :2	علي بن هاشم بن البريد
176 :2	علي بن هذيل
588 ، 552 ، 545 ، 544 ، 498 ، 243 :1	العلوي وجيه الدين
332 :2	عمار بن رزين
228 :2	عمران المنقري
282 :2 ، 415 :1	عمر بن أبي سلمة
200 :2	عمر بن خالد
144 ، 77 :2 ، 478 ، 379 ، 336 ، 263 :1	عمر بن الخطاب
344 ، 282 ، 264 ، 226 ، 216 ، 211 ، 201	
256 :2 ، 478 ، 393 :1	عمر بن عبد العزيز

225 :2	عمر بن يزيد
207 :2	عمر بن الحارث
401 :1	عمرو بن الجموح
203 :2	العمري إبراهيم بن محمد
133 ، 130 :2	العمودي عبد الله بن نفي
163 :2	العنابي الحاج علي
209 :2	العنبري معاذ بن مثنى
203 :2	العوام بن حوشب
507 :1	العورجي
1 :51 ، 172 ، 336 ، 340 ، 476 ، 514 ، 605 ،	العايشي أبو سالم
2 :175 ، 390 ، 421 ، 436 ، 441 ، 442	
1 :125 ، 334 ، 139 :2	العايشي عبد الرحمن
172 :1	العايشي عبد الكريم
65 :2	العايشي محمد بن أحمد
1 :94 ، 98 ، 99 ، 102 ، 418 ، 446 ، 663 ،	عياض القاضي
2 :247 ، 273 ، 292 ، 379	
2 :134 ، 165 ، 302 ، 401	العيدروس أبو بكر
2 :40 ، 129 ، 545	عيسى (عليه السلام)
226 :2	عيسى بن عبد الرحيم
250 :2	عيسى بن عبد العزيز
383 :1	عيسى بن موسى

(غ)

273 :2	الغافقي عبد الرحمن بن عبد الله
225 :2	الغبري عباد بن الوليد
146 :2	الغدامسي محمد
272 :2	الغرناطي فرج بن القاسم
272 :2	الغرناطي محمد بن محمد بن سراج

533 :2	غريط عبد الرحمن
612 :1	الغزالي ابو حامد
84 :1	الغزواني عبد الله
284 :2	الغزي عثمان
452 :2	الغزي أبو العون
297 :2	الغزي رضي الدين
276 :2	الغساني يحيى بن محمد
228 :2	الغلاي محمد بن زكريا
190 :1	الغلياني أبو زكريا
314 :2	الغماري أبو الحسن علي
248 ، 247 :1	الغنيمي شهاب الدين
34 ، 32 :2 ، 517 ، 250 :1	الغوري

(ف)

417 :2 ، 341 ، 339 :1	الفارسي سلمان
342 ، 341 :1	الفارمذي ابو علي
82 :2	الفاروئي إبراهيم
478 ، 355 :2 ، 575 ، 400 ، 85 ، 58 :1	الفاسي ابو محمد عبد القادر
531	
168 :2 ، 467 :1	الفاسي تقي الدين
531 :2 ، 451 :1	الفاسي سيدي العربي
531 :2 ، 522 ، 521 :1	الفاسي عبد الرحمن بن محمد
150 :1	الفاسي محمد بن عبد القادر
175 :2	الفاضلي ابن عطاء الله
379 :2 ، 396 ، 378 ، 377 :1	فاطمة (بنت الرسول عليه السلام)
379 ، 378 :1	فاطمة بنت أسد
481 ، 373 ، 368 ، 362 ، 359 ، 48 :2	الفاكهاني
229 :2	الفخر بن النجاري

224، 218، 217، 203 :2	الفراء محمد بن الحسين
222، 200 :2	الفراء محمد بن الفضل
285، 245، 237، 210 :2	الفرات بن أبي الفرات
503 :2، 132 :1	الفران إبراهيم
224 :2	الفزاز أسماء بن الحكم
65 :2، 429، 375 :1	الفزاري محمد
261 :2، 560، 221 :1	فرعون
272 :2	الفشتالي محمد بن أحمد
420 :2	الفضل بن عباس
226 :1	الفضيل بن مرزوق
202 :2	فطر بن خليفة
338 :1	الفغنوي محمود
230 :2	الفقيه أبو علي زاهر
516، 284 :2، 286 :1	الفكون عبد الكريم
104 :1	الفيشي محب الدين
283 :2	الفيشي محمد بن محمد
314 :2	الفيلاي سيدي أحمد
314 :2	الفيلاي سيدي عبد الرحمن
553 :2	الفيلاي علي بن عبد الله
185 :2	الفيلاي علي بن عبد الواحد

(ق)

273 :2	القابسي علي بن محمد
441 :2	قاسم بن عبد المعطي
204 :2	القاسم بن الوليد
102 :1	القاضي حسين
175، 174 :2	قالون
337 :2	القالبي أبو علي

350 ، 146 ، 53 :2 ، 234 ، 227 :1	قايت باي
290 :2	القبابي عبد الرحمن
345 :2	القبوري خلف بن عبد العزيز
226 :2	القتابي عياش
225 ، 204 :2	قناة
312 :2	القجايري سيدي محمد
185 ، 46 :2	قدورة سعيد
283 :2	القرافي ابن أبي بكر
98 :1 ، 101 ، 104 ، 576 ، 89 :2 ، 113 ،	القرافي محمد
528 ، 375 ، 271 ، 249	
549 :1	القراطيسي عبد الله بن محمد
317 :1	القرامسي الشيخ محمد
204 :2	القرشي الحسين ابن عبد الله
280 :2	القرشي عبد الله بن وهب
282 :2	القرشي محمد بن المنكدر
219 :2	القرشي محمد بن يونس
272 :2	القرطي أبو الحسن سليمان
275 :2	القرطي أحمد بن عمر
275 :2	القرطي أحمد بن محمد
270 :2	القرطي أحمد بن يزيد
	القرطي إسحاق بن إبراهيم بن
275 :2	مسرة
275 :2	القرطي أيوب بن سليمان
278 :2	القرطي الحسين بن أحمد
84 :2	القرطي ضياء الدين
273 :2	القرطي عبد الرحمن بن عبد الله
272 :2	القرطي عبد الرحمن بن محمد
273 :2	القرطي عبد الله بن سعيد
268 :2	القرطي عبد الله بن محمد

273 :2	القرطبي عبد الله بن يحيى
273 :2	القرطبي عتبة بن أبي سفيان
274 :2	القرطبي علي بن أبي طالب القيسي
274 :2	القرطبي عيسى بن سهل
279 :2	القرطبي الغازي بن قيس
275 :2	القرطبي قاسم بن أصبغ
270 :2	القرطبي محمد بن أحمد
268 :2	القرطبي محمد بن عبد الحق
273 :2	القرطبي محمد بن عبد الملك
273 :2	القرطبي محمد بن عمر بن لبابة
201 :2	القرطبي محمد بن كعب
273 :2	القرطبي محمد بن وضاح
274 :2	القرطبي محمد بن يوسف
274 :2	القرطبي يحيى بن إبراهيم
281 :2	القروي عبد الوهاب بن محمد
114 :2	القزويني جلال الدين
96 :2	القزويني عبد الغفار
508 :1	القزويني محمد بن أسعد
253 ، 97 :1	القسطلاني
138 :1	القسطلي أبو عمرو
503 :2	القسمطيني سيدي عاشور
283 :2	القسنطيني عمر الوزان
19 :1 ، 237 ، 336 ، 379 ، 397 ، 465 ، 466 ،	القشاشي صفى الدين
471 ، 478 ، 481 ، 525 ، 527 ، 557 ، 562 ،	
589 ، 13 :2 ، 77 ، 293 ، 303 ، 312 ، 529	
378 ، 300 ، 227 :2	القشيري
266 :2	القصار القيسي محمد بن قاسم
533 :1	القصري عبد الجليل
265 :2	القصري عبد الرحمن

343 :2	القضاعي الحسن بن أحمد
221 :2	القطان الحسن بن علوية
219 ، 218 ، 212 ، 204 ، 198 :2	القطان روح بن الفرّج
349 :2	قطب الدين العلوي
445 ، 433 :2	القطناني حسن الراعي
282 :2	القطيعي أحمد بن جعفر
269 :2	القفصي محمد بن عبد الرحمن
242 ، 232 ، 230 :1	القليبي الشيخ موسى
81 :2	القليوبي أحمد بن عيسى
102 :2	القليوبي محمد فتح الدين
88 :2	القموّلي
288 :2	القناوي
217 :2	القواريري عبيد الله
267 :2	القوري عبد العزيز
266 :2	القوري محمد بن قاسم
110 :2	القوصي أحمد بن عبد المجيد
559 :1	القونوي صدر الدين
271 :2	القيرواني أبو القاسم
279 :2	القيرواني البهلول بن راشد
277 :2	القيرواني حمس بن مروان
272 :2	القيرواني محمد بن اللباد
272 :2	القيرواني يحيى بن عمر
	القيسراني محمد بن محمد بن عبد
224 ، 223 ، 217 :2	الرحيم
276 :2	القيسي إبراهيم بن يربوع
278 :2	القيسي أشهب مسكين بن عبد
566 ، 512 ، 511 :1	العزير

(ك)

336 :1	الكازروني
508 :1	الكاشاني كمال الدين عبد الرزاق
346 ، 344 ، 340 :1	الكاشفي أبو الحسن
354 ، 344 :1	الكاشفي سعد الدين
381 ، 380 ، 261 :1	الكاظم موسى
266 :2	الكاواني عبد الرحمن
298 ، 81 :2 ، 350 :1	الكبرى نجم الدين
198 :2	الكحي إبراهيم بن عبد الله
437 ، 281 :2 ، 507 :1	الكرخي بدر الدين حسن
491 ، 237 :1 :1	الكردي إبراهيم بن حسن
343 ، 342 ، 341 ، 340 :2	الكركاني
26 :2	الكرماني
328 :2	الكركي شرف الدين
440 :2	الكرمي علي
290 :1	الكفافي سيدي مرزوق
575 :1	الكلاباذي محمد بن إبراهيم
202 :2	الكلابي أشعت بن محمد
388 :1	كلثوم بن الهدم
242 :2	الكلبي عثمان بن حسن
132 :2	الكمودي يحيى
345 :2	الكناني أحمد بن خزيمة
569 ، 491 ، 479 ، 436 ، 237 ، 19 :1	الكوراني إبراهيم بن حسن
504 :2	
217 ، 213 ، 212 ، 210 ، 206 :2	الكوفي الحسن بن محمد
221 ، 200 :2	الكوفي سفيان بن بشر

201 :2	الكوفي عبد الله بن عمر
200 :2	الكوفي محمد بن حازم
312 :2	الكومي سيدي محمد

(ل)

373 :2، 507 :1	اللؤلؤي أبو محمد بن أحمد
507 :1	اللبار ابو الثناء
242 :2	الليدي محمد بن أبي القاسم
271 :2، 404 :1	اللخمي علي بن محمد
325 :2	اللخمي محمد بن الحسن
505 :1	اللخمي محمد بن خلف
247 :2	لسان الدين بن الخطيب
473، 363 :2، 252، 232، 228 :1	اللقاني عبد السلام
276 :2	اللواتي المسيلي
207 :2	الليث بن سعد
172 :2، 545 :1	الليثي أبو المنجا
279 :2	الليثي شريك بن عبد الله
172 :2	الليثي عبد الله بن عمر

(م)

203 :2	المؤدب محمد بن العباس
51 :1، 93، 94، 96، 99، 443 :2، 99،	المازري
271، 356، 358، 359، 360، 370، 371،	
372، 373، 374، 375	
67 :1	المازغي سيدي عبد الله
390 :1	مارية (زوج الرسول عليه السلام)
508 :1	المالقي ابن النجار
270 :2	المالقي محمد بن يحيى

مالك بن أنس	1: 262، 347، 379، 581، 2: 64، 135، 203، 279
مالك بن سنان	1: 383، 412
المالكي أحمد بن محمد بن عبد القادر	2: 64، 68
المالكي عبد الرحمن بن عمر	2: 224، 225
الماواسي أحمد بن محمد	2: 289
المبارك بن فضالة	2: 214
المبارك بن ناجي	2: 537
المتبولي إبراهيم	1: 269، 2: 415
مجاهد بن عباس	2: 201
المجنوب أحمد المصري	1: 286
المجمر نعيم	2: 280
المحاربي	2: 226
المحبوبي	1: 507
المحروني عبد الله بن عبد العزيز	1: 532
محسن بن حسن	1: 326، 365، 2: 318
المحلي جلال الدين	1: 232
محمد (رسول الله صلى الله عليه وسلم)	مذكور في معظم صفحات الكتاب
محمد باشا	1: 139
محمد بن إبراهيم بن مراد	1: 114، 120، 121
محمد بن أبي القاسم	1: 126، 138، 186، 2: 347
محمد بن أبي قبيس	2: 199
محمد بن أحمد بن عبد المعطي	2: 148
محمد بن أحمد بن عيسى	1: 137، 2: 500، 531، 532
محمد بن الأحنس	1: 394
محمد بن إسماعيل	1: 108، 109، 2: 63
محمد بن جبير	2: 199
محمد بن جعفر	1: 71
محمد بن حاتم	2: 206

492 :2	محمد بن الحاج عمران
175 :2	محمد بن الحنفية
588 ،544 :1	محمد بن خطير الدين
219 :2	محمد بن زياد
549 ،72 ،61 ،43 :2	محمد بن سليمان
151 :1	محمد بن سودة
79 :1	محمد بن صالح
391 :1	محمد بن طلحة
205 :2	محمد بن عتبة
219 :2	محمد بن عجلان
450 :2 ،239 :1	محمد بن عراق
289 :2	محمد بن عطاء الله
159 ،132 ،131 :2 ،598 :1	محمد بن علوي
550 :2 ،175 :1	محمد بن عمر بن أبي بكر
172 :2	محمد بن كثير
531 :2	محمد بن مؤمن
201 :2	محمد بن ماهان
72 :1	محمد بن مبارك
148 :2	محمد بن محمد أبو الفضل
83 :1	محمد بن محمد بن علي بن أبي بكر
61 :2	محمد بن منظور
205 :2	محمد بن المنكدر
550 ،536 ،43 :2 ،187 :1	محمد بن ناصر
208 :2	محمد بن يحيى بن إسماعيل
174 :1	محمد بن يوسف القاضي
142 :1	محمد الشيخ
156 :2	محمد مخبر
197 :2	المخزومي علي بن قريش
280 :2	المخزومي المطلب بن عبد الله

278 :2	المخزومي المغيرة بن عبد الرحمن
169 :2	المدني عمر
220 ،205 :2	المديني أحمد بن محمد
221 ،213 ،200 :2	المديني محمد بن رزيق
515 :2	الم رابط الدلائي
533 :2 ،127 :1	مراد بي
415 :1	المراغي زين الدين
302 ،90 :1	المرجاني
480 ،476 ،352 ،106 :2 ،213 :1	المرسي أبو العباس
84 :2	المرسي محمد بن عبد الله
44 :2	المرغيثي محمد بن سعيد
199 :2	مروان بن معاوية
80 :2	المروزي عيسى
266 :2	المزدغي أحمد بن عمر
126 :2	المزي جمال الدين
208 :2	المسعودي
520 :2	المسفر علي
545 :1	مسعود بن الحسن
367 ،310 ،89 :2 ،121 ،91 :1	مسلم (الإمام)
550 ،63 :2	المسناوي محمد بن إسماعيل
423 ،409 ،327 :2 ،250 :1	المسيح (عليه السلام)
142 ،136 :1	المشاط سيدي سالم
281 :2	المشدالي ناصر الدين
413 :2	المشرقي عمر
89 :2	المصري إبراهيم بن محمد
401 ،397 :1	مصعب بن عمير
266 :2	المصمودي عيسى بن علال
475 ،388 :1	المطري صالح بن أحمد
278 :2	مطرف بن سليمان

278 :2	مطرف بن عبد الله
286 ، 172 :2	المطعم عيسى بن عبد الرحمن
265 :2	المطغري علي بن هارون
202 :2	المعدل الحسن بن أبي الحسن
263 :1	المغاوري أبو عبد الله
104 :1	المغربي أبو عبد الله
307 :2	المغربي أحمد بن عبد الواحد
407 ، 406 ، 405 :2	المغربي الحاج حسن
447 :2	المغربي علي بن ميمون
280 :2	المقبري سعيد بن أبي سعيد
424 :2	المقداد بن اوس
214 ، 207 ، 206 ، 199 :2	مقدام بن داوود
149 :2	المقدسي محمد بن أحمد
480 :2	المقدسي محمد بن جمال الدين
452 :2	المقدسي محمد بن داوود
506 :1	المقري أبو محمد بن طالب
224 ، 202 :2	المقري إسماعيل بن عمرو
266 ، 183 :2 :2	المقري سعيد بن أحمد
242 :2	المقري محمد بن أحمد
266 :1	المقريزي
282 :2	المكبر حنبل بن عبد الله
309 ، 169 ، 150 :2	المكناسي عبد الرحمن بن أحمد
506 :2 ، 145 :1	المكني سيدي محمد
514 ، 282 :2 ، 286 :1	المكودي
378 :2 ، 340 :1	المكي أبو طالب
294 :2	المكي أحمد بن حجر
473 ، 472 ، 471 ، 466 ، 444 ، 397 :1	الملا إبراهيم
494 ، 489 ، 486 ، 485 ، 484 ، 482 ، 480	
532 ، 531 ، 530 ، 524 ، 500 ، 498 ، 496	

540، 568، 574، 576، 579، 587، 589،
 591، 595، 598، 603، 604، 77:2، 85،
 137، 144، 294، 297، 302، 387، 401،
 504، 505، 528

480، 479:1

476:1

453:1

84:1

282:1

247:1

479:1

370، 289، 265:1

204، 197، 112، 96، 93:2

329:2

335:2

209:2

282:2

501:2

145:1

247:1

524:2، 234:1

352، 287:2

381:1

115:1

372:2

374، 373، 337، 336:2، 505:1

25:2، 548، 404، 380، 285، 263:1

65، 209، 210، 222، 230، 233، 290،

542، 425

الملا محمد شريف

الملحاني محمد بن أحمد

الملكاني

الملياني أحمد بن يوسف

المليتي عيسى بن أحمد

الملا عصام الدين

المناري أحمد

المنجور أحمد بن علي

المنذري عبد العظيم

المنذري العبقوي

المنصور أبو عامر

منصور بن المغيرة

المنصوري أحمد بن محمد

المنقوشي الحاج بوشة

المنقوشي سيدي محمد

المنقوشي عبد الله محمد

المنوفي سيدي عبد الله

المنوي

المهدي (الإمام المنتظر)

المهدي بن تومرت

المواز إبراهيم

المواق

موسى (عليه السلام)

203 :2	موسى بن هارون
224 :2	الموصللي المعلى بن مهدي
536 :2	المولى سيدي أحمد
142 :1	مولاي عبد الملك السعدي
151 :1	ميارة محمد
218 :2، 377، 312، 311، 100 :1	ميمونة
289، 247، 246، 241، 236، 228، 28 :1	الميموني إبراهيم
184، 148 :2	
220 :2	المينانجي يوسف بن القاسم
411 :1	الميورقي أحمد بن علي

(ن)

476 :1	النائري عبد الله بن محمد
408 :2	النابلسي إسماعيل
105 :2	الناجي علاء الدين
77 :2	نافع العجمي
410 :2	النجار
412 :1	النجاشي
260 :1	النحراوي عثمان الحنفي
215 :2	النرسي عباد بن الوليد
473، 430، 419 :2، 567 :1	النسائي
222 :2	النشاي محمد بن حرب
539 :2	نصر بن بو عكاز
401 :1	النعمان بن مالك
280 :2	نعيم
503، 426 :2	النفاتي الشيخ محمد
383 :1	النفس الزكية
537، 536 :2	النفطي أبو علي

261 :1	نقيسة الطاهرة
636 ،379 :1	النقشبندی آدم
355 ،352 ،351 ،349 ،346 ،338 :1	نقشبند بهاء الدين
301 :2 ،525	
155 :2	النقشبندی تاج الدين
576 :1	النقشبندی عبد الأحد
182 :1	النمرود
91 :2 ،570 ،402 ،104 ،102 ،95 ،94 :1	النوري
410 ،289 ،123 ،114 ،92	

(هـ)

222 ،217 ،203 :2 ،405 ،404 :1	هارون (عليه السلام)
414 :2 ،517 :1	هاشم بن عبد المطلب
217 :2	الهسكوري هدية بن خالد
267 :2	الهسكوري أبو محمد صالح
202 :2	هشام بن عبد الملك
214 ،202 :2	هشام بن عروة
211 :2	الهلالی أبو محمد
220 :2	همام
214 :2	الهمدانی يعقوب بن إبراهيم
338 :1	الهمدانی يوسف
78 :2	الهندي بدر الدين
302 :2	الهندي جمال الدين
340 ،339 ،336 :1	الهندي الشيخ محمد المعصوم
103 :2	الهندي صفی الدين
629 :2	الهندي عبد الحكيم
498 :1	الهندي محمد بن فضل الله
109 :2	الهنكي زين الدين

290 :2	الهوري أحمد بن علي
268 :2	الهوري محمد بن عبد السلام
25 :2	هود (عليه السلام)
428 ، 238 :1	الهيثمي أحمد بن حجر
226 :2	الهيثم بن عدي

(و)

222 :2	الوابلي علي بن ربيعة
206 :2	الواثقي محمد بن الحسن
201 :2	الواسطي أحمد بن سهيل
201 :2	الواسطي عبد الله بن سفيان
437 :2	الواسطي علي القاري
166 :2 ، 411 ، 401 ، 395 :1	الواقدي
191 :1	الوانوغي
130 :2	وحشي الحبشي
84 :1	الودغاغي
173 :2	ورش
268 :2 ، 191 :1	الورغمي محمد بن عرفة
271 :2	الوشا المصري
215 :2	الوضاح
350 ، 287 :2 ، 600 :1	وفا علي
600 :1	وفا محمد
222 ، 213 ، 149 :2	وكيع بن الجراح
203 :2	الوليد بن مسلم
267 :2 :2	الوليدي راشد بن أبي راشد
373 ، 266 :2 ، 191 :1	الونشريسي أحمد بن يحيى
265 :2	الونشريسي عبد الواحد بن أحمد
201 :2	وهب بن بغية

وهب بن منبه 2: 210

(ي)

- ياسين بن عمر 2: 453
يحيى بن شيبانة 2: 438
يحيى بن معاذ 2: 410
يحيى بن المهدي 2: 440
يحيى بن وثاب 2: 208
اليربوعي محمد بن أحمد 2: 500، 531، 532
يزيد بن أبي حبيب 2: 219
يزيد بن الحارث 2: 221
يزيد بن عمر بن عبد العزيز 2: 254
يزيد بن هرمز 1: 395
اليساري سليمان 2: 278
اليسومي الخوجة احمد 2: 299
اليسيتي محمد بن عبد الرحمن 2: 265، 266
يعقوب (عليه السلام) 2: 457
يعقوب بن إبراهيم 2: 222
اليعمري أبو الفتح 2: 105
يعلى بن مالك 2: 211
اليفرني علي بن عبد الرحمن 2: 269
اليمني احمد بن موسى 2: 300
اليمني أحمد العمودي 2: 453
اليمني شحاتة 2: 173
اليمني الشيخ محمد الجيد 2: 453
اليمني صالح بن أحمد 1: 388
اليمني عبد الرحمن 1: 257
اليمني عبد الكريم 1: 344

238 :1	اليمني علي بن عمر
128 :2 ، 440 :1	اليمني محمد با علوي
457 :2	يوسف (عليه السلام)
183 :2	يوسف باشا
218 :2	يوسف بن سليمان
212 :2	يوسف بن عدي
202 :2	يوسف بن يعقوب
25 :2	يوشع
221 :2	يونس بن عبيد
425 :2	يونس بن متى
220 :2	يونس بن يزيد
112 :2	اليونيني علي بن محمد

فهرس الأشعار

الصفحة	البحر	القافية	صدر البيت
322 :2	خفيف	الفصحاء	أيها المدعي التصرف في صر
298 :1	كامل	للرائي	جئنا إلى الحوراء وهي محطة
410 :1	طويل	الزرقاء	لئن قيل في زرق العيون شامة
282 :1	رمل	بالنماء	إلى بئر العلائي قد آتينا
417 :1	خفيف	ماء	كفونني إن مت في درع أروى
304 :2	خفيف	الأنبياء	لك ذات العلوم والأسماء
59 :1	طويل	البراء	أقول وحمد الله أجعله بدءا
60 :1	طويل	سوءا	إذا نابني أمر فرعت لمدحه
102 :2	كامل	جلباب	أرسلت لي بسرا حقيقته نوى
110 :2	كامل	أبوابها	دعني أعفر جبهتي بترابها
357 :2	طويل	تطبيا	و كنت كذي داء تبغي لدائه
102 :2	بسيط	كاتبه	جهات أموال بيت المال سبعتها
114 :2	طويل	المراتب	كمال الفتي بالعلم لا بالمناصب
225 :1	بسيط	القتب	إن الجمال التي بالحمل قد عرفت
273 :1	بحزوء الرجز	عجب	ببركة الحج ترى
417 :2	بسيط	النجبا	ما أكثر الناس وما أقلهم
204 :2	بسيط	الأدبا	العلم زين وتشريف لصاحبه
210 :2	كامل	المتأدب	أبني إني واعظ ومؤدب
175 :1	طويل	أعذبه	على أسرتي أركى سلام وأطية
304 :2	طويل	المكذب	أراهم معي لا بل أرى أنني هم
278 :1	رمل	الربا	شاقنا وادي القباب المرتقى

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
ما إن تقضي طلاي عن جنابك بل	أرب	بسيط	395 :2
أبا سالم أنت المحب إلى قلبي	حرب	طويل	164 :1
ألا يا أبا السبطين يا فارس الحرب	الضرب	طويل	467 :2
قل لي بأي وسيلة أدلي بها	تقربي	كامل	82 :2
أنالك المجد موروثا ومكتسبا	الحسبا	بسيط	509 :2
حبا بابنة الفخم العلا والمناقب	المناصب	طويل	188 :2
قد وصلنا لعيون القصص	النصب	رمل	288 :1
أحبتنا إني كلفت بحب من	منصب	طويل	516 :2
عقبات يسلك الناس بها	مرتعه	رمل	283 :1
في وادي فيحاء كم سائر	الكعب	رجز	284 :1
أتاني نظام كالنجوم الثواقب	الكواعب	طويل	188 :2
مثل لعينيك دارا شام تجد قبا	قبا	بسيط	156 :2
كالبدر من أي النواحي جتته	ثاقبا	كامل	103 :1
لأول أشكال القياس نتائج	المطالب	طويل	341 :2
إذا غلبتك النائبات فغالب	الثعالب	طويل	186 :2
بقلبك كن بالحب منطيعا وكن	أجنبي	طويل	354 :1
يا بارقا من بأعلى الرقمتين بدا	الشنب	بسيط	268 :1
ما روضة زادها وزن قد انسكبا	شهما	بسيط	510 :2
نفسى وأهلي فدئ لخبر مكتوب	محبوب	بسيط	166 :1
إلى الشيخ خير الدين أمت ركائي	آيب	طويل	417 :2
وقبلك داوى الطبيب المريض	الطبيب	متقارب	255 :1
بطيبة طاب الطيون لطيبها	لمطيب	طويل	624 :1
إذا لم نطب في طيبة عند طب	نطيب	طويل	624 :1
وللعقول قوى تستر مدى	اضطرابات	بسيط	496 :1
فيه خلافا للأئمة قبلنا	السادات	كامل	114 :2
إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى	شجرات	طويل	292 :1
ما مثل قوله قائل يا سادتي	فات	كامل	122 :1
بروحي أفدي ظية بدوية	نابتة	طويل	291 :1

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
أيا علماء الدين ذمي دينكم إذا ألقاك علمك في مهاو و كنت كذي رجلين رجلٌ صحيحة سقى الله العقيق وساكنيه هنيئاً لمن قد زار طيبةً لابثاً يموت من في الأنام طراً شهاب الدين مولانا ابن تاجه فبدل الحرف بما قبله يا أهل بدر لقد طابت ما ترككم ببابك قوم يطلبون زيارة يا دهرُ بع رتب المعالي بعده أشافي قلبي بعدما كنت جارحه لما رأى الزهر الشقيق انثنى كم ليلة فيك وصلنا السرى سريع لبذل المال إن جاء سائل زارت على غفلة من غير ميعاد غديت دُر التصابي قبل ميلاد كأن عذاره المسكي لام كوني سلاماً وبردا نار أكباد يهنيك يا مولاي بدر طالع لئن طال الحماذ لقد حمدنا يا حبذا وادٍ فسيح الفضاً قد أقسم الجبن على حرد هل كل من له اجتهاد واحد إن جئت أرضاً أهلها كلهم سلام لعباس إمام معارف خليلي ما للعيس في سيرها تعدو يا سيداً يُخجل بدر الدجي	حجة علمنا فشلت قضيته اللبثا خبيث نتاجه المخرج الدرج راجحه تربح جارحه لمحه نستريح صارخ إبراد إرشاد صاد الصادي إسعاده الحماذ النادي الزبد واحد الواحد الأوحد يحدو الردى	طويل وافر طويل وافر طويل مخلع البسيط وافر سريع بسيط طويل كامل طويل سريع سريع طويل بسيط بسيط وافر بسيط كامل وافر سريع سريع رجز سريع طويل بسيط سريع	124:2 16:2 93:2 305:2 62:1 288:2 27:2 43:2 307:1 86:1 98:2 489:1 125:2 106:2 64:1 625:2 319:2 345:2 389:2 196:2 116:1 313:1 346:2 370:2 443:1 571:1 370:1 123:1

الصفحة	البحر	القافية	صدر البيت
225 :2	طويل	يتفردا	هم السمن بالسنوات لا السمن فيهم
107 :2	كامل	الجسد	ادأب على جمع الفضائل جاهدا
280 :1	طويل	شدوا	يُقال إذا لاقوا خفافاً إذا دُعُوا
284 :2	مخلع البسيط	أرشد	كنت إذا ما أتيتُ عيباً
503 :2	كامل	الأرشد	للشيخ عاشور الإمام الأجد
504 :2	طويل	مواعدا	قواعدُ هذا الفن صَوْنُ قَوَاعِدِ
67 :2	طويل	بعدي	مُنَايَ وإن عَزَّ المني قُرب سيدي
315 :2	طويل	العقد	زها بك دستُ الملك والتاج والعقد
225 :2	طويل	تكمد	وجاءت به شكلاء ذات أسرة
311 :1	طويل	الندا	تَجَرَدْتُ لما أن وصلتُ لرابغ
417 :2	بسيط	فندا	ما أَكثَرَ الناس بل ما أَقلهم
604 :1	طويل	العهد	عليك بصافي ود ليلي وكن لها
195 :2	طويل	يهدي	أتيتك تهديني الرشاد أبا مهدي
482 :2	خفيف	وجودي	سَيدي سَيدي شهابُ الوُجودِ
97 :2	بسيط	محمود	وكيف ما دارتِ الأيامُ مقبلة
371 :1	طويل	يد	هنتيا لقلبي هذه دارُ سَيدي
65 :1	طويل	القيد	أرومُ ارتحالاً نحوه فتصُدني
291 :2	مخلع البسيط	حميدا	قراة السوء شر داء
460 :2	طويل	سائرا	ألا يا خليلَ الله جئتكَ زائرا
330 :2	بسيط	جار	لله يوم بحمام نعمت بها
92 :2	كامل	قرار	حكمُ المنية في البرية جار
443 :1	كامل	الأعمار	إن الأهله في السماء مناجل
290 :1	خفيف	كالأنهار	قد وَصَلنا إلى مَغَارِ شُعَيْبٍ
341 :2	كامل	الصبر	صبرا لحُكمِك أيها الدهرُ
476 :1	بسيط	فترى	صف ذاتنا جودُ شخص قد سما كرما
289 :2	طويل	الوتر	وضابطها في القول ليلة جُمعة
126 :1	مجزوء الكامل	الثرى	انظر بعينك هل ترى
458 :2	وافر	نثرا	أجزتُ بكل ما أرويه طرا

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
جرى العقيقُ ودمعي كالعقيق جرى	جرى	بسيط	418 :1
إذا كنتُ في نجد وطيب نسيمها	فمحجر	طويل	107 :2
قوافٍ لأسلاك العقودِ على النحر	السحر	طويل	508 :2
لا تحش من غم كغيم عارض	بدره	كامل	99 :2
فوض الأمر إلى من حكمه	وصدر	رمل	58 :1
أحبه قلبي لا ضرار ولا ضرر	القدر	طويل	59 :1
طال المنامُ على أرجوحة الصغر	بالنذر	بسيط	313 :2
يا مفرد الأوصافِ صف لي ما طرا	حررا	كامل	73 :2
يا ناظما فوق الطروسِ دررا	الطررا	كامل	73 :2
يذكرني بالثغر برْدُ نسيمه	متكرر	طويل	156 :2
ما أحسن الضحك الجاري بغير قم	البصر	بسيط	352 :1
ليل كأن مداه عكس أحرفه	قصر	بسيط	328 :2
سلامٌ عليكم أيها الأوحُد الصدرُ	مصر	طويل	241 :1
لا تحسبن شامة في خده طبع	منظره	بسيط	333 :2
لو طُبخت قدر بمطمورة	الثغور	سريع	329 :2
إن عسْفان تسامت رفعة	القرى	رمل	310 :1
في كل فاتحة للقول معتبره	بالبقرة	بسيط	290 :2
لقاضي قضاة القلس قدس سره	مستقره	طويل	427 :2
وكل قصي الدار يذكر أهله	ذاكر	طويل	341 :2
عواطف آلاء بأيدي غوامر	عامر	طويل	392 :2
أيا سامع الأبيات دونك شرحها	عمر	طويل	330 :2
يا صاحبي نلت المني فاستبشر	الأطهر	كامل	369 :1
وقالوا قد عميت قلت كلا	بصير	وافر	286 :2
علوم الكيمياء لدي أجلى	للبصير	وافر	284 :2
ومن ظن ممن يلاقي الحروب	عجزا	متقارب	337 :2
زيارة خير العالمين هي الكثر	حرز	طويل	464 :1
أجاز لهم عمر الشافعي	المستجيز	متقارب	283 :2
سار عبد العزيز في الحكم سيرا	العزير	خفيف	95 :2

الصفحة	البحر	القافية	صدر البيت
480:2	خفيف	لباس	ما على من أتى هنا من بأسٍ
483:2	طويل	كالحبس	أيا سالكاً بحر الحقيقة والحس
342:2	طويل	بدارس	لئن درست أسباب ما كان بيننا
213:1	طويل	المرسي	ملاذي إذا ضاقت لكربتها نفسي
622:1	طويل	الرمس	أريد مقاماً عندكم لا يشوبه
284:2	بسيط	أنس	أبو حنيفة زين التابعين روى
330:2	طويل	بيوسي	ولم أدخل الحمام ساعة بينهم
166:1	وافر	لبوس	نعم شعنتُ بعيدكم عروس
161:1	وافر	الطروس	خليلي هل تأملت الدروس
333:2	وافر	كالفراس	هيب الخد حين بدا لعيني
628:1	بسيط	ناشي	مذ لاح بالمغرب المأهول فاضله
110:1	وافر	مشاها	مشيناها خطي كتبت علينا
244:1	طويل	حفص	عليك سلام طيب النشر من شخص
430:2	طويل	قنص	جزى الله عنا كل خير أبا حفص
335:2	سريع	يغوص	قد غاص في البحر كتاب الفصوص
245:1	بسيط	غرض	يا من يعمي علي في مقاصده
173:1	طويل	يمضي	بلى إنما تغفو الكلوم وإنما
168:1	طويل	القسط	سلام على الإخوان والصحب والرهط
170:1	طويل	الرهط	من الهائم الخيران من ليس ذا ضبط
70:2	مخلع البسيط	ارتجاع	يا بين أنى لك انقطاع
332:2	بسيط	يرعى	الغيث في صدف أو في قم الأفعى
283:2	رمل	الجزع	إنما أجزع مما أتقي
216:1	بسيط	سعى	الحمد لله حمد من بلي فدعا
332:2	بسيط	الأفعى	العرف في الحر مثل الغيث في صدف
291:2	طويل	برقع	ألا أيها البيت العتيق المرفع
357:1	بسيط	أجمعها	لبیضة القلب كن كالطير محتضنا
274:1	مديد	صانع	قد أتينا إلى محل المصانع
113:2	كامل	مقنع	وتطاعنا وتوافقنا خيلاهما

الصفحة	البحر	القافية	صدر البيت
340 :2	كامل	رجوعي	وإذا أتيتك زائراً مُتَشَوِّقاً
280 :1	رجز	وعى	وإنما المرء حديث حسن
92 :2	مجزوء الرمل	خائف	خف إذا ما بت ترجو
165 :1	طويل	الحذف	أمن لسواه النكر وهو له العرف
278 :1	رمل	صرف	نزل الركب بواد المنصرف
350 :1	بسيط	فاعرفها	غيب الهوية في هاء التنفس
42 :2	متقارب	يعرف	فكل فما قبله مُبدل
42 :2	متقارب	يعرف	كل حرف بما قبله مبدل
289 :2	طويل	نصف	عداد أحاديث البخاري خالصا
86 :1	طويل	وصف	حمدت إلهاً قد تتره عن كيف
85 :1	طويل	القطف	أجنة علم في سماء جلاله
51 :2	طويل	موقف	بطيبة قد خيمت بعد تعشق
62 :2	طويل	موقف	هنيئاً لقد قدمته فرطاً يجري
512 :2	بسيط	إلفا	أهاجرة بعد الوصال لها إلفا
155 :2	رمل	كفى	أشهد الله وأملك السما
522 :1	مخلع البسيط	المكلف	الرب رب والعبد عبد
523 :1	مخلع البسيط	المكلف	الروح روح والجسم جسم
522 :1	مخلع البسيط	يكلف	نعم بحق إثبات عبد
26 :2	مخلع البسيط	اللطيف	أسرار دور من الحروف
572 :1	كامل	مهرق	قد استوى بشر على العراق
344 :2	وافر	الماقي	صليه أو كليه لما يُلاقي
227 :2	منسرح	لاحقها	ما رغبة النفس في الحياة وإن
350 :2	طويل	بارق	إذا ما سقاني ريقه وهو باسم
328 :1	بسيط	حقي	لنا عليك بمحض الفضل حق قري
316 :1	كامل	أحدقوا	فكأنه لما بدا مُتَشَمِّراً
307 :1	طويل	طريق	خذوا بطن هرشي أو قفاها فإنها
131 :2	رجز	دقيقه	لبست تلك الخرقة الأنيقة
419 :1	مبحث	العقيق	سال العقيق ودمعي

الصفحة	البحر	القافية	صدر البيت
115:2	طويل	بالسبك	أبو حامد في العلم أمثال أنجم
469:1	خفيف	عندك	يا رسول الإله ما لك عندي
78:2	طويل	المسك	أبا سالم سلمت من عارض الضنك
78:2	طويل	شك	أسيدنا البري أحمد خير من
621:1	رجز	فكك	يا جملتي لا تدغمي وفككي
322:2	بسيط	ملكه	إليكم معشر الفراض مسألة
160:1	طويل	الأوائل	فحقك إنشاد مدى الدهر نادما
210:1	سريع	الجمال	يا حي يا قيوم يا ذا الجلال
89:2	مجزوء الكامل	حالي	أشكو إليك وأنت
90:2	طويل	محالا	ومن رام في الدنيا حياة خلية
549:2	طويل	انفصالة	حملت جنين الشوق في بطن مكة
68:1	كامل	وصالها	أبني إني ما تركتك عن قلبي
626:1	متقارب	المطال	تعطف ثمضي عليل المقال
64:2	كامل	أشغاله	إني لأعذره لكثرة شغله
96:2	كامل	قال	اعمل لنفسك صالحا لا تحتفل
515:2	طويل	تلالا	أبدر أبدت في الخافقين سعوته
290:2	كامل	الإجمال	يا طالبا نعت الشيوخ وما روي
468:1	طويل	أعمالي	لوجه رسول الله وجهت آمالي
549:2	طويل	أحوال	ألا عم صباحا مترلي بين أطلال
303:2	بسيط	قبل	أهدي لحضرتك العلياء تحملها
446:2	بسيط	قبلي	من أين من أين لي إن لم توفقي
325:2	خفيف	تجلى	حيث روض النعيم بالأنس يجني
68:2	طويل	المحل	سلام كعرف المسك أو كجنا النحل
356:1	طويل	محلها	تعدد هذا الكون والكثرة التي
342:2	كامل	الأعزل	جدي غدا كالجدي أشرق نوره
469:1	بسيط	بالرسل	ربّ بأسمائك الحسنى بأوصافك
346:2	بسيط	العسل	منك السמיד ومني النار أنفخها
474:1	طويل	متسلسلا	أيا سائلي عما أتانا به الألى

الصفحة	البحر	القافية	صدر البيت
324 :2	خفيف	المصلى	أيها القادمون أهلاً وسهلاً
23 :2	طويل	العلا	وسارقة المنديل تُدعى بزئب
291 :2	طويل	فعل	مضى ابنك محمود العواقب لم يشب
58 :1	متقارب	فعله	وقالوا فررت وليس الفرار
383 :2	كامل	غافله	ما كان أحلاها ليالي قد مضت
114 :2	كامل	العاقل	إن الولاية ليس فيها راحة
518 :2	طويل	عقل	أعيني جوادا بالدموع تأسفا
287 :1	كامل	الأمل	صعدوا على ظهر الحمار لعلهم
106 :2	كامل	مؤمل	أتعبت نفسك بين ذلة كادح
356 :1	بسيط	الجملا	من واحد العد كل العد منتشي
323 :2	كامل	تجمل	يا من له الوجه الجميل ومنطق
322 :2	كامل	بجمل	يا فاضلا في جامعة فضله
532 :1	طويل	الجهل	فؤادي لا يحتاج فيه لشاهد
132 :1	طويل	المناهل	أسيدنا مفتي الوري ابن مساهل
394 :2	بسيط	نخل	عز العزاء وجد الوجد واشتعل
101 :2	متقارب	تولى	تولى شبابي كأن لم يكن
293 :1	مجزوء الكامل	الترول	إن جئت للإصطبل لا
331 :2	كامل	رسولا	مولاي إن محمدا أوفى إلى
171 :1	وافر	طول	أبا بكر أبي كرب يزول
146 :1	طويل	بالمطول	فمنوا به قبل الرحيل لنا كما
507 ، 506 :2	طويل	القول	سأشكر إحسانا بدأ منك سيدي
520 :1	مخلع البسيط	تقول	يا أيها المبتلى بذمي
507 :2	طويل	هولا	أمولى غدا حر الكلام له مولى
290 :2	وافر	الصهيل	لقد كثرت دعاة الفقه حتى
124 :1	مخلع البسيط	الإقامه	يا صاحبي هل علمت شيئا
94 :2	كامل	ولاموا	لو كان فيهم من عراه غرام
418 :1	طويل	لام	ألا ليت شعري هل إلى الرمل عودة
94 :2	كامل	ناموا	لكنهم جهلوا لذاذة حسنه

الصفحة	البحر	القافية	صدر البيت
103 :2	كامل	الأنام	جهل الفتي عارٌ عليه لذاته
332 :1	خفيف	شهدتم	قد حضرنا بذا المكانِ وغبتمْ
332 :1	خفيف	قدمتم	أيها الغائبونَ باللهِ جُودوا
332 :2	بسيط	الإثما	صنائع العرف عند الحر موجهة
119 :2	طويل	دما	لنا الجففاتُ الغر يلمعن بالضحى
332 :2	سريع	ذما	العرفُ في الحر بشكر حري
329 :1	مجزوء الكامل	الحرم	لا شيءَ أذهب للجُرمِ
251 :1	بسيط	الحرما	لله روضة علم أنبتت حِكما
218 :2	بسيط	صرما	إن الكريمَ الذي تبقى مودتهُ
66 :2	بسيط	الكرم	العفو شيمة زاكي الأصلِ والشيمِ
40 :2	طويل	تكرم	وما عجبُ إكرام ألف بواحد
292 :1	خفيف	المسمى	إن وادي سلمى بهي بهيج
219 :1	بسيط	الأطم	وقاية الله أغنت عن مضاعفة
323 :2	كامل	يعظم	سلم على شيخ النحاة وقل له
323 :2	كامل	المحكم	أعد السلامَ لسيبويه زمانه
349 :2	طويل	سالم	أيا ظبية الوعساء بين جلاجل
465 :2	بسيط	كالعلم	كادت دموعي تُباري البرق في الظلم
185 :2	متقارب	مولاهم	هنيئاً لأهل الصيام الذي
125 :2	رمل	انهم	كان والله عفيفاً نَزها
136 :2	طويل	حلاهما	أيا خيرَ خلق الله شرفت مكة
117 :1	طويل	علاهم	فإن ولاة الأمر في كل بلدةٍ
349 :2	سريع	بمغناهم	قالوا غدا نأتي ديار الحمى
159 :1	طويل	سهم	على مثل ذا فليبك من ضاع عمره
125 ، 50 :2	رمل	مهم	كان لا يدري مُداراة الورى
288 :2	منسرح	ترحمهم	ديني وفقري وهم عائلتي
106 :2	بسيط	بينهم	أهل المناصب في الدنيا ورفعتها
344 :2	هزج	مقسوم	لا تحزن ولا تقنط
118 :1	وافر	الهشيم	ولكن البلاد إذا اقشعرتْ

الصفحة	البحر	القافية	صدر البيت
318 :2	سريع	العظيم	بشراكِ دارَ الملكِ قد صرت في
412 :2	مجزوء الرمل	مقيم	يا سائلي عن غزة
427 :1	مجزوء الرجز	أنا	أعظم بجهل فتية
353 :2	وافر	الفرقدان	سلامٌ باللسانِ وبالبنانِ
463 :2	كامل	الإنسان	حُب الورى للدر والعقيانِ
235 :2	كامل	الشاني	ما شأنُ أم المؤمنين وشأني
340 :2	كامل	أحفاني	كم قلتُ ما أجفى مُحبا غافلا
243 :2	كامل	الإيقان	يا صاح إن عقيدة النعمانِ
543 :2	خفيف	بأمان	يا نبي الإله يا ابن سينان
110 :1	كامل	الأزمان	فسد الزمانُ كما ترى من حاله
111 :1	وافر	الزمان	يقولون الزمانُ به فسادٌ
103 :2	وافر	الزمان	فدم الدهر للإنسان خير
103 :2	خفيف	الزمان	أن يكون الزمانُ عيي أولى
119 :2	رجز	الزمان	مدلول لو ربط وجود ثان
340 :2	طويل	الزمان	ولو تُعطى الخيارَ لما افترقنا
341 :2	وافر	الزمان	بأي جنابةٍ وبأي ذنب
353 :2	وافر	الزمان	نُحاة العصر أرباب المعاني
411 :2	وافر	مكان	لدى الشيخ الغصين أنختُ رحلي
632 :1	طويل	ريان	أمولاي بدر الدين إني ظمآن
343 :1	طويل	بلبانها	فإن لا يكتنها أو تكنه فإنه
431 :1	طويل	بنانه	أجبران خير الخلق منوا بدعوة
594 :1	بسيط	الوثنا	يا رب جوهر علم لو أبوح به
491 :1	طويل	يفيدني	أجزئك لكن مثلكم من يُجيزني
293 :1	رمل	يختزن	قد دخلنا بندر الوجه الذي
521 :1	رمل	حزنا	قل لإخوانِ رأوني ميتا
246 :1	بسيط	السن	يا مَنْ له بصرٌ في أي ما فن
332 :1	رمل	حسن	إن في الجنة نهرًا من لبن
309 :1	خفيف	ممکن	قد شكّا لي بعضُ المحبين يومًا

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
أَسِيدَنَا أبا عَمْرَانَ أَنِي	مني	وافر	242 :1
يا مَنْ أَتَى أَكْرَهَ فِي سَيْرِهِ	المنه	سريع	298 :1
إِمَامُ التَّقَى نَحْمُ الْهَدَى شَاذِلِيهِمْ	المنن	طويل	568 :1
إِذَا رُمْتَ آبَارَ النَّبِيِّ بِطَبِيبَةٍ	وهن	طويل	415 :1
حَبْنَا بَنْدَرُ يَنْبُوعٍ وَمَا	عيون	رمل	300 :1
رَثَى لِي عُودِي إِذْ عَايَنُونِي	العيون	وافر	124 :2
أَيُّهَا السَّامِيُّ سُمُو الْفَرْقَدِينَ	الفرقتين	رمل	240 :1
أَيُّهَا السَّامِيُّ لَكَلْنَا الذَّرَوَتَيْنِ	المروتين	رمل	239 :1
يا رَحْلَةً كُلَّمَا قَصَرْتُ شَقَّتْهَا	حينا	بسيط	547 :2
سَكَنَّاها لِيَالِي آمَنِينَ	الناظرين	وافر	546 :2
يا مَنْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الْعِلْمِ يَحْمِلُهُ	ياسين	بسيط	621 :1
عَجِبْتُ مِنْكَ وَمَنِي	عيني	مجتث	283 :2
ذَرِينِي أَرْدُ مَاءِ الْمَفَاوِزِ آجِنَا	معين	طويل	52 :1
وْخَمْسَةُ أَحْرَفٍ فِي اللَّفْظِ تُقْرَأُ	بحرفين	وافر	287 :1
دَهْرُنَا أَمْسَى ضُنِينَا	ضنينا	مجزوء الرمل	125 :2
أَنْظُرْ إِلَى الْخَضِرَاءِ وَاغْنَمْ بَسْطَهَا	نزهة	كامل	299 :1
يا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ بِاللَّهِ	الله	سريع	111 :2
مَاتَ فَتَى الْمَجْدِ مِنْ آلِ عَلَوِي	النهى	رجز	132 :2
وَلَمْ أَتَسَّ بِالْتِيهِ يَوْمًا بِهِ	ولوها	مقارب	276 :1
لَا تَسْلُكَنَّ بَوَادِي التِّيهِ مُنْفَرِدًا	فيه	بسيط	279 :1
وَمَنْ كَانَ لَا يُرْضِيهِ مِنْ حَالَتِي سَوَى	فيه	طويل	102 :2
مَا اسْمُ تَرَانِي أَبَدًا شَيْقَا	نيه	سريع	330 :2
مَا فِي خُمُولِي مِنْ عَارٍ عَلَى أَدْبِي	أهليها	بسيط	103 :2
وَفِي أَكْرَهٍ وَالَّتِي بَعْدَهَا	القساوة	مقارب	299 :1
قَدْ نَزَلْنَا بِطَارِفٍ لَقْدِيدٍ	الحمايه	خفيف	310 :1
صَبَا لِلْعِلْمِ صَبَا فِي صَبَاهِ	الصبي	وافر	105 :2
وَحَلْتُ سَوَادَ الْقَلْبِ لَا أَنَا بَاغِيَا	متراخيا	طويل	108 :2
سَبَرْنَا الْعَالَمِينَ فَمَا رَأَيْنَا	الخيارى	وافر	628 :1

الصفحة	البحر	القافية	صدر البيت
547 :2	متقارب	الثريا	بلادي التي كنتُ فيها هنيا
279 :1	وافر	باقي	إلى نخل الحصينة سرّ حميدا
285 :1	متقارب	بقي	كما أحسن الله فيما مضى
305 :2	وافر	العلي	جرى خلف الورى في فهم معنى
336 :2	وافر	عليا	ولم أجزع لهول الموت لكن
519 :2	طويل	العليا	أيا باهر الإشراف يا غاية المنى
65 :2	بسيط	ملي	بشراك يا عين هذا منتهى الأمل
246 :2	طويل	الدنيا	نختمنا كتاب المجتبي وأتمه

فهرس المدن والأماكن والبلدان

330، 299 :1	الأباطح
363 :1	الأبطح
358 :1	الأبواء
163، 72 :2، 331 :1	الأحساء
475 :2	أدرن
276، 275، 39 :1	أرض التيه
403 :2، 295، 292، 290 :1	الأزم
205، 198، 197، 194، 181، 141، 40 :1	الإسكندرية
207، 209، 213، 215، 217، 508 :2، 29 :1	
281، 310، 352، 411، 475، 476، 477	
478، 479، 480، 484، 487، 488، 497	
468 :2	أسوان
330 :2	إشيلية
249 :1، 431، 432، 434 :2، 32، 33، 88	أصبهان
254	
403 :2، 293، 290 :1	اصطبل عنتر
385، 312، 44، 30 :2، 143، 108 :1	إصطنبول
415، 420، 426، 465، 467	
548، 546 :2	الأغواط
207، 200، 197، 195، 182، 109 :1	إفريقية
209، 218، 238 :2، 143 :1، 182، 271	
272، 403، 498، 539، 542	

119 :1	أكرك
421 ، 299 ، 298 :1	أكره
80 :1	أكيدز
468 :2	أم الحسن
403 :2 ، 290 :1	أم السلطان
460 ، 352 ، 318 :2 ، 237 ، 70 :1	أم القرى
196 :1	أمكيرينة
224 ، 220 ، 39 :1	أنبابة
274 ، 273 ، 247 ، 80 :2 ، 204 ، 144 :1	الأندلس
534 ، 492 ، 335 ، 279 ، 277 ، 276	
217 ، 209 ، 201 :1	أوجلة
551 :2	أوطاط
172 :2 ، 172 ، 107 ، 80 ، 39 :1	أوكرت
60 :2	بجاية
348 ، 347 ، 346 :1	بخارى
309 ، 306 ، 304 ، 303 ، 302 ، 301 :1	بدر
365 ، 366 ، 377 ، 395 ، 412 ، 433 ، 2 :	
385 ، 158 ، 138	
310 :2 ، 205 :1	بر الروم
279 :1	بر الصعاليك
532 :2 ، 130 ، 129 :1	برج الملح
199 ، 197 ، 195 ، 194 ، 181 ، 135 :1	برقة
218 ، 217 ، 208 ، 206 ، 205 ، 201 ، 200	
478 ، 407 ، 403 ، 384 ، 139 :2 ، 308	
499 ، 491 ، 487	
206 :1	برقة البيضاء
206 ، 201 :1	برقة الحمراء
539 ، 184 ، 183 :2 ، 185 ، 133 ، 40 :1	بسكرة
542 ، 540	

البصرة	1: 117، 326، 431، 432، 2: 322
بطحاء القريش	2: 137
بطحان	1: 370، 371، 393، 408، 410، 412، 416، 419، 421، 2: 158، 390
بطن محسر	2: 178، 346
بطن هرشى	1: 307
بطن الوادي	1: 389، 407
بعلبك	2: 443، 452
بلاد الروم	1: 238، 2: 29، 30، 46، 443، 463، 480
بلاد الواحات	2: 16
بلاد سوف	1: 123
بلاد سيدي عقبة	2: 538، 539
بني بودنيب	2: 551
بكنسا	2: 480
بوسمغون	1: 111، 2: 549
بوصير	2: 475
بوكايس	2: 551
بيت حيرين	2: 462
تادلا	1: 218، 2: 44
تارودانت	2: 43
تافيلالت	1: 79
تجورارن	1: 81، 110، 111
تعلالين	1: 70
تسابت	1: 79
تكريرن	2: 551
التل المرتفع	1: 297
تلمسان	1: 181، 2: 127، 132، 266، 546
تنبكت	2: 80
التنعيم	1: 40، 312، 333، 513، 515، 2: 145

166، 154	
315، 314 :1	التنية
378، 168 :2، 466، 18 :1	تهامة
107، 84، 80، 79، 78، 76، 74، 37 :1	توات
172، 120	
98 :2	توريشث
536، 535، 343، 342 :2، 111، 40 :1	توزر
537	
142، 141، 129، 128، 104، 15، 12 :1	تونس
200، 198، 184، 182، 179، 144، 143	
342، 325، 108، 29 :2، 447، 365، 280	
535، 533، 532، 503، 344	
395 :1	ثنية الوداع
496 :2، 208، 201، 200، 199، 196 :1	الجاية
500	
539 :2	جبل أوراس
294 :1	جبال الحجاز
109 :1	جبال غمارة
180، 179، 178 :1	جبال مسلاتة
377، 101 :2، 515 :1	جبل أبي قيس
421 :1	جبل أراك
152 :2	جبل أكرى
208، 206، 201، 199، 196، 181 :1	الجبل الأخضر
503، 496، 495 :2، 301	
140 :2	جبل الخزورة
319 :1	جبل الرحمة
407 :1	جبل الرماة
265 :1	جبل الرملة
180 :1	جبل النكازة

393 :1	جبل ثواب
151 :2 ،405 :1	جبل ثور
164 :2 ،405 :1	جبل حراء
181 :1	جبل درن
297 :1	جبل رضوى
183 :2	جبل زواوة
394 ،392 :1	جبل سلع
290 :1	جبل سلمى
303 :1	جبل عريش
551 :2	جبل عنتر
420 ،407 ،406 :1	جبل عينين
309 :1	جبل القروء
140 :2	جبل قعيقعان
385 :2 ،371 ،369 :1	جبل مفرح
141 ،139 :2 ،441 ،297 ،285 ،275 :1	جدة
167 ،162 ،161 ،160 ،156 ،154 ،153	
401 ،138 :2 ،365 :1	الجديدة
535 :2 ،201 ،143 ،141 ،133 :1	جربة
46 :2	جرجا
149 :2	جرجان
287 :1	الجرفين
182 ،61 ،44 :2 ،194 ،133 ،128 ،12 :1	الجزائر
514 ،498 ،496 ،490 ،487 ،475 ،183	
538 ،535 ،526	
208 ،33 :2	جزيرة العرب
167 ،166 ،161 :2 ،333 :1	الجعرانة
534 :2 ،126 :1	جمنة
207 :1	جون العقبة
537 ،533 :2	الحامة

الحبشة	262، 155، 61 :2
الحجاز	1: 17، 18، 19، 21، 25، 26، 27، 29، 31، 71، 108، 129، 133، 193، 194، 200، 237، 248، 253، 257، 266، 268، 269، 280، 291، 292، 294، 295، 296، 297، 299، 303، 306، 307، 326، 327، 335، 366، 397، 411، 424، 433، 441، 450، 465، 466، 480، 485، 486، 493، 498، 516، 580، 2: 14، 29، 37، 38، 46، 49، 61، 69، 71، 98، 115، 128، 136، 153، 168، 169، 172، 185، 190، 291، 309، 315، 319، 378، 379، 383، 395، 411، 428، 503، 540، 543
حدة	154 :2
الحديبية	1: 183، 2: 118، 154، 161
حفائر النخل	1: 283
حلب	2: 80، 90
حلق الوادي	1: 142، 143، 144
الحماد الكبير	1: 76، 78، 113
الخوراء	1: 294، 295، 298، 2: 403
حوران	2: 433
الحوش	1: 215، 2: 475
خان يونس	2: 420، 430، 465
خراسان	1: 249، 348
الخروبة	1: 203
الخضيرة	1: 295، 296، 299
خليص	1: 307، 308، 310، 327، 364، 412، 2: 125، 139، 384
الخليل	1: 13، 40، 482، 620، 2: 414، 425

461 ، 458 ، 457 ، 430 ، 426	
151 :2	الخدمة
538 :2	الحنفة
68 :1	حنق تليشت
81 ، 80 :2	خوارزم
270 :1	الدار الحمراء
301 ، 300 ، 16 :1	دار الوقدة
528 ، 43 :2	درعة
215 ، 205 ، 204 :1	درنة
534 :2 ، 181 :1	دقيوس
، 508 ، 505 ، 482 ، 481 ، 182 ، 103 :1	دمشق
، 101 ، 96 ، 93 ، 90 ، 81 :2 ، 579 ، 570	
، 443 ، 420 ، 411 ، 287 ، 214 ، 127 ، 123	
، 450 ، 449 ، 448 ، 447 ، 446 ، 445 ، 444	
454 ، 452 ، 451	
472 ، 471 ، 470 ، 468 ، 288 :2 ، 40 :1	دمياط
78 :1	الدميرة
195 :1	دور حسان
، 154 ، 140 :2 ، 362 ، 333 ، 314 ، 313 :1	ذو طوى
383	
، 139 :2 ، 365 ، 364 ، 309 ، 306 ، 39 :1	رابع
384	
471 :2	رأس الخليج
407 :2	الرحيبة
472 ، 411 :2 ، 383 ، 209 :1	رشيد
537 :2	الرفيق
، 414 :2 ، 266 ، 265 ، 219 ، 40 ، 13 :1	الرملة
450 ، 428 ، 420 ، 419 ، 418 ، 416 ، 415	
، 514 :2 ، 173 ، 133 ، 120 ، 119 ، 117 :1	ريغ

545 ، 544	
545 ، 543 ، 542 ، 538 ، 183 :2	الزباب
314 ، 313 :1	الزاهر
302 :2 ، 478 :1	زبيد
83 :1	زرهون
537 :2	زربية حامد
538 :2	زربية الوادي
532 :2 ، 129 ، 128 :1	زريق
467 :2	الزعقنة
134 :1	زنزور
132 ، 131 :1	الزوارات
532 :2 ، 132 :1	زواغة
306 :1	الزوة
500 :2 ، 196 ، 183 ، 182 ، 181 :1	ساحل حامد
276 :2 ، 521 ، 520 :1	سبنة
402 :2 ، 299 ، 596 ، 295 :1	سبع وعرات
311 :1	سبيل الجوخى
74 ، 72 ، 69 ، 57 ، 39 ، 31 ، 29 ، 12 :1	سجلماسة
75 ، 76 ، 79 ، 107 ، 297 ، 383 ، 446 :2	
545 ، 488	
178 :1	سدرات العشار
497 :2 ، 206 ، 198 ، 197 ، 196 ، 195 :1	سرت
498	
471 :2	السرو
416 ، 415 ، 414 ، 395 ، 367 :1	السقيا
64 :2	سلا
71 :2 ، 419 ، 395 ، 394 ، 393 ، 383 :1	سلع
491 ، 324	
220 ، 213 ، 206 ، 203 ، 201 ، 200 :1	سلوك

341	
495 :2، 206، 203 :1	سمالوس
551 :2	سهب الحجارة
551 :2	السهلي
462 :2	السوافر
،455، 432، 430، 427، 109، 80 :1	السودان
528، 76، 63، 16 :2	
43 :2، 181، 109 :1	سوس الأقصى
233، 182، 141 :1	سوسة
485، 289، 285، 274، 167، 39 :1	السويس
،385، 348، 328، 326، 280، 182، 26 :1	الشام
،456، 444، 433، 409، 402، 395، 387	
،30 :2، 621، 620، 516، 486، 481، 480	
،241، 212، 168، 124، 113، 46، 37	
،416، 415، 414، 411، 409، 407، 294	
448، 443، 433، 425، 420	
453، 163 :2، 364، 361، 333، 313 :1	الشبيكة
404 :2، 284 :1	شرف بني عطية
401، 138 :2، 367 :1	شرف الروحاء
287 :1	الشرفة
346 :2	شريش
377 :2، 358 :1	شعب أبي طالب
403 :2، 290 :1	شق العجوز
498، 426 :2، 365، 196 :1	الشقة
130 :1	صحراء المغرب الأقصى
61، 16 :2	صعيد مصر
401، 385، 138 :2، 446، 365 :1	الصفراء
262، 254 :2	صنعاء
451، 446 :2	صيدا

الصين	329 ، 158 :2
ضمير	443 :2
الطائف	1 : 397 ، 411 ، 420 ، 465 ، 516 :2 ، 135 ، 150 ، 152 ، 161 ، 166 ، 167 ، 168 ، 169 ، 170 ، 171 ، 172 ، 173 ، 175 ، 176 ، 312
طرابلس	1 : 132 ، 134 ، 135 ، 136 ، 139 ، 142 ، 143 ، 145 ، 147 ، 177 ، 178 ، 179 ، 181 ، 192 ، 198 ، 201 ، 204 ، 208 ، 217 ، 220 ، 2 : 295 ، 474 ، 491 ، 494 ، 501 ، 502 ، 503 ، 506 ، 514 ، 531
طرف النجحان	1 : 309
طهطا	2 : 283
طورزيتا	2 : 423
طولون	1 : 219 ، 263 ، 2 : 114
الطويل	1 : 78
طيبة	1 : 60 ، 126 ، 149 ، 214 ، 370 ، 468 ، 622 ، 2 : 51 ، 62 ، 68 ، 71 ، 136 ، 158 ، 173 ، 237 ، 458
الطينة	2 : 430 ، 466 ، 469 ، 470
ظهر الحمار	1 : 283 ، 287
العادلةية	1 : 267 ، 269
عجروود	1 : 271 ، 272 ، 274 ، 276 ، 278 ، 295
العراق	1 : 109 ، 315 ، 331 ، 332 ، 380 ، 433 ، 498 ، 516 ، 572 ، 2 : 30 ، 31 ، 37 ، 80 ، 163 ، 245 ، 381 ، 534
عرام	2 : 129 ، 174 ، 532
عرفات	1 : 190 ، 318 ، 319 ، 330 ، 362 ، 363 ، 515 ، 2 : 167 ، 178 ، 379
عرقوب البغلة	1 : 280

العريش	1: 40، 303، 304، 367، 2: 401، 465، 466، 467، 468، 490
عسفان	1: 308، 310، 364، 2: 139
عسقلان	2: 201، 209، 225، 413، 414
عش الغراب	1: 284
عفران	2: 498
عقبة أكرى	2: 178
العقبة	1: 112، 180، 181، 206، 207، 280، 281، 282، 283، 286، 287، 308، 2: 346، 381، 404، 405، 406، 408، 488
عقبة السكر	1: 40، 307، 308، 2: 384
العقبة السوداء	1: 39، 294، 2: 403
عقبة السويق	1: 310
العقيق	1: 217، 370، 394، 395، 414، 417، 418، 419، 421، 2: 305، 324، 385
عكا	2: 241
العلندا	1: 123
العوالي	1: 19، 415، 421، 423، 456، 2: 64، 182
عين العباس	1: 75
عين الغزالة	1: 205، 2: 490، 495
عين سلوان	2: 424
عين ماضي	2: 546
عيون القصب	1: 285، 288، 2: 404
غار جبل ثور	2: 151
غلدير خم	2: 200
الغرفة	1: 72
غرناطة	2: 270

186 :1	غريان
206 :1	الغريض
13 :1، 40، 275، 276، 281، 283،	غزة
2 :404، 405، 407، 408، 409، 411،	
412، 413، 414، 428، 430، 462، 464،	
465، 466، 468، 502	
204 :1	الغزيات
471 :2	فارس
1 :506، 2 :44، 266، 310، 477، 480،	فاس
501	
1 :108، 109، 459، 2 :549، 550	فجيج
1 :141، 2 :63	فزارة
2 :433	فلاح شهبه
1 :179، 181، 2 :496، 497، 498	فزان
2 :418	فلسطين
2 :551	فم الطبل
1 :78	فم المدفع
1 :128، 2 :532، 533	قابس
2 :80	قاسيون
2 :468	قاطية
1 :12، 39، 219، 220، 223، 227، 229،	القاهرة
233، 245، 246، 256، 259، 261، 263،	
264، 269، 483، 484، 573، 575، 588،	
622، 2 :46، 82، 88، 93، 96، 106، 111،	
113، 123، 148، 149، 172، 184، 185،	
188، 294، 298، 331، 411، 428، 472،	
473، 474، 487، 501، 521	
278 :1	القباب
207 :1	قبر العاصي

551 :2	قدوسة
347 ،341 ،279 ،207 :2 ،505 :1	قرطبة
177 ،176 ،168 :2	قرن الثعالب
78 :1	قرى أولاد رافع
78 ،76 :1	قرى بني العباس
79 :1	قرى تسابت
81 ،80 :1	قرى الدغامشة
547 ،546 :2	قرية أولاد جلال
78 :1	قرية بني خلف
445 :2	قرية عذراء
76 :1	قرية مازر
348 :2	قزح
476 ،312 ،220 :2 ،440 ،109 :1	القسطنطينية
516 ،505 ،185 :2	قسمطينة
78 :1	القصبات
501 :2 ،193 ،188 :1	قصر أحمد
70 :1	قصر بني عثمان
198 :1	قصر العطيش
312 :2	قصر كتامة
204 :1	قصر المخيلف
447 ،446 ،435 :2	قطنا
471 ،470 :2	قطيبة
362 ،313 :1	قعيقعان
173 ،112 ،111 ،108 :1	القليعة
107 ،90 ،84 :2	قوص
363 ،362 ،333 ،311 :1	كداء
363 ،362 :1	كدى
474 :2	كرش البقرة
405 :1 ،292 ،290 :1	كفافة

539 :2	الكلاية
351 ،78 :2 ،432 :1	الكوفة
181 :1	لبدة
318 :1	المأزمان
31 :2	مالطة
100 :2 ،497 ،432 ،347 :1	ما وراء النهر
،43 :2 ،362 ،358 ،332 ،329 ،313 :1	المحصب
384 ،168 ،164	
451 :2	محلة المغاربة
497 :2	المخيلي
352 :2	المدائن
70 :1	مدغرة
492 :2 ،200 :1	المدور
329 :2	مدين
421 :2	مدينة لد
،303 ،294 ،252 ،235 ،179 ،108 :1	المدينة المشرفة
،405 ،385 ،373 ،367 ،361 ،340 ،304	
،569 ،481 ،467 ،431 ،427 ،423 ،406	
،45 ،21 ،15 :2 ،629 ،620 ،604 ،587	
،137 ،129 ،69 ،66 ،65 ،53 ،51 ،46	
،421 ،403 ،389 ،386 ،385 ،158 ،138	
507	
298 :1	مفرش النعام
،331 ،224 ،181 ،132 ،83 ،82 ،57 :1	مراكش
،503 ،497 ،494 ،482 ،477 ،54 ،46 :2	
553 ،552 ،551 ،549	
201 :1	مرسى ابن غازي
477 ،474 :2 ،224 :1	مرسى بولاق
517 :1	مرسية

117 :1	مزاب
383 ،348 ،169 :2 ،515 ،363 ،319 :1	مزدلفة
386 ،141 :2 ،365 ،306 :1	مستيرة
275 ،274 ،273 :1	المصانع
مذكورة في معظم صفحات الكتاب	مصر
140 :2	مضيق الخيف
209 ،208 :1	مطروح
126 ،109 ،96 ،76 ،29 ،23 ،21 ،12 :1	المغرب
136 ،147 ،197 ،222 ،224 ،233 ،247 ،	
343 ،364 ،383 ،386 ،401 ،433 ،441 ،	
473 ،482 ،579 ،604 ،46 :2 ،66 ،70 ،	
97 ،100 ،158 ،174 ،268 ،312 ،327 ،	
356 ،413 ،489 ،501 ،504 ،535 ،548	
198 ،196 :1	مقطع الكبريت
مذكورة في معظم صفحات الكتاب	مكة
553 ،552 ،551 ،504 ،312 :2 ،79 :1	مكناسة
409 ،289 :2 ،329 ،316 :1	الملتزم
325 ،324 ،323 ،320 ،315 ،114 :1	منى
328 ،363 ،43 :2 ،164 ،169 ،180 ،348 ،	
381 ،383 ،384	
224 :1	المنشية
206 ،200 ،199 ،198 ،196 :1	المنعم
540 :2	المنصف
224 ،220 ،219 :1	المنصورية
473 :2	منية عمرو
290 ،287 ،286 ،285 ،265 ،264 :1	المويلح
406 ،405 :2 ،297 ،292	
140 :2	النازية
380 ،178 ،169 ،109 :2 ،411 ،326 :1	نجد

381	
282 ، 279 ، 278 ، 276 :1	النخيل
196 :1	النعيم
174 ، 128 ، 127 ، 126 ، 125 ، 39 :1	نقز أو
539 ، 538 :2	نقطة
408 :2	النقب
381 ، 180 :2 ، 319 ، 318 :1	نمرة
195 ، 194 :1	الهائشة
، 448 ، 436 ، 433 ، 333 ، 274 ، 96 ، 16 :1	الهند
، 634 ، 633 ، 589 ، 588 ، 579 ، 516 ، 486	
331 ، 105 ، 80 ، 69 ، 59 ، 33 :2	
، 119 ، 114 ، 113 ، 111 ، 107 ، 81 ، 39 :1	وار كلا
173 ، 122 ، 120	
309 :1	ودان
220 :1	وسيم
592 :1	يثرب
436 :2	يعفور
256 :2	اليمامة
، 326 ، 306 ، 304 ، 275 ، 238 ، 109 :1	اليمن
، 575 ، 486 ، 478 ، 465 ، 433 ، 397 ، 381	
، 223 ، 214 ، 137 ، 39 ، 33 :2 ، 587 ، 580	
455 ، 381 ، 310 ، 287	
120 :1	يمنطيط
، 305 ، 303 ، 297 ، 292 ، 286 ، 180 ، 39 :1	ينبع
، 326 :2 ، 467 ، 454 ، 383 ، 366 ، 326	
404 ، 403	
300 ، 299 ، 297 ، 296 ، 15 :1	ينبوع
197 :1	اليهودية

فهرس البحار والأنهار والآبار والمياه

410، 409، 391، 388 :1	بئر أريس
279 :1	بئر البارود
391 :1	بئر بصة
413 :1	بئر بضاعة
413 :1	بئر حاء
154 :2	بئر الحديبية
294 :1	بئر الدركين
403 :2	بئر الدويدر
366 :1	بئر الروحاء
418، 414 :1	بئر رومة
424، 388 :2، 416 :1	بئر زمزم
416، 415، 414 :1	بئر السقيا
468 :1	بئر العبد
418، 417 :1	بئر عروة
282 :1	بئر العلائي
416 :1	بئر علي
415، 414، 391 :1	بئر غرس
420 :1	بئر معونة
385 :2	بئر الملا نافع
415 :1	بئر اليسيرة
274 :1	البحر الرومي
109 :1	البحر الغربي

490 ، 470 ، 469 ، 105 :2 ، 287 ، 274 :1	البحر المالح
181 :1	البحر المحيط
207 :1	بقبق
205 ، 199 :1	تيمي (منهل)
492 ، 488 :2 ، 209 :1	جميمة
207 :1	حلق الضبع
203 :1	الخطاطيف
143 :2 ، 515 ، 416 ، 321 :316 :1	زمزم
112 :1	زيرارة
532 :2 ، 129 :1	سواني بني كردان
208 ، 207 :1	العبدية
196 :1	العويجة
412 ، 410 :1	العين الزرقاء
495 ، 490 :2 ، 205 :1	عين الغزالة
269 :1	الفرات
209 :1	المدار
208 :1	مطيرح
271 ، 270 ، 269 ، 224 ، 220 ، 215 :1	النيل
477 :2 ، 275	
293 ، 291 :1	وادي الأراك
76 :1	وادي الأساور
547 :2	وادي الأشبور
107 :1	وادي ايمكيدن
434 :2	وادي بردا
419 ، 416 :1	وادي بطحان
551 :2	وادي بوعنان
183 :1	وادي تارغلات
279 :1	وادي تيه بني إسرائيل
424 ، 423 ، 422 :2	وادي جهنم

76 :1	وادي جبر
275 :1	وادي الخروب
421 :1	وادي رانونا
71 :1	وادي الرتب
274 ، 178 :1	وادي الرمل
219 ، 217 ، 215 :1	وادي الرهبان
421 :1	وادي ريش
514 :2 ، 173 ، 119 ، 118 :1	وادي ريغ
549 :2	وادي الزبية
551 :1	وادي زلمو
76 :1	وادي الساوره
75 :1	وادي السبط
292 :1	وادي سلمى
128 :1	وادي السمار
203 :1	وادي سمالوس
364 ، 308 :1	وادي الشريف
389 ، 326 :2 ، 417 ، 295 :1	وادي العقيق
308 :1	وادي العميان
548 :1	وادي الغاسول
364 :1	الوادي الغربي
407 :2	وادي الفارغ
278 :1	وادي القباب
282 :1	وادي القريض
420 :1	وادي قناة
182 :1	وادي كعام
292 :1	وادي كفاة
549 ، 535 ، 495 :2 ، 417 ، 215 ، 76 :1	وادي كبير
421 :1	وادي مذب
547 :2	وادي مساعد

421 :1	وادي مهزور
320 ،303 ،299 ،295 :1	وادي النار
549 :2	وادي الناموس
295 :1	وادي النبط
178 ،167 :2	وادي نعمان الأراك
219 :1	وادي اليطرون
296 :1	وادي الينبوع
179 :1	وادي ينوت

فهرس الزوايا والأضرحة والمقامات والأربطة والكنائس

الأزهر	1: 109، 219، 220، 224، 227، 228، 232، 234، 236، 244، 257، 270، 2: 416، 472، 493
الجامع الأبيض	1: 419، 2: 419
جامع بني أمية	2: 444
جامع الحاج إبراهيم	1: 136، 2: 501
جامع الزيتونة	1: 447
جامع السانية	2: 472
جامع طولون	1: 114
جامع عمرو بن العاص	1: 259
جامع كريم الدين	2: 450
جامع المارديني	1: 484، 2: 298
جامع المالكية	1: 114
جامع المغاربة	2: 419، 454
جامع المقسم	1: 259
الحرم الشريف	1: 17، 179، 303، 317، 373، 384، 410، 434، 436، 442، 448، 462، 471، 475، 485، 507، 595، 596، 628، 629، 632، 634، 2: 11، 29، 46، 62، 127
رباط السلطان قايت باي	1: 475، 485، 2: 49، 144
رباط سيدنا عثمان	2: 387
رباط الشيخ عبد القادر الجيلاني	1: 425، 485، 2: 377
رباط عبد القادر الغصين	2: 409، 462

324، 150، 143، 140 :2	رباط الموفق
425 :1	رباط النخلة
425 :1	رباط النساء
484 :2	زاوية أبي محمد صالح
71 :1	زاوية أحمد بن عبد الصادق
78 :1	زاوية أحمد بن موسى
187 :1	زاوية أحمد زروق
498 :2	زاوية أولاد سيدي ناصر
126 :1	زاوية جمعة
534، 533 :2	زاوية سيدي أبي هلال السوداني
2:533	زاوية سيدي حامد
532 :2	الزاوية الشرقية
487، 193، 189، 151 :1	زاوية الشيخ
544، 542 :2	زاوية عبد الرحمن الأخضر
500 :2، 184 :1	زاوية عبد السلام الأسمر
80 :1	زاوية عبد الله طمطم
81 :1	زاوية عمر بن محمد صالح
29 :1	الزاوية العياشية
531، 502 :2، 131 :1	الزاوية الغربية
133 :1	زاوية صرمان
502 :2	زاوية محمد الصيد
421 :2	زاوية المغاربة
422 :2	كنيسة قمامة
513، 311 :1	مساجد عائشة
431، 414، 394، 393، 391 :1	مساجد الفتح
311 :1	مساجد ميمونة
415 :2، 269 :1	مسجد إبراهيم المتبولي
424 :1	مسجد أبي
392 :1	مسجد أبي بكر

407 :1	مسجد أب ذر الغفاري
391 :1	مسجد الإجابة
392 :1	مسجد الأحزاب
259 :1	مسجد أحمد الزاهد
392 :1	مسجد الأعلى
136 :1، 19، 13 :2، 223، 217، 360 :1	المسجد الأقصى
415، 422، 449، 517	
391، 390 :1	مسجد البغلة
394 :1	مسجد بني حرام
391، 390، 389 :1، 415	مسجد بني قريظة
390 :1	مسجد بني ظفر
406 :1	مسجد الثنية
390، 389، 388 :1	مسجد الجمعة
377 :2	مسجد الجن
140، 41 :2، 334، 320، 317، 28 :1	المسجد الحرام
160، 163، 197، 246، 264، 281، 291، 382	
459 :2	مسجد الخليل
317 :1، 324، 325، 331، 178 :2، 379، 381	مسجد الخيف
388 :1	مسجد دار سعد بن خيثمة
395 :1	مسجد ذباب
410، 395 :1	مسجد الراية
410 :1	مسجد رومة
407 :1	مسجد السجدة
395 :1	مسجد السقيا
266 :1	مسجد السلطان حسن
392 :1	مسجد سلمان الفارسي
391، 389 :1	مسجد الشمس

422 :2	مسجد الصخرة
388 :1	مسجد الضرار
407 :1	مسجد طريق السافلة
390 :1	مسجد عثمان بن مالك
366 :1	مسجد عرف طيبة
297 :1	مسجد العسيرة
382 :2، 323، 317 :1	مسجد العقبة
392 :1	مسجد علي بن أبي طالب
387 :2	مسجد العيد
401، 138 :2، 366 :1	مسجد الغزالة
139 :2، 305، 304 :1	مسجد الغمامة
393، 392، 391 :1	مسجد الفتح
406 :1	مسجد الفسح
389 :1	مسجد الفضيخ
475، 409، 391، 388، 387 :1	مسجد قباء
104 :1	مسجد القبة
422، 421 :2	مسجد قبة الصخرة
414، 394 :1	مسجد القبلتين
325 :2، 297 :1	مسجد القرية
381 :2	مسجد الكبش
413، 408، 407 :2	المسجد الكبير
253 :1	مسجد المغاربة
597، 472، 440، 439، 386، 252 :1	المسجد النبوي
505، 128 :2	
381 :2	مسجد النحر
407 :1	مسجد الوادي
297 :1	مسجد ينبوع
381 :2، 320، 318 :1	المشعر الحرام
377 :1	مشهد إبراهيم (ابن الرسول عليه السلام)

480 ، 476 :2	مشهد أبي العباس المرسى
379 :1	مشهد الإمام مالك
376	مشهد أمهات المؤمنين
434 ، 380 ، 376 ، 261 :1	مشهد أهل البيت
376 :1	مشهد الحسن بن علي
407 ، 406 ، 401 ، 397 ، 396 ، 384 :1	مشهد حمزة
417	
424 ، 380 ، 376 :1	مشهد العباس
379 :1	مشهد عثمان بن عفان
479 :2	مشهد علي البدوي
163 :2	مشهد العيدروس

فهرس الأبواب

باب إبراهيم	142، 140:2، 333، 317:1
باب البحر	480:2
باب البقيع	1420، 414، 410، 379، 376، 371:1
	387:2، 423
باب بني شيبه	316:1
باب حزورة	148، 142:2، 340، 336، 335:1
باب حطة	424:2
باب دمشق	101:1
باب الرحمة بالقدس	425:2
باب الرحمة بالمسجد الحرام	454:2، 485، 458، 179:1
باب السدرة	476:2
باب السلام	410، 370، 334، 315، 312، 28:1
باب السلطان	114:1
باب الشامي	401:2، 414، 413، 410:1
باب الصخرة	431:2
باب الصفا	144، 140:2، 316:1
باب العبرانية	444:2
باب علي	144:1
باب غزة	407:2
باب الفتوح	149:1
باب القصر	267:1
باب القلعة	265، 260:1

450 :2	باب الله بدمشق
314 :1	باب المعلى
454 ،408 :1	باب المصري
269 ،259 ،244 :1	باب الناصر
438 ،428 ،425 :1	باب النساء
633 ،340 :1	باب الوفود

فهرس الكتب الواردة في المتن

- الأجرومية لابن أجروم 452:1
 إتحاف الورى بأخبار أم القرى لابن فهد 352:2
 الإتفاق والاختلاف في المذهب للخشي 275:2
 الإحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام
 للقرافي 368، 356:2
 إحياء علوم الدين للغزالي 621، 521:1
 إختصار الإحياء للبلاي 191:1
 إختصار المستخرجة ليحيى القيرواني 272:2
 إختصار المعالم لابن دقيق العيد 113:2
 أدوار الشروق على أنوار الفروق لابن
 الشاط 367:2
 أربعون حديثا لتقي الدين الفاسي 197:2، 467:1
 الأربعون نوية 429:2، 623:1
 أرجوزة المكودي 514:2
 الإرشاد لإمام الحرمين 616، 525:1
 الإستذكار لابن عبد البر 277:2، 506:1
 الإستيعاب لابن عبد البر 112:2، 506:1
 الإستيعاب في المذهب لابن المكوي 273:2
 أسد الغابة لابن الأثير 545:1
 الأسمعة لابن دينار 274:2
 الإصابة لابن حجر 286، 284:2
 إضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة للمقري 410:2
 الإعلام بنوازل الأحكام لبني أصبغ 274:2

الإفاضة الرحمانية على الكمالات الإلهية	
للقشاشي	1: 599
إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر لأبي سالم	2: 149، 181
العياشي	1: 30، 31، 53، 471، 477
الأقضية للمازري	2: 371
إكمال الإكمال للأبي	1: 96، 121
آلة الجامعة النافعة في علمي التوقيت	
والهيئة لمحمد الروداني	2: 53، 57
ألف باء للبلوي	2: 416
ألفية ابن مالك	2: 290، 451، 452
أمالى ابن مندة	2: 241
أمالى أبي سعيد النقاش	2: 240
الأمنية للقراقي	1: 576
إنباه الأنباه على إعراب لا إله إلا الله للملا	
إبراهيم	1: 482، 569، 608
الإنجيل	1: 233، 248
الأنوار لعبد الرحمن الثعالبي	2: 61
أنوار التزويل للبيضاوي	1: 525
الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار	
لابن زرقون	2: 271
الأنوار والقواعد السنية في الأسرار الفقهية	
للقراقي	2: 365
الأوسط للطبراني	1: 386، 393
إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك	
للونشريسي	2: 373
إيوان المقعر لسالم شيخان	2: 301
بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد	2: 164، 165، 271
البردة للبوصيري	2: 301
بستان العابدين للقشاشي	1: 543، 598، 2: 131

191 :1	بلوغ المرام لابن حجر
	بهجة المفاخر في معرفة النسب العالي
131 :2	الفاخر
270 :2	البيان والتحصيل لابن رشد
	تأليف في الرد على ابن تيمية في إثبات
99 :2	الجهة لابن جبريل
352، 348 :2	تاريخ الإسلام للذهبي
97 :2	تاريخ ابن الأثير
349 :2	تاريخ ابن خلكان
87 :2	تاريخ بغداد لابن النجار
345 :2	تاريخ بغداد للبغدادي
308 :1	تاريخ دمشق لابن عساكر
345 :2	تاريخ السمعاني
302 :1	التاريخ الكبير والصغير للسمهودي
375 :1	تاريخ المدينة للسمهودي
80 :2	تاريخ نيسابور للحاكم
285 :2	تاريخ اليمن للجندي
271 :2	التبصرة لأبي الحسن اللخمي
271 :2	التبصرة لابن محرز
	تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي
574 :1	الحسن الأشعري لابن عساكر
283 :1	تثقيف اللسان
	تحرير كلام القوم في أمر النبي عليه السلام
87 :1	في النوم لأبي سالم العياشي
1، 30، 31، 34، 604، 621، 623،	تحفة الأخلاء لأبي سالم العياشي
149 :2	
39 :2	تذكرة داوود الأنطاكي
72 :1	التشوف للتادلي
474، 72 :2	التصريح لخالد الأزهرى

تصنيف على كتاب سيويه لابن الحاج	
الإشيلي	344 :2
تعلقة على المدونة لابن حسن التونسي	271 :2
تفسير ابن مردويه	240 :2
تفسير البغوي	76 :2
تفسير البيضاوي	388 ، 387 ، 302 ، 77 :2 ، 246 :1
تفسير الثعالبي	240 :2
التفضي لابن عبد البر	506 :1
تقويم البلدان	181 :1
تقييد على المدونة لعبد العزيز القوري	267 :2
التكملة لابن الأبار	337 :2
تكملة السيرة الشامية لمحّب الدين الفيشي	104 :1
تكميل تعلقة التونسي على المدونة لابن	
الصائغ	271 :2
التلخيص للقزويني	502 :2
التلقين لابن نصر البغدادي	276 :2
التلويح للتفتازاني	524 :2
التمهيد لابن عبد البر	277 :2 ، 506 :1
التمييز على كشف الزمخشري لأبي علي	
بن خليل السكوني	89 :2
تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في	
الدنيا الفانية لأبي سالم العياشي	121 ، 31 :1
التنبيهات للقاضي عياض	355 ، 270 :2
هنة الإسلام ببناء بيت الله الحرام	251 :1
التوراة	248 ، 233 :2
التوضيح للشيخ خليل	524 ، 521 :2
التيسير لأبي عمرو الداني	506 :1
تيسير الوصول إلى جامع الأصول لعبد	
الرحمن الديبع اليميني	476 :1

97 :2، 97 :1	جامع الأصول لابن الأثير
575، 230 :1	الجامع الصغير للسيوطي
103 :1	الجدل لأبي إسحاق الإسفراييني
33، 25، 23، 21، 20 :2	الجفر الجامع والنور اللامع لابن عربي
13، 11 :2، 632 :1	الجفر الكبير
302 :2	جل المغنم في حل الطلسم لسالم شيخان
	جمع الفرق لرفع الخرق لأحمد بن أبي
336 :1	الفتوح
301 :2، 591، 544، 543، 260 :1	الجواهر الخمس لمحمد الغوث
550 :2	حاشية أبي الحسن على البخاري
289 :2	حاشية على تفسير البيضاوي للخفاجي
	حاشية على تفسير البيضاوي للملا محمد
388، 387 :2	الكوراني
	حاشية القشاشي على المواهب اللدنية
598 :1	للقسطلاني
	حاشية كبرى على البيضاوي لبدر الدين
629 :1	الهندي
191 :1	حاشية المشدالي على المدونة
191 :1	حاشية الوانوغني على المدونة
276 :2	الحاوي لأبي الفرج الليثي
276 :2	الحجة لمذهب مالك لابن الوراق
	حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
223 :1	للسيوطي
589 :1	الحكم لابن عطاء الله السكندري
494 :1	حكمة الإشراف للسهروردي
344 :2	الحلى التيجاني لمحمد التيجاني
282 :2، 286 :1	حوادث فقراء الوقت للأوراسي
103، 98 :1	الخادم للزركشي
	الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة

380، 238 :2	لابن حجر
253 :1	الخلعيات لعلي بن الحسن الخلعي
76 :2	الدر المنثور للسيوطي
	الدر والعقيان في طبائع الإنسان لعمر بن
463 :2	عبد القادر المشرقي
	الدرة السنية في المعالم السنية لابن أصبغ
347 :2	الأزدي
546، 545، 543، 540 :2	الدعاء لابن أبي الدنيا
191 :1	الديباج المذهب لابن فرحون
	ديوان شعر على لسان أهل الحقائق
602 :1	للقشاشي
289 :2	ديوان الشهاب الحفاجي
431 :2	ديوان الشيخ محمد العلمي المقدسي
515 :2	ديوان عبد الكريم الفكون
521، 364، 269 :2	الذخيرة للقراقي
286 :2	ذيل الإستيعاب لابن فتحون
287 :2	ذيل طبقات الحفاظ لابن فهد
455 :1	ربيع الأبرار للزمخشري
342 :1	الرجاء والخوف للكركاني
373، 347، 324، 227 :2، 362 :1	رحلة ابن رشيد
570 :1	رسائل ابن تيمية
605، 575 :1	رسائل ثلاث في مسألة الكسب للقشاشي
116 :1	رسالة ابن أبي زيد القيرواني
632 :1	رسالة ابن التاج في علم الحرف
27 :2	رسالة ابن خلدون في علم الحرف
27 :2	رسالة عمر الدنديلي في علم الحرف
	رسالة في الانتصار للمذهب الشافعي لابن
275، 77 :2	رسول الشهرزوي
	رسالة في الذكر باسم الجلالة مفردا

602 :1	للقشاشي
	رسالة في حديث إنما الأعمال بالنيات
576 :1	للملا إبراهيم
	رسالة في طرق أئمتنا الصوفية الموجودة في
295 :2	هذه الأزمنة لحسن العجيمي
197 :1	الرسالة القشيرية
	رسالة محمد بن أبي الفتح الصوفي في علم
27 :2	الحرف
	رسالة معالم التصديق لمعرفة دخول العبد
441 :2	في الطريق لمحمد العلمي المقدسي
272 :1	رسالة منازل الحج للبكري
346 :1	رشحات عين الحياة للكاشفي
284 :2، 284 :1	الרגائب لابن حبيب
	رفع الحجر عن الاقتداء بإمام الحجر لأبي
354 :2، 404 :1	سالم العياشي
130 :1	روضة الأحكام للقاضي شريح
84 :2	ري الظمان لمحمد المرسى
65، 31 :2	الزبور
	السر المكتوم في مخاطبة النجوم للفخر
84 :2	الرازي
42 :2	السفينة لأحمد بن التاج
	سقط السمط وسمط المرط في علم الخط
305 :2	لسالم شيخان
542 :2	السلم المرونق للأخضري
598 :1	سمط المجيد للقشاشي
473، 246 :2، 567 :1	سنن أبي داود
246 :2، 567 :1	سنن ابن ماجه
473 :2، 567 :1	سنن الترمذي
416 :2	سنن الدار قطني

447 :1	سنن المهتدين للمواق
473 :2 :567 :1	سنن النسائي
406 :1	سيرة ابن هشام
470 :2	سيرة الحلبي
191 :1	الشامل لبهرام
97 :2	الشامل في الطب لابن النفيس
	شرح أرجوزة المكودي في التصريف لعبد
514 ، 282 :2	الكريم الفكون
	شرح أرجوزة المكودي في التصريف لمحمد
515 :2	المرباط الدلائي
551 :1	شرح الأسماء الحسنى لأحمد زروق
428 ، 247 :1	الشرح الأطول للمفتاح للملا عصام الدين
621 :1	شرح ألفية العراقي لياسين الخليلي
	شرح ابن الحاجب لابن عبد السلام
268 :2	التونسي
268 :2	شرح ابن الحاجب لابن هارون
267 :2	شرح ابن الحاجب لعبد الرحمن الثعالبي
290 :2	شرح بديعية الهواري لأبي جعفر الإلبيري
	شرح براءة المعاني في العالم الإنساني لابن
518 :1	عربي
301 :1	شرح البردة لابن مرزوق
113 :2	شرح التعرف لابن دقيق العيد
271 ، 270 ، 99 :2	شرح التلقين للمازري
81 :2	شرح التنبيه للمحب الطبري
575 :1	شرح الجامع الصغير للمتبولي
282 :2	شرح الجمل المجراد للأوراسي
267 :2	شرح حدود ابن عرفة للرصاع التونسي
312 :2	شرح الحكم لابن عباد
589 :1	شرح الحكم للقشاشي

289 :2	شرح درة الغواص للخفاجي
357 ، 268 :2	شرح الرسالة لابن ناجي
360 :2	شرح الرسالة للفاكهاني
428 :1	شرح السنة لابن عربي
191 :1	شرح الشامل لابن عسكري
359 :2	شرح الشامل للتتائي
289 :2	شرح الشفا للخفاجي
536 :2	شرح الشقراطيسية لابن المصري
282 :2	شرح شواهد الشريف على الأجرومية
526 :1	شرح العقائد لسعد الدين
308 :2	شرح العقباني على جمل الخونجي
357 :2	شرح العمدة لابن الملحق
630 :1	شرح الفناري على إيساغوجي
446 :1	شرح القباب لقواعد عياض
	شرح قصيدة التوقيت لمحمد بن سليمان
58 :2	الروداني
631 :2	شرح القطب على الشمسية
	شرح كثر الأسرار وذخائر الأبرار لثابت
24 :2	بن قرة
87 :2	شرح المحصول لشمس الدين الأصبهاني
474 :2	شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي
	شرح مخارج الحروف من الشاطبية
282 :2	للأوراسي
	شرح مختصر ابن عبد الحكم لابن صالح
273 :2	الأفهرى
233 :1	شرح المختصر الفقهي لعمر فكرون
267 :2	شرح المختصر لأبي العباس حلولو
117 :1	شرح المختصر لبهرام
506 :2	شرح المختصر للأجهوري

117 :1	شرح المختصر للتائي
268 :2	شرح المدونة لابن ناجي
104 :1	شرح مسلم للأبي
102 :1	شرح مسلم للنووي
550 :1	شرح مسند الشافعي للسيوطي
99 :2	شرح المصاييح لفضل الله التوربشتي
246 :2، 246 :1	شرح المفتاح للسعد
452 :2	شرح الملا جامي على الكافية
630 :1	شرح المنار في أصول الفقه لابن مالك
125 :2	شرح منهاج البيضاوي للفرج الإردبيلي
	شرح المنهج المنتخب إلى نظم قواعد
370 :2	المذهب لأحمد المنجور
28 :2	شرح منية الحساب
491 :2	شرح منية المصلي
16 :2، 632، 631، 619، 497 :1	شرح المواقف للسيد الجرجاني
	شرح نظم المكودي في التصريف
282 :2	للأوراسي
229 :1	شرح النقاية للسيوطي
	شرح الهداية في الحكمة لوالد السيد
493 :1	الجرجاني
350 :2	شروح الحكم للشيخ زروق
533، 508 :1	شعب الإيمان لعبد الجليل القصري
245، 240 :2، 633 :1	الشفاء للقاضي عياض
616 :1	شفاء العليل لابن القيم
166 :2، 467 :1	شفاء الغرام لتقي الدين الفاسي
	شكاية أهل السنة بحكاية ماناهم من المحنة
228، 227 :2	للقيشيري
467، 428 :1	الشمائل للترمذي
302، 27 :2	شمس المعارف الكبرى للبوئي

423 :2	صحيح ابن حبان
1 :91 :396 ، 406 ، 483 ، 507 ، 621 ، 77 :2 ، 166 ، 328 ، 429 ، 458 ، 463 ، 473 ، 540	صحيح البخاري
1 :51 ، 91 ، 391 ، 483 ، 506 ، 77 :2 ، 154 ، 166 ، 246 ، 328 ، 429 ، 435 ، 458 ، 473	صحيح مسلم
77 :1	ضرائر الشعر لابن عصفور
1 :542 ، 544 ، 550 ، 588	ضمائر السرائر للشناوي
1 :531 ، 290 :2	الضوء اللامع للسخاوي
1 :481 ، 598	ضوء الهالة في ذكر هو والجلالة للقشاشي
342 :1	طبقات الأسنوي
1 :378 ، 415	طبقات ابن سعد
2 :287 ، 350	طبقات الصوفية للمنوي
2 :78 ، 79 ، 332	الطبقات الكبرى للتاج السبكي
1 :222 ، 225 ، 259 ، 269 ، 636	الطبقات لعبد الوهاب الشعراني
2 :360	الطراز لابن عنان
2 :267	الطرر على المدونة لابن مطر
1 :451	العتبة للعتبي
2 :96	العزیز فی شرح الوجیز لعبد الکریم الرافعي
1 :117	العقيدة الصغرى للسنوسي
2 :43 ، 127	عنقاء مغرب لابن عربي
	الغرة اللائحة والمسكة الفائحة في الخطوط
2 :342	الصمدية والمفاخر المحمدية للتوزري
1 :102	فتاوى ابن الصلاح
1 :85	فتاوى البرزلي
1 :549 ، 550	الفتاوى الحديثية للسيوطي
1 :103	فتاوى الحناطي
1 :102	فتاوى القاضي حسين

102 :1	فتاوى النووي
612 ، 609 :1	فتح الباري لابن حجر
348 :2	فتح المتعال في مدح النعال لأحمد المقرئ
434 ، 481 ، 511 ، 513 ، 517 :1	الفتوحات المكية لابن عربي
522 ، 576 ، 594 ، 611 ، 177 :2	
411	
173 :1 ، 356 :2 ، 364 ، 365 ، 367	الفروق للقرافي
374 ، 369	
335 :2	الفصوص لصاعد البغدادي
241 :2	فضائل الشام لأبي الحسن الربيعي
514 :2	فهرست عيسى الثعالبي
241 :2	فوائد ابن الناصح
	فوائح الجمال لأبي الجناح نجم الدين
350 :1	الكبرى
412 ، 416 ، 420 ، 247 :2	القاموس للفيروزآبادي
270 :2	القبس لأبي بكر ابن العربي
375 ، 365 :2	القواعد لأبي عبد الله المقرئ
191 :1 ، 365 :2 ، 375	قواعد أحمد الوئشريس
	القواعد الصغرى لعز الدين ابن عبد
95 :2	السلام
191 :1	القواعد في علم التصوف
98 :1 ، 365 :2 ، 369	قواعد القرافي
297 ، 95 :2	القواعد الكبرى لعز الدين ابن عبد السلام
354 ، 352 :2	القوانين النحوية لابن أبي الربيع
549 ، 547 ، 540 :1	قوت القلوب لأبي طالب المكي
	القول الأشبه في حديث من عرف نفسه
410 :2	عرف لبعض الغاربة
475 :1	القول الجلي للملا إبراهيم
630 ، 479 :1	كافية ابن الحاجب

273 :2	كتاب الأحكام لمولى ابن الطلاع
239 :2	كتاب الثواب
1: 243، 260، 540، 543، 544،	كتاب الجواهر لمحمد الغوث
545، 550، 552، 588، 591،	
2: 301، 302، 307	
1: 540، 543، 545، 546، 549،	كتاب الدعاء لابن أبي الدنيا
550، 555، 2: 246	
1: 482، 2: 344	كتاب سيويه
273 :2	كتاب الشروط لمولى ابن الطلاع
538 :2	كتاب الطواعن للحطاب
505 :1	الكتاب الكافي
285 :2	كتاب المعمرين
2: 116، 416، 473	الكتب الستة
274 :2	الكشاف للزمخشري
	كشف القناع في حكم لولا للامتناع لعللي
119 :2	السبكي
189 :1	كفاية المريد
599 :1	الكمالات الإلهية لعبد الكريم الجيلي
	كثر الرواة المجموع من درر المجاز وبواقيت
194 :2	المسموع للثعالبي
489 :1	الكنى والأدب المفرد للبخاري
	الكواكب الزاهرة لعبد القادر بن مغلزل
98 :1	الشاذلي
285 :2	لسان الميزان للسيوطي
347 :2	اللائيء المجموعة لعبد الله القرطبي
250 :1	لواقح الأنوار للشعراني
336 :2	المآخذ للمواق
542 :2	المباحث الأصلية
97 :2	المثل السائر لابن الأثير

550 :2	المجتبى للبارزي
520 ،435 :1	المحاضرات والمسامرات لابن عربي
	محدد السنان في نحر إخوان الدخان لعبد
521 :2	الكريم الفكون
247 :2	المحصل لابن الخطيب
191 :1	مختصر ابن عرفة
62 :2 ،429 ،427 ،191 :1	مختصر خليل
	مختصر رعاية المحاسبي لعز الدين بن عبد
333 :2	السلام
630 ،248 ،246 :1	مختصر السعد على تلخيص المفتاح
271 :2	المختصر لابن أبي زيد القيرواني
272 :2	مختصر ما ليس في المختصر لابن القرطبي
268 :2	مختصر المتبوية لابن هارون
532 :2	مختصر معالم الإيمان لابن ناجي
277 :2	مختصر الواضحة لابن سلمة
95 :1	المدخل لابن الحاج
272 :2	مدونة سحنون
342 :1	مرآة المحاسن للعربي الفاسي
92 :2	المرشدة لابن تومرت
113 :2	المسالك لابن فضل الله
411 :2 ،520 ،434 :1	مسامرات الأبرار لابن عربي
618 :1	المسايرة لابن همام
274 :2	المستقصية لابن مزين
416 :2	مسند أبي حنيفة
416 ،240 :2 ،405 ،392 :1	مسند أحمد
473 ،277 :2	مسند ابن أبي الدنيا
254 :2	مسند الحارث
285 :2	مسند الدارمي
416 ،184 :2 ،550 :1	مسند الشافعي

508 :1	المشكل في الحديث لعبد الجليل
335 :2	مشكلات التفريع لابن جلاب
335 :2	مشكلات التلقين للقاضي عبد الوهاب
129 ، 61 :2	المصاييح للبعوي
238 :2	مصنف ابن أبي شيبة
239 :2	مصنف ابن وهب
248 ، 247 ، 146 :1	المطول لسعد الدين التفتازاني
24 :2	المعجم (كتاب آدم عليه السلام)
290 :2	معجم البرزالي
126 ، 113 :2	معجم الذهبي الصغير
1 ، 394 ، 445 ، 467 ، 633 ، 2 :176 ،	معجم الطبراني الصغير
287 ، 197	
276 :2	المعونة لابن نصر البغدادي
374 ، 358 :2	المعونة للقاضي عبد الوهاب
266 :2	المعيار المعرب لأحمد الونشريسي
452 :2	مغني اللبيب لابن هشام
20 :2	المفاتيح الغيبية والمصاييح الوهية
1 ، 521 ، 2 :298	مفتاح الفلاح لابن عطاء الله
574 :2	مفيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكي
270 :2	مقدمات ابن رشد
34 :2	مقدمة ابن خلدون
581 :1	المقدمة العشماوية
542 :2	مقدمة في الفقه لعبد الرحمن الأخصري
227 :2	ملء العيبة لابن رشيد السبتي
452 :2	ملحة الإعراب
85 :2	الملخص الرازي
283 :2	الملخص القابسي
246 :2	مناسك الخطاب
79 :2	مناقب أبي بكر البالسي

275 :2	المنتخب لابن أبي زمنين
222 :1	منتهى العبر
274 :2	المنتقى للباجي
247 :2	منتهى السؤل في مدح الرسول
246 :2	منسك ابن جماعة
	منظومة أبي الفرج الإشبيلي في ألقاب
121 :2	الحديث
108 :2	منظومة حازم الميمية في المدح والنحو
62 :1	منظومة في البيوع لأبي سالم العياشي
542 :2	منظومة في السلوك لعبد الرحمن الأخصري
411 :2	منظومة في العقائد لأبي الحجاج الضرير
496، 342 :1	المنقذ من الضلال للغزالي
	منقذة الموهوم من مزلة الدهوم لسالم
599، 598 :1	شيخان
521، 520 :1	منهاج العابدين لعلي المسفر السبتي
192 :1	المنهل الروي في علم الحديث
28 :2	منية الحساب لابن غازي
491 :2	منية المصلي
272 :2	الموازاة لابن المواز
598، 253 :1	المواهب اللدنية للقسطلاني
473، 281، 279 :2، 401، 115 :1	موطأ الإمام مالك
85، 84 :2، 584 :1	الميزان للذهبي
	النافعة على الآلة الجامعة لمحمد بن سليمان
57، 54، 53 :2	الروداني
190 :2، 144 :1	نزهة الناظرين لمرعي الحنبلي
273 :2، 273 :1	النصائح لابن مسرة
305 :2	النصر المبين بالتصرف المبين لسالم شيخان
617، 616، 525 :1	النظامية لإمام الحرمين
	نقثة المصدور إلى الإخوان والصدور لأبي

147 :1	سالم العياشي
290 ، 247 :2 ، 83 :1	نفح الطيب لأحمد المقرئ
521 :1	النفخ والتسوية لعلي المسفر السبتي
	نقد علي مقرب ابن عصفور لابن الحاج
344 :2	الإشيلي
76 :2	نكت الهميان في نكت العميان للصفدي
	نكتة سر الشفا في القول اللاحق المصطفى
43 :2	لابن عربي
97 :2	النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير
335 :2	النوادر لأبي علي القالي
247 :2	نوادير أصول للترمذي
271 :2	نوادير ابن أبي زيد القيرواني
268 :2 ، 404 ، 173 ، 108 :1	النوازل للبرزلي
270 :2	نوازل القرطبي
	نور المسرى في تفسير آية الإسراء لأبي
89 :2	شامة
632 ، 493 :1	الهداية في الحكمة للأثير
274 :2	الواضحة لابن حبيب
270 :2	وثائق الفشتالي
110 :2	الوجيه للقوصي

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة.
- أبو سالم العباسي المتصوف الأديب، عبد الله بنصر العلوي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1998.
- إنخاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، أبو سالم العباسي، تحقيق: محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1999.
- الأحاديث المختارة، المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهبش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، 1410.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، عالم الكتب، بيروت، دت.
- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصري، تحقيق: جعفر الناصر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، مصر، 1280.
- أسماء القبائل وأنسابها، معز الدين القزويني، شرح وتحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.
- اعتقاد أهل السنة، هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض.
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم، المطبعة الملكية، الرباط، 1974.
- أعلام المغرب العربي، عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1979.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة 8: 1989.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت.
- اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، فهرس أبي سالم العباسي، تحقيق ودراسة: نفيسة الذهبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 1996.
- النقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، محمد بن الطيب القادري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983.
- ألف باء، يوسف محمد البلوي، عالم الكتب، ط2: 1985.

- أمثال العرب، المفضل الضبي، قدم له وعلق عليه: إحسان عبياس، دار الرائد العربي، بيروت، 1983.
- أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتاب ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام لأبي يحيى الزجاجي، دراسة وتحقيق د. محمد بنشريفة، مطبعة محمد الخامس، فاس، 1975.
- الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ابن دقماق، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- أنس الساري والسارب، ابن مليح، تحقيق: محمد الفاسي، مطبعة محمد الخامس، فاس، 1970.
- الدور الضاوية في مناقب أهل الزاوية الدلائية، سليمان الخوات، تحقيق: عبد الرحمن كظيمي، رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب الرباط.
- البداية والنهاية، ابن كثير، مطبعة المعارف، بيروت، دت.
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- تاج المفرق في نخبة علماء المشرق، خالد بن عيسى البلوي، مقدمة وتحقيق: الحسن السائح، طبع اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.
- تاريخ الإسلام للذهبي دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاريخ أمراء المدينة المنورة، تأليف: عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر، 1418.
- تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407.
- تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، الشيخ عبد الحكي الكتاني، ضبط وتعليق: د. أحمد شوقي بنين ود. عبد القادر سعود، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط 1: 2004.
- تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ابن عساكر، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404.
- التحبير في المعجم الكبير، السمعاني، تحقيق: منيرة ناجي سالم.
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.
- تذكرة الحفاظ، محمد بن طاهر القيسراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل، دار الصمبعي، الرياض.
- التذكرة الفخرية، صاحب بهاء الدين الإربلي، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، د. حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، ط 1: 1997.
- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، أبو القاسم الزباني، حققه وعلق عليه: عبد الكريم القبلاي، نشر وزارة الأنباء، المغرب، 1967.
- الترغيب والترهيب
- التشوف إلى رجال النصوص وأخبار أبي العباس السبتي، أبو يعقوب يوسف النادلي، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط 2: 1997.

- تفسير القرطبي، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة.
- التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، عني بنشره وتصحيحه، السيد عزت العطار الحسيني، 1955.
- التمثيل والمحاضرة، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلوي، الدار العربية للكتاب، 1983.
- تهذيب المواهب السرمدية في أجلاء السادة النقشبندية، تأليف: الشيخ محمد أمين بن فتح الله زاده الكردي، اعتنى به: الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.
- التوجيهات (مخطوط الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط (ضمن مجموع) رقم: 1773 ك.
- الثغر الباسم في جملة من كلام أبي سالم، محمد بن حمزة العياشي، (مخطوط الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط) رقم: 304 ك.
- الجامع الصغير للسيوطي، تحقيق: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار طائر العلم، جدة.
- الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، محمد كبريت الحسيني، حققه وعلق عليه: د. عائض الرادادي، الرياض، 1998.
- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، محمد حجي، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، دت.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، المطبعة الشرفية، مصر، دت.
- الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، عبد الغني النابلسي، تحقيق: أكرم حسن العلي، المصادر، لبنان، ط 1: 1990.
- الحكم، ابن عطاء الله السكندري، تحقيق وتقديم: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، المكتبة الأزهرية للتراث.
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، مؤلف مجهول حققه: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، البيضاء، 1979.
- الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، محمد الأخضر، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1977.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحجي، دار صادر، بيروت،
- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد بن عسكر، تحقيق: محمد حجي، راجعه: عبد المجيد خيالي، مطبعة الكرامة، الرباط، ط3: 2003.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ديوان ابن دراج الفسطلي حققه وعلق عليه وقدم له د. محمود علي مكّي، المكتب الإسلامي، ط 2، 1389 هـ.
- ديوان ابن سهل الإسرائيلي، دراسة وتحقيق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.

- ديوان أبي إسحاق الألبيري حقه وشرحه واستدرك فائته، د. محمد رضوان الدابة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط 1: 1991.
- ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار مكتبة الهلال، لبنان، 1998.
- ديوان أبي المغيث الخلاج، صنعه وشرحه وعلق عليه: موفق فوزي الجبر، دار المنير، دار معد، سوريا، 1999.
- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ حقه أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
- ديوان الإمام علي، جمعه وضبطه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- ديوان حازم القرطاجني تحقيق عثمان الكعاك، دار الثقافة، بيروت، 1964.
- ديوان الخنساء، شرح: ثعلب الشيباني، حقه: د. أنور أبو سويلم، دار عمار، الأردن.
- ديوان ذي الرمة، شرح أحمد بن حاتم الباهلي، دقه: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، ط 3: 1993.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1977.
- رحلة ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الوائي، تحقيق: د. علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405.
- رحلة ابن خلدون، عارضها بأصولها وعلق حواشيها: محمد بن تاووت الطنجي، حررها وقدم لها: نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.
- رحلة ابن رشيد ابن رشيد السبي، دراسة وتحليل: د. أحمد حدادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 2003.
- رحلة التيجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني، قدم لها: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1981.
- رحلة العبدري، تحقيق وتقديم: محمد الفسي، منشورات جامعة محمد الخامس، 1968.
- الرحلة العباسية، ماء الموائد، لأبي سالم العباسي، وضع فهارسها: محمد حجي، الرباط، 1977.
- الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبد الكريم بن هوزان القشيري النيسابوري، تحقيق: معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية، بيروت، 2001.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.
- روضة الآس العاطرة الأنفاس، أحمد بن محمد المقرئ، المطبعة الملكية، الرباط، 1964.
- الرياض النضرة، أحمد بن عبد الله الطبري، تحقيق: عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- زهر الأكمل في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، حقه: د. محمد حجي ود. محمد الأنخضر، دار الثقافة، لدار البيضاء، 1981.
- الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تقي الدين الفاسي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2001.

- سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي.
- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1994.
- سنن المهتدين في مقامات الدين، محمد المواق الغرناطي، تحقيق: محمدن سيدي محمد ولد حمينا، منشورات مؤسسة الشيخ مريه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، 2002.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب أرنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن مخلوف، خرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح ديوان حسان بن ثابت، وضعه وضبطه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي.
- شرح ديوان المتنبي، تهذيب وتعليق: د. بجي الشامي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1: 1997.
- شرح الزرقاني، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، تحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، 1989.
- شرح النووي على صحيح مسلم
- شرف الطالب في أسنى المطالب، أحمد بن قنفذ، (ضمن كتاب: ألف سنة من الوفيات) تحقيق: د. محمد حجي، مطبوعات دار المغرب، 1976.
- الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى، القاضي عياض البحصي، اعتنى به وراجعته: هيثم الطعيمي ونجيب ماجدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2003.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر، بيروت.
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، نقي الدين الفاسي، دار إحياء الكتب العربية، 1956.
- صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1970.
- صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة، الطبعة 3: 1987.
- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.
- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير الإفرائي، تقديم وتحقيق: د. عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط1: 2004.
- ضرائر الشعر، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، لبنان، دت.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، مكتبة الحياة، بيروت، دت.
- طبقات الشافعية، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي، تحقيق: عبد الله الجبوري، بغداد، 1391.

- طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الخلو ومحمود محمد الطناحي، منشورات هجر للطباعة والنشر، 1992.
- الطبقات الكبرى المسماة بلوائح الانوار في طبقات الأخبار، عبد الوهاب احمد بن علي الشعراي، ضبطه وصححه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1-1997
- الطبقات الكبرى لبن سعد، طبعة ليدن، 1321.
- طبقات المحدثين، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان، عمان.
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي، دار الجليل، بيروت.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3-1987
- فتاوى النووي المسمى المسائل المثورة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379.
- الفتوحات المكية، ابن عربي، دار إحياء التراث العربي، دت.
- فتوح البلدان، البلاذري، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الفردوس بمأثور الخطاب لأبي شجاع الديلمي، تحقيق: السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، اعتنى به: أبمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995.
- فهرس الفهارس والأبواب ومعجم المشايخ والمسلسلات، عبد الحفي بن عبد الكبير الكتاني، اعتنى به: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1982.
- الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، 1978.
- فهرست عبد القادر الفاسي، ومعها إجازة عبد القادر الفاسي لأبي سالم العياشي، تحقيق: الدكتور محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، 2003.
- فوات الوفيات، ابن شاکر الکتبي، طبعة مصر، 1299.
- فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية، مصر.
- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، دار المعرفة، بيروت.
- قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها، تأليف أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الله الواعظ، تحقيق: د فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط1: 1998.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، الشيخ محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي، ضبطه وصححه: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1997.
- الكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، عالم المعرفة، بيروت، دت.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

- الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، 1988.
- كتاب أسماء جبال هامة وجبال مكة والمدينة، عرام بن الأصمغ السلمي، تحقيق: د. محمد صالح شناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.
- كتاب التمهيد لابن عبد البر. طبعة القدسي، 1350.
- كتاب الجفر الجامع والنور اللامع لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، مكتبة الكليات الأزهرية، دت.
- كتاب الجواهر الخمس، الشيخ الإمام سيدي محمد بن خطير الدين بن با يزيد بن خواجه العطار، نشر: الحاج عبد الله اليسار التجاني.
- كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، الإمام الحربي، تحقيق: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، السعودية، 1969.
- كشف الخفاء، إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق: أحمد الفلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة 3: 1405.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، استنبول، 1941.
- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين الغزي، حققه: جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2: 1979.
- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، دت.
- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- لقط الفرائد، ابن القاضي، (ضمن كتاب: ألف سنة من الوفيات) تحقيق: د. محمد حجي، مطبوعات دار المغرب، 1976.
- لمح السحر من روح الشعر وروح الشجر، لابن ليون النجيني، دراسة وتحقيق: سعيد بن الحرش، رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب فاس.
- لوائح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، عبد الوهاب الشعراني، تقديم: الأستاذ محمد علي الإدلي، دار القلم العربي، حلب، 1993.
- مجلة المناهل (وزارة الثقافة - المغرب)، ع 38، دجنبر 1989.
- مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة بيروت، 1407.
- مجموع مهمات المتنون، دار الفكر، دت.
- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخبار في الأدبيات والنوادر والأخبار، محي الدين ابن عربي، ضبط نصه وصححه: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.
- مختصر العلامة خليل فيه فقه الإمام مالك، الشيخ خليل بن إسحاق، دار الفكر، دت.
- مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، محمد العربي الفاسي الفهري، تحقيق: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن ابن الجدي، 2003.
- المساجد في الإسلام، الشيخ طه الولي، دار العلم للملايين، بيروت، 1988.
- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

- مسند أبي يعلى، أبو يعلى التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، 1984.
- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.
- مسند الربيع، تحقيق: محمد إدريس وعاشور بن يوسف، دار الحكمة، مكتبة الاستقامة، بيروت، سلطنة عمان، 1415.
- مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت.
- معجم الطبراني الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
- معجم الطبراني الصغير، تحقيق: محمد شكور، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت عمان، 1985.
- المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1983.
- معجم ما استعجم، البكري، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت.
- معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية، مصطفى عبد الكريم الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.
- معلمة المغرب، تنسيق محمد حجي، مطابع سلا.
- المغانم المطابة في معالم طابة، مجد الدين الفيروزآبادي، تحقيق: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، المملكة العربية السعودية، 1969.
- المساجد في الإسلام، الشيخ طه الولي، دار العلم للملايين، ط1: 1988.
- مسند أبي يعلى، أبو يعلى التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، 1984.
- مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان، دار الكتب العلمية، 1959.
- مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط4-1981.
- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجبة إلى الحرمين مكة وطيبة، محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبني، تقديم وتحقيق: الشيخ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، 1988.
- ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهمت من الأتباع، المهدي الفاسي، تحقيق وتعليق: عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد، 1994.
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد العسقلاني، شرحه وعلق عليه: مامون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996.
- المنقذ من الضلال، الإمام محمد بن محمد الغزالي، دار العلم للجميع، دت.
- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، عبد العزيز بن عبد الله، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1975.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون، دار الكتاب اللبناني.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن نغرى بردى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر.
- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، محمد الصغير الإفرائي، تقديم وتحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998.
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الشريف الإدريسي، عالم الكتب، الطبعة الأولى 1989.
- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، القادري، تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1977.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد المقرئ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.
- نوادر الأصول في أحاديث الرسول، محمد بن علي الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.
- هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، طبعة إستانبول 1951.
- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، محمد بن تاويت، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، نور الدين علي بن عبد الله السمهودي، تحقيق: د. قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1: 2001.
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، 1968.
- وفيات الونشريسي، (ضمن كتاب: ألف سنة من الوفيات) تحقيق: د. محمد حجي، مطبوعات دار المغرب، 1976.

محتويات المجلد الثاني

5	استهلال
9	الجزء الثاني من الرحلة
135	ذكر الخروج من المدينة المشرفة إلى مكة المعظمة
145	ذكر شهود رمضان بمكة المعظمة
151	ذكر الأماكن التي ينبغي أن تزار بمكة المعظمة
175	الأماكن التي تُزار في بلد الطائف
181	ذكر من لقينته بمكة من الأفاضل أيام المجاورة
377	المزارات المشهورة بمكة
383	ذكر خروجنا من مكة إلى المدينة المشرفة
387	ذكر دخولنا إلى المدينة المشرفة
401	ذكر الخروج من المدينة المشرفة
457	خروجنا من القدس الشريف
487	ذكر ارتحالنا من الإسكندرية متوجهين إلى المغرب
531	ذكر ارتحالنا من مدينة طرابلس
553	الفهارس الكشفية
555	فهرس الآيات القرآنية
569	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
577	فهرس الأعلام
639	فهرس الأشعار
653	فهرس المدن والأماكن والبلدان
669	فهرس البحار والأنهار والآبار والمياه
673	فهرس الزوايا والأضرحة والمقامات والأربطة والكنائس
679	فهرس الأبواب
681	فهرس الكتب الواردة في المتن
699	فهرس المصادر والمراجع